موسوعة أشراط الساعة

٦

القيامة الصغرى على الأبواب

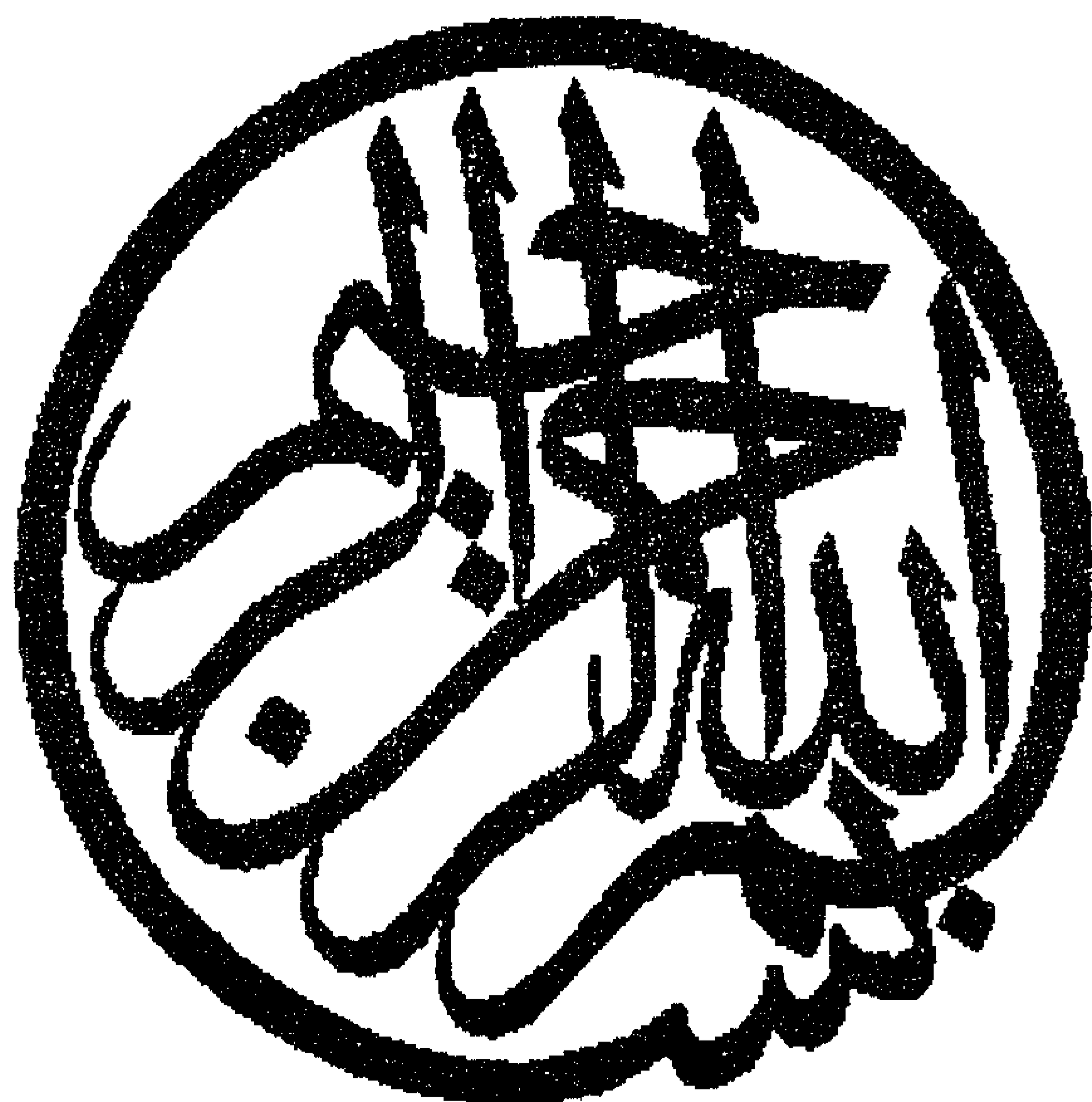
الجزء الخامس

المسيح الدجال بين الجبت والطاغوت

الأستاذ الدكتور

فاروق أحمد الدسوقى

حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمـــــة

الحـمـد لله والصـلاة والسـلام على رسـول الله وعلى آله وعلى أصـحـابه وعلى الذين إتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثُـمَّ أمـا بعـد ،

فـقـد أعْـيَتْ شـخـصـيةُ المسيح الدجال - بما ورد عنها من أخبار في نصـوص الوحي - البـاحـثين والمؤلفين ، وكـما حيَّرتْ طلاسمَه العلماء والمفكرين ، وأقلقت فتنتهُ النساك والواعظين من كل مِلةٍ ودين .

مـن هـو المســــيح الـدجـــال ؟

ومـــن أبـــوه ومـــن أمــــــه ؟

بـل مـــا هـو المســيح الـدجـــال ؟

آآدمـــى هـــو أم جـــنـــى ؟

وإنســـان هـو أم شـــيطـان ؟

ومـــتـى بـدأ وجـــوده ؟

وأين بدأت حـيـاتُه ، أفي الأرض أم في السـمـاء ؟!

ومـا سـر حـيـاته الممـتـدة الطويلة ؟

وما هو مُبْتَغَاه أو غايته النّهائية الأخيرة ؟

وما هى حقيقة خوارقه الغرْيبة العديدة ، مع أنه مصدر الشر والإفساد ، ورأس الكفر والإضلال ؟

صحيح أنه لن يكون أول من أدعى الألوهية ، لكنه سيكون أول من يدعيها على مستوى سائر البشرية .

أهو إذاً ، إبليس رأس الشياطين ؟

أم هو الجبت رئيس الملاعين ؟

أم هو الطاغوت معبود غير الموحدين الوثنيّين منهم والمثلثين والملحدين ؟

وإذا لم يكن المسيح الدجال واحداً من رؤوس هذا المثلث النجس : إبليس الجبت الطاغوت ، أفلا يكون للدجال صلة بهذا الثالوث ؟ أليسوا جميعاً - أى الدجال وهؤلاء الثلاثة - رؤوساً لمملكة الشر وقادة لحزب الشيطان ؟! لقد أنكر بعض المنتسبين إلى العلم المسيح الدجال وأدى بهم إنكارهم هذا إلى إنكار المهدى عليه السلام ، ثم إنكار نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، وحجتهم على هذا الإنكار أنه لم يرد فى القرآن الكريم ذكر صريح للمسيح الدجال بهذا الاسم الذى جاءت تحته الأخبار عنه فى السنة الشريفة .

ولقد أخطأ هؤلاء المنكرون الذين لم يصدر إنكارهم إلا عن جهلهم بكتاب الله تعالى وبسنة نبيّه ﷺ أو عن جهلٍ بهما مع زيغ فى القلوب .

ولهؤلاء ولسائر المنكرين أقول : إن أخبار الدجال موجودة فى القرآن الكريم مع كل فصل من فصول قصة الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان ، إبتداء من

المشهد الأول للفصل الأول في هذا الصراع الذى بدأ في السماء ، ولا زال مستمراً وسيستمر حتى المشهد الأخير من الفصل الأخير ، الذى ينتهى بمقتل الدجال وإسلام البشرية قاطبة لله رب العالمين على يد مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهما السلام قائداً لجند الله المسلمين أتباع النبى المصطفى الخاتم سيد ولد آدم الماحى الذى سيمحى به الله تعالى الكفر من على وجه الأرض وبالمجاهدين من أمته ﷺ تحت قيادة المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام لتكون خاتمة الصراع الطويل كما أخبرنا الله تعالى في كتابه بقوله ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ « المجادلة / ٢١ » وكما قال تعالى أيضاً ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ﴾ « الأعراف / ١٢٨ »

لقد أمرنا الله تعالى أن نتدبر القرآن بقوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً ﴾ « النساء / ٨٢ » وبيّن لنا رسول الله ﷺ كيف يكون تدبر القرآن بقوله ﷺ ﴿ أحرثُوا القرآن ﴾ [1] .

فتعالوا معى إخوانى القراء نتدبر القرآن فنحرثه سوراً وآياتٍ وكلماتٍ وحروفاً وسطوراً وما بين السطور لنستخرج منه حقائق عن مملكة الشر أو قيادة حزب الشيطان وجنوده من الشياطين والأبالسة والطواغيت ، لكى نصل إلى إجابة على ما طرحناه من أسئلة عن المسيح الدجال ، لعلنا نتوصل - بعون الله وتوفيقه - إلى إستخراج حقيقته من بين أسرار الجبت وطلسمات الطاغوت .

---

(١) ذكره القرطبى في تفسيره في معرض قوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ .. إلى قوله تعالى ﴿ والأنعام والحرث ﴾

أسأل الله العليم الحكيم أن يرزقنى الحكمة وفصل الخطاب وأن يجعل عملى كله خالصاً لوجهه ، وهو سبحانه وحده من وراء القصد والهادى إلى سواء السبيل وصلى اللهم على عبدك ونبيك وحبيبك المصطفى الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم .

د . فـــاروق الدسوقـــى

الإسكندريـــة فى ١٦ ربيع أول ١٤٢٠

٣٠ يونـــيو ١٩٩

الفصـــل الأول

من ذا الذى يتطاول من العبيد
ويزعم أنه إله مع رب العالمين . ؟!

سبحان الخالق العظيم وتعالى عما يشركون :

كان الله ولا شئ قبله سبحانه ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شئ عليم** ﴾ « الحديد / ٤ » من دعاء رسول الله ﷺ « .. أنت الأول الذى ليس قبلك شئ وأنت الآخر الذى ليس بعدك شئ وأنت الظاهر الذى ليس فوقك شئ وأنت الباطن الذى ليس دونك شئ اقضى عنا الدين وإغننا من الفقر »[١]

سبحانك خلقت كل شئ فصار المخلوق موجوداً بعد أن لم يكن شيئاً ، سبحانك يا أول كنت وحدك ولم يكن شئ قبلك ، سبحانك يا أول كنت وحدك ولم يكن شئ قبلك ، سبحانك لا إله غيرك ولا رب للعالمين سواك .

روى البخارى بسنده (عن عمران بن حصين أن ناساً من أهل اليمن قالوا : يا رسول الله جئنا للتفقه فى الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ، ما كان ؟

قال : كان الله ولم يكن شئ قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السماوات والأرض وكتب فى الذكر كل شئ ﴾

وروى الترمذى بسنده (عن أبى رزين العقيلى ، قلتُ يا رسول اللهٰ أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على المـــاء) والمعنى أنه لم يكن شئ قبل خلق الله للسماوات والأرض ، حتى ولا المكان ولا الزمان لأنهما مخلوقان مع خلق السماوات والأرض بل إن وجود هما هو وجود السماوات والأرض .

ولما كان سؤال أبى رزين عن المكان لقوله (أين كان ربنا ؟) عبر رسول الله ﷺ عن حقيقة نفى المكان والزمان عنه سبحانه بقوله (كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء) أى لم يكن فى مكان ولم يكن معه شئ ولا يحيط به فراغ وهو سبحانه لا يزال فوق المكان وخارج الزمان لأنهما من خلقه .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

وكذلك الإنسان لم يكن قبل خلقه شيئاً مذكوراً ﴿ **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾ « الإنسان / ١ – ٢ » فهو سبحانه الذى بدأ الخلق وحده ، وهو سبحانه الذى سيعيده وحده قال تعالى ﴿ **يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ « الأنبياء / ١٠٤ » والمعنى أن العزيز الجبار جل وعلا سيطوى السماء بيمينه كما تطوى صفحات الكتاب فى السجل أى بين جلدتيه ، روى البخارى بسنده عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماوات بيمينه) .

كما أورد ابن كثير فى تفسيره بسنده إلى ابن عباس قال : يطوى الله السماوات السبع بما فيها من الخليفة ، والأرضين السبع بما فيها من الخليقة يطوى ذلك كله بيمينه يكون ذلك فى يده بمنزلة خردلة) أى فى يد أحدكم ، سبحان الله العظيم ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ « الزمر / ٦٧ »

فمن كانت هذه قوته ، ومن كانت هذه عظمته ، ومن كان هذا جبروته ، هل يجرؤ أحد من خلقه – وكلهم عبيده – ويزعم أنه إله من ذا الذى يدّعى أنه ند له سبحانه ؟!

من ذا الذى يتطاول ليعدل نفسه به عز وجل ؟!

من ذا الذى يستكبر من خلقه – مهما عظم حجمه – ويعلن للخلق أنه رب العالمين ، منازعاً الخالق عز وجل ملكه وربوبيته ؟!

– إن كان أحد من خلقه فاعلاً ذلك فلن يكون إلا من الثقلين : الإنس والجن المخلوقين المبتليين المُخيَّرين ، ومن ثم فلن يفعل هذا إلا مخلوق صغير الحجم فلا السماوات ولا الأرض ولا النجوم ولا الشمس ولا القمر ولا الجبال تجرؤ أن تفعل هذا ، بالرغم من أن السماوات فى كف الخالق عز وجل بمنزلة حبة خردل فى كف الإنسان

، والإنسان وما على الأرض فى السماوات مجرد هباءة ﴿ **لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ « غافر / ٥٧ » ومع هذا فقد وردت الأخبار فى السنة عن إنسان سيزعم أنه رب العالمين ، يخرج فى آخر الزمان يدعى أنه رب الناس وملك الناس وإله الناس .

– من ذا الذى سيفعل ذلك ؟!

– إنه المسيح الدجال ، الذى بوّب له أصحاب الصحاح والسنن والمصنفات الحديثية أبواباً عن صفاته وأعماله وضلالاته وأفساده وخروجه الذى سيعلن خلاله أنه رب العالمين ويجد من الاتباع الذين يستقبلونه فى كل عواصم الدنيا ، فلا يدع عاصمة إلا ويدخلها ما عدا مكة المكرمة والمدينة المنورة ، لقد وردت فى الدجال عشرات الأحاديث بل ربما تتعدى المائة بكثير ولا زال المسلمون يختمون دعاء التشهد بالإستعاذة بالله من فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال .

– لكن البعض ممّن ينتسبون إلى العلم يرفضون التصديق بالدجال ، وحجتهم فى هذا أنه لم يرد عنه ذكر فى كتاب الله عز وجل ، ومن ثم يضعّفون أخباره فى السنة ، قائلين :

إن شخصية الدجال كما جاءت فى السنة تعتبر أخطر الشّخصيات البشرية فى تاريخ الدنيا كلها ، ولو كانت أخباره صحيحة لو وردت فى القرآن الكريم .

– هذا حق ، فليس من المقبول لا عقلاً ولا نقلاً أن لا يرد عنه ذكر فى الكتاب الحكيم وقد قال الله تعالى ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شئ** ﴾ وهذا ما يلزمنا بالرجوع للكتاب الحكيم باحثين مدققين بمنهج إخصائى إستقصائى شامل ، موقنين أنه لا بد أن يتضمن القرآن الكريم أخبار المسيح الدجال ولكن ليس بالضرورة تحت اسم المسيح الدجال ، يؤكد هذا أن أخبار شخصيات كثيرة فى مملكة الشر ومخططات الإفساد مذكورة فى القرآن الكريم ، وهى أقل شراً وخطراً وإفساداً مما أخبرت عنه الأحاديث

المتضمنة لفتنة الدجال .

ألم يرد فى الأحاديث أن فتنته أعظم الفتن قاطبة منذ آدم إلى نهاية الدنيا ؟! بلى . فكيف إذن يرد فى القرآن الكريم ذكر لأخبار من هم دونه من أصحاب الفتن الصغيرة الجزئية ، ولم يرد ذكر له ؟! لعله يكون هو إبليس الذى رفض السجود لآدم وتوعد نبيه بالإضلال .

– لا ، ليس هو إبليس الجنى ، لأن المسيح الدجال آدمى من البشر .

– إذاً فهو الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم باسم الطاغوت .

– ليس صحيحاً لأنه لو كان أحداً أولى بهذا الاسم باعتباره نبع الشر الأول لكان الشيطان أو إبليسى الجنى ، كما أن تفسير المفسرين للطاغوت لا يصدق على كل ما جاء عن الدجال فى السنة وإن تطابق مع البعض .

– فهل هو الجبت إذاً ؟!

– تفسير المفسرين للجبت لا يصدق أيضاً على كل ما جاء عنه فى السنة وإن صدق على البعض .

– لكن إذا سلمنا أن فى الوجود الابتلائى من سيتطاول ويتطلع للتأله سواء أكان إبليساً جنياً أم أنسياً ، طاغوتاً أم دجالاً أم جبتياً ، فهل سيجد من الناس من يؤمن به ؟!

هل سيجد من الناس من يصدق خرافة ندّيته لرب العالمين ؟!

– بل قل هل سينجو من فتنته أحد ؟

– كيف وقد أخذ الله الميثاق على بنى آدم إذ أخذهم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ . فقلنا : بلى شهدنا .

– ومع هذا فسيؤمن به أكثر الناس .

- كم النسبة ؟

- ٩٩٩ من كل ألف ، فلا ينجو من الألف إلا واحد فقط .

- هذه النسبة على مستوى الجيل الذى سيخرج فيه المسيح الدجال ؟

- لا ، بل هذه النسبة على مستوى البشرية منذ عهد آدم إلى قيام الساعة ٩٩٩ فى النار وواحد فى الجنة .

- كيف يضلون بفتنته حتى قبل أن يخرج ويدعى أنه رب العالمين ؟

- لأنه موجود قبل أن يخرج وهو أحد أضلاع مثلث الشر : إبليس الجبت الطاغوت .

- إذاً فمن يكون هذا الآدمى الشقى المذكور فى السنة باسم المسيح الدجال ؟

- هذا ما سنحاول معرفته فى الكتاب والسنة بعون الله وتسديده وهديه .

- ليس قبل الإجابة على سؤال هام وملح .

- ما هو ؟

- ما الحكمة التى من أجلها أذن الله تعالى لبعض خلقه أن يتطاولوا فيعدلون أنفسهم به عز وجل ويزعمون أنهم أنداد وشركاء له أو أرباب من دونه ؟

- الإجابة فى الفصل التالى بإذن الله تعالى .

الفصـــل الثانـــى

الحكمة من خلق الإنسان في الحياة الدنيا

الحكمة الإلهية من خلق السماوات والأرض والإنسان في الحياة الدنيا :

الحكمة صفة ذاتية لله عز وجل ، كالعلم والقدرة والحياة ، ومن أسمائه الحسنى سبحانه الخالق والحكيم والعليم والقدير والمُحْيِي .

قال تعالى﴿ **إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾ (الانسان/ ٣٠) وقال سبحانه ﴿ **تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم** ﴾ « الزمر / ١ » ، ومع أنها جميعاً صفات ذاتية لله عز وجل إلا أن لكل صفة من صفاته علاقة بالمخلوق .

أما تعلق خلقه سبحانه بالمخلوق فمن حيث إيجاده بعد عدم . وأما تعلق علمه سبحانه بالمخلوق فمن حيث كون هذا المخلوق معلوما لله عز وجل ، وأما تعلق قدرته سبحانه بالمخلوق فمن حيث كونه مقدوراً له عز وجل قبل وبعد خلقه ، وتعلق إرادته سبحانه بالمخلوق فمن حيث كونه مراداً له بالكيفية أو بالماهية التى عليها المخلوق وعلى النحو الذى هو به كائن . أما تعلق الحكمة الالهية بالمخلوق فمن حيث حدوث المخلوق بماهيةٍ وكيفيّةٍ وحقيقةٍ وفطرةٍ و طبيعةٍ معينة محددة أى بخلقةٍ محققةٍ للأمر الذى خلقه الله تعالى من أجله ، لأن خلق الله عزوجل للمخلوق ، وكذلك فعله سبحانه فى غيره من خلقه ، لا يكونان عبثاً ولا لهواً ولا لعباً ، لتنزهه سبحانه عن هذا كله ﴿ **قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى** ﴾ (طه / ٥٠) أى هداه لتحقيق الهدف من وجوده ويسره لما خُلِق له .

وكما أنه سبحانه لا يخلق ولا يفعل عبثاً ولا لهواً ولا لعباً ، فإنه لا يخلق ولا يفعل لغاية أو لهدف يريدهما لنفسه سبحانه ، لأنه الغنى عن غيره المنزه عن النقص والمنعوت بالكمالات المطلقة ، ومن ثم فهو لا يخلق مخلوقاً أو يفعل فعلاً لفائدة يريدها لنفسه سبحانه ، فإذا لم يكن قد خَلَقَهُ أو فَعَلَهُ لهدف أو لغاية أو لفائدة ، ولم يكن فِعْلُه أو خَلْقُهُ كذلك عبثاً أو لهواً أو لعباً ، فلماذا يخلق الله تعالى ، ولماذا يفعل سبحانه ؟! الإجابة هى أن الله تعالى يخلق ويفعل لحكمة لأنه حكيم ، لأن العبث واللهو واللعب أحوال نافية للحكمة ، كما أن الحكمة نافية لها جميعاً ، فاتصافه سبحانه بالحكمة

يعنى تنزهه سبحانه عن هذه الثلاثة أو ما يماثلها وتنزهه سبحانه عن هذه الثلاثة إثبات لصفة الحكمة له عز وجل .

وتعلق الحكمة الالهية بالمخلوق يكون من حيث كون هذا المخلوق مخلوقاً لأمر جد ، وليس لأمر هزل أو للعبث أو اللهو ، لذلك كان النبى ﷺ يناجى ربه فى افتتاح الصلاة بقوله (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدُّك ولا إله غيرك) ومعنى قوله ﷺ (تعالى جَدُّكَ) أى علا خطر أمرك وتناهت عظمة حكمتك وتنزه أمر الخلق من الهـزل والعـبث واللهـو : فـأمـر الله عـز وجل جـد وليس أعلى من هذا الجـد فى الوجـود .

ومن أجل هذا الأمر الجد خلق الله تعالى الانسان الذى هو أكرم الخلق وله حكمة عظيمة جليلة بإعتبار أن الانسـان هو أهم مخلوقات الله عز وجل وأعلاها وأجلها وأكرمها عنده .

وترتبط الحكمـة من خلق المخلوق بوجـوده إرتبـاطاً وثيـقـاً ولا تفـارقه فى مـرحلة من مراحل وجوده ، وذلك لأنها ترتبط بالغاية من وجوده والهدف من حياته ومع أن الله عز وجل منزه عن أن يكـون له غـــاية أو هدف من الخلق ، فـــإن هذا لا ينفى ان يكون للمخلوق غاية أو هدف سواء جلب نفع أو دفع ضر أو أذى ، لأن حقيقة المخلوقية تكمن فى الفـقـر والضـعف والتـداعى للفناء ، ومن ثم تكون غـاية المخلوق مـرتبطة بوجـوده من ناحية ، كما أن أهداف المخلوقات مرتبطة ومنبثقة من طبيعتها المؤدية إلى إستمرار وجودها والإنسان خليفة الله تعالى فى الأرض سخر الله تعالى له ما فى الأرض جميعاً ، فهو أكرمها وأفضلها ، خلقه الله تعالى لحكمة وخلق السماوات والأرض لنفس حكمة خلق الانسان ، ومن ثم فالسماوات والأرض والكائنات الأخرى مخلوقة لتحقيق الحكمة من الوجود الانسـانى ، وهذا يدل على أن السـمـاوات والأرض وكل مـا فى الأرض مـخلوق للإنسـان وليس العكس ، قـال تعـالى ﴿ **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليـم** ﴾ « ٢٩ / البقرة »

فـمـا هى الحكمـة من خلق الانسـان التى هى أيضـاً الحكمـة من خلــق السمــاوات والأرض ؟

الحكمة العليا من الخلق هى ابتلاء الانسان قال تعالى ﴿ **وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عمـــلاً** ﴾ « هود / ٧ » فخلق السماوات والأرض وكل ما فيها ، وطبائع جميع المخلوقات السماوية والأرضية أبدعها الله تعالى لتكون صالحة جميعاً لابتلاء الإنسان وبقول أدق لابتلاء الانس والجان باعتبار أن الخطاب القرآنى موجه للإنس والجن ومعاً ، ومن حيث أن رسول الله ﷺ النبى الخاتم والمنزّلة عليه الرسالة الخاتمة مبعوث للإنس والجن جميعاً .

الاضداد والنقائض في الحياة الدنيا مختلطة لتحقيق الابتلاء :

فجعل الله تعالى الموت والحياة والظلمات والنور والفجور والتقوى وكوارث الأرض وزينتها وشفاء الحياة الدنيا ومتاعها والذكر والأنثى والفقر والغنى والمرض والصحة والحرب والسلم والشر والخير والألم واللذة ، وسائر المتناقضات والاضداد فى هذه الحياة الدنيا لتحقيق الابتلاء باعتبار أن الابتلاء هو الحكمة الإلهية من خلق الانسان فى هذه الحياة الدنيا بسمائها وأرضها ، ومن ثم خلق الله تعالى هذه الحياة الدنيا مملوءة بالنّقائض والأضداد ، فليس فيها شئ إلا ويوجد نقيضه ، لأن الابتلاء الذى هو الامتحان يتحقق فى الوجود الإنسانى الدنيوى من خلال صراع المتناقضين ، ولو خلت الحياة الدنيا من المتناقضات لما صلحت للإبتلاء ، وتتبيّن لنا هذه الحقيقة واضحة جلية إذا إستعرضنا أحوال الحياة الآخرة كما وردت فى الكتاب والسنة بعامة عن أحوال الجنة والنار حيث قد ورد عنه قوله ﷺ : (ما فى الآخرة من دار إلا الجنة أو النار) والجنة دار للنعيم بل هى أفضل دار للنعيم المقيم كما أن النار دار للعذاب والشقاء ، بل هى أبدع دار للعذاب الأبدى الدائم ، ومن ثم فليس فى الجنة موت أو شقاء أو ألم أو مرض أو حزن أو حرب أو حتى أدنى مُنَغصّ أو مسبب لأقل ضيق أو حتى أصغر قلق أو نصب فالحياة الأخروية فى الجنة متاع خالص دائم ، ومن ثم ليس فى الجنة من الأضداد شئ لأن كل ما فيها

خير محض وسلام دائم ونعيم خالص وحياة طيبة نقية من الخبث والشر والألم ، حتى أنه لا لغو فيها ولا تأثيم ، واللغو هو الخطأ اللفظى ومن ثم فإنعدامه من الجنة يفيد انعدام الخطأ السلوكى ، ولا يصيب أهلها أدنى نصب أو تعب ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** ﴾ « ٣٤ - ٣٥ / فاطر » واللغوب أهون التعب أما نقائض كل ما فى الجنة وأضداده فيفصله الله عز وجل ويركمه على بعضه فى دار العذاب ﴿ **والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** ﴾ « ٣٦ - ٣٧ / فاطر » فليس فى جهنم ، والعياذ بالله منها ، الا العذاب الاليم ، والألم العظيم والشر المحض الخالى من أقل الخير وأدنى المتاع ، ليس فيها شئ واحد طيب وإن صَغُر ،ذلك أن الله عز وجل جمع فيها كل ما هو شرير خبيث ليعذبهم فيها بهذا العذاب الأليم ، وهذا هو اللازم الحتمى للابتلاء فى الدنيا قال تعالى: ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جمعاً فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون** ﴾« ٣٧ / الانفال» أى أن الحكمة من خلق السماوات والأرض فى الحياة الدنيا ابتلاء الانس والجن ، والحكمة من الابتلاء هى فصل الخبيث عن الطيب وجعل كل ما هو طيب فى الجنة : الطيبون لهم الحياة الطيبة فيها ابداً ، وجعل كل ما هو خبيث فى النار : الخبيثون لهم الحياة الخبيثة الأليمة فيها ، ومن ثم يمكن القول أن النقائض والمتضادات مختلطة ممتزجة متفاعلة ، ومن ثم فهى متصارعة فى الحياة الدنيا لتحقيق الابتلاء من خلال التفاعل والتصارع بين كل شئ وضده ، وكل حال ونقيضه ، وكل فريق وعدوه ، فيتولد من هذا كله الابتلاء الذى هو الحكمة من الحياة الدنيا ، فإذا ما انتهت الحياة الدنيا وصار الناس فى الحياة الآخرة التى هى دار لجزاء الخير بالخير والشر بالشر فإن الله عز وجل يفصل ويفرق بين النقيضين من كل

شيء وبين الضدين من كل حال ، فيجعل عالماً للخير والنعيم لا يسكنه الا الطيبون ، والآخر للشر والعذاب لا يسكنه إلا الخبيثون ، فيصير الطيبون الذين ثبت صلاحهم بعد الابتلاء والتمحيص الى دار السلام والسعادة الابدية ، ويصير الخبيثون الذين اثبت الابتلاء والامتحان فسادهم إلى دار العذاب والشقاء الأبدى ، فالحكمة من الحياة الآخرة هى الجزاء ، والآخرة افضل دار ممكنة للجزاء للمحسنين الحسنى وزيادة ، وللمسيئين شقاءاً وخسراناً دائماً أبداً .

فالابتلاء بمعنى الإختبار والامتحان والتمحيص يستتبع ويستلزم بالضرورة أن تكون الحياة الدنيا الابتلائية محدودة الأجل إذ يعقبها الجزاء بالضرورة ، بعكس الحياة الآخرة الجزائية التى يمكن أن تكون أبدية دائمة بمشيئة الله تعالى، أى لا يلزم من كونها جزائية أن تكون محدودة الأجل مثل لزوم المحدودية للحياة الابتلائية ، وكل هذا مقدر لله تعالى قبل خلق السماوات والأرض .

- الإختيار البشري الصحيح أهم مقومات الإبتلاء :

ولتحقيق الابتلاء فى الحياة الدنيا خلق الله تعالى الانسان مختاراً بين الشر والخير **﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾** ومن ثم زوده بالارادة المختارة التى تميل بالذات الانسانية نحو الفجور أو نحو التقوى إذ ليس من مرجح لميل الانسان للتقوى أو إقدامه على أفعال الفجور إلا إرادته المختارة والتى بدونها لا يتحقق الإبتلاء قال تعالى : **﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ، كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾** « ١٨ - ٢٠ / الاسراء » وقال تعالى **﴿ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيرا ﴾** « ١٣٤ / النساء » وقال تعالى : **﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾** « ٢٠ / الشورى » وقال تعالى **﴿ بل يريد الانسان ليفجر أمامه ﴾**

« ٥ / القيامة » وكل هذه الآيات تثبت أن للانسان إرادة يختار بها بين الدنيا والآخرة وبين الفجور والتقوى ، وقد سوّى الله عزوجل النفس الانسانية بحيث يتساوى فيها الفجور مع التقوى ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ « ٧ - ٨ / الشمس » أى أن نوازع الشر والهوى ودوافع الشهوات من ناحية متوازنة تماماً مع نوازع الخير وقوى الفطرة الضابطة للشهوات والقامعة للهوى من ناحية أخرى ، وفى كل موقف إبتلائى يجد الإنسان نفسه بين فعلين أو سلوكين أحدهما طاعة والآخر معصية ، والطاعة هى ما كان من العمل والفعل موافقاً للشرع الذى يكلف الله به الانسان ، والمعصية هى ما كان من الأعمال والأفعال إستجابة للهوى والفجور وإشباعاً للشهوات بالسبل التى نهى عنها الله عز وجل .

أما الأفعال التى أمر الله تعالى بها والملبية لنوازع التقوى فتُكوِّن سبيلاً واحداً فى الحياة أى نجداً واحداً هو نجد الخير ، ويُكوِّن مجموع الأفعال التى نهى عنها الشرع المنزل من عند الله نجد الشر ، وقد بيَّن الله عز وجل للإنسان النجدين ، يثبت هذا قوله تعالى ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ « ١٠ / البلد » فبسطهما أمام الانسان ، إذ لا يصح الإختيار إلا إذا كان كل نجد منهما معلوماً وواضحاً وميسراً أمامه .

وهما أيضاً بالنسبة لطبيعته الإبتلائية متساويان فلا يحب الإنسان أحدهما أكثر من الآخر قال رسول الله ﷺ وسلم فى تفسير هذه الآية (يا أيها الناس إنهما النجدان : نجد الخير ونجد الشر فما جُعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير) (١)

وأيضاً جعل الله عز وجل الشيطان داعياً للشر وموسوساً ومزيناً للمعصية لحظة إختيار الانسان بين الشر والخير ، وجعل له أيضاً داعياً ومزيّناً للطاعة وحاضّاً على الخير من الملائكة بنفس قوة تأثير الشيطان داعى الشر ، وهذا واضح من قوله ﷺ (لمة من الملك ولمة من الشيطان فأما لمة الملك فإيعاز بالخير وتصديق بالحق وأما لمة الشيطان فايعاز بالشر)

---

(١) رواه ابن جرير عن الحسن مرسلاً .

تمكين الله عز وجل العبد المبتلي من الفعل الذي يختاره وتيسيره له تحقيقاً للابتلاء :

بهذه المقومات التى وهبها الله للانسان يقوم الإختيار صحيحاً حقيقياً إذ تكون الارادة الانسانية محايدة تماماً لحظة الاختيار لكونها بين قوتين دافعتين نفسيّتين متوازنتين ومتساويتين تماماً أى أنهما متعادلان فى الفجور والتقوى وأمامها موضوعين للاختيار واضحين متوازيين أيضا هما نجد الشر ونجد الخير ، كما أن لمّة الملك متساوية ومتعادلة مع لمة الشيطان أيضاً ، بالتالى لا يكون ثمّ مرجح لحظة الاختيار لميل النفس وإختيارها هذا النجد أو ذاك إلا الإرادة المحايدة والتى هى خاصية ذاتية للكائن المبتلى ، وعلى هذا فالميل إلى أحد النجدين هو ميل الذات الانسانية إليه بالاختيار الحر .

فإذا ما ظهر عزم وتصميم إرادة الانسان على فعل الطاعة يسره الله تعالى له ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** ﴾ « ٥ - ٧ / الليل »

وإذا عزم الكائن المبتلى على فعل المعصية وأصر عليه يسره الله تعالى له ﴿ **وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾ « ٨ - ١٠ / الليل » أى أن الله عز وجل ييسر للعبد المبتلى الفعل الذى يختاره بإراداته وتميل إليه نفسه إن طاعة وإن معصية ، وسواء أكان خيراً أم شراً وهذا يؤكد صحة الاختيار اللازم لتحقيق الابتلاء .

الإختلاف والتفرق أثران لازمان حتميآن لصحة الاختيار المحقق للابتلاء :

إذا إكتملت مقومات الاختيار وقام صحيحاً على مقوماته كاملة وتحقق الابتلاء ، فإن النتيجة الحتمية اللازمة لذلك هى إلتزام البعض نجد الخير وإختلاف البعض معهم وسلوكهم نجد الشر ، ومن ثم يَسْتَتْبِع هذا الاختلاف بين أفراد الكائن المبتلى المختار التفرق إلى فرق وأحزاب ، ولما كان الابتلاء هو الحكمة الإلهية من خلق الانسان والجان فى الحياة الدنيا ، لزم من هذا أن يظل الانس والجن أحزاباً وفرقاً مختلفين طيلة هذه الحياة الدنيا قال تعالى ﴿ **وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت**

من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ﴾ « ١٩ / يونس » أى أن الناس قبل إبتلائهم كانوا أمة واحدة على الفطرة التى يولدون بها ، فإذا بلغوا سن التكليف وعبروا إلى عالم الابتلاء وصح منهم الاختيار ، إختلفوا بالضرورة بين مطيع وعاص أو بين مؤمن وكافر ، وكذلك كان الناس أمة واحدة فى البدء بعد نزول آدم وزوجه وبعد إنجابهما حتى كبرت الذرية وابتلاهم الله فكفر قابيل لما قتل أخاه هابيل وعاش مع أخته المحرمة عليه زانيان وأنجبا وأصبحا قبيلاً شيطانياً وفريقاً كافراً مطيعاً لإبليس وعدوا لآدم وابنائه الطيبين ، وافترقت البشرية يومئذ إلى حزبين : حزب الله عز وجل وحزب الشيطان .

أما الدليل على أن الناس سيظلون مختلفين ما دامت الحياة الدنيا فهو قوله تعالى : **﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾** « ١١٨ - ١١٩ / هود »

فانظر إلى قوله تعالى **﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾** أى لو شاء لجعلهم غير مختلفين ، اذن فماذا شاء الله عز وجل ؟ لا نقول أنه شاء أن يختلفوا ، وإن كان الاختلاف واقع وكائن بينهم بمشيئته ، ولكن نقول لقد شاء الله عز وجل أن يخلقهم للإبتلاء ، ومن ثم زودهم بمقومات الاختيار الحر حتى يصح الابتلاء ، ومن شأن هذا الكائن المختار أن يختلف بالضرورة ، لانه لا يكون على مسلك واحد إلا الكائن المصيَّر ، أما المخير فلا بد أن يختلف وبارادته الحرة ، وحيث أن الحياة الدنيا كلها ابتلاء للانس والجن ، فمن اللازم الضرورى الحتمى عن هذه الحقيقة ان يختلفوا ويظلوا مختلفين الى نهاية الحياة الدنيا أو الى نهاية الابتلاء ، ومن ثم قال **﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾** أى سيظل إلى نهاية الحياة فى الانس والجن الذين يختلفون عن الصراط المستقيم ويفترقون عن الملتزمين للهدى والصراط المستقيم ، وهؤلاء الذين رحمهم الله تعالى فلم يخرجوا ولم ينحرفوا عنه ثم قال تعالى **﴿ ولذلك خلقهم ﴾** أى خلقهم للابتلاء الذى من نتيجته

الحتمية الرئيسية الإختلاف الذى من أجله خلق الله الإنس والجن ، إذ بهذا الإختلاف يميز الله الخبيث من الطيب ، فيأخذ الخبيث فيجعله فى جهنم ، وتتم مشيئة الله تعالى بأن يملأ جهنم بالخبيثين من الجنّة والناس أجمعين قال تعالى ﴿ **قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** ﴾ « ١٠٠ / المائدة » ومن ثم لابد من أن يميز الله تعالى بينهما قال تعالى ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب** ﴾ « ١٧٩ / آل عمران » وذلك بالابتلاء المُمَحّص لما فى القلوب فيظهر الخبث الذى يبطنه المنافقون الذين يعيشون بين المؤمنين . وبعد فصل الخبيث عن الطيب بالابتلاء طيلة الحياة الدنيا يركم الله الخبيثين بعضهم على بعض فى جهنم يوم الدين قال تعالى ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون** ﴾ « ٣٧ / الانفال » الخاسرون لأنفسهم فى الإبتلاء أى الامتحان ومن ثم فإن اختلاف الانس والجن وإفتراقهم فريقين : طيب وخبيث نتيجة للابتلاء ليس فى الدنيا فقط ، بل إفتراق أبدى يبدأ هنا فى الدنيا ، وتظل الفرقة والتباعد بينهما مستمرة فى الآخرة فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

النتيجة الحتمية للإختلاف والافتراق هي الصراع بين الطيب والخبيث : -

معنى الإختلاف فى الآيات السابقة الوارد فيها الاختلاف هو الاختلاف عن الصراط السوّى المستقيم ، لأن الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وهى الحنيفية الرافضة لأديان الشرك والكفر والإلحاد هى معيار الحقيقة الصحيح الدقيق ، لأن الذين يرفضون الإحتكام إلى طبيعتهم الأولى التى وُلِدوا بها والتى انحرفوا عنها هم المخالفون ، وهم المفارقون لحقيقة الانسانية ، أى المفارقون لحقيقتهم المنخلعون عن آدميتهم ، ومن ثم قال تعالى : ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك** ﴾ أى أن المختلفين هم مختلفون ومفارقون للصراط المستقيم الذى معياره فطرتهم التى ولدوا بها أى طبيعتهم الأولى ، فالذين

خالفوها وخَرَجُوا عليها هم المفارقون لآدميتهم وإنسانيّتهم فهم الضالون والذين حافظوا على فطرتهم الموحدة هم أهل الحق الموحدون ، ومن ثم فهؤلاء حزب الله عز وجل المؤمنون ومن خالفهم هم أهل الباطل المشركون الكافرون ، وأولئك هم حزب الشيطان باعتبار إبليس هو أول المخالفين للصراط وللتوحيد من الجنّة والناس ، ثم تبعه قابيل الذى صار خليفة ابليس فى الانس وصوته الناطق بالشر والكفر والضلال ويده المنفذة للإفساد فى عالم الانس فالتجربة الابتلائية الأولى فى الحياة الدنيا كانت لإبليس إذ أمره الله تعالى وأمر الملائكة بالسجود لآدم مكرماً له عليه وعلى الملائكة فحقد وأبى أن يسجد مع الساجدين ، ثم كانت التجربة الابتلائية الثانية لآدم ، إذ حرم الله عليه الأكل من شجرة واحدة من أشجار الجنة وأباح له الأكل رغداً من سائر الاشجار فإذا به يعصى ربه عز وجل هو وزوجه ، ولكن سرعان ما تاب آدم وزوجه ونَدِماَ وغفر الله تعالى لهما .

وهكذا يكون شأن كل البشر فى الابتلاء ما من أحد إلا ويخطئ ويعصى ربه عزّ وجل ، كما أخبر رسول الله ﷺ بهذا فقال (كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوّابون) وإنما يتفاضل المؤمنون يوم القيامة بقلة المعاصى وبسرعة الرجوع والتوبة إلى الله عز وجل ، فالخطأ والمعصية نتيجة لازمة عن الابتلاء وصحة الاختيار ، والله عز وجل برحمته وكرمه يغفر للناس كل ما هو دون الشرك من الذنوب والمعاصى ولا يغفر الشرك للمشرك ، لأن الشرك هو الذى يُخرج المشرك بالكلية عن الصراط المستقيم فينتقل من كونه عبداً لله وحده بمقتضى الفطرة والجبلة ليصبح عبداً للطاغوت ، أى للشيطان ، جناً كان أم إنساً . أى أنه ينتقل إلى حزب الشيطان ويقف معه فى خندق واحد فى مواجهة المؤمنين عدواً لله عز وجل وعدواً لأنبيائه وحزبه الموحدين .

فالخروج عن التوحيد والصراط المستقيم تَحَوّلٌ من خندق إلى الخندق المقابل فى الصراع .

وذلك لأن الله تعالى قَدّر بأن يتصارع الفريقان والحزبان باعتبار هذا الصراع نتيجة حتمية للاختلاف الجذرى الأصولى بين الفريقين وقد شاء الله تعالى هذا الصراع

تحقيقاً للإبتلاء ﴿ ... ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ (محمد / ٤)

إن الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان قد بدأ منذ معصية ابليس الاولى وهو يستمر إلى يوم القيامة وعلى وجه التحديد إلى جيل الاشرار الذى تقوم عليه الساعة .

وهذا الصراع يبدأ بالكلمة لبيان الحق والتوحيد من الباطل والشرك ، ويأخذ مراحل متعددة ليصل إلى النزال الدموى المسلح الذى تكون نتيجته سفك الدماء ، وقد يصل إلى الحد الذى يتطاول فيه أهل الباطل حزب الشيطان ، بعد أن يحققوا انتصارات على المؤمنين ، إلى التفكير والتخطيط لاستئصال الموحدين أى حزب الله تعالى من الأرض لتخلو لهم ولفسادهم وليتحقق حلم الطاغوت الأبليسى الدجالى القديم (نسبة إلى المسيح الدجال) باعلان ألوهيته وربوبيته على البشر .

هذا هو الحال الذى صار اليوم فيه المؤمنون قلة مستضعفة حتى أغرى ضعفهم وقلتهم حزب الشيطان بالتفكير والتخطيط لاستئصالهم والقضاء عليهم لينفرد حزب الشيطان بالأرض قد حدث من قبل فى حضارات ومجتمعات تاريخية سابقة ، وهو حادث الآن فى الأرض كما سنرى ولله فى مثل هذا الحال التاريخى من أحوال الصراع سنة لمعاملة المتصارعين سيأتى بيانها بعد بإذن الله تعالى .

وإذا كان حزب الله يخسر بعض الجولات فى الصراع فهل يجوز عليه الهزيمة النهائية الكاملة الماحقة ؟!

الفصل الثالث

الصراع بين الخير والشر
هو المحور الذى يدور حوله
التاريخ البشرى

الصـراع بين حـزب اللـه عـز وجل أهـل الخـيـر وحـزب الشـيـطان أهل الشـر هو المحرك الرئيسي لأحداث التاريخ البشري :

قـال تعـالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا تُرجعون ﴾ « الأنبـيـاء / ٣٥ » فالصراع بين أهل الشر وأهل الخير هو المحور الذى تدور حوله أحداث التاريخ وهو المحرك لهذه الأحداث أيضاً .

فليس المحرك الرئيسى هو المال ووسائل الانتاج وأدواته كما قال ماركس واليهود وأشياعهم وليس هو القومية ولا الاختلاف الثقافى هما المحرك الرئيسى . كما قال آخرون ، وليست العوامل السياسية الداخلية للمجتمع أو الخارجية أيضاً هى المنشئ الرئيسى للحدث التاريخى وليست العصبية العرقية أو القبلية هى العامل الرئيسى لقيام الدول وسقوطها وسيطرة الحضارات وضعفها كما زعم ابن خلدون ، وليست الشخصيات القيادية أى الزعماء أو من أطلق عليهم جوستاف لوبون « الأبطال » هم المحرك الرئيسى لأحداث التاريخ ، مثل قيام الدول وسقوطها ونشوء الحضارات وخمودها إلا أن يكون هؤلاء الاشخاص هم الرسل والانبياء ، ومن ثم لا يكون المحرك الرئيسى للتاريخ شيئاً سوى الدين ، وهو ما ذكرناه فى هذا العنوان الذى قصدنا منه أن الصراع التاريخى الانسانى صراع دينى فى المقام الأول ، لأنه صراع بين حزب الله وبين حزب الشيطان أى أنه صراع بين أهل الايمان والخير والحق الطيبين وبين أهل الكفر والشر والباطل الخبيثين ، أى بين الموحدين والمشركين .

فالعقيدة هى محور الصراع وذلك منذ أن أشرك المشركون وخَرجُوا عن الصراط المستقيم ، وخالفوا فطرتهم التى فطرهم الله تعالى عليها وصاروا فى صفوف حزب الشيطان ، ومن ثم وقفوا فى خندق العداء لله عز وجل معه وتحت لوائه فى مواجهة المؤمنين حزب الله . أما العوامل الأخرى المحركة لأحداث التاريخ فهى عوامل ثانوية أولية وإضافية وليست رئيسية ، ومساعدة وليست محركة من الأصل شأنها شأن هبوب الريح على النار المشتعلة فتزيدها إشتعالاً ، ولكن إذا هبت الريح على مكان غير مشتعل أصلاً

فلن يشتعل مهما كانت قوتها ، وتعليل هذا أن الذين يخرجون عن الصراط المستقيم ويخالفون فطرتهم بالكفر والشرك وإتباع حزب الشيطان يصبحوا من أهل الدنيا والمتاع إذ يسلكوا سبلاً متعددة على جانبى الصراط وهو شأن المختلفين الذين تولوا عن دين الله تعالى المنزل من عنده وقد حذّرنا الله تعالى من الخُروج على الصراط وسلوك السبل فقال تعالى ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ « ١٥٣ /. الانعام »

وقد بيّن رسول الله ﷺ تفسير هذه الآية فيما رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال خطّ رسُولُ الله ﷺ خطاً بيده ، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً » وخط عن يمينه وشماله ثم قال « هذه السبل ليس منها سبيل إلاّ عليه شيطان يدعو إليه » ثم قرأ : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾[1]

فالسبل المخالفة للهدى الالهى خارجة عن يمين الصراط المستقيم وعن شماله ، وعلى كل منها شيطان يدعو الناس أن يخرجوا عن الصراط المستقيم ، ليدخل فى سبيله المنحرف وعلى هذا فأصحاب الصراط السوّى المهتدون حزب واحد هو حزب الله وأمة واحدة يجمعهم مقصد واحد وطريق واحد ويخالفهم الذين يستجيبون للشياطين الداعية للإنحراف إلى السبل المتعددة وهؤلاء المخالفون يجمعهم جميعاً الضلال ، ومن ثم فهم جميعاً حزب واحد ، هو حزب الشيطان : إبليس وجنوده وهم الشياطين الصغيرة الذين يقفون على رأس السبل المنحرفة وأتباعهم من الإنس والجن هم الحزب المعادى لحزب الله أصحاب الصراط السّوىّ المهتدين ، لكن أصحاب حزب الشيطان المتحدين فى مواجهة حزب الله يسلكون ، مع إتحادهم هذا سُبُلاً متعددة مختلفة ، ولأنهم جميعاً ، لمّا استجابوا للشياطين ، صاروا مثلهم مؤثرين للحياة الدنيا على الآخرة ، فإن هذه السبل التى سلكوها تجعل منهم فرقاً متناحرة فيما بينهم متعادية أيضاً لتنافسهم على الدنيا ،

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح ولم يخرجاه . عن تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٩٠

ومن ثم يقوم بينهم صراع على الدنيا وأعراضها المتمثلة فى الجوانب الاقتصادية والسياسية والعصبيات القومية والقبلية وغيرها .

وعلى هذا فالمحرك الاساسى الأول للصراع البشرى المولد للأحداث التاريخية هو إختلاف العقائد والأديان أى أن الصراع الرئيسى الحقيقى هو بين المؤمنين الموحدين وبين الكفار المشركين ، وهذا الحزب الأخير ، وإن كانت فِرَقُه تختلف فيما بينها إلى حد الصراع والحروب الدموية على المصالح الدنيوية ، إلا أنه يتحد عندما تكون المواجهة ضد المسلمين أى حزب الله عز وجل .

لذلك نقول أن العوامل الاقتصادية والسياسية والقومية والثقافية والتاريخية وغيرها كلها عوامل ثانوية فى الصراع والعامل الرئيسى هو الدين ومن ثم فحركة التاريخ صراع بين أهل الحق الذين هم أمة واحدة هى أمة الإسلام وأهل الباطل متعددى الفرق والأمم ومعنى هذا أن التاريخ البشرى هو تاريخ الانبياء والرسالات السماوية .

السنن الإلهية الحاكمة للصراع بين حزب الله تعالي وحزب الشيطان التي يسير بحسبها التاريخ البشري :

وليس موضوع هذا البحث إحصاء هذه السنن لأن هذا يستغرق موسوعة ذات مجلدات عديدة ، ولأن هذا الكتاب كله استعراض لبعضها بصفة عامة ، مع تطبيق على الصراع الاسلامى اليهودى بصفة خاصة ، وإنما نود هنا أن نقرر أن التاريخ البشرى يسير حسب قوانين وسنن ونواميس مرادة لله عز وجل ومقدرة له سلفاً قبل خلق السماوات والأرض ، فقيام الدول والحضارات وإنهيارها يتم بسنن إلهية .

وسنة التاريخ العامة أن الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان يتم بحسب قانون العلية أو السببية ، بمعنى أن الذى يأخذ أسباب النَّصر من الفريقين أكثر من الآخر ينتصر وأن الذى يهمل فيها ينهزم أمام الفريق الآخر ، لأن الله تعالى شاء أن يكون الصراع بين الحزبين إبتداء بالكلمة وإنتهاء بالسيف ، تحقيقاً للابتلاء ، ومن ثم حضٌ الشرع

المؤمنين على قتال الكافرين ، فيقتلون منهم ويُقْتَلُون ليصيروا شهداء ، ومعنى هذا أن الله عز وجل لا يتدخل بقدرته للقضاء على الكافرين بخوارق السنن والعادات وبما يخالف قانون السببية ، وهو سبحانه قادر على هذا ، وإذا شاء فعل ، ولكنه أخبر أنه سبحانه لا يفعل هذا تحقيقاً للحكمة من خلق الإنسان في الحياة الدنيا وهى الإبتلاء فقال ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمّا منّاً بعدُ وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلُو بعضكم ببعض والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم** ﴾ « ٤ / محمد » أى أنه شاء أن يكون إنتصار المؤمنين على الكافرين بجهاد المؤمنين وبأخذهم بأسباب النّصْر المادية من عدة وعتاد وتدريب وتخطيط وغير ذلك من فنون الحرب ما دام هذا ميسوراً لهم ، فإن قصروا فقد تصيبهم الهزيمة مثل ما حدث فى أحد ، وكاد أن يحدث فى حنين ، وحدث مع المسلمين بعد ذلك فى الحروب الصليبية وأقربها هزيمة ١٩٤٨ . ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ أمام اليهود ، وقد شاء الله تعالى هذه السنة العامة فى النصر والهزيمة لحزبه تحقيقاً للابتلاء ﴿ **ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض** ﴾ أى أنه عز وجل يبتلى الحزبين بعضهم ببعض من خلال الصراع بأشكاله المختلفة وعلى رأسها الصراع الحربى المسلح .

تلك هى سنة النّصر والهزيمة العامة ، أى فى الأحوال المعتادة ، فما دامت الحرب سجال فالسنة العامة هى الحاكمة .

ولكن تحدث أحوال يتدخل الله عز وجل فيها بقدرته لنصر حزبه على حزب الشيطان بخلاف هذه السنة العامة أى بخوارق لقانون السببية ، ولكى نعرف هذه الأحوال أو أهم هذه الأحوال ، نُذَكِّر بأن الله عز وجل لا يسمح ولا يأذن بأن تتوقف حقيقة الإبتلاء باعتبارها الحكمة التى من أجلها خلق الله الانسان وكل شئ فى الارض ، أى أنه عز وجل شاء من سنن التاريخ ما يضمن استمرار صلاحية الارض وصلاحية الحياة للإبتلاء ، ومن ثم يضبط الله تعالى بهذه السنن سير التاريخ ، ويدفع الناس بعضهم ببعض كلما

بدا تداعي الحياة الانسانية نحو الفساد المانع عن تحقيق الابتلاء وأخطر مانع إنما يكون بالقضاء على مقومات الاختيار الصحيح .

وحيث قد علمنا أن أهم عامل لتحقيق الابتلاء ، هو صيانة الإختيار البشرى وبقاء مقوماته الأربعة ، تلك المقومات التى يتحقق بها للإرادة الاستواء اللازم لصحة الإختيار والتعادلية الضرورية لتحقق الاختيار الصحيح .. فان ضياع هذه التعادلية وانعدام حالة الاستواء يعنى فقد الاختيار الصحيح وبطلان الابتلاء ، فإذا بدأت أحوال الأرض تفسد بحيث توشك أن تنعدم حالة الاستواء ، وتنهدم التعادلية اللازمة للاختيار والإبتلاء ، فان الله عز وجل يتدخل بقدرته سبحانه لاعادة الاحوال والظروف المواتية والمناسبة لقيام حالة الاستواء وتحقق التعادلية فيتم ذلك ويحققه سبحانه سواء بامور موافقة لقانون السببية أو مخالفة لها .

فما معنى إنعدام الاستواء اللازم لصحة الاختيار وسقوط ميزان التعادلية الضرورى لصحة الابتلاء ؟

إذا تذكرنا أنه لا يصح الإبتلاء إلا بوجود النفس الانسانية أو بتعبير أدق الارادة الإنسانية بين قوتين متعادلتين للفجور والتقوى ، ونجدين متساوين للشر والخير وهاتفين متكافئين للكفر والايمان أو المعصية والطاعة ، فإذا صارت نتيجة الصراع مؤذنة بضعف حزب الله واستئصال عناصره وهدم مساجده وإخفاء عقيدة الحق ونور الهدى الربانى من الأرض ، فإن الرشد لن يتبين للناس بعد ذلك من الغى ، وستخرج أجيال من الناس لا يصح لها إختيار ولا يتحقق الابتلاء الصحيح لها ، حينئذ يوقف الله عز وجل عدوان حزب الشيطان على المؤمنين ويبطل مخططهم الاستئصالى للمسلمين وهدم مساجدهم وطمس الهدى الربانى المنزل عليهم ، إذ من المعلوم بشواهد التاريخ الكثيرة المتكررة: أنه لو استطاع الطاغوت وأعداء الله أن يزيلوا من الأرض كل ما يعبد فيه الله عز وجل حتى ولو كانت عبادة على سبيل الشرك مثل المعابد والصوامع والبيع والكنائس لتصبح البشرية ملحدة منكرة بالكلية للألوهية لفعل ، أى أنه لو استطاع أن يزيل من الأرض ذكر اسم

الله عز وجل لفعل ، وهذا هو مقصد الطاغوت ومبتغاه وغايته العليا فى إدارة حزب الشيطان خلال أحداث الصراع ، بيد أن الله عز وجل لكى يبقى على الأرض صالحة للابتلاء وعلى الحياة صالحة للإختيار ، فإنه سبحانه ، بحكمته وقدرته وعلمه ومشيئته ، يمنع حدوث هذا حفاظاً على استمرار الاختيار والابتلاء لكى تستمر الحياة وأحد نماذج تطبيق هذه السنة فى القرآن الكريم إنتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة وهو أمر خارق لقانون السببية أو مخالف له ، ذلك أن الفئة القليلة، إذا كانت هى الفئة الوحيدة الموحدة المؤمنة المجاهدة فى سبيل الله عز وجل ، فان هزيمتها قد تؤدى إلى إستئصال الكافرين لهذه الفئة القليلة ، ومن ثم تفسد الارض فلا تعدُّ صالحة للإختيار إذا إنعدمت هذه الفئة إذ يختفى نَجدْ الخير ، ويسقط ميزان التعادلية اللازم للابتلاء ، وهو ما لا يأذن الله به ولا يسمح بسقوطه ما دام للبشرية أجل .

ومن ثم ينصر الله عز وجل هذه القلة المؤمنة قليلة العتاد والسلاح ، ومثل تطبيق هذه السنة فى القرآن طالوت وجنوده ومنهم داود عليه السلام قال تعالى : ﴿ **فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مُبتَليكُمْ بنَهَرْ فمن شَرِبَ منهُ فليس منى ومن لم يطعمْهُ فإنه منى إلا من اغترف غُرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يَظُنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** ﴾ « ٢٤٩ / البقرة »

وفضل الله على العالمين فى هذه الآية أنه يحمى الأرض من الفساد المانع من صحة الاختيار ، وهذا لا يكون إلا إذا أطبق الكفر والشرك على البشر جميعاً حتى يختفى نَجدْ الخير تماماً . ومن ثم ينصر بإذنه الفئة المؤمنة القليلة التى إذا انهزمت استأصلها الكافرون

وعم الظلام كل البشر ، وذلك بسنة الدفع منعاً لفساد الأرض . وذلك لأن بنى إسرائيل يومئذ كانوا أهل التوحيد دون غيرهم من الشعوب التى حولهم ، وهزيمتهم من هذه الشعوب الوثنية سيؤدى حينئذ إلى القضاء عليهم ، أما إنتصارهم فقد أدى إلى دخول الأرض المقدسة ، ومن ثم قيام الخلافة الإسلامية ، بقيادة داود ثم سليمان ونشرت مملكة داود وسليمان عليهما السلام الاسلام فى كل الأرض حولها ونشرت التوحيد فى جميع الشعوب حولهم حتى فى شعب اليمن .

ومجمل هذه السنة أن الله تعالى يدافع عن الذين آمنوا إذا كانوا قلة مستضعفة مستهدفة للاستئصال من حزب الشيطان قال تعالى ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوَّان كفور ، أُذنَ للذينَ يُقاتَلُونَ بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لَهُدِّمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكّنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوْا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوْا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ، وإن يُكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكُذّب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأيّن من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلَىَّ المصير** ﴾ « ٣٨ - ٤٨ / الحج »

هذه الآيات الكريمة تتضمن عدة سنن تاريخية تحكم الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان ، ذلك أن المؤمنين الأوائل اسابقين بسبب قلتهم وضعفهم يواجهون من التعذيب والتنكيل والقتل ما يهدد وجودهم وإستمرارهم ويوقف تزايدهم ومن ثم ولأن

فناءهم قد يؤدى إلى توقف الابتلاء وسقوط ميزان الاستواء والتعادلية اللازم للإختيار فإن الله عز وجل يدافع عنهم ، حتى يشتد عودهم ويصبحوا متكافئين مع عدوهم وعدو الله عز وجل عدداً وعتاداً . ومعنى أن الله يُدافع عن الذين آمنوا أى أنه يتولى حمايتهم من الهزيمة الماحقة المستأصلة سواء حسب قانون السببية أو بخوارق العادات إذا إنعدمت الأسباب ، وبخاصة إذا كان عدوهم الكافر غادراً خائناً لا يرعى العهود ولا يحترم العقـود .

وتطبيق هذه السنة فى موقعة طالوت مذكور فى قوله تعالى ﴿ فهزموهم بإذن الله ﴾ إذ أن كل ما يقع فى الكون يقع بإذن الله تعالى وقدره ومشيئته ، ومن ثم فتقرير وقوع هزيمة المشركين بإذن الله يُفيد انه إذن بمخالفة سنة السببية العامة وبحسب سنة الله تعالى فى دفاعه عن الذين آمنوا وحمايتهم من الإبادة ولو إجتمع عليهم ، وهم قليل ، كل أهل الأرض ، ومن ثم أذن لهم بالدفاع عن أنفسهم بالقتال بعد أن ظلمهم أعداء الله عز وجل لا لشئ إلاّ لأنهم موحدون فأخرجوهم من ديارهم واعتقلوهم وسجنوهم وعذبوا أجسادهم من غير ذنب إلا قولهم ربنا الله ، والله عز وجل يحميهم ويدافع عنهم بسنة الدفع التى لولاها ﴿ لَهُدِّمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً .. ﴾ قال ابن كثير « أى لولا أنه يدفع بقوم عن قوم ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب لفسدت الأرض ولأهلك القوى الضعيف ﴿ لهـدمت صـوامع ﴾ وهى المعابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم . وقال قتادة هى معابد للصابئين وفى رواية عنه صوامع المجوس ، وقال مقاتل بن حبان هى البيوت التى على الطرق . ﴿ وبِيَعٌ ﴾ وهى أوسع منها واكثر عابدين فيها ، وهى عند مجاهد وغيره كنائس اليهود ، وحكى السدى عَمَّنْ حدثه عن إبن عباس أنها كنائس اليهود ومجاهد قال هى الكنائس والله أعلم . وقوله : ﴿ وصلوات ﴾ قال العوفى عن ابن عباس الصلوات الكنائس ، وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة أنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات ، وحكى السدّى عَمَّنْ حَدَّثَهُ عن ابن عباس أنها

كنائس النصارى . وقال أبو العالية وغيره : الصلوات معابد الصابئين . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : الصلوات مساجد لأهل الكتاب ، ولأهل الاسلام بالطرق ، وأما المساجد فهى للمسلمين وقوله ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ فقد قيل الضمير فى قوله ﴿ يُذكر فيها ﴾ عائد إلى المساجد لأنها أقرب المذكورات وقال الضحاك : الجميع يذكر فيها اسم الله كثيراً .... وقال بعض العلماء هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهى أكثر عماراً وأكثر عباداً وهم ذوو القصد الصحيح [1]

وهذا هو الذى أرجحه بدليل قوله ﴿ يُذكر فيها اسم الله ﴾ وإسم الله يذكر فى هذه الأماكن المخصصة للعبادة عند كل الامم أما مساجد المسلمين فيذكر فيها الله كثيرا ويذكر فيها أيضاً إسم الله أكثر ، فما من أمة مهما كانت عقيدتها شركية ضالة ، إلاّ وهى تقر بخالق الكون ولله فى لغتها إسم بل وأسماء ، فالخلاف بينهم ليس فى وجود الخالق سبحانه بل فى صفاته وأسمائه ، والشاهد الذى هو مطلبنا فى هذا النص هو أن الله عز وجل يحمى ويدافع عن كل بيوت العبادة فى الأرض ، سواء بالنسبة للموحدين أو للمشركين بل وللضالين ضلالاً بعيداً ، وهم المجوس وغيرهم .

وحمايته لهذه الدور معناه مشيئته سبحانه فى إبقائه سبحانه على كل ما يختاره الناس من عقائد تعادى عقيدة التوحيد بطبيعة الحال ، ومن ثم يظل الاختيار صحيحاً .

أما حزب الشيطان ، فإن غاية خططه القضاء على كل دور العبادة عند كل الأمم حتى لا يذكر إسم الله تعالى فى الأرض ، وحتى لا يقال فى الارض الله أملاً فى أن تعبده البشرية صراحة من دون الله . وقَدْ تعَدَّدت محاولات الطاغوت خلال التاريخ البشرى منذ عهد نوح عليه الصلاة والسلام إلى اليوم ، لكى يُقضى على دور العبادة عند كل الشعوب ، وحيث أن نجاح الطاغوت ، لا قدر الله تعالى ، فى تحقيق هذه الغاية الاستراتيجية العليا بالنسبة له تعنى قرب فناء البشرية وقيام الساعة ، كما سنرى ،

---

(١) تفسير ابن كثير / جـ ٣ ص ٢٢٦

فإن الله عز وجل يمنع وصولهم إلى هذه الغاية ، وهذا من فضله على العالمين ، بل كلما تقدموا من هذه الغاية خطوة أبعدهم عنها بسنة دفع الناس بعضهم بعض خطوات وتاريخ البشرية الحديث يتضمّن نجاح الطاغوت جزئياً في جزء كبير من الأرض ، ومن ثم إقترابه من هذه الغاية ، وذلك لما نادى ماركس بالمادية الجدلية الالحادية المنكرة تماماً للخالق ، ورغم تهافت مذهبه وسفاهته الفكرية إلاّ أنّ المال الصهيونى والدعاية والاعلام الصهيونى والسلطان الماسونى السياسى رسخ هذه التفاهات الفكرية ونشرها ، ثم بتدبير الصهاينة بقيادة الدجال حسب بروتوكولات خبثاء صهيون الذين قضوا بهذا الفكر اللعين على النظام القيصرى النصرانى الارثوذكسى الروسى بخدعة الاشتراكية العلمية والتقدمية وحاولوا القضاء على كل دور العبادة ، بل تم إغلاقها جميعاً وشنقوا آخر قسيس بامعاء آخر رأسمالى أرستقراطى أو بامعاء آخر أمير قيصرى كما أعلنوا هم ذلك .

فما حدث فى بلدان روسيا أولاً ثم فى بلاد الاتحاد السوفيتي السابق : النصرانية منها والاسلامية تلك التى اجتاحها الروس الشيوعيون فى عهد ستالين إذ تم القضاء على دور العبادة وتحولت مناهج التعليم فى المدارس إلى المادية البحتة التى تَسْخر ممّن يؤمنون بالخالق عز وجل وتربى الأجيال بغاية تربوية إستراتيجية عليا وهى انكار الألوهية حتى لا يقال فى الارض الله . ولكن بسنة الدفع أبطل الله عز وجل هذا المكر وعادت روسيا نصرانّية وعادت الشعوب الاسلامية إلى إسلامها علناً بعد إن إحتفظت به سراً تحْت نير الإستعمار الروسى الشيوعى الرهيب قرابة سبعين سنة .

وسنعلم بعد أن الساعة ستقوم وسينتهى أجل البشرية بان يوقف الله تعالى سنة الدفع ويترك جيل الاشرار ينتصر ويقضى على كل دور العبادة فى الأرض ويظهر الالحاد حتى يُنسى اسم الله فى الأرض فلا يقال فى الأرض : الله ، وذلك بعد أن يعلم من هذه الأجيال إصرارها على الالحاد والبهيمية الجنسية فلا يبالى بهم ، ومن ثم تقوم عليهم وعلى أبنائهم أو على أحفادهم أو من بعدهم الساعة ، أما قبل هذا فما دامت البشرية تنطوى على الخير والفطر السوّية وأصحاب الصراط المستقيم ، وإن قلّوا ، فإن الله تعالى

يبقى سنة الدفع لمنع هدم دور العبادة التى يذكر فيها اسم الخالق جل وعلا ، وان كانت كلها عدا مساجد المسلمين عبادات شركية .

ولئن كان التطبيق الأول لسنة الدفع فى القرآن الكريم على انتصار المسلمين من بنى إسرائيل بقيادة طالوت على المشركين ، فإن التطبيق الثانى لهذه السنة هو الذى أدى إلى قيام الخلافة الاسلامية القوية فى أكثر أرجاء الأرض فى عهد الصحابة والتابعين والدولة الأموية ثم العباسية ثم العثمانية ، قال ابن كثير فى تفسير آيات الدفع فى سورة الحج « ... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أُخرج النبى ﷺ من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم ، انا لله وإنا اليه راجعون لَيُهْلَكُنّ قال ابن عباس فانزل الله عز وجل ﴿ أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ وقوله ﴿ وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ أى هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال إذا هم قد تعرضوا من قبل أعداء الله عز وجل للإبادة بيد أنه سبحانه يأذن لهم بالقتال ، ويحضهم عليه ، إذا كان ثَمّ مجال للانتصار بالجهاد كما قال ابن كثير « ولكن هو يريد من عباده ان يبذلوا جهدهم فى طاعته » تحقيقاً للابتلاء بدليل قوله فى سورة محمد ﴿ ... ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ .

فماذا يكون الحكم إذا صار المؤمنون غرباء قلة مستضعفة يغرى ضعفهم أعداء الله عز وجل بهم فيدبروا ويخططوا لابادتهم وإخلاء الأرض منهم . ؟

تلك هى خطة التجفيف من المنابع التى إتفقوا عليها الآن وذلك هو البروتوكول الصهيونى الدّجّالى الصليبى الخبيث للقضاء على الإيمان فى الأرض واستئصال نجْدْ الخير وأهله وهذا هو ما جاء فى القرآن الكريم بالاستفتاح بقوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويُسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل

الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد إشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ، ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴾ « ١٣-٢٠ / إبراهيم » هذه سنة الاستئصال ذلك الذى يقع حتماً للكافرين إذا هم قد هموا باستئصال الفئة القليلة المستضعفة المؤمنة . وهذا واضح من قوله تعالى بصيغة الجمع ﴿ **وقال الذين كفروا لرسلهم** ﴾ أى أن فى تاريخ كل الرسل بدءاً من نوح إلى خاتم الرسل والانبياء سيدنا محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم يصل عناد ومحاربة الكفار للرسل الى المرحلة التى يهددونهم فيها باخراجهم من الأرض أو قتلهم مع القلة المؤمنة ، إن لم يعودوا إلى ملتهم ، ومن ثم يوحى الله عز وجل فى كل مرة يحدث فيها هذا من الكافرين لرسلهم وللقلة المؤمنة معهم ، ان الله سيهلكهم هم رداً على شروعهم هم فى اهلاك المؤمنين ، فإهلاك الله تعالى لهم بقارعة سماوية من عنده : غرقاً أو صعقاً أو إعصاراً أو رجفة ، إنما يكون رداً على المجرمين بنفس ما أرادوه لنجد الخير وأهله ، إذ لو مكنهم الله مما يريدون ليقضوا على نَجْد الخير وأهله لَفَسَدَتْ الحياة فى الأرض ولا تصبح صالحة للاختيار ، ومن ثم لا تصبح صالحة للإبتلاء ، وهذا ما لم ولن يأذن به الله تعالى أبداً طيلة أجل الحياة الدنيا الا مرة واحدة هى التى تقوم فيها الساعة .

فعندما تصدر من المجرمين مخططات القضاء على الايمان وأهله تحت أى مسمى مثل محاربة الارهاب والقضاء عليه ومخطط التجفيف من المنابع الذى يتناول إخراج النور الفطرى من نفوس النّشْء من خلال أجهزة التربية والتعليم والاعلام ، عندما يحدث ذلك يوحى الله عز وجل للرسل - تثبيتاً لهم - إطمئنوا سنهلكهم قبل أن يتموا هذا المخطط ،وسيكون الاستئصال لهؤلاء الطغاة الطواغيت الجبابرة ، ولا يبدؤهم الله تعالى بالاهلاك والاستئصال إلا بعد أن يبدأوا هم ويستفتحوا مخطط الابادة لحزب الله عز وجل ، ومن ثم ينزل الله عز وجل عذابه عليهم حماية لحزبه وهذا واضح من قولــــــــــه ﴿ **واستفتحوا** ﴾ والضمير يعود على كل طاغوت محارب للمؤمنين من كل زمان ومكان

إذا أخذ بأسباب الفتح النهائي بالاستئصال وتجفيف الأرض من نور الايمان خيّبَ الله مخططاتهم ودمر كل جبار عنيد وأهلكه وقضى عليه وصيّره إلى البرزخ الذى من ورائه جهنم وهي مآله ومأواه بعد البعث تلك التى سيسقى فيها من ماء صديد ويذوق من الوان العذاب الشديد ، فيتجرع الصديد الذى لا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت لانه كان يخطط لقتل المؤمنين ومن ثمّ فسيظل يتلقى هو الموت فى جهنم من غير أن يموت ليستمر فى العذاب ومن ورائه عذاب غليظ .

ثم ضرب الله تعالى مثلاً لاعمال وتدبير مخططات الذين كفروا وهم حزب الشيطان وهم فى أيامنا هذه الصهيونية الممتطية للصليبية وهم المحاربون لاهل الايمان وهم الآن المسلمون المستضعفون المستهدفون ، والذين يحاربونهم ويخططون للقضاء على ملتهم ، التى هى ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، هم الصهاينة الممتطون ظهور الصليبيين امريكان وأوربيين .

يضرب الله تعالى بعد ذلك مثلاً لأعمالهم اى لمخططات ابادة المسلمين لديهم والقضاء على قوتهم الباقية بأن هذه المخططات سيجعلها الله هباء منثوراً بل سيقلبها عليهم فيعمى عيونهم بهذا الهباء ويسد أُنوفهم بها ويدمرهم برمادها وإشعاعها ﴿ **مثل الذين كَفَرُوا بربهم أعمالهم كرماد إشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ « ١٨ / إبراهيم » فلنتصور الأعمال الفردية والجماعية والدولية المفسدة فى شتى مناحى الحياة ومخططات التظليم والجهود المضنية للقضاء على ملة الاسلام ، وقد تراكمت كرماد حتى صارت تلالاً أو جبالاً من الرماد ثم جاء الريح العاصف فعصفت بها وذرّته فى الفضاء فما الذى يمكنهم أن يحتفظوا به منها ؟ وما هى النتائج التى يصلوا إليها من كل ذلك ؟! إنه الضلال البعيد ، أى الضياع النهائى الذى لا رجعة له . ثم قال عز وجل بعد ذلك لنبيه المصطفى الخاتم ﷺ ﴿ **ألم تر** ﴾ أى يا محمد ﴿ **أن الله خلق السماوات والأرض بالحق** ﴾ فوضع ميزان التعادلية ﴿ **والسماء رفعها ووضع الميزان ألاّ تطغَوا فى الميزان** ﴾ « ٧-٨ /

الرحمن » وهذا فى كل شئ إبتداء من الذرة إلى المجرة ثم أقام حالة الاستواء اللازمة لصحة الاختيار وتحقيق الابتلاء فى حياة الانسان فأمر سبحانه لكى يتحقق الفوز فى الابتـلاء « **ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والأرض وضعها للأنام** » « ٨ - ١٠ / الرحمن » فهل يمكن لهؤلاء الجبابرة الطغاة أن يسقطوا التعادلية ويهدموا حالة الاستواء ويعطلوا حكمة الله من خلق السماوات والأرض والانسان ؟ حاشا وكلا ، والويل لمن يستفتح لهذا العمل ولو أجمعت البشرية كلها على هذا الضلال وراء هؤلاء الطواغيت الجبابرة لأذهب الله البشرية كلها وأقام الساعة وأتى بخلق جديد « **إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز** » « ١٩ - ٢٠ / ابراهيم » .

تلك هى سنة الاستئصال للأمم الكافرة وبها أيضاً يستأصل الله كل البشر إن هم دخلوا فى هذه السنة أى بنفس هذه السنة تقوم الساعة .

قيادة حزب الرحمن وقيادة حزب الشيطان ودورهما في الصراع التاريخي بين الحزبين : -

لم يهدأ ولم ينته هذا الصراع منذ بدأ ، ولن يهدأ ولن ينتهى إلا فى آخر مراحل يوم القيامة وهى المرحلة التى تسبق قيام الساعة مباشرة ، ويموت كل مؤمن على الأرض بالريح اللينة الطيبة ويُرفع القرآن من المصاحف ويترك الله عز وجل الكعبة لجيل الأشرار فيهدمونها ، ومن ثمّ لا يكون فى الأرض الا هؤلاء الاشرار الذين يبغونها عوجاً ويعيشون للمتاع كالبهائم وينسى اسم الله عز وجل بعد أن يطغى الالحاد وتُعقم النساء وينتهى حال البشرية إلى عدة أجيال من الكفر لا أمل على الاطلاق فى صلاحهم ، ومن ثم يختفى من ذاكرة البشرية نَجْد الخير وتُمحى منها تماماً كلمة الايمان ولا يبقى الا كل ما هو مرذول وخبيث ويسقط ميزان التعادلية ويبطل الاختيار وتتوقف سنة الابتلاء ومن ثمّ يقضى الله عز وجل على هؤلاء الاشرار ويتم أجل الحياة الدنيا بالصَّيحْة التى تأخذهم وهم يَخِصّمون فيموت كل منهم فى مكانه ويصبحوا جثثاً منتشرة على سطح الأرض

التى سيهيؤها الله عز وجل للبعث والنشور والحساب فالساعة لا تقوم الا على لكع ابن لكع بن لكع أى ثلاثة أجيال من الكفر المطبق الشامل ، واللكع هو الزانى على قارعة الطريق .

إنها تقوم عندما لا يكون ثمّ أمل فى ان يولد فيهم موحد واحد ينجو بفطرته وإيمانه الجبِلّى من الكفر وهى نفس الحالة التى يتم بها إستئصال المجتمع الكافر المكذب المعاند إذا طغى اشراره على القلة المؤمنة برسولهم ، فينجى الله الذين آمنوا ويهلك الكافرين جميعاً ، كما حدث منذ بدء الصراع البشرى التاريخى الذى بدأ بين قابيل وهابيل ثم امتد حتى تكونت المجتمعات وملأت البشرية الأرض كلها فصار بين نوح والمؤمنين معه وبين كل الناس فى عصره ثم بقى المؤمنون بعد غرق البشرية وبدأت عهداً جديداً ليطغى بعد قوم نوح عاد قوم هود واستأصلهم الله وأبقى المؤمنين مع هود ثم قروناً كثيرة فى قارات الأرض لم يأت خبرها فى القرآن الكريم ، وذكر لنا سبحانه الاقوام الذين إستأصلهم ممن كانوا فى جزيرة العرب وما حولها دون سائر القارات ، وهم ثمود قوم صالح وأصحاب الرس وقوم لوط ومدين قوم شعيب وفرعون وجنوده ثم ما حدث لبنى إسرائيل من شتات بعد فسقهم وكفرهم وهو استئصال لدولتهم وليس لهم كشعب وهى سنة أخرى يعامل بها الله تعالى الأمة الكتابية إذا صارت كالحمير يحملون كتابهم على ظهورهم دون أن يعلموا منه شيئاً ودون أن يعملوا بما فيه ، وهى سنة تجرى أيضاً على المسلمين الذين هم أهل الكتاب الأخير والوحى الخاتم القرآن الكريم وهذا كله ما نعلم تفصيله من خلال الصراع الاسلامى الصهيونى المعاصر فى القرآن والسنة .

والموضوع الذى يطرح نفسه علينا الآن يدور حول قيادة حزب الرحمن وقيادة حزب الشيطان وهذا هو موضوع الفصل القادم إن شاء الله .

الفصل الرابع

بدء العداء التاريخي
وتكوّن فريقيّ الصراع

تكون حزب الشيطان بمجرد فسوق إبليس الجنّي عن أمر ربه :

بدأ الصراع بين الشر والخير والخبيث والطيب منذ معصية إبليس وفسقه عن أمر ربّه ، وسيظل هذا الصراع ممتداً إلى يوم الوقت المعلوم .

لقد جاء مختصر تاريخ الإنسانية كله فى آية واحدة فى سورة البقرة بعد أن أمر الله عز وجل بهبوط آدم وحواء وإبليس ، قال تعالى : ﴿ **قلنا إهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوْف عليهم ولا هم يَحزنوُن والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ « البقرة / ٣٨ - ٣٩ » فالحزبان المتصارعان هما : الفئة التى تتّبع هُدَى الله عز وجل المُنزّل من عنده ، وهؤلاء هم أهل الأمن والسرور الذين سيعودون إلى دار السلام التى خرج أبوهم منها .

وأما الحزب الثانى فأعضاؤه هم الذين يكفرون ويكذبون بما سَيَنّزِلُ من عند الله عز وجل من الهدى والحق وهم أصحاب النار الخالدون فيها .

وعلى هذا فإن قادة حزب الله تعالى التنفيذيّين فى الصراع هم الذين يصطفيهم الله تعالى ليكونُوا المبلغين هديه سبحانه إلى الناس ، فهم الرسل والأنبياء الذين يتلقون الهدى الربانى فى صور صحف أو كتب مُنزّلة عن طريق رسل الله تعالى إليهم ، وهم الملائكة بعامة وجبريل روح القدس بخاصة ، فالنّبيُّ هو النّبيءُ الذى يُحدث الناس بنبوءات غيبية ليس مصدرها الأرض ولا طاقة لعلوم البشر بها ، وهى المشار إليها فى الآية بقوله تعالى ﴿ **فإما يأتِيَنّكُمْ منّى هُدى** ﴾ فهو هدى الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم فهو ينزل من السماء ، والقرآن الكريم مليء بالآيات التى تذكر أنّه مُنَزّلٌ من السماء ، وأن الكتب التى تلقاها الأنبياء من قبل كلها قد أنزلها الله تعالى عليهم من السماء .

فالأنبياء إذاً ، هم قادة حزب الله تعالى فى الصراع لأنهم المبلغون للهدى ، المنفذون له والمعلّمون إياه لأقوامهم وأممهم ، ومن ثمّ كانت طاعتهم واجبة ، بإعتبارهم القادة ، ولا قيادة بدون طاعة .

فَحِزْبُ الله على مدار التاريخ البشرى هم الأنبياء وأصحاب الأنبياء وخلفاء الأنبياء وجميع الذين آمنوا بما جاء به الأنبياء ، واتّبعوهم وساروا على نهجهم ، وعاشوا بمنهج حياتهم .

أما حزب الشيطان فهم العدو اللدود لحزب الله تعالى ، حتى أنه يصح القول أنهما لا يلتقيان ولا يتّصالحان ولا يتقاربان أبداً ، إلا إذا أسلم بعض أصحاب حزب الشيطان فينتقلُون إلى صفوف المسلمين ، أو إذا انتقل بعض الذين فى حزب الله تعالى إلى صفوف المشركين مرتدين ، أو يظلون فى صفوف المسلمين وتكون قلوبهم ويكون ولاؤهم للمشركين ، وهؤلاء هم المنافقون .

– إبليس أول الكافرين مؤسس حزب الشيطان :

وأول من انتقل من صفوف المؤمنين فى العالمين هو إبليس لما فسق عن أمر ربه سبحانه ، وأبى أن يسجد لآدم عليه السلام ، ومن ثم انتقل من حزب الله أى من صفوف المؤمنين أو من صفوف الملائكة ، وأسس حزباً خاصاً به ليرضى غروره وأنانيته وإستكباره . ولم يكن إنتقاله بالفسق عن أمر الله إنتقالاً حسيّاً ومكانيّاً من صفوف الملائكة فحسب ، بل كان قد سبق هذا إنتقالاً معنوياً نفسياً من الفطرة الموحّدة المؤمنة الطيبة التى خلقه الله عليها ، لأن الفطرة الموحدة التى فطر الله تعالى الناس عليها لا تخص الإنس وحدهم إذ هى لغيرهم من عباد الله تعالى ، قال تعالى فى الحديث القدسى « إنى خلقتُ عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم » فقوله تعالى « عبادى حنفاء كلهم » يشمل الإنس والجن والملائكة ، فجميعهم على الحنيفية ، إلاّ أن الشياطين ، وهم الذين بادروا بالانتقال إلى صفوف الحزب المعادى لحزب الله ، يعملون على نقل كثير من عباد الله تعالى إلى صفوفهم ، والعكس صحيح إذ يحاول المؤمنون الطيبون نقل من يستجيب من الكافرين لصفوفهم ، وهذا هو جوهر الصراع بين الحزبين ، ومن نتائجه الاستراتيجية . وخروج الذين يجتالهم الشياطين عن دينهم ويحرفونهم عن الصراط المستقيم ، إنما يكون

بمخالفة الفطرة التى فطر الله الناس والجان والملائكة عليها ، ولكن الانس والجن هم فقط الذين يخرجون ، أما الملائكة فلا تخرج ولا تعصى الله عز وجل لأنها لم تخلق للإبتلاء ، ولم يجعلها الله تعالى تبعاً لهذا مختارة . ومن ثم فمعنى فسوق إبليس عن أمر ربه أى خروجه عن مقتضيات فطرته الحنيفية التى خلقه الله عليها ، بمخالفة مقتضياتها وطاعة هواه ونفسه المستكبرة ، وهكذا لا ينتقل بعده أحد من صفوف الموحدين إلى صفوفه إلا بالفسوق عن أمر الفطرة التى فطر الله تعالى العباد عليها ، ولا يمنع هذا من تفسير قوله تعالـــى : ﴿ **ففسق عن أمر ربه** ﴾ أى عصى الأمر الإلهى التشريعى الصادر إليه بالسجود لآدم ، لأن الآية تتضمّن الإثنين معاً ، إذ لو لم يعص إبليس الله تعالى ، ولو لم يأب السجود لآدم لما خرج عن مقتضيات فطرته من قبل ، وكذلك لو لم يخرج على مقتضيات فطرته ، لما خالف الأمر الشرعى وأقدم على المعصية ، فالإثنان مرتبطان بل هما وجهان لفعل واحد ، والآية تعبر عنهما معاً ، لأن رفض السجود لآدم هو الفعل السلوكى الظاهرى الذى تم بالجوارح والأعضاء، والفسوق عن أمر ربه سبحانه هو الخروج على مقتضيات الفطرة .

هذا هو إبليس قائد ورائد الفسوق عن أمر الله عز وجل فى عالم الابتلاء ، الذى أصبح كل من يسلك سبيله بالخروج من نجد الخير منحرفاً إلى نجد الشر ، أو بالتحول عن الصراط المستقيم ، سالكاً أحد السبل المنحرفة ، منتمياً إليه مطيعاً له ، سائراً خلفه ، منفذاً أمره فى معصية الله عز وجل ، أقول : أصبح عضواً فى حزبه بدليل قول الله عز وجل يوم الدين لكل المستكبرين الذين أطاعوه فى نهجه ومسلكه ودينه : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** ﴾ « يس / ٥٩ / ٦٤ »

إن حقيقة الكفر تكمن فى استكبار الكافر عن عبادة الله وحده ، إذ يخرج عن أمر

الله وينحرف عن فطرته التى فطره الله تعالى عليها ، لأن الفطرة هى العبودية الجبلية لله عز وجل ، ومن ثم فالخارج عن نهجها خارج عن نهج العبودية لله ، وأول دواعى هذا الخروج هو إرادة الإمتياز والتميز على عباد الله ليكون هو الأفضل والأعلى والأرقى فيهم ، وهذا لا يتحقق له إلا بالخروج عن نطاق العبودية ، وهذا هو الاستكبار الذى دل عليه قوله تعالى ﴿ **أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ « الكهف / ٥٠ » وما جاء فى رد أبليس مبرراً هذا الفسق بخيريته على آدم ﴿ **قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ « ص/ ٧٦ » .

وهكذا ترتبط حقيقة الكفر بحقيقة الإستكبار والرغبة فى العلو على سائر العباد ، ومن ثم الخروج عن نطاق العبودية ومقتضيات الفطرة الحنيفية من خضوع أو إذعان وذل لله تعالى وحده مع سائر الكائنات ، هذا ما كان من إبليس ، ثم ما كان ويكون من كل من إتّبعه إلى يوم الدين ، وهم أعضاء حزبه ، ومن ثم سيقول الله تعالى لهم يوم القيامة ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ « يس / ٥٩ » أى كما إستكبرتم وجعلتم أنفسكم ممتازين مميزين رافضين الاذعان لربكم ، ومستكبرين على عباد الله عز وجل فى الدنيا ، إمتازوا اليوم أيضاً هنا بدخول جهنم ، لأنكم خالفتم عهدى وعبدتم الشيطان الذى حذرتكم من عداوته ، فإذا بكم تصبحوا من حزبه فى الدنيا ، ومن ثم فأنتم رفقاؤه فى جهنم فى الآخرة ﴿ **إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، إن الذين يحادّون الله ورسوله أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ، لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ « الحشر / ١٩ - ٢٢ » ، فانظر إلى قوله تعالى ﴿ كتب

الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ﴾ « الحشر / ٢٠ » بعد الآية التاسعة عشر التى ورد فيها ذكر حزب الشّيطان وهم الكافرون المستكبرون الذين يحاربون ويحادون الله ورسوله والمؤمنين ، وأن الله سيجعلهم فى الأذلين ، ويغلب هو ورسله بسنة أو بكلمة قدرها وكتبها قبل خلق السماوات والأرض ، فهى نافذة لا محالة ، وانظر أيضاً إلى مجئ هذه الآية الوارد فيها ذكر الله ورسله وأهل الإيمان فى الصراع قبل الآية الوارد فيها تقرير خسارة حزب الشيطان ، وبعد هاتّين النّظرتين ألا يحق لنا أن نقرر أن هذه الآيات تتناول بعض سنن الله عز وجل فى الصراع المستمر حتى نهاية حياة البشرية ، والسنن التى بمقتضاها يؤذن الله تعالى فيها الكافرين بالحرْب ، حتى ينْهزم أعداؤه حزب الشيطان الخاسرون وينتصر عباده حزب الله المفلحون .وقوله سبحانه وتعالى ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عـــزيز ﴾ « الحشر / ٢٠ » يثبت أن له سبحانه ولرسله أعداء ، وأن العلاقة بين الحزبين فى صراع مستمر دائم ، وحرب معلنة دائمة ، وأن الغلبة والنصر فى العاقبة لحزبه سبحانه بمقتضى هذه السنة المكتوبة والقضاء الحتمى النافذ ، ومن ثم قال تعالـــى : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ « الأنعام / ١١٢ » وقال تعالى أيضاً ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً ﴾ « الفرقان / ٣١ » فالعدو المذكور لكل نبى فى آية الفرقان الأخيرة هذه من مجرمى البشر وهو زعيم المكذبين وقائد المحاربين لنبى عصره المرسل إلى قومه سواء أكان هذا العدو ملكاً أم رئيساً أم شيخاً لقبيلة أو عشيرة أم حتى عرافاً أم مفكراً وفيلسوفاً ممّنْ يحاربون الرسالة السماوية بالفكر ويلبسون الحق بالباطل فى هذه المذاهب الإلحادية المضللة لعامة الناس وبالإعلام الكاذب والتربية المفسدة والقوة والبطش الغاشميْن والدليل على هذا هو قوله تعالى ﴿ عدواً من المجرمين ﴾ .

أما العدو المذكور فى آية الأنعام بقوله : ﴿ عدواً شياطين الإنس والجن ﴾ فأمره مختلف ، وحسب قول المفسرين الذى يدل عليه المنطوق اللغوى لسياق النص ، يكون

لفظ (عدوّاً) إسم جنس يدل على الكثرة وتكون عبارة ﴿ **شياطين الإنس والجن** ﴾ بدل لهذا اللفظ وتفصيل وبيان له ، ومن ثم يكون تفسير الآية أن الله تعالى جعل لكل نبى أعداء هم شياطين الانس والجن ، بل هم كل شياطين الانس والجن ، وهذا يثبت أن حزب الشيطان هم شياطن الإنس وشياطين الجن ، وأن لهؤلاء قائد ولأولئك قائد . ومن ثم يكون معنى ﴿ **عدواً شياطين الانس والجن** ﴾ متضمناً لحقيقة تاريخية هامة : وهى أن الله عز وجل قد جعل لكل نبى عدواً واحداً من شياطين الإنس ، وعدواً واحداً من شياطين الجن ، ولكل منهما أتباع من الانس والجن ، وعلى هذا يكون لكل الأنبياء عدواً إنسياً واحداً ، وعدواً جنياً واحداً ، فهما إثنان يقودان جنودهما وأتباعهما فى الصراع ضد حزب الله تعالى خلال التاريخ البشرى كله بَدْءاً من آدم أبى البشر ، ثم من نوح إلى خاتم الانبياء محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم .

فقيادة المجرمين إستكبارية دائمة مستمرة لا تنقطع ولا تتوقف مقابل أن قيادة الله تعالى لحزبه عزوجل ممتدة دائمة مستمرة لا تنقطع ولا تتوقف منذ بدء الصراع إلى نهايته ، وهذه القيادة الدائمة المتمثلة فى عدو واحد من الإنس ، ونظيره من الجن محارباً للنبوة وللهدى الربانى هى فى الحقيقة قيادة واحدة بمقتضى وحدة الهدف بينهما ، وبمقتضى التنسيق الذى بينهما فى العمل ، هذا التنسيق الذى تقصد منه هذه القيادة المتوحدة تحقيق هذا الهدف والوصول به إلى الغاية المشتركة بينهما .

يدل على هذا التنسيق قوله تعالى بعد ذلك ﴿ **يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غُروراً** ﴾ ولا يقول قائل إن وحى زخرف القول ليس بين إثنين ، بل بين جماعة وجماعة لقوله تعالى ﴿ **بعضهم إلى بعض** ﴾ وهذا حق ، لكن الأمر البديهى والطبيعى حسب خصائص الجماعات والمجتمعات والأمم والأقوام أن لكل جماعة ذات قصد وهدف واحد قيادة تنتهى إلى فرد واحد ، حتى ولو كانت القرارات بالشورى ، وحتى لو كان نظام الحكم وإتخاذ القرارات حسب ما يسمونه بالديمقراطية ، إذ لابد من رأس للنظام يكون هو المسئول التنفيذى ، وهو الذى تأتمر الجماعة بأمره ما دامت قيادته دائمة

مستمرة خلال أجل البشرية كله ، ودوام هذه القيادة وإستمرارها ما كان إلا بإذن الله تعالى ومشيئته لحكمة الابتلاء ، كما ذكرنا ، لذلك قال تعالى فى نهاية آية الأنعـــام **﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾** .

فالصراع بين أهل الخير وأهل الشر هو الذى نال إبليس بمقتضاه وبحسب سنن الابتلاء النظرة والإمهال إلى يوم الوقت المعلوم ، هو أيضاً الذى نال به وبمقتضى سنن الابتلاء أيضاً أول الكافرين من بنى آدم زعامة أهل الشر فى قبيله ونوعه أى فى البشرية جمعاء ، ومن ثم إقتضى هذا استمرار هذه الزعامة فيهم طيلة الحياة الابتلائية كلها تلك التى بدأت بكفره وتنتهى بموته فى يوم الوقت المعلوم الذى تنتهى به سنن إبتلاء البشر وهذا ما سنوضحه فى الفصل القادم بعون الله تعالى .

- الله عز وجل يتولى قيادة حزبه في الصراع بنفسه :

نسب الله عز وجل جنوده وأولياءه والمؤمنين الطيبين لنفسه فى مقابل نسبة الكافرين الخبيثين للشيطان ، فالناس فريقان لا ثالث لهما : حزب الله عز وجل وحزب الشيطان ، والعلاقة دائماً بين الحزبين صراع مستمر ، ومن ثم فلا بد أن يكون أحدهما غالباً والآخر مغلوباً خلال جولات الصراع فحزب الله هم الذين وليهم الله ورسوله والذين آمنوا قال تعالى ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾ « المائدة / ٥٥ - ٥٦ » .

فإذا تساءلنا عن القائد الأعلى لحزب الله تعالى فى الصراع بين الحزبين جاءت الإجابة القرآنية المباشرة بقوله تعالى ﴿ **إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبّن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ « المجادلة / ١٩ - ٢٢ »

فانظر إلى التقرير الآلهى بنتيجة الصراع النهائية وهى أن الذين يحاربون الله ورسوله سينتهى حالهم إلى الذل مهما انتصروا أو ظهروا فى بعض الجولات المرحلية .

أما قوله تعالى ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى** ﴾ فهو قول صريح مباشر محكم الدلالة على أن الله عز وجل هو الذى يقود حزبه فى الصراع ورسله هم خلفاءه وقادته التنفيذيّين ، ومن ثم نسب الانتصار والغلبة فى الصراع لنفسه ولرسله والنصر لحزبه .

كما يدل على هذا أيضاً أنه سبحانه نسب الفريق المؤمن الطيب فى الصراع لنفسه

فقال ﴿ **أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾ .

ويدل على هذا أيضاً أن حرب الكفار وكيدهم هى حرب لله ولرسوله ﷺ فقال تعالى ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون** ﴾ « التوبة / ١٠٧ » فالعداءوالحرب الموجهة من حزب الشيطان ليست ضد حزب الله فحسب أى ليست ضد المؤمنين فحسب بل هى حرب لله ولرسوله ، وهذا يثبت أن الله عز وجل هو قائد حزبه فى الصراع أيضاً .

كذلك يعلن الله تعالى أنه يبطل خططهم الافسادية بنفسه سبحانه بقوله ﴿ ... **كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين** ﴾ « المائدة / ٦٤ » ومن ثم تكون القيادة الأعلى فى الصراع لله عز وجل وهذا ضمان بالنصر النهائى لحزبه والغلبة الماحقة لأعدائه حزب الشيطان ، وهو ما سنراه فى الجزء السادس والسابع من الموسوعة عن المهدى وفتح أوربا ثم مقتل الدجال والقضاء على يأجوج ومأجوج ليتم نور الله رغم أنف الكافرين ، ويظهر دينه على كل أديان الأرض .

لذلك كان قتال المؤمنين للكافرين والصمود أمامهم بهذا المعنى نصر لله عز وجل ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ « محمد / ٧ » وقال تعالى ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا أن الله لا يحب كل خوّان كفور أُذِنَ للذين يُقَاتلون بأنهم ظُلِمُوا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾ « الحج / ٣٩ » فنصر الله عز وجل نصر لحزبه وإنتصار حزبه نصر له عز وجل ومن ثم قال ﴿ ... **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ « الروم / ٤٧ »

والخلاصة أن الله عز وجل لم يوكل أحداً من خلقه رسولاً كان أم نبياً أم ولياً لقيادة حزبه فى الصراع الدائم ضد حزب الشيطان ، بل جعل أمر القيادة له وحده والرسل خلفاؤه والمؤمنون أولياؤه وجنوده وهذا أعظم ضمان لانتهاءالصراع بغلبة الله ورسله والمؤمنين على أعدائهم ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز** ﴾ « المجادلة / ٢١ »

- الطاغوت هو القائد الأعلى لحزب الشيطان في الصراع :

بعد أن علمنا أن الحكمة من خلق السماوات والأرض هى إبتلاء الجن والإنس ، وإن الإبتلاء يتم من خلال الصراع التاريخى سيستمر من أول الخليقة إلى يوم الوقت المعلوم بين حزب الله تعالى وبين حزب الشيطان ، وبعد أن علمنا أن الله عز وجل هو الذى يقود حزبه وهو ولى المؤمنين فى الصراع . فمن يا ترى هذا الذى يقود حزب الشيطان فى الصراع ساعياً بقيادته لحزبه لكى يعبده الثقلان من دون الله عز وجل ؟

هل هو إبليس الجنى الذى رفض السجود لآدم ؟

هل هو المسيح الدجال الآدمى الذى سيدعى الألوهية والربوبية ؟

للإجابة على هذا كله نقول أن الذى نجده فى كتاب الله عز وجل هو أن الرسل والأنبياء جميعاً إبتداء من ادم إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ قدْ حذروا أممهم من الإيمان بالطاغوت وأمروهم بإجتنابه قال تعالى ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ « النمل / ٣٦ » .

فإذا كانت الأمم جميعاً قد حذرها الرسل من عبادة الطاغوت بعد الأمر بعبادة الله فالطاغوت إذن موجود منذ بدأ الصراع ، وهو رئيس مملكة الشر ، وليس إبليس ، بدليل أن النهى عن الإيمان بالطاغوت ورد فى مقابل الأمر بالإيمان بالله عز وجل ، كما ورد الأمر بالكفر به مقابل النهى عن الكفر بالله عز وجل قال تعالى ﴿ **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ « البقرة / ٢٥٦ - ٢٥٧ »

فما من كافر أو مشرك سيعذب فى جهنم إلا وقد ضل بفعل الطاغوت الذى أخرجوه

به من النور الفطرى إلى ظلمات الشرك والوثنية ، فالطاغوت موجود إذن منذ بدء الخليقة أو على الأقل منذ بدء الوجود الابتلائى الأرضى وكذلك فإن الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، بينما يقاتل الذين كفروا فى سبيل الطاغوت ، وهذا يدل على أنه إله ورب مملكة الشر ، قال تعالى ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء/ ٧٦ » فكما أن غاية المؤمنين العليا هى رضاء الله عز وجل عنهم حتى أنهم يُضحون بأنفسهم وأموالهم ويقاتلون فى سبيله تعالى فغاية الكفار هى أرضاء الطاغوت بالقتال فى سبيله أيضاً ، وهذا لا يكون إلا باتخاذهم رضاه غاية عليا لهم ، ومن ثم يكون إلههم .

ويدل على أن الشيطان غير الطاغوت ورودهما فى آية واحدة بوظيفتين مختلفتين مما يدل على أن مرتبة الطاغوت فى مملكة الشر أعلى من مرتبة الشيطان ، إذ أن الذين يقاتلون فى سبيل الطاغوت يكونون فى ولاية الشيطان وتحت قيادته لقوله ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان ..** ﴾ أى جنوده ، ومن ثم يكون الشيطان ممن يقاتلون – وإن كان قائداً – فى سبيل الطاغوت ، فهو متلقى منفذ لحكم الطاغوت ، وهذا معنى أن الكافرين وعلى رأسهم الشيطان يقاتلون فى سبيل الطاغوت .

وكذلك يدل على أن الطاغوت رئيس مملكة الشر وإله الكافرين والشياطين ومعبودهم قول الله عز وجل ﴿ **والذين إجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد** ﴾ « الزمر / ١٧ » إذ تتضمَّن الآية مقارنة بين الحال الذى عليه الذين آمنوا وهو إجتناب عبادة الطاغوت مع الإنابة إلى الله عز وجل فى مقابل الحال الذى عليه الذين كفروا وهو الميل عن سبيل الله عز وجل وإجتناب عبادته سبحانه مع الإنابة إلى الطاغوت .

فإذا لاحظنا أن الطاغوت وردت بصيغة المؤنث ثبت لنا أنه ليس الشيطان من ناحية وليس الدجال من ناحية أخرى كل هذه الآيات تثبت أن المتأله فى مملكة الشر والمعبود من الكافرين فيها والمتطلع بالإستكبار أن يجعل نفسه نداً لله عز وجل وكفؤاً له المدعى

الألوهية من دون الله تعالى هو الطاغوت .

بيد أن هذه النتيجة القرآنية الناصعة تواجه مسألة تحتاج إلى بيان ألا وهى أننا لا نجد فى أخبار أهل الجحيم الواردة فى الكتاب أو فى السنة ذكراً للطاغوت مع المعذّبين بالرغم من أن إدعاءه للألوهية وسعيه لكى يكون معبوداً من الثقلين يستتبع أن يكون فى الدرك الأسفل من دركات الجحيم بل تحت أقدام أهلها المضللين ألم يقل الله عز وجل فى كتابه الكريم **﴿ ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين ﴾** « الأنبياء / ٢٩ » بلى .

وألم يقل رب العالمين سبحانه **﴿ .. إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾** « الأنبياء ٩٨ – ٩٩ »

بلى فأين ذكر الطاغوت بين أهل الجحيم إذاً ؟ ليس له ذكر بينهم لا فى الكتاب ولا فى السنة .

لقد ورد ذكر الشيطان حيث سيقوم خطيباً فى أهل الجحيم **﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾** « إبراهيم / ٢٢ » فإذا علمنا أن الطاغوت قد ورد فى القرآن فى ثمانية مواضع لم يتضمن موضع واحد منها خبراً عن عذابه فى جهنم تبين لنا أن الطاغوت هذا أشبه بلغز مطلسم يحتاج حلاً ، إذ أنه من المفروض أن يكون أشد الخلق عذاباً فى الآخرة ، كما أنه من المفروض أن يكون فى أسفل دركات الجحيم .

إذاً علينا أن نستقصى آيات الذكر الحكيم المتضمنة أخبار أهل جهنم لعلنا نجد ذكراً للطاغوت تحت أى مسمى آخر ، مع علمنا سلفاً أنه لن يكون تحت مسمى الدجال لأن

هذا الأخير غير مذكور فى القرآن . كما ذكرنا حقاً إن الطاغوت لغز مطلسم كلما اقتربنا منه ابتعد عنا ، أو هو كالزئبق لا ندرى أسائل هو أم معدن ، وكلما أمسكنا به تفلت من بين أيدينا .

- ليس وحده إبليس الجني هو الذي أضل أهل الجحيم ، بل معه قرين إنسي :

وتلك هى نتيجة البحث الاحصائى فى آيات الذكر الحكيم المخبرة عن أحوال أهل الجحيم والعياذ بالله من هذا المصير . وتتمثل هذه النتيجة التى توصلت بعون الله وهديه إليها فى قوله تعالى حاكيا لنا طلب أهل الجحيم ودعاءهم بأن يريهم الأثنين اللذين أضلا الانس والجن جميعاً وهما أيضاً جنى وإنسى وذلك حتى ينتقموا منهم باعتبار أن كل واحد منهما كان سببا فى ضلال بنى نوعه ، قال تعالى ﴿ **وقَيَّضْنَا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ، ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين** ﴾ « فصلت / ٢٥ - ٢٩ »

إذاً هما إثنان جنى وإنسى كل واحد منهما أول من ضل من نوعه فتسبب فى ضلال كل من ضل بعده من الإنس والجن ، فهما قرينان قد علمنا الضال الأول الجنى وهو إبليس اللعين فمن يكون الضال الأول الانسى ؟

وهل يمكن أن يكون هو الطاغوت ؟

أم يمكن أن يكون هوالمسيح الدجال ؟

وإذا كان الضال الجنى الأول قد عصى وكفر إستكباراً وأصر فتشيطن ثم إزداد كفراً وتوعد بنى آدم بإضلالهم فتأبلس ، فما هو حال قرينه الانسى ، وما هى قصة ضلاله بل

إنا لنسأل أولاً :

ما علة كفر الشيطان الجنى ؟

وما علة كفر الشيطان الإنسى ؟

ثم ما علاقة كل منهما بالطاغوت من ناحية ثم بالجبت من ناحية أخرى ؟

الفصل الخامس

إستكبار ابن حمل الجنة
واستشهاد ابن حمل الأرض

آدم وزوجه في الجنة وعدوهما إبليس :

خلق الله عز وجل آدم وأسكنه وزوجه الجنة ، وأذن له أن يأكل رغداً من جميع أشجارها ما عدا شجرة واحدة عرفها لهما سبحانه بالاشارة إليها تحديداً وتعييناً فقال تعالى ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ....** ﴾ « البقرة / ٣٥ / ٣٦ » فما الذى كانا فيه وخرجا منه بمجرد أن أكلا من الشجرة ؟ ، أول ما يتبادر إلى الذهن هو خروجهما من الجنة ، باعتبار أنهما كانا فى الجنة ، وهذا غير صحيح ، وإن صح أن التحذير الإلهى لآدم وزوجه ، إذا هما أكلا من الشجرة المحرمة تحذيرٌ من الخروج من الجنة ، هذا الخروج الذى أصبح إستراتيجية إبليس العليا بعد أن حقت عليه اللعنة ، بل ظلت أيضاً إستراتيجيته العليا مع أبناء آدم فى الأرض حتى لا يعودوا إلى الجنة . قال تعالى مُحذّراً لهما ﴿ **ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسىَ ولم نجد له عزماً وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس أبى ، فقلنا يا آدم إنّ هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ « طه / ١١٥ - ١١٩ » فالذى كان آدم وزوجه فيه بعد أن أسكنهما الله الجنة أربع نعم وهى : الشبع الدائم فلا يجوعا فيها والكسوة الدائمة فلا يعْريا ، والرى الدائم فلا يظمآ فيها ، وكذلك لهما ما يستظلان به فلا يضْحيان ، وتلك هى حاجات الإنسان الضرورية التى لا يهنأ له عيش إلا بها ، والتى يتسبب نقصها أو نقص بعضها أو حتى واحدة منها إلى موته أو مرضه أو شقائه وتعاسته لقد صارت هذه النعم الأربع لهما فى الجنة ومن ثم لمّا عصيا خرجا من هذه النعم كلها وزالت عنهما قبل خروجهما منها ، وعلة هذا أنّهما لم يرثاها الجنة وإنما سكناها لأن الله تعالى لم يدخلهما الجنة على سبيل التمليك وإنما أدخلهما الجنة على سبيل التسكين ، أى إقامة مشروطة والشرط هو طاعة الله عز وجل بالبعد عن هذه الشجرة المحرمة ، فقد ظلا كائنين فى هذه النعم الأربع ما داما بعيديْن عن هذه الشجرة ، ولم يقرباها ، ولم يأكلا منها ، هذا هو ما كانا فيه ، ومن ثم يمكن القول أنهما كانا فى

الجنة على سبيل التوقيت وليس على سبيل الدوام لقوله تعالى ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة .. ﴾ ، بخلاف ما يقال للمؤمنين يوم القيامة ﴿ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود ﴾ « ق / ٣٤ » ودخولهم على سبيل التمليك الذى أول وأنقى مصادره التوريث ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ « الاعراف / ٤٢ » .

فالوراثة تعنى التمليك والدوام ، أما الاسكان فيعنى الإذن بالإقامة المؤقتة كالايجار ، ومن ثم صارا متمتعين بهذه النعم الأربع ، فلما أكلا من الشجرة خرجا مما كانا فيه ، أى زالت عنهما هذه النعم على الفوْر أى فى التو واللحظة ، ثم بعد ذلك ، أى بعد الحساب والعتاب كان خروجهما من الجنة ونزولهما على الأرض فقوله تعالى إذاً ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ أى من النعم الأربع ثم من الجنة ، والدليل على هذا التأويل قوله تعالى ﴿ .... فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ... ﴾ « الاعراف / ٢١ - ٢٢ » فعقب المعصية على الفور زالت نعمة الكساء .

فماذا حدث من إبليس لهما حتى نسب الله تعالى إليه إخراجهما من الجنة ؟

ما الذى فعله لهما فخدعهما حتى أوقعهما فى الذنب الذى زالت به على الفور النعم الأربع ؟ هذا الذنب الذى تم به أيضاً خروجهما من الجنة للشقاء فى الأرض هو وذريته حتى لا يستطيع الآدمى أن يحصل على هذه الأربع : المأكل والملبس والمشرب والمسكن إلاّ بالكد والعمل المضنى ؟!

ما الذى فعله معهما إبليس حتى صار خروجهما حتماً لازماً ؟

هل كان إغراءاً لمجرد الأكل من الشجرة ؟ أى لمجرد وقوعهما فى المعصية ، وما الذى يجعل مجرد الأكل من الشجرة مخرج لهما مما كانا فيه ومن الجنة حتماً ؟

أليس الله تعالى غفوراً رحيماً ، أليس احتمال توبتهما وعفو الله عنهما وإمهالهما وإعطاؤهما فرصة أخرى أقوى من إحتمال عقوبته سبحانه السريعة ، فما الذى جعل

الشيطان واثقاً من حتمية الخروج ؟ لأن إبليس قد علم عن طبيعتيّهما ما لم يعلماهما عن نَفْسَيْهِمَا ، فكانت له غاية أخرى أبعد من مجرد أكلهما من الشجرة بمعنى أنه أغراهما ووسوس لهما بالأكل منها باعتبار أن هذا الفعل سيكون مقدمة لها ما يتبعها بالضرورة ، أو سبب له نتيجته اللازمة ؟

هذه النتيجة ليست هى الخروج من الجنة وإنما الخروج من الجنة لازم من لوازم هذه النتيجة ، وبتعبير أوضح أقول : ليس الخروج من الجنة نتيجة مباشرة للأكل من الشجرة ، وإنما الذى حدث أن الأكل من الشجرة استتبع فعلاً واحداً منهما معاً ، هذا الفعل هو الذى كان السبب المباشر الذى من أجله خرجا من الجنة ، ومع ملاحظة أن إخراجهما من الجنة نَسَبَهُ الله تعالى لإبليس بإعتباره كان هدفاً إستراتيجياً له ، توصل إليه بوسيلة أخرى ، من مرحلتين أو بوسيلتيْن هما : إقدامهما على الأكل من الشجرة معاً ، ثم إقدامهما بعد هذه المعصية لله عز وجل على الفعل الذى ليس معصية فى حد ذاته ، ولكنه الفعل الذى إستلزمه الأكل من الشجرة ، وهو الذى استلزم هبوطهما إلى الأرض

فما هو هذا الفعل ؟

قال تعالى ﴿ **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونوا من الظالمين** ﴾ « الاعراف / ١٩ » فماذا حدث بعد هـــــذا ؟ ﴿ **فوسوس لهما الشيطان** ..... ﴾ « الاعراف / ٢٠ » بماذا وسوس ؟ وما الهدف من وسوسته ؟

علمنا من السياقات السابقة ، أن الهدف هو إخراجهما من الجنة ، لكن هذا هو الهدف الاستراتيجى النهائى للشيطان من كل ما صنعه معهما ، بيد أن الهدف المباشر من هذه الوسوسة جاء فى نفس الآية واضحاً صريحاً ﴿ **فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما** ﴾ « الاعراف / ٢٠ » أى أنه أراد أن يكشف لهما عوراتهما ، أى يطلع كل منهما على عورة الآخر ، وحيث أن الله عز وجل قد كساهما وضمن لهما ألاّ يتعرّيا ما داما بعيديْن عن الشجرة المحرمة ، فإن الأكل من هذه الشجرة

لم يكن مطلباً إبليسياً لذاته ، وإنما لكى يزيل عنهما نعمة اللباس قاصداً أن يريهما سوآتهما ، هذا هو الحدث الذى أراده إبليس ، لكنه أيضاً لم يكن مطلوباً له لذاته ، بل لما يستتبعه من حدث آخر هو الذى سيخرجهما به من الجنة ، هذا الحدث معلوم لكل ذكر بالغ وأنثى بالغة من ذرية آدم وحواء بمقتضى الطبيعة والغريزة أو الشهوة ، إذ تكون النتيجة الحتمية لمواجهة الذكر للأنثى عاريين ، بحيث يرى كل منهما عورة الآخر هى هذا الفعل المعلوم الذى يزاوله الأزواج فيستتبع الحمل والولادة .

ولقد كان هذا هدف إبليس حقيقة ، إذ هيأ له وألمح له فى وسوسته لهما ، بل وأشار إلى نتيجته ، ولكن بغموض وخداع مزج فيه بين الصدق والكذب ، لما قدْ سبق أن علمه من طبيعتهما الجنسية وعلاقتها بالنسل والذرية وبقاء النوع .

أما آدم وحواء فكانا فى هذه الفترة التى بين اسكانهما الجنة وبين الأكل من الشجرة كالطفلين غير البالغين اللذين لا يعرفان معنى للشهوة ولا يدركان وظيفة لسوآتهما ، أى كانا غافلين عن هذا الأمر ، فأراد إبليس أن يلفت نظرهما لهذه الوظيفة ، وأن يجتازا مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ والمراهقة والشباب ، فتكون النتيجة حدوث المواقعة بينهما ، وليست بذاتها هى سبب الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ، لأن الله تعالى لم يخلق الجنة داراً للتكاثر وإنما خلق الأرض للتكاثر وداراً للاستقرار والمتاع إلى حين ، ليتحقق الإبتلاء الذى هو الحكمة من خلق الإنسان ، ، فبإجتاز آدم وزوجه التجربة الابتلائية الأولى لهما بالأكل من الشجرة ، ومن ثم ظلما نفسيهما كما قال الله تعالى لهما ﴿ **ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾ « الاعراف / ١٩ » أى لنفسيكما ، وكذلك كل من سيقدم على معصية من ذريتهما سيكون ظالما لنفسه .

لقد كانت وسوسة الشيطان لهما إذاً ليبدى لهما سوآتهما التى سترها الله تعالى عنهما بلباسهما ، وبالغفلة عن وظيفتها ، ومن ثمّ ظلا غافلين عن وظيفتها الشهوية التناسلية ، هذه الوظيفة التى عن طريقها غرر الشيطان بهما ﴿ **فوسوس لهما الشيطان لـ...ى لهما ما وُورِى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة**

إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ « الاعراف / ٢٠ » لقد كذب عليهما وصدقهما فى آن واحد ، صدقهما لما قصد من قوله **﴿ أو تكونا من الخالدين ﴾** أى باقين بالنوع طيلة الحياة الدنيا ، وكذب عليهما باخفاء أن هذا البقاء المؤقت والخلود النسبى سيكون بالنوع فى الأرض ، وليس فى الجنة لشخصيهما .

لقد استثمر الشيطان قلق آدم وزوجه الذى سببه لهما إحتمال خروجهما من الجنة بمقتضى كونهما ساكنين ، وليسا مالكين وارثين لقول الله عز وجل **﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾** ولتحذيره من المعصية التى تخرجه منها ، ومن ثم صار هاجس خروجه منها مقلقاً ، فإستغل الشيْطان هذا القلق فألقى فى أُمنيتّه إمكانية الخلود فيها ، بالأكل من الشجرة . وهذا معنى قوله تعالى **﴿ فدلاهما بغرور .... ﴾** « الاعراف / ٢٢ » ولكى يؤكد لهما صدق زعمه بأن ترك الأكل من الشجرة هو الذى يمنع عنهما أن يكونا ملكيْن أو خالديْن ، قاسمهما ، وقاسم غير أقسم لهما لأن صيغة فاعل تفيد تبادل الطرفين للفعل ، مثال هذا « قتل » فعل وقع من القاتل من غير إشتراك المقتول فى الفعل ، أما « قاتل » فهو يفيد المشاركة بين المتقاتلين ، و« كتب » فعل قام به فاعل واحد أما « كاتب » فهو يفيد وقوع المكاتبات بين اثنين ، « فقاسم » يعنى أنه أقسم لهما وطلب منهما أن يقسما له على أن ينفذا ما يدلهما عليه من نصيحة ينالا بها الخلود فلما أقسما له أن يفعلا **﴿ فدلاهما بغرور .... ﴾** فلم يكن أمامهما بعد أن أقسما إلا أن يأكلا ، وهذا الأكل من الشجرة هو الذى أراده منهما ، ليس لذاته ولكن لما بعده ، ولما يترتب على ما بعده وهو إخراجهما من الجنة ، والشقاء فى الأرض .

أما الفعل الأول وهو المعصية فهو الاقتراب ثم الأكل من الشجرة ، أما الحدث الثانى المترتب على هذه المعصية فهو التعرى وكشف سوآتهما ، وهذا لم يكن معصية ، لأنه حدث لهما بدون إختيار أو رغبة فيه إذ هو ليس إلا زوال نعمة الكساء ، ثم الحدث الثالث بعد هذا هو ما حدث بينهما من المواقعة التى يحدث منها الحمل ، وهذه أيضاً ليست معصية على خلاف ما قديتوهم البعض لأول وهلة .

بل إن بعض الذين يستمعون إلى هذا التحليل لمعصية آدم عليه السلام يرفضونه على الفور مستدلين على رفضهم بحجتين :

أولاهما : أن آدم عليه السلام نبى مكلم والأنبياء معصومون من الكبائر عند جميع العلماء وحسب كل الأقوال ، واختلفوا فى عصمتهم من الصغائر ، والقول بأن آدم عاشر حوّاء معاشرة جنسية فى الجنة ، قد ينسب لهما الزنا ، وهذا لا يجوز على الأنبياء بعامة فكيف ننسبه للنبى أبى البشر آدم وأمهم حواء عليهما الصلاة والسلام ؟

والحجة الثانية هى أن جميع المواضع والسياقات القرآنية التى ورد فيها قصة إبليس وآدم وحواءوإهباطهم من الجنة إلى الأرض لم يرد فيها أى ذكر صريح لحدوث هذه المواقعة ، وسنرد على الحجة الأولى ثم نتبعها بالرد على الثانية :

الرد على الحجة الأولى : مواقعة آدم لحواء عليهما السلام ليست زنا :

لأن الذى يجامع زوجه ليس زانياً ، والتى يواقعها زوجها ليست زانية ، والدليل على أن الله عز وجل أنكح آدم حواء أى زوجهما هو قوله تعالى ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ..** ﴾ « الاعراف / ١٩ » وقوله تعالى ﴿ **.... فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك** ﴾ وقوله ﴿ **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ، وقوله تعالى ﴿ **إن هذا عدو لك ولزوجك ...** ﴾ وهذا يتضمن فيما يتضمن إنكاح الله عز وجل آدم وحواء ، وليس فى تاريخ البشرية مثل هذا الزواج على الاطلاق من حيث نقاء شرعيته ، لأن الله عز وجل هو الذى عقده بنفسه ، وليس أدل على هذا من أنه سبحانه لم يذكر أم البشر باسمها بل بصفتها المبنية على صلتها بآدم ووظيفتها فى حياته وهى الزوجية .

بل إن الصلة بين آدم وحواء قد تحددت بالزوجية حتى قبل خلقها منه عليه السلام قال تعالى ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله**

كان عليكم رقيباً ﴾ « النساء/ ١ » فحواء مخلوقة من آدم كما نصت على هذا الآية ، وهى من ضلع من أضلاعه كما نص على هذا الحديث الصحيح ، وكما جاء فى سورة الأعــــراف **﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليهــــا ...... ﴾** « الاعراف / ١٨٩ » وقال تعالى أيضاً **﴿ خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ..... ﴾** « الزمر / ٦ » **فَجَعْلُ أو خَلْقُ** الزوجة من آدم يفيد أنها ما خلقها الله تعالى منه إلا لكى تكون زوجة له ، فهى الزوجة التى لا تحل لأحد سوى آدم ، ولا يحل لها أحد غيره ، وهو الزوج الذى لا يحل لأمرأة أخرى غير حواء المخلوقة منه ، ذلك أن ما سوى آدم من الرجال محرم عليها ، لأنها الأم الأولى ، وهم جميعاً ابناؤها وذريتها وما سوى حواء من النساءمحرمات على آدم ، لأنهن جميعاً بناته وذريته .

فهل ثمّ فى تاريخ البشرية زواجاً شرعياً أحله الله تعالى نقياً خالصاً لا شبهة فيه مثل هذا الزواج اللهم إلا زواج الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

فهل إذا واقعها فى الجنة أو فى غيرها بعد أن خلقها وجعلها الخالق سبحانه زوجاً له يكون هذا إثماً وكبيرة ؟ .

حاشا لله إن رمى آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام بالخطيئة أو الذنب الصغير أو بالكبيرة إفتراء ومخالف لكتاب الله عز وجل بغير علم ، ولو صح هذا ، لأثِمَ كل الأزواج وهذا باطل باطل باطل ، وما عصى آدم وزوجه ربهما بالمواقعة وما عصى آدم وحواء ربهما سبحانه لما بدت لهما سوآتهما ، وإنما المعصية محصورة فى شئ لا تتعداه وهو الأكل من الشجرة ، وهو الفعل الأول (أ) الذى هو المعصية وهى التى تاب آدم وزوجه بعدها إلى الله تعالى واستغفرا وأنابا ، والله تعالى بكرمه غفر لهما .

فلماذا إذاً أخرجهما الله من الجنة وأهبطهما الأرض بعد أن غفر لهما ؟! هنا مربط الفرس . لأن الخروج من الجنة ليس مترتباً مباشرة على الفعل الثالث (جـ) بل هو مبنى أو نتيجة لازمة للفعل الرابع (د) الذى هو نتجة للفعل الثالث (جـ) لأن

المواقعة الزوجية ليست إثماً وليست ذنباً فكيف يحاسبا أو يعاقبا عليه ، أليس للرجل صدقة لبضعه فى زوجه ، لأنه وضع البضع فى حلال وخشى الله تعالى فلم يضعه فى حرام ؟! فلم إذاً نخطئ ، ونقول أن آدم خرج من الجنة بسبب الأكل من الشجرة ، وقد تاب الله عليه وغفر له ، أو لأنهما تعّريا ، وقد حدث هذا الحدث (ب) رغماً عنهما ولم يكونا راضيّين عنه بدليل ورق الجنة ، فكيف يُطردا من الجنة لفعل وقع عليهما ولم يقع منهما ، أما الفعل الثالث (جـ) فهو مواقعة الزوج زوجه ، وهو حلال يُثاب المرء عليه كما أثبتنا ، ومن ثم يتبقى لدينا فى هذا التحليل الفعل (د) الذى هو الحمل الناتج عن المواقعة ، وهو أيضاً من خلق الله عز وجل ، ولا دخل لهما فيه ، وليس إثماً لأنه مترتب على الفعل الثالث (جـ) الذى ليس إثماً أيضاً ، وهذا الثالث (جـ) مترتب على الثانى (ب) الذى حدث لهما لا إرادياً ، وهو فعل الله فيهما بإخراجهما مما كانا فيه بزوال النعم وأولها نعْمة الكساء ، وهو مترتب على الفعل الأول (أ) وهو الاقتراب من الشجرة والأكل منها . وهو حده المعصية وقدْ تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم .

ففيم إذاً كان الخروج ، من الجنة ؟ وما العلاقة بين الحدث الرابع وبين الخروج من الجنة ؟ أى بتعبير آخر لماذا كان الخروج بعده مباشرة ولم يكن بعد الأول ؟

الحدث الرابع هو الحمل البشرى الأول من هذا اللقاء بين آدم وزوجه ، أى حمل قابيل وتوأمته ، وحيث أن الله تعالى قد شاء أن تكون الجنة داراً للنعيم ، وليست داراً للإبتلاء ، وحيث أن الله تعالى قد شاء أن يكون إنجاب الذرية للإبتلاء ، ومن ثم لا يكون توالد فى الجنة كما هو معلوم من أخبار أهل الجنة ، لأن الجنة لا موت فيها ، والابتلاء الذى هو لازم لتناسل الذرية يقتضى الموت ثم البعث للحساب ، وحيث أن الله تعالى قال لآدم وزوجه ﴿ **إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ « طه/ ١١٩ » فلم يجعل له سبحانه فيما جعل له فى هذه الأربع الذرية والتناسل ، تلك الذرية أو هذا التناسل الذى وعده به إبليس مغرراً لهما ، دون أن يذكر

لهما أن هذا لا يكون إلاّ في عالم الابتلاء الذي يجوز فيه الموت .

ومن ثم إنتهى الأمر بآدم وزوجه إلى الهبوط من الجنة إلى الأرض التى نعيش عليها ، ليس بسبب المعصية ، ولكن لأنها هى التى أعدها الله تعالى للإبتلاء والتناسل والموت إنتظارا فى البرزخ للحساب فمن أحسن أعاده الله إلى الجنة ، ومن أساء أبعده الله تعالى عنها وأدخله جهنم والعياذ بالله .

فالسبب الذى من أجله أهبط الله تعالى آدم وزوجه إلى أرض الابتلاء هو إختيارهما دخول عالم الابتلاء الذى من أول خصائصه التناسل والموت ، ثم البعث ثم الجزاء ، فليس الخروج من الجنة ، والهبوط إلى أرض الابتلاء إذاً عقوبة على معصية الأكل من الشجرة ، وإنما هو – أى الهبوط – الحدث الخامس (هـ) فى سلسلة متتابعة من الأحداث كل سابق منها يستلزم اللاحق بالضرورة ، إستلزام النتيجة من السبب أو المعلول من العلة حسب أمر الله تعالى ومشيئته وسننه فى الابتلاء .

ولتوضيح هذا ولزيادة الإستدلال عليه أقول : إن الله عز وجل قد خلق كل نسمة كائنة من ذرية آدم إبتداءاً من الجيل الأول وإنتهاءاً إلى آخر جيل تقوم عليه الساعة ، خلقهم قبل أن يأمر الملائكة بالسجود له ، فكانوا جميعاً فى ظهره أمثال الذر كما دل على هذا حديث الذر الذى هو تفسير لقوله تعالى ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى** ﴾ أما الدليل على أن الذرية كانت مخلوقة ومصورة ومجموعة فى ظهره فهو قول الله عز وجل ﴿ **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين** ﴾ « الاعراف / ١١ » فقوله تعالى ﴿ **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ يفيد أن الأمر بالسجود كان بعد خلق جميع أفراد البشرية ، وإعطاء كل واحد منهم صورته التى سيكون عليها فى الحياة الدنيا، ولقد كان اسجاد الملائكة لآدم قبل خلق زوجه وقبل المعصية

ومن ثم أقول : إن الله تعالى خيّر آدم وزوجه فى الجنة بين نجديْن لهما أن يختارا

واحداً منهما .

الأول : هو أن يبقى فى الجنة ما شاء له أن يبقى متمتعاً مع زوجه بالنعم الأربع ناجياً من الهم والغم والمرض والموت ولكن العلاقة بينهما كعلاقة الطفولة إذ يظلاً غافلين عن الاعضاء التناسلية ووظيفتها .

الثـانى : هو الحياة فى أرض الابتلاء محروماً من ضمان النعم الاربع إلا بالشقاء والسعى ، وبالتالى لابد من الكد والشقاءللحصول عليها ، ولكن متمتعاً بزوجه مزاولاً للشهوة الحلال ، ثم بذريته التى يحملها فى ظهره . وهذا هو السرالذى علمه إبليس فدلاهما عليه بغرور لإخراجهما من الجنة بإغرائهما بالاختيار الثانى ، هذا هو ما حدث ، بل هذا ما كان حتماً سيحدث ، حتى ولو لم يتطرق إليهما إبليس بالإغراء ، وما كان لإبليس من دور فى إختيار آدم وزوجه النجد الثانى إلا التعجيل فقط ، ولو ترك آدم وزوجه ، فإنه كان ولا بد أن يتحول من الاختيار الأول إلى الاختيار الثانى ، إن لم يكن فى اليوم الأول فسيكون فى الثانى ، وإن لم يكن فى الثانى فسيكون فى الثالث ، وهكـذا ، وبدون وسوسة الشيطان ، لأن الله تعالى خلق آدم خطاء غير معصوم عن الخطأ ، ومن ثم لم يكن من سبيل سوى هذا التحول إلى الإختيار الثانى ، الذى هو إختيار الحياة فى أرض الحياة الدنيا الابتلائية مع التناسل ، إيثاراً على الاختيار الأول الذى هو الحياة فى الجنة بالنعم الأربع المضمونة ، ولكن محروما من مزاولة الزوجية ومن الذرية ، وهذا يفسر لنا كيف أن الله تعالى غفر لآدم قبل أن يهبطه إلى الأرض ، فلم يكن هبوطه عقوبة ، بل كان إختياراً منه ومن زوجه للإستمتاع الجنسى ، وهذا ماعلمه الله سبحانه منهما قبل خلقهما ، فخلق سبحانه الأرض وهيأها لتكون داراً للخلافة الابتلائية وحيث قد علم إبليس أنهما لن يلجا النجد الاختيارى الثانى ، إلا إذا عرفاه وذاقاه ، فى حين أنهما كانا غافلين عنه ، فقد عمد إلى تعريفهما به ، وهو على يقين أنهما سيلجاه ، فوسوس لهما بالأكل من الشجرة لكى يكشف لهما سوآتهما فيحدث الاستمتاع والحمل ، فينتهى بهما الحال إلى الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض،

ليبدأ الصراع الابتلائى بين حزبه ، لعنه الله ، وبين المؤمنين

الرد على الحجة الثانية : عفة الأسلوب القرآنى فى التعبير عن المعاشرة الزوجية :

للرد على الحجة الثانية القائلة بأنه لم يرد فى قصة آدم وزوجه فى الجنة ذكرٌ صريحٌ للمواقعة بينهما ، أقول وبالله تعالى التوفيق والسداد : -

أولاً : لم يرد ذكر المواقعة فى قصة آدم صريحة ، لأن هذا هو الأسلوب القرآنى العفيف فى التعبير عن المواقعة بين الذكر والأنثى ، فلم تذكر المواقعة الجنسية بين الذكر والأنثى فى القرآن الكريم إلا بالاشارة أو الكناية ، مثل قوله تعالى حاكياً مقالة مريم عليها السلام ﴿ **قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر** ﴾ « مريم / ٢٠ » ، ومثل قوله تعالى ﴿ .. **فلما تَغَشَّاها حملت حملاً خفيفاً** .. ﴾ « الاعراف ١٨٩ » ، ومثل قوله تعالى ﴿ ... **أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً** ... ﴾ « النساء / ٤٣ » ، ومثل قوله تعالى ﴿ **فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا** .. ﴾ المجادلة / ٣ » ومثل قوله تعالى ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم** ﴾ « البقرة / ٢٢٣ » ومثل قوله تعالى ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ « البقرة / ١٨٧ » فأين الذكر الصريح للمواقعة بين الذكر والأنثى فى أى نص من هذه النصوص ؟! أليست كلها الكناية أو إيراد مقدمات المواقعة أو بالاشارة ؟! بلى .

ثانياً : جاء بوضوح ذكر المواقعة فى قصة آدم فى قوله تعالى ﴿ **فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى** ﴾ « طه / ١٢١ » فاتبع المعصية التى هى الأكل من الشجرة بالغواية فماذا تكون هذه الغواية ، التى ليست هى المعصية والتى حدثت عقبها ، وهى فعل إرادى لهما ؟ ، ومعلوم من جميع السياقات أن التعرّى ورؤية كل منهما لسوءَة الآخر هو الحدث التالى

مباشرة للأكل من الشجرة وهو ما حدث لهما جبرا ، ولم يحدث منهما إختياراً ، ومن ثم جاءت الغواية إختياراً منهما بإعتبارها نتيجة تالية للتعرى فلا معنى لقوله تعالى (فغوى) بعد (فعصى) إلا المواقعة .

ثالثـــاً : جاءت الإشارة للمواقعة بينهما فى سياق سورة الاعراف ، إذ حذر الله عز وجل بنى آدم من الشيطان – كما حذر منه آدم وزوجه من قبل ومن تعريتهما وكشف سوآتهما ، فحدث ما لا منه بد بينهما ، وكذلك إذا نجح الشيطان فى تعرية الناس ، ذكوراً وإناثاً ، فى أى مجتمع ، فإنه لابد أن تشيع الفاحشة بينهم ، ولذا جاءت الوصية الإلهية لنا نحن ذرية آدم وحواء ، بعد أن ذكر نجاح الشيطان فى تعريتهما بقوله تعالى **﴿ يا بنى آدم لا يفتننكم الشبطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ « الاعراف / ٢٦ / ٢٧ »**

فانظر إلى قوله «كما » التشبيهية فى قوله تعالى **﴿ .... لا يفتننكم الشيطان كما أخـرج أبويكم ... ﴾** ثم تدبّر معى ، بعد هذا البيان ، بأن مكمن الفتنة الشيطانية لهما ولذريتهما فى نزع اللباس ، أى فى الدعوة إلى سفُور المرأة والتبرج والإختلاط أولاً ، ثم الدعوة إلى تعرى الناس ذكوراً وإناثاً وإختلاطهم على الشواطئ وفى النوادى والحفلات والأفلام وغير ذلك ، ولنسأل أنفسنا بعد هذا التدبر :

هل الفتنة كامنة فى مجرد التعرى فحسب ، أم أنها فى الحقيقة فيما يؤدى إليه التعرى بالضرورة من شيوع الفاحشة إلى حد الزنا بالمحارم وفى الأماكن العامة ، كما هو حال أهل الغرب العلمانى المعاصر ؟

الإجابة : بل هى فى شيوع الفاحشة بدليل قوله تعالى فى الآية التالية **﴿ وإذا فعلوا فاحشة .. ﴾** إلى آخر الآية ومن ثم نخلص إلى أن « كما » التشبيهية فى قوله تعالى **﴿ كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما .. ﴾** تفيـد أنه

كما نزع عنهما لباسهما الأمر الذى أدى إلى المواقعة بينهما لأول مرة ، وهما زوجان يحل لهما المواقعة ، فلتحذروا من الشيطان وقبيله الذين يرونكم من حيث لا ترونهم لأنهم سيعملون على نزع لباسكم وكشف عوراتكم لبعضكم البعض ، حتى تحدث بينكم المواقعة فى الحرام ، وتشيع بينكم الفاحشة ، ثم ستزعمون بعد ذلك أن الله تعالى أمركم بها وكتبها عليكم كذباً على الله عز وجل .

وبناء عليه يكون فى هذا التشبيه دليل واضح صريح على حدوث المواقعة ، لأن التحذير فى الحالتين من نزع اللباس ليس لذات نزع اللباس فقط ، وإنما لما يترتب عليه فأسلوب الشيطان فى إيقاع الناس فى الزنا وإغراقهم فى الفاحشة ليس بالدعوة الصريحة الواضحة إليها ، لأنه إذا دعا أحد إلى الزنا أو إشاعة الفاحشة صراحة وبدفعة واحدة فى المجتمع العفيف ، المحجبة نساؤه والذى يغار رجاله على الأعراض ، سيقطع لسانه إن لم تقطع رقبته ، ومن ثم يبدأ التغيّر الاجتماعى من العفة الاجتماعية إلى الإباحية الشهوية خطوة خطوة ، بحيث يغفل الناس عن إدراك العلاقة بين الخطوة الأولى ، التى عادة ما يجد شياطين الجن والانس مبررات يخدعون بها الناس حتى يخطونها ، وبين الخطوة الأخيرة وهى إباحة الزنى ، فتستدرجهم الشياطين إلى أسفل سافلين حتى يصيروا كالأنعام ، بل أضل خلال جيلين أو ثلاثة حتى أنهم مارسوا اليوم الزنا فى الأماكن العامة مجاهرين به فى العلن بعد أن كانوا يرفضونه فى السر .

لقد برر إبليس لأبوينا الخطوة الأولى بأنهما سيكونا من الخالدين ، فإذا بالأحداث تتداعى حتى المواقعة التى كانت هى الأخرى غير متوقعة لهما .

كذلك برر شياطين الانس للأمة الإسلامية الخطوة الأولى وهى مجرد خروج المرأة من بيتها مسفرة بضرورة التعليم والمشاركة فى التنمية ، حتى إنتهى الأمر إلى أن تكون التنمية سياحة تلك التى تجر بالضرورة إلى الدعارة وإنتهت إلى العرى المختلط الذى أشاع الفاحشة وهوّن من خطرها .

وهذا هو أسلوب الشيطان الذى يعتمد فيه الخطوات التدريجية خطوة خطوة فى كل

كبيرة يجر إليها بنى آدم ، إذ أنه لا يأمر بالكبيرة ، وإنما يأمر بما يؤدى إليها ، أى أنه يطلب من الانسان إتيان الفعل «أ» الذى هو مجرد ذنب صغير لكنه يؤدى إلى الفعل « ب » الذى هو ذنب أكبر قليلاً وهكذا حتى الفعل « هـ » الذى هو الكبيرة أو قد يكون الشرك والعياذ بالله ، وقد يتدرج الشيطان مع العابد فى الخطوات من الألف إلى الياء إمعاناً فى الخداع حتى يورده المهالك .

ففى مجال إستدراج الناس إلى شرب الخمر وأكل المحرمات يستخدم أسلوب الخطوة خطوة ومن ثم قال تعالى **﴿ يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾** « البقرة / ١٦٨ » أى فى مجال أنواع الطعام والشراب فاحذروا أن يخدعكم بادخال الخمر ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله فى طعامكم خطوة خطوة .

وفى مجال الحلال والحرام يستدرج الناس خطوة خطوة حتى يقعوا فى الكسب الحرام فيكون طعامه وشرابه ومسكنه وزواجه من مال حرام ، ومن ثم حذرنا ربنا من خطواته فى هذا المجال بقوله **﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾** « الانعام / ١٤٢ » أى مما رزقكم الله حلالاً .

أما فى مجال إغراق المجتمع البشرى فى الفاحشة وهو أخطر المجالات التى يفتن بها الشياطين الناس ، فقد قال تعالى محذراً من خطوات الشيطان التى تبدأ بأمر يسير ، قد تكون النظرة التى هى بريد الزنا ، والخطوة الأولى دعوة لتعليم المرأة والمشاركة فى التنمية والافراج عنها من سجن الحريم ، حسب تعبير جنود الشيطان من الإنس ، ومن ثم حذّرنا الله تعالى من خطواته فى هذا المجال بقوله سبحانه **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاءوالله سميع عليم ﴾** « النور / ٢١ » هذا ما فعله الشيطان بالخطوات المتدرجة مع آدم وزوجه ومع ذريتهما خطوة خطوة .

ومن ثم فإن شيوع الفاحشة فى الذرية الذى هو النتيجة الحتمية لهذه الخطوات يقابلها

حدوث المواقعة بين آدم وزوجه التى هى النتيجة الحتمية للخطوات التى بدأت بالأكل من الشجرة .

رابعاً : قول الله عز وجل عن خلق آدم وزوجه ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾ « النساء / ١ » يحمل إثبات الصلة بين آدم وحواء ، التى خلقت منه ، بعلاقة الزوجية إبتداء ، تلك العلاقة التى تستتبع حسب ما شاء الله تعالى من سنن خلق البشر الحمل والولادة وتكاثر الذرية ، أى الأرحام ، فالإشارة إلى حتمية المواقعة قائمة فى تحديد صلة آدم وحواء وقصرها على الزوجية المُنتجة للذرية ثم إسكانهما الجنة زوجيْن أيضاً ﴿ **اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ وفى هذا إثبات الصلة لهما فى الجنة ، ولا معنى لهذه الصلة إلاّ بحدوث المواقعة والنسل ، كما هو معلوم ، إذ هما - أى المواقعة والنسل - جوهر وحقيقة علاقة الزوجية ومن ثم فتحديد العلاقة بينهما بالزوجية هو إثبات لوقوع جوهرها ، فالمواقعة حلال مسموح بها لهما فى غير الجنة ، أى فى الأرض ، فإذا حدثت منهما فى الجنة فسيكون هذا هو المُخرج لهما منها ، وحيث قد تعلق هذا على النظر إلى سوآتهما فقد عمل الشيطان على تعريتهما ، ومن ثم تمّ بينهما جوهر العلاقة الزوجية الحلال ولكن فى غير الموضع المخصص فى ملك الله تعالى لهذا الفعل ، ألا وهو الأرض الابتلائية ، ومن ثم هبطوا إليها .

- الإدلة علي حدوث الحمل في الجنة : -

ولكن هبوطهما إليها لم يكن ثنائياً ، وإن كان الأمر قد صدر إليهما خطاباً للمثنى (اهبطا) ولكن الهبوط حدث جماعياً أى أكثر من إثنين : ثلاثة أو أكثر .

فهل كانت البشرية عند الهبوط أكثر من إثنين حقاً ؟

ومن أين يتحول الاثنان إلى جماعة إلا بالحمل والولادة ، أو على الأقل بالحمل فقط . ؟

تلك إذاً دعوى أسوقها تقول : إن حمل الجيل الأول من البشرية قد تم فى الجنة ، وتلك لعمرى مسألة خطيرة لها ما بعدها فى تاريخ البشرية كله من أوله إلى آخره .

وكأنى بمعترض يقول : لئن يكون قد ترجح ، أو حتى قد ثبت ، أن المواقعة بين آدم وزوجه قد حدثت فى الجنة ، فإنه لا يثبت بالضرورة حدوث حمل الجيل الأول فيها ، إلا أن يأتى الدليل النقلى من الوحى على هذا الحمل ، لأن الحمل من المواقعة أمر إحتمالى ، وخاصة إذا كانت المواقعة بين الزوجين مرة واحدة ويدل على أنها لم تتكرر لقوله تعالى ﴿ **فلما ذاقا الشجرة ..** ﴾ والتذوق ليس أكلا .

فأقول رداً على القول : نعم لابد من الدليل ، وأن يكون قرآنياً أيضاً .

أما من القرآن الكريم فهذا ما يكن إستنباطه بوضوح من قصة آدم فبعد معصية إبليس سأله الله تعالى ﴿ **قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ « الاعراف / ١٢ » فصرّح إبليس بإصراره عليها فجاءه حكم الله تعالى ﴿ **قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾ « الاعراف / ١٣ » فالأمر بالهبوط لابليس جاء إليه خاصاً به ، ومقروناً بالتحقير والتصغير ﴿ **فاخرج إنك من الصاغرين** ﴾ أى أنه هبط وخرج مغضوباً عليه ملعوناً محكوماً عليه بالصغار .

وفى تفسير هذا السياق فى سورة الاعراف بعد أن أغرى إبليس آدم وزوجه فعصيا بالأكل من الشجرة وحدث ما بعد المعصية ، أمرهما الله تعالى بالهبوط بصيغة الجمع بعد الاستغفار والتوبة ﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ « الاعراف / ٢٣ » (قالا) دعاء بصيغة المثنى من آدم وزوجه لله عز وجل وإستغفار وتوبة إليه ، فكان الرد الإلهى عليهما وهما اثنان ﴿ **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تُخرجون** ﴾ « الاعراف / ٢٤ - ٢٥ » والسؤال هنا عن الخطاب الإلهى والأمر الإلهى بالهبوط لآدم وزوجه بصيغة الجمع وهما إثنان ، ولا يجوز الرد على هذا بأن

الأمر بالهبوط شمل إبليس معهما ، لأن ابليس صدر له أمر خاص مقروناً بالتصغير .

أما آدم وزوجه فجاءهما الأمر بالهبوط بعد الاستغفار وبعد أن تاب الله تعالى عليهما ، ثم عقب هذا جاء إخبارهما بأنهما ، وكل الذرية التى ستخرج منهما ، سيحيون فى الأرض ويموتون فيها ويبعثون منها ، ومن ثم لا مناص من القول بأن آدم وزوجه كانا جماعة تزيد على إثنين بما حملت زوجه فى أحشائها يؤكد هذا سياق هذه القصة فى سورة طه قال تعالى ﴿ **فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال إهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى** ﴾ « طه / ١٢١ - ١٢٣ / طه » فنزولهما بعد التوبة والهداية يستبعد نزول إبليس معهما كما يستبعد صدور الأمر معهما ، ومن ثم قال ﴿ **اهبطا** ﴾ بالمثنى ثم قال ﴿ **جميعاً** ﴾ ، وهذا هو مربط الفرس إذ أثبت سبحانه أنهما جماعة فى نفس الوقت الذى خاطبهما بالمثنى ، ومقتضى اللغة : « اهبطا منها كلاكما » إذا كان المراد التأكيد أما الجمع فى العربية فهو ثلاثة فأكثر ، وهذا ما يدل عليه لفظ (جميعاً) .

وتفسير هذا : أن الخطاب والأمر بالهبوط صدر لآدم وزوجه فقط فقال (اهبطا) ولكن الهبوط الفعلى سيكون لهما وللحمل الذى فى أحشائها فجاءت كلمة ﴿ **جميعاً** ﴾ تثبت هذا الحمل . وقوله ﴿ **بعضكم لبعض عدو** ﴾ أى أن بعض بنى آدم عدو للبعض الآخر منهم ، فسيكونون أعداء متصارعين متحاربين يقتلون بعضهم بعضاً ، هذا قول ، أما القول الثانى فهو أن ما فى رحم حواء سيكون عدو لهما ولذريتهما ، وهو فيما أرى القول الأرجح لدىّ ، وليس المعنى كما يفسره بعض المفسرين هو أن العداء سيكون بين الآدميين والإبليسيين الجنيين ، لأن عداء إبليس لهما وبالتالى عداءه وذريته لذريتهما أمر ثابت منذ أن أبى السجود إستكباراً وقد أخبرهما الله بهذا ﴿ **فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** ﴾ « طه / ١١٧ » وفى قوله تعالى أيضاً لهما بعد المعصية ﴿ **وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن**

الشيطان لكما عدو مبين ﴾ « الاعراف / ٢٢ » فالعداء الإبليسى لآدم معلن منذ أن أسكن الله تعالى آدم وزوجه الجنة ، أما ذكر العداء عند الخروج من الجنة والهبوط إلى الأرض ففى سورة طه ﴿ **قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ « طه / ١٢٣ - ١٢٤ » وهنا أيضاً الخطاب تحوّل من المثنى فى قوله ﴿ **إهبطا** ﴾ إلى الجمع فى قوله ﴿ **بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى** ﴾ فالبعض والبعض جمع والهدى المنزل منزل على جمع ﴿ **يأتينكم** ﴾ لأن الأمر بالهبوط كان لآدم وزوجه والعداء سيكون بين الذرية ، والهدى من الله تعالى سينزل على ذرية آدم ، وليس على الجن لذا جاء الخطاب للجمع، ومعلوم أن الرسالة والكتب تنزل على الإنس ولا تنزل على الجن .

أما خبر الهبوط من الجنة فى سورة البقرة فقد جاء مرتين بينهما خبر توبة آدم وزوجه عليهما السلام قال تعالى ﴿ **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ، قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ « البقرة / ٣٦ / ٣٩ » فى الآية الأولى من هذا السياق يعود الضمير فى قوله ﴿ **اهبطوا** ﴾ على المسبوق ذكرهم فى نفس الآية وهم : الشيطان وآدم وحواء ، وذكرهم أصرح فى الآية السابقة عليها وهى قوله تعالى ﴿ **وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾ « البقرة / ٣٥ » أما الآية التى بعدها فجاء ذكر الشيْطان فى قوله ﴿ **فأزلهما الشيطان عنها** ﴾ وذكرهما بضمير المثنى ، وعلى هذا فالأمر الإلهى فى هذه الآية ﴿ **وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾ « البقرة / ٣٦ » الفاعل هو واو الجماعة فى فعل الأمر ﴿ **اهبطوا** ﴾ وهو ضمير

عائد على آدم وزوجه والشيطان الذى أزلهما عنها .

وكذلك يكون الإخبار بالاستقرار والمتاع إلى حين فى الأرض لأبليس والجن ومن تبعه من الشياطين ، وكذلك لآدم وزوجه وذريتهما أيضاً ، لكن ، وأرجو الانتباه مما يلى بعد « لكن » ، فى قوله تعالى ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى ﴾ إلى آخر الآية ، نجد الضمير الفاعل فى فعل الأمر ﴿ اهبطوا ﴾ لا يعود على العائد عليهم نفس الضمير فى نفس فعل الأمر فى الآية السابقة ، أى أنه ليس عائداً على آدم وزوجه وإبليس ، لأن القاعدة هى عودة الضمير على أقرب مذكور سابق ، وفى هذا الأمر الثانى بالهبوط جاء بعد قوله تعالى ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ « البقرة / ٣٧ » وليس لإبليس هنا موضعاً للذكر بل فى مقام توبة آدم وزوجه واستغفارهما لابد أن يختفى ذكره ويغيب أثره عليه لعنة الله ولهذا ، والله تعالى أعلم ، أقول إن الأمر بالهبوط فى الآية السادسة والثلاثين من السياق غير الأمر بالهبوط فى الآية الثامنة والثلاثين من السياق ، لأن الأولى موجهة إلى آدم وحواء ، وإبليس ، والثانية موجهة إلى آدم وحواء بعد التوبة فقط ، ويؤكد هذا أنه جاء بعد التوبة ، ثم الإخبار بأنه سيأتيهم من الله عز وجل هدى ، أى كتباً منزلة على رسل من البشر ، وهذا ليس للجن فيه نصيب إذ الجن مكلفون بما ينزل على رسل البشر ، وبالتالى لا بد أن يكون هذا الأمر بالهبوط الملحق معه الإخبار بنزول الهدى على المخاطبين موجهاً إلى جمع ليس منهم إبليس ، وحيث أن الأمر بالهبوط كان لآدم وزوجه فقط ، فليس ثمّ تفسير لكونه بصيغة الجماعة إلا إذا اعتبرنا المواقعة بين الزوجين فى الجنة قد أنتجت حملاً .

وهذا التأويل يزيل ما قد يتبادر إلى الذهن من وجود تكرار فى السياق بين الأمر بالهبوط فى الآية السادسة والثلاثين والأمر فى الآية الثامنة والثلاثين ، وحاشا لله تعالى أن يكون فى كتابه تكرار بلا معنى أو بلا إضافة جديدة أو بلا سبب كتحول فى الخطاب أو تغير فى مسار السياق أو غير ذلك ، وهذا التشابه بين ألفاظ الأمرين بالهبوط فى هاتين الآيتين مثال لهذا الذى نقول .

والخلاصة أن الدليل اللغوى آنف الذكر لا يثبت حدوث الحمل فى الجنة فقط ، بل إنه يصلح أيضاً لاثبات حدوث الولادة فيها .

أورد الحافظ بن كثير في تفسيره ما رواه بهذا الصدد (محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : أن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هابيل ، وأمر هابيل أن ينكح أخته توأمة قابيل فسلم لذلك هابيل ورضى ، وأبى ذلك قابيل وكره تكرماً عن أخت هابيل ، ورغب باختته عن هابيل وقال : نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض وأنا أحق بأختي ، ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس فضنّ بها على أخيه وأرادها لنفسه والله أعلم) (١)

هذه الرواية تثبت صلة بين قابيل وتوأمه وبين الجنة ، ويدل على صحتها ما سقناه من الأدلة القرآنية بحسب قواعد العربية وأهمها إثبات الهبوط وللجمع مع كون الاستغفار والتوبة والأمر بالهبوط للمثنى مرة وللجمع مرة أخرى ، وبالرغم من تخصيص أمرا بالهبوط لأبليس بصفة المفرد مقروناً بالتصـــغير يخرجه من أمر الهبوط لآدم وزوجه بعد التوبة .

وسواء ولد قابيل وتوأمه فى الجنة أم فى الأرض فعلى الأقل قد ثبت الحمل بهما فى الجنة وهذا هو الذى يفسر لنا ادعاء بعض الحكام أو الكهنة أو غيرهم أنهم هابطون من السماء .

أو أنهم يتميزون عن سائر البشر بأنهم أبناء السماء ، كما كان يزعم الفراعنة ، وكما يعتقد اليابانيون في الأمبراطور الذى امتدّ حكم أسرته قرابة ثلاثة الاف عام ، إذ يسجدون له مصدقين أنه هابط من السماء على غير تفسيرهم لأصل سائر البشر .

وقول قابيل لأخيه هابيل أنه أحق بتوأمته منه لأنهما من حمل الجنة وهما من حمل الأرض أو لأنهـما من ولادة الجنة وليسا من ولادة الأرض مثلهـما إنما هو إستكبار وإستعلاء بهذا العهد السماوى فى أصل وجودهما . وهو إستكبار له ما بعده كإستكبار إبليس ، إذ هو الذى أوصله إلى أن يصبح من الخاسرين فى الآخرة بقتل أخيه والزنى

---

١ - « تفسير ابن كثير / مجد ٢ / ص ٤٢ »

بتوأمته ، ولهذا أيضاً ما بعده كما سنرى بعد بإذن الله تعالى .

وهكذا كما ابتلى الله تعالى إبليس بتفضيل آدم عليه السلام عليه فكشف ما فى نفسه من كفر ، ابتلى الله تعالى قابيل بأخته وأخيه فكشف ما بنفسه ، ومن ثم تحول مثل إبليس من حزب الله إلى حزب الشيطان بل إلى زعيم هذا الحزب مبرراً جريمته بأنه خير كما فعل إبليس تماماً .

الفصل السادس

القيادة المنظرة المستمرة لحزب الشيطان

التفسير الاعتقادي لوجود قيادة الشر المستمرة مدى الحياة الدنيا : -

فالأصل الوجودى للقيادة الشيطانية الدائمة المستمرة متمثل فى مشيئة الله تعالى بإبتلاء الإنس والجن ، هذا الابتلاء الذى لا يتحقق إلا بالاختيار بين النجدين ، أى بين الإيمان والكفر ، وبين التوحيد والشرك والطاعة والمعصية والخير والشر ، فلما فسق إبليس عن أمر ربه ، وصار أول الخاسرين فى الإبتلاء ، طلب من الله عز وجل بعض الإمكانات والوسائل التى يستطيع بها غواية الثقلين المبتلّين من الآدميّين والجنيّين والتغرير بهم حتى يفتن الغاوى منهم فى مقابل غوايته وفتنته بآدم ، إذ أمره الله عزوجل بالسجود وتكريمه عليه ، فأعطاه الله تعالى ما يوسوس به وما يزين به الشر للناس وما يتمكن به من دعوتهم إلى ضلالاته وندائهم للدخول فى نجده الشرير ذى السبل الضالة المتعددة .

أى أذن الله تعالى له فى الدعوة والوسوسة والتزيين ، ولم يأذن له بالالزام والاجبار والقهر ، لأن هذا يخالف سنن الابتلاء ويسقط ميزان التعادلية اللازم للإختيار ، هذا الميزان الذى نال بمتقضاه إبليس امكانات الدعوة للضلال مع النظرة إلى يوم الوقت المعلوم ، فصار قائدا مستمراً لحزب الشيطان خلال أجل البشرية كله ، لكن ليس له ولجنوده وحزبه سلطان على الإنسان قبل أن يستجيب له ، أما إذا استجاب له وسلك سبله وسار على نهجه واطاعه بإرادته فيكون هذا الضال عن الصراط المستقيم هو الذى جعل للشيطان عليه سلطاناً وصار من إتبعه فاسقاً وإستحوذ عليه الشيطان واتخذه جندياً وعضواً فى حزبه .

ونظر إبليس فوجد أن الله الحى الدائم القيوم هو عز وجل الذى يقود حزبه فى الصراع مستخلفاً بين الناس الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم يبلغون وينفذون ويعلمون بأمر الله تعالى فهم صلى الله عليهم وسلم خلفاء الله سبحانه وتعالى فى قيادة حزبه خلال الصراع التاريخى المستمر . فتطاول إبليس بعد فسقه وبعد أن أذن الله تعالى له بغواية بنى آدم فى مقابل غوايته هو بآدم ، فطلب النّظِرة من الله عز وجل إلى يوم

البعث ، حتى تكون قيادته للغواية والإضلال مستمرة دائمة طيلة هذا الأجل ، وقد أذن الله تعالى له ، لأن هذا متوافق مع الحكمة التى من أجلها شاء الله تعالى خلق السماوات والأرض والثقلْين : الإنس والجن ، ولكن ليس إلى يوم يبعثون كما طلب ، وإما إلى يوم الوقت الذى ينتهى فيه ناموس الإبتلاء وتتوقف فيه سننه ، إذ الإمهال أو النظرة مرتبطة بحقيقة الإبتلاء ، ومن ثم فتوقفها وإنتهاء أجلها إنتهاء للنظرة . وهو بالتحديد يوم خروج الشمس من مغربها وإغلاق باب التوبة .

تتأكد لنا هذه الحقيقة الأساسية من حقائق الصراع التاريخى بين حزب الله وحزب الشيطان بما قاله إبليس لله عز وجل بعد طرده من رحمته ، فماذا قال ؟ ﴿ **قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتِيَنَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمَانهمْ وعن شمائلهمْ ولا تجدُ أكثَرَهمْ شاكرين ، قال أخرج منها مذءوماً مدحوراً لَمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** ﴾ « الاعراف / ١٦ - ١٧ »

فما معنى قوله ﴿ **فبما أغويتنى** ﴾ كأنها ، والله تعالى أعلم ، فكما أغويتنى ، أو فبحكم ما أغويتنى ، أو بحسب سنتك ومشيئتك فى الإبتلاء التى بمقتضاها ابتليتنى بآدم ، ابتليه واغويه بى .

فما هو مضمون الغواية التى أغوى الله تعالى بها إبليس ، وكيف أغواه ؟ إن الغواية مزيج من الإغراء والإضلال والاستدراج للتحيص وكشف ما هو خفى مضمر فى نفس الكائن المبتلى . ولقد أغوى الله تعالى بهذا المعنى كله إبليس ، حتى إستخرج ما هو مضمر مخفى باطنى فى نفسه من خَبَث ، فصار هذا الخبث الباطنى المخفى فى قلب إبليس بعد إستخراجه ظاهراً متمثلاً فى قوله وفعله .

فماذا كان فى باطن إبليس ، أو ما الذى كان يخفيه هذا اللعين فى نفسه ، فأظهره الله تعالى بالإغواء الإبتلائى التّمحيصى ، لما أمره بالسجود لآدم عليه السلام ؟

لقد كان إبليس عابداً لله تعالى فى صفوف الملائكة ، مجتهداً فى العبادة ، متفوقاً

عليهم فى هذا المضمار كما دلت على هذا أقوال المفسرين ، وذلك بالرغم من أنه ليس ملاكاً لأنه من الجن ، ومعلوم أن الله عز وجل خلق الملائكة من نور العرش ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق الإنسان من الطين ، بعد أن تحول إلى صلصال كالفخار ، وورد أن إبليس كان يدور حوله ويدخل جوفه قبل أن ينفخ الله فيه من روحه .

وعلى هذا وردت أقوال فى تعليل وجود إبليس وهو من الجن فى الأصل مع الملائكة حين أمرها الله تعالى بالسجود لآدم ، ولا يهمنا أحداث إنتقاله من الأرض إلى عالم الملائكة ، أو من مجتمع الجن ، أينما كان ، إلى الملأ الأعلى ، أينما كان أيضاً ، والذى هو فى السماء حسب النصوص القرآنية والحديثية ، ولكن الثابت وهو الذى يهمنا ، أنه كان مع الملائكة رغم كونه جنّياً فى الأصل قال تعالى ﴿ **وإذا قلنا للملائكة إسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً** ﴾ « الكهف / ٥٠ » فقوله تعالى : ﴿ **للملائكة** ﴾ لأن الجمع كله من الملائكة وكان هو معهم عابداً لله تعالى مثلهم ، ومن ثم صار من البديهى أن يكون الأمر الصادر إليهم صادراً إليه هو أيضاً ، فلما لم يستجب ولم يسجد ، وسأله الله عن السبب الذى منعه من السجود لآدم ﴿ **قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين** ﴾ « ص / ٧٥ »

حَدَّدَ إبليس السبب بوضوح إذ ﴿ **قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ « ص / ٧٦ » وفى سورة الأعراف ﴿ **قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك ؟ قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ « الاعراف / ١٢ » وتفسير ﴿ **ما منعك ألاّ تسجد** ﴾ أى ما منعك حتى لا تسجد ، وفى سورة الحجر ﴿ **لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون** ﴾ « الحجر / ٢٣ » وفى سورة الاسراء ﴿ ..... **قال أأسجدُ لمن خلقتَ طيناً** ﴾ « الاسراء / ٦١ » ومن ثم فقد أقر أبليس أن الذى منعه

عن السجود هو الكبر والاستعلاء ، ورفض الاقرار لآدم بالأفضلية والتكريم ، فالسبب نابع من ذاته المتمردة حيث تتضمن الاجابة في جميع المواضع إقراراً صريحاً واضحاً على إستكباره وإستعلائه بالذات الجنية النارية الأصل على الذات الأنسية الطينية الأصل، والاستعلاء أو الإستكبار حالة نفسية نابعة من باطن المستكبر وخارجة من قلبه ولها ما يصدقها ويظهرها من السلوك والأعمال بالجوارح والتصريح باللسان .

وهذا ما أثبته الله عز وجل عليه فى كتابه فى أكثر من موضع ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ « البقرة / ٣٤ » فقوله تعالى ﴿ أبى واستكبر ﴾ أى رفض مستكبراً فالعلة هي الإستكبار . ، وأما إستكباره واستعلاؤه على آدم بقياس أصله هو النارى على أصل آدم الطينى ، فهو تبرير لا معنى له ، لأن خالقه وخالق كل شئ ومالكه ومالك كل شئ ، وربه ورب كل شئ هو الذى أمره بالسجود وهو الذى كرم آدم الطينى عليه وعلى الملائكة النورانييّن ، وهذا التبرير من إبليس ليس تبريراً للمعصية بالإستكبار الذى هو العلة الحقيقية والدافع الذاتى للمعصية . هذا الدافع لم يحدث فى نفسه بعد الأمر بالسجود ، بل كان فى نفسه كامناً خفياً قبل خلق آدم عليه السلام .

الكفر الباطني الخفي الذي كان عليه إبليس قبل المعصية : –

ولبيان هذا أقول : إن إبليس لما إنتقل من الأرض إلى السماء أو بتعبير دقيق صحيح لما انتقل من عالم الجن إلى عالم الملائكة الذين لا يتنافسون إلا فى طاعة الله عز وجل وعبادته وتقديسه وتسبيحه وتوقيره وتعظيمه . نزعت نفسه للعلو بجنّيته على ملائكيتهم ، وتحرك باطنه لإثبات ذاتيته تعصّباً لجنسه متطلعاً ومتطاولاً إلى خيرية ذاته الجنية على الذات الملائكية ، وأفضليته هو عليهم ، فكيف يتحقق له ما نزعت له نفسه ، هذا الذى أصبح هدفه الذى ملك عليه نفسه ؟ لم يجد أمامه مجالاً ينافس الملائكة فيما هم فيه ليتفوّق عليهم إلا عبادة الله وتسبيحه وتقديسه ، لأن الملائكة لا شغل ولا شاغل ولا هم ولا مطلب لها إلا عبادة الله تعالى وطاعته ، فلم يكن أمام إبليس من مجال ينافس

الملائكة فيه ليثبت أفضليته عليهم إلا مجال عبادة الله عز وجل ، ولم يكن أمامه من سبيل يسلكه ليسبق الملائكة وليتميز بينهم سوى هذا السبيل ، ومن ثم عبد إبليس الله تعالى واجتهد أيما اجتهاد في عبادة الله عز وجل ومعرفته وتقديسه وتسبيحه : ركوعاً وسجوداً وصلاة وتضرعاً ، ليس إيماناً منه باستحقاق الله عز وجل لهذا كله أى ليس إقراراً منه بالألوهية لله عز وجل ، وليس إيماناً منه بعبوديته هو ككل مخلوق لله عز وجل ، أى لم يكن أيضاً إقراراً لله عز وجل بالربوبية . فلم تكن عبادته ولا اجتهاده فى العبادة الذى تفوق فيها على كثير من الملائكة ابتغاء وجه ربه الأعلى طلباً لمرضاته ، وإنما كان كل عمله وكل قوله وكل تفكيره وخطرات نفسه لكى يتفوق على الملائكة ويثبت إنّيّته ، ويؤكد ذاته ، فكانت أفعاله وعبادته لذاته هو ، وليست لله سبحانه وتعالى ، والأعمال بالنيات ولكل عامل ما نوى .

وعلم الله تعالى منه هذا سبحانه الذى يعلم السر وأخفى ، ولا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ظاهراً فى سلوك الأحياء وأقوالهم ، أو باطناً فى قلوبهم ودوافعهم ونيّاتهم وخواطرهم وسوانحهم ، فلقد كان مع الملائكة كاذباً منافقاً ، لأنه بأعماله وأقواله كأنه يقول لهم ، أنا أكثر منكم عبادة لله تعالى فأنا أكثر منكم إيماناً به ، ولما كانت عناصر الإيمان بالله عز وجل هى حبُّ الله عز وجل حباً أشدَّ من حب المؤمن لنفسه ورجاؤه فيه وحده دون غيره سبحانه ، وخشيته أشد من خشية غيره عز وجل ، فإنه لا معنى للمنافسة فى عبادة الله تعالى بنية إثبات أفضلية العابد على غيره من العابدين المتنافسين معه فى العبادة ، لا معنى لها إلا عبادة ذاته هو ، فلسان حال هذا المتنافس المتفوق على غيره فى العبادة ، بهذه النية يقول : أنا أشد حباً لله وأعظم رجاءاً فى رحمته وأشد خشية لله من الذين تفوقت عليهم فى العبادة ، وحيث أن هذا ظاهر حاله ، فى حين أن باطن نفسه ليس كذلك ، بل يقول : لقد تفوقت على الملائكة فى العبادة والتسبيح والتقديس لله فأنا الأفضل والجنية بالتالى أفضل من الملائكية ، ومن ثم فقد كان منافقاً إذاً حين كان عابداً مع الملائكة ، وحيث أن حقيقة النفاق هى حقيقة

الكفر إلاّ أن المنافق يغطى كفره الباطنى بسلوك المؤمنين الظاهرى ، فإن إبليس كان وهو متفوق على الملائكة فى العبادة كافراً ، كان عابداً بظاهره كافراً بباطنه ، إذ لم يكن ينطوى باطنه إلا على الإستكبار والاستعلاء بإنّيته الفردية ، وبجنسه الذى ينتمى إليه أى بالجنّية ، وهذا إيمان منه بذاته وتعصب منه لجنسه وهو شرك وكفر بالله عز وجل .

فالكفر لم يطرأ على نفسه مع المعصية وبسببها بل كانت ذاته المستكبرة المستعلية هى النازعة للفسوق أو الخروج عن مقتضيات خضوع العبودية وإذعان المستسلمين لله عز وجل وهم الملائكة ، إلا أن هذا لم يظهر فى سلوكه ، لأن مجال المنافسة لم يكن يسمح إلا بالاجتهاد فى تسبيح الله تعالى وتقديسه وعبادته ، كما ذكرنا هذا ووضحناه من قبل ، وعَلِمَ الله تعالى بكفره الباطنى ، فأغواه وأستدرجه وابتلاه بآدم ، فخلقه من طين ، الأمر الذى جعل إبليس بادئ الأمر يظن أن هذا المخلوق الجديد لن يكون أفضل منه لأن الطين أقل فى درجات الأفضلية من النار التى خلق الله تعالى منها إبليس ، فلما واجه إبليس الابتلاء التمحيصى لباطنه الكاشف لما فى قلبه ، الفاضح لما يخفيه ويضمره فى نفسه ، خسر فى الابتلاء ، لأن الدافع الذى كان يدفعه لكى يعبد الله تعالى هو الاستكبار والاستعلاء وإثبات أفضليته على غيره مزكياً ذاته على ما سواه ، فلما سلبه الله تعالى هذه الأفضلية مصطفياً لها آدم جاعلاً إياه له خليفة ، آمراً الملائكة وإبليس بالسجود له إقراراً بالخلافة وإعترافاً له بالأفضلية ، إصطدم هذا التفضيل الالهى لآدم على إبليس بدافع الاستكبار عنده ، فغلبت عليه نفسه وهواه وتشبثه بالأفضلية وإختار المعصية السلوكية ، ولكن بدافع الاستكبار السابق عنده ، فهو لم يكفر بالمعصية ، وإنما عصى بما انطوى عليه قلبه من إستكبار وكفر سابق ، أى أنه عصى لأنه كان كافراً ولم يكفر لأنه عصى ، قال تعالى ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ « البقرة / ٣٧ » فتأمل قوله تعالى﴿ **وكان من الكافرين** ﴾ فهو إذن لم يكن من المؤمنين ، والكفر حقيقة باطنة قلبية تنطوى النفس عليها مثل الإيمان إذ لا تدخل النفس إلا بخروج الإيمان ، ففيم إذاً كانت عبادة إبليس

التى يرّ بها الملائكة ، وتفوق بها عليهم ؟! ولِمنْ كانت تلك العبادة موجهة ؟ لقد كانت دوافعه الباطنية السلوكية موجهة نحو ذاته هو ، كانت دوافع الاستكبار للأنا الابليسية المتمردة على العبودية ومقتضياتها فلما صارت الطاعة لله عز وجل وعبادته سبحانه متعارضة مع هذا الاستكبار والكبر النفسى القلبى عصى ، ولما صار التفاضل والتميز والتفوق يتحقق بالمعصية وبترك العبادة وبرفض السجود لآدم رفض أن يسجد ، ودل هذا على أنه كان من الكافرين ، فكان كفره علة لمعصيته ، ولم تكن معصيته علة لكفره ، وإذا كانت المعصية السلوكية نابعة من ذات كافرة وتعبيراً عن الكفر الباطنى ، إمتنع هذا العاصى عن الرجوع والتوبة ، ودفعه كفر الباطن للإصرار على المعصية تحقيقاً لتميزه وإستكباره ، وهذا هو ما كان من إبليس وشيعته ، والذين على ملته من المستكبرين من الإنس والجن إلى يوم القيامة ، لأن المعصية السلوكية فرع من الكفر القلبى الباطنى ، ومثل هذا الكافر لا ينزع للتوبة عن المعصية تلك المعصية التى هى فرع عن الكفر مع إصراره على الكفر الذى هو أصل لها . ومعصية إبليس نابعة من كفره أو بتعبير أدق من نفاقه القلبى الباطنى الذى كان يخفيه ، فابتلاه الله عز وجل الابتلاء التمحيصى الذى جعله يعلن ما فى باطنه من كفر فى سلوكه المتمثل فى رفض السجود لآدم ، ثم يُصرّ عليه مع الاقرار باستكباره وكفره .

تلك هى الأنا الأبليسية المتمردة على متقضيات العبودية ، والتى باطنها أسفل طبقات الرجس وأضل أنواع الكفر ، وهو النزوع نحو التمايز على عباد الله تعالى ، هذا الذى ليس شيئاً سوى الكبر الذى لا يدخل صاحبه الجنة ، ولو كان قلبه لا يحتوى إلا على مقدار حبة خردل منه ، لماذا ؟ لأن مقدار حبة خردل من الكبر نزوع عن مستوى العبودية وخروج عن مقتضيات المخلوقية وفسوق عن حدود الفطرة السوية وهذا كله تطاول نحو الألوهية وسواء قل مقدار هذا التطاول أم كثر فهو كبر فى صدور أهله رغبة فى التأله ما هم ببالغيه . قال تعالى ﴿ **إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان آتاهم إن فى صدورهم إلاّ كِبْرٌ ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير**

خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ « غافر / ٥٦ – ٥٧ » فجدال الكفار فى آيات الله تعالى البيّنات من قبيل جدال إبليس فى أمر الله له بالسجود لآدم وما منعه ومنعهم من التزام أمره سبحانه إلا كبر فى صدورهم نفوراً من العبودية ورغبة في التميز والتسلط والتأله وما هم ببالغين هذا الهدف ، لأنهم ليسوا إلا عبيداً . وذلك لأن الذى يستنكف عن أن يكون عبداً لله يزعم أنه إله ، كما زعم النصارى أن المسيح بن مريم ليس عبداً ، ومن ثم زعموا ألوهيته ، لما قالوا ببنّوته لله عز وجل ، فجاء الرد عليهم **﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين إستنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾** « النساء / ١٧٢ – ١٧٣ » فقرن سبحانه بين الاستنكاف عن عبادته وبين الكبر فى الصدور وبكّتهم بأنّ خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس فكيف يتطاول ذو الحجم الضئيل الذى لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً نحو التأله ؟! وكيف يسمح لنفسه الخبيثة أن تشرئب إلى مقام الألوهية الذى هو للخالق وحده ، رغم أنه مخلوق ضعيف ضئيل ؟!

– الاستكبار عن عبادة الله تعالي وعبادة الأنا هو أصل الشر في الكون : –

والأعجب من هذا كله . أن تكون الأنا الإبليسية التى تعبد ذاتها عابدة متألهة فى آن واحد ، وأصل هذا الكفر هو الإستكبار الذى منشؤه تزكية العابد لنفسه ، وهذه التزكية هى بذرة الشرك عند المشرك قال تعالى **﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد إفترى إثماً عظيماً ، ألم تر إلى الذين يُزَكّونَ أنفسهم بل الله يُزكّي من يشاءولا يُظْلَمُونَ فَتيلا ، انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً ألم تر إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت**

والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ « النساء / ٤٨ – ٥٢ » فتأمل الصلة بين وعيده سبحانه بعدم المغفرة للمشرك وبين التنبيه ولفت النظر إلى الذين يزكّون أنفسهم لتعلم أن تزكية المخلوق نفسه هي بذرة الشرك ثم عودة النص إلى الذين كفروا من بني إسرائيل وأهل الكتاب الذين يؤمنون بالجبت والطاغوت ويشهدون الزور ، إذ يقولون أن مشركي العرب عبدة الأوثان أهدى من المسلمين الموحدين . أما إيمانهم بالجبت والطاغوت فهو إيمانهم بالسحر الذي هو وسيلة الاتصال بإبليس وعالم الشياطين ومملكة الشيطان وكل ما يدور في محوره ويؤدي إلى نصرته وازدهار مملكته الشريرة . هذا النصر والازدهار الذي لا يتم إلاّ على حساب حزب الله تعالى والخلافة الإسلامية وضعفها وهزيمتها إلى الحد الذي يحاول حزب الشيطان في عصرنا هذا محوها من الأرض .

إن خلفاء الشيطان وأعوانه وأتباعه ليسوا من الكافرين بالضرورة ، بل منهم من ينتمي إلى حزب الله ويعيش بينهم وينافسهم في عبادة الله تعالى وفي الجهاد وفي إظهار الحرص والاخلاص لنصرة الله وحزبه ودينه بينما هو أمثاله يعملون ما يعملون إثباتاً لذواتهم وإعلاءاً للأنا الإبليسية التي تسكن قلوبهم ، إنهم أتباع إبليس وعلى نهجه في مرحلته الملائكية وأمثال هؤلاء لا بد أن يكشفهم الله تعالى ويفضح نيّاتهم الخبيثة لأنهم ، لا يعبدون إلا أنفسهم .

وهم جميعاً – سواء علموا أم لم يعلموا – مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية ، بالرغم من أن عبادتهم أفضل وصلاتهم أكثر خشوعاً لمن يرى، وقراءتهم للقرآن متميزة ، قال تعالى ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألاَ له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ « الاعراف / ٥٤ » فالتوحيد إثبات الخلق والأمر لله عز وجل ، فمن أثبت الخلق لله تعالى وزكى نفسه ، فقد أثبت الأمر

لنفسه ، وجعلها شريكاً لله في الأمر ، ومن ثم يكون قد أشرك بعبادة الله عبادة الذات ، ذلك أن أبليس في خطابه لله عـز وجل لم ينكر أن الخلق لله عـز وجل بل أثبت لله تعالى الخلق ، إذ خاطبه بنداء الربوبية حيث طلب النّظِرة والإمهال من الله تعالى ﴿ **قال رب فأنظرني إلى يوم يُبعَثــون** ﴾ « الجن / ٧٩ » فانظر قول إبليس ﴿ رب ﴾ الـذى يتضـمن إقراراً منه بالربوبيـة مع رفضه طاعة أمر الله تعالى ، فكان هذا إشراكاً منه فى الألوهية إذ عبد ذاته مع الله عز وجل فأطاع هواه وعصى ربه ، وأساس هذا عنده الاقرار لله عز وجل بالخالقية ، فجعل له الخلق ، إلاّ أنه لم يجعل له الأمر ، وجعله لنفسـه الخبيثة ، وهذا هو شركه وكفره بالله تعالى ، ويتمثل كفر إبليس فى أنه نسب العمل الصالح الذى نافس به لنفسه ، ولم ينّسبه لله عز وجل الذى خلقه وأذن له وأعانه عليه ، يدل على هذا ما أورده السيوطى فى الدر المنثور[1] « أخرج ابن جرير عن عبد العزيز الشامى عن أبيه ، وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه فقد كفر وحبط ما عمل ، ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزله الله على أنبيائه ورسله لقوله تعالى ﴿ **ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ ومن يفعل ذلك فهو على نهج إبليس .

وأول من نهج نهجه وفعل فعله فتأبلس مثله هو قابيل الذى إستعلى بحمله فى الجنة هو وتوأمته على أخيه هابيل وتوأمته لأنهما من حمل الأرض .

نفس الإستعلاءورفض أمر الله والمعصية والإصرار عليها فإنتقل بالمعصية إلى شيطان وبالإصرار عليها إلى التضحية بالآخرة واليأس من رحمة الله تعالى فتحول بهذا الإصرار إلى إلى الأبلسة ، فكان شيطان وإبليس الإنس الأول مقارنة بإبليس الذى هو إبليس الجن الأول .

---

(١) السيوطى / الدر المنثور مجلد ٣ ص ١٠٠

الفصـــل السابـــع

صــــوت ابليـــس المستفِـــز
للمـؤمنين الجالب عليـهم بخيلِهِ ورَجْلِهِ .

قيادة أبلبيس لحزب الشيطان من خلال صوت آدمي له في الإنس : –

الصراع بين الحزبين وقيادة إبليس لحزب الشيطان ، نبأ عظيم وخطير الشأن فى حياة البشر ، لا يعرض عنه إلا الكافرون ، فأمر الله تعالى رسول الله ﷺ بإبلاغ هذا لقومه مع بيان أنه ﷺ لم يكن فى الملأ الأعلى حين بدأت قصة هذا الصراع **﴿ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ، إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين فإذا سويتُه ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ، قال رب فانظرنى إلى يوم يُبعَثون قال فإنك من المُنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممّن تبعك منهم أجمعين ﴾** « ص / ٦٧ – ٨٥ »

والنبأ العظيم هو نبأ اختصام الملأ الأعلى الذى لم يكن للنبى الخاتم المنزل عليه القرآن ﷺ علم به ، إذ تعجَّبتْ الملائكة من اصطفاء الله تعالى آدم الذى خلقه الله تعالى من طين للخلافة ، ومن ثم أمرهم أن يسجدوا له . فسجدوا جميعاً ما عدا إبليس الذى كان كافراً فاستكبر ، وسأله الله عز وجل لإقامة الحجة عليه : **﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيَــدَىّ ؟ ﴾** وخلق الله تعالى لآدم بيديْه أحد المكرمات الخمس التى كرمه بها وجعله بها خليفة وهى :

١ – خَلَقَهُ بيديْه .

٢ – نفخ فيه من روحه .

٣ – علمه الأسماء .

٤ – أسجد له الملائكة

٥ - أسكنه جنته .

خلق آدم بيديه لما يعلم منه أنه سيحتج بأصله النارى فى مقابل أصل آدم الطينى ، كما أن من لوازم العبودية الطاعة المطلقة لله عزوجل ومن ثم قال له فى سورة الأعراف ﴿ **ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك** ﴾ « الاعراف / ١٢ »

أى أن مجرد الأمر يوجب الطاعة سواء أوافق ما فى نفسه أم خالفه ، وسواء أفهم حكمته أم لم يفهم ، وسؤال الله تعالى إبليس عن المانع الذى منعه عن السجود هو ابطال لما سيحتج به كذباً بالقدر وبأمر الله وإذنه الكونى ، وهو بهتان من إبليس ، لأن رد إبليس كما أسلفنا اعتراف بأن الرفض والاباء نابع من ذاته . ثم هو بحث بعد ذلك عن تعليل للرفض فقاس النار التى أصله على أصل آدم عليه السلام الذى هو الطين ﴿ **قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** ﴾ « ص / ٧٦ » وكما وضحنا من قبل فإن هذا الرفض كان إعلاناً عن مخبوء الأنا الابليسية المتمردة الخارجة عن لوازم العبودية ومقتضياتها ، ومن ثم صدر الحكم الآلهى على ابليس باللعنة الابدية لَمَّا أظهر من قرارة نفسه إختياره النهائى للكفر واصراره عليه ﴿ **قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين** ﴾ « ص / ٧٧ - ٧٨ »

بدء الصراع بين الخبيث والطيب في الكون :

لقد صار إبليس رجيماً وحلّت عليه لعنة الله تعالى إلى يوم الدين ، هذا بالنسبة لموقف إبليس من ربه عز وجل ومصيره الأبدى ، أما بالنسبة لموقفه من الانس فهو بلا شك الحقد النارى الشديد نحو آدم وذريته ومن ثم العداء المستحكم الدائم .

لقد صار حزباً للشر والكفر ، عداؤه لله عز وجل ولجزبه سبحانه وللحق وللخير منذ هذه اللحظة إلى يوم القيامة ، لأن قول الله عز وجل ﴿ **إلى يوم الدين** ﴾ فيه إعلام وإعلان لأبليس بأن الحساب والجزاء له موعد آجل .

ومن ثم جنّدَ إبليس نفسه لإضلال غريمه آدم وذريته ﴿ **قال رب فأنظرنى إلى يوم**

يُعثون ﴾ « ص / ٧٩ » أى أمهلنى إلى يوم الدين حتى أضل أبناء آدم وأغويهم كما أغويتنى يا رب به ، فلقد أصبح هذا من حقى عليه وعليهم أن تغويهم بى كما أغويتنى به وفضلته علىّ . فبماذا أجابه الله تعالى ﴿ **قال فإنك من المنظرين** ﴾ « ص / ٨٠ » ليس إلى يوم يبعثون فهذا حلم إبليس الذى لم يحصل على وعد به من الله تعالى ، ذلك أنه يريد أن ينجو من الموت فيظل حياً إلى يوم البعث ، وما أعطاه الله له من النظرة لا ينجيه منه ، وإنما وعده الله تعالى بأن يمد فى أجله حتى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم القيامة الذى يبدأ فى الدنيا ، وينتهى يوم الدين ، فالإمهال لأبليس حتى مرحلة من مراحل القيامة ، وهى عصر الآيات العشر ،كما ورد فى الآثار الدالة على أن إبليس يخر ساجداً لله نادماً إذا رأى الشمس طلعت من مغربها ، حيث لا تقبل التوبة ، وهو وقت نهاية الابتلاء للثقلين ، وإن لم يكن نهاية أجل الحياة حيث ، تستمر بعد ذلك بالاشرار . تقول الآثار أن الدابة التى تخرج من الأرض تكلم الناس يوم خروج الشمس من مغربها هى التى تذهب إلى إبليس وتقتله .

لقد سأل إبليس الله عز وجل النظرة والإمهال بعدل الله عز وجل ، أو بما علمه من سنن الله تعالى فى خلق السماوات والأرض بالميزان المقيم للتعادلية ، وبما علمه عن حكمة الله من خلق السماوات والأرض للابتلاء ، ولأنه من الجن الذى خلقه الله للإبتلاء أيضاً . وبما علم أن الابتلاء يقتضى التعادلية المحققة للاستواء اللازم لصحة الإختيار ، فطلب من الله أن يجعله قائداً لحزب الشر والرجس مُتألهاً بين كل مَنْ يستجيب له مِن الجن والإنس ، مُشرئباً بعنقه نحو هذا التأليه الموهوم الكاذب لذاته ، بدافع الاستكبار الذى فسقت عنه نفسه ، وخرج به عن حدود العبودية فطلب الامهال بهذا كله ، فأعطاه الله تعالى إياه ، ومن ثم توعد الثقلين المخلوقين للإبتلاء ، أى ليس الآدميّين منهم فحسب ، بل وكذلك الجنّيين من بنى جنسه ، توعدهم أن يضلهم ليعبدوه هو بالباطل مع عبادة الله تعالى أو من دونه . ومن ثم فتوهم مخدوعاً أنه ند لله سبحانه وتعالى إذ سيجد من يطيعه وسيصير معبوداً معه ومطاعاً من حزبه الذى سيستجيب له .

والآيات السابقة تثبت أن إبليس كان على ثقة فى أنه سيوقع فى حبائله أكثر المبتلين من الانس والجن ، ولذلك بعد أن أعطاه الله ما طلب من الامهال والنظرة قال **﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين ﴾** فالكل خاضع للأغواءالشيطانى ما عدا المخلصين .

ولكن بم سيتمكن إبليس من هذا كله ؟ بعزة الله عز وجل ، والعزة نقيض الذلة ونافية لها ، وهذا إقرار من إبليس بأن قيادته لفريق الشر فى الصراع التاريخى ، تلك القيادة التى توهم أنه يصير بها معبوداً وإلهاً من دون الله عز وجل ، أى بلا إرادة أو بلا حول ولا قوة من الله عز وجل ، وهذا وهم باطل إذ لا يتم أى شئ إلا بحول الله تعالى وقوته وبإذنه عز وجل ، وحاشا لله أن يكون هذا بغير مشيئته الكونية ، ومن ثم فإن فسوق إبليس عن فطرة المخلوقية ومخالفته العبودية ، ومعصيته لأمر الله الشرعى بالسجود لآدم إنما هو واقع بإذن الله تعالى ومشيئته الكونية فكل نصر فى الصراع يحققه إبليس وحزبه على حزب الله عز وجل ، إنما هو بعزة الله تعالى وليس عن ضعف منه سبحانه ، ومن ثم لا يلحق بالله عز وجل ذل الهزيمة التى تحدث لحزبه أحياناً لأنها تقع بإذنه وأمره ، وقد علم إبليس هذا وأقر به وصرح بقوله **﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾** فجولة الانتصار لحزب الله بعزة الله سبحانه وجولة الانتصار لحزب الشيطان بعزة الله تعالى أيضاً ، وهذا معنى قوله تعالى لنبيّه المصطفى ﷺ **﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً ﴾** « الاسراء / ١١١ » وهذا التكبير سيكون بعد قتل المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام للمسيح الدجال وبعد أن يقتل عليه السلام ، كل من يقول لله ولداً ويصر عليها ، ويرفض التوبة والاسلام وبعد أن يثبت للبشرية بنفسه بعد نزوله من السماء عليه السلام أنه ليس ولداً لله كما يزعمون وأنه سبحانه لم يتخذ ولداً مطلقاً وأنه لم يكن له ولى من الذل بعد مقتل الدجال أى أن الله تعالى لم يتخذ ولم يكن له وليا لحاجته سبحانه للولى أو لضعفه سبحانه فى الصراع ، وإنما هى حكمة الإبتلاء إقتضت أن

يكلف أولياءه بالجهاد وقتال حزب الشيطان وهو سبحانه القوى العزيز ، ولو شاء لانتصر منهم ، ولكن ليبتلى بعضهم ببعض ، ولكى يحق قول الله عز وجل له ﴿ **لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ أى يملأها منهم بالحق والعدل من غير ظلم بعد أن يثبت إستحقاقهم لعذابها بعد الإبتلاء ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والنـــاس أجمعين** ﴾ « السجدة / ١٣ » فهو قول حق من الله الحق يتم ويتحقق بالحق والعدل جزاءاً وفاقاً لنتيجة الابتلاء .

فقول إبليس لربه عز وجل ﴿ **فبعزتك لأغوينهم ..** ﴾ هو الأصل الإعتقادى فى تفسير حصوله على الإمكانيات والوسائل التى نال بها تيسير الإضلال والغواية من الله عز وجل ، إذ أعطاها الله تعالى له بعزته ومشيئته . فما هى هذه الامكانيات والوسائل الإغوائية الإضلالية الابليـــسية ؟ قال تعالى ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً ، قال أرايتك هذا الذى كرّمْت علىّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلاً قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفورا واستفزز من إستطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً ، إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً** ﴾ « الاسراء / ٦١ – ٦٥ »

لقد توعد إبليس بنى آدم بالاستحواز عليهم إلاّ قليلاً منهم لو أخّره الله إلى يوم القيامة ، فقال ﴿ **إذهـــب** ﴾ أى مُنظَراً إلى يوم القيامة ، وهذا يدل على أن يوم الوقت المعلوم فى آية سورة ص هو يوم القيامة فى آية الإسراء السابقة وفى هذا الموضع قد أعطاه الله تعالى الامهال والتأخير أى العمر أو الحياة الممتدة المستمرة إلى يوم الوقت المعلوم الذى هو يوم القيامة ، ليس هذا فحسب ، وإنما أعطاه الله تعالى – تحقيقا لحكمة الإبتلاء – إمكانيات الوسوسة والاحتلال والغواية فقال له ﴿ **وإستفزز من إستطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخَيْلكَ ورَجِلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾ « الاسراء/ ٦٤» فما الذى ناله إبليس من هذا العطاء ؟

١ – إمكانية إستفزاز من يستطيع إلى إستفزازه سبيلاً من بنى آدم ، ووسيلة ذلك عنده صوته أو صوت أعطاه الله تعالى له بدليل قوله تعالى ﴿ بصوتك ﴾ وهذا هو أول وأخطر إمكانية نالها إبليس ، مما سيُحتم علينا التفصيل فى تفسير المقصود بصوت إبليس .

٢ – إمكانية أن يجلب عليهم بجيوش يحركها بالاستفزاز الذى يتمكن منه بهذا الصوت .

٣ – مشاركة بنى آدم فى الأموال والأولاد ، وهو حسب واو العطف الجامعة ما بعدها مع ما قبلها ، تكون هذه المشاركة فى أصناف الأموال المختلفة وفى الأولاد بهذا الصوت أيضاً .

٤ – وعود كاذبة يغرى بها إبليس بنى آدم يمنيهم بمتاع وسعادة ولذة فى الدنيا كذباً فلا ينالونها لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وتتم بالوسوسة وبهذا الصوت أيضاً .

والوعد الإبليسى الكاذب يمكن أن يكون منه مباشرة لبنى آدم عن طريق وسوسة جنوده وذريته لهم ، والوسوسة لا تستلزم صوتاً مسموعاً بالأُذن ، وإنما هى خواطر وسوانح تنبث فى فكر الإنسان وصدره فينبثق معناها فى وعيه وتنزع نفسه إلى ما يدعو إليه الشيطان بالوسوسة من خلال هذه الخواطر والرغبات وكلها شرور ورذائل ورجاسات من الأعمال ، فهى معاصى وآثام وشرك وكفر ، مغلفة بأغلفة الهوى والمتاع .

وعلى هذا فهى لا تتم بالصوت وإنما شأنها شأن الإلهام الذى هو معنى طيب يطفو على سطح الوعى ويبرز فى الفكر ، إلاّ أن الإلهام من فعل الملائكة ، وهو إيعاز بالخير والبر والطاعة أو بيان للحق ، والوسوسة إيعاز بالشر والمعصية والشرْك . ومن ثم فالوسوسة الإبليسية بدون صوت صادر من حنجرة بشرية تصدر الأصوات المسموعة للأذن البشرية ﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس

في صدور الناس من الجنة والناس ﴾ « سورة الناس » فالوسواس الخنّاس من الجِنّة هو الوسواس الشيطانى الإبليسى ليس له صوت في الناس . لأن إبليس والجن بعامة ليست لهم أصوات مسموعة بين البشر يستفزونهم ويجلبون عليهم بالجيوش ، ويشاركونهم فى الأموال والأولاد بها . فماذا يكون صوت إبليس الوارد فى قوله تعالـى **﴿ واستفزز من إستطعت منهم بصـوتك ﴾** ؟ وإذا كنا قد علمنا الوسواس الخناس الجنىّ وهو إبليس وجنوده ، فمن هو الوسواس الخناس الذى من الناس ؟

المسـيح الدجـال هو صوت إبليس البشـري المسـتفـز للنـاس وممثله فيهم : –

لفظ الصوت لا يكون إلا بما تدركه الأذن ويميزه السـمع لدى الإنسـان ، وهو – كما هو معلوم الآن موجات يُحْدِثُها – إصطدام الأشياءأو حنجرات الأحياء فتصل إلى الآذان فترسلها إلى مراكز الأسماع البشرية فى المخ فتميزها وتدرك مصدرها ، وإن كانت كلمـات تدرك معناها سواء كانت أسمـاء لأشياء وأحياء يتصورها الذهن بمجرد الإستماع إلى الإسم ، مثل قولنا « زيد » أو أفعال يدرك الذهن حركتها وأثرها كقولنـــا « وقف زيد » ، أو حروف تحدد العلاقة بين الأسماء والأفعال كقولنا « وقف زيد على سطح البيت» .

فهل من طبيعة الجن بعامة وإبليس بخاصة أن يُسْمِعوا أصواتهم للآذان البشرية ؟ وهل من طبيعة الآذان البشرية والسمع البشرى التمكن من التقاط أصوات الجن كما يتحدثون هم بعضهم إلى بعض ؟ الإجابة اليقينية القاطعة هى لا ؟ لأنه كما أن البصر البشرى لا يستقبل صور الجن فكذلك السمع البشرى لا يستقبل أصواتهم والعكس غير صحيح ، إذ أن الجن ومنهم شيـاطين الجن وعلى رأسهم إبليس يَرَوْنَنَا نحن البشر من حيث لا نراهم قـال تعـالى **﴿ يا بنى آدم لا يفْتِنَنَّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقَبِيلُه من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾** « الاعراف / ٢٧ » ومعنى قبيلة ، أى بنى

جنسه أو نوعه ، وهم الجن سواء الشياطين منهم أم غير الشياطين ، وبالتالى فهم يسمعوننا من حيث لا نسمعهم . وهذا يطرح علينا السؤال : كيف يستفزز إبليس وجنوده بصوته البشر ؟! حتى أنه يجلب عليهم بالخيل والمشاه من الجنود ويشاركهم فى الأموال والأولاد . وهذا كله بالإضافة إلى عمله الرئيسى الأول الدائم وهو الوسوسة التى جاءذكرها فى قوله تعالى ﴿ ... **وَعِدْهُمْ وما يَعِدُهمُ الشيطان إلا غُرُوراً** ﴾ لأن كل وسوسات الشياطين إن هى إلاّ تزّيينٌ للشر ، وهذا التزّيين ليس سوى وعد بالمتعة فهو يغرى الإنسان بالسعادة كذباً وزوراً ، وهى ليست بصوت مسموع بالضرورة إلا أن تكون وسوسة شيطان الانس للإنس ، وهذا ما يتم فى الإعلام الفاسد المفسد .

أما الاستفزاز فى قوله ﴿ .. **وإستفزز من إستطعت منهم بصوتك** ﴾ فهو تحريك بنى آدم أفراداً وجماعات ، وإخراجهم من سكونهم النفسى والجسدى ، فهو يحمل معنى الإثارة والتهييج المؤديان للفعل الشرير العدوانى الفردى والجماعى إبتداء من الإعتداء بالسب وإنتهاء بتحريك الجيوش الجرارة والجماهير الغوغائية بالإضطرابات والثورات . وهذا معنى ﴿ **وأجلب عليهم بخيلك ورجلك** .. ﴾

مصطلح الاستفزاز في القرآن الكريم : -

يدل على هذا ورود لفظ الاستفزاز فى القرآن الكريم فى موضعيْن آخرين بالإضافة إلى هذا الموضع الخاص بإبليس .

الموضع الأول : قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ، وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً** ﴾ « الاسراء / ٧٦ - ٧٧ » قال المفسرون هو ما فعله مشركو مكة بعد ذلك معه ﷺ ، حتى أُخرجوه منها بالهجرة بعد نزو ل سورة الاسراء التى فيها هذه الآية ، فلما هاجر تحقق وعيد الله لهم حسب سنته فى إرسال الرسل ، ولم يلبثوا بعده إلا قليلاً لمّا قُتل أئمة الكفر فى غزوة بدر الكبرى ، هؤلاء الذين ألجأوه ﷺ للهجرة وأخرجوه من أرضه . هذا هو معنى الاستفزاز فى هذا الموضع ، ولم يخرج عليه الصلاة والسلام

إلا بالاستفزاز إذ أحاط شباب قريش ببيته يريدون قتله بناء على مشورة إبليس الذى جاء إلى زعماء قريش فى هيئة شيخ نجدى أشار عليهم بأن يجمعوا من كل عشيرة من عشائر قريش بفتى ويضربونه جميعاً ضربة رجل واحد بسيوفهم فيتفرق دمه فى القبائل فلا تستطيع بنى هاشم إلا أخذ الديّة .

والموضع الثانى : هو قول الله عز وجل عن الصراع الطويل المرير بين بنى إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام من ناحية ، وبين فرعون ودولته وجنوده من ناحية أخرى ، هذا الصراع الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم مفصلاً فى عشرات بل مئات الآيات فى سور كثيرة ، قد ورد ذكره مجملاً فى أربع آيات من سورة الإسراء أيضاً فى قوله تعالـــــى **﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً ، قال : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً ، فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً ، وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾** « الإسراء / ١٠١ - ١٠٤ » فقوله **﴿ فأراد أن يستفزهم من الأرض .. ﴾** أى تحريكا ممتزجاً بالأذى والعدوان وربما للقتل والإبادة ، لماذا ؟

لأن المواضع الثلاثة الوارد فيها ذكر الاستفزاز كلها تدل على أعظم ما يمكن أن يحدث فى الأرض من الشر ، ومن ثم فهو الفعل الذى يصل به الصراع بين حزب الله عز وجل وحزب الشيطان الذروة التى يتطاول فيها حزب الشيطان فيدبر لإستئصال الخير وأهل الحق من الأرض .

علمنا أن الموضع الأول فى سورة الإسراء هو **﴿ واستفزز من إستطعت منهـــم بصـوتك .. ﴾** « الإسراء / ٦٤ » والموضع الثانى فى سورة الإسراء أيضاً **﴿ وإن كـادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً ﴾** « الإسراء / ٧٦ » والموضع الثـالث **﴿ فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً ﴾** وجميعها فى سورة الإسراء .

ومعلوم تاريخياً أن فرعون أراد أن يبيد بني إسرائيل أو على الأقل إبادة قيادتهم المتمثلة في موسى وهارون وأصحابهما ليقضي على الحق والخير في الأرض ، وكذلك من المعلوم أن كفار قريش دبروا قتل النبي ﷺ في بيته وأحاطوه بفتيانهم ليلة الهجرة ، بعد أن ظنوا وتوهموا أن قتل النبي يقضي على دعوته ، فالإستفزاز الإبليسي بهذا الصوت تعبير عن ذروة الصراع بين الحزبين ، وأما في الموضع الأول الخاص بالإمكانيات التي أعطاها الله تعالى لأبليس لأغواء البشر كذلك ، أي الإستفزاز بصوته فقد ذكر بعده الجلب عليهم بالجيوش الراكبة أو المحمولة والراجلة على الأقدام ، وهكذا لم يرد الاستفزاز في هذه المواضع إلا من خلال الخبر عن أفعال محددة عدة تصدر من الشيطان وحزبه للقضاء على مصدر النور والهدى في الأرض ، وهي مرحلة يتطاول فيها حزب الشيطان إلى القضاء على حزب الله وإستئصال المؤمنين والقضاء عليهم تماماً ، وهذه الأفعال تتم بصوت إبليس ، وهذا هو معنى الاستفزاز في المواضع الثلاثة ، وحيث أنه من المحال أن يكون المقصود « بصوته » هو ما يصدر عن حنجرته ومن فمه ، لأنه لا يصل إلى أسماع البشر كما أثبتنا هذا بالدليل آنفاً ، لزم أن يكون لقوله تعالى « بصوتك » دلالة أخرى يكون صوت إبليس هذا ، حسب هذه الدلالة ، مسموعاً عند الناس ، مؤثراً فيهم مستفزاً لهم ، حتى أنه يحرك به الجيوش ويشارك إبليس به الناس في أموالهم وأولادهم ، فإذا تذكرنا أن إبليس قد نال النظرة والإمهال إلى يوم الوقت المعلوم ، وأن هذا الذي أطلق عليه رب العالمين اسم « صوتك » بضمير كاف الملكية للمخاطب يكون منسوباً لأبليس نسبة الاستحواذ والمثلية وليس نسبة الذاتية والخاصية والجوهرية لإبليس ، كما قال تعالى عن المنافقين في المدينة ﴿ **إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ « المجادلة / ١٩ » وحيث أن هذا الصوت لابد أن يكون من البشر حتى يسمع الناس ، فإنه يكون أول من إستحوذ عليه إبليس من أبناء آدم ليكون من حزبه ، بل ليكون القائد البشري لحزب الشيطان البشري ، كما أن إبليس القائد الجني لحزب الشيطان الجني ، ويصير

هذا الصوت بمثابة الزعيم لمملكة الشيطان فى عالم البشر وخليفته فيهم ونائبه عليهم .

ويترتب علي هذا كله ضرورة أن يكون صوت إبليس البشرى الذى هو أول مَنْ إستحوذ عليه مِنْ ذرية آدم مُمْهلاً مثله إلى يوم الوقت المعلوم ليتم بهما قضاء الله تعالى بابتلاء الانس بالجن والجن بالانس . فليس من المتصور أن يكون إبليس مُنظراً ممهلاً ، ونائبه وصوته فى البشر غير ممهل ، لأن نسبة الصوت إليه نسبة الاستحواذ والمثلية باعتباره أول وأهم وأخطر إمكانات الإضلال والغواية ، يقتضى له النظرة طيلة أجله الطويل المناظر لأجل البشرية تقريباً . أى فكما تطاول إبليس فى إضلاله للناس حتى يجعلوه نداً لرب العالمين سبحانه وتعالى عن ذلك ، فطلب النظرة والاستمرار ، ومن ثم فقد لزمه صوت مستمر معه فى بنى آدم تكون له النظرة والامهال أيضاً ليُكَوّنا معاً قيادة لها وحدة الاهداف والغايات مع التنسيق بينهما فى الوسائل والمخططات والبروتوكولات .

أما الغاية الواحدة لهما فهى أن يجعل كلاهما نفسه معبوداً من الله عز وجل فى بنى نوعه بإضلال أكبر عدد ممكن فيهم ، حتى يُسوّوهما برب العالمين ، ويعبدوهما مع الله تعالى أو من دونه ، فيصيرون إلى جهنم التى يختصمون معهما فيها ﴿ **قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون** ﴾ « الشعراء/ ٩٦ – ٩٩ » وعلى رأس هؤلاء المجرمين الذين زعموا لأنفسهم الربوبية والإلهية إبليس الذى هو شيطان الجن الأول ، وصوته الذى هو شيطان الانس الأول وكلاهما يتطاول ليكون معبوداً لحزبه من دون الله عز وجل ومن ثم فهما اللذان أضلا ويضلا الانس والجن حتى يُدخلونهم النار يوم الدين . هذان القائدان : إبليس وصوته يشكلان هيئة واحدة للإضلال فى الأرض فهل ما جاء عن الدجال من أخبار تتوافق مع كونه قريناً لإبليس الجنى فى قيادة الصراع ؟ .

الفصل الثامن

قابيل هو صوت إبليس

الأدلة علي أن صوته هو أول من استحوذ عليه من الانس :

يدل على صحة هذا التفسير للصوت المنسوب لأبليس بخلاف ما ورد عن بعض المفسرين بأنه صوت الموسيقى والغناء ، أقول يدل على صحة تفسيرى هذا ما ورد فى القرآن الكريم عن سؤال أهل النار عن الذين كانوا سبباً فى أن يدّاركوا فيها ، عن هذا التساؤل ، وعن لعنة بعضهم بعضاً فى النار ، إذ تتهم كل أمة الأخرى بأنها هى السبب فى ضلالها لأنها سبقتها بالضلال لَمّاَ اتبع اللاحقون السابقين قال تعالى **﴿ يا بنى آدم إمّا يأتينكم رسل منكم يَقصُّون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا : أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ، قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا إدّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ، قال : لكل ضعف ، ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم : فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ، إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين ، لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين ﴾ « الاعراف / ٣٥ - ٤١ »**

فانظر وتدبر قوله تعالى عن سؤال كل رسول أمته يوم القيامة ، لِمَ لَمْ تستجب لدعوته وأصروا على عبادة غير الله عز وجل : **﴿ أين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ ﴾** أى هل ينْفعونكم اليوم ؟ فيأتى رد قومه المشركين عليه : **﴿ قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾** ومن ثم شهدوا وأقروا باستحقاقهم عذاب النار **﴿ قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار ﴾** وهذا معناه أن الحساب

ثم دخول النار يوم القيامة سيكون بترتيب ورود الأمم والأجيال فى الدنيا لأن قوله تعالى **﴿ فى أمم قد خلت من قبلكم ﴾** أى الأمم الذين إنقضت أجيالهم فى الدنيا قبل مجيئكم إليها . فأسبقية دُخول النار تكون للسابقين فى الدنيا بترتيب الأجيال والأمم ثم اللاحقين . وهذا بالنسبة لأمم الجن وأمم الانس سواء بسواء، ومن ثم فالأمة التى تدخل تجد فى طريقها وفى مقرها الأمة التى قبلها فى الزمان خلال أجل الحياة الدنيا ، وحيث أن الأمة اللاحقة تكون فى العادة مقلدة فى ضلالها للأمة السابقة عليها فإنها تحمّلها مسئولية الضلال أو الكفر الذى إتبعوهم فيه ، فتلعنها **﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾** وتظل تتوالى الأمم على دخول النار حتى أمم آخر الزمان ، أو جيل الاشرار الذى تقوم عليه الساعة ، وهو آخر أفواج النار **﴿ حتى إذا إداركوا فيها جميعاً ﴾** بدأ بعد إكتمال عدة أهل النار فيها البحث عن المجرمين الذين سنُّوا الضلال وابتدعوا الشرك أى أول من خرجوا عن الصراط المستقيم ، وسلكوا السبل الضالة ، لأنهم هم الذين يتحملون المسؤولية الكبرى ، إذ هم الذين أضلوا أنفسهم وأضلوا غيرهم ولم يتلقوا الضلال من غيرهم ، بينما جميع الأجيال والأمم التالية على هذا الجيل الضال الأول ضلّلهم السابقون عليهم وأضلوا هم اللاحقين لهم ، ومن ثم يكون الجيل الأخير أو الأمة الأخيرة من أهل النار قد أضلهم السابقون ، ولم يضلوا هم غيرهم لأنهم ليس لهم لاحقون ، لكن هذه الأمة الأخيرة لا تلقى بالمسئولية التامة إلا على جيل أو على أمة الضلال الأولى ، ومن ثم ينتهى بحث أهل النار عن الذين أوردوهم فيها إلى أنهم الأمة الضالة الأولى ، وإن كان تأثيرها فيهم وتأثير كل أمة فى اللاحقين عليها لا يعفى كل جيل من المسئولية التى بها يستحق العذاب ، إلاّ أن حقدهم على الأولى يجعلهم يدعون الله عز وجل أن يضاعف للمجرمين الأوائل العذاب **﴿ قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ﴾** فالخطاب الموجه من الأمة الأخيرة إلى الأمة الأولى من أمم أهل النار ينتهى بأن تتوجه الأمة الأخيرة لله عز وجل تدعوه أن يضاعف العذاب للمجرمين الأوائل ، ولكن نظراً

إلى أن الكل ضل وأضل فلكل ضعف فيأتيهم رد الله عز وجل ببلاغ ﴿ **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ ولا يسكت أوائل المجرمين بل يردون على أواخرهم ﴿ **وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون** ﴾ أى أن استحقاق العذاب الأليم العظيم فى النار ، إنما هو بسبب ما ارتكبنا جميعاً من أفعال اكتسبناها إرضاءً للهوى والشهوات وعبادة للذات ولغير الله عز وجل ، فما استحقوا العذاب إلاّ بالاستكبار عن عبادة الله ، أى إلا بالفسوق عن حدود العبودية ، والتطلع نحو مقام الألوهية ، ومن ثم كذبوا بآيات الله ، وكانوا بهذا الاستكبار على دين إبليس وملته وهؤلاء هم حزبه الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، قال تعالى معقباً بعد هذا التخاصم بين أهل النار ﴿ **إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبواب السماء ولا يَدْخُلُون الجنة حتى يَلِجَ الجمل فى سَمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين** ﴾ « الاعراف / ٤٠ – ٤١ »

هذا بالنسبة لتخاصم أهل النار وبحثهم وتساؤلهم عن الأمة المتسببة فى إضلال جميع الأمم ، وقد انتهوا إلى أنها أولاهم .

ولكن ماذا عن البحث عن الافراد أو الفرد الأول الذى أضل الأمة الضالة الأولى فى الانس والجن ؟ ، يعلم كل الناس من جميع الملل والأديان والنِحَلْ أنه إبليس لعنه الله .

ولما كان إبليس من الجن فإنه لا بد أن يتبادر إلى الذهن السؤال عن أول من كفر واستكبر عن عبادة الله من الإنس ، إذ يكون هو الذى سَنَّ فى الناس الكفر وابتدع الفسق وعلم الذين اتبعوه اتباع الهوى والفجور والشرك بالفسوق عن حدود العبودية لله تعالى فيكون موضعه الإفسادى الإضلالى فى الانس كموضع إبليس فى الجن ، هذا ما يحتمه العقل .

فهل فى القرآن الكريم والسنة ما يشير إلى هذا المجرم الانسى الأول الذى يناظر إبليس الذى هو المجرم الجنى الأول ، ومن ثم يكون هو نظير إبليس ونده وصوته ؟

نعم ، قال تعالى عن تخاصم أهل النار وحقدهم على أول فرد جنى كفر من الجن وأول فرد إنسى كفر من الانس ﴿ **فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذين كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللَذيْن أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين** ﴾ « فصلت / ٢٧ - ٢٩ » والمعنى أن الذين كفروا فى النار سيدعون الله أن يريهم إثنين ﴿ **الذيْن أضلانا** ﴾ بصيغة المثنى ﴿ **من الجن والانس** ﴾ أى واحد منهما جنى وهو بلا شك إبليس والظاهر إنسى وهو بلا شك أول من استحوذ عليه إبليس من بنى آدم فصار الانس الذى ابتدع الكفر ، وأول من فسق عن أمر ربه ، فتبعه الآخرون من بنى نوعه .

لماذا سيدعون الله تعالى أن يريهما الضال الجنى الأول والضال الانسى الأول ؟! لأن ضلال الانس والجن إنما هو تقليد لهما ، ومن ثم فهما اللذان أضلوا أهل النار جميعاً ، وبالتالى سيصير حقد أهل النار عليهما أشد من حقدهم وحنقهم على غيرهما فسيطلبون من الله هذا الطلب ليجعلوهما تحت أقدامهم فى النار ليكونا من الأسفلين .

إنها إذاً وحدة الهدف ووحدة العمل فى الدنيا ووحدة التخطيط ووحدة المصير فى الدنيا والآخرة : الإنظار فى الدنيا إلى يوم الوقت المعلوم ، ثم الخلود فى النار تحت أقدام أهلها .

قد علمنا الجنى منهما فمن ذا يكون ذلك الإنسى ؟

مما سبق عن هذا الصوت الابليسى ، يشترط لتعيين شخصيته وتحديد إسمه معرفة بعض الشروط أو الأحوال والصفات والخصائص التى تخصه دون غيره وهى : -

الأول : أن يكون آدمياً

الثانى : أن يكون أول من استحوذ عليه إبليس من الآدميين إستحواذاً تاماً كاملاً ، فلا رجعة له إلى التوبة والإيمان بالله عز وجل ، شأنه فى ذلك شأن إبليس والعياذ بالله

تعالـى .

الثـالث : أن يكون جـوهر ضـلاله وكـفـره هو جـوهر ضـلال وكـفـر إبليس ، وهو الاستكبار والفسوق عن حدود العبودية ، والتطلع إلى أن يكون إلهاً أى معبوداً من دون الله تعالى، ثم السعى بين الناس لكى يؤلّهوه ويعبدوه ، وهذا هو هدف إبليس وغـايته العليا ، ومن ثم يتم العمل بينهما بتنسيق تام ، إذ لا يوحد العمل والوسائل إلا وحدة الغاية العليا

الرابع : : أن تقوم الأدلة الصريحة أو المضمرة أو الإشارية على أنه مُنظرٌ مثل إبليس أى حياته ممتدة إلى يوم الوقت المعلوم ، ومن ثم تكون نهـايته معلومة باعتبـارها أمارة من أمارات الساعة شأنه فى هذا شأن إبليس ، لأن يوم الوقت المعلوم هو يوم القيامة ، أو هو مرحلة من مراحله تسبق الساعة

الخامس : أن تقوم الادلة على أنه القائد البشرى لحزب الشيطان فى الصراع بتنسيق وتعـاون بينه وبين إبليس القـائد الجنى ، فيـثبت بهـذه القيـادة عداءه الشديد للرسل والانبياء من أولهم إلى خاتمهم ﷺ جميعاً ، ومن ثم يكون هو المفسد الأول والأكبر فى كل زمان ومكان ، أى على مدى التاريخ الإنسانى ، من أوله ، أى من عهد آدم عليه السلام ، إلى يوم الوقت المعلوم ، وبالتالى يكون هو قائد الإفسادة الكبرى المعاصرة لبنى إسرائيل فى الأرض الذى حقق لهم بها العلو الكبير ، وحيث أنه من الثابت بالأثر أن الدابة ستقتل ابليس بعد خروجها من الأرض مع طلوع الشمس من مغربها ، وأن يوم القيامة يوم ممتد يمثل العصر الأخير من عصور البشرية ، فإن معنى يوم الوقت المعلوم يكون بنزول الآيات السـماوية ، وهى الشمس من مغربها والدابة والدخان ، وهووقت معلوم إذ ينغلق فيه باب التوبة وتتوقف فيه سنة الابتلاء ، فلا يكون لبقاء إبليس حكمة إذ جعله الله تعالى - كما اثبتنا من قبل - لتحقيق الابتلاء ، وبذلك تكون نهاية صوته معه أو قبله بقليل لأن إمهاله لنفس الحكمة .

السـادس : حياة آدمى آلاف السنين أمر مخالف لسنن الحياة ومن ثم يكون حياة

صوت إبليس هذا بسنة خاصة ويلزم من هذا أن تكون حياته قائمة بأمر غيبى هو سر يخصه ويخص إبليس الذى استحوذ عليه .

السابع : هذا بالنسبة لحياته وزمن موته وكذلك الحال أيضاً بالنسبة لكيفيته إذ تقتضى هذه السنة الغيبية التى أعطاها الله عز وجل لإبليس ، لكى يحيا بها صوته معه إلى يوم الوقت المعلوم ، أن يكون إنتهاء هذه الحياة بسنة غيبية خاصة ، أى يكتنفها سر أو أمر خفى ، لا يعلمه الناس ، أو العلماء الذين يدرسون ظواهر وقوانين الحياة والموت بين الأحياء الأرضية بعامة وحياة البشر بخاصة ، ذلك أن الحقيقة الذاتية لصوت إبليس الآدمى هو حصوله على الامهال إلى يوم الدين أى إمتداد الحياة إلى يوم الوقت المعلوم ، وهذه الحقيقة التى تمكنه مع إبليس من تشكيل الطاغوت أى قيادة الشر الدائمة طيلة أجل الحياة الدنيا ، أقول : إن هذه الحقيقة التى جعلت حياته مخالفة لسنن الحياة لابد أن تجعل موته أيضاً مخالفاً لسنن الموت الحاكمة لموت الاحياء بعامة ولموت البشر بخاصة . فيكون موته بكيفية مخالفة لموت البشر ، وبوسيلة مخالفة لموت البشر لأنه يموت بسنة مخالفة لموتهم ، ذلك هو المسيح الدجال صوت إبليس الإنسى .

فمن ذا الإنسى الذى تجمعت فيه هذه الخصائص والصفات والأحوال ؟

إنه قابيل ابن آدم الأول قاتل أخيه والزانى بأخته أول من سن الفسوق والكفر من بنى آدم وإتبع أبليس ، وهو أول من إرتكب معصية مكفرة خسر بها نفسه ، ولم يعُدْ له بعدها رجعة ولا توبة وإستمر بعدها فى العصيان وكانت هذه المعصية نتيجة إستكبار وفسوق عن مقتضيات العبودية ورغبة فى التعالى الوهمى للألوهية مثله فى ذلك مثل إبليس ، إنه قابيل قاتل أخيه هابيل .

قال تعالى﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتُقُبِّل من أحدهما ولم يُتَقبلْ من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدىّ إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين إنى أريد أن تبوء بأثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل

أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين ﴾ « المائدة / ٢٧ - ٣١ » فقوله تعالى لرسوله المصطفى الخاتم ﷺ واتل على امتك يا محمد **﴿ نبأ إبنى آدم بالحق ﴾** فيه دليل على أن لهذا النبأ أثراً مباشراً على حياة امته من خلال الصراع المستمر بين حزب الله الذى أعضاؤه هم أمته وبين حزب الشيطان الذى لهذا النبأ صلة وثيقة به .

وقوله تعالى **﴿ إبنى آدم ﴾** أى أن كلا منهما كان ابناً مباشراً له وليس حفيداً ، وليس من الذرية ، وهذا ما قاله جمهور المفسرين وخالفهم الحسن البصرى فقال إنهما من بنى إسرائيل محتجاً بأن السياق عن بنى إسرائيل قبل (نبأ ابنى آدم) وبعد **﴿ نبأ ابنى آدم ﴾** عنهم أيضاً ، فورود نبئهما فى وسط السياق عند الحسن دليل على أنهما من بنى إسرائيل لكن العلماء نقضوا قوله بما ورد عن نبأ القاتل لأخيه مع الغراب الذى علمه كيف يوارى سوأة أخيه الأمر الذى يثبت بدلالة قطعية أن البشرية لم تكن تعرف سنة الدفن بعد ، حيث لم يكن قد حدث فيهم الموت أو القتل ، أما علم الأخ القاتل بالقتل فهذا ميسور من خلال صيد الحيوانات أو ذبح الأنعام ، ومن ثم لما هدد أخاه بالقتل قائلاً لـــــه **﴿ لأقتلنك ﴾** كان لديه التصور الصحيح عن القتل من تجارب سابقة عن موت الحيوان وذبح الأنعام ، وحيث لا تدفن موتى الحيوانات فلم يدر قابيل ماذا يفعل بأخيه بعد أن قتله حتى علمه الغراب سنة الدفن . أما مناسبة ورود نبئهما فى وسط السياق الذى يتحدث عن بنى إسرائيل فسنعرفها بإذن الله تعالى فيما بعد تفصيلاً ويكفى الآن أن نعلم أن هذا دليل على أن الذى يقود بنى إسرائيل فى الإفسادة المعاصرة وعلوهم الكبير فى الأرض هو الدجال ملكهم وهذا يدل على أن قابيل هو الدجال ، ومن ثم تضمن السياق إشارة واضحة لهذه الحقيقة .

وأما تأويل قول الله سبحانه **﴿ بالحق ﴾** أى أن كل ما يقال عن هذا النبأ بخلاف ما سيرد فى السياق فهو غير صحيح ويكتنفه التحريف ، والذى سيرد هو الحق الخالص . ثم

بدأ السياق يقص نبأ ابنى آدم بقوله تعالى ﴿ إذ قربا قرباناً ﴾ أى أن النبأ يبدأ عندما قرب كلا منهما قرباناً يتقرب به إلى الله عز وجل . فمبدأ القصة إذاً منافسة بين الأخوين فى التقرب إلى الله عز وجل ، ومن ثم يكون قبول قربان أحدهما ورفض الآخر دليل تكريم الله عز وجل لصاحب القربان المقبول وتفضيله وإصطفائه دون الآخر لنيل المطلب الذى تقربوا بالقربان من أجله .. وفى هذا عودة لنفس الموقف الابتلائى النفسى الذى إجتازه إبليس من قبل حين كرم الله تعالى عليه آدم لإظهار ما يخفيه فى نفسه من الدافع الباطنى الدفين الذى دفعه لمنافسة الملائكة فى تسبيح الله تعالى وتعظيمه وتقديسه وهو دافع الرغبة فى إعلاء الأنا الإبليسسة بالاستكبار ، ولم يكن لوجه الله تعالى .

كذلك الأخوان إذ قربا قربانا ، كان أحدهما ابتغاء مرضاة الله تعالى ورضى بأمره أما الآخر فكان لغير مرضاته سبحانه . لقد وردت روايات تربط بين جريمة القتل الأولى فى تاريخ الانسانية بجريمة الزنا مع الأخت وبالمحارم بعامة فقتل قابيل لهابيل لم يكن مجرد جريمة قتل عادية كأى كبيرة من الكبائر يمكن لمرتكبها أن يتوب إلى الله تعالى منها ، لأن الدافع إليها كان هو نفس الدافع الذى دفع إبليس لمعصيته ، وهو الإستعلاء بالأنا المتمردة على مقتضيات العبودية النازعة نحو التأله .

وهذا لا يتعارض مع الروايات الواردة فى كتب التفسير عن محمد بن اسحق عن طائفة من أهل العلم عامة وعن ابن عباس وابن مسعود ان سبب النزاع بين الأخوين ، هذا الذى أدى إلى قتل الأخ لأخيه هو الإختلاف حول توأم قابيل الوضيئة الجميلة ، ومن ثم لما قتل قابيل هابيل ليمنعه من الزواج بتوأمه عاش معها هو بعد ذلك ، وهى محرمة عليه ولا تحل له ، أى أنه اتخذ الزنا باخته سبيلاً لقضاء شهوته ومن ثم فإنه لما قتل أخاه عازماً على الإستمتاع بشقيقته مع علمه بأنها محرمة عليه لم يكن أمامه أدنى إحتمال للتوبة والندم ، إذ لم يكن فى نفسه إلا الإصرار على المضى فيما أقدم عليه بغير رجعة يدل على هذا قوله تعالى ﴿ **فَطَوَّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** ﴾ لقد صار فى عداد الخاسرين ، ومن هم الخاسرون ؟ قال تعالى ﴿ **فاعبدوا**

ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ « الزمر / ١٥ » إذاً لقد خسر قابيل نفسه وأهله يوم القيامة بمجرد قتل أخيه ، وعلة ذلك أن الجريمة لم تكن قتلاً فقط ، بل ولم تكن قتلاً ولا زنى بالأخت فحسب ، بل كانت كفراً فلم يكن قابيل مسلماً لله تعالى ولم يكن مؤمناً به عز وجل مثل أخيه هابيل ، بل كانت ذاته إبليسية مستعلية نافرة من ذل العبودية لله عز وجل رافضة لشرعة ، ناشزة عن طاعته تكبراً وبطراً للحق المنزل من عند الله وغمطاً لحق أخيه . كانت هذه أحواله النفسية الدفينة يتعالى على أخيه بذاته وبشقيقته التوأم زاعماً أن أخاه هابيل وأخت هابيل التوأم دونهما هو وأخته التوأم ، وأصر على الزواج منها وإدعى أنه أحق بها وهذا هو الكفر المقابل للإيمان وكان لا بد من دليل سماوى على بطلان دعواه وصحة دعوى آدم عليه السلام الذى أخبره بما شرع الله لهم فى هذا الجيل من أحكام للزواج بتحليل الأخت غير التوأم وتحريم الأخت التوأم ، فكان الدليل هو القربان قال ابن كثير « وروى محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول : أن آدم أمر ابنه قابيل أن ينكح أخته توأمة هابيل وأمر هابيل أن ينكح أخته توأمة قابيل ، فسلم لذلك هابيل ورضى ، وأبى ذلك قابيل وكره تكرماً عن هابيل ، ورغب باخته عن هابيل وقال : نحن من ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختى .

ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس ، فَضَنَّ بها على أخيه وأرادها لنفسه فقال له أبوه : لا يا بنى إنها لا تحل لك ، فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بنى قَرِّبْ قرباناً ويقرب أخوك هابيل قرباناً فأيكما يُقبل قربانه فهو أحق بها ، وكان قابيل على بذر الأرض وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرب قابيل قمحاً ، وقرب هابيل أبكاراً من أبكار غنمه ، وبعضهم يقول : قَرَّبَ بقرة ، فأرسل الله ناراً بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل ، وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله . رواه ابن جرير . ثم المشهور عند الجمهور أن الذى قَرَّبَ الشاه هو هابيل ، وأن الذى قرب الطعام هو قابيل ، وأنه تقبل من هابيل شاته حتى قال ابن عباس

وغيره : إنها الكبش الذى فدى الله عز وجل به الذبيح إسماعيل عليه السلام وهو مناسب والله أعلم » إنتهى كلام ابن كثير ، والشاهد الأول فى هذا النص الذى نحتاجه لإثبات كفر قابيل هو رفضه التحريم بلاغاً من أبيه آدم عليه السلام وهو بنىّ مُكَلَّمٌ متعللاً بالدليل العقلى أو بالرأى فى مقابل الدليل النقلى الذى بلغه به آدم عليه السلام بقوله : هى أختى وأنا أحق بها ، فأمر آدم بأن يقربا قرباناً ليأتى الأمر الواضح الصريح بأن الذى يقبل الله تعالى قربانه هو الأحق بها وهى حلال له حرام على الآخر .

ولنا فى هذا النص لإثبات كفر قابيل الدفين ، قبل قتل أخيه ، بالأنا الأبليسية الفاسقة عن مقتضيات العبودية شاهدان :

الأول : رفض قابيل تحريم أخته التوأم عليه كما بلغه آدم عليه السلام الذى ما كان له أن يحرم الا ببلاغ منزل إليه من الله عز وجل ، وقد رفض متعللاً بالرأى الذى يسمونه « العقل » مع أنه ليس سوى الهوى قائلاً : هى أختى وأنا أحق بها . ورفض التحريم المبلغ به من آدم إنما هو رفض لنبوته ، وآدم عليه الصلاة والسلام نبى مكلم كما جاء فى الخبر عن النبى الخاتم ﷺ .

الثانى : لما أمر آدم بأن يقربا قرباناً ليأتى الحكم الواضح الصريح بأن الذى يقبل الله تعالى قربانه هو الأحق بها ، وهى حلال له محرمة على الآخر ، كان الهدف منه إظهار الكفر الدفين فى نفس قابيل ، ليس الكفر بنبوة أبيه آدم عليه السلام فحسب هذه المرة وإنما بالله عز وجل لأنه سيكون مخيّراً – إذا لم يأت الحكم حسب هواه – بين قبول أمر الله تعالى مستسلماً مؤمناً بوجوب طاعته ، وبين رفضه والاستعلاء بهذا الرفض والإباء تماماً ، مثل ما كان من إبليس لعنه الله بإزاء الأمر بالسجود لآدم عليه السلام . وهذا هو ما حدث إذ تقبل الله قربان هابيل ولم يُتقبّل قربان قابيل ، ومن ثم جاء الحكم من الله تعالى بأن أخته التوأم الوضيئة محرمة عليه ، ولا تحل إلا لهابيل ، فاختار قابيل بدافع الأنا المستعلية المستكبرة الكفر الذى صار هو السبيل الوحيد للإستمتاع باخته، وحيث لا سبيل إلى ذلك مع وجود الأحق بها وهو هابيل ﴿ **قال : لأقتلنك** ﴾ استفزاز

له، وهذا هو أول إستفزازٍ له ، يفضى إلى القتل من إبليس لبنى آدم ، وقدم قابيل الحاقد التهديد على الفعل حتى يهيج أخاه فيتحرك للدفاع عن نفسه فيصير الفعل بينهما إقتتالاً وليس قتلاً ، ولكن هابيل عليه السلام كان صالحاً عالماً بمقتضيات التقوى فرد عليه قائلاً بهدوءوبدون أدنى غضب أو هيجان ﴿ **قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾ « المائدة / ٢٧ - ٢٨ » أى سأجعل يدى مغلولة فلا أحركها حتى تكون جريمتك عدوان خالص منك علىّ فأنجو من الأثم وتتحمله وحدك ﴿ **إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** ﴾ « المائدة / ٣٠ » وصدق هابيل فغل يده عن أخيه رغم أنه كان أقوى منه جسداً كما وردت بهذا الروايات ، فماذا حدث ؟ قال تعالى ﴿ **فَطَوَّعَت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** ﴾ « المائدة / ٣١ » فتدبر قوله تعالى ﴿ **فطوّعت له نفسه قتل أخيه** ﴾ بتشديد الواو بما يفيد مغالبة النفس الأمارة بالسوء لفطرته فيستبين لنا الصراع الباطنى فى صدر قابيل للإختيار بين الرغبة المحرمة فى الأخت التى لا سبيل إليها إلا بقتل الأخ مع التضحية بالآخرة ، وبين إيثار الآخرة والتضحية بهذه الرغبة لقد كان أعنف صراع بين فجور نفسٍ وتقواها ومن ثم كان التردد ، لكن فجوره محق تقواه من نفسه ، وطوّعت له نفسه القتل أى أجازته وحسنته ويسرته له بمجاهدة فطرته ومغالبتها .

ولكن أين دور ابليس من هذه الجريمة ؟ أليس هو الذى يعد ولا يعد الا غرورا ؟ فماذا كان وعده لقابيل مقابل قتل أخيه ؟ أن ينال أخته التى يشتهيها فقط ؟ كلا : لقد وعده بالنظرة والامهال والحياة الممتدة إلى يوم الوقت المعلوم ، ومن ثمّ كان المقابل مُغرياً لقد أغراه بالدنيا مقابل الآخرة ، قال له : إذا كنت ستفقد جنة الآخرة التى سيدخلها المؤمنون بعد نهاية أجل الدنيا الطويل وبعد الموت ، فأنا أعطيك جنة الدنيا وأنجيك معى من الموت إلى يوم الوقت المعلوم ، وستكون صوتى الذى أتحدث به إلى بنى جنسك وأجعلهم يعبدونك معى فتكون إلهاً . ارفض العبودية كما رفضتها أنا لتكون إلهاً

. والسبيل إلى هذا أن تتمسك باختك توأمك فأنت أحق بها ، خرجتما من رحم واحدة فى بطن واحدة ، أنتما شئ وهابيل وأخته شئ آخر ، لستما سواء ، إنكما من ولادة الجنة ، والدليل ما أنتما عليه من وضاءة وجمال ، وما هما عليه من سمرة وحظ قليل من الجمال ، تمسك بها للنهاية ، وامنعه أن يستمتع بها ولا تسمع لآدم ، إذ يحرمها عليك .

فرفض قابيل التحريم ورفض الزواج من توأم هابيل وكان هذا استدراجاً من ابليس له بالنفخ فى نفسه لتطفوا الأنا الإبليسية فيه ، فيسلك نفس السبيل الذى سلكه هو من قبل وهو سبيل الأبلسة ، أى الطرد من رحمة الله تعالى .

فلما أمر آدم بتقريب القربان وثبت التحريم من الله عز وجل ، وسوس له بأن يتحدى أمر الله ويرفضه ليكون معه منظراً إلى يوم الوقت المعلوم لأن الله تعالى وعده بأن يكون له صوت فيهم ونائباً له عليهم ينال النظرة والإمهال مثله . فصار بذلك اختيار قابيل صعباً وابتلاؤه بالتخيير بين أن يكون معبوداً من الذين يتّبعونه من الناس إلى يوم الوقت المعلوم ، وبين أن يكون عبداً مسلماً لله عز وجل يعيش أجلاً قصيراً ثم يموت ليفوز بالجنة بعد البعث ، فاختار قابيل طاعة ابليس تلبية للأنا المستكبرة ولشهوته وأبى طاعة ربه فقتل وزنى ، فما كان ليقتل أخاه ويزنى بأخته نظير سنوات معدودة حتى ولو كانت الألف التى كان يعيشها الواحد منهم حينئذ .

– الآدلة علي أن قابيل قتل وزني مقابل النظرة والامهال

أولاً : ما سبق وأن عرضناه من تفسير لقوله تعالى ﴿ **وإستفزز من إستطعت منهم بصوتك ....** ﴾ حيث إنتهينا إلى أن هذا الصوت هو أول من إستحوذ عليه الشيطان من بنى آدم ، ليكون خليفة له فيهم متحدثاً باسمه ، وأنه يلزم أن يكون صوت إبليس مستمراً معه طيلة أجله وهذا يثبت للصوت النظرة والامهال .

ثانياً : قوله تعالى عن قابيل بعد أن قتل أخاه مباشرة ﴿ **فأصبح من الخاسرين** ﴾ أى

مطروداً من رحمته تعالى طرداً أبدياً مثله فى ذلك مثل إبليس سواء بسواء ، وحيث أن القتل هو مما يجوز أن يتوب عنه القاتل بل تجوز التوبة عن الشرك والكفر ، إلا أن الخسران فى هذا الموضع يدل على أن كفر قابيل الدفين كان هو دافعه إلى القتل فقوله ﴿ **فطوّعت له نفسه** ﴾ فلو لم تكن نفسه كافرة مستعلية بالأنا الأبليسية ، لما قتل أخاه ، أليست هى التى طوعت له قتل أخيه ؟ فهى إذن نفس كافرة قبل القتل، لأن الأنا الإبليسية كانت قد فسقت عن حدود العبودية بالرغبة فى التمايز عن أخيه والتكبر عليه فبطر الحق المنزل من عند الله وغمط أخاه ، ذلك هو الكبر المعادل للتأله .

وقد أبان هذا الدفين النفسى عند قابيل وأظهره قوله لآدم مبرراً رفض التحريم فى رواية ابن اسحـــق « نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الأرض » فاستعلى على أخيه بهذا الأصل الوجودى لنشأته هو وأخته ، كما إستعلى إبليس أيضاً بأصله الوجودى النارى على آدم بأصله الوجودى الطينى . هذا الاستعلاء هو الذى مكّن ابليس أن يستحوذ عليه ليكون له صوتاً منظراً معه إلى يوم الوقت المعلوم . أما تفسير عبارة « ولادة الجنة وولادة الأرض » فى هذه الرواية ، فهى تشير إلى أن حواءحملت بقابيل وتوأمته فى الجنة قبل النزول إلى الأرض بعد أن بدت سوآتهما بسبب الأكل من الشجرة ولم يكن هذا زنى منهما لأن الله تعالى قال له أنها زوجه فى قوله تعالى ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ....** ﴾ « البقرة / ٣٥ » والإثم هو الأكل من الشجرة .

ثالثاً : قول هابيل لقابيل ﴿ **إنى أريد أن تبوء بإثمى وإسمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** ﴾ « المائدة » اختلف فيه المفسرون حول دلالة الإثم المضاف للمخاطب قابيل ، قال ابن عباس ومجاهد : أى بأثم قتلى وأثمك الذى عليك قبل ذلك . وقال آخرون : يعنى بذلك إنى أريد أن تبوء بخطيئتى فتتحمل وزرها وإثمك فى قتلك إياى . والذى أراه والله تعالى أعلم هو أن قول هابيل هذا يتضمن إشارة إلى أن الذى سيقدم عليه أخوة قابيل ليس إثماً واحداً ، وإنما هما إثمان : الأول هو قتل أخيه له وعبر عنه بقوله ﴿ **بإثمى** ﴾ أى إثم قتلى ، وهو اثم خالص لقابيل إذا فعله نظراً لأن

هابيل عزم على أن لا يبسط يده له ويجعلها مغلولة إن أقدم أخوه على قتله ، فلا يكون الإثم بحال منسوباً لهابيل بالمشاركة ، والثانى قوله ﴿ وإثمك ﴾ والمعنى وإثمك الثانى الذى ستزاوله بالزنى باختك ، وهو إثم ممتد لا رجعة فيه ، وسيكون به من الظالمين يعنى من المشركيّن ، لأن الظلم هو الشرك ، لأنه جحد الشرع المنزل ولم يقره ، ومن ثم يستحق به عذاب النار فى الآخرة ، فالحكم على قابيل بأنه من الخاسرين بمجرد القتل ، وبيان أخوه له بأنه سيكون من الظالمين المخلدين فى النار ، إن قتله ، يدل على أن فى الأمر اتفاق بين قابيل وإبليس يستحوذ بموجبه هذا الأخير على الأول ويصير أول جندى آدمى له كما يدل على سبق علم آدم وأبنائه عن هذه الحادثة التى يصير بها أحد أبنائه إلى الكفر منظراً إلى آخر الدنيا .

رابعاً : ورد فى سفر التكوين نبأ ابنى آدم متضمناً التصريح بإمهال قابيل مطروداً على وجه الأرض (وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قابين وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب ، ثم عادت فولدت أخاه هابيل ، وكان هابيل راعياً للغنم ، وكان قابين عاملاً فى الأرض ، وحدث من بعد أيام أن قابين قدّم من أثمار الأرض قرباناً للرب . وقدّم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها . فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قابين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قابين جداً وسقط وجهه . فقال الرب لقابين لماذا إغتظت ؟ ولماذا سقط وجهك ؟ إن أحسنت أفلا أرفع ؟! وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك إشتياقها وأنت تسود عليها .

وكلم قابين أخاه . وحدث إذ كانا فى الحقل أن قابين قام على هابيل أخيه وقتله . فقال الرب لقابين أين هابيل أخوك ؟ فقال لا أعلم . أحارسٌ أنا لأخى ؟! [1] . فقال : ماذا فعلت صوت دم أخيك صارخٌ إلىّ من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك ، متى عملت ، الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائهاً وهارباً تكون فى الأرض .

---

(١) لاحظ سوء الأدب فى الحديث مما يدل على أن هذا من تحريف أهل الكتاب لأن الله عز وجل لم يكلم قابيل كما يزعمون ؟

فقال قابين للرب ذنبى أعظم من أن يُحتمل . إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفى ، وأكون تائهاً وهارباً في الأرض ، فيكون كل من وجدنى يقتلنى .

فقال له الرب : لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف يُنتقم منه . وجعل الرب لقابين علامة لكى لا يقتله كل من وجده ، فخرج قابين من لدن الرب وسكن فى أرض نور شرقى عدن .

وعرف قابين امرأته فحبلت وولدت حَنُوك . وكان يبنى مدينة فدعاً اسم المدينة كاسم ابنه حنوك ، وولد لحنوك عيراد وعيراد ولد محويائيل ، ومحويائيل ولد متوشائيل ، ومتوشائيل ولد لأمك ، وإتخذ لأمك لنفسه إمرأتين اسم الواحدة عادة واسم الأخرى صلة ، فولدت عادة يابال الذى كان أبا لساكنى الخيام ورعاة المواشى ، واسم أخيه يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار . وصلة أيضاً ولدت توبال قابين الضارب كل آلة من نحاس وحديد . وأخت نوبال قابين نعمة وقال لأمك لأمرأتيه عادة وصلة إسمعا قولا يا إمرأتىْ لأمك . وإصغيا لكلامى . فأنى قتلت رجلاً لجرحى . وفتى لشدخى إنه ينتقم لقابين سبعة أضعاف . وأما للامك فسبعة وسبعين .

وعرف آدم امرأته أيضاً فولدت إبناً ودعت اسمه شيثاً قائلة لأن الله قد وضع لى نسلاً آخر عوضاً عن هابيل لأن قابين قد قتله . ولشيث أيضاً ولد ابنا فدعا اسمه أنوش حينئذ ابتدئ أن يدعى بإسم الرب / سفر التكوين / ص ٤ / ع ١ - ٢٦ »

وشاهدنا فى هذا النص الطويل الذى يدل على أن قابين نال النظرة والأمهال مع اللعنة الأبدية التى صار بها من الخاسرين قول الله عز وجل له (صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك . متى عملتَ الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائهاً وهارباً تكون فى الأرض) « التكوين / ص ٤ / ع ١١ - ١٢ » ولو صح هذا النص ، الذى سنجد له شواهد تؤيده فيما بعد فإن الزراعة تكون محرمة عليه لقوله (متى علمتَ الأرض لا تعود تعطيك قوتها) أما قوله له (تائهاً وهارباً تكون فى الأرض) أى شريداً دائماً غير مستقر لا عليها ولا فى

باطنها فكان رد قابيل (إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض) وليس فى هذا النص ادنى تناقض بين قوله (قد طردتنى عن وجه الأرض) وقوله (وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض) فالعبارة الأولى تفيد أنه قد حُكم عليه أن لا يستقر على وجه الأرض أى على اليابسة ولم يعد صالحاً للزراعة التى تحتاج إلى استقرار . ، فيدخلها ويمر بها ويعيش فيها لكن ليس مستقراً تماماً مثل ما يتمكن الإنسان أن يعيش على الماء فى سفينة أو جزيرة نائبة صغيرة ، ولكن لا يكون مستقراً هادئاً بحياة مستمرة جيلاً بعد جيل تثمر حضارة نامية متطورة ، وأما قولــــه (وأكون تائهاً هارباً فى الأرض) فهو غير قوله مطروداً عن وجه الأرض لأن مدلول فى الأرض يختلف عن مدلول (عن وجه الأرض) إذ يفيد الأخير اليابسة بالضرورة لأنه لا يمكن لبشر أن يستقر بقدميه إلاَّ على وجه اليابسة ، أما مدلول (فى الأرض) فهو يفيد هروبه فى الأرض من زحمة البشر أى الأرض المسكونة إلى غير وجه الأرض مثل البحار أو الجزر النائية المهجورة غير المسكونة يدل على هذا قوله تعالى ﴿ **وإذ قــــال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون** ﴾ « البقـرة / ٣٠ » فأثبت الله تعالى إستخلاف الإنسان فى الأرض وليس على الأرض ثم ذكرت الملائكة إفساد الإنسان وسفك الدمآء فيها بقولها ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ ومعلوم أن فساد الإنسان يطول البحر والبر لقوله تعالى ﴿ **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون** ﴾ « الـــروم / ٤١ » فانظر إلى قوله تعالى ﴿ **فى البر والبحر** ﴾ لتعلم أن هذا القول يتضمن إفساد الجو أيضاً لأن الجو فوق البر وفوق البحر وهو ما حدث فى عصرنا هذا من فساد للبيئة براً وبحراً وجواً ومثلها قوله تعالى ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ « / ٠» فقوله تعالى حملناهم فى البر والبحر وليس على البر والبحر يفيد أنه فى الجو أيضاً لأنه فوقهما .

وبناء على هذا يكون حياة قابيل هارباً تائهاً فى الأرض أى بعيداً عن المسكونة منها ، وبعيداً عن وجهها أى عن البر ، ومن ثم يكون أكثر وجوده في البحر ، لكن لا يمنعه هذا من أن ينزل البر من غير إستقرار فيه ويتوافق هذا مع ما جاء في حديث الجساسة يقول الدجال (فأسير في الأرض)

أما الدليل على أن حياته هذه ستطول وتكون ممتدة إلى آخر الزمان لا يموت ولا يقتله أحد ، فلقوله بعد ذلك (فيكون كل من وجدني يقتلنى فقال له الرب لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه وجعل الرب لقابين علامة لكى لا يقتله كل من وجده فخرج قابين من لدن الرب وسكن في أرض نود شرقى عدن) « تكوين / ص ٤ / ع ١٥ - ١٦ » وهذا النص يكتنفه الغموض إذ يحتوى على دلالتين متناقضتين : أنه قابل للقتل لقوله (فيكون كل من وجدني يقتلنى) أى يكون منبوذاً مباح الدم دائماً وهو يفيد قابليته للقتل لقوله (وجعل الرب لقابين علامة لكى لا يقتله كل من وجده) إذن هو غير قابل للقتل ؟ ولكن يمكن الجمع بينهما أن قابيل طلب هذه العلامة التى تحميه من القتل فنالها ، كما طلب ابليس النظرة فنالها ، ويكون هذا دليلاً على حصوله على الامهال الذى يجعله صالحاً لكى يكون صوتاً لأبليس فى بنى نوعه .

أما مسكنه بعد ذلك فى شرق عدن فهو مجاور للبحر الأحمر أو لخليج عمان وهذا هو الأرجح ، لما سيرد بعد من الدليل على هذا ، إذ سترتبط حياته ووجوده بالبحر إلى آخر الزمان ، كما دلت على هذا العبارات السابقة .

ماذا فعل قابيل بعد أن علم هذا المصير الممتد فى الزمان المناظر لمصير ابليس ليس فى الزمان فقط ، بل وفى المكان أيضاً ؟ حيث من المعلوم والثابت بالنصوص الصحيحة أن ابليس إتخذ عرشاً له فى البحر على الماء وليس فى اليابسة ، أى أن مصيره كان اللعنة الموجبة للطرد أيضاً من على وجه الأرض هارباً تائهاً فى الأرض فلجأ إلى البحر . فهل صار لقابيل الذى أخذ النظرة مع اللعنة الأبدية مثل إبليس وجوداً دائماً مستقراً فى البحر ووجوداً مؤقتاً فى البر بين الفينة والفينة ؟!

بعد أن خسر قابيل آخرته بسبب إخته الوضيئة زاول الإثم الثانى وهو العيش معها زانياً ، هذا الزنى البغيض النجس ، زنى المحارم ، وهو أحط ما يمكن أن يتسفل إليهِ بشر . فما دام قد غلبت عليه نفسه الإبليسية ، فأبلس أى فيئس من رحمة الله تعالى ولا رجاء له فى التوبة فليستمر وليوغل فى الفسوق والعصيان والكفر إرضاء لهواه وشهواته وطاعة لزميله إبليس ، ومن ثم تحول إلى شيطان مثله ، فصار فى الوجود الدنيوى شيطانان : الشيطان الجنى ، والشيطان الإنسى .

لقد إعتزل قابيل مجتمع أبيه آدم الطيب وعاش مع أُخته زانيان وأنجبا كما جاء فى النص أنفاً حنوك وتوالت الذرية جيلاً بعد جيل ، ومن قابيل ومن ذريته ظهر عازفو العود والمزامير والآلات النحاسية ، وما يصاحب هذا من الغناء والرقص ، لقد ظهر من هذا المجتمع القابيلى حزب الشيطان الذى سيعادى بقيادة مشتركة من إبليس وقابيل حزب الله أبناء آدم من شيث وإلى هذا يشير النص بعد ذلك بقوله (وعرف آدم عليه السلام امرأته أيضاً فولدت ابنا ودعت اسمه شيثاً قائلة لأن الله قد وضع لى نسلاً آخر عوضا عن هابيل ، لأن قابين كان قد قتله ، ولشيث أيضاً ولد ابن فدعا اسمه أنوش حيئذ أُبتدئ أن يدعى باسم الرب) والحق ان الدعاء باسم الرب عز وجل كان موجوداً منذ آدم وزوجه عليهما السلام ، وربما كان المقصود من العبارة أنه ببدء نسل شيث بدأ حزب الله تعالى فى النمو والزيادة ليقف أمام حزب الشيطان بقيادة ابليس / قابيل المستمرة إلى آخر الزمان ، تلك القيادة الموحدة التى تستحق اسم الطاغوت نسبة إلى طغيان الذات المستعلية المستكبرة ، الطغيان المزدوج الناتج عن توحد النفس الإبليسية الجنية بالنفس الإبليسية الإنسية .

فمن يكون هذا الذى حياته مستمرة إلى آخر الزمان ، ويستحق وصف الطاغوت مع إبليس غير المسيح الدجال ؟

فقابيل إذن هو المسيح الدجال .. والمسيح الدجال ليس إذاً سوى قابيل ، والأدلة على هذه الحقيقة هى موضوع الفصل القادم .

ولكن قبل أن ننتقل إلى هذا الفصل لنثبت هذا تفصيلاً ، نذكر أن الشروط والأحوال والخصائص السبع آنفة الذكر قد ثبت مطابقتها على قابيل اللعين ، مما يثبت أنه صوت إبليس وبيان هذه السبع كالتالى :

١ - فهو آدمى .

٢ - وهو أول من كفر من بنى آدم كفراً بواحاً مع الإصرار عليه كإبليس ، فهو أول من إستحوذ عليه إبليس من بنى آدم .

٣ - وهو الذى نال النظرة والإمهال كما دَلَّ على هذا نص سفر التكوين ، وكما سنقدم على هذا أدلة من الكتاب والسنة فى الفصل القادم .

٤ - وهو الذى كفر إستكباراً فكان جوهر كفره ودافعه إليه هو الإستكبار ، شأنه فى هذا شأن إبليس ، ومن ثم فهو يسعى مع قرينه ونظيره إبليس إلى التأله حتى يعبدهما الإنس والجن من دون الله .

٥ - يبقى بعد هذا أن نَسُوق الأدلة على أنه المسيح الدجال الذى يشكل مع إبليس القيادة المتوحدة لحزب الشيطان وهى الطاغوت ، وهذا ما سنعرضه تفصيلاً فى فصول قادمة .

٦ - لا بد أن تكون حياته مخالفة لسنن الحياة البشرية ، كما أن حياة إبليس مخالفة لسنن الحياة الجنية ، ومن ثم تتطابق هذه الحقيقة مثل سوابقها على حقيقة المسيح الدجال وكونه صوت إبليس .

٧ - موته كذلك سيكون مخالفاً لسنن الموت البشرية وستأتى الأدلة عليه . هذه الحقائق السبع التى ثَبَتَ لنا صحة بعضها فى هذا الفصل والتى سنثبت صحة البعض الباقى منها بإذن الله وعونه فى فصول لاحقة ، تجعل مطابقة هذه الشروط أو الأحوال والخصائص السبع على قابيل من ناحية وعلى صوت إبليس الذى هو المسيح الدجال كما سنرى من ناحية ، حججاً بالغة تثبت أن قابيل هو الدجال .

الفصل التاسع

الدجال من المنظرين
مثل إبليس الجني

حياة الدجال وموته مخالفان لسنن الحياة والموت :

تعتبر شخصية الدجال أعقد الشخصيات في تاريخ البشرية كله ، لما تتضمنه من أخبار متناقضة وخصائص غريبة مخالفة لسنن الحياة والموت ، وأهداف متصادمة مع الطبيعة الآدمية وعداءلكل ما هو حق وخير بقصد هدمه وإستئصاله من الأرض بوسائل شريرة خبيثة تجعله نداً للشيطان الجنى فى عدائه لبنى آدم ومناظراً له فى خبثه وشره ، مما حدا ببعض العلماء أن يتساءلوا : هل المسيح الدجال إنس أو جان ؟ وهل هو من ذرية إبليس الجنى أو من ذرية آدم ؟ أو هو من ذرية إبليسية آدمية معاً ؟

قال إبن كثير فى « النهاية » (وهو رجل من بنى آدم خلقه الله تعالى ليكون محنة للناس فى آخر الزمان ، فيضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ، وما يضل به إلا الفاسقين) ولعل ابن كثير رحمه الله تعالى قد قدر أنه من ولد آدم إعتماداً على ما رواه الامام أحمد والطبرانى والآجرى فى كتاب الشريعة (عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « لقد أكل الطعام ومشى فى الأسواق » (يعنى الدجال) ومشيه فى الأسواق يبيع ويشترى يثبت أنه آدمى .

وروى الحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقـول : ألاَ إن كل نبى قـد أنذر أمتـه الدجـال ، وإنه يومـه هذا قـد أكل الطعـــــام .. »

فـالذى يأكل الطعـام ويمشى فى الأسـواق هو من بنى آدم بلا شك ، وكـذا تدل الأحاديث التى جاءت فى وصفه على أنه بشر من ولد آدم

لكن كيف يكون المسيح الدجال من بنى آدم ، وقد ثبت أنه كـان حيا يرزق قبل وأثناء العهد النبوى ؟ وأنه لا زال حياً يرزق حتى يأتى يوم خروجه العلنى كما دلت على هذا الأحاديث الصحيحة ؟! وهذا يعنى أنه ظل حيا يرزق أكثر من أربعة عشر قرناً ، وهذا مخالف لسنن الحياة البشرية التى تدل على أن متوسط الأعمار تعد بعشرات السنين ،

وأن أطول المعمرين عمراً لا يصل إلى قرن ونصف القرن .

ويدل خبر الجساسة على أن الدجال كان موجوداً منذ ما قبل بعث النبى المصطفى الخاتم ﷺ ، هذا الخبر الذى رواه مسلم وأبو داود والطبرانى فى الكبير بأكثر من وجه ورواه الإمام أحمد وابن ماجه ورواه الترمذى بلفظ مختلف ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب . ولابن حبان فى صحيحه رواية لهذا الخبر أيضاً .

وكل هذه الروايات عن فاطمة بنت قيس لكن لخبر الجساسة روايتان أحداهما عن أبى هريرة رضى الله عنه والأخرى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

وأما خبر الجساسة بلفظ مسلم فهو كالتالى (عن أبى بريدة قال : حدثنى عامر بن شراحيل الشعبى أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال : حدثينى حديثاً سمعتيه من رسول الله ﷺ لا تسنديه إلى أحد غيره فقالت : لئن شئت لا فعلنّ فقلت لها : أجل ، حدثينى (فذكرت فى تأيمها [1] عن زوجها ، واعتدادها عند ابن أم مكتوم) ثم قالت : فلما إنقضت عدتى سمعت نداء المنادى (فنادى رسول الله ﷺ) ينادى : الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ ، فكنت فى صف النساء التى تلى ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : « ليلزم كل إنسان مصلاه » ثم قال : « أتدرون لم جمعتكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ، ثم أرفأوا [2] إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا فى أقرب [3] السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة

---

(١) أى موت زوجها عنها وقضاء مدة العدة بعد موته عند ابن أم مكتوم رضى الله عنه لأنه كان من أرحامها .
(٢) أى اتجهوا إليها لترسوا سفينتهم عندها .
(٣) أى قوارب معدة بالسفينة ينزلون بها إلى الشواطئ .

الشعر ، فقالوا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة ، قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سمّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة . قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلّقاً ، وأشده وثاقاً ، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، قلنا : ويلك ، ما أنت ؟

قال : قد قدرتم على خبرى ، فأخبرونى من أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا فى سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين إغتلم ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا فى أقربها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قُبُله من دُبره من كثرة الشعر ، فقلنا : ويلك ! ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة قلنا : وما الجساسة ؟

قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل فى الديـر ، فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقال : أخبرونى عن نخل بيسان . قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما أنه يوشك أن لا يثمر .

قال أخبرونى عن بحيرة الطبرية ، قلنا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيهـــا ماء ؟ : قالوا : هى كثيرة الماء. قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال : اخبرونى عن عيْن زغر قالوا : عن أى شأنها تستخبر ؟ قال : هل فى العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا : نعم هى كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبرون عن نبى الأميّين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب ، قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذاك [1] ؟! قلنا : نعم ، قال : أما إن ذاك

---

(١) هذا سؤال منه للإستيثاق من صحة الإجابة بمعنى : أو قد حدث هذا فعلاً ؟!

خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى ، إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض ، فلا أدع قرية إلاّ هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان علىّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة (أو : واحد) منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قالت قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر : « هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة (يعنى : المدينة) ، ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ » فقال الناس : نعم « فإنه اعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألاَ إنه فى بحر الشام أو بحر اليمن ، لا ، بل من قبل المشرق ما هو (وأومأ بيده إلى المشرق) قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ)

وما يمكن إستنباطه من خبر الجساسة برواية مسلم هذه عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها ما يلى :-

١ - أن تميماً الدارى الذى شاهد الدجال وخاطبه كان نصرانياً قبل أن يسلم ومن ثم يغلب على الظن أنه كان قد سمع عن المسيح الدجال المذكور فى الانجيل باسم المسيح الكاذب أو المسيح الضد ، سواء قبل أن يشاهده فى دير الجزيرة أو بعد أن شاهده ، وربما كان هذا هو الدافع الذى جعله يقص خبره على رسول الله ﷺ بعد أن بايع وأسلم للمطابقة بين خبره فى الوحى الأخير المنزل على النبى المصطفى الخاتم ﷺ وخبره فى الإنجيل مع مطابقة الخبرين لما رآه وسمعه منه .

٢ - أيّد رسول الله ﷺ كل ما أخبر به تميم الدارى على لسان الدجال ، وبصفة خاصة الخبر الذى كان قد أخبر الصحابة عنه من قبل وهو تحريم مكة وطيبة عليه ، فلا يدخلهما ، وهو الخبر الذى أفرحه ﷺ حتى أنه لم ينم القيلولة كعادته وأحب أن يذكره للصحابة .

٣ – الدجال كان موثقاً بالسلاسل الحديدية القوية لمنعه من الخروج من هذا المكان والإنطلاق والسير فى الأرض .

٤ – أخبرتهم الجساسة أن الرجل المقيد فى الدير لخبرهم بالأشواق . ثم ظهر بعد ذلك من أسئلته أنه كان يستفسر عن أحداث تهمه ويرتقبها هى :

أ – استفسر عن توقف نخل بيسان عن الإثمار ،فلما علم أنه لا زال يثمر قال : يوشك أن لا يثمر ، أى أنه يريده ألاّ يثمر ، وهذا ما يُهمه ، أو على الأقل ما كان يرتقبه ويتمنى حدوثه .

ب – واستفسر عن ذهاب مياه بحيرة طبرية ، ثم عقب بقوله يوشك ماؤها أن يذهب ، وهذا ما يرتقبه ويتمناه ويهمه أيضاً .

ج – وكذلك الحال بالنسبة لماء عين زغر .

د – وأما الاستفسار الأخير له ، وهو عن أخبار النبى الخاتم ﷺ ، وقد ظهر حقده عليه وكراهيته له بقوله عنه (أخبرونى عن نبى الأميين ما فعل ؟) مع أن الدجال يعلم أنه ، وإن كان النبى ﷺ قد بعثه الله من الأميّن وفى الأميّين أى العرب ، إلا أنه مبعوث للناس كافة بل للعالمين كافة إنساً وجناً إلى قيام الساعة ، فلما علم أن العرب بدأوا يدخلون فى دين الله تعالى (قال : قد كان ذاك ؟ إن ذلك خير لهم أن يطيعوه) كل هذه الاستفسارات تدل على أن الدجال كان يعلم حينئذ أن خروجه سيكون مع وقوع هذه الأحداث التى كان يرتقبها ، لأن السجين لا يهمه أمر مثل موعد الإفراج عنه .

ويدل على أن هجرة النبى وانتصار دعوته ﷺ أراحت الدجال نفسياً من حيث أنه الحدث الذى يسبق خروجه من قيده قوله تعقيباً عليه (قد كان ذاك ، ذاك خير لهم أن يطيعوه ، وإنى مخبركم عنى ، إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج) أى بعد أن سمع عن إنتصار الاسلام فى الجزيرة ، وإقبال العرب على الدخول فى دين الله تعالى ، ومعنى أنه يوشك أن يؤذن له فى الخروج ، أى من قيده ومن الدير ، فيسير

فى الأرض مفسداً لِيَعْلُوَ .

حتى يكون له أتباع وجنود أشرار يسيطر بهم على كل العواصم ويدخلها مما عدا مكة والمدينة ، وسيكون خروجه الأول من الدير فى سنة نضوب ماء طبريه وعين زغر وتوقف نخل بيسان عن الإثمار .

هـ - أخبرهم أنه المسيح ولم يقل المسيح الدجال ، وهذا أمر طبيعى ، لأن الكاذب الشرير لا يصف نفسه بذلك ، وإنما هو يزعم أنه المسيح ، وأمّا وصف الدجال فقد ألحقه رسول الله ﷺ بإسمه الذى أطلقه هو - أى الدجال - على نفسه ، والذى سيطلقه على نفسه عند إعلانه عن نفسه ربا للعالمين . كماأن إسمه فى الإنجيل المسيح الكاذب للتمييز بينه وبين المسيح الحق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام .

و - قول الدجال (وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج ، فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها) يتضمن عدة حقائق :

أولهـا : أنه يعلم أنه على وشك أن يوذن له في الخروج ، وفى هذا دليل على أنه كمن يقضى مدة سجن محدودة ، إذا هى إنقضت أتى الأمر بالافراج عنه . وهو ما يرتقبه ويحسب له ، وما سأل ما سأله من الأسئلة التى إستفسر بها، إلا ليعلم ما بقى من مدة سجنه .

ثانيـاً : إرتباط قرب خروجه بانتصار الإسلام فى الجزيرة ودخول العرب فيه أفواجاً يثبت الصلة الوثيقة بين سجنه وبين مبعث النبى المصطفى الخاتم ﷺ ، بل الصلة الوثيقة بين هذا السجن وبين مولده ﷺ وحياته ، بدليل قوله بعد إستماعه خبر إنتصاره على أعدائه (أنه يوشك أن يؤذن له فى الخروج) ، وقد أثبت بعض العلماء هذه الصلة وفسروا سجنه بأنه كرامة للنبى المصطفى الخاتم ﷺ ، والأرجح - علاوة على هذا التعليل - أنه قد حكم عليه بهذا السجن القاسى حماية أيضاً للنبى ﷺ منه ، لأنه العدو الأول اللدود للنبوة والأنبياء والرسل ، فكيف يكون عداؤه لأمامهم وخاتمهم عليهم

جميعاً الصلاة والسلام ، وبخاصة أنه ، أى الدجال ، كان على علم بمدى الخير والنور والرحمة التى ستعم كثيراً من الناس والشعوب ببعث المصطفى ﷺ ، ومن ثم كان هذا سيدفعه لايقاع الضرر به ﷺ ، وبخاصة أنه كان على علم سابق بمكان وزمان مولده ، فحماه الله تعالى منه بتقييده فى هذا الدير النائى لانفاذ قدره ومشيئته سبحانه ببعثه ﷺ وتبليغ رسالته وهو سبحانه القائل له ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين** ﴾ « المائدة / ٦٧ » أى أنه سبحانه يحميه ويمنعه من الناس حتى يبلغ رسالته .

فَمَنْ مِنَ من الناس سوى المسيح الدجال يمكن أن يشكل خطراً على حياة الرسل بعامة وحياة رسول الله الخاتم بخاصة ﷺ وعليهم جميعاً ؟! الإجابة : لا أحد أبداً مثل الدجال فى هذا الخطر لا أحد .

ومن ثم لزم أن يقيد هذا الخبيث فى السلاسل الحديدية حتى آخر العهد النبوى فى المدينة ، ومن ثم لما أظهر الله دينه وصار نبيه فى مَنَعَةٍ وقوة بين صحابته ، أُذن للدجال بالخروج ، فقال رسول الله ﷺ لصحابته يوم خروجه من قيده (ألا إن كل نبى قد أنذر قومه الدجال ، وإنه يومه هذا قد أكل الطعام ومشى فى الأسواق) وقد كان هذا اليوم هو اليوم الذى خرج فيه من قيوده وأصبح يسير فى الأرض .

قوله (أسير فى الأرض) يفيد أن الدجال ليس له أن يستقر فى بلد ، ويزعم أنه من مواليدها ، وأنه من أهل هذا البلد ، وليس له أن يسكن داراً كما هو شأن كل آدمى ، إذ أن وضعه الخاص وغايته النهائية التى يسعى بدأب إليها تحتم عليه أن يسير دوماً فى الأرض ، وهذا هو قوله (فأسير فى الأرض) ذلك هو الوجود الدجالى الخاص ، كما سنثبت هذا من بعد .

ثالثاً : حاول الدجال بما قاله عن نفسه أن يُلبّس المعنى على تميم الدارى والذين معه ، فأوهم بعبارته أنه سيخرج من الكهف ، ويسير فى الأرض أربعين يوماً مالكاً لها

هابطاً في كل قرية ، أي إلى كل عاصمة أو مدينة عظيمة ما عدا مكة والمدينة ، ومن ثمّ يُفْهَمُ من قوله هذا أن هذا الخروج من سجنه وقيده سيكون خروجه النهائي الذى يعلن فيه عن نفسه في آخر الزمان .

وقد جاء هذا الإيهام والمغالطة والتلبيس منه فى قوله (وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما) ومكمن التلبيس أن القارئ أو السامع يظن أن الخروج الذى سيؤذن له به هو الخروج الذى يسير به في الأرض خلال أربعين ليلة فيهبط المدن والعواصم غير مكة والمدينة ، والحقيقة أنهما خروجان وليسا خروجاً واحداً .

الأول : من الدير الذى رآه أهل السفينة مسلسلاً فيه ، وقد حدث فى آخر العهد النبوى كما علمنا من الحديث ويظل يسير فى الأرض مفسداً بهدف العلو من خلال بنى إسرائيل الذين إتخذهم بطانة له ، كما سنرى وهذه المرحلة تستمر عشرات القرون وصلت حتى اليوم إلى قرابة أربعة عشر قرناً .

الثاني : هو خروجه من خلف الأقنعة والأستار التى يعمل من خلفها وظهوره للأعين وإعلانه عن شخصه في الإعلام بأنواعه بعد سيطرته على الأرض كلها وهذه المرحلة هى التى تستغرق أربعين ليلة منذ ظهوره للأعين إلى نهايتها ، وهى لا تتحقق إلا بعد أن . من يستقبله من الاتباع فى كل مدينة وعاصمة عدا مكة والمدينة .

فشتان بين خروجه الأول من الدير الذى يستمر غير ظاهر مئات السنين وبين خروجه الثانى للأعين الذى يستغرق أربعين ليلة ، وإن لم يكن الأول على طوله سوى تمهيداً وإعداداً للأخير رغم قصره .

لكن هذه العبارة وما غلّفها من تلبيس أدى إلى إعتقاد خاطئ عند عامة المسلمين ، وعند كثير من علمائهم ، بأن الدجال لا زال مقيداً فى الأصفاد الحديدية داخل الدير الذى بهذه الجزيرة النائية حتى اليوم ، وإلى ما بعد اليوم إى إلى أن يحين موعد ظهوره،

مسيطراً على الأرض ، هابطاً كل قرية ، وهو خطأ فادح يكشفه ويصححه الحديث الصحيح الذى أثبت له أنه خرج وأكل ومشى فى الأسواق منذ آخر العهد النبوى [1] ، ومع هذا فهو لم يظهر للأعين بعد .

رابعاً : يدل هذا الحديث على أن الدجال يعلم كثيراً عن الأحداث المستقبلة فى الصراع الذى بينه وبين الأمة الإسلامية باعتبارها حزب الله فى الصراع ، وأنه يعلم أن زمن خروجه المعلن عن نفسه هو أربعين ليلة فقط ، كما يدل على أن لديه علماً مسبقاً ببعث النبى الخاتم ومراحل سيرته ، وليس مصدر هذا العلم عنده خفيّاً ، إذ أن كل هذا مسجل ومكتوب فى الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء من قبل ، وفى هذا كله دليل على معاصرته لبعض هؤلاء الرسل والأنبياء وقراءته لهذه الكتب ، بل لكل الرسل ولجميع الكتب كما سنرى هذا بعد بإذنه وتوفيقه .

خامساً : قول النبى ﷺ عن الدجال (ألا إنه فى بحر الشام (أى البحر الأبيض المتوسط) أو بحر اليمن (أى البحر الأحمر) هل هو إشارة إلى هذه الجزيرة التى كان مصفداً فيها بالاغلال ؟! أم أشارة إلى خروجه الأخير النهائى ؟! ثم قوله بعد ذلك (لا بل من قبل المشرق ما هو) (وأومأ بيده إلى المشرق) هل هو أيضاً إشارة إلى موضع الجزيرة ، أم هو إشارة إلى مواضع خروجه العلنى النهائى ؟

هو إشارة وتصريح بخروجه النهائى وذلك ما سنعلمه بعد بإذن الله تعالى عند الحديث عن خروجه النهائى .

سادساً : لماذا حَدّدَ الدجال مدة خروجه النهائى الذى يهبط فيه العواصم بأربعين ليلة ؟ وماذا يحدث له بعد هذه الأربعين ؟! ولماذا لم يستطرد فى ذكر ما سيحدث له أو يحدث منه بعد تلك الإربعين ؟!

الإجابة على هذا السؤال هى أنّ هذه الإربعين ليلة هى الأربعين الأخيرة له فى حياته

(١) وقد دللتُ على خطأ هذا القول فى الجزء الأول بأدلة عقلية ونقلية أيضاً .

الطويلة الممتدة عبر القرون التى لا يعلم عددها إلا الله عز وجل ومن ثم لم يذكر ما يحدث له ومنه فى نهاية هذه الأربعين ، لأن أحداً من الأحياء لا يحب أن يتحدث عن يوم موته وكيفية موته وترقب موته ، وهذا هو الذى إمتنع عن ذكره الدجال بالرغم من أنه يعلمه ، ولأن هذا الحدث يكشف للمستمع أو القارئ أنه المسيح الكاذب إذ سيضطر إلى التصريح بأنه سيُقْتل على يد المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، ومن ثم سيذكر المسيح الحق مما يكشف أنه المسيح الكاذب لكنه أشار ضمناً إلى أنه المسيح الباطل الكافر عندما صرح بأنّ ملكاً يقف على كل نقب من أنقاب مكة المكرمة والمدينة المنورة أى كل نفق ومدخل من مداخلها وبيده السيف صلتا يمنعه من دخولهما ، فما كانت الملائكة تمنع عن الحرمين الشريفين إلاّ كافراً نجساً ، فهذا اعتراف ضمنى منه بأنه المسيح الكافر النجس ، وإن لم يصرح هو بهذا لقوله عن نفسه (إنى أنا المسيح) ، وهذا هو ما سيزعمه للناس عند خروجه الأخير إذ سيزعم أنه المسيح نزل إليهم من السماء.

سابعاً : أما خبر مقتل الدجال على يد سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام فقد ورد فى عدة أحاديث صحيحة مطولة وقصيرة سنتعرض لها فيما بعد ، وإنما نكتفى الآن بذكر ما هو مختصر منها ، وما هو صحيح ليس به ضعف للدلالة على أن نهاية الدجال وموته ستكون فى نهاية الأربعين ليلة بيد المسيح الحق عيسى بن مريم ﷺ بعد نزوله من السماء .

جاء فى الحديث الطويل الذى رواه مسلم والإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه ، ورواه الترمذى وقال فيه (هذا حديث غريب حسن صحيح) أقول : جاء ما يلى بعد كلام عن أعمال الدجال خلال الأربعين ليلة (.. فبينما هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين (١) ، واضعاً كفيه على

---

(١) أى ردائين من نوع خاص فضفاضين

أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات ، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد ، فيقتله ، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم عن درجاتهم فى الجنة) إلى آخر الحديث . وباب لد الذى سيقتل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام عنده الدجال هو مطار اللد فى شمال تل أبيب ، لأن أبواب المدن والدول هى اليوم مطاراتها وموانيها ، والخلاصة أن الدجال حيٌ يُرزق منذ قرون عديدة وسيظل حيّاً يرزق إلى أن ينزل المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام ويقتله فى نهاية الأربعين التى هى نهاية حياته الطويلة ، هذا حق تقرره نصوص الوحى الصحيحة رغم أنه آدمى وليس من أصل جنى أو ملائكى ، وقد أدى هذا بالبعض إلى تكذيب أخبار الدجال ، وبالبعض الآخر إلى التصديق بها ، ولكن بإثبات طبيعة جنيّة شيطانية له من قبل طبيعة إبليس والجن المعمرين لمئات السنين .

وليس الحق مع هؤلاء ولا أولئك ، والذى عليه جمهور علماء الإسلام من أهل السنة والجماعة هو أن الدجال آدمى معمر وحى يرزق قروناً عديدة بمقتضى مشيئة إلهية حكيمة بإبتلاء الناس به ، ومن ثم ففى حياته جانب غيبى إمتدت حياته بمقتضى هذا الجانب عشرات ، بل ربما ، مئات القرون ، خرقاً بإذن الله لسنن الحياة والموت بالنسبة للبشر ويدل على هذا ما يلى :

١ - جاء فى حديث الآيات العشر أن خروج الدجال وظهوره العلنى الأخير هو إحدى آيات الساعة العشر ، وحيث أن هذه الآيات العشر - حسب شرحنا للحديث فى الجزء الأول والثانى من هذه الموسوعة - هى أحداث خارقة للسنن ، فما هو الخارق للسنن فى خروج الدجال وهو آدمى ، إلا أن يكون هذا الخارق هو حياته الممتدة مئات أو آلاف السنين مختفياً سائراً فى الأرض غير مستقر فيها ، فإذا علم الناس أمره صار عجباً وآية .

٢ - من كانت حياته ممتدة هكذا فهو غير قابل للموت ودواعيه ، كما أنه غير قابل

للقتل من أى آدمى آخر ، إلا على يد الذى أعدّه الله عز وجل لهذه المهمة ، وهو عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، أما بالنسبة لدواعى الموت فهى عوارض الشيخوخة ، وهذه لا يصاب بها ، بدليل ما ورد فى وصف رسول الله ﷺ للدجال يوم خروجه العلنى ، وكان مما وصفه به أنه شاب وهذا فى الحديث الذى رواه مسلم والإمام أحمد وابن ماجه والترمذى وقال هذا حديث غريب حسن صحيح (عن النواس بن سمعان الكلابى رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة) فذكر الحديث بطوله ، وجاء فيه (إنه شاب جعد قطط عينه طافيه) ولفظ مسلم (إنه شاب قطط عينه طافية ..) فما دلالة كونه شاباً عند ظهوره للناس ، إلا أنه غير قابل للإصابة بالشيخوخة وظواهرها وأعراضها وأمراضها وضعفها ؟! وكل هذه الخصائص البشرية مقدمات مؤدية للموت ، ومن ثم دل هذا على عدم خضوعه لسنة البشر فى الحياة ، الأمر الذى يفسر أنه آية من الآيات العشر ، ومن ثم وجب على كل مسلم يؤمن بالقرآن والسنة أن يصدق بحياة الدجال الممتدة عشرات وربما مئات القرون .

٣ - وإذا كان الأمر كذلك فهو إذاً غير خاضع للقتل ، وهو حدوث الموت بسبب الإصابة المتلفة لعضو من الأعضاء الرئيسية التى يتوقف استمرار الحياة على سلامتها وأدائها لوظيفتها .

فإذا لم يكن الدجال قابلاً للموت بالشيخوخة ، فهل يجوز موته بالقتل ؟!

الاجابة : نعم يجوز موته بالقتل ، ولكن بيد مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، وليس بيد غيره .

والدليل على هذا ما رواه الإمام أحمد ومسلم ، واللفظ هنا لمسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ،

---

(١) عن اتحاف الجماعة للشيخ عبد العزيز التويجرى مجلد ٢ ص ٣٤٩ وقال (رواه الحارث بن أسامة مرسلاً قال البوصيرى : رواته ثقات)

ففر الصبيـان وجلس ابن صياد فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك ، فقـــال له النبى ﷺ « تربت يداك ، أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : لا ، بل تشهد أنى رسول الله ؟ فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ذرنى يا رسول الله حتى أقتله . فقال رسول الله ﷺ : « إن يكن الذى ترى فلن تستطيع قتله) وذلك لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يرى أن ابن صياد هذا هو المسيح الدجال .

(وعن عروة قال : لما سمع رسول الله ﷺ بابن صياد ، قام إليه فى أصحابه فقالت أمه : يلعب مع الصبيان قال : فدُعى فقال له رسول الله ﷺ : « أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال : أتشهد أنى رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « آمنت بالله ورسله » فقال : قد خبأت خبيئاً ، فما هو ؟ قال : دخ . قال : اخسأ . فقال : « انظر ما ترى ؟ قال : أرى إعصاراً وعرشاً على الماء . فقال : « لُبّس عليه » فقال عمر : ألا أقتله يا رســـول الله ﷺ ؟ قال : « لا ، إن يكن هو الدجال ، فلا تسلط على قتله ، وإن لم يكن الدجال ، فلا يحل قتله) [1] وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ كان يشك أن ابن صياد هذا الذى كان صبياً يافعاً حينئذ هو الدجال فسأله هذه الأسئلة تحقيقاً لهذا الاحتمال ، فلم يترجح عنده وظل الأمر عنده إحتمالياً ، وكأن هذا الاحتمال قد ترجح بالإيجاب فى نفس عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستأذن رسول الله ﷺ أن يقتله ليريح الأمة والبشرية من شره وفتنته .فلم يأذن له رسول الله ﷺ مبيناً الحكمة من منع قتله ، وهى أنه فى حالة أن يكون هو الدجال فلن يسلط على قتله أحد من الصحابة لا عمر ولا غيرُه ، وفى حالة أنه ليس هو فلا يحل قتله .

بل إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يجزم بأن ابن صياد هو الدجال الأمر الذى حاول بسببه قتله ، ودليل هذا ما رواه الشيخان وأبو داود (عن محمد بن المنكدر قال رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحلف بالله أن ابن صائد الدجال ، فقلت : أتحلف بالله ؟ قال : إنى سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبى ﷺ فلا ينكره النبى ﷺ) ولكن ما منعه النبى ﷺ من قتل ابن صياد إلا لأن الدجال لا ولن يقتله إلا

عيسى عليه الصلاة والسلام وهذا ما رواه الأمام أحمد باسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث جابر رضى الله عنهما الذى جاء فيه (أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إئذن لى فأقتله يا رسول الله (أى ابن صياد) فقال رسول الله ﷺ « إن يكن هو فلستَ صاحبه ، إنما صاحبه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام .) كذلك روى أبو داود الطيالسى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لم يسلط على قتل الدجال إلا عيسى بن مريم عليه السلام » وإن كان إسناد هذا الحديث ضعيفاً إلا أن حديث جابر الصحيح يقويه .

والشاهد من هذه الأحاديث الصحيحة أن الدجال غير قابل للموت ، كما أنه غير قابل للموت بالشيخوخة وأمراضها ، اللهم إلا بالقتل بيد عيسى عليه الصلاة والسلام . ومن ثم يثبت هذا لنا أنه يحيا بسنة مخالفة لحياة عامة البشر .

٤ - وما دام الأمر كذلك بالنسبة لحياته فلا بد أن يكون موته بسنة مخالفة لموت البشر أيضاً ، تطابقاً مع إعتبار خروجه آية من الآيات العشر التى تكون بين يدىْ الساعة ، وذلك لأن هذا الخروج سيتم له بعد عشرات ، بل ربما - كما سنعلم بعد - مئات القرون أى منذ مولده إلى قتله .

فهل موته أيضاً مخالف للسنن التى يموت بحسبها البشر ؟!

نعم بدليل الحديث الذى رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح على شرط الشيخين ورواه الحاكم مختصراً وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبى عنه فى تلخيصه : على شرط مسلم ، ولفظ الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم .. » إلى أن يقول « .. فينطلقون فإذا هم بعيسى بن مريم ﷺ فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم يا روح الله ، فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم ، فإذا صلى صلاة الصبح ، خرجوا إليه قال : فحين يراه الكذاب ، ينمات كما ينماث الملح فى الماء ، فيمشى إليه فيقتله ، حتى إن الشجر والحجر ينادى : يا روح الله ، هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله

..) الحديث وفى حديث النواس بن سمعان الذى رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة وقد سبق ذكره وهو حديث طويل عن المسيح الدجال جاء فيه قول رسول الله ﷺ عن نزول عيسى عليه السلام (.. إذ بعث الله المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطّر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفَسه إلاّ مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب له فيقتله ..) الحديث .

وجاء فى حديث أبى رافع الذى رواه ابن ماجه وابن خزيمة (... فيصلى بهم إمامهم ، فإذا انصرف ، قال عيسى عليه السلام : إفتحوا الباب ، فيفتح ، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج ، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وينطلق هارباً ويقول عيسى عليه السلام : إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب اللد الشرقى فيقتله فيهزم الله اليهود ..) والشاهد الذى نريده من هذه الأحاديث عن مقتل الدجال هو ذوبان الدجال إذا نظر إلى المسيح عليه السلام كذوبان الملح فى الماء ، وموت الكافر إذا أدركه نفس المسيح عليه السلام بهذا النفس الذى يصل مداه إلى منتهى نظر المسيح عليه السلام ، وذوبان الدجال كذوبان الملح فى الماء معناه أن حجم جسده يتضاءل ويصغر وينكمش ، لأن الملح لا يذوب فى الماء دفعة واحدة وإنما يكون باختفائه فى الماء رويداً رويداً ، ومن ثم يتضاءل حجم الملح فى الماء رويداً رويداً حتى يختفى ، ومن ثم يشعر الدجال بقرب نهايته عن طريق هذا التضاؤل التدريجى فيهرب من أمام المسيح عليه الصلاة والسلام لكن المسيح عليه الصلاة والسلام يصر على مطاردته وقتله بحربة بيده ليثبت للناس موته بعد أن يريهم دمه فى حربته كما ورد فى رواية أخرى ، وتنتهى فتنته ويبطل زعمه بأنه الله ، وهذا يثبت أن موت الدجال بسنة مخالفة لسنن موت البشر ، كما أن حياته بسنة مخالفة لسنن حياة ، البشر وهذه الحقيقة هامة للكشف عن حقيقة الدجال وشخصيته كما سنرى هذا بعد بإذن الله تعالى ، وهذه الحياة المخالفة لسنن حياة البشر والموت المخالف لسنن موت البشر

استتبعت أعمالاً للدجال مخالفة أيضاً للسنن الحاكمة لفاعلية الناس .

فمن يا ترى هو هذا الشخص وما هى حقيقة أمره ؟

وإذا كان من الثابت لدينا الآن بنصوص الوحى الصحيحة قطعية الدلالة أنه حيٌّ يرزق منذ قرون ، وسيظل كذلك حتى تأتى نهايته علي يد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بعد نزوله ، فإنه يتحتم علينا الآن نطرح هذه الأسئلة الهامة ، التى بدون العلم بالاجابة عنها ، يصعب بل يستحيل الكشف عن شخصيته وحقيقة أمره ، هذه الاسئلة هى :

متى بدأت حياة الدجال ؟ ، وأين كان مولده ؟ ومَنْ هو أبوه ؟ ومَنْ هى أمه ؟ ومن أى قوم هو ؟ وما سر حياته الطويلة الممتدة ؟ هذه الأسئلة هى موضوع أو مواضيع الفصول التالية بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه .

الفصل العاشر

قابيل هو المسيح الدجال

الأدلة علي أن المسيح الدجال هو قابيل :

الدليل الأول : ما ثبت لنا من أن قابيل : قد صار مطروداً على وجه الأرض شأنه فى هذا شأن إبليس ، خاسراً لآخرته ملعوناً مطروداً من رحمة الله يائساً منها ومن ثم تحول لقيادة الشر فى الناس .

الدليل الثانى : أنه هو الذى صار صوت إبليس وخليفة ونائب للطاغوت فى الصراع التاريخى بين حزبه وحزب الله عز وجل .

الدليل الثالث : أنه صار بالتالى ممهلاً إلى آخر الزمان مثله فى هذا مثل إبليس إذ يشكلان معاً قيادة لحزب الشيطان موحدة الغاية ، وهذه القيادة الموحدة هى الطاغوت كما سنفصّل هذا بعد بإذن الله تعالى وعونه

الدليل الرابع : وجوده فى عصر آدم على رأس قبيلته التى صارت قبيلة قابيل وابتداعهم الموسيقى والغناء والرقص والخمر واستحلال الزنا وحياته معهم حياة أشبه بحياة الغجر المعزولين المنبوذين من آدم وبنى وذريته ، ولعلهم هم أصل الغجر فى الأرض .

الدليل الخامس : وجوده معاصراً وعدواً لكى نبى داعياً للشرك والشر والكفر بدءاً من عصر نوح وفى حياته عليه السلام فكان عدواً لنوح محارباً لدعوة التوحيد التى جاءبها كما نفهم هذا بوضوح من الحديث الذى ورد عن النبى ﷺ مسمياً هذا العدو لنوح ولكل نبى باسم المسيح الدجال فيما رواه الإمام أحمد رحمه الله عن الوداك قال قال لى أبو سعيد هل يقر الخوارج بالدجال ؟ فقلت : لا فقال : قال رسول الله ﷺ : إنى خاتم ألف نبى وأكثر ما بُعث نبى يُتّبع ، إلاّ قد حذر أمته الدجال ، وإنى قد بُيّن لى من أمره ما لم يُبَيّنْ لأحد ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، وعينه اليمنى عوراء جاحظة ولا تخفى كأنها نخامة فى حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها كوكب درى ، معه من كل لسان ومعه صورة الجنّة خضراء يجرى فيها الماءوصورة النار سوداء تدخن) [1]

---

(١) إتحاف الجماعة للتجويرى ج ٣ / ص ٤٣

وشاهدنا في هذا الحديث الشريف قوله ﷺ (إني خاتم ألف نبي وأكثر ما بعث نبي يُتّبع إلا قد حذر أمته الدجال) فقوله « وأكثر » لما ورد في الحديث الصحيح « أن عدة الأنبياءمائة وأربعة وعشرون ألف نبي ونيّف » ، ولكن إقتصر في هذا الحديث على ذكر ألف وأكثر لقوله (ما من نبيّ نبيٌّ يُتّبَع) أي يؤمن به أتباع يخشى عليهم من فتنة الدجال فيحذرهم منه ، أما النبي الذي لم يتبعه أحد فلن يحذر من الدجال أحد بطبيعة الحال لأنه من الذي ورد عن الأنبياء أن النبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد والنبي يأتي ومعه واحد والنبي يأتي ويتبعه اثنان والنبي يأتي ويتبعه رهط أي ثلاثة وهكذا . وهذا دليل على أنه ما من نبي إلاّ حذر قومه الدجال إبتداء من أول الرسل نوح ، ويقوى هذا الحديث ما رواه البزار والطبراني عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما من نبي إلاّ وقد حذّر أمّته الدجال ، وأنا أحذركم الدجال ، إنه أعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه الكاتب وغير الكاتب معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار) [(1)]

ويؤكد هذا ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدّث به نَبى قومه ، إنه أعور وإنه يجئ معه بمثال الجنة والنار ، فالتي يقول أنها الجنة هي النار ، وإني إنذركم به كما أنذر به نوح قومه) [(2)] هـذا الحديث المتفق عليه الذي جاء في آخره إنباؤه ﷺ بأن نوحاً أنذره قومه . وهذا في حديث يحمل أعلى درجات الصحة لأنه متفق عليه .

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال (ألا إنه لم يكن نبي قبلي إلاّ قد حذر الدجال أمته ، هو أعور عينه اليسرى ..) إلى آخر الحديث . فتدبر في هذا الحديث الأخير وفي الأحاديث السابقة صيغة الحصر والاستغراق الكلي (لم يكن نبي قبلي إلاّ قد حذّر الدجال أمته) وقوله ﷺ (ما من نبي إلا وقد حذر أمته الدجال ...) وقوله ﷺ (ما بعث نبي يُتّبع إلاّ وقد حذر أمته الدجال) وقوله ﷺ وإني

---

(١) عن إتحاف الجماعة وقد ذكر الشيخ تعليق الذهبي على هذا الحديث وقوله : وإسناده صحيح ج ٣ / ٤٣

(٢) متفق عليه

أنذركم به كما أنذر به نوح قومه) وكما التشبيهية تقتضى التماثل بين إنذار نوح قومه وإنذار النبى الخاتم ﷺ وهذا يفيد وجوده .

والسؤال الآن هل حذر نوح ومن بعده من الأنبياء حتى سيدنا محمد ﷺ أممهم الدجال من غير أن يكون ثم خطر على أممهم منه ؟

كلا والله فإن الأنبياء لا يحذرون من أوهام بل يحذرون من خطر حقيقى يهدد أممهم ومن ثم لقد كان المسيح الدجال موجوداً إذاً فى عهد نوح . وكان موجوداً فى عهد كل نبى حذّر قومه منه ومن ثم يكون هو المقصود بقوله تعالى ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ إن لم يكن بالدلالة المباشرة الخاصة فالبدلالة العامة وإن لم يكن بالدلالة الصريحة فبالإشارة .

وكان موجوداً فى عهد رسول الله ﷺ منذ أكثر من ١٤٠٠ عام ، وظل موجوداً فى الأرض حتى أيامنا هذه وسيظل حياً يرزق حتى يحين موعد ظهوره العلنى للأعيان مدعياً أنه رب العالمين ، كما أخبر بهذا الصادق المصدوق خاتم الأنبياء صلى الله عليهم جميعاً وسلم بعامة وعليه بخاصة .

لقد أخبر رسول الله ﷺ صحابته فى الحديث المشهور بخبر الجساسة الذى أخبر به تميم الدارى الذى رواه مسلم وأبو داود والطبرانى وغيرهم عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها وملخص هذا الحديث الطويل هو أن تميماً الدارى كان رجلاً من أهل فلسطين ضلت بهم سفينتهم فى البحر متجهة نحو المشرق بعد أن كانت أمام اليمن وبعد سيرها نحو المشرق لمدة شهر رست قرب جزيرة نائية منعزلة فأنزلوا قواربهم إلى الجزيرة طلباً للماء العذب ، فإذا بهم يواجهون على شاطئها كائناً غريباً منتصباً على قدمية يكسو جسمه كله الشعر من أمام وخلف فسألوها ؟ فقالت إنها الجساسة ، وقادتهم إلى مغارة فى الجزيرة فإذا بهم أمام رجل عظيم الخلقة مسلسل بسلاسل من حديد وأجابوه ثم قال لهم (وإنى مخبركم عنى إنى أنا المسيح ، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة

وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتيهما كلما أردت أن أدخل واحدة (أو واحداً) منهما إستقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها ....) إلى آخر الحديث

وشاهدنا على ما نريد أن نقرره من هذا الحديث هو أن تميماً الدارى الصحابى الذى بايع النبى ﷺ رأى الدجال مسلسلاً بأم عينه . وأن النبى ﷺ صدقه وأيده فى هذا حتى أنه ﷺ هو الذى روى للصحابة ما سمعه منه ، وأن الدجال شهد على نفسه بأنه ممنوع من دخول المدينة ومكة ، وأنه على وشك الخروج ليسير فى الأرض ويدخل العواصم عدا مكة والمدينة ، فهل خرج الدجال من هذه المغارة وغادر الجزيرة النائية . ؟

نعم : لقد حدث هذا فى العهد النبوى المدنى حسب ما ورد فى حديث حذيفة عن النبى ﷺ قوله عن الدجال (والذى نفسى بيده هو اليوم أكل وشرب ومشى فى الأسواق) [1] كما أخبر هو – أى الدجال – عن نفسه أنه يوشك أن يخرج ، أى بعْد زَمنٍ قصير من رؤية تميم الدارى له ، وقد خرج كما أخبر بذلك النبى ﷺ ليستأنف رحلة الإفساد والتضليل وإثارة الفتن فى أمة رسول الله ﷺ بإعتبارها الأمة الكتابية صاحبة الرسالة الأخيرة التى يتمثل فيها حزب الله ، وهى الأمة التى سيخرج فى آخر عهدها ، معلناً عن شخصه ، بادياً للأعين ، زاعماً أنه رب العالمين ، داخلاً العواصم جميعاً ما عدا مكة والمدينة والقدس التى سيحاصر فيها المؤمنين بقيادة المهدى فاتح أوربا ، حتى ينزل المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام ويقتله فى يوم الوقت المعلوم ، وكل هذا قد تواترت به الأخبار والآثار والأحاديث النبوية الصحيحة حتى صارت فتنته من المعلوم من الدين بالضرورة ، لا يجحده إلا جاهل قد لا يعذر بجهله أو كافر .

فهل ظهر الدجال لأعين الناس من أصبهان يتبعه سبعون ألفاً من اليهود عليهم الطيالسة معلناً أنه رب العالمين لتطأ قدمه هو وقواته وأتباعه من اليهود وغيرهم عواصم الدنيا ما عدا المدن المقدمة الثلاث ؟

لا يخفى على أحد أن الإجابة بالنفى . إذ لم يحدث هذا بعد ، وإن كانت أحداث

الدنيا فى نهاية القرن العشرين الميلادى المتميزة بظهور حكومة عالمية ومؤسسات دولية تحكم الدول وتحول حكامها وسلاطينها إلى ما يشبه الموظفين أو الولاة من قبل هذه الحكومة العالمية الخفية ، أقول وإن كانت هذه الأحداث ، لما هو معلوم لكل عاقل اليوم ، تنبئ بقرب خروجه العلنى الذى جاءت أخباره فى أحاديث متواترة ، ومن ثم يمكن القول أنه خرج خروجه الأول الخفى ، هذا الخروج المتمثل فيما يشبه خيال الظل الذى يحرك الأحداث ويديرها من خلف ستار ، حتى صار العقلاء المثقفون من المؤمنين بالله وباليوم الآخر وبكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلم يسلمون بوجوده هذا الخفى ، بعد إن كان كثير منهم ينكرونه .

هو إذاً يعيش حياً يرزق فى الأرض متنقلاً تائهاً شريداً غير مستقر على وجهها منذ قرون كثيرة طويلة ، بعد أن إنفك من سلاسله فى الغار وخرج وأكل وشرب ومشى فى الأسواق ، وماهذا إلاّ لأنه الآدمى انتظر الممهل الذى تتدرع النفس الخبيثة لإبليس الجنى بنفسه ، بجسده البشرى فتنتج عن هذا الاتحاد أو الحلول النجس الشريرما ورد ذكره مراراً فى الذكر الحكيم باسم الطاغوت .

فماذا يكون هذا المسمى بالطاغوت ؟

وما الفرق بينه وبين المسمى بالشيطان ؟

وماذا يكون مدلول الجبت ؟

وما هى صلة كل واحد من هذا الثالثوث النجس بالآخرين ؟

الإجابة على هذه الأسئلة الهامة الخطيرة فى الفصل التالى بإذن الله تعالى وتوفيقه وبحوله وقوته وحده .

الفصـــل الحادى عشــر

الشيطان رأسٌ لعالم شياطـــين
والطاغوت رأسٌ لعالم طواغيت

تمهيد :

ورد لفظ الطاغوت فى القرآن الكريم ثمان مرات وقد فسر المفسرون هذا اللفظ بالشيطان أحياناً ، وبالكاهن أحياناً ، وسادن الصنم أحياناً ، وكل شرع أو حكم يخالف شرع الله وحكمه أحياناً أخرى .

ومما يزيد الاختلاف حول تفسير الطاغوت أنه ورد فى القرآن الكريم مذكراً ومؤنثاً ومفرداً وجمعاً كما سنرى بعد .

ولكى نصل إلى حقيقة الطاغوت التى تبدو طلسما أو لغزاً مطلسم بسبب ما يكتنفه من الغموض الشديد ، يستلزم هذا منا العلم بمعانى الألفاظ : الشيطان ، إبليس ، الطاغوت لغوياً ثم العلم بمفهوم كل منها بإعتبارها مصطلحات قرآنية ذات مدلول شرعى خاص .

وهذا ما سنحاول إدراكه فى هذا الفصل .

دلالة لفظ « الشيطان » وما يصدق عليه في القرآن الكريم :

قال ابن فارس فى معجمه (« شطن » الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد : يقال : شَطَنَتْ الدار تَشْطُن شُطُوناً إذا غَرَبَتْ) أى إذا بعدت فاختفت (ويقال بئر شطَون أى بعيدة القعر) ثم يقول ابن فارس (وأما الشيطان فقال قوم : هو من هذا الباب والنون فيه أصلية فَسُمّى بذلك لبعده عن الحق وتمرده ، وذلك أن كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان) وحسب هذا القول تكون النون فى لفظ الشيطان أصلية ويستشهد ابن فارس على هذا الرأى بقول أُميّة :

أيّما شاطنٍ عَصَاهُ عكَاهُ ... ورَمَاهُ فى القيد والأغلال

والبيت فى وصف سليمان عليه السلام وتسخيره للجن والشياطين ، قال ابن فارس تعليقاً على هذا البيت (أفلا تراه بناه على فاعل وجعل النون فيه أصلية ؟ فيكون الشيطان على هذا القول بوزن فيّعال)

والرأى الآخر يقول (أن النون زائدة على فعلان وأنه من شَاطَ) وأصلها (شَطٌ) قال فيه ابن فارس : الشين والطاء أصلان صحيحان : أحدهما البعد ، والآخر يدل على الميل) أما البعد فهو المعنى المشترك بين شطّ وشطن وأما الميل فهو يخص المذهب القائل بأن الشيطان من شط وأن النون زائدة ومن مشتقات هذا الأصل قولهم : (أشّط فلان فى السّوم) أى فى تقدير ثمن سلعته (إذا أبعد وأتى الشّطط ، وهو مجاوزة القدر . قال جل ثناؤه ﴿ ولا تشطط ﴾ وأما الميل فالميل فى الحكم ويجوز أن ينقل إلى هذا الباب الاحتجاج بقوله تعالى (ولا تشطط أى لا تمل . يقال شَطّ وأشطّ ، وهو الجور والميل فى الحكم) (١)

ومن ثم فإن لفظ الشيطان يدل على كل من بعد عن رحمة الله تعالى بسبب بعده هو عن الحق ومجاوزته الحد فى المعصية ، ومثل هذا لا يكون عاصياً لله عز وجل بجهالة ، بل يكون إماماً من أئمة الكفر والدعوة إلى الفسوق عن أمر الله عز وجل . فلفظ أو اسم شيطان يصدق على كل داعى للكفر وكل مضلل للناس ومزيّن للشر سواء أكان إنسياً أم جنياً ، لكنه إذا أُطلق بدون تحديد أو تعيين لإنسى أو جنى بعينه ، فإن الذهن ينّصرف عند سماعه إلى إبليس الجنى لأنه أول من كفر ودعى للكفر ولأنه زعيم شياطين الجن .

أما إذا نظرنا إليه باعتباره لفظاً كلياً حسب تعْبير المناطقه أو من ألفاظ العموم حسب تعبير الأصوليين ، وباعتباره اسم جنس عند اللغويين ، فإنه يصدق على كل دعاة الضلالة وكل من يزيّن الشر بزخرف القول من الجن والإنس على حد سواء قال تعالى **﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾** (١١٢ /الانعام) وقال تعالى فى وصف الشيطان : **﴿ الوساس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾** فكل

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادتى شط وشطن مجلد ٣ ص ١٦٥ ، ١٨٣

من يزين الشر مُوَسْوِساً فى ذهن ووعى البشر أو الجن وكل إنسى يزينه بالقول ويدعو إليه بالكتابة وبالإعلام وبالفن ، هذا وذاك شيطان من الجنة والناس .

- مفهوم الطاغوت وما يصدق عليه في القرآن الكريم :

قال ابن فارس (« طغى » : الطاء والغين والحرف المعتل أصل صحيح منقاس ، وهو مجاوزة الحد : يقال هو طاغٍ وطغى السيل إذا جاء بماء كثير قال الله تعالى ﴿ **إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية** ﴾ (**١١ / الحاقة**) يريد ، والله أعلم ، خروجه عن المقدار . وطغى البحر : هاجت أمواجه ، وطغى الدم : تَبَيَّغَ . قال الخليل : الطغيان والطغوان لغة . والفعل منه طغيتَ وطغوْتَ) [1] .

وقال الفيرْوز أبادى فى قاموسه (طَغِيَ كَرَضِيَ طَغْياً وطُغْياناً بالضم والكسر : جاوز القدر وارتفع وغلا فى الكفر وأسرف فى المعاصى والظلم . والماء إرتفع ، والدم تَبَيَّغَ ، والبقرة صاحت .. والطاغية الجبار والأحمق المتكبر والصاعقة وملك الروم وطغا يطغو طغواً وطغواناً بضمها كطغى يطغى . والطَّغْوَىَ الإسم ﴿ **كذبت ثمود بطغواها** ﴾ (**١١ / الشمس**) والطاغوت اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام ، وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب للواحد والجمع فلعوتٌ من طغوت جمعها طواغيت وطواغ والجبت حُيَّ بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف وأطغاه جعله طاغياً) [2] .

الطاغوت ليس هو الشيطان وحده :

والآن بعد التعريف اللغوى للفظىْ الشيطان والطاغوت ، يبرز أمام أذهاننا هذا السؤال : هل اللفظان بمعنى واحد وبمدلول واحد أو بمفهوم واحد وبما صدق واحد أى هل يصدقان على مسمى واحد ؟

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادتى شط وشطن مجلد ٣ ص ١٦٥ ، ١٨٣

(٢) الفيروز أبادى / القاموس المحيط مجلد ٤ ص ٣٥٦

وبتعبير آخر هل إسم الشيطان يتطابق بالكلية مع إسم الطاغوت فلا يكون ثم فرق بين الإسمين فى « المفهوم » وفى « الماصدق » بحيث يمكن أن يحل أحدهما محل أو فى موضع الآخر ؟!

الإجابة القطعية ولا أقول الراجحة هي : لا والأدلة علي هذا القطع بالنفي هي :

الدليل الأول :

القرآن الكريم وكلماته مصطلحات علمية على أعلى درجة من الدقة المعجزة فليس فيه إسمان مترادفان أو متطابقان بمعنى وبمدلول واحد و « بما صدق » واحد وذلك لتعارض هذا مع البيان والبلاغة والوضوح ، وحاشا لله عز وجل أن يكون فى كتابه هذا الخلو من الدقة وهذه المخالفة لقواعد البلاغة والبيان .

إن المذهب الراجح عند اللغويين أنه لا مرادفات متطابقة تطابقاً تاماً فى اللغة العربية كما برهن على هذا المذهب أبو هلال العسكرى فى كتابه « الفروق اللغوية » فأتى بأكثر المترادفات أو ما يتوهم البعض بأنها مترادفات متطابقة ووضح الفروق التى بينها وأثبت أنها غير متطابقة ، وعلى هذا فالطاغوت ليس لفظاً أو إسماً للشيطان أو مرادفاً له ، وإنما هما إسمان متغايران لكل منهما دلالته الخاصة وما صدقه الخاص ، وإن كان ثَمّ توافق بينهما فى بعض عناصر مفهوم كل منهما .

الدليل الثاني :

ما سبق أن أثبتناه من فرق لغوى بين الأصل شطن والأصل طغى إذ الأول من البعد مع الميل والثانى من مجاوزة الحد وهى تفيد المبالغة الزائدة فى الميل عن الحق والبعد فى الضلال كمّاً وكيّفاً .

فليس الشيطان هو الطاغوت وليس الطاغوت هو الشيطان ، إذ لابد أن يكون الطاغوت أمراً مغايراً للشيطان ، وأن يكون الشيطان أمراً مغايراً للطاغوت ، إذ المغايرة قائمة فى

الماصدق كما أنها قائمة فى المفهوم ، رغم الصلة الوثيقة بينهما فى المفهوم والماصدق كما سنرى بعد بإذن الله تعالى .

الدليل الثالث :

ورد اسم الطاغوت فى ثمانية مواضع فى القرآن الكريم فى حين أن اسم الشيطان بصيغة المفرد قد ورد سبعين مرة وهذا الاختلاف العددى بينهما فى حد ذاته ينفى أنهما لمسمى واحد ويؤكد المغايرة بين مدلولىْ الإسمين .

ونكتفى هنا بذكر موضع واحد ورد فيه ذكر الإسمين وهو قوله تعالى ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء / ٧٦ » فالغاية العليا لجهاد المؤمنين ولقتالهم للذين كفروا هى ابتغاء وجه الله تعالى ولإقامة سبيله أى شريعته فى واقع الحياة والذين كفروا جعلوا لله تعالى نداً يقاتلون فى سبيله وهو الطاغوت الذى له شريعته وله منهجه الذى يرسمه لحياتهم حتى أنهم إرتضوا هذه الشريعة وأحبوا هذا المنهج ومن ثم يقاتلون المؤمنين فى سبيله ، لأن المؤمنين يريدون أن يقيموا شريعة الله ومنهجه والكافرون يريدون أن يحافظوا على منهج الطاغوت وشريعته ، ومن ثم يقاتلون المؤمنين لمنعهم من إقامة شريعة الله عز وجل فالكافرون يقاتلون المؤمنين فى سبيل الطاغوت بهذا المعنى أيضاً .

ولكن جاء الأمر الإلهى فى الآية للمؤمنين تحريضاً لهم على قتال الكافرين الذين عندما ينفذون الأمر الصادر لهم بقتال المؤمنين لا ينفذون أمراً صادراً لهم مباشرة من الطاغوت ، لأنه يكون صادراً إليهم من الشيطان ، أى أنهم لا يتلقون أوامر من الطاغوت ، وإنما يتلقونها من الشيطان ومن ثم فهم وإن كانوا يؤمنون بالطاغوت ويقاتلون فى سبيله ولإقامة ما يشرعه لهم ، إلا أنهم لا يتلقون التشريعات والتعليمات والأنظمة والخطط الإفسادية الكفرية ، وكذلك الأمر بالقتال من الطاغوت مباشرة ، وإنما من الشيطان ومن ثم فهم أولياء الشيطان ، لأن ولى غيره هو الذى ينفذ أمر غيره له ، أو

ينفذ طلب غيره منه ، لأنه هو الذى أمره ، ومن ثم فإن الشيطان هو حلقة الوصل بين الطاغوت وبين الكافرين ، وبتعبير آخر الشيطان هو رسول الطاغوت إليهم المبلغ شريعته وتعليماته وقائد الكافرين التنفيذى لأوامره ، ومن ثم نسب قتال الكافرين لسبيل الطاغوت ونسب طاعتهم المباشرة للشيطان ، فصاروا بها أولياءه .

وهذا يفيد أن الطاغوت هو قمة الهرم الادارى فى مملكة الكفر والظلمات ، وأن الشيطان دونه فى المرتبة والدرجة ، وهذا يصدق على الشيطان الجنى الأول إبليس وعلى الشيطان الإنسى الأول قابيل أى الدجال فالنتيجة المؤكدة من هذه الادلة الثلاثة أن الطاغوت غير الشيطان ، وأن الطاغوت أعلى من الشيطان رتبة فى البناء الإدارى الهرمى لمملكة الشر ، وإن كان أهل هذه المملكة جميعاً فى أسفل سافلين . ومصير هذا الطاغوت فى جهنم أسفل سافلين تحت أقدام أهلها أجمعين .

الدليل الرابـــع :

ورود إسم الطاغوت فى القرآن الكريم بالتأنيث قال تعالى ﴿ **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد** ﴾ « الزمر / ١٧ » وورد أيضاً اسم الطاغوت بالتذكير قال تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً** ﴾ « النساء/ ٦٠ » وذلك لأن من معانى الطاغوت حكمه ومنهاج حياته وأنظمته وأمره الذى يتحاكم إليه الكافرون والمقصود بالطاغوت هنا حكمه وأمره فجاء مذكراً .

أما بالنسبة للآية الأولى التى تثبت أن المؤمن هو الذى يتجنب عبادة الطاغوت وحيث أن المعبود فى الشئ ذاته والمطاع أمره والذات مؤنثة والأمر والحكم مذكر فقد جاء الطاغوت فى آية الزمر بالتأنيث وورد فى آية النساء بالتذكير فدل التأنيث على أن المبعود فى الطاغوت ذاته ودل التذكير على أن التحاكم إلى الطاغوت أى إلى حكمه وأمره وشرعه .

أما الشيطان فلم يرد إلا بالتذكير حتى فى موضع ذكر عبادته قال تعالى ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ « يس / ٦٠ » ودليل التذكير فى موضع النهى عن عبادته هناقوله تعالى ﴿ **إنه لكم عدو مبين** ﴾ فالشيطان يأتى بالتذكير حتى فى موضع النهى عن عبادته أما الطاغوت فيأتى بالتأنيث وهذا دليل على أنهما ذاتان متغايرتان وليسا موجوداً واحداً .

أقوال المفسرين فيمن أو فيما يصدق عليه إسم الطاغوت :

لخص لنا الفيروز أبادى أقوالهم فى هؤلاء الذين رأى المفسرون إطلاق اسم الطاغوت عليهم بقوله ﴿ والطاغوت اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام ، وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب للواحد والجمع فَلَعُوتٌ من طغوت جمعها طواغيت وطواغ والجبت حُيَىّ بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف . وأطغاه جعله طاغياً) ونلاحظ هنا إعتبار الشيطان طاغوتاً وبصفة عامة كل رأس ضلال ، وكذلك كعب بن الأشرف ، وهو أحد زعماء اليهود الذين عادوا رسول الله ﷺ وخانوا عهده أما وصف حُيَىّ بن أخطب اليهودى بأنه جبت فسنعود إليه عند الكلام عن الجبت .

بيد أن الذى سيكشف لنا بعض الحقائق الخفية عن الطاغوت هو إطلاق اسمه على الكاهن واللات والعزى بخاصة ، وعلى سائر الأصنام المعبودة التى لها سَدَنَة وطقوس بعامة ، فلماذا اللات والعزى من الطواغيت ؟ الإجابة لأنها جسم مادى من الحجر تتلبس به شيطانة من الجن ، كتب السيوطى فى تفسير قوله تعالى ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً** ﴾ « النساء/ ١١٧) أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند وابن أبى حاتم عن أبى بن كعب رضى الله عنه ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثاً** ﴾ قال : مع كل صنم جنية ، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن أبى مالك فى قوله إن يدعون من دونه إلا إناثاً قال اللات والعزى ومنات كلها مؤنث) [٢]

---

(١) الفيروز أبادى / القاموس المحيط مجلد ٤ ص ٣٥٦
(٢) السيوطى / الدر المنثور / جـ ٢ ص ٢٤٥

فإذا علمنا أن لكل صنم سادن يخدمه ويدعو إليه ويقرب له القرابين المقدمة من المشركين تأكد لنا أن عبادة الأصنام عمل طاغوتى لأنه مشترك بين شيطانة جنية وبين شيطان إنسى هو الكاهن أو السادن .

وليس الشيطان أو الشيطانة مع اللات والعزى فقط بل مع كل صنم ، قال السيوطى (وأخرج عبد بن حميد عن الكلبى أنّ ابن عباس كان يقرأ هذا الحرف ﴿ **إن يدعون من دونه إلا أنثى ، وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً** ﴾ قال مع كل صنم شيطانة .. وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان ﴿ **إن يدعون من دونه إلا شيطاناً** ﴾ يعنى إبليس .. وأخرج سفيان ﴿ **وإن يدعون إلا شيطاناً** ﴾ قال ليس من صنم إلا فيه شيطان)[1] فوجود الأصنام وكل ما يدور حولها من شركيات إنما هو عمل طاغوتى ، وليس شيطانياً فقط ، لأنه عمل مشترك بين شيطانة الصنم الجنية وبين السادن أو الكاهن القائم على الصنم من البشر ، فيحدثان معاً خوارق يخدعان بها الناس فيصدقوا بربوبيتها وألوهيتها ويدعونها من دون الله عز وجل ، فليس دعاؤهم إذاً للصنم الحجرى وإنما هو للشيطان .

وكذلك الكاهن أو المنجم طاغوت لأن عمله ليس جنّياً فقط وليس إنسياً فقط بل هو عمل مشترك بينهما فالطواغيت هم شياطين الإنس والجن ، فإذا اجتمع شيطان الجن وتلبس أو توحد مع شيطان الإنس فإن شغلهما معاً وآثار هذا الشغل والشر أو الضلال الناتج عنه هو طاغوت من الطواغيت المتعددة ، ومن ثم قالوا عن اللات طاغوت والعزى طاغوت والكاهن الذى يتلقى من الجنى ويتعاون معه على معرفة أخبار الغد من الكلمة التى يستمعها من السماء طاغوت ، والساحر المستخدم للشيطان أو للشياطين فى السحر طاغوت ، أما الطاغوت المعرف بالألف واللام فهو توحد إبليس شيطان الجن الأول مع الدجال قابيل الذى يكون اسمه فى آخر الزمان المسيح الدجال وما تنتجه هذه الأنا الإبليسية الدجالية المستعلية المستكبرة من شرور وضلالات وظلامات ومن قوانين وعادات

---

(١) المصدر السابق الجزء الثانى ص ٢٤٥

وأنظمة وقرارات وبروتوكولات إفسادية كلها طاغوتية نابعة من نبع الشر فى الحياة الدنيا .

أورد السيوطى فى الدر المنثور ما أخرجه ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن يزيد الرقاشى فى قوله ﴿ شهاب ثاقب ﴾ قال : إن الجنى يجئ فيسترق فإذا سرق السمع فرمى بالشهاب قال للذى يليه كان كذا كذا) وفى الحديث الذى سألوا فيه رسول الله ما بال الكهان قال : كذابون قالوا : ولكن الرجل منهم يقول الكلمة فيصيب قال إنها كلمة حق يخطفها من الجنى ويضيف إليها مائة كذبة) .

ومن ثم أطلقوا على الكاهن من كهنة اليهود أو النصارى طاغوت لأن عمله ليس إنسياً فقط وإنما هو بالإشتراك مع شيطان جنى .

ومن المعلوم تاريخياً أن عمل الكاهن عند اليهود لم يكن يقتصر على الإخبار بالغيب فقط ، بل كان بمثابة حكم يلجأون إليه فى الخصومات ليقضى فيها ، ومن ثم فهو باعتباره حاكماً أو قاضياً بأمر الطاغوت وحكمه وشرعه يصدق عليه اسم الطاغوت .

والذى يهمنا من تعريفه هنا للطاغوت ، ما أورده من أقوال المفسرين بأنه اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال وما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب للواحد ، وهذا كله صحيح إذا وردت الكلمة منكرة « طاغوت » وجمعها طواغيت كقولنا شيطان فيكون اسم جنس بمعنى الكثرة والجمع أو اسم عام يصدق على كثرة ، أما إذا قلنا « الشيطان » معرفة بالألف واللام ، فإنه بمقتضى العهد الذهنى ينصرف إلى واحد بعينه هو إبليس لأن ألف ولام التعريف توجب التعيين ، وهو هنا للعهد الذهنى ، ومن ثم سميت عند النحاة بتعريف العهد الذهنى .

لما غلب على الأذهان أن الشيطان المعرف هو إبليس الجنى فى حال إطلاق اللفظ وعدم تخصيصه فى السياق بغيره .

وإذا صح أن الصنم طاغوت والشيطان طاغوت والكاهن طاغوت وفيلسوف الضلالة طاغوت ، وهكذا ما دام اللفظ نكرة ، فإنه لابد أن يكون لاسم (الطاغوت) المعرف

بالألف واللام في القرآن الكريم مدلول آخر ، إذ يلزم في حالة التعريف أن يكون له « ما صدق » خاص به ، أي يكون له مسمى غير مسمى طاغوت النكرة كما إن الشيطان المعرف بالألف واللام يصدق على إبليس الجنى بإعتباره الشيطان الجنى الأول كما يصدق على الدجال أوقابيل بإعتباره الشيطان الإنسي الأول .

وفي هذه الحالة يكون مسمى اسم طاغوت بالصياغة المنكّرة غير مسمى لفظ الطاغوت المعرّف

من الذي يحكم الآخر ؟ ومن الذي يخضع الآخر لحكمه ؟! : —

والسؤال بتعبير أكثر صراحة : من فيهما يقبل أن يكون عبداً للآخر ؟

مما لا شك فيه أن تحوّل قابيل من حزب الله إلى حزب الشيطان بعد قتل أخيه وإستحلال توأمته ، ووصوله نفسياً إلى حالة إبليس إذ جمعت بينهما الإبلسة فصار قابيل قريناً لأبليس الجنى وصار إبليس الجنى قريناً له . فتَكَّونَ منهما معا أول هيئة من الأبالسة في تاريخ مملكة الشر ، ومع توقع النمو الكمي والكيفي المُطّردين ، ومع الزيادة المطردة في أعداد البشر والجن ، ومع توحد الغاية العليا لكل منهما في عالمه وبين بني نوعه وهي الإضلال ، فقد بدا واضحاً ضرورة التعاون بينهما على الإثم والعدوان وتعميم الشر بين الجن والإنس ، وحيث قد علم إبليس الجنى من الله عز وجل أنه سيكون له صوت فيهم أي ممثل له في بني آدم ، وسيكون بإمكانه مع هذا الصوت إستفزاز من يستطيع منهم وسيشكل بهذا الصوت أيضاً جيوشاً راكبة وراجلة يحاربان بها المؤمنين . فإن هذا كله يؤدي إلى بروز حقيقة هامة مؤكدة وهي ضرورة وصولهما إلى صياغة ما لقيادة ثنائية منهما ، بالرغم من أن الكبر الذي في صدر كل منهما يجعل قيام هذه القيادة أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً . لأن نزعة كل واحد منهما إلى الإستكبار والإستعلاء تلك التي جعلته يرفض الطاعة والخضوع لخالقه سبحانه أولى بأن تمنعه من الخضوع لمخلوق مثله .

إذ كيف تكون الطاعة من إبليس الجنى لهذا الإبليس الإنسى وقد أبى السجـــود لأبيه ؟ وبالمثل كيف تكون الطاعة من إبليس الإنسى للجنى وهو ابن آدم عليه السلام الذى كرمه الله تعالى وأمر الملائكة والجن بالسجود له .

إن هاتَيْن النَّفسيْن النّافرتيْن عن الطاعة للغير بسبب نزعة الإستكبار ، جعلتا من قيام تعاون منظم مستمر بينهما بقيادة واحدة أمراً مستحيلاً ، إذ هى ممكنة فقط فى حالة خضوع وطاعة أحدهما للآخر ، لأن القيادة لأثنين أو أكثر لابد أن تكون قيادة فرْدية فَمَنْ منهما قَبل أن يطيع الآخر ؟! ومَنْ منهما قبل أن يخضع للآخر ؟! لم يحدث هذا ، ولن يحدث على الإطلاق ، للأسباب التى سبق ذكرها . ومن ثم لم يبق أمامهما إلا الوصول إلى شكل من القيادة يصبح لكل منهما بمقتضاه من السلطة والسيادة فيه بقدر سلطة وسيادة الآخر ، وفى نفس الوقت يكون كل واحد منهما خاضعا لهذه القيادة بنفس قدر خضوع الآخر ، فإذا كان لابد من عنصر الطاعة والإستجابة والخضوع فى هذه الهيئة القيادية المقترحة فلا مناص من أن يكون خضوع كل واحد منهما وطاعته وإستجابته – وإن شئت فقل عبوديته – لهذه الهيئة متساوياً مساواة تامة بل ومطلقة لخضوع الآخر ، ومن ثم تصبح هذه القيادة الموحدة منهما هى الإله المعبود المطاع من كل منهما بنفس القدر من العبودية والطاعة من كل واحد منهما أيضاً ، وبهذه الكيفية يكون كل واحد منهما غيرخاضع أو عابد للآخر ، وفى نفس الوقت يكون كل واحد منهما مساهماً فى هذه القيادة بنفس قدر مساهمة الآخر . أما عبودية كل واحد منهما لهذه القيادة فهى عبودية لكليهما معاً ، وحيث أنها عبودية وطاعة أو التزام مطلق بطاعة كل واحد منهما للقيادة المتوحدة ، فإن كل واحد منهما فى الحقيقة والواقع لا يكون عابداً إلاّ لنفسه .

فهل يمكن أن تقوم مثل هذه القيادة الموحدة من إثنين ؟ وما ضرورة قيام قيادة مشتركة أو حتى موحدة منهما ؟

إن كل واحد منهما عنده ما ليس عند الآخر من الإمكانيات التى تعتبر ضرورية لقيام

قيادة لمملكة الشر . أما الذى عند الإبليس الإنسى فهو علم الأسماء ، الذى ورثه عن أبيه آدم وهو مقوم الخلافة الأول ، وبه تقوم العلوم والصناعات والحضارات . وأما عند الآخر الجنى فهو ما تتميز به طبيعة الجن من الإختفاء ومن إمكانيات التأثير الخفى فى عقول البشر بالوسوسة وفى نفوسهم بالإيعاز بالشر والمعصية وقلوبهم بالتشكيك والتغرير ومن ثم صار لكل منهما إحتياجه للآخر بنفس القدر .

إن الإنس والجن يشتركان في عدة خصائص ويختلفان فى أخرى . أما التى يشتركان فيها فهى أن كل واحد منهما كائن مبتلي وممتحن فى هذه الحياة الدنيا ، ومن ثمّ صار لكل واحد منهما قلبا وسمعا وبصرا . ولكل واحد منهما شهوة يستمتع بها ، وينجب أولاده وذريته الذين يخلفونه من بعده . ولكل واحد منهما طعامه وشرابه الذاتى وملبسه ومسكنه ، وهكذا .

أما الدليل على الأسماع والأبصار والقلوب عند كل نوع منهما فهو قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ (الاعراف / ١٧٩) .

أما الدليل على أن لهم شهوة مثل بنى آدم فهو قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم ﴾ (الانعام / ١٢٨) .

وأما الدليل على أن الجن كالإنس مريد مختار تحقيقاً للإبتلاء فهو قوله تعالى : حاكيا مقالة الجن عن أنفسهم **﴿ وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا ﴾ (الجن / ١١) وما أصبحوا طرائق إلا بالاختيار .**

ومن ثم صار منهم المؤمنون ومنهم الكافرون أصحاب العقائد والملل المختلفة الضالة

مثلهم فى ذلك مثل الإنسان ، هذه الموافقات بين هذين النوعين جعلت إمكانية التوحد بينهما قائمة ، أما الذى جعل هذا التوحد مطلباً حقيقياً واقعياً ممكناً فهو إختلاف كثافة مادة الجن المخلوق من نار عن كثافة مادة الإنس المخلوق من طين ، ومن ثم أمكن للمخلوق الأقل كثافة أن تتخلل خلاياه وأعضاؤه خلايا وأعضاء المخلوق الأكثر كثافة ، فكل منهما من ذكر وأنثى ، وكل منهما يملك نفس الأعضاء التى عند الآخر ، ومن ثم يمكن للجنى منهما أن يتوحد مع الإنسى إذ تتخلل خلايا مخه خلايا مخ الإنسى وخلايا قلبه خلايا قلب الإنسى وخلايا سمعه وبصره خلايا سمع وبصر الإنسى ، فإذا تم هذا صارا كائناً واحداً بعقل واحد وقلب واحد وفقه واحد وسمع واحد وبصر واحد ، وكل جهاز منهما مضاعف ونزعة الإستكبار والشر مضاعفة ، ومن ثم صارا ذاتا واحدة طاغية بل طاغوتية .

ولكن ، أليس تخلل إبليس الجنى قرينه الإنسى وتلبُّسه به دليلاً على خضوع الإنسى للجنى وسيطرة الجنى على الإنسى ، ومن ثم لا يصير للإنسى نفس سلطة وحقوق الجنى ، ومن ثم يخرق هذا مبدأ المساواة المطلقة بينهما ؟! وهل وافق قابيل ابن آدم الأول على أن يلبسه أو يمسه أو يتخلله أو يسكنه إبليس الجنى ، وفى هذا ما فيه من الخضوع ؟!

لرد هذا الإعتراض نقول : إن تلبس شخص جنى بشخص إنسى بعامة غير توحد هذا الإبليس الجنى بقرينه الإبليسى الإنسى ، إذ يمكن أن يتم بينهما هذا التلبس بسبيلين .

الأول : أن يكون هذا إغتصاباً أى رغم أنف الشخص الإنسى فيكون هذا عدواناً من الجنى على الإنسى ، ومن ثم يصبح الإنسى فى هذه الحالة خاضعاً للجنى ، عندما يتلبس هذا الأخير بالأول فإن شخصية ووعى الإنسان تنعدمان ، وهذا هو الذى وصفه الله عز وجل بقوله : **﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ﴾** (البقرة / ٢٧٥)

أما السبيل الثانى فهو أشبه ما يكون بالزواج الذى يتم بين الذكر والأنثى بموافقة وإختيار حر لكل منهما ، ومن ثم تقوم بينهما العلاقة الزوجية على أساس النديّة فى

الحقوق والواجبات الإنسانية وفى حالة توحد الإبليس الجنى بالإبليس الإنسى فهو حالة تتم بموافقة الإثنين ، فلا إغتصاب أو عدوان فيها لأحد الطرفين على الآخر ، ومن ثم فليس فى هذه الحالة خضوع من أحدهما للآخر أو سيطرة أحدهما على الآخر ، لأنها تقوم بينهما باختيارهما وعلى أساس النديّة المطلقة بينهما .

فحالة التوحد التى بينهما يتم فيها تفامل عقلاهما فيصيرا عقلاً واحداً وفكراً واحداً ، ويندمج فيها قلباهما فيصيرا إرادة واحدة وينتج عنها خططا للشر متفق عليها يرضى بها كل واحد منهما ، بعد الانفصال ، ويعمل بأقصى جهده لتحقيقها . وفى حالة التوحد الطاغوتية هذه يصير السمعان سمعاً واحداً والبصران بصراً واحداً . فهى حالة مخالفة لحال الممسوس من الجن ، إذ تغيب شخصية وإرادة الإنسى المعتدى عليه ، كما لو إحتل مجرم بيت غيره وطرده منه .

لكن الحال الطاغوتية لا نقول أنها تزاوج بين ذاتين إنسية وجنية فحسب ، بل هى حالة توحد إذ تصير الذاتان ذاتا واحدة .

ومن ثم يكون الناتج من الفكر المدمر والتشريع الخبيث والخطط الشريرة طاغوتاً خارجاً من طاغوت فكل إبليس جنى يتحد بإبليس أنسى فهو طاغوت ، والعمل الناتج عن هذه الذات الموحدة طاغوت ، وأول الطواغيت ورأس الطواغيت جميعاً هو الطاغوت المتولد من تَوَحّد الشيطان الإنسى الأول قابيل مع الشيطان الجنى الأول إبليس والذى يوحدهما ويفرقهما أمران ولهذا ما أن يتم توحدهما حتى ينفران ويفترقا ، فالتوحد حالة مؤقتة وليست دائمة فهذان الأمران عيناهما .. يُفرقان كما يوحدان بينهما ، .. يوحدان ويفرقان بينهما .. كيف هذا ؟

هذا يتضح لنا إذا علمنا أن الأمرين هما : وحدة المنطلق والغاية بينهما أولاً ، ثم إختلاف خلقة كل منهما وطبيعته عن الآخر ثانياً .

أما الأول وهو منطلق كل واحد منهما وهو الفسوق عن مقتضيات العبودية إستكباراً

وإستعلاء ، ومن ثم فغاية كل واحد منهما أن يكون معبوداً من غيره . أى أن الغاية هى التأله . وهذا المنطلق وهذه الغاية يُوَحّدان بينهما معا ويفرقان بينهما معا ، أما عن تعليل التباعد والتفريق بينهما ، فلأن الذات المستكبرة المتألهة ترفض الخضوع لغيرها وتأبى طاعة غيرها، لأنه إذا كان كل واحد منهما قد قبل اللعنة الأبدية بسبب هذا الإستكبار فعصى الله عز وجل الذى خلقه ، فكيف يطيع غيره ، وعلى هذا فمن المؤكد بل من المحتم أن تكون هذه الغاية مُنفّرة لكل منهما من الآخر ومباعدة بين كل منهما وبين الآخر ، وبالتالى مُفرّقة بين كل منهما وبين الآخر . وهذا يعنى أن كلاً منهما لابد أن يعيش مستقلاً عن الآخر متخذاً لنفسه من الوسائل ما يتمكن بها من إضلال قبيله أى أفراد نوعه لكى يخرجهم من النور إلى الظلمات ، حتى يعبدوه من دون الله عز وجل .

ولكن كل واحد منهما يحتاج إلى إمكانات الآخر التى ليست عنده لكى يضل قبيل الآخر ، فإبليس الجنى يريد عقلاً إنسانياً بما فيه من كنز علم الأسماء، ولساناً بشرياً يكلم به البشر وأعضاءاً ، بشرية يستفز بها البشر ويحرك بها جيوش البشر ضد المؤمنين منهم ، وقابيل الإبليس البشرى يريد الإستعانة بالنفس الجنية الخفية وبجيوش من الجن لكى يضل بها البشر من خلال الأعمال الخفية لهؤلاء الشياطين من الجن وعلى رأسها السحر والكهانة والعرافة والأصنام ، وعلى هذا ، إذا صح القول بأن وحدة الغاية لكل منهما أى الرغبة فى التأله قد فرقت بينهما ، فإنه يصح القول أيضاً بأن حاجة كل منهما إلى الوسائل التى عند الآخر لتحقيق هذه الغاية قد وحدت بينهما ، ومن ثم لزم من هذا وذاك أن يكون لكل منهما ذاته المستقلة عن الآخر ، ولكن يكون لهما حال يتوحدان فيها . فصار كل واحد منهما : هو الشيطان الأول فى قبيله متألهاً بين أتباعه حالة إفتراقه عن الآخر وإستقلاله بذاته ، وفى نفس الوقت إقتضى تحقيق هذه الغاية نوعاً من وحدة الفكر والتدبير والتخطيط ، وكل هذا لا يتم إلا بتبادل الوسائل والإمكانات والتعاون الوثيق على الإثم والعدوان . هذه الحالة التى يتم من خلالها هذا ، بل العمل المشترك ، هى حالة توحد لهاتين الذاتين الخبيثتين .

أما الأمر الثانى الذى يفرق بينهما ويوحد بينهما معاً أيضاً ، فهو إختلاف نوع كل منهما عن الآخر ، وأن أحدهما مخلوق من نار وهو إبليس الذى هو من الجن ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ « الكهف/ ٥٠ » فإبليس لم يكن من نوع الملائكة لحظة واحدة ، وإنما كان من الجن المخلوقين من نار، أو من مارج من نار ، بيد أنه كان موجوداً بينهم لما صدر لهم الأمر بالسجود لآدم عليه السلام ، وأما آدم فهو مخلوق من طين كما هو معلوم من الدين بالضرورة . ومن ثم فلكل منهما خلقته المختلفة وجِبِلّته المختلفة وطبيعته المختلفة وكثافته المختلفة وجسده المختلف . هذا الإختلاف والتباين بين كل منهما هو فى حد ذاته مُفرِّق بينهما ومباعد بينهما ، لأنه من المعلوم أن اختلاف الطبيعة والطبع ينفر بين المختلفين ، والعكس صحيح ، لقد علل إبليس رفض السجود لآدم بأن أصل خلقته أى النار خير من أصل خلقة آدم عليه الصلاة والسلام ، أى أنه استعلى بناريته على طينية آدم عليه السلام ، فهو مستكبر على آدم مستعلى عليه غير مقر له بهذه الأفضلية ، ومن ثم يكون اختلاف الأصل لكل منهما مفرق بينهما منذ التجربة الإبتلائية الأولى فى عالم الإبتلاء ، وكذا قابيل الذى قتل أخاه وعاش مع أخته زانياً ، ما فعل هذا إلاّ إستكباراً ورغبة فى النِّظرة مع التأله ، فكيف يخضع بعد هذا لإبليس الجنى ؟

وكيف يقبل قابيل إبن آدم الذى كرمه الله تعالى على سائر خلقه وعلى الجن بخمس وهى : (١) سواه بيديه ، (٢) ونفخ فيه من روحه ، (٣) وعلمه الأسماء (٤) وأسجد له الملائكة ، (٥) وأسكنه الجنة ، أقول : كيف يقبل قابيل وهو بلا شك قد علم هذه المكرمات الخمس أن يسجد لإبليس ويطيعه وينضوى تحت قيادته وسلطانه ؟!

وإذا كان قابيل قد استكبر وإستعلى على أخيه هابيل ورفض الزواج من توأم هابيل وأستأثر بتوأمته هو مضحياً بأخرته معرضاً ذاته للخلود فى جهنم والعياذ بالله بحجة أنه خير هو توأمته من هابيل وتوأمته ، لأن قابيل وتوأمته من حمل الجنة ، وهابيل وتوأمته

من حمل الأرض ، مدعياً أنهما إبنا السماء الأمر الذى جعله يستكبر ويستعلى بذاته على أخيه ، ومن ثم يفسق عن مقتضيات العبودية ، فهل يقبل بعد هذا كله أن يخضع لإبليس ؟! بالقطع لا . كما أن إبليس يرفض بالقطع أن يخضع لقابيل ، بعد أن خسر ذاته لرفض السجود لأبيه آدم عليه الصلاة والسلام ، إذ كيف يأبى السجود للأب ويقبل السجود لإبنه ؟ أو على الأقل طاعته ؟! وهكذا يثبت لنا أن طبيعة كل واحد منهما هى العامل الثانى القوى للتّفريق بينهما وللتباعد بينهما . ومن ثم فمن المحتم أن يكون كل واحد منهما فى ذاته مستكبراً متألهاً وبالتالى مستقلاً عن الآخر بمقتضى إختلاف أصل وخلقة وجبلة وطبيعة كل واحد منهما عن الآخر ، وبمقتضى نزعة الإستكبار من كل منهما .

ولكن نفس هذا الإختلاف فى أصل الخلقة هو الذى يمكنهما من حالة التوحد بين هاتين الذاتين الخبيثتين المستعليتيْن ليصيرا ذاتا واحدة لها غاية واحدة تخطط لها من خلال المزج بين وسائل عالم الجن وعالم الإنس ، أى أن حاجة كل منهما للآخر لتحقيق غايته وحدث بينهما ، كما فرقت أيضاً ، فكيف يتم هذا التوحد ؟! وكيف يكون الاختلاف بينهما فى أصل الخلقة هو الذى أتاح لهما التوحد فى ذات واحدة ؟! تماماً كما أن وحدة الغاية فرقت ووحدت بينهما أيضاً ؟!

لما صار من المحال أن يكون أحدهما خاضعاً للآخر مطيعاً له ، لم يكن أمامهما من سبيل لتكوين قيادة موحدة للشر مع رفض خضوع أحدهما للآخر ، إلا بأن يكون لكل منهما نصيب من سلطان هذه القيادة ، يساوى نصيب الآخر تماماً ، أى خمسون فى المائة لكل منهما ، وهذا هو المحال فى تشكيل أى هيئة قيادية جماعية ، فى أى مجال من مجالات الحياة الإنسية أو الجنية ، إذ لابد حسب سنن الله تعالى فى المجتمعات أن تنتهى السلطة فى يد فرد واحد . أما السلطة الجماعية أو الثنائية التى تقوم على الندية التامة أو المطلقة ، فهى من الأمور المحالة التى لا يمكن أن تنجح فى تنفيذ أبسط الأهداف لما هو معلوم وثابت عن حتمية الإختلاف ، ومن ثم يستحيل قيام تعاون وعمل

مشترك لمثل هذه القيادة الثنائية إذا كان كل عضو فى القيادة فى حالة إفتراق واستقلال ذاتى عن الآخر ، إلا إذا قبل أحدهما الخضوع للآخر والتسليم له بحق الطاعة ، وفى هذه الحالة تصبح القيادة فردية ، وليست ثنائية ، فليس من سبيل لقيام قيادة ثنائية على أساس الندية والمساواة المطلقة بينهما إلا فى حالة واحدة فقط وهى حالة توحد الذاتين فى ذات واحدة وهكذا فإن إختلاف أصل الخلقة والجبلة والطبيعة أتاح لهما ، ليس تكوين قيادة ثنائية للشر لأنها مستحيلة ، وإنما أتاح لهما هذا الإختلاف تكوين قيادة واحدة ، إذ يصيرا بالتوحد ذاتا جنية حالة بالذات الإنسية أو متدرعة بها ، أو ذاتاً إنسية ملبوسة بالجنية ومتحدة بها . فذات إبليس الشيطانية الجنية تتخلل وتتحد بالذات الشيطانية الناسوتية فيصيرا ذاتاً واحدة ، بالعقل والقلب والجسد ، وأساس هذا التوحد بينهما هو إرادة الإستكبار ، ونزعة الإستعلاء ، فهو توحد نفسين وإرادتين فى نفس واحدة وإرادة واحدة ، وليس كما قد يتوهم البعض أنه تلبس نفس جنية بجسد إنسان مما يعرف بالمس . لأن هذه الحالة تغيب فيها نفس الآدمى عن جسده ووعيه ويستخدم الجنى جسد الملبوس وعقله ولسانه فيتحدث به ويفصح به عن ذاته هو . أما فى حالة الطاغوت فهو حلول الشيطان الجنى بالشيطان الإنسى أى حلول نفس الأول بنفس الثانى وعقل الأول بعقل الثانى وقلب الأول بقلب الثانى وجسد الأول بجسد الثانى وإمتزاجهما حتى ينتج عنهما نفساً ثالثة لا هى نفس شيطانية جنية ، ولا هى نفس شيطانية إنسية ، وإنما هى نفس ثالثة يتضاعف فيها الشر والخبث ويطغى الكفر وتلك هى النفس الطاغوتية ، فالحلول هنا أو الاتحاد فى حالة الطاغوت هو حلول نفس بنفس وعقل بعقل وقلب بقلب وسمع بسمع وبصر ببصر وجسد بجسد ، وليس حلول نفس بجسد كما هى حالة الملبوس ، ولذلك فهو توحد ذات جنية بذات إنسية وليس حلولاً ، ومن ثم يكون تفسير الحديث الشريف (إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم) أكثر تطابقاً على الدجال قابيل حين يتحد به إبليس فينتج عنهما الطاغوت الرئيس الأسفل ، وإن كان هذا يصدق على طواغيت صغرى كثيرة . ومن ثم قال (ابن آدم)

الذى هو قابيل بخاصة ، وإن كان يصدق بعامة على غيره من أبناء آدم المتوحدين بالشياطين ، الذين هم صغار الطواغيت أو الطواغيت الصغيرة .

ولكى نقرب للذهن تصور هذه الحالة الغيبية الخاصة جداً ، نقول إن تفاعل عنصرين كيماويين مثل الكلور والهيدروجين وإتحادهما ينتج عنه مادة ثالثة مخالفة لكل من العنصرين المكونين ، حيث أن ذرة كلور إذا تفاعلت مع ذرة هيدروجين ينتج عن هذا الإتحاد أو التوحيد ، جزئ من حامض الهيدروكلوريك وهذا معناه أن العنصرين يصيرا عنصرا ثالثاً مخالفاً لكل واحد منهما .

كذلك الذات الإبليسية الجنية حين تتحد بالذات الإبليسية الإنسية ، يصيرا ذاتاً ثالثة مختلفة عن الإثنين الإبليسيتين ، إذ تصيرا ذاتاً واحدة طاغوتية ناتجة أو متولدة عن حلول الصوت الجنى بنظيره الآدمى والعقل الجنى بنظيره الآدمى والجسد الجنى بنظيره الآدمى ، أى حلول كل ما عند الجنى بنظيره عند الآدمى فيتولد عن هذا الحلول وحدة وجود ذاتية هى الطاغوت .

فلا يصح أن تسمى هذه النفس الناتجة عن هذا التوحد نفساً إبليسية ، ولا شيطانية لمغايرتها لكل من النفس الشيطانية أو الإبليسية الجنية والنفس الإبليسية أو الشيطانية الإنسية ، ومن ثم ولأن الناتج عن توحدهما نفسٌ مختلفة مغايرة لكل منهما لزم أن تحمل إسماً مختلفاً مغايراً لاسم الشيطان ، الذى هو مشتق من شطن ، ولإسم إبليس الذى أبلس من الرحمة ، واللذان هما إسمان وصفيان لإبليس وقابيل بمقتضى كفرهما أى بعدهما عن الحق ويأسهما من رحمة الله تعالى ، وحيث النفس الناتجة عن إتحادهما يتضاعف فيها الشر والخبث ، إذ ليس المتولد عن توحدهما مجرد مجموع الذاتين بل زائد عنهما بكثير ، لذا صار الإسم الأنسب لهذه الذات هو الطاغوت ، الذى هو غلو وشطط فى الطغيان ، فالطاغوت إسم يطلق على كل نفس إبليسية جنية تدخل فى وحدة وجودية مع نفس شيطانية إنسية ، بغرض أن تكون معبودة من الإنس والجن

من دون الله تعالى ، ومن ثم تفريخ الشر والضلال والفساد والأذى لكل المؤمنين أى المنتمين لحزب الله عز وجل .

عالم من الطواغيت متميز عن عالم الشياطين جناً وإنساً :

وحيث أن شياطين الجن كثيرون ، وشياطين الإنس كثيرون ، فإنه من الطبيعى أن يحدث مثل هذا الإمتزاج والتوحد بين كثير من أولئك وكثير من هؤلاء ومن ثم ينتج عن هذه الإتحادات طواغيت كثيرة وهذا يفسره قول الله عز وجل ﴿ **ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ « الزخرف / ٣٦ » يجرى منه مجرى الدم وهو قرين لأن القرين يحمل صفة الندية لقرينه ، وهذا هو الذى يتيح التوحد بينهما بنسبة خمسين فى المائة لكل منهما أى دون أن تطغى إحداهما على الأخرى .

يؤكد هذا الذى نقول ما ورد عن تفسير الطاغوت وتعريفه عند السلف بأنه الكاهن لأن الكاهن يتعامل مع شيطان جنى يتلقى منه الأخبار التى يخطفونُها عن طريق إستراق السمع من السماء وكذلك الساحر الذى يأتى بسحره من خلال (أساليب خاصة يتعامل بها مع الجن أو مع واحد من الجن) يكون قريناً مصاحباً له مدى حياته ، وكذلك العراف وسادن الصنم وغير هؤلاء ممن يستخدمون الشياطين ويعوذُون بهم قال تعال حاكياً لنا مقالة الجن الذين أسلموا لما سمعوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن الكريم : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ « الجن / ٦ » وقال تعالى ﴿ **ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً** ﴾ « مريم / ٨٣ » وقال تعالى عن تنازع القرين الكافر مع قرينــه يوم الدين ﴿ **وقال قرينه هذا ما لدى عتيد ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد منّاع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ؟** ﴾ « ق / ٢٣ - ٣٠ » فقرين الضلال الجنى الذى يحاول أن يتبرأ من قرينه الإنسى العتيد والذى هو أيضاً كفّار

عنيد هو هذا الشيطان الإنسى الذى كانت نفسه تتوحد به ، أى بهذا القرين الشيطانى الجنى ليصيرا طاغوتاً من الطواغيت الكثيرة المفسدة فى الأرض ، ومن الطبيعى أن تكون حالة التوحد مؤقتة ، يعود بعدها كل إلى شيطانيته المستقلة ، أو إبليسيته الخاصة .

وهذا يفسر قول الله عز وجل : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون** ﴾ « الأنعام / ١١٢ » إذ يفصح لنا قوله تعالى ﴿ **يوحى بعضهم إلى بعض** .. ﴾ عن وجود حلقة وسطى بين هؤلاء وأولئك تنسق بين العالمين ، هى الطاغوت ، تلك الحلقة التى يتحقق بها التعاون وتبادل الأفكار والمذاهب والأخبار والخطط والبرتوكولات والأشعار والأعمال الفنية المزخرفة : نحتاً وتصويراً وتشكيلاً وتأليفاً وتمثيلاً وكله قول مزخرف يغررون به الإنس والجن إفتراءوكذباً لإخراجهم من عبادة الله وحده إلى عبادة الطاغوت ، أى من النور إلى الظلمات . والسؤال الذى يجيب عليه هذا التفسير المقدم للنفس الطاغوتية هو : كيف يوحى شيطان الإنس لشيطان الجن أو شيطان الجن لشيطان الإنس زخرف القول ؟ أو السؤال بصيغة أخرى : كيف يكون الإتصال والتبادل والتعاون والوحى بينهما ؟ إذا علمنا أن الوحى هو إعلام خفى تبيّن لنا أنه لا بد من سبيل أو حالة تتيح لكل منهما أن يوحى إلى الآخر ، وأن يلقن الآخر ويتلقى من الآخر ، وليس من سبيل لذلك إلا النفس الطاغوتية الناتجة عن إتحاد النفسين والعقلين والقلبين ، هذا الإتحاد الذى يتولد عنه التوحد بين الشيطانين اللذين يصيرا طاغوتاً ، لأن اختلاف كثافة الجسدين يتيح تداخلهما الارادى فيتولد عن الإتحاد النفسى العقلى الجسدى ، ذاتاً طاغوتية واحدة فكل شيطان جنى حين يتحد بشيطان إنسى يتولد عن هذا التوحد طاغوت ، لكن كل واحد منهما حين يفترق مستقلاً عن الآخر مرة أخرى يعود شيطاناً كما كان ، وحيث أن الشيطان المعرف بالألف واللام يصدق على إثنين أحدهما إنسى والآخر جنى ، وكلاهما رأس الشياطين فى بنى جنسه أو فى قبيله ، فإن إبليس رأس شياطين الجن يكون قريناً أيضاً لقابيل الذى هو رأس شياطين الإنس ، ويكون

التوحّد بين نفسيهما الشيطانيتين للندية التى بينهما ، ولأن هذه النفس الشيطانية الإنسية هى خليفة الطاغوت فى عالم الإنس الذى يتكلم باسمه فيهم ، وينفذ ما يتولد عنه من مخططات شريرية إنسانية ، وكذلك النفس الشيطانية الجنية إبليس هو خليفة الطاغوت المنفذ لمخططاته فى عالم الجن لذا يصح القول بأن الشيطانين إبليس والدجال يصيرا حالة توّحدهما الطاغوت معرفاً بالألف واللام ، لأنه إذا كان توحد شيطان جنى بشيطان أنسى ينتج عنه طاغوتاً من الطواغيت الصغار ، فإن توحد الشيطان الجنى إبليس بالشيطان الإنسى قابيل أو الدجال ينتج عنه الطاغوت أى رأس الطواغيت كلها ، أما فى حالة إستقلال كل واحد منهما عن قرينه فإنه يعود شيطانا ، هذا الشيطان الإنسى وذاك الشيطان الجنى ، هذه القيادة المتوحدة ليست جنية إبليسية فقط ، وليست بشرية دجالية فقط ، وإنما هى مزيج متفاعل متولد منهما على أثر هذا التفاعل أى الطاغوت ، فهو إذاً خميرة الشر فى الوجود ، فالطاغوت ليست الشيطان الجنى الإبليسى فقط ، وليست الشيطان البشرى الدجالى فقط ، وإنما هى الذات المتولدة عن وحدة وجود بينهما ، ولفظ الطاغوت هو إسم جامع لذاتهما المتوحدة ، وإسم لشغلها الإجرامى المضل للجن وللإنس على حد سواء، واسم للمؤسسات والقوى والجيوش الخاضعة لها المنفذة لأهدافها .

هذا هو مفهوم الطاغوت معرفاً بالألف واللام إذ لا يصدق إلا على الذات الدجالية البشرية حين توحدها مع النفس الإبليسية الجنية ، أو بتعبير آخر حين تتدرع الذات الإبليسية الجنية الخبيثة بالجسد وبالعقل وبالنفس الدجالية القابلية البشرية الشريرة .

فالطاغوت ليس أحدهما منفرداً بذاته فى عالمه ، إذ يكون كل واحد منهما ، حين الاستقلال والتباعد بينهما ، إما الشيطان الجنى إبليس الذى هو خليفة ونائب الطاغوت فى عالم الجن ، وإما الشيطان الإنسى قابيل أى الدجال الذى هو خليفة ونائب الطاغوت فى عالم الإنس ، ومن ثم فالطاغوت هو الاسم الذى يصدق عليهما معاً حالة توحدهما فى ذات واحدة هى المشرعة لكل الشر والفساد والكفر فى هذه الحياة الدنيا وفى حالة

الافتراق يكون إبليس خليفة الطاغوت فى الجن والدجال خليفته فى الإنس ، والخليفة منفذ فقط ، بدلالة أن الطاغوت صيغة مبالغة فِى الطغيان ، وهى أعلى وأقوى من الدلالة على مصدر الشر ونبع الكفر من دلالة اسم الشيطان على هذا المصدر ، لأن كلاً من الشيطانين الجنى والإنسى أى إبليس والدجال ، يستقيان من الطاغوت ، وذلك لأن الشر النابع من كل منهما على حدة أقل من الشر النابع منهما متوحدين فى ذات الطاغوت كما أن الشر الصادر من الشيطان : سواء الإنسى أو الجنى ، هو شر تنفيذى . أما الشر النابع من الطاغوت فهو تشريعى تخطيطى وتنظيمى وتنظيرى عقدى ، فالنفس الطاغوتية هى نبع الشر الأول أو المصدر الأول الأصيل للشر والكفر إذ هى التى تفيض بالكفر والضلال والشرك والإلحاد والخبث والإجرام على شيطانىّ الجن والإنس ، وعن طريقهما وبتنفيذهما كل فى عالمه ، يتحقق الشر ويعم الخبث ، فالطاغوت هو عقل الشر الأول ونبع الكفر الأساسى فى الوجود الإبتلائى . ومن ثم تكون السلطة العيا لمملكة الشر وعالم الظلمات متمثلة فى هذا الثالوث النجس : إبليس الجن والدجال إبليس الإنس ثم الطاغوت الذى يتولد عن تفاعل الطبيعة الجنية النارية بالناسوتية الطينية ، فهم ثلاث ذوات : إثنان فى واحد ،، وواحد متولد من إمتزاج أو تفاعل الإثنين ، أبوين وابن وولادة ، وتلك هى حقيقة وأصل عقائد التثليث فى الأرض على مدار تاريخ البشرية كله ، بل هى أيضاً أصل وحقيقة وتتحقق عقائد الحلول والإتحاد ووحدة الوجود كما سنرى .

وهكذا تحققت وتتحقق بين إبليس والدجال المساواة والندية لأن حاجة كل منهما إلى الآخر متكافئة ومتساوية كحاجة القرين إلى قرينه ، أى أن الموحد بينهما هوالمصلحة ، فالطاغوت متولد من السلوك المصلحى والنفعى ، ومن ثم فأخلاق المصلحة والمنفعة من شريعته ، وحيث أن كلاً من إبليس والدجال خليفة للطاغوت فى عالمه ، والطاغوت ليس إلا هما متوحدين ، فإن كل واحد منهما يكون معبوداً متألهاً فى بنى جنسه وقبيله بالأصالة لنفسه وبالوكالة فيهم عن قرينه أى حاكماً لهم بالنيابة عن الآخر ، فما عبد المشركون الكافرون من دون الله تعالى إلا الشيطان الإنسى والجنى متحدين بل متوحدين

، أى الطاغوت ، سواء أكان هؤلاءالمشركون الكافرون فى الجن أم كانوا من الإنس وبذلك صار الدجال صوت إبليس فى الإنس وإبليس صوت الدجال من الجن ، وهذا تفسير قوله تعالى لإبليس **﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورَجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾**

أى مَنْ استطعت من بنى آدم فكان هو إبليس البشرى الرئيس أى الدجال قابيل .

فلا معنى للطاغوت سوى هذه الأنا الإبليسية المتلبسة الممتزجة الذائبة بل المتوحدة فى الأنا القابلية البشرية . فهى الذات المستعلية المستكبرة إستعلاء وإستكباراً مضاعفاً طاغياً ففاض منها الإلحاد والشر فيضاناً وشرّعت الرذيلة والجريمة والمنكر وقنّنتها ، وعملت وتعمل على ترسيخها ، حتى تقضى على آخر ذرة خير بين الإنس والجن ، تلك هى الطاغوت أما الشيطان الجنى ونده أو قرينه الشيطان الإنسى فكل واحد منهما مجرد نائب أو خليفة للطاغوت فى عالمه يقتصر دوره على تنفيذ المخططات أو البرتوكولات والتشريعات الصادرة إلى كل منهما من هذه الذات النجسة الخبيثة ، وهذا فارق جوهرى بين مدلول اسم الطاغوت ومدلول اسم الشيطان فى المفهوم والمصادق والوظيفة ، وكذلك فى الرتبة ، إذ يعلو الطاغوت الذى عمله التشريع والأمر على الشيطان الإبليسى جناً وإنساً الذى عمله قاصر على الطاعة للطاغوت وتنفيذ أمره فالطاغوت رب للشيطانين الرئيسين كل واحد منهما عبد له ومكلف منه . وإن كان هذا الطاغوت ليس سوى كلاهما متحدين .

الفصـــل الثانى عشر

الطاغــوت هو الذى يلد ويولـد وهو أصل عقـائد الحلول والتـثليث ووحـدة الوجـود

حقيقة الطاغوت وصلته بالشيطان :

علمنا أن الدجال أو إبليس الإنسى هو صوت الطاغوت فى عالم البشر كما أن إبليس هو صوت الطاغوت فى عالم الجن ، وهما يسعيان بتنسيق من خلال الطاغوت ليصل إلى إحكام قبضته على هذا العالم ، ومن ثم يخرج مظهراً نفسه للناس زاعماً أنه ربهم وأنه ملكهم وأنه إلههم . ومن ثم يكون الدجال و إبليس صاحبى غاية واحدة منطلقة من نفسيهما المستعليتين المستكبرتين نحو التأله ، وتعبيد الإنس والجن لهما من دون الله تعالى ، فصارا منذ بدء الخليقة زعيما مملكة الشر ، ومن ثم يكون من الخطأ قصر اسم الطاغوت على أى واحد منهما دون الآخر ، أو إعتبار الطاغوت أحدهما مستقلاً عن الآخر ، لأن كل واحد منهما تمتلأ ذاته الشيطانية الإبليسية بنفس القدر الذى عند الآخر من الإستعلاء والإستكبار والكفر وبنفس القدر من الشر الذى عند الآخر ، وبنفس قوة نزعة التأله التى فى نفس الآخر .

ولذا فهما متساويان مساواة تامة فى هذه الأمور الشيطانية الإبليسية ، ومن ثم فكل واحد منهما ليس مجرد شيطان من شياطين الإنس والجن ، إذ أن كل واحد منهما رأس لشياطين بنى نوعه وقبيله ، وحيث أن إسم إبليس اسم وصفى ، وليس إسما علميّاً ، لأنه مشتق من أبلس أى يئس أو من الإبلاس أى اليأس ، وهو حال الشيطان الذى استحق بفعله اللعنة الأبدية التى هى طرد ابدى من رحمة الله لا رجاء له بعدها فى التوبة ، أى أنها حكم نهائى للخسران الأبدى ، وحيث أن هذا هو ما آل إليه حال قابيل لقوله تعالى ﴿ ... **فأصبح من الخاسرين** ﴾ « المائدة / ٣٠ » ، وهو حال كثير من السحرة والكهان والطغاة من رؤوس الأديان الشركية والملل الكفرية ، فإن قابيل اللعين يصح أن نطلق عليه الإبليس الإنسى وكذلك كل من يتعامل تعاملاً مباشراً مع شياطين الجن من الإنس وكل رؤوس الكفر والفساد ممن آل حالهم إلى اليأس واستحقوا اللعنة الأبدية التى قطعت عليهم طريق العودة إلى الله عز وجل هم جميعاً أبالسة .

ومن ثم فليس كل الشياطين أبالسة ، وإن كان كل الأبالسة شياطين ، لأن بعض

الشياطين قابل للتوبة وللعودة إلى الحق ، كما هو حال شيطان رسول الله ﷺ الذى دعاه رسول الله ﷺ إلى الاسلام ، فأسلم وصار صحابياً من صحابة رسول الله ﷺ الجنيين . ومن ثم نقول أن كل شيطان كافر وليس كل كافر شيطاناً لأن الشيطان جندى أو موظف فى مملكة الشر ، وليس الكافر هكذا بالضرورة ، وكل إبليس شيطان ، وليس كل شيطان إبليساً ، وكل طاغوت إبليسان متوحدان ، وليس كل إبليسين منفردين طاغوتاً ، إذ لا يكونان كذلك إلا بالتوحد فالمؤمنون بالله الكافرون بالطاغوت هم خلفاء الرحمن فى الأرض وهم نوعان : مؤمنو الإنس ومؤمنو الجن ، والكافرون بالله تعالى المؤمنون بالطاغوت ، هم جمهور مملكة الشر الأرض وهم نوعان أيضاً : كفرة الإنس وكفرة الجن .

والشياطين هم الجنود والموظفون فى دولة مملكة الشر وهم نوعان : شياطين الإنس وشياطين الجن ، وأبالسة هم رجال الدولة والأعوان المخلصون لمملكة الشر الموكولة إليهم الأعمال والوظائف الطاغوتية ، وهم أيضاً بالضرورة نوعان : أبالسة الجن وأبالسة الإنس والطواغيت هم حلقات الإتصال بين شياطين الجن وشياطين الإنس ، ومن خلالهم يتم الوحى من هؤلاء لأولئك ومن أولئك لهؤلاء ، فينتقل الشر بين الجانبين ويتم التعاون بينهما على الإثم والعدوان لإخراج الجن والإنس من النور إلى الظلمات ، وعلى قمة مملكة الشر الطاغوت الرئيس الأسفل ، وهو الذى يتولد من لحظات التوحد بين الإبليس الجنى الرئيس الذى أبى السجود لآدم عليه السلام ، والابليس الانسى الرئيس الذى قتل أخاه واستحل أخته المحرمة عليه ، ثم إذا إفترقا مرة أخرى ، عاد كل واحد منهما رسولا إلى بنى نوعه الأبالسة من قبل الطاغوت الرئيس بما تم الاتفاق عليه من خطط إفسادية لتقوم مجامع الأبالسة بوضع القوانين والقرارات والآليات التى يصدرونها إلى الشياطين لتنفيذها .

هذا هو الهرم الإدارى لمملكة الشر الذى تنتهى قمته بالإبليسين الرئيسين ينبثق منهما الطاغوت الرئيس ، فالسلطة النهائية لمملكة الشر هى لهذا الثالوث ، ومن ثم نجد

أن المعبود فى أكثر الملل الإلحادية والكفرية والشركية والوثنية والكتابية المحرفة ثلاثة يزعمون أنهم فى واحد ، أو واحد يقولون أنه ثلاثة .

وهى عقيدة قديمة قد ظهرت فى عقيدة أوزوريس وإيزيس والهندوكية التى ينتهى هرم الآلهة عندهم إلى ثلاثة ثم فى النصرانية بمذاهبها المختلفة.

وحتى عقيدة الحلول المنحرفة عند الصوفية ما هى إلا حلول النفس الإبليسية الجنية فى النفس الإبليسية الإنسية أى أنها عبادة للطاغوت . فمن قول الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنـا　　　نحن روحان حللنا بدنـا

فإن أبصرتنـي أبصرتـه　　　وإن أبصرتـه أبصرتنـا

فالروحان هما النفسان الابليسيتان الجنية والانسية أى نفسه هو فى بدنه هو ثم نفس شيطانه فى نفسه وبدنه ، فهذا ثالوث ، والبيت الثانى يثبت ما أطلقت عليه حالة التوحد لأنهما ذاتاً واحدة ، فإذا رأيت الواحد منهما رأيت الكل .

وكذلك قلنا أن الطاغوت هو المشرع ، فهو رب إذاً ، ومن ثم يكون كل إبليس منفصل عنها ملزم بتنفيذ ما تم تشريعه فى عالمه ، فهو عبد حين يكون منفرداً بذاته مستقلاً ، وهو رب حين يكون متوحداً فى الطاغوت ، وهما حالتا الجمع الطاغوتية والفرق الإبليسية ، وهذا هو بعينه مذهب ابن عربى صاحب وحدة الوجود ، فبإعتبار الطاغوت هو المشرع فهو رب ، وبإعتبار كل إبليس منهما بعد التفرق ملزماً بطاعة وتنفيذ ما تم الإتفاق عليه وتشريعه ، فكل منهما عبد ، فالعبد هو الإبليس حالة الانفصال أو التفرق ، والرب هو هو بعينه فى الحلول ووحدة الذات ، أى فى حالة الجمع والتوحد وهذا هو البيت المنسوب لابن عربى

الـرب عبد والعبد رب　　　يا ليت شعرى مَنْ المكلّف ؟

إن قلتَ عبد فذاك رب　　　وإن قلت رب فأنّى يُكلّـف

وهذا هو التفسير الوحيد المقبول لغة وعقلاً لهذين البيتْين ، إذ يصعب إن لم يكن من المستحيل تفسيرها بغير ما هدانا الله تعالى إليه من تفسير لسر الطاغوت المتوحد أو المتولد عن الإبليسين ، والإبليسان المنفلتان أو المتولدان عن الطاغوت ، وكذا يستحيل تفسير عقائد الحلول الصوفية والحلول النصرانية والتثليث ووحدة الوجود الإلحادية عند البوذية والكونفوشيوسية والهندوكية وعند أصحابها ممن ينتسبون للتصوف الإسلامى إلا من خلال الحقيقة الطاغوتية الإبليسية توحدا بالجمع واستقلالا بالانفلاق ، إذ هذا كله ليس إلا وصفاً وشرحا لحالتى الطاغوت والإبليسين جمعا وانفلاقاً مع نسبة هذا كذباً وزوراً وبهتاناً إلى الله عز وجل وتنزه وتقدس وتعالى عن ذلك كله علواً كبيراً .

وبهذا يخدع الطاغوت الناس ويجعلهم يعبدونه بالوصف مستتراً تحت اسم الحق واسم الله عز وجل ، وإن كان قد حل شئ فى شئ فهو القرين الجنى بقرينه الانسى مع الايهام بأنه الأله عز وجل خداعا وتضليلا ، هذا إن لم يكن هو عالماً بهذا شريكاً معه فى الإضلال . وهذا كله من قبيل توعد الشيطان بنى آدم بقوله لله عز وجل : **﴿ قال : فَبِعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾** « ص / ٨٢ - ٨٣ » وبقوله **﴿ فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾** « الأعراف / ١٦ - ١٧ »

والسؤال : كيف يأتى الأبالسة الناس عن أيمانهم إلا أن يكون هذا باسم الدين والإيمان بالله تعالى ، فى حين أنه لا يأتى إلا بالكفر فيخدع من يريد الإيمان بأن يجعله يعبد الطاغوت وهو يحسب أنه يعبد الله تعالى ، فمذاهب الحلول ووحدة الوجود فى التصوف الإسلامى التى لها نظير عند صوفية الهنود والبوذية والنصارى ، ما هى إلا مذاهب طاغوتية تلك التى تجعل العبد هو الرب جمعاً بالتوحد والحلول ، والرب هو الرب استقلالاً بالتفرق والانفلاق فليس من نبع للشر أسبق من الفلق الذى هو شر ما خُلِق .

أما رب العالمين خالق كل شئ سبحانه فهو أجل وأعظم وأكبر من أن يحل بذاته فى شئ من خلقه حتى ولا فى سماواته فالله أكبر ، كما أنه سبحانه أجل وأقدس من أن يحل فيه شئ من خلقه ، كيف ؟ **﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾** « الزمر / ٦٧ » ؟ فالله أكبر ، ويطويها كطى الكتاب **﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ﴾** الأنبياء / ١٠٤ » كيف ؟ و **﴿ إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾** « يونس / ٤ » ؟؟ فالله أكبر ، كيف ؟ وهو القائل سبحانه **﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾** « غافر / ٥٧ » وكيف يحل سبحانه بعبد مخلوق له من الناس حتى ولو كان نبياً طاهراً مثل عيسى بن مريم عليهما السلام ، والسماوات والأرض وهن بعض خلقه مطويات بيمينه وهن أكبر من خلق الناس جميعاً ؟ الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ..

لا حلول ولا توحد وجود إلا بين مخلوق ومخلوق ، ولا يصح هذا ولا يتم إلا بين جنى من نار يتخلل إنسياً من طين ، لأن الجنى أقل كثافة من الإنسى ، ولا يكون هذا إلا بين إبليسين يلدان بتوحدهما طاغوتاً . فسبحان الله عما يقولون ، وتعالى الله عما يشركون علواً كبيراً .

كيف يحل الخالق سبحانه بالمخلوق ، وهو الذى لما تجلى للجبل أقل من قيد أنملة جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً ، ولم يكن هذا من تجلى الخالق سبحانه على موسى عليه السلام ، ولكن مما أصاب الجبل ؟ ثم يخرج على الدنيا من يقول : إن الله ثالث ثلاثة . كفر والله كفراً بواحاً ، ومن يقول : إن الله يحل فيه ، وما فى جبته غير الله ، أو من يقول : سبحانى ما أعظم شأنى ، كفر والله كفرا بواحاً . وثالثة الأثافى هى قول القائل : الرب عبد والعبد رب . كفر والله كفرا بواحا ، ولو أولوا هذه الأقوال بأى تأويل من التأويلات ، لأنها جميعاً ليست إلا أحوالا للطاغوت ينسبونها لله عز وجل .

وليس بموحد من لم يكفر بالطاغوت ، فما بال الذى يؤمن به وصفاً ويطلق عليه

يؤكد هذا التفسير للطاغوت وينبت سبة صفات الطاعوت لله تعالى كذباً وزوراً وبهتاناً قوله تعالى ﴿ **وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون ، بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم** ﴾ « الأعام / ١١٠ - ١٠١ »

لأن وصف الإله بأنه يلد كذباً وبهتاناً ونسبة الولد إليه ، إنما هو وصف بأحوال وبصفات الطاغوت ، ومن ثم فإن من يعبد إلهاً بهذا الوصف لا يعبد في الواقع إلا الطاغوت ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العاملين** ﴾ « الصافات / ١٨٠ » وقال تعالى ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً ولقد علمت الجنّة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون** ﴾ « الصافات / ١٥٩ »

الطاغوت يلد ويولد :

لقد علمنا أن الشيطان إما أن يكون إنسياً وإما أن يكون جنياً ، ومن ثم فإنه يكون من الخطأ تأويل إسم الشيطان في بعض الآيات الوارد فيها بالشيطان الجنى فحسب ، ما دام قد ثبت وجود عالم من شياطين الإنس لهم ملك وقائد وزعيم يتخذونه رباً وإلهاً ، بجانب عالم من شياطين الجن لهم ملك وقائد وزعيم يتخذونه رباً وإلهاً ، وعلى هذا يكون من الخطأ قصر اسم الشيطان على الجنى منهما فقط ، وهو الخطأ الشائع الذى يقع فيه كثير من الناس وكثير من المفسرين ، إذ ينصرف الذهن بمجرد سماع لفظ الشيطان إلى الجنى ، بالرغم من أن القرآن الكريم قد نصّ صراحة في أكثر من موضع على وجود عالمين للشياطين ، وليس عالماً واحداً هما شياطين الجن والانس . منها قوله تعالى ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ « الأنعام / ١١٢ » ومنها قوله تعالى ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوساس الخناس الذى يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس** ﴾ « سورة الناس » فالوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس

إما أن يكون من الجنة أى جنياً ، وإما أن يكون من الناس أى إنسياً ، فهما إذن عالمان من الشياطين الموسوسين الخناسين فى صدور الآدميين فلكل عالم رئيس يتخذونه ملكاً وإلهاً ورباً . وهما عالمان متآزران متعاونان على الإثم والعدوان ومحاربان للمتعاونين على البر والتقوى ، بدليل قوله تعالى فى الآية الأولى ﴿ **يوحى بعضهم إلى بعض** ﴾ وبدليل قوله تعالى أيضاً ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾ « الأنعام / ١٢١ » وأيضاً بدليل قوله تعالى ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ « الزخرف / ٣٦ » .

وبين العالمين حلقات إتصال كثيرة يتم من خلالها تبادل التعليمات والخطط والأفكار والتنسيق بينهم فى التنفيذ ، وكل هذا يتم من خلال وحى بعضهم إلى بعض

هذه الحلقات الوسطى اسم الواحد منها « طاغوت » وجمعها « طواغيت » وكل طاغوت من عالم الطواغيت هو متولد عن توحد ذات شيطانية إبليسية جنية بذات شيطانية إبليسية إنسية توحداً يتم على فترات مؤقتة ، هى المدة الزمنية لحالة الإتصال بينهما ، والتى تنمحى وتنعدم فيها الذات الفردية لكل منهما فى المتوحدة ، فالمتوحدة أى الذات الطاغوتية مولودة من الإثنين ، والإثنتان والدتان لها . فإذا ما إنتهت فترة التوحد وعاد كل واحد إلى فرديته ذاتا شيطانية إبليسية كما كان ، وهكذا ، ومن ثمّ تصبحان بالتالى متولدتان من الطاغوت بطفح من الشر يتمثل فيما تحمله كل ذات إبليسية كل منهما من خطط وتشريعات وأعمال طاغوتية تلقته من الذات الطاغوتية ، فالذات الطاغوتية أشبه ببئر المجارى وكل ذات إبليسية أشبه بمجرى يخرج منه ، وتولد ماء المجارى النجس من بئر المجارى سواءالجنية أو الإنسية أشبه ما تكون بطفح من هذا البئر من جهة يسير فى مجرى من ناحية والآخر يسير فى الناحية الأخرى ، بقصد إفساد الحياة ، فتكون كل ذات منها مولودة من الذات الطاغوتية ، فالطاغوت ابن مولود من الشيطانين الابليسين بعملية الإمتزاج والجمع ، وهما ابنان مولودان منه بالانفلاق ، ومن ثم يكون هذا الثالوث حين توحده مركب من إثنين ، أتاح له إختلاف طبيعة أصل

مادتيْ تكوين كل منهما أى النار والطين ، أتاح إمتزاجهما وتوحدهما ، كما ذكرنا من قبل ، ومن ثم أصبح للمخلوق المبتلى أى الانس والجن ستة أحوال :

الحال الأول : وهو حال الفطرة الموحدة التى يولد عليها أبناء الإنس والجن ، وهذه تستمر مع المولود منهما حتى سن الرشد والتكليف والاختيار وبعد هذا إما أن يثبت قلبه على فطرته وإما أن ينحرف عنها .

الحال الثانى : أما الحال الثانى فهو حال المؤمنين بالله واحداً لا شريك له الكافرين بالآلهة المزيفة الباطلة وهؤلاءهم حزب الله عز وجل .

الحال الثالث : وهو حال الذين تحولوا عن فطرتهم فأشركوا وكفروا بالله تعالى واتخذوا إلهاً غيره . وربما سواه . وهؤلاء هم حزب الشيطان المعادى والمتصارع مع حزب الله ، لكن منه أتباع مضللون عليهم جنود وحراس من الشياطين ، هؤلاء الأتباع الكافرون قابلون للعودة إلى التوحيد والإيمان والإسلام بالتوبة ، وقابليتهم للعودة أقوى من قابلية الشياطين الذين هم أهل الحال الرابع .

الحال الرابع : ينقسم حزب الشيطان إلى أتباع مضللين وجنود من الشياطين الداعين إلى الكفر ، لأن مجتمع الكفر ليس كل أعضائه شياطين ، إذ الجمهور والعامة المضللون منهم كفار ومشركون مضللون مخدوعون بفعل الشياطين الذين يحجبون عنهم الحق ويموهون الحقيقة . ومن ثم فالشيطنة هى الحالة الرابعة فى هذا التقسيم لأن الشيطان هو الجندى فى جيش دولة الشيطنة ، ومن ثم فكثير منهم مخدوعون مضللون ، وبالتالى فبعضهم قابل للإيمان والعودة لفطرته ، إذا ظهرت له الحقيقة مثل ما حدث من الشيطان المسلط على رسول الله ﷺ الذى أسلم وآمن وصار صحابياً ، وعلى هذا تكون هذه الدولة مكونة من هؤلاء الجنود الشياطين على اختلاف رتبهم ، والذين هم خاضعون ومحكومون بالزعماء أصحاب السلطات فيها والذين ليسوا شياطين عاديين ، إذ هم الأبالسة .

الحال الخامس : الأبالسة وهم الملأ الأعلى فى الدولة الشيطانية الحكام والقضاة والمنفذون من القيادات العليا والوزراء وجميعهم من الأبالسة ، وإختلاف الأبالسة عن الشياطين ليس فى مرتبة السلطة فقط وإنما فى أن الحال النفسى الخاص للأبالسة هو أنهم ليسوا قابلين للتوبة أو للرجوع إلى الحق والإيمان بالله تعالى والكفر بالطاغوت ، لأن الإبليس هو الشيطان الذى بعد كثيراً جداً عن الحق حتى صار يائساً قانطاً من رحمة الله ، شأنه فى هذا شأن إبليس الأول ، فليس إبليس هو الشيطان الأول فقط الذى أبى أن يسجد لآدم لأن هذا الاســـم : « إبليس » وصفىٌ وليس عَلَميّاً لأن الفعل أَبْلَسَ أى يئس من رحمة الله وقَنَطَ من عفوه ، هذا الفعل المشتق منه إسم إبليس يجعل هذا الاسم وصفاً صحيحاً لكل من يئس من رحمة الله وعفوه ، ومن ثم فكل من يصل إلى هذه الحال القلبية الخامسة للكائنات الإبتلائية المغالية فى الكفر والمسرفة فى الشر فهو إبليس ، ليس الجنى منها فقط بل الإنسى كذلك : أقول من يصل إلى هذه الحال يصبح إبليسا ، ومن ثم يمكن القول بأن الجن ينقسمون إلى مؤمنين وكفرة وينقسم البشر إلى مؤمنين وكفرة ، وكما ينبثق من كفرة الجن شياطين ، كذلك ينبثق من كفرة الانس شياطين ، هم دعاة الكفر وجنود الضلالة ، وكما ينبثق من شياطين الجن أبالسة ، ينبثق من شياطين الانس أبالسة أيضاً ، هم زعماء وقادة ومشرعو ومخططو حزب الشيطان ، وهم القيادة العليا لهذا الحزب ، وهم الذين غير قابلين للعودة إلى فطرتهم الموحدة ، بعد أن تدمرت تماماً ، فصاروا غير قابلين للتوبة اليائسين من رحمة الله تعالى ، هؤلاء الأبالسة الجنييّن هم قادة حزب الشيطان الجنى ، والأبالسة البشريّين هم قادة حزب الشيطان الإنسى الذين يحاربون حزب الله فى عالمى الجن والانس على حد سواء.

الحالة السادسة : وعلى هذا فلا بد أن يقوم التنسيق بين أبالسة كل من العالمين الجنى والانسى فى حربهم ضد حزب الله فى عالمى الجن والانس ، هذا التنسيق يفترض بالضرورة حلقات وسطى على جميع درجات السلم الادارى الهرمى لمملكة الشر ، هذه الحلقات الوسطى هى المتمثلة فى عالم من الطواغيت على رأسهم الطاغوت الأول ،

فكل إبليس جنى يتوحد بقرينه الإبليس الإنسى ينتج عنهما طاغوتٌ فى عالم الطواغيت ، ويتوحد الإبليس الجنى الأول الذى أبى السجود لآدم عليه السلام الذى هو رب الأبالسة والشياطين وملكهم ، بإبليس الإنس الأول الذى قتل أخاه واستحل أخته وهو رب أبالسة الانس وملكهم والههم ، هذا التوحد النجس بينهما هو الذى يتولد منه الطاغوت الأول رب عالم الطواغيت وملكهم وإلههم ، فهو ربهم لأنه المشرع لهم ، وهو ملكهم لأنه المصرف لأمورهم والمخطط لتنفيذ الأهداف والتشريعات المحققة لها ، وهو إلههم لأن الذين دونه من الطواغيت والأبالسة والشياطين والكفرة والمشركين يعبدونه من دون الله عز وجل .

وكما سبق أن وضحنا ، فإن الإبليس الإنسى الأول والإبليس الجنى الأول حين يتوحدان يلدان الطاغوت الرئيس الأول ، فهو ثالثهم ، فإذا إنفلقا إلى إبليسين مرة أخرى صارا كمن ولدهم الطاغوت ، فكل منهما مولود منه بالإنفلاق أو الانفصام ، ومن ثم فهو يلد ، وهو مولود منهما أيضاً ، وما تم هذا التوحد ، إلا لأنه الشكل الوحيد الذى يمكن أن تقوم به بينهما قيادة ثنائية تكون السلطة فيها متساوية مساواة تامة بينهما ، لأن كل واحد منهما كفؤ للآخر وند له ، كما أن الطاغوت كفؤ لهما متوحدين ، ومن ثم ما عبد المثلثون إبتداء من عبادة أزوريس فى التاريخ المصرى القديم ثم البوذية والهندوسية ومن ثم الصورة الأخيرة للتثليث الكاثوليكى إلا هذا الطاغوت الذى يلد ويولد ، وكل واحد من الإبليسين كفؤ للآخر ، ومن ثم أمر الله عز وجل نبيه الكريم قائلاً له **﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾** « سورة الصمد » لأن هذه السورة المعادلة لثلث القرآن ، المتضمنة للتوحيد الإسلامى كله ، تثبت ضلال جميع الذين يعبدون الطاغوت فى صورة ثالوث يلد ويولد ، وله ما يكافئه ، وينفلق أى ينفصم إلى اثنين متكافئين ، فالسورة إذاً تنزه وتقدس الله عز وجل عن هذه الخصائص الطاغوتية **﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾** فهو أَحَدِىُّ الذات سبحانه ليس فى ذاته عز وجل تركيب كما هو الحال بالنسبة للطاغوت ، وهو عز وجل صمد فلا يحل فيه شئ

من خلقه ، ولا يتحد هو عز وجل بشئ من مخلوقاته ، لأنه عز وجل الخالق وكل ما سواه مخلوق وعبد له ، ومن ثم فهو سبحانه لم يلد ، ولم يولد ، كما هو الحال بالنسبة للثالوث الطاغوتى ، وكما هو الحال بالنسبة لكل حى يتولد من إثنين أو يلد غيره ، واحداً أو أكثر ، وما تقرره هذه السورة هو البراءة من الإيمان بالطاغوت إذ أنه لا يوجد فى الكون كله كفؤ له سبحانه ، لأن كل ما سواه فى الوجود من خلقه سبحانه ، فلا ند ولا شبيه ولا كفؤ له عز وجل ، بخلاف شأن هذا الثالوث الطاغوتى المعبود بالباطل من دون الله ، إذ هو يكافئ الإبليسين ، والإبليسان يكافئانه ، كما يكافئ كل واحد منهما الآخر ، ومن يعبد الذى له كفؤ فهو مشرك والذى يعبد ثلاثة هو مشرك ، ومن ثم لا نجاة من هذا الوقوع فى عبادة هذا الطاغوت الذى هو وحده المتأله بالباطل ، إلا بالتوحيد الذى شعاره لا إله إلا الله ، وعقيدته قل هو الله أحد ، وغايته الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله عز وجل وحده .

ومن ثم تتضمن سورة الصمدية الكفر بالطاغوت الذى يلد ويولد وله كفؤ ، وليس أحدى الذات بالإضافة إلى ما تتضمنه من تصريح بالإيمان بالله تعالى وحده . وحيث قد علمنا الطاغوت إثنان يتوحدان فى ذات واحدة هى نبع الشرفى العالم ثم تنفلق إلى إثنين مرة أخرى ، ليعود كل إبليس منهما إلى عالمه حاملاً خطط الشر والفساد والإضلال ، فإن هذا التوحد والانفلاق يتم بأمر الله تعالى ومشيئته الكونية لإبتلاء الإنس والجن ومن ثم فهو سبحانه رب كل شئ الذى بعزّته وإذنه سبحانه يتم هذا كله .

ومن ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يستعيذ بالله تعالى رب هذه الذات المتوحدة والمنفلقة على التوالى الطافحة بالشر والفساد ، فقال له ﴿ **قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد** ﴾ « سورة الفلق » وسميت السورة باسم الفلق لأن هذا هو أخطر فلق فى العالم يعقبه طفح الشر والفساد والضلال ، والأمر بالاستعاذة بالله تعالى الذى هو خالق الإبليسين وربهما فى حالة إنفصالهما وربهما فى حالة توحدهما فى الطاغوت الذى

عندما ينفلق ويعود كل إبليس إلى عالمه ، فإنه يعود حاملاً لخطط الشر وعلى رأسها السحر ، ومن أخطر أساليب الشر النابع من الطاغوت المحمولة بالإبليس المنفلق عنه الغاسق إذا وقب وهو الذى يحل فى الموضع ليلاً فجأة ، ويغيب نهاراً وهم الأبالسة والشياطين حين يحلون بعالم الإنس فيعيثون فساداً بالنظرة الأرضية والمس الشيطانى واللبس الجنى وغير ذلك مما يؤذى به الشياطين الإنس وكذلك من أخطر أساليب الطاغوت المنفلق النَّفّاثات فى العقد ، وهو من أخطر أساليب السحر الذى يتم بالتعاون بين إبليس إنسى وإبليس جنى .

والاستعاذة به إستعاذة من كل أساليب السحر وأنواعها لأن الإستعاذة من الأخطر إستعاذة مما هو دونه ، وهو من عمل الطاغوت كما علمنا ، لأن الإبليس الجنى هو الذى يلقنه ، ويعلمه للإبليس الإنسى ثم يتعاونان فى إتمام تأثيره الشرير .

﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ لأن الحاسد ليس هو الذى يصيب بالعين فقط ، بل هو الذى يحقد ويتمنى زوال النعمة ، ثم هو يسعى بالكيد لأزالتها عن المحسود بجميع الأساليب ، ومنها عين العائن التى تضر المصاب بشكل غيبى ، وهذا كله من فعل الطواغيت والأبالسة فى بنى البشر ، فسورة الفلق إستعاذة بالله تعالى لكى لا يصاب المستعيذ من شرور الطاغوت .

وكذلك لا يتم التوحيد الإسلامى إلا بالاستعاذة بالله عز وجل الذى هو رب الناس ملك الناس إله الناس الواحد الذى لا شريك له فى ربوبيته ولا فى ملكه ولا فى ألوهية .

الاستعاذة به سبحانه تكون من الطاغوت الذى يدعو الناس إلى أن يتخذوه ربا وملكاً وإلهاً لهم ، ومن ثم يوسوس له هذا الوساس الخناس الإنسى منهم والجنى لتحويلهم عن عبادة الله تعالى وحده إلى عبادة الطاغوت الذى عندما سيخرج فى خرجته الأخيرة من أصفهان سيزعم أنه رب الناس وملك الناس وإله الناس ، ومن ثم أمر الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ بأن يستعيذ بالله من هذا الطاغوت الإبليسى الجنى الإنسى مكذباً زعمه الربوبية ورافضاً إدعائه الألوهية ومتحدياً ملكيته الباطلة الوهمية للعالم ، والتى لن تدوم

أكثر من أربعين يوماً يصبح بعدها هباءا منثوراً فى الدنيا وتحت أقدام أهل الجحيم أى فى أسفل سافلين فى الآخرة .

الفصل الثالث عشر

مواضع ذكر الطاغوت في القرآن الكريم

تدبر آيات القرآن الوارد فيها ذكر الطاغوت :

بعد أن عرضنا لأقوال اللغويين والمفسرين فى الطاغوت ، وبعد أن عرضنا حقيقته ، نأتى إلى السياقات القرآنية الوارد فيها ذكره لنتدبرها كما أمرنا ربنا عز وجل آملين فى عونه ومدده سبحانه وتعالى استكمالاً لفضح أمره الخفى وكشف سره الدفين ، لقد ورد إسم : الطاغوت فى ثمانية مواضع فى القرآن الكريم نستعرضها تباعاً :

الموضع الأول : وهو قوله تعالى ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها ، والله سميع عليم ، الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ « البقرة / ٢٥٧ » الآية الأولى تعرف الذين آمنوا بأنهم الذين يكفرون بالطاغوت أولاً ، ومن ثم لا يؤمنون إلا بالله تعالى رباً وإلهاً واحداً . فجاء الكفر بالطاغوت عنصراً أولاً سابقاً فى فعل الإيمان بالله واحداً لا شريك له . تماماً كما جاء نفى الألوهية عن كل ما سوى الله سابقاً على إثباتها له وحده فى شهادة الإسلام : « لا إله إلا الله » فكان النفى فى الشهادة منصباً على الآلهة الباطلة الذين يعبدهم المشركون أى على المتألهين من البشر والكواكب والكهان وكل معبود من دون الله عز وجل .

لكن هذه المعبودات كثيرة متعددة ، فهى طواغيت جمع طاغوت بالنكرة ، والمذكور فى الآية الطاغوت معرفا ، كما أنها جميعاً ليست معبودة عند المشركين لذاتها ، إذ يوجد دائماً مَنْ يختفى خلفها وتكون الطاعة له ، ومن ثم يكون هو المعبود المطاع واقعياً من دون الله تعالى بالباطل ، أى هو المطاع وليس الشمس أو البقر أو الصنم ، وهذا المعبود بالباطل فى الواقع هو الذى تَطَلّع إلى أن يعبده الناس ويؤلهونه ، وعلمنا أنه أول كفرة الجن إبليس ، وهو أيضاً نظيره البشرى أول كفرة الإنس قابيل الذى هو الدجال ، وعلمنا أن المشركين فى النار سيخاطبون من عبدوهم من دون الله تعالى قائلين ﴿ **تالله إن كنا لفى ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين / ٩٨ / الشعراء** ﴾ وشهد الله

عليهم بأنهم يعدلون بربهم غيره من خلقه فقال تعالى : ﴿ **الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ « الأنعام /١ » أى يعدلون به غيره من مخلوقاته ، وقال تعالى عن الكفار أيضاً ﴿ **.. ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بأياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون** ﴾ « الأنعام / ١٥٠ » يتخذون بعض خلقه آلهة يعدلونها بربهم أى يسوونها بربهم .

وعلمنا من سورة « يس » قول الله عز وجل يوم القيامة لكل الكفرة والمشركين الذين عبدوا الأصنام والعجول والبقر والشمس وفرعون والكاهن والبرلمان المشرع لغير ما أنزل الله عز وجل ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون** ﴾ « يس / ٥٩ - ٦٢ » فالمعبود بالباطل فى الواقع هذا الذى يعدلونه ويسوّونه برب العالمين سبحانه هو الشيطان . **فهل معنى قوله تعالى**﴿ **فمن** يكفر بالطاغوت ....) وقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت .. هو نفس معنى العبارة **والذين كفروا أولياؤهم الشيطان** ؟ بالقطع لا ، بدليل أن آية سورة « يس » تثبت أن الكافرين لم يعبدوا إلا الشيطان فى حين أن آيات أخرى تثبت عبادتهم للشمس والكواكب والحكام المتألهين والأصنام والعجل وغير ذلك مما يثبته الواقع البشرى أيضاً ، وهذه كلها معبودات باطلة مختلفة ومتغايرة وليسوا معبوداً واحداً ، ومن ثم يكون الشيطان مغايراً للطاغوت أى أن عين الطاغوت ليست هى عين الشيطان ، وإن كانت عبادة العجل وفرعون والصنم هى عبادة للشيطان، لأنه طاعة له ، كذلك عبادة الطاغوت طاعة للشيطان لأنه هو الذى أمر بها ، وإن كانا ذاتيْن مختلفتين ، وفى آية سورة البقرة بيان لعقيدة الذين كفروا بعامة ، إذ يجمعهم على اختلاف مللهم ونحلهم إتخاذهم نداً لله تعالى يساوونه به عز وجل فيؤمنون به بدلاً من الإيمان بالله تعالى ، وحيث أن الإيمان لا ينصرف إلا على التصديق بأمر غيبى فإن شأن الطاغوت لابد أن يكون غيبياً أيضاً ليس على الإنس وحدهم ، ولكن على الجن أيضاً ، ومن ثم فليس

الطاغوت هو شيطان الجن الأول إبليس ، كما أنه ليس شيطان الإنس الأول الدجال . ، لأن الشيطان الجنى أى إبليس ليس غيباً على الجن ، كما أن قابيل شيطان الإنس الأول لم يكن عيباً بالنسبة لأبنائه وقبيلته وشعبه لأنه آدمى . **﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾** يصدق على كفار الجن والإنس معاً ، وهؤلاء لا يكفرون بالطاغوت مثل المؤمنين ، ومن ثم فهم يؤمنون به ، أى يصدقون به بالغيب من غير أن يروه أو يسمعوه أو يحسونه أو يثبت لهم وجوده على الأرض ولو بأثر تاريخى .

أما الشيطان سواء الجنى أم والإنسى ، فكل منهما ليس موجوداً غيبياً فى عالمه ، ولهذا لم يرد فى الذكر الحكيم عن الذين كفروا ، أنهم يؤمنون بالشيطان ، كما لم يرد عن الذين آمنوا أنهم يكفرون بالشيطان ، كما ورد بالنسبة للطاغوت فى آية سورة البقرة .

ولقد أثبتت هذه الآية الكريمة أيضاً أن الكفار يساوون بين رب العالمين خالقهم سبحانه وبين الطاغوت – ليس فى التصديق بالطاغوت بالغيب فقط – ولكن أيضاً فى اتخاذ الطاغوت ولياً ، كما أن المؤمنين يتخذون الله وحده ولياً لهم فيخرجهم الله من الظلمات إلى النور ، فى حين أن الذين كفروا يخرجونهم أولياؤهم الطاغوت من النور إلى الظلمات ، وهذا الفعل أيضاً لم ينسب إلى الشيطان وإن كانت آيات أخرى نسبت ولاية الشيطان للذين كفروا واستعباد الشيطان لهم . وفى هذا دلالة على أن الطاغوت فوق الشيطان فى مملكة الشر .

الموضع الثانى : فى قوله تعالى **﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾** « النساء / ٦٠ » ونأخذ من هذه الآية الكريمة إثبات المغايرة والتباين بين الطاغوت والشيطان ، إذ أراد بعض المحسوبين من المؤمنين أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، أما الذى يريد أن يضلهم ضلالاً بعيداً فهو الشيطان . وذلك لأن الطاغوت فى هذه الآية ، حسب أقوال المفسرين ، يصدق على الكاهن اليهودى الذى لجأ إليه بعض الذين أسلموا للحكم فى خصومة ، وهو عمل

يتعارض مع مقتضى الإيمان بالله الواحد إذ يلزم أن يبدأ بالكفر بالطاغوت (اخرج ابن أبى حاتم والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس قال : كان أبو برزة الاسلمى كاهناً يقضى بين اليهود فيما يتنافرون فيه ، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله **﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا .... إلى قوله إحساناً وتوفيقاً ﴾**) وكذلك (أخرج ابن جرير وابن المنذر عن الشعبى قال كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فى لفظ : ورجل ممن زعم أنه مسلم فجعل اليهودى يدعوه إلى النبى ﷺ ، لأنه قد علم أنه لا يأخذ الرشوة فى الحكم وجعل الآخر يدعوه إلى اليهود ، لأنه قد علم أنهم يأخذون الرشوة فى الحكم ثم اتفقاً على أن يتحاكما إلى كاهن فى جهينة فنزلت **﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا ﴾** الآية إلى قوله **﴿ ويسلموا تسليماً ﴾**)[1] فالتحاكم إلى كاهن تحاكم إلى طاغوت من الطواغيت لأنه لا يعمل بقواه البشرية فقط ، وإنما بالتعاون مع شيطان من الجن ، بيد أن هذا الكاهن إنما يصدر فى حكمه عن تشريع طاغوتى صادر إليه من الطاغوت الرئيسى ، لذا جاء فى الآية ذكر الطاغوت معرفاً بالألف واللام .

لأن الذى وعى وعلم ونشر هذا التعاون الجنى الإنسى على الإثم والعدوان والدعوة إلى الكفر والضلال بخداع الناس فهو الطاغوت الأول أو الرئيسى المكون من إبليس والدجال والذى تعتبر سائر الطواغيت الصغيرة جنود له تسير على منهاجه .

ومن ثم قال تعالى **﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم .. ﴾** ولم يقل **﴿ ويريد الطاغوت أن يضلهم ﴾** لماذا ؟ لأن المشرع المخطط لإضلال عالمى الجن والانس هو الطاغوت ، أما المنفذ لإرادة الطاغوت فى عالم الجن فهو الشيطان ، وهو اسم كما علمنا يصدق على الشيطان الجنى الأول إبليس وعلى الشيطان الإنسى الأول قابيل أو الدجال فقوله تعالى : **﴿ يريد الشيطان ﴾** أى بإرادة تنفيذية ، وهو على ما سبق أن ذكرناه وأشرنا إليه ، وهو وحدة الهدف والغاية الإستراتيجية المرسومة من الطاغوت للشيطان الجنى فى عالمه ،

السيوطى / الدر المنثور / جـ ٢ / ص ١٩٧

وللشيطان الانسى فى عالمه كل منهما يريد أن يكون إلهاً معبوداً من قبيله أو من نوعه ، وهذا ما لا يتم لكل منهما إلا بإضلالهم ضلالاً بعيداً . وهذا يؤكد ما ذكرناه من فرق دقيق بين الشيطان وبين الطاغوت .

وهذه النزعة الطاغوتية فى التأله التى لا تتحقق إلا بالإضلال البعيد هى التى رسم الدجال الشيطان الانسى الأول خطوات تنفيذها لبطانته وملئه فى خطط انكشف للناس بعضها بما عرف ببروتوكولات حكماء صهيون ، وهم كفرة اليهود من شياطين الانس ، أو بتعبير أدق هذه البروتوكولات هى إرادة من إرادات الشيطان الانسى لخدمة غاية الطاغوت

الموضع الثالث : ورد اسم الطاغوت أيضاً فى قوله تعالى ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء / ٧٦ » فورود ذكر الطاغوت والشيطان فى آية واحدة وموضوع واحد يدل على أن كل واحد منهما ليس سوى إسماً لموجود أو لحال أو شئ مباين عن الآخر . فالذين كفروا من الجن يقاتلون الذين آمنوا منهم فى سبيل الطاغوت لأن الاستراتيجيات التى يقاتلون من أجلها هى من وضع القيادة المتوحدة فى الذات الطاغوتية ، وكذلك الذين كفروا من الانس يقاتلون الذين آمنوا منهم فى سبيل نفس الاستراتيجيات الافسادية الاضلالية الطاغوتية ، فقتالهم أيضاً فى سبيل الطاغوت ، أما الذين آمنوا من الجن ومن الانس فيقاتلون - كل نوع فى عالمه - فى سبيل الله أى لنشر هديه ودينه وترسيخ نجد الخير وسبيل العدل والسلام ضد جنود الشيطان .

فالطاغوت هو الأهداف أو الغايات أو الاستراتيجيات النابعة من الذات الإبليسية الدجالية المتوحدة أى من الذات الطاغوتية . فمن يقاتل فى سبيل هذه الاستراتيجيات فهو يقاتل فى سبيل الطاغوت . وبعد أن قررت الآية هذه الحقيقة التاريخية الهامة من حقائق الصراع التاريخى بين البشر ، أمر الله عز وجل المؤمنين بقوله ﴿ **فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء/ ٦٧ » فما الحكمة من قوله ﴿

أولياء الشيطان ﴾ ومالحكمة إذ لم يقل **﴿ أولياء الطاغوت ﴾** ؟!

لأن الكفرة من الجن عند قتالهم لمؤمنى الجن والكفرة من الانس عند قتالهم لمؤمنى الإنس ، كل فى عالمه ، يقاتلون جميعاً فى سبيل غاية واحدة مشتركة بين إبليس والدجال وهى تعميم الشرك وعبادة غير الله عز وجل أى الطاغوت الذى تطاول ليكون معبوداً من الإنس والجن من دون الله عز وجل وهو حلم إبليس الجنى وحلم إبليس الإنسى (الدجال) فهما حلمان فى ذات واحدة هى الطاغوت ، وذاتان شيطانيتان يوحدهما غاية قصوى واحدة هى التأله ، أما قوله تعالى **﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾** لأن الولاية تقتضى الدخول فى طاعة الولى ، والتعامل المباشر معه من خلال الخضوع له والسمع والطاعة ، وتعامل كفرة الانس المباشر مع شيطان الإنس الأول الدجال فهو وليهم المباشر ، وتعامل كفرة الجن المباشر لا يكون إلا مع إبليس الذى هو زعيم شياطين الجن ، ومن ثم تكون الآية موجهة لمؤمنى الجن بقتال أولياء إبليس ولمؤمنى الإنس بقتال جيوش الدجال وأعوانه الذين هم أولياؤه فلما انفصلت الولاية بسبب اختلاف النوع، وذكر الشيطان ، لكن لما توحد عدو المؤمنين فى القتال هدفاً وتخطيطاً وغاية علياً من القتال ، فليس إلا الطاغوت .

أما قوله تعالى **﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾** « النساء / ٧٦ » فلأن هذا الكيد قائم على الخداع والكذب والتغرير أى الدجل من خلال السيطرة على أكثر أجهزة الإعلام فى كل عصر يتم لهم فيه العلو بالإفساد مثل عصرنا ، فإذا ما تصدى المؤمنون فإنهم يقاتلون أولياء الشيطان ، ولم يقل قاتلوا أولياء الطاغوت ، لأن ولى الكافرين من الجن إبليس الشيطان الجنى وولى الكافرين من الإنس الدجال أى الشيطان الإنسى ولكل منهما أولياء أى قادة وجنود .

الموضع الرابع : وقد جاء فى قوله تعالى **﴿ قل يا أهل الكتاب : هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وإن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير**

وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ « المائدة / ٥٩ - ٦٠ »

والآية تثبت صلة خاصة بين فئة من كفرة بنى إسرائيل وبين الطاغوت وهذه الصلة مذكورة فى قوله تعالى : **﴿ وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴾** فما معنى **﴿ عبَدَ الطاغوت ﴾** قال السيوطى (وأخرج ابن جرير عن بريدة أنه كان يقرؤها **﴿ وعابد الطاغوت ﴾** وهذه القراءة تفسر لنا معنى « عبَدَ » فى الآية (واخرج بن جرير عن طريق عبد الرحمن بن أبى حماد قال حدثنى الأعمش عن يحيى بن وثاب أنه قرأ « وعبد الطاغوت » يقول « خدم » قال عبد الرحمن وكان حمزة رحمه الله يقرؤها كذلك) وهذه القراءة وسابقتها تفسران قوله تعالى **﴿ وعبد الطاغوت ﴾** بمعنى أن من بنى إسرائيل فئة طغت فى الكفر حتى صاروا عباداً وخداماً وبطانة للطاغوت وهذا لا يكون إلا بالتلقى عن الطاغوت وطاعته وتنفيذ أوامره لهم ، وليس من معنى للعبادة والخدمة إلا هذا ، أى منهم فئة تؤمن بالطاغوت وتتلقى منه .

ويطرح الذهن هذا السؤال : لماذا خص بعض الكفرة من اليهود وأهل الكتاب بعبادة الطاغوت بقوله **﴿ وجعل منهم ﴾** ؟ أى ليس كل كفرة بنى إسرائيل وإنما فئة منهم صارت خدام الطاغوت ، كما أن فئة منهم صارت قردة وفئة صارت خنازير ؟

لأنه ليس من الواقعى أن يتصل الطاغوت وهو الذات الإبليسية المتلبسة بالذات الدجالية حال تلبسها بجميع كفرة اليهود ، ولا حتى لهذه الفئة ، وإنما الميسور هو إتصاله عن طريق الدجال الإبليسى الإنس بعدد قليل منهم فيتلقون منه الأوامر والتعليمات والبروتوكولات ، فهم البطانة القريبة أو الحلقة الوسطى بين الطاغوت من خلال الطاغوت وبين القيادات الإفسادية المحلية اليهودية أو الإسرائيلية المنتشرة فى الأرض وليس أدل على هذا من قراءة « خدام » الطاغوت الواردة عن يحيى بن وثاب وحمزة . وسنعود إلى تفصيل هذا الموضوع فى مبحث لاحق بإذن الله تعالى ، وإنما نكتفى هنا بالتنويه إلى ما سبق ذكره بأنه يتم إتصال بين الطاغوت وبين الناس لإضلالهم ، ومن الطبيعى أن يكون هذا الإتصال من خلال فئة هى أشد الناس طغياناً وكفراً فى عصرهم .

ولنا أن نسأل أيضاً لماذا كانت العبادة من هذه الفئة للطاغوت ، وليست للشيطان مثل ما ورد فى الآيات الأخرى التى تثبت عبادة الوثنيّن والمشركين للشيطان ؟ لأن كل الكافرين والوثنيّين والمشركين يعبدون الشيطان ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ « يس / ٦٠ » لكن هذه الفئة الخاصة جداً من كفرة بنى إسرائيل هم عباد وخدام الطاغوت ، والخدام هم المتصلون إتصالاً مباشراً بمن يخدمونه ، وعى هذا فهذه الفئة هى القيادة الكفرية الإفسادية التنفيذية التى تتلقى الأوامر الطاغوتية تلقياً مباشراً عن الدجال الذى هو الحلقة الوسطى بينهم وبين الطاغوت .

ونكتفى هنا للإجابة على هذا السؤال بأن ننقل فصلاً صغيراً من كتاب « وليسم كار » بشرح وتعليق خير الله الطلفاح بعنوان « اليهود وراء كل جريمة » والفصل بعنوان : « النورانيون الرؤوس المدبرة اليهودية العالمية » ، وهو ما يلى :

من المعروف أن حاخامى اليهود يزعمون لأنفسهم السلطة المطلقة فى تفسير ما يسمونه بالمعانى الخفية السرية لكتابات الكتب المقدسة ، وذلك بواسطة إلهام الهى خاص ، !! وليس لهذا الإدعاء أهمية تذكر بحد ذاته .. بيد أن الأمر يختلف إذا أنشئت منظمة خاضعة للحاخاميّين التى يزعمون أنها وحى إلهى ! وهكذا إئتمر عدد من كبار حاخامى الكنيس اليهودى وكبار المرابين ورؤس اليهودية العالمية وقرروا تأسيس مجمع سرى يعمل على تحقيق أغراضهم أسموه « المحفل النورانى » .. وقد أشتقت كلمة النورانى من الميثولوچيا اليهودية وبصوره أدق من كلمة « لوسيفر » وهى إسم الشيطان فى الأناجيل اللاتينية ومعناها الحرفى (حامل النور)

تعنى كلمة النورانى إذن الشخص الملهم الذى يتلقى النور .. أو بتعبير آخر الشخص ذو الإلهام غير العادى .. ومهمة المجمع النورانى كما نرى هى تنفيذ مشيئة كبار أحبار الكنيس اليهودى هذه المشيئة التى يزعمون أنها وحى نورانى ، وقد حدد عدد أعضائه بثلاثة عشر عضواً يعتبرهم الكنيس اليهودى الهيئة التنفيذية للمجلس الأعلى : مجلس الثلاثة والثلاثين أما هذا المجلس الأخير فإن أستاراً كثيفة من الغموض والصمت تخيّم

عليه .

لم يكن تحديد عدد أعضاء المجمع اليهودى بثلاثة عشر عضواً عبثاً دون طائل ، بل كان أمراً ذا دلالة عميقة .. فلقد أختار المجمع هذا العدد حتى يُذكّر أعضاءه دوماً وأبداً أن هدفهم تدمير الديانة المسيحية .. الديانة التى أتى بها السيد المسيح والحواريون الأثنا عشر . وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عن الأول ، وهو أن عدد أسباط بنى إسرائيل ثلاثة عشر .. ربما كان الهدف تمثيل كل الأسباط فى المحْفل النورانى .

تبنّى النورانيُّون طقوساً خاصة تضمن لهم الحفاظ على سريتهم وتقضى على إحتمال أى خيانة من نوع خيانة يهوذا للسيد المسيح وتكفل هذه الطقوس تعهد كل من يضمه النورانيون إلى صفوفهم بالخضوع المطلق الاشمل لرئيس مجلس الثلاثة والثلاثين والاعتراف بمشيئته العليا التى لا تفوقها أى مشيئة أخرى على الأرض كائنة ما كانت أليس صاحب هذه المشيئة هو ربهم الأعلى ، وأليس خضوعهم الشامل المطلق له هى العبودية له . ؟؟

فَمَنْ يكون رئيس هذا المجلس صاحب المشيئة العليا سوى الدجال أو الشيطان البشرى الأول ، حلقة الوصل بين هذا المجلس وبين الطاغوت أى بينه وبين القيادة الإبليسية الدجالية الموحدة أما الدليل على أن النورانيّين الثلاثة والثلاثين يتلقون من الطاغوت أى من خلال الذات الموحدة بين الدجال وإبليس فهو ماجاء فى هذا النص عن (المحْفل النورانى) والاسم المشتق من كلمة (لوسيفر) وهى اسم الشيطان فى الأناجيل اللاتينية ومعناها الحرفى (حامل النور) وتعنى هذه العبارة أن الدجال هو الحامل البشرى لما يتلقاه من الطاغوت أى الذات الموحدة منهما وليس كما يفهم البعض ما يتلقاه الدجال من إبليس ، ولعل الترجمة الدقيقة لاسم لوسيفر هى الطاغوت وليس الشيطان « لأنه من المعلوم أن ترجمة لفظ الشيطان هى غير هذا » ، ولما كان العمل الدجالى قائم على الكذب فقد أطلقوا على إنتاج الطاغوت الظلامى نوراً كذباً وبهتاناً ، وإلا فماذا يطلقون على ثمرة هذا التوحد الشيطانى الخبيث ؟!

هذا المجلس الذى صار أعضاؤه بطانة من كفرة بنى إسرائيل للطاغوت ، كما أخبرنا بهذا رب العالمين سبحانه ، كان له - أى لهذا المجلس - نظير يقوم بوظيفته فى كل عصر منذ نوح ، إلى عهد الإفساد الأخير فى تاريخ البشرية من كفرة بنى إسرائيل بنص القرآن الكريم فهم الذين علا بهم الطاغوت بالافساد فى الأرض علواً كبيراً ، هذا هو الطاغوت وهؤلاء هم عبدته وخدامه كنيس الشيطان .

وإذا تتبعنا تاريخ البشرية من خلال تاريخ الأنبياء لوجدنا فى عصر كل نبى مجلساً مثل هذا المجلس المعاصر هو بطانة وعباد وخدام الطاغوت أو هو حسب تسمية المسيح بن مريم عليهما السلام له كنيس الشيطان وهذا ما ستقرأ الدليل عليه فى الموضع الخامس الذى ورد فيه ذكر الطاغوت .

الموضع الخامس :

قال تعالى ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ « النحل / ٣٦ » وهذه الآية الكريمة هى الأصل القرآنى لكل الأحاديث التى أخبر فيها النبى ﷺ أنه ما من نبى إلا وقد أنذر قومه الدجال ، فإذا علمنا أنه ما من نبى إلا وقد حذر قومه أيضاً من الشيطان ، فإن حصيلة هذا التحذير للإثنين يكون تحذيراً من الطاغوت الذى هو الحالة الجامعة بين الدجال وإبليس الجنى ، ومن ثم أخبر تعالى فى هذه الآية أنه ما من أمة وإلا قد بعث فيها رسولاً يأمرهم أن يعبدوا الله وحده ويجتنبوا عبادة الطاغوت فافترقوا فريقين : الأول وهم الذين آمنوا بالله وكفروا بالطاغوت وهم الذين هداهم الله عز وجل ، والفريق الآخر الذين حقت عليهم الضلالة فكذبوا فكان مصيرهم الدمار والاستئصال ومن ثم أمر رب العالمين فى آخر الآية الناس بالسير فى الأرض لدراسة آثار الغابرين وليعلموا كيف كانت عاقبتهم بعذاب الاستئصال ، فأتباع الطاغوت وخدامه وسدنته المتعاملون معه مباشرة ، همْ والذين يطيعونهم دائماً مصيرهم الإستئصال من الأرض فى الحياة الدنيا والخلود فى جهنم فى الآخرة .

والمستنبط من هذه الآية الكريمة ما يلى : -

١ - ثبت أن كل رسول حذر أمته الطاغوت وهذا .. يتضمن التحذير من الشيطان الجنى والشيطان الإنسى الذى هو الدجال لأن التحذير منهما متحدّين يتضمن التحذير من كل واحد منهما على حدة .

٢ - تثبت هذه الآية أيضاً أن الطاغوت معاصرة لكل رسول منذ نوح إلى خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليهم وسلم جميعاً ، ومن ثم يكون هذا دليلاً على أن الدجال معاصر لكل رسول منذ نوح ، ومن ثم تصبح هذه الآية دليلاً جديداً على أن الدجال الذى حذر كل نبى قومه منه هو قابيل .

٣ - تثبت هذه الآية أيضاً أن أثر الطاغوت مستمر عبر العصور الإنسانية كلها منذ البدء إلى آخر الزمان لأن كل رسول قد أمر أمته اجتناب الطاغوت ، وهذا يفيد أثره المستمر خلال عصور الأنبياء جميعاً وهذه العصور ليست سوى عصور التاريخ البشرى كله ، وحيث لا يعقل عاقل أن يأمر الرسل أممهم بإجتناب خطر غير موجود دل هذا على وجود الطاغوت منذ بدء الدنيا إلى نهايتها . وأكّد (هذا ما هدانا الله تعالى إليه من تفسير للطاغوت) بالنفس تفسير الطاغوت بالنفس الجنية الإبليسية الممتزجة بالنفس البشرية الدجالية وإثبات هذا الفرق بين دلالة اسم الطاغوت ودلالة اسم الشيطان من حيث أن هذا الأخير يصدق على النفس الخبيثة لكل منهما حالة كونها منفصلة عن الأخرى ، وأن الطاغوت اسم يصدق على حالة امتزاج هاتين الخبيثتين فى ذات واحدة تضاعف فيها وتزاوج الشر والخبث والافساد والإجرام فطغى فاستحقت إسم المبالغة الطاغوت .

٤ - يؤكد هذا التفسير للطاغوت أيضاً أمران :

أنها تملأ الدنيا بشرورها فى شكل عقائد الحادية وشركية ووثنية متمثلة فى أصنام وأوثان ومذاهب وفلسفات وأفكار ودعوات حاقدة هدامة لكل ما هو خير وحق وسلام فى

الأرض . ومتمثلة أيضاً فى شهوات وأطماع وأهواء مباحة ومتمثلة فى كل رذيلة من السلوك وفى جميع أشكال وأنواع وكيفيات الفساد ومتمثلة بعد هذا كله فى منظمات سرية وعلنية ومؤسسات علمية ودينية وعسكرية وسياسية وإقتصادية ومالية وإعلامية وإجتماعية وقضائية تنشر الكفر والفساد وترسخه وتحميه بآليات قانونية ترسخه حتى تجعل الظلام نوراً والنور ظلاماً وتجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً والشر خيراً والخير شراً والباطل حقاً والحق باطلاً والفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة والمنكر معروفاً والمعروف منكراً . وهذا هو إخراج الناس من النور إلى الظلمات الذى هو الغاية الاستراتيجية للطاغوت فى كل تاريخ الإنسانية

هذه الأحوال الطاغوتية تشكل منهج حياة بشرية كامل متكامل من الظلام والشر والمنكر فى جميع المناحى المعيشية الجاهلية التى هى من صنع الطاغوت . والمسلم الموحد عليه لكى يتم نوره ويكمل إيمانه أن يجتنب الطاغوت فى كل منحى من مناحى حياته ويبتعد عنها فى كل جانب من جوانب المعيشة بتقوى الله تعالى وتوخى ما يرضيه سبحانه بإتباع أوامره وإجتناب نواهيه لأن أوامر الله عز وجل هى بالضبط نواهى الطاغوت ونواهى الطاغوت هى أو أمر الله عز وجل ، ومن ثم فإجتناب الطاغوت يعنى إجتناب شريعته ومنهاج حياته ، وإجتناب عبادته يعنى إجتناب طاعته فى معصية الله .

فالقسم الأول الرئيسى من التوحيد القلبى الإعتقادى هو نفى الألوهية عن غير الله عز وجل ، وهو هو الكفر بالطاغوت ، أما القسم الرئيسى الثانى من التوحيد فهو إثبات الألوهية لله تعالى وحده وهو هو الإيمان به رباً وإلهاً واحداً ، وهذا الثانى لا يتم إلا بعد تمام الأول وهو الكفر بالطاغوت لذلك قال ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ...** ﴾ ولم يقل « فمن يؤمن بالله ويكفر بالطاغـــوت » فلأن هذا فى مجال الاعتقاد القلبى وجب طرد الطاغوت من قلب الموحد وتنظيف وتطهير لبه وفؤاده من آثاره النجسة حتى يتم له الإيمان بالله وحده قلـبياً أيضاً .

أما قوله تعالى ﴿ .. **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ فهو يخص الأمر بالتوحيد

العملى السلوكى والقسم الأول منه هو عبادة الله وحده ، أما القسم الثانى منه فهو المتمثل فى إجتناب عبادة الطاغوت ، والأمر باجتناب الطاغوت غير الأمر بالكفر بالطاغوت ، وهو دليل على أنها تقعد للعبد طريق الله المستقيم ، ولا يتم للعبد التوحيد العملى السلوكى إلا باجتناب الطريق الذى تقعد له فيه بالميل عنه إلى الطريق الذى لا وجود لها فيه ، وليس ثمّ طريق ليس للطاغوت وجود فيه إلا الصراط المستقيم ، ومن ثم يلزم لتمام إسلام العبد أن يكفر بها ويؤمن بالله إعتقاداً أولاً ، ثم يعبد الله تعالى وحده ، ولا سبيل إلى هذا إلا بالميل عن طريقها ثانياً . ومن ثم تقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله وحده فى آية البقرة ، وتقدم ذكر عبادة الله تعالى على تجنب عبادة الطاغوت فى آية النمل وهذا ما كان من سيدنا إبراهيم ﷺ إذ حَنَفَ عنها جميعاً أى مال عن طريقها إلى صراط الله المستقيم بعد أن نظر فى جميع الطرق والأديان والعبادات والعقائد الموجودة فى الأرض فى عصره فوجد الطاغوت تقعد فيها جميعاً حاجبة لصراط الله المستقيم فقال مائلاً عنها ﴿ **إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾ « الأنعام / ٧٩ »

فالحنيفية هى الميل ومعناها فى هذه الآية وغيرها من الآيات التى وردت فيها هو الميل عن الطاغوت وإجتناب طرقها إلى طريق الله المستقيم ولم يكن هذا من سيدنا وأبينا إبراهيم ﷺ فقط ، بل كان هذا منهج كل نبى ورسول بدءاً من نوح إلى خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ ، إذ ما بعث الله من نبى أو رسول إلا وتكون الطاغوت قد عم شرها الأرض حتى يمكن القول أنه لم يُبعث رسول من الرسل فى أى عصر من عصور البشرية إلا وقد أفسدت الطاغوت فى الحياة الإنسانية كل ما يحمل الخير من دين أو ملة أو عقيدة أو خلق أو نظام أو سلوك أو عادة أو عرف ومن ثم يلزم الكفر بهذا كله أولاً لذا قال تعالى ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك** ﴾ « محمد / ١٩» وقال تعالى ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله** ﴾ « البقرة / ٢٥٦ » ، وقال تعالى ﴿ **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون** ﴾ « الكافرون / ١ ، ٢ » فنفى الألوهية عن كل ما سوى

الله نفى لها عن الطاغوت والكفر بالطاغوت سبق الإيمان بالله تعالى والإعلان عن ترك عبادة ما يعبد الكافرون هو تبرؤ وإعلان عن رفض عبادة الطاغوت فلا يصح توحيد العبد ولا يكمل إسلامه إلا باجتناب الطاغوت لقوله تعالى ﴿ **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ...** ﴾ الذى يدل على إن كل إنسان لابد أن يبتلى بالطاغوت التى تقعد له صراط الله المستقيم كما توعد إبليس الناس فيما قصه الله تعالى عنه فى القرآن بقوله سبحانه تعالى ﴿ **قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال أخرج منها مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين** ﴾ « الأعراف / ١١ - ١٨ » والشاهد الذى نريده فى هذا السياق هو قول إبليس لربه عز وجل متوعداً الناس ﴿ **لأقعدن لهم صراطك المستقيم** ﴾ أى سيكون فى طريقهم كلما توجهوا إلى الله بالطاعة ليحرفهم عنها إلى المعصية وهذا هو تفسير الأمر باجتناب الطاغوت التى هى دائماً العقبة أمام العبد فى الطريق إلى الله عز وجل . ومن ثم لا يتحقق التوحيد فى قلب المسلم إلا إذا كفر بالطاغوت إعتقاداً وتجنّبها فى طريقه إلى الله عز وجل سلوكاً وفعلاً وهذا هو موضوع الآية السادسة التى ورد فيها ذكر الطاغوت .

الموضع السادس :

قال تعالى ﴿ **قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصاً له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ، ومن تحتهم ظلل ، ذلك يُخوّف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين إتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها**

الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾ « الزمر / ١١ - ٢٠ »

فانظر إلى أمر الله عز وجل لرسوله ﷺ ومن ثم لسائر المؤمنين بعبادة الله تعالى مخلصين له الدين ، أى مفردين إياه بالخضوع والطاعة ، وأمره للرسول ﷺ أن يكون أول المسلمين ، فالإسلام لله إفراده بالخضوع والطاعة ، فإن لم يكن هذا ميسوراً لعامة الناس بالكلية بإعتبار أن كل بنى آدم خطاء ، فإن أقل ما يوجبه الإسلام على العبد لكى يكون مسلماً أن يقر بوجوب إفراد الله بالطاعة وبوجوب الكفر بالطاغوت وبوجوب معصيته وتجنب عبادته أى رفض طاعته والإمتناع عن السير فى سبله الضالة وهو أمر ميسور لكل إنسان ، لأن الاعتقاد بوجوب معصية الطاغوت ووجوب طاعة الله أمر قلبى فى وسع كل نفس ومن ثم أمر الله نبيه أن يخبر الناس جميعاً بأنه يخاف عذاب يوم عظيم أى يخاف عذابه إن هو عصى ربه عز وجل ، ويخبرهم بأنه لم ولن يعبد إلا الله مخلصاً له الخضوع والطاعة فلا يطيع غيره فى معصيته سبحانه وتعالى ، أما أنتم أيها الكافرون : فاعبدوا ما شئتم من دون الله عز وجل لأن الله تعالى قد خيّركم فى هذه الحياة الدنيا لإبتلائكم **﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾** فما عبد مشركٌ مع الله عز وجل شريكا - فى واقع الحال إلا الطاغوت الذى هو نفس خبيثة مزيج من الشيطان الإبليسى ومن الشيطان الدّجالى .

أما المعبود المادى أو المعنوى المعلن الظاهرى شمساً كان أم قمراً ، ونجماً كان أم شجراً ونهراً كان أم صنماً وعجلاً كان أم بقراً وكاهناً كان أم ساحراً وأميراً كان أم ملكاً وجناً كان أم بشراً فهذا وذاك كله ليس سوى القناع الذى تخفى الطاغوت وجهها خلفه ، وهؤلاءالمشركون هم حزب الشيطان وهم الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة لأتباعهم سبل الطاغوت أما حزب الله فهم الذيـن **﴿ اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله ﴾** فهم الفائزون يوم القيامة بدار النعيم والسلام ، فالصلة بين قوله تعالى **﴿ اعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ وبين قوله تعالى بعد ذلك ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها ﴾** شرط أول للمؤمنين الفائزين بالجنة ، هذه الصلة واضحة جلية إذ أن كل

ما يعبده المشركون من معبودات زائفة باطلة ما هى إلا أقنعة للطاغوت ، فكأن المعنــى : ﴿ **اعبدوا ما شئتم من دونه** ﴾ فأى معبود باطل عبدتم هو عبادة للطاغوت الذى آمركم بالكفر به .

والهاء تعود على الطاغوت إذ الطاغوت فى هذه الآية اسم مؤنث وليس مذكراً وهو ما يؤكد تفسيرى للطاغوت بأنه النفس الجنية الإبليسية حالة امتزاجها وتوحدها وتلبسها بالنفس البشرية الدجالية ، وكلاهما ذات خبيثة نجسة مستعلية عن عبادة الله عز وجل مشرأبة بعنقها نحو التأله ، وحيث أن النفس أو الذات لفظ مؤنث ، فمن ثم قال تعالى ﴿ أن يعبدوها ﴾ ولم يقل « أن يعبدوه » فلو كان الطاغوت هو إبليس الشيطان الجنى وحده بدلالة المطابقة لقال « أن يعبدوه » ولو كان يدل بدلالة المطابقة على الدجال الشيطان الأنسى وحده لقال أيضاً « أن يعبدوه » لأن لفظ الشيطان مذكر ولفظ الدجال مذكر ومن ثم فذكر الطاغوت بالتأنيث دليل لغوى جديد على أن الطاغوت هو الذات الجامعة بينهما وهى الآثار الناجمة عن هذه القيادة المتوحدة والتخطيط المشترك للغاية الإفسادية الواحدة ومن ثم جاء الطاغوت مؤنثاً بإعتبار المقدر المحذوف وهو نفس أو ذات الطاغوت .

وهذا لا يتعارض مع ورود لفظ الطاغوت مذكراً فى موضع سابق ، إذ يكون بمعنى الحكم والنظام والقانون والأمر ، كما فى قوله ﴿ .. **يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به** ﴾ « النساء / ٦٠ » فقال ﴿ **أن يكفروا به** ﴾ ولم يقل « أن يكفروا بها » .

ومن ثم يكون لفظ الطاغوت قد ورد فى القرآن بصيغة المذكر وبصيغة المؤنث ، وكذلك ورد بصيغة المفرد فى قوله تعالى ﴿ **أن يكفروا به** .. ﴾ وورد بصيغة الجمع فى قوله تعالى ﴿ .. **والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات** .. ﴾ « البقرة / ٢٥٧ » فقوله ﴿ **يخرجونهم** ﴾ يدل على أن الطاغوت جمع ، وليس لهذا من تفسير إلا أنه يكون مفرداً حالة توحده ، ويكون جمعاً حالة تفرقه حسب تفسيرى للطاغوت إذ يكونوا ثلاثة هذا التفسير الذى بدونه لا نجد حلاً لهذا اللغز

المطلسم باسم الطاغوت الذى ورد فى الكتاب العزيز والذكر الحكيم للدلالة على مصدر الشر والظلمات في الأرض ، هذا الذى من خصائصه أنه جمع ومفرد وأنه مذكر ومؤنث ، وليس هذا لكائن إلا للطاغوت .

الفصل الرابع عشر

الجبت وصلته بالطاغوت

الجبت ثالث الثالوث النجّس :

علمنا أن شيطان الجن الأول إبليس لعنه الله هو الجانب الباطنى الخفى الخبيث للطاغوت فى عالم الإنس ، وأن شيطان الإنس الأول قابيل لعنه الله هو الجانب الظاهر المرئى للطاغوت فى عالم الإنس ، ومن ثم فإن للطاغوت فى كل عصر بطانة هى خلاصة شر البرية ، وأن بطانة الفساد والإفساد هذه إتخذها الطاغوت فى العصور الأخيرة من بنى إسرائيل .

وحيث قد علمنا أن الشر والإفساد متبادل بين شيطان الجن الأول وشيطان الإنس الأول مجتمعيْن من خلال هذه الذات المستكبرة المتألهة النجسة التى هى ذات الطاغوت ، فإن الشر الوارد من شيطان الإنس إلى عالم الجن عبر الطاغوت ربما يكون أعظم من الشر والإفساد الواردين من شيطان الجن إبليس إلى عالم الإنس عبر الطاغوت .

كيف وإبليس هو أول كافر فى الوجود ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول للتذكرة ما سبق قوله من أن إبليس هو الشيطان الجنى معرفاً بالألف واللام والدجال أو قابيل هو الشيطان الإنسى معرفاً بالألف واللام . وقد وصف الله عز وجل كيد الشيطان بأنه ضعيف بقوله ﴿ **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً** ﴾ « النساء / ٧٦ » فلم يقل سبحانه إن كيد الطاغوت كان ضعيفاً لإنه إجتماع الشيطانيْن . أما كيد الشيطان الواحد منهما منفصلاً عن الآخر فهو ضعيف ، وهذا يفسر لنا كيف أن إبليس وحده هو وجميع جنوده من شياطين الجن لا يمكنهم أن يشنوا حرباً بجيش على فئة قليلة من المؤمنين فيقتلون منهم ، وإنما يكون الاستفزاز والجلب على المؤمنين بالجيوش الجرارة مشاة وركباناً من خلال صوت إبليس البشرى فى عالم الانس ألا وهو المسيح الدجال الشيطان الانسى .

كذلك للشيطان الانسى هذا تأثير إفسادى خطير فى عالم الجن من خلال الطاغوت لأنه نبع الإضلال العقدى الفكرى ، وذلك لأن عالم الجن ، كما دلت على هذا

النصوص والآثار يأخذ العقيدة والدين والفكر من عالم الانس وليس العكس ، فكما أن الرسل المبعوثين للجن هم رسل الإنس ، وليس العكس ، فإن فلاسفة الضلالة ومنظرى الكفر والشركيات هم أيضاً من عالم الإنس ، فالجن تابع للإنس فى الهدى أو الضلال ولذلك أثبت القرآن الكريم على لسان الجن ، أن منهم اليهود الذين يعرفون التوراة وموسى ومنهم الذين أسلموا لما سمعوا القرآن الكريم حسب ماجاء فى سورة الجن وكفروا بديانه التثليث النصرانية بقوله تعالى **﴿ قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً ﴾** « الجن / ١ - ٥ » فتدبر قولهم لما سمعوا القرآن الكريم مسلّمين بأن الله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، لتعلم أنهم كانوا نصارى أو أن فيهم نصارى ثم تدبر قولهم **﴿ وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً ﴾** « الجن / » بتقديم الانس على الجن فى القول على الله الكذب ليتأكد لنا أن الجن يأخذون عقائدهم من الانس الذين يضعون هذه العقائد لهم أولاً ، ثم تتبعهم الجن فيما يدينون به من أديان الضلال ، كما أن الهدى يأتى للانس أولاً عن طريق الرسل فيتبعهم مهتدو الجن أيضاً ، والدليل على أن فى الجن يهودا واسلم منهم من أسلم قوله تعالى **﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوْا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديْه يهدى إلى الحق والى طريق مستقيم ﴾** « الأحقاف / ٢٩ - ٣٠ » فالانس هم موردو عقائد الهدى إلى الجن ، وهم أيضاً بالتالى موردو عقائد الضلال ، وهذا من مقتضيات ولوازم تكريم الله تعالى الإنس على الجن بالخلافة ، ولأنه من الثابت تاريخياً أن عقيدة التثليث التى تنسب لله عز وجل الصاحبة والولد هى من نتاج التاريخ أو الفكر الإنسانى ، ومن ثم فوجودها فى عالم الجن مصدرها عالم الإنس من خلال الطاغوت .

أما ما يصدره عالم الجن إلى عالم الإنس عبر الطاغوت فهو يدور حول محور إختفاء الجن عن أعين الإنس فيضلونهم بالتأثير على مخيلتهم ، إذ يتمكن الجن من التغلغل فى الأجهزة السمعية والبصرية والعصبية للإنس فى المنام بأضغاث الأحلام وفى اليقظة بالسحر حتى استطاعوا أن يجعلوا آلاف الناس يخيل إليهم من سحرهم أن الحبال والعصىّ تسعى كأنها حيات وثعابين ، ومن خلال الانتقال السريع للجن بخلاف الانس قبل صناعة وسائل النقل المعاصرة خَدَعَ الطواغيت الإنس بالجن ، بأن أوهموهم بخوارق عادات جعلوها من قبيل معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، فأعمال الكهان والسحرة والمنجمين كلها تتم من خلال الوجه الإنسى للطاغوت الذى عن طريقه تم نشر السحر والكهانة وتعليم الكثير من كفرة الإنس وسائل وأساليب وأدوات الاتصال بالجن والشياطين وإستخدامهم والاستعانة بهم والاستفادة بهم ﴿ **وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ « الجن / » .

هذا كله هو ما يصدره عالم الجن والشّياطين إلى عالم الانس من خلال الوجه الإنسى للطاغوت ، فماذا يكون اسم هذا الوجه منفرداً ؟ إنه الجبت ، فالجبت هو ثالث الثلاثة الأشرار : الشيطان إذا ما أطلق ينصرف لإبليس الجنى ، ثم الجبت وهو اسم للشيْطان الانسى قابيل ولكل ما نشره وعلمه وعممه من وسائل السحر والكهانة والتنجيم الطاغوت فهو الذات الجامعة بين إبليس والجبت .

وهذا الثالوث غالباً هو مصدر عقائد التثليث فى الأرض متحدثاً عن نفسه بإعتباره إلهاً ذا ثلاثة أحوال الأول : الحال الإبليسية الجنية الخفية ، والثانى : الحال الجبتية البشرية الظاهرة والناتج عن تدرع الذات الشيطانية الخفية الباطنية بجسد بشرى ظاهر مرئى جبتى يتولد من إجتماعهما معاً .

الحال الثالث وهو الطاغوت التى هى النبع الأول للإلحاد وهى الطاغوت الأول أو الرئيس لكل الطواغيت والمصدر الأساسى لوجودها فى الأرض بأمر الله وقدره سبحانه وتعالى .

وليس هذا مجرد استنباط شخصى بل تدعمه الآثار الواردة عن المفسرين فى تفسير قوله تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتو نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغـوت** ﴾ « النساء/ ٥١ » ما رواه السيوطى فى الدر المنثور (عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : الجبت الساحر والطاغوت الشيطان) قلت : نعم الطاغوت الشيطان الانسى والجنى متحدين ، أما الجبت فهو همزة الوصل بين شياطين الجن وشياطين الإنس وتسخيرهما لبعضهم البعض بالسحر .

وأخرج بن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم (عن ابن عباس قال الجبت : الأصنام والطاغوت الذى يكون بين يدى الأصنام) قلت : لأن لكل صنم شيطان جنى يتعامل بالسحر مع شيطان إنسى هو السادن ، وكلاهما معاً طاغوت وأخرج بن حميد (عن عكرمة قال : الجبت الشيطان بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن) لأن الكاهن يتعامل مع شيطان جنى يمده بالغيبيات وأحكام الطاغوت ، فهو وشيطانه طاغوت ، وعمله من الجبت . وأخرج ابن جرير (عن سعيد بن جبير قال : الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن) .

قلت السحر عنصر رئيسى فى مفهوم الجبت ، ولكن ثَمَّ فرق بين السحر والجبت ، إذ كل جبت سحر ، وليس كل سحر جبت ، كما سنرى هذا بعد .

وأخرج (عن قتادة قال كنا نحدث أن الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن) قلت : أن السحر عمل الجن فى عالم البشر ، ورأس هذا العمل ومنبعه الشيطان الجنى من خلال الشيطان الانسى وهما جبت من هذا الوجه ، وأخرج عبد الرازق وغيره عن قبيصه بن مخارق أنه سمع النبى ﷺ يقول : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت) أى للجبت أعمال مضلة أخرى فى عالم البشر كلها تقوم على محور واحد وهو استخدام الجن بالسحر ووسائل غيبية أخرى للإفساد فى حياة الناس ، هذا ما قاله المفسرون عن الجبت والطاغوت مختلفين حولهما فى أمور ومتفقين فى أمور . لكن إذا علمنا أنه ليس من لفظ قرآنى يحل محل الآخر ، فلا بد من أن يكون الجبت غير السحر وغير الكهانة وغير

الطاغوت وغير الشيطان وغير إبليس .

فأما الذين فسروا الجبت بالسحر والكهانة والشيطان فقد قربوا المعنى ولم يحددوه التحديد العلمي الدقيق الذى يتضمن بيان الفروق بينه وبين الشيطان من جهة وبينه وبين الطاغوت من جهة ثانية وبينه وبين الدجال من جهة ثالثة .

يدل على هذا أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت ، وليست كلها أو إحداها الجبت كما يدل على هذا الحديث الشريف ، ومن ثم يصح القول أن للجبت أعمال فى حياة الناس أو مناهج تضليل سلوكية عملية منها هذه الثلاثة وهى من أعمال الكهان وبناء على ما سبق نقول إن أعمال الكهان والسحرة والعرافين والمنجمين والسدنة وكل ما هو طاغوتى من الجبت .. ومن ثم يلزمنا بيان الفرق بين الجبت والطاغوت .

ولبيان هذا الفرق وبناء على ما سبق نقول : إن اسم إبليس يدل على المخلوق الجنى الذى إستحق أول لعنة من الثقلين فى الوجود ، والشيطان هو الاسم الوصفى الذى إستحقه هذا المخلوق ، بعد أن كفر وأصر على الكفر وتحول إلى أول داعى جنى للكفر والضلالة فى عالم الابتلاء ، ومن ثم صار إبليس الجنى حلقة الوصل بين الطاغوت وشياطين الجن .

وقابيل هو أول مخلوق آدمى كفر مع الإصرار على الكفر فاستحق اللعنة الأبدية فكان الإبليس الأول فى الوجود البشرى وصار هو الشيطان الانسى وقرينه هو الشيطان الجنى إبليس ، ومن ثم صار قابيل اللعين حلقة الوصل بين الطاغوت وعالم شياطين الانس الذين هم جنوده وأتباعه ، فعلمهم السحر ونشره بينهم إذ ليس السحر إلا استخدام الجن لتحقيق أهداف خبيثة فى عالم الانس ، بناء على تشريعات طاغوتية نافذة فى عالم الأبالسة والشياطين إنساً وجناً .

فقابيل اللعين الخاسر هو الشيطان الانسى وهذا هو الاسم الوصفى له أما اسمه العَلَمِى الذى يعرف به بين الناس فهو مختلف من عصر إلى عصر ومن عهد نبى إلى

عهد نبى آخر واسمه الوصفى فى إنجيل سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليهماالصلاة والسلام المسيح الكاذب وأطلق عليه خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ اسم « المسيح الدجال » لكن اسمه الدائم الذى حمله منذ القدم وأطلقه الله تعالى عليه فى القرآن الكريم هو الجبت .. لكن الجبت ليس علَماً عليه فقط ، بل ايضا على أسلوب عمله ومنهج حياته الذى يمزج فيه بين استخدام العلم والسحر وأعمال الطاغوت .

فالجبت اسم للنصف البشرى للطاغوت تميزاً له عن إبليس النصف الجنى منه ، لأن فى هذا الاسم بياناً لأسلوبه ومنهجه فى الاضلال الذى يعتمد على استخدام خوارق السنن الطبيعية والحياتية والانسانية ليناهض بها معجزات الرسل وكرامات الانبياء والأولياء ليلبس الحق بالباطل إضلالاً للناس حتى يخرجهم من النور إلى الظلمات مستغلاً فى هذا ميِّزة الإختفاء عند الجن والظهور فى صور مختلفة عن صورته التى خلقه الله تعالى عليها لاحداث أفعال شبيهة بمعجزات الانبياء فى الظاهر دون الحقيقة ، وهذا هو السحر والكهانة والعيافة والتنجيم والطيرة التى يتلقاها من الطاغوت ويصدرها إلى عالم الانس .

هذا التخطيط الطاغوتى أنتج آلية شيطانية جنية إنسية من تعاون وتآزر صغار الطواغيت للعمل بحسب قوانين وأنظمة وضعها الطاغوت لاضلال البشر من خلال ما يظهره هؤلاء الطواغيت باعتباره معجزات وكرامات يلبسون بها على الناس باعتبارها أحداث وظواهر وآثار ليس لها علل طبيعية أو أسباب ظاهرة .فيزعمون للناس أنهم أنبياء أو أولياء ومبعوثون من عند الله تعالى ويلبسون عليهم دينهم فيضلونهم ويوقعونهم فى الشرك

هذه الأعمال يقوم بتنفيذها هؤلاء الطواغيت الصغار تنفيذ الأمر الطاغوت الرئيسى وبقيادة تنفيذية للشيطان الانسى أى الدجال الذى حين يزاول هذا العمل بالذات وفق أنظمته الطاغوتية يكون اسمه الجبت ، كما أن هذه الأعمال وما يناظرها هى من الجبت فالجبت ابن الطاغوت ذاتا وأفعالاً . لأن الطاغوت هو إبليس والجبت متحدين والثالوث النجس هذا مكون من اثنين ، كل واحد منهما منفرداً مستقلاً عن الآخر : ابليس والجبت وثالث الثالوث هو الطاغوت المتولد من اتحادهما فى ذات واحدة ، هى أكثر من

كونها مجموع الذاتين الشيطانيتين ، تماماً مثل تفاعل مادة الكلور ومادة الهيدروجين إذ ينتج عنهما مادة حامض الهيدروكلوريك ، وهو شئ جديد تماماً فى خصائصه ومختلف عن مجموع خصائص المادتين وزائد عليهما .

ومن ثم يجوز على سبيل الكناية والتشبيه القول بأن إبليس والجبت يلدا الطاغوت حين يتوحدا ، فهو مولود لهما معا باعتباره ذاتا مختلفة عن ذات كل منهما ، وإلا لمااستحق أن يطلق عليه رب العالمين سبحانه اسماً ثالثاً مغايراً لاسم كل منهما ، فإذا ما انتهت حالة التوحد بينهما ، ولدهما الطاغوت مرة أخرى ذاتين مستقلتين بالإنفلاق مختفيا هو من الوجود كما هو حال الخلية الواحدة التى تتوالد بالإنفلاق حين تصير خليتين فتنعدم على أثر هذه الصيرورة الخلية الأصلية وتختفى من الوجود ، وهكذا كرة بعد كرة كلما توحد إبليس والجبت صارا الذات الطاغوتية الكبرى ، ثم بالإنفلاق يتولد منها الإبليسان : الجنى والإنسى أى إبليس والجبت .

ولكن عند تفرقهما يعود كل منهما بما تولد عن توحدهما الطاغوتى بمخططات الشر التى يحملها إبليس إلى بطانته من الجن ، ويحملها الجبت الدجال إلى بطانته من الانس ، ومن ثم يمكن القول تحديداً بأن ابليس هو خليفة الطاغوت فى الجن ورسوله اليهم الجبت هو خليفة الطاغوت فى الانس ورسوله اليهم .

ولذا نقول أن الله تعالى خلق الانسان خليفة فمن آمن بالله وحده وعبده وحده واجتهد فى طاعته وحده ، وسلم بوجوب إقامة شرعه وحده ، فقد جعل نفسه خليفة لله عز وجل ولا يتحقق له هذا إلا بالكفر بالطاغوت .

أما من كفر بالله وآمن بالطاغوت وأطاعه وأقام مخططاته الافسادية ، وآمن بوجوب إقامتها ، وجاهد فى سبيل إقامتها بهدم دين الله وشرعه ومحاربته فقد جعل نفسه خليفة للجبت الذى هو خليفة للطاغوت ، ومن ثم يكون خليفة للطاغوت عابداً له .

ولما كان عمل الشيطان الانسى أى الدجال تنفيذاً لمخططات الطاغوت قائماً على

التقدم العلمى وعلى استخدام الأمور والأحوال والأسباب الخفية الجنية معا صار اسمه الجبت وصار عمله ومشتقات عمله كلها سحرا وكهانة وغير ذلك من الجبت .

فإبليس يعود بعد انقسام الطاغوت إلى عالمه الجنى بعقائد وأديان وملل وأفكار ومذاهب الشر الطاغوتية ، والجبت يعود إلى عالمه الانسى بمخططات وبرتوكولات وتشريعات وأنظمة وعادات الافساد والشر الطاغوتية ، لأن هذه العقائد والتشريعات الطاغوتية قد تولدت من تفاعل الخبث الإبليسى بالخبث الجبتى . فصار كل شيطان فى ذاته حين عودته إلى عالمه بمخططات شريرة جديدة يواجه بهذا المرحلة الزمنية فى صراعهم ضد حزب الله بعد كل حالة توحد طاغوتية ، أقول يكون كل شيطان فى ذاته بما يحمله من تعليمات طاغوتية جديدة بمثابة الابن للطاغوت فهو ثالوث : أب وابنان وولاده ، انه الثالوث النجس . وما فى الكون من ثالوث معبود إلا هذا الثالوث النجس .

ثم إذا عادا وامتزجا وتوحدا فى ذات شريرة واحدة طاغوتية فى الاستكبار والشر صار الطاغوت مولوداً لهذا التوحد باعتباره فى هذه الحالة ذاتاً ثالثة متولدة عنهما معا .

فالطاغوت باعتباره ذاتاً طاغية فى الشر متولدة عن توحيد الشيطانين ، والطاغوت باعتباره عقائد وملل وأنظمة شريرة غايتها العليا تعبيد الانس والجن له هو الأب الذى يصدر عنه الذات الابليسية والذات الجنية وكلاهما حامل لهذه العقائد الالحادية والأنظمة الإفسادية إلى بنى جنسه .

لذلك اختلط الامر عند المفسرين ، ففسروا الجبت بالشيطان ، والشيطان بالجبت والطاغوت بالشيطان ، والشيطان بالطاغوت ، وفسروا السحر بالجبت ، والجبت بالسحر وهكذا غاب عن تفسيرهم بيان الفروق الدقيقة بين هذه الأسماء والفروق بين مدلول كل منهما وما يصدق على كل واحد منها والصلات القائمة بين كل واحد منها وبين الأخريات ، وما هذا الخلط إلا لعدم التميز بين حالة التوحد وحالة الانفصام الطاغوتيتين ولعدم التمييز من ناحية أخرى بين الشيطان الجنى إبليس والشيطان الانسى قابيل أو الدجال ولعدم التمييز من ناحية ثالثة بين عمل هذا الأخير من خلال السنن والقوانين

الطبيعية أى العمل بالعلم والتكنولوجيا وبين عمله من خلال قوى الجن الخفية أى العمل بالسحر والكهانة والتنجيم وغير ذلك ؛ لأنه لا يعمل لتحقيق المخططات الطاغوتية الافسادية بالعلم والتقنيات والأسباب الطبيعية والصناعية فقط ، بل يضيف إليها ويخلط معها ويمزج بها العمل بالقوى الجنية الخفية ملبساً هذا بذاك إمعاناً فى إضلال البشر لاخراجهم من النور إلى الظلمات .

هذا الخلط بين العمل بمقتضى العلم والتكنولوجيا والتقدم الصناعى وتسخير قوى الطبيعة بهما مخلوطاً وممتزجاً بالعمل بقوى الجن الخفية وبصفة خاصة السحر حتى يصعب على المرء التفريق بينهما هو الذى جاء التعبير عنه – والله تعالى أعلى وأعلم – باسم « الجبت » .

ومن ثم استحق شيطان الانس القائم على المؤسسة الناشرة لهذا الاسلوب الحضارى الخبيث اسم الجبت ، كما إستحقت هذه الصبغة الحضارية التى سادت فى بعض الفترات الفرعونية من تاريخ مصر القديمة أن تسمى أيضاً بالقبط ولعلها الاصل فى اسم مصر فى القديم الذى صار فى اللغة اللاتينية التى هى أصل اللغات الأوربية إيجبيت .

يؤكد هذا ما ثبت عن الفراعنة فى القرآن الكريم وبما اشتهر عن علم الآثار المصرية القديمة أن الحضارة الفرعونية قامت فى كثير من فتراتها على السحر وقول المفسرين بأن الجبت هو السحر يشير بل يصلح قرينة قوية للقول بأن لفظ القبط أصله لفظ الجبت وأن إيمان بعض بنى إسرائيل بالجبت والطاغوت يفيد تصديقهم بربوبية الطاغوت الذى هو بمثابة الأب وتلقيهم أمره من خلال الجبت الذى هو بمثابة الابن وإيمانهم من ثم بألوهيته التى يعملون على نشرها من خلال الجبت لكى يصبح معبوداً يزعم فى أول خروجه بأنه المسيح بن الإله ثم يزعم أنه الأله وإلهاً بين البشر كما ورد هذا فى الأحاديث الصحيحة عن النبى ﷺ مخبراً به .

يؤكد هذا أن إسم مصر باللاتينية إيجبت يدل على صلة لفظ الجبت بالحضارة الفرعونية القديمة القائمة على السحر الذى كان ولا زال الدجال هو المصدّر له من عالم

شياطين الجن إلى عالم الانس بإعتباره الحلقة الوسطى بين الطاغوت وأتباعه من سحرة الإنس .

ومن ثم صار بمقتضى هذه الوظيفة حاملاً لاسم الجبت .

كما جاء في سياقين من السياقات التى ورد فيها ذكر الجبت والطاغوت إثبات العلاقة الوثيقة بين فئة من كفرة بنى إسرائيل وبين الجبت والطاغوت .

لقد جاء فى سياقين من السياقات القرآنية التى ورد فيها ذكر الطاغوت وذكر الجبت والطاغوت إثبات العلاقة الوثيقة بين فئة من كفرة بنى إسرائيل وبينهما وهذا هو الأساس القرآنى الذى تقوم عليه العلاقة بين المسيح الدجال واليهود بطانته الذين يعينونه ويطيعون أمره من خلال فئة هى وبينه وبين بطانته من بنى إسرائيل خدام وعبد الطاغوت بخاصة .

إن الطاغوت الذى حذر كل رسول أمته أن يعبدوها هو الذى أفسد قوم نوح حتى إستحقوا الاستئصال بالطوفان ، وتلك هى إفسادة الطاغوت الأولى فى تاريخ البشرية فى أول عهدها وحيث أن للدنيا إنتهاء ، فإن نهاية الطاغوت التى هى آتية لا محالة ستكون فى يوم الوقت المعلوم بمقتل المسيح الدجال الذى هو الجبت وذلك عندما يتحقق وعيد الله بإستئصال الإفسادة الأخيرة فى تاريخ البشرية إذ يكون إستئصال إفسادة الآخرة بمقتل الدجال .

فما هى قصة الإفسادة الأولى التى حققت الجاهلية الاولى فى تاريخ البشرية فى عهد سيدنا نوح عليه السلام ، وما قصة الإفسادة الأخيرة أى إفسادة الآخرة التى يأتى استئصالها على يد جنود محمد ﷺ بقيادة سيدنا عيسى المسيح بن مريم عليهما السلام ؟

وما هى قصص الإفسادات المتعددة بينهما ؟

ومن الذين يتخذهم الطاغوت فى كل إفسادة بعامة أعواناً وجنداً وبطانة له لتحقيقها ؟

ومن هم الذين اتخذهم الجبت والطاغوت بطانة للإفسادة الأخيرة المعاصرة ؟

وكيف سيتحقق وعد الآخرة هذا بمقتل الدجال أو الجبت وتدمير الطاغوت ؟

الإجابة على كل هذه الأسئلة هى ما سنعلمه خلال الفصول والمباحث التالية بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه وتسديده .

الفصل الخامس عشر

الجبت ومخاريقه بين الصدق والكذب

ما هو الجبت ؟ وما الفرق بينه وبين الطاغوت ؟ وما الصلّة بينه وبين الدجال ؟

إذا أردنا أن نستوعب معنى الجبت : المفهوم والماصدق والتفسير الذى يبين الصلة بينه وبين الطاغوت من جهة وبينه وبين الشيطان من جهة أخرى ، ثم بيان الفروق التى بينه وبين كل منهما أيضاً ، فعلينا أن نبدأ بالتفسير اللغوى .

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (جبت : الجيم والباء والتاء كلمة واحدة . الجبت : الساحر ، ويقال الكاهن) [1] وقوله (كلمة واحدة) أى ليس لها أصل فى العربية وإنما هى وافدة ، ومن ثم ليس لها مشتقات أو تصريفات أخرى ، وتفسير الجبت بالساحر أو الكاهن هو من تأويل المفسرين لكلمة الجبت فى القرآن الكريم وليس من قول العرب .

ويؤكد أنها ليست من العربية ما كتبه ابن منظور فى لسان العرب تحت مادة « جبت » قال (الجبت : كل ما عبد من دون الله ، وقيل : ، هى كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ، ونحو ذلك . الشعبى فى قوله تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت** ﴾ قال : الجبت السحر والطاغوت الشيطان ، وعن ابن عباس : الطاغوت كعب بن الأشرف ، والجبت حى بن أخطب . وفى الحديث (الطِّيرة والعيافة والطرق من الجبت)

(وفى التهذيب عن ابن الأعرابى : الجبت رئيس اليهود والطاغوت رئيس النصارى) .

(قال الجوهرى : وهذا ليس من محض العربية ، لاجتماع الجيم والتاء فى كلمة من غير حرفٍ ذَوْلَقِىّ) [1] أى ليست هذه الكلمة عربية .

---

(١) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة مجلد ١ / ص ٥٠٠

(٢) ابن منظور / لسان العرب / مجلد ١ ص ٥٣٤

والخلاصة أن لفظ (الجبت ليس عربياً) وأما ما قيل فيه أنه السحر أو الساحر الكاهن أو رئيس اليهود إنما هو إجتهاد المجتهدين وهو ما يدور حول دلالته وليس هو دلالة المطابقة ، أى أنها من صفات الجبت وخصائصه ، وليس واحداً منها هو الجبت ، وليس شخصاً بعينه هو الجبت ، وإنما هو ممّن يتصفون ببعض صفاته ، أو يقومون ويزاولون بعض أعماله ، كما أن العيافة والطيرة والطرق من أعماله ، وليست هى الجبت كما جاء فى الحديث الشريف .

ويعتبر قول الجوهرى بأن لفظ الجبت ليس من العربية دليل على أنه وافد من خارج الجزيرة العربية ، ويؤكده قول القائل بأنه رئيس اليهود إذ يشير إلى أنه وفد إلى الجزيرة مع هجرة اليهود إليها ويثبت هذا برهانان :

الأول : أن الآية الكريمة تثبت إيمان بعض الذين كفروا من بنى إسرائيل بالجبت والطاغوت .

الثانى : تفسير بعض السلف الجبت بأنه حُيىّ بن أخطب أحد زعماء اليهود وأشدهم كفراً وعداء لله ولرسوله ﷺ ، هذا علاوة على من فسروه بأنه رئيس اليهود .

لكن بالاضافة إلى إثبات هذه الصلة بين الجبت وبين كفرة اليهود أو رؤسائهم ، يجب أن نضيف إلى معنى الجبت أقوال بعض السلف بأن الجبت هو السحر وهو الساحــر .

ولقد عرف بنو إسرائيل السحر والسحرة منذ كانوا فى مصر الفرعونية ، وشهدوا أحداث منازلة كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام لسحرة مصر آنئذ ، هؤلاء السحرة الذين لم يعرف فى تاريخ الأمم البائدة أو المعاصرة شعباً فشا فيه السحر وكثر فيه السحرة مثل كثرتهم ومثل شيوعه فى حياة هذا الشعب المصرى القديم فى ظل حكم الفراعنة .

لكن المصريين القدماء لم يعتمدوا فى حياتهم على السحر فحسب ، وإلا لما قامت لهم حضارة لا زالت آثارها المعمارية والعلمية والفنية الباقية ، شاهدة على تقدمهم فى

الفلك والمساحة والكيمياء والطب والهندسة وغير ذلك من مظاهر التقدم العلمى والتقنى فى شتى مناحى الحياة .

وشتان بين التقدم المدنى القائم على أسس علمّية تقنية صناعية وبين المظاهر الحضارية الخادعة التى تقوم على السحر . فماذا كانت صبغة الحضارة الفرعونية القديمة ، وما هو أساس التقدم المدنى والازدهار العمرانى فيها ؟ العلم أم السحر ؟!

الحقيقة أن حياة العلم وتقدمه وازدهاره فى أى حضارة تكمن فى نشره وتعميمه وعدم كتمانه . ومن ثم حذّر رسول الله ﷺ من كتمان العلم حتى ولو كان من العلوم الكونية التجريبية فتوعد كاتم العلم بلجام من نار يوم القيامة بقوله ﷺ « من سئل علماً يعلمه فكتمه أُلْجِمَ بلجام من نار يوم القيامة »[(١)] .

ولما كان العلم فى الحضارة الفرعونية سرًا لدى الكهان فى المعابد ، مستأثرين إياه لأنفسهم ولأبنائهم ، إذ جعلوا هذه الوظائف والمناصب حكراً عليهم وعلى ذرياتهم بالوراثة ، فقد تحولت العلوم وتطبيقاتها فى نظر العامة نتيجة لهذا إلى أسرار وألفاظ لا يعلمون لها تفسيراً . ومن ثم استخدمها الكهان لتمكين سلطة الفراعنة من ناحية ، ولجمع المغانم الدنيوية وأكل أموال الناس بالباطل من ناحية أخرى ، وحيث أن السحر ليس سوى أحداث هى عبارة عن نتائج تقع أمام المشاهد بغير أسبابها الطبيعية ، فإن العلم المكتوم يمكن أن يحدث نفس الأثر ، لأن أبسط الاختراعات العلمية والتطبيقات التقنية الصناعية تصير أمام نظر المشاهد المحجوب عنه هذه القوانين كالسحر سواء بسواء . مثال هذا الذى يستخدم حجراً مغناطيسياً لتحريك بعض قطع الحديد من خلف حاجز يحجبه عن عين المشاهد فيرى قطع الحديد تسير ذهاباً وإياباً بإشارة من يد هذا المخادع عن بعد ، فيظن المشاهدون أنه يملك قوة غيبية يتحكم بها فى هذه المعادن من غير لمسها ، ومن ثم ليس أمام المشاهدين من تفسير لهذه الظاهرة إلا كلمة السحر . وهذا ليس من السحر ، وإنما هو من العلم ، وما صار فى نظرهم من السحر إلا لجهلهم بهذه

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه

الحقيقة العلمية لخصائص المغناطيس ، فإذا كانت الحضارة الفرعونية قد تقدمت في كثيرٍ من العلوم ، واكتشفت بعض القوانين الطبيعية والكيماوية والفسيولوچية والفلكية والكونية ، ثم رتّبت على هذه الاكتشافات إختراعات وتقنيات صناعية ، وفي نفس الوقت شددوا على سرية هذه العلوم وعملوا بقوة لكي يظل كل هذا محجوباً عن العامة ومكتوماً باعتباره من أسرار المعبد من خلال نظام مغلق على طبقة الكهنة والفراعنة ومُصانٌ بنظام قانوني صارم قاسي . فإن العلم ونتائجه وتقنياته تصير في نظر الناس سحراً . كما أن السحر الحقيقي الذي هو تأثير على مخيلة الناظرين حتى يخيل إليهم أنهم يرون العصي والحبال كأنها حيّات تسعى ، يكون في نظر العامة علماً وتقنية وفناً وبراعة ، لأن الكهنة والحكام لن يعترفوا بأنهم يفعلون ما يفعلون أمام الناس لتصريف شئون حياتهم وعلاجهم وغير ذلك من قبيل السحر ، بل سيزعمون أنهم علماء ، وأن السحر علم ليس فيه خداع أو تضليل أو تخييل .

ومن ثم يمكن القول أن مزاولة السحر إختلطت بتطبيقات العلم ، كما أن تقنيات العلم وتطبيقاته إختلطت بأعمال السحر ، كما تلبس السحر بالعلم ، حتى صار من الصعب ، بل ربما من المستحيل ، التميز بينهما ، كما أن الساحر صار عندهم هو العالم والعالم هو الساحر .

ولا شك أن أعمال الكهنة وما يقدمونه للناس من أمور نافعة أو خادعة في العلاج أو خلافه كانت مزيجاً من هذا وذاك ، لأن كل ما يراه الناس منهم هو نتائج تظهر بدون أسبابها الطبيعية ، وهذا ما كان يحدثونه بالسحر وبالعلم على حد سواء ، والكهنة يطلقون عليه العلم ، وأعداؤهم يطلقون عليه السحر ، وهو مزيج منهما معاً .

ودليل على ما أقول عن خلط السحر بالعلم هو قول المصريين ، حكاماً ومحكومين ، لموسى عليه الصلاة والسلام متضرعين على أن يرفع الرجس عنهم ، بعد أنزل عليهم الآيات التسع ، وكلها معجزات نبوية شريفة ، لا تتم إلا على يد رسول من عند الله عز وجل ، ولكن حيث أن المعجزات هي أيضاً نتائج تحدث في عالم البشر الحسي بدون

أسبابها الطبيعية ، ومن ثم فهى من هذا الوجه تبدو أمام الناس كالسحر كما أن السحرة يزاولون هذه الأمور أمام الناس زاعمين أنها معجزات أنبياء أو كرامات أولياء ، لذا فإن المصريين لما خاطبوا موسى عليه الصلاة والسلام لرفع الرجز عنهم خاطبوه بالساحر وليس النبى أو العالم ، وهذا ما أنبأنا الله عز وجل به بقوله تعالى ﴿ **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون ما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر أدع لناربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون** ﴾ « الزخرف / ٤٦ - ٥٠ » فانظر إلى قولهم لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون** ﴾ أى أدع لنا ربك أن يرفع عنا العذاب وما قصدوا بطبيعة الحال وهم يرجونه أن يسيئوا إليه بقولهم له ﴿ **يا أيه الساحر** ﴾ بل أرادوا نداءه ودعوته بما هو فى إعتقادهم ثناء عليه ومدح له ، لأن الساحر كانت تعنى العليم ، يؤكد هذا قول أعوان فرعون عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ؟ قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم** ﴾ « الاعراف / ١٠٩ - ١١٢ » وهكذا وصفوا موسى عليه الصلاة والسلام بأنه ساحر وعليم معاً ، ومن ثم طلبوا أن يجمعوا له من مدن مصر من يجمع بين السحر والعلم أيضاً ، وهذا دليل آخر يدل على أن السحر والعلم كانا ممتزجين فى هذه الحضارة .

وليس هذا إستنباطاً من الآية وإنما هو فهم السلف إذا فسّروا قوله تعالى ﴿ **وقالوا يا أيه الساحر ..** ﴾ بمعنى يا أيها العالم .

إن إمتزاج العلم بالسحر قد بدأ مع بدء الكينونة الطاغوتية التى هى مزج وتفاعل خبيث بين علم الاسماء الانسانى الذى ورثه قابيل اللعين الإبليس الإنسى من أبيه آدم عليه الصلاة والسلام ، وبين أساليب الجن الخفية التى مصدرها الإبليس الجنى ، فهما

معاً : السحر والعلم ممتزجان ، وهذا هو الجبت متمثلاً فى أعمال الدجال الامتزاجية العلمية والسحرية الخبيثة فأكثر ما يكون الجبت تمثلاً وظهوراً فى الأسلوب الحضارى والمنحى الحياتى والصبغة الثقافية ، وأهم ما يميز هذا كله اضفاء الشرعية على السحر ، وإعلاءقدره نتيجة مزجه وتلبسه بالعلم بالخلط بينهما ، حتى يصعب أو يستحيل التمييز بينهما ، وهذا كله ما تميزت به بعض عصور الحضارة الفرعونية القديمة وإصطبغت بها ثقافتهم ولنتذكر أن التقنيات العلمية الصناعية فى نظر الجاهلين بها ليست سوى سحراً ، وأن السحر فى نظر الجاهلين بأسراره قد يعتبره البعض فى عصر مثل عصرنا تطبيقات علمية تقنية متقدمة ، وما ذلك إلا لاشتراك المخترعات العلمية التقنية مع الأعمال السحرية فى أن كل منهما يقدم نتائج مجهولة الأسباب للمشاهدين الذين يجهلون أسرار العلم من ناحية وأسرار السحر من ناحية أخرى .

ومن ثم يمكن القول أن الفرق بين الطاغوت والجبت هو أن الطاغوت هو مصدر الجبت ونبعه ، لأن العقل البشرى الدجالى حالة توحده بالعقل الإبليسى الجنى يكون جبتياً ، إذ تمتزج وتتفاعل القوتان العقليتان العلمية والسحرية ، فحالة التوحد حالة طاغوتية ، فإذا ما حدث الانغلاق ، وعاد كل واحد من الشيطانين إلى عالمه لم يرجع إليه بقوته الذاتية فحسب ، بل بقوته وبقوة ما إمتزج معها من قوة الشيطان الآخر ، والمخططات تعتمد على القوتين معاً ، قوة الجن الخفية وقوة علم الأسماء الذى هو أساس العلوم الكونية والتجريبية والطبيعية والتقنية ، فيكون الإبليس الجنى جبتياً فى عالمه مرسلاً من قبل الطاغوت منفذاً لمخططاته وأوامره ، ويكون الإبليس البشرى الدجال جبتياً فى عالمه الانسى مرسلاً أيضاً من قبل الطاغوت .

ذلك أن هذا الأخير يحمل ما يعود به إلى بطانته من الانس الذين علمنا أنهم مجلس مكون من ثلاثة عشر عضواً من كفرة بنى إسرائيل الذين يطلقون على أنفسهم «النوارانيّين» ويسمونه « لوسيفر » بمعنى « حامل النور » حسب زعمهم ، وهو فى الحقيقة حامل الظلمات ، حسب أسلوبهم فى تسمية المسميات بنقائض أسمائها ، فهى

المخططات والبروتوكولات والتشريعات والمشاريع المقررة عن الحالة الطاغوتية التى تهدف إلى إخراج الناس من النور إلى الظلمات مثل « برتوكولات صهيون » ، وعلى هذا فهم عندما يجتمعون به ليتلقوا منه الأوامر يكونوا مؤمنين به أولاً باعتبار أنه هو الذى يتلقون منه ، ومن ثم جاءت الآية (يؤمنون بالجبت) أى قبل الطاغوت ، ثم هم يطيعونه ولا يعصونه ويعتقدون أن طاعته واجبة ولازمة ، فهم عبدته وخدامه ، وحيث أنهم يصدقون بأنه حامل لما يأتى به من مصدر أعلى منه ، فهم إذن يؤمنون به ، وبما هو أعلى منه أى الطاغوت ، فهما إثنان إذاً الجبت والطاغوت معاً ، فالذى يجتمعون به ويتلقون منه هو الجبت لأنه يأتى لهم بمخططات وتعليمات الطاغوت ، التى تقوم وتتأسس على كل الأساليب الممكنة التى يهدفون بها تحقيق علوهم فى الأرض بالإفساد .

وعماد هذه الأساليب والوسائل العلم والسحر معاً ، فالجبت إذاً رسول الطاغوت إليهم ، الحامل للظلمات إليهم من قبله بقصد تعميمها فى الأرض ، وكذا الحال بالنسبة لإبليس الجنى ، عندما يرجع إلى مجلسه الجنى فى عالمه فإنه يكون جبتياً لأنه يكون بمثابة رسول الطاغوت وخليفته فيهم وهو يعمل بهم على تنفيذ مخططات الطاغوت العلمية السحرية فى عالم الجن ، ومن ثم فهو جبتى أيضاً من هذا الوجه .

لكن ما ورد فى القرآن الكريم عن الجبت والطاغوت ورد مقروناً بذكر بطانته من كفرة بنى إسرائيل الذين يعبدونهما ، والذين يؤمنون بهما ، ويخدمون مخططاتهما للعلو فى الأرض بالافساد بكل الوسائل والأساليب والكيفيات السحرية والعلمية التقنية ، وهذا هو ما نشاهده اليوم إذ عم الفساد الأرض وعلا اليهود وساعدهم على هذا التقنيات العلمية المدنية والعسكرية وكذلك أساليبهم الطاغوتية الخفية .

وكل ما وصل اليهود إليه من علو بالإفساد إنما هو خطوات فى طريق تنصيب الدّجال الإبليس الانسى ربا على عالم الانس بمفهوم الرب الابن المسيح وباسمه أيضاً وتنصيب الابليس الجنى ربا على عالم الجن بمفهوم الابن الرب الروح القدس توطئة لتنصيب الطاغوت إلاهاً للّجِنّة والناس بمفهوم وبمثابة الآب الإله وهذا هو الذى يمكن

أن تتلمسه من النصوص المخبرة عن أعمال المسيح الدّجال قبل خروجه العلنى وأثناء خروجه وما يصاحب هذا الخروج من خوارق للسنن الطبيعية ، إذ سنجد أن بعضها علمي تقني صناعي ، وبعضها الآخر جني سحرى خفي ، وحيث سيكون لديه بعض التقنيات الخفية التى لم تصل إليها البشرية بعد ، ربما لأن عنده من التقدم العلمى والتقني والصناعى السرى ما سبق به ما هو معلوم ومنشور على الناس من تقنيات علمية صناعية فى شتى مناحى الحياة ، فإن هذه وتلك ربما تبدو للناس على أنها خوارق حقيقية ، وسيقدمها هو للعامة ليدلل بها على دعواه بأنه رب الناس .

لقد حيّرت هذه الأحاديث الصحيحة الواردة عن الدجال كثيراً من العلماء إذ قالوا : كيف يؤيد الله تعالى الدجال بهذه الخوارق التى هى من قبيل معجزات الأنبياء وهو أشد أعدائهم على الإطلاق ؟

فقال بعضهم : أرادها الله تعالى وينفذها له تحقيقاً للإبتلاء وقال البعض الآخر : لا ليست هذه معجزات حقيقية لأن الله تعالى لا يؤيد أشد أعدائه بما أيّد به أنبياءه ورسله المقربين .

لكننا ونحن فى عصر العلم والتقدم التقنى المذهل نُدْرِك الآن أنها ليست معجزات سماوية وإنما هى أعمال جبتية إختلط فيها العلم بالسحر كما سنرى بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه وتسديده للحق والصواب .

– جبتيات الدجال الإضلالية :

الطاغوت الذى هو الإبليسان فى حالة الجمع هو الذى يتطاول ليكون معبوداً مؤلهاً من الثّقلين : الجن والانس ، ومن ثم دعى الله تعالى فى كتابه إلى الكفر بالطاغوت قبل الإيمان به سبحانه وتعالى ، لأن الإيمان بالله تعالى لا يصح إلا إذا كان إيماناً به وحده لا شريك له سبحانه ، ومن ثم وجب الكفر بربوبية وألوهية كل ما سواه سبحانه ، وحيث إستلزم الإيمان بالله تعالى وحده الكفر بالطاغوت ودعت الرسل جميعاً إلى الكفر

به أيضاً وأمروا بترك وإجتناب عبادته ، ولم ترد هذه الدعوة بالكفر لغير الطاغوت مما هو معبود بالباطل فى الأرض ، فلم ترد فى القرآن الكريم الدعوة إلى الكفر بالشيطان ولا بالشمس أو بالقمر أو بالكوكب أو بالصنم أو بالعجل وهكذا ، وإن كانت الدعوة قد وردت بالنهى عن عبادة الشيطان وغيره بمعنى ترك طاعته ، والتحذير من السير على نهجه فالعبادة تتمثل فى طاعة المعبود أو على الأقل التسليم بوجوب طاعته ، أما الإيمان فهو التصديق بالغيب بالمعبود غير المشاهد ، وحيث أن الطاغوت الذى هو الإبليسان فى حالة الجمع كائن غيبى عن الجن لأنه ليس جناً خالصاً وغيبى عن الانس أيضا ، لأنه ليس إنساً خالصاً ، فإن التصديق بوجوده وبوجوب طاعة أمره وشرعته ومنهاجه إنما هو تأليه له ، أى أن من يصدق به بالغيب ، فقد اتخذه إلهاً من دون الله تعالى .

وحيث أن الطاغوت جاء بصيغة المفرد المؤنث تعبيراً عن هذه الذات المتألهة ، كما جاء بصيغة المفرد المذكر تعبيراً عن الأمر والحكم والشرع الصادر عنه ، وجاء بصيغة الجمع تعبيراً عن المؤسسات والمنظمات السرية والعلنية والآليات والجيوش المجيشة من الأبالسة والشياطين المكونين لملئه ، ثم الجيوش العسكرية التى يجلبها على المؤمنين بخيله ورجله والقرارات السياسية والإقتصادية التى يشارك الناس بها فى أولادهم وأموالهم ، وكل هذا ينفذ فى عالم الانس بالجبت الانسى ، وفى عالم الجن بالجبت الجنى ، فليس الجبت إلا بمثابة الوالى أو الوكيل أو السلطة التنفيذية للطاغوت الذى هو السلطة التشريعية . وحيث أن التشريع لا يكون إلا للرب الإله ، فإن الطاغوت يكون فى مملكة الشر بمثابة الرب الإله عندهم ، وهو حسب تفرده بالأمر له حق التصريف والتصرف فيكون هو الملك أيضاً ، وليس المسيح الدجال أو الجبت الانسى إلا المنفذ لأمر الطاغوت ، وهو الذى يتخذ فى كل عصر بطانة من شر البرية يجتمع بهم حاملاً لهم شرعة ومنهاج ومخططات وأوامر الطاغوت ،.

أما الشرعة والمنهاج فهى شبه ثابتة على مدار التاريخ البشرى لأنها ليست إلا الضد والنفى لما ينزل على نبى العصر ورسول الزمان من شرعة الله ومنهاجه ، وأما المخططات

والأوامر أو ما اطلقوا عليه البروتوكولات فهى المراحل والخطوات التنفيذية التكتيكية لنشر الباطل وترسيخ الضلال الطاغوتى ، ومن ثم يكون إجتماع الإبليس الانسى الدجالى ببطانته السوداء الشريرة من أجل وضع هذه البروتوكولات موضع التنفيذ لتوزيع المهام والواجبات فى كل مرحلة من المراحل التى ترمى جميعاً إلى إعلان الطاغوت ربا وملكاً وإلهاً واحداً للجنة والناس .

والسؤال الآن : كيف ينقل الطاغوت الناس من إيمانهم الفطرى بالله تعالى وحده هذا الذى جلبهم الله عز وجل عليه وغرسه فيهم فى عالم الذر حين أشهدهم بأنه سبحانه ربهم الواحد فشهدوا .

أقول : كيف ينقلهم إلى ظلمات الشرك والكفر وكهوف الجاهليات فإذا هم يؤمنون بالطاغوت ويسيرون فى ركابه وينفذون شرعه ومنهاجه ويعيشون بأساليب العيش الظالمة الشريرة النجسة تلك التى علمنا أن الطاغوت رسموها لهم وشرعوها ؟ ، بصيغة الجمع ، ولا أقول : رسمها وشرعها لهم الطاغوت بصيغة المفرد) ؟ الإجابة : هى أنه تمكن من ذلك بوصفه الطاغوت الجمع وليس الطاغوت المفرد والطاغوت الجمع هم الذين يخرجون الناس من النور الفطرى إلى الظلمات ، فهم أولياء الناس ﴿ **والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ « البقرة / ٢٥٨ » فالطاغوت الذين هم أولياء الذين كفروا هم الأنظمة الحاكمة الخاضعة له وهم المنظمات والمؤسسات العالمية السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والتربوية والتنظيمات السرية والقوى والأحلاف العسكرية التى علت فى الأرض بالإفساد فى جميع مجالات الحياة الخلقية والإقتصادية والسياسية والثقافية وهذه كلها الطاغوت - متمثلة وظاهرة فيما أطلقوا عليه الشرعية الدولية التى إذا ما تفحصنا قراراتها وأهدافها وأعمالها لوجدناها على طرف نقيض مع شرع الله عز وجل ومنهاجه المنزل بوحيه الأخير على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وعليهم وسلم . فمن آمن بالشرعية الدولية ورحب بها وأحبها ودافع عنها وسار فى ركابها وتمنى دوامها فقد آمن بالطاغوت

وكفر بالله عز وجل وبكلمة واحدة وقع فى فتنة الدجال السابقة على خروجه العلنى مباشرة ، ومن كرهها ورفضها وكفر بها وتمنى زوالها إيثاراً لشرع الله كفر بالطاغوت وآمن بالله ونجا من فتنة الدجال السابقة مباشرة على فتنة خروجه العلنى .

وأيهما يا ترى أشد فى الخطر ، فتنة الدجال السابقة على خروجه العلنى أم فتنته المصاحبة لخروجه العلنى زاعماً أنه رب الناس ملك الناس إله الناس ؟

الحقيقة أن فتنته السابقة على خروجه العلنى المتمثلة فى علوه بالإفساد اليهودى من خلال المنظمات والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاحلاف العسكرية أى ما أطلقوا عليه النظام الدولى الجديد والشرعية الدولية تلك التى هى الموقدة فى الحقيقة سراً للحروب ضد كل من يخالفها والتى تزعم أنها تسعى لأطفائها علناً بعد أن تحقق الأهداف التى أوقدوها من أجلها ، هذه الفتنة التى تُعاصرها البشرية اليوم أشد خطراً من فتنته المصاحبة لخروجه ، وذلك لأن ما يطلقون عليه إعلامياً اليوم الشرعية الدولية ما هو إلا أمر الطاغوت وشرعه وصناعته ، ومن ثم فالإيمان بها ليس سوى إعتقاداً وتسليماً من كل من يؤمن بها بأن الطاغوت رب الناس ملك الناس إله الناس ، فهو إذن الإيمان بالطاغوت والكفر بالله العزيز الحكيم من غير أن يكون ثمّ تصريح بهذا .

أما خروج الدجال الطاغوتى العلنى فسيكون مع إعلانه أنه رب الناس ملك الناس إله الناس إذ سيزعم أنه الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً كما ورد فى الحديث الصحيح ، ومن ثم تكون حالة خروج الطاغوت أو خروج نائبه الدجال الأول أى المعاصر نفاقاً ، وحالة خروجه الأخير العلنية كفراً ، وفتنة المؤمنين بالنفاق والمنافقين أشد من فتنتهم بالكفر والكافرين لأن المنافقين يُلَبِّسون ويُمَوِّهون ويخدعون ويخفون حقيقتهم الطاغوتية فى حين أن الكفار يعلنونها . فالدجال حالة خروجه نفاقاً ، وهى الحالة التى تعاصرها البشرية اليوم أشد خطراً منه حالة خروجه كفراً ، وهى التى سيصير إليها بخروجه العلنى .

ولا يقولن أحد أن هذا إستنباط من عندى قابل للصواب أو الخطأ ، إذ ليس هو

إستنباطاً فحسب لأنه وإن كان إستنباطاً صحيحاً فيما أرى ، إلا أن له أيضاً مصدره فى الوحى الذى لا يأتى إلا بالحق الخالص .

أما عن زعمه حين يعلن عن نفسه النبوة ثم الربوبية فيدل عليه ما رواه الطبرانى والحاكم وعبد الله ابن الإمام أحمد فى كتاب السنة بسنده (عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : خطبنا روسول الله ﷺ ، فكان أكثر خطبته ما يحذرنا الدجال ، قال : « إنه يبدأ فيقول : أنا نبى ، ثم يثنى فيقول : أنا ربكم ، ولن تروا ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، من لقيه فليتفل فى وجه) قال الحاكم » صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه .

أما الدليل من الوحى على أن فتنة الدجال التى تسبق خروجه العلنى أشد خطراً على المسلمين من فتنته المصاحبة لخروجه العلنى التى يزعم فيها أولاً أنه نبى ثم يزعم أنه رب الناس ، فهو ما رواه الإمام أحمد والبزار بسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : ذُكر الدجال عند رسول الله ﷺ فقال : لأنا لفتنة بعضكم أخوف عندى من فتنة الدجال ، ولن ينجو أحد مما قبلها ، إلا نجا منها ، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلاّ لفتنة الدجال)

فقوله ﷺ (ولن ينجوا أحد مما قبلها إلا نجا منها) دليل على أن ما قبلها أى ما قبل خروجه العلنى أشد خطراً من فتنة خروجه العلنى ، لأن من ينجو من الأخطر يسهل عليه أن ينجو من الخطير وهذا يثبت ما قررته ، كذلك يدل قوله ﷺ (وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال) أى ليس كل ما صنعه الابالسة والشياطين من فتن فى الأرض منذ عهد البشرية الأول إلاّ إعداداً لفتنة الدجال العلنية التى لن تمكث فى الأرض سوى أربعين ليلة .

وهذا معناه أن الدجال منذ عهد نوح وهو يصنع الفتن كماعلمنا من قبل ، ومن ثم حذر منه نوح قومه ، وحذر كل رسول أمته من عبادة الطاغوت حتى نوح وكل هذه الحقائق الثابتة بالكتاب والسنة تدل على أن ما وصل إليه الأبالسة والشياطين بقيادة

الطاغوت والجبت ما هو إلا إعدادٌ لفتنة الدجال التى سيعلن فيها عن نفسه للناس أنه نبى أى المسيح ، ثم مستخدماً الأساليب والوسائل والأحداث والأعمال الجبتية لاثبات ربوبيته الباطلة لهم بما يتضمنه الجبت من التلبيس والخداع . فهو يستخدم كل وسائل الاضلال الخفية السحرية فى محاولة منه لاضلال الناس بما هو من جنس المعجزات لعلمه أن مثل هذه الأعمال أقصر الطرق إلى إيمان الناس بصحة دعوى من تجرى على يديه .

وحيث أن جنوده من الأبالسة والشياطين لا يملكون ولا يستطيعون أن يأتوا بمعجزات حقيقية ولا حتى خوارق من قبيل كرامات الأولياء ، وإنما يملكون أن يحدثوا أعمالاً وأفعالاً وأحداثاً تبدو للناس أنها من جنس المعجزات بعضها من قبيل السحر ، وبعضها تقنى صناعى ، وكثير منها يجمع بين الصبغتين ، ومن ثم فهو بكلمة واحدة جبتى ، وهذا هو ما تدل عليه النصوص الحديثية الصحيحة التى تحمل أخباراً عن أعمال وأحداث وأشياء يملكها الدجال عند خروجه السافر هذه الاعمال يختلط فيها السحر بالتقنيات الصناعية العلمية أى نفس صبغة الحضارة القبطية (الجبتية القديمة التى تلبس فيها السحر بالعلم ، واختلط فيها العلم بالسحر) .

ومن ثم يدل وصف الدجال بالجبتية وإيمان بطانته من بنى إسرائيل بالجبت والطاغوت ، يدل هذا وذاك على أن خروجه السافر سيكون بعد حدوث التقدم العلمى التقنى وظهور المخترعات والمعدات العظيمة التى تغير أسلوب الحياة ، أى أن هذا التقدم العلمى الصناعى التقنى ، لابد أن يسبق ظهوره الأخير ، ومن ثم فقد قرب وقت هذا الخروج .

يدل على هذا من السنة ما رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو بكر الأجرى فى كتاب الشريعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرنّ الصليب وليقتلنّ الخنزير وليضعنّ الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليُدْعَوَنّ إلى المال ، فلا يقبله أحد)

فقوله ﷺ (ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها) أى لتتركن الأبل فلا يسافر عليها أحد وستتوقف قوافل السفر على الأبل عبر الصحراء والبلاد . وما هذا - كما شرحنا هذا من قبل فى الجزء الثالث - إلا لتوصل الإنسان إلى وسائل نقل أسرع وأكثر راحة ومتعة من الإبل . وقد حدث هذا ومن ثم قرب نزول المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام الذى لن يكون إلا بعد خروج الدجال السافر .

فوسائل النقل الحديثة أو المعاصرة هى بعض الأمور العظام التى تسبق خروج الدجال ، وتسبق بالتالى هلاكه وجنوده بعد نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ، هذه الأمور التى يتفاقم شأنها فى أنفس الناس كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته بعد صلاة الكسوف « وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال .. (فذكر الحديث فى شأن الدجال ونزول عيسى وإهلاك الدجال وجنوده ثم قال :) ولن يكون ذلك كذلك حتى تروْا أموراً عظاماً يتفاقم شأنها فى أنفسكم وتساءلون بينكم : هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً ؟ حتى تزول جبال عن مراتبها) وزوال الجبال عن قواعدها هو قائم بمعدات الهدم والبناء والنقل الحديثة والمعاصرة .

وروى الطبرانى والبزار عن سمرة رضى الله عنه أيضاً قال قال رسول الله ﷺ سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء تستنكرونها عظاماً ، تقولون : هل كنا حدثنا بهذا ؟! فإذا رأيتم ذلك ، فاذكروا الله تعالى ، واعلموا أنها أوائل الساعة) .

قال الشيخ عبد العزيز التويجرى رحمه الله تعليقاً على هذه الأحاديث (وفى هذه الأحاديث إشارة إلى ما حدث فى هذه الأزمان من المراكب الجوية والبرية والبحرية ، والآلات الكهربائية التى تنقل الأصوات .. وغير ذلك من المخترعات العجيبة التى لم تكن

تخطر ببال أحد فيما مضى ، وقد تفاقم شأن هذه المخترعات حيث رأوها وكثر تساؤلهم : هل كان النبى ﷺ ذكرها أو أشار إليها ؟!) [1] .

وهذا من قبيل التقدم العلمى التقنى الصناعى الذى يسبق عصر الدجال ونزول المسيح عليه السلام . هذه المخترعات التى أثبتت الأحاديث ملكية الدجال لها ، ففهمها أسلافنا رحمهم الله بأنها من خوارق السنن الدجالية التى خص الله بها الدجال وحده لفتنة الناس ، بينما هى من نتائج العلم والتقدم التقنى ، ويكون القول دقيقاً صحيحاً إذا قلنا أنها تخص عصر الآيات والسنين التى تسبق الآيات أى ما أطلقنا عليه من مصطلحات هذا العلم : أمارات الساعة ، لكن علماءنا السابقين رحمهم الله ظنوا أنها خوارق تجرى على يديه هو بعينه ، إذ هى بالنسبة لهم مجهولة التعليل وهو ظن غير صحيح ، كما نعلم نحن أهل هذا العصر .

ومن هذه النصوص التى تنسب بعض هذه المخترعات العلمية إلى الدجال ففهم العلماء منها أنها خوارق تخصه دون غيره ما رواه فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى فى تعقبه للحاكم بأنه صحيح على شرط مسلم ، وكذلك رواه الإمام أحمد عن جابر عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج الدجال فى خفقة من الدين وادبار من العلم ، وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض اليوم كالسنة واليوم كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً) فماذا يكون حمار الدجال الذى بين أذنيه أربعون ذراعاً سوى مركبة من المركبات الحديثة أو المعاصرة أو مركبة ستصنع له سواء أكانت برية أو جوية أو غير ذلك ، هذا بالرغم من أنه ليس بمستبعد أن يكون حماراً حياً حقيقياً بهذه الضخامة ويركب الدجال على ظهره بالرغم من أنه قد ثبت أنه حين يخرج مُسفراً يكون بحجم البشر المعاصرين ويميل إلى القصر نسبياً ؟! أما قوله ﷺ أنه يخرج (فى خفقة من الدين وإدبار من العلم) أى العلم الدينى الشرعى وليس العلم التجريبى

(١) إتحاف الجماعة للشيخ التويجرى / المجلد الثانى / ص ٢٠٠

التقنى .

وكما يحق لنا أن نتصور أن هذا الحمار وسيلة نقل برية بحرية جوية أى حوّامة وهذه الوسيلة سبق صناعتها لكنها لم تُعمم ربما لقلة الجدوى الاقتصادية من تعميمها لكن هذا لا يمنع أن تصنع لمن يسعى أن يمتلك الدنيا خصيصاً .. فإذا وصلت هذه الوسيلة إلى جزيرة العرب أى بلاد وموطن الصحابة الذين خاطبهم النبى ﷺ بهذه الأحاديث ، فإن هذه الحوّامة ستسير به ببطئ نسبى فتكون دابة بطيئة على الأرض عرض ما بين جانبيها أربعون ذراعاً ، أو ما بين طرفين لها يخرجان من الجنبيْن طويليْن مثل أذن الحمار وربما تكون مهمتها إلتقاط الأصوات التى حولها كالأذنيْن . والذى يدل عليه اسم (حمار الدجال) أى دابة الدجال التى يركبها ويتنقل بها برا على الأرض ، وليس بالضرورة حماراً من لحم وعظام ، وإلاَّ فما هو الاسم الذى كان من الممكن أن يخبر به رسول الله ﷺ الصحابة عن وسيلة الانتقال التى سيطوف الدجال بها الأرض خلال أربعين ليلة ؟ هل يقول لهم طائرة الدجال، أم يقول لهم صاروخ الدجال أم حوّامة الدجال أم حافلة الدجال أم عوّامة الدجال أم عبّارة الدجال أم قطار الدجال ؟ أليست كل هذه الأسماء غير مفهومة للصحابة ولا تحمل لهم أى دلالة واضحة ؟! ومن ثم لن يترتب على ذكر هذه الأسماء لهم سوى أنها ستفتن أهل عصرهم وتبلبل نفوسهم وتحيّر عقولهم ؟!

وهل جاء النبى ﷺ هادياً ومعلماً أم جاءمُحيّراً ومشككاً ؟ حاشا لله تعالى ولرسوله ﷺ ، فمن الحكمة أن يخاطبهم بالأسماء التى يتعاملون بها ويفهمونها ، فإذا كان فى معرض وسيلة الانتقال ذكر لهم وسائلهم فى الانتقال وأضفى بعض وصف وسيلة إنتقال عصر الدجال فيفهمها أهل هذا العصر ، يدل على ما أقول ما رواه الحاكم فى المستدرك ، وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبى على شرط البخارى ومسلم ، (عن أبى الطفيل رضى الله عنه عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال الدجال يخرج فى بغض من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بيْن فَيَرِدُ كل منهلٍ ، فتطوى له

الأرض هنا في هذا النص الشريف هي ما يقع عليه عين الراكب في وسيلة انتقال سريعة جداً أو عاصفة ، إذ لا يلبث أن تقع عين الراكب للقطار أو الاتوبيس على موضع من الأرض ، مهما اتسعت مساحته ، إلا وصار خلفه ، بعد أن كان يراه أمامه تماماً في زمن طي فروة الكبش ، أى ثانية واحدة أو أقل ، فإذا كانت سرعة السيارة أو القطار مائة وعشرين كيلو متراً في الساعة – وهذه سرعة متوسطة أو عادية – فإن هذا المركوب يقطع ٣٣ متراً في الثانية الواحدة ، وهذا معناه أن الناظر إلى الأرض من هذا المركوب إذا امتد بصره هذه المسافة لا يلبث قبل أن يرتد طرفه إليه أن تطوى تحته ، هذا هو معنى طي الأرض ، أى ما يرى منها للراكب مَطْوِّياً طي فروة الكبش ، أى في زمن طي فروة الكبش باليد ، هذا بالنسبة للسرعة العادية فما بالنا بالسرعات التي وصلت إلى أكثر من خمسمائة كيلو متر للقطار الياباني الذي يطلقون عليه « الرصاصة » وما بالك بسرعة الطائرة والصاروخ والقمر الصناعي الذي يدور دورة كاملة حول الكرة الأرضية في ساعتين بل وأقل من ذلك ، ألا يدل هذا على أن حمار الدجال هو وسيلة إنتقال ذات تقنيات متقدمة ؟! بلى وهذا التصوير النبوي للسرعات المتباينة لوسائل الركوب الحديثة في أعلى درجات البلاغة وقمة البيان ، لأن الراكب لأى وسيلة يرى الأرض تحته تطوى طي فروة الكبش في جزء من الثانية سواءاً كانت الوسيلة قطاراً أم طائرة والفارق ليس في الزمن وإنما في مساحة الأرض المرئية ، لأن راكب الطائرة يرى المطوى من الأرض مئات الأمتار وراكب القمر الصناعي يراه مئات الأميال في الثانية تطوى كطي فروة الكبش فما يصدق على لفظ الأرض في الحديث هو البقعة الممتدة أمام نظر المسافر الذي يطل من نافذة الوسيلة أيا كانت إذ لا تلبث في أقل من ثانية أن تصبح خلفه كما تُصبح فروة الكبش خلف طاويها بيده .

لكن ثم يوجد اليوم الذين يصرون على المدلول اللغوى الحرفي للآية أو لفظ الحديث فيقولون : إذا كان الحديث قد ذكر حمارا عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً فيجب أن

تثبته ولا نؤوله بمدلول مخالف ، لأن الحمار فى اللغة هو هذا الكائن الحى ذو الأذْنين الطويلتين المستخدم فى الركوب ، ومن ثم لا مناص أن نثبت للدجال حماراً حقيقياً من لحم وعظم ولكن بهذا الحجم الكبير .

أقول لأصحاب هذا الفهم : ليس ما يمنع أن يكون فهمكم صحيحاً كما أنه ليس ما يمنع أن يكون الفهم السابق عرضه عن حمار الدجال بمركبة انتقال تقنية صناعية صحيحاً أيضاً .

كيف إذاً يكون كل منهما صحيحاً رغم الاختلاف الواضح بينهما ؟ يكمن التوفيق بين المدلولين فى فهم حقيقة الجبت التى هى علم وسحر ممتزجان .

فما الذى يمنع أن يكون لدى الدجال من أساليب العمل الجبتى ما يجعله يظهر أمام الناس راكباً حماراً عظيماً بهذا الحجم . وإذا علمنا – كما سنثبت هذا بعد – أنه السامرى الذى ألقى فأخرج عجلاً جسداً حياً له خوار ، بما إلتقطه من أثر جبريل عليه السلام ، فما الذى يمنع أن يخرج على الناس بهذا الحمار الكبير الحجم إذ يزعم لهم أنه المسيح الذى كان على الأرض منذ أكثر من الفى عام راكباً حماراً مدعياً أنه ابن الإله خداعاً لمن يؤمنون بهذه العقيدة من الصليبيين ، ثم يثنّى بعد هذا بأنه الإله حين يخرج متوحداً مع إبليس الجنى أى فى الحالة الطاغوتية ؟! ليس ما يمنع من تصور حدوث هذا منه بالقوى الجبتية التى يخفيها ، والتى هى مزيج من السحر والتقنية ، وعلى هذا فالاحتمالان قائمان وقابلان للحدوث ، ولن يصير إحتمال أن يكون حمار الدجال مركوباً تقنياً صناعياً متقدماً أرجح من إحتمال كونه حماراً ضخماً ، والعكس صحيح ، فليس لزاعم أن يزعم صحة أحدهما وبطلان الآخر ، إلا بعد أن يخرج الدجال ويراه راكباً هذا الحمار أو ذاك المركوب . ومن ثم يكون الخوض فى هذه المسألة لترجيح أحد الإحتمالْين على الآخر مضيعة للوقت ، ولا تستحق المداد الذى يكتب به ، وإنما يكون من الخطأ رفض أحد الاحتمالين أو تسفيه أحد القولين ، وسواء كان هذا أو ذاك فهو من جبتيات الدجال .

- قتل الرجل وإحياؤه أخطر جبتيات الدجال :

فالذى تصل أفعاله الطاغوتية إلى الحد الذى يقتل فيه رجلاً أمام الأعين ثم يحييه هو على ما دون هذا الفعل أقدر ، فمن جبتياته لعنه الله ما رواه الشيخان وعبد الرزاق فى مصنفه والامام أحمد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثا طويلاً عن الدجال ، فكان فيما حدثنا ، قال « يأتى الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب [1] المدينة فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس (أو من خير الناس) فيقول له : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله حديثه ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته ، أتشكّون فى الأمر ؟ فيقولون لا . قال فيقتله ثم يحييه ، فيقول حين يحييه : والله ، ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن . قال : فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه » .

هذا عمل جبتى وليس سحرا فقط وليس تكنولوجيا فقط ، والدليل على هذا أن قتل الرجل تم ولم يتم . كيف ذاك ؟

الدليل على أنه لم يرد قتله حقيقة فى الأولى أنه لم يستطيع قتله فى الثانية بدليل قوله ﷺ فى نهاية هذه الرواية)(فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلط عليه) إذاً هو لم يرد قتله حقيقة فيما رآه الناس من قبل ، وإنما الذى حدث أنه فعل هذا أمام الناس من حوله ، لما فاجأه هذا الرجل المؤمن بفضح سره أمامهم ، بإخبارهم بأنه الدجال ، لما قالها له فى وجهه ، فلم يكن أمام الدجال لنفى هذا الوصف عن نفسه إنقاذاً لملكه ، ومحافظة على أتباعه إلاّ أن يلقى بأقوى ما عنده من الجبتيات وهو القتل ثم الإحياء ،

---

(١) نقاب : جمع نقب وهو النفق أو الطريق المفتوح بالتقنيات الحديثة بين جبلين وورود أخبار أنفاق مكة والمدينة فى الأحاديث عن الدجال إعجاز نبوى من ناحية ودليل على قرب خروج الدجال الأخير من ناحية أخرى ، لأن هذه الأنقاب (الانفاق) لم تُشق فيهما إلا خلال العشرين عام الأخيرة من القرن العشرين الميلادى .

وحيث أن الأحياء لا يقدر عليه إلا الله عز وجل بأدلة النقل والعقل والعلم ، وحيث يزعم الدجال أنه المسيح ، ثم يزعم أنه الله حسب عقيدة النصارى القائلة أن الابن والأب والروح القدس كائن واحد ، وحيث من الثابت عند النصارى أن المسيح عليه السلام قد أحيا الموتى بإذن الله تعالى ومن ثم لم يكن مناص أمام الدجال نفياً لوصمة الدجل والدجالية عن نفسه إلا أن يميت ويحى ، كما حدث هذا من المسيح بن مريم عليهما السلام ، لكى يثبت صحة زعمه بأنه هو المسيح .

فهل هذا الذى سيحدثه بمؤمن المدينة قتلا حقيقياً ثم إحياءاً حقيقياً ؟ لا والله الذى لا إله إلا هو ، الذى لا يحيى ولا يميت ولا يحيى ولا يحى حقيقة إلا هو ، وما أحيا المسيح الموتى بحوله وقوته ، وإنما الذى أحيا هو الله تعالى ، فهو الذى جعل هذا الإحياء آية تجرى على يده لاثبات صدق نبوته ، فعلق سبحانه عودة حياة الميت فى قبره على نداء المسيح عليه الصلاة والسلام له ، ولكن ما أعاد المسيح الحياة إلى الميت بحوله وقوته وإنما عادت له الحياة بحول الله وقوته ملبية أمر الله لها ، إذ أمرها أن تعود إليه حين ينادى المسيح عليه من خارج قبره .

فهل يجوز الاعتقاد بأن الله تعالى سيفعل مع الدجال مثل ما فعل سبحانه مع المسيح عليه الصلاة والسلام ؟! الاجابة : لا يجوز أن يعتقد المسلم هذا ، لأنه لو كانت الاجابة بالإيجاب لما صدق وصفُ الدّجَلِ على هذا الابليس الجبتى ، لأن كونه دجالاً يثبت كونه كذاباً غشاشاً مخادعاً مخاتلاً مراوغاً محتالاً أفاقاً ، فهل مَنْ كانت هذه صفاته ومَنْ أطلق عليه الصادق المصدوق سيدنا محمد ﷺ اسم الدجال يكون صادقاً فيما يزعم ؟!

حاشا وكلا ، إن الدجال لم يرد فى الأولى قتل مؤمن المدينة ، وإنما أراد أن يُرى أتباعه قتله وإحياءه ، وليس من اللازم لمن كان جبتياً متسلحاً بالوسائل العلمية التقنية الممتزجة بالأساليب السحرية الخفية ، لكى يرى أتباعه قتل رجل وإحياءه ، أن يكون

القتل حقيقياً ، وبالتالى ليس من اللازم أن يكون الإحياء حقيقياً ، إذ ما عنده من الجبت يُمكّنه من أن يريهم قتله ثم إحياءه دون قتل حقيقى وإحياء حقيقى ، فإذا ما رأى الاتباع هذا مخدوعين بهذا الدجل الجبتى إستمر إيمانهم بأن الدجال هو ربهم ، ولكن لماذا سيقوم الرجل ويقول ما يبعث على الشك فى ربوبيته ثانية ، وهو قوله (والله ما كنتُ فيك قط أشد بصيرة منى الآن) الإجابة : لأنه صار على يقين أكثر بدجله ، إذ علم أنه لم يقتله حقيقة ، ولم يحييه حقيقة ، وإن كان أتباعه قد رأوا قتله وإحياءه وليس من المستبعد أنه هو أيضاً رأى منظر قتله وإحيائه الذى رآه الناس فعلم يقيناً أنه الدجال .

ومن ثم لما أراد الدجال بعد ذلك أن يقتله حقيقة محافظة على سره الذى أدركه هذا الرجل المؤمن لن يسلطه الله عليه وسيعجز عن قتله ، وهذا دليل على أنه لم يقتله فى الأولى وبالتالى لم يُحْيه

ويوضح لناهذا ويؤكده رواية مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح ، مسالح الدجال ، فيقولون له : أين تعمد ؟ أعمد إلى الذى خرج قال : فيقولون له : أوما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربنا خفاءفيقولون : إقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ؟ » قال : فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ قال فيأمر الدجال به ، فيشج فيقول : خذوه وشجوه . فيوسع ظهره وبطنه ضرْباً قال : فيقول : أوما تؤمن بى ؟ قال : فيقول أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه . قال : ثم يمشى الدجال بين القطعتيْن ثم يقول له : قم فيستوى قائماً قال : ثم يقول له أتؤمن بى ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ، قال : ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس . قال : فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجعل ما بين رقبته

إلى تُرقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً ، قال : فيؤخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما أُلقى فى الجنة . فقال رسول الله ﷺ هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين) والتفصيل الزائد فى هذه الرواية عن السابقة يتمثل فى التالى :

١ – ذكر مسالح الدجال أى نقاط أو مراكز الحراسة المسلحة فى حرسه الخاص أو جنوده حول المدينة .

٢ – إذا رأى المؤمن الدجال نادى فى الناس : يا أيها الناس (هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ من غير أن يقول له أو يسمع منه ، أى أنه بمجرد أن يراه يعرفه ، بناء على وصفه الوارد إلينا فى السنة الصحيحة ، وهو وصف دقيق للدجال من أول شعر رأسه إلى قدميه ، يدل على هذا قول المؤمن (هذا الدجال الذى ذكر رسول الله ﷺ) أى ذكره لنا وصفاً دقيقاً طابق ما عليه هذا الذى يزعم أنه رب الناس .

٣ – لا يأمر الدجال بقتله على الفور وإنما يأمر بضربه لعله يؤمن به فيرفض المؤمن طلبه قائلاً له (أنت المسيح الكذاب) ولوصفه بالكذب هنا مغزى ، وان كان الكذب والدجل صنوين متلازمين ، أما المغزى لأن الزمان سيكون زمان إنتظار النّصارى لنزول المسيح عليه السلام من السماء ، ومن ثم يستغل الدجال هذا الاعتقاد ويزعم أول خروجه أنه المسيح النازل من السماء فيكون الرد عليه أنه المسيح الكاذب ، أى الذى يزعم كذباً أنه المسيح بن مريم ، وهذا يدل على صحة ما انتهى إليه المحققون من أهل العلم بأن اسمه المسيح الدجال وليس المسيخ الدجال (بالمعجمة) كما رجح البعض خطأ ، لأن العبرة فى الاسماء ليست بمطابقة الاسم على حقيقة المسمى ، وإنما العبرة فى الأسماء بدلالتها الاسمية العَلَميَّة على المسمى ، لأن اسم الشئ علم عليه حتى لو خالف معنى الاسم ما عليه المسمى ، فكم من ضعيف أو جبان اسمه أسد ، فالاسم

الذى سيطلقه الاعلام زمن خروج الدجال للدلالة عليه هو المسيح فقط ، وهذا بديهى نتيجة سيطرته على هذه الأجهزة فى أكثر الأرض ، ومن ثم سماه رسول الله ﷺ بالاسم الذى سيعلن هو به عن نفسه ، زاعماً أنه المسيح ، سواء قصد من هذا الزّعم أنه المسيح بن مريم ، حتى يضمن عبادة النصارى له ، إذا هم صدقوا أنه كما يزعم ، أو قصد أنه المسيح بمعنى المخلص للناس من حروبهم وتطاحنهم ونزاعاتهم وذنوبهم ، وأيّا كان مقصده ، فهو سيُعرف باسم المسيح ، لذا تحدث عنه النبى ﷺ بنفس الاسم الْعَلَمى عليه فى زمانه ، مع إضافة صفة الدجل إليه للفصل والتمييز بينه وبين المسيح عيسى بن مريم الذى هو مسيح الهدى والحق ، ومن ثم لزم أن ننبه إلى أن اسمه « المسيح » وليس « المسيخ » بالمعجمة لأن هذا هو ما سيطلق عليه إعلامياً عند ظهوره ، ويبقى بعد هذا وصفه الدقيق الوارد إلينا فى السنة الذى نميز به بين المسيحيْن المرتقب ظهورهما فى العقود القريبة التالية : المسيح الصادق الحق مسيح الهدى ، والمسيح الكاذب الدجال مسيح الضلالة ، وأهم صفات الكاذب أنه أعور يسير فى الأرض . أما مسيح الهدى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام فسينزل من السماء ويراه الناس بين مهرودتيْن واضعاً يديه على جناحى ملكين ، وليس هذا للدجال بأى سبيل لا تقنى ولا سحرى .

٤ – الجديد أيضاً فى هذه الرواية شق الرجل نصفين وسير الدجال بينهما ثم ضم الشقين ودعوته فيقوم حياً وهى طريقة للقتل مقصود منها منع أى ذرة شك فى حدوث الموت وإنتهاء حياته ، فهى أسلوب قتل إستعراضى ، وهذا هو الذى يؤكد أنه قتْلٌ جبتى : سحر مع تقنيات متقدمة ، أو العكس .

والدليل على هذا الساحر الأمريكى الشهير « دافيدكوبرفيلد » ، وقد عرضت له قنوات التليفزيون العالمية والعربية بعض أفلام مسجلة له على المسرح أمام الجمهور ، وحيث أن آلات التصوير الاليكترونية (الكاميرات) بأنواعها تستقبل من الأشياء والأحداث المصورة الموجات الصادرة منها تماماً كما تستقبل العين البشرية هذه الموجات

، فإن ما يراه الجمهور فى المسرح تسجله الكاميرات الالكترونية ، والذى يهمنا من كل جبتيات دافيد كوبرفيلد هو تمرير منشار كهربائى على جسده عند منطقة الوسط بينما هو مكبل إلى الكرسى بالحبال فلما إلتقى المنشار بجسده تفجر الدم ، الأمر الذى جعل الحاضرين فى قاعة المسرح يصرخون موقنين بشطر الرجل المقيد نصفين ، ولكن ما هى إلا لحظات فيعود المنشار بعيداً عنه ويقف المقسوم من وسطه معافاً سليماً لا نشر ولا دماء.

ما هذا ؟ هل هو سحر أم هل هو تقنيات صناعية متقدمة ؟! أيا كان هذا أو ذاك فهو جبت . أحدهما أو كلاهما معا . لكن كونه من الجبتيات يعنى أمراً واحداً مؤكّداً هو أن الرجل لم يشق نصفين – أقصد دافيدكوبرفيلد – وإن كان الذى رآه الناس وسجلته الكاميرا هو شقه من منتصف جسده عند الخصر بالمنشار الكهربائى الدوار شديد السرعة .

وكذلك ما فعله من إخفاء تمثال الحرية وكذلك إخفاء المكوك الفضائى من أمام أعين الناس كان شيئاً ضخماً هائلاً موجوداً وفى لحظات لم يعد موجوداً ، وبعدها بدقائق صار كما كان فى مكانه ، وهذا وذاك ليس سوى أجهزة بصرية متقدمة جداً يمكن لمالكها أن يسلطها على أى شئ فتمنع هذه الأجهزة الموجات الضوئية الصادرة من الشئ إلى الأعين أو إلى عدسات التصوير التى لا تصور ولا تسجل أى صورة إلا بتلقى الموجات الضوئية من الشئ المراد تصويره فتبديد هذه الموجات يمنع رؤية الشئ ، فإذا علمنا أن السحر لعب يلعبه السحرة بمخيلة المسحورين ، حتى ولو كانوا آلافاً مؤلفة من المصريين المحشورين يوم الزينة ضحى فى منشأة كاستاد كرة القدم مثلاً ، لقد حدث الفعل الجبتى الذى أوجس فى نفسه خيفة موسى عليه الصلاة والسلام منه ، أفلا يلعب الدجال بمخيلة الناس بما أوتى من تآزر وتعاون بين أعمال الشياطين والأبالسة الخفية من جانب وبين علماء من البشر وتقنيّين وفنيين ومخترعين فى عصر الالكترونيات والفضاء والكمبيوتر من جانب آخر ؟!

جنة الدجال وناره من إنتاجه الجبتي أيضاً :

فما قصة جنة الدجال وناره .هل هما جنة حقيقية ونار حقيقية ؟ الحق أنهما جبتيتان والدليل على هذا قوله ﷺ (فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما أُلقى إلى الجنة) لأن ناره جنّة ولكن الناس يرونْها ناراً وجنته نار ، ولكن الناس يرونها جنة ، لذا قال المصطفى الصادق المصدوق ﷺ (فيحسب الناس أنما قذفه فى النار) فهم يحسبون بخلاف الحقيقة ، وتلك هى الصبغة الجبتية التى يرى من خلالها الناس شيئاً والحقيقة أو الواقع شئ آخر . وهذا ما يطابق الدجل مبنى ومعنى ، مفهوماً وما صدق ويطابق هذا ما رواه مسلم وابن ماجه والإمام أحمد من حديث حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (الدجال أعور العين اليسرى ، جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار) وروى البزار والطبرانى بسنده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (ما من نبى إلا وقد حذر أمته الدجال وأنا أحذركم الدجال : إنه أعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه الكاتب وغير الكاتب ، معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار) .

فما تكون الجنة الدجالية التى هى نار والنار الدجالية التى هى جنة ؟ إن ما يعرضه للناس إذن عكس حقيقته تماماً ، هل المقصود بهذا التعبير النبّوى أنه يصاحبه فى عصره تقدم فى البناء والعمران والحدائق والديكور والتحكم فى درجات حرارة جو الأبنية بالتكييف والتدفئة وحسن الأثاث وجمال المنظر والوسائل التقنية فى الإمتاع الحسى بالفنون والشهوات بما يعرف الآن بالقرى السياحية وتقنيات السياحة الإنتقالية والمبيتيّة بأنظمة الفندقة ذات المستويات النجومية المتعددة ، حتى صار الذى يعيش فى هذه الأجواء ، التى هى من حصيلة العلوم والتقنيات المعاصرة ، والتى هيأتها هذه الحضارة الجبتية لأصحاب الثروات فانغمسوا فى المتاع الذى يشبه السحر الأمر الذى أغرقهم فى الشهوات

(١) ابن فارس / معجم مقاييس اللغة مجلد ١ / ص ٥٠٠

(٢) ابن منظور / لسان العرب / مجلد ١ ص ٥٣٤

والمحرمات المؤدية إلى النار ، فتكون هذه الجبتيات التى معه ناراً بمعنى التى هى مصاحبة لعصره من نتائج توجيهاته الطاغوتية وهى فى حقيقتها نار فى الآخرة أى مؤدية إليها .

وفى نفس الوقت يصاحب الدجال وبفعله وبتخطيطه مؤامرات المذابح للشعوب الإسلامية والافقار إلى حد التجويع ، ووصم المجاهدين بالارهاب الذى ينتهى بهم إلى السجون تحت أدوات وأجهزة التعذيب الشيطانية ، فتكون هذه نار الدجال التى تنتهى بالمبتلى بها الصابر عليها إلى الجنة ؟!

يدعم عندى هذا القول من غير أن يرجحه قوله ﷺ (معه جنة ونار) أى مع الدجال وهذا يثير سؤالاً : كيف تكون الجنة معه والنار معه ؟! ، هل هما معه أثناء سيره فى الأرض خلال الأربعين ليلة فقط ، إن المعية فى النص هنا تفيد المصاحبة الزمنية ؟!

على كل حال أقول : إن مصطلح الجبتية الذى لا يمنع هذا الاحتمال الأول باعتبار أن أنظمة السياحة والفندقة المتقدمة ونعيمها الحسى المعاصر هو من نتاج التقدم العلمى التقنى الفنى وهما من عناصر الجبت الرئيسية يدل على هذا أن السياحة الناجحة تقوم على مخالفة شرع الله بإباحة المحرمات جميعاً .

أما الإحتمال الثانى وهو القائل بأنه عند خروجه السافر وسط أتباعه من اليهود والنساء وأبناء الزنى سيكون معه بالضرورة الذى مع كل حاكم مستبد وطاغية متأله مستكبر فى كل زمان ومكان ، وأعنى بهذا ما يطلقون عليه إعلامياً العصا والجزرة ، أى الترهيب والترغيب ، وحيث أنه سيزعم أنه رب الناس ملك الناس إله الناس ، ومعلوم فى كل الكتب السماوية أن الله عز وجل سبحانه يثيب على الاحسان بالجنة ، ويجازى على الكفر والإساءة بالنار ، فليس ما يمنع أن يتخذ الطاغوت المتأله وخليفته فى الإنس الدجال جنة وناراً يثيب ويعاقب بهما إمعاناً فى الزعم بالربوبية .

ومن ثم يحتمل أيضاً أن تكون جنة الدجال وناره من الأعمال الجبتية التى سيحدثها ، فيعرضها على الناس بوسائل سحرية تقنية صناعية فى آن واحد ، أى جبتية ، وما أكثر

اللعب الحضارية بصرية كانت أم سمعية أم حركية أم إنشائية أم صناعية أم زراعية أم فنية أم رياضيـة ، وكل هذا يستـمتع به ويستـفيد به الذين يملكون ، والذين يملكون هم المستكبرون المتسلطون ، فهم يعيشون فى جنة الدجال الجبتية ، أما المستضعفون فى الأرض فهم شعوب المجاعات والحروب والمذابح والتخلف ساكنو الأكواخ والمقابر أهل لا إله إلا الله ، فليس لهم من الجبت والطاغوت بمقتضى بروتوكولات الإفساد الصهيونية إلا نار الدجال الجبتية الدنيوية .

أليست الحياة فى الأرض اليوم جنة لطبقة من البشر ولبعض الشعوب ، وهى فى نفس الوقت نار للطبقات المستضعفة ، ولأغلبية الشعوب الفقيرة النامية ؟ بلى ، ويدل على هذا ما رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم والذهبى عن سبيع بن خالد عن حذيفة رضى الله عنه قال (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر) وذكر الحديث إلى أن قال رسول الله ﷺ : (ثم يخرج الدجال قال : قلت فبم يجئ به معه ؟ قال : بنهر ، أو قال : ماء ونار ، فمن دخل نهره حط أجره ووجب وزره ، ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره) وهذا التعبير يوحى بأن النهر الذى سيدخله المفتونون بالدجال ليس نهر ماء ، وإنما هو نهر حياة ، أى وسائل الحياة الدجالية الجبتية الاقتصادية والسياسية والتربوية والعلمية الأكاديمية راضياً بها مدافعاً عنها بالرغم من مخالفتها جميعاً لشرع الله عز وجل ومحاربتها لدينه .

أما الذى يجاهد نهج الدجال الحياتى فى جميع مناحيه ويحاول إقامة شرع الله عز وجل بالسبل المشروعة ، فليس أمامه إلا الفتنة فيكون قابضاً على الجمر لتمسكه بدينه ، وحيث يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر فإن هذا يكون فى عصر الخروج الأول للدجال ، فيصيبه من أذى الطغاة ما يصيبه وتلك هى نار الدجال ، التى هى فى صدر المؤمن جنة من السكينة والطمأنينة ، وهى فى النهاية نجاة من العذاب والشقاء النفسى ، الذى يعانى منه أهل الحضارة الدجالية المادية المعاصرة .

إن دخول النهر يعنى إجتياز ممر أسباب الحياة الجاهلية الدجالية المتعددة . ورفض

دخوله والتعرض لناره هو عين الكفر بالطاغوت والإيمان بالله عز وجل ، ومن ثم يكون المؤمن فى جنة حقيقية من السكينة والطمأنينة والرضا .

ومع هذا لا يمنع هذا الفهم العام لجنة الدجال وناره أن يكون معه عند خروجه السافر جنّة ونار جبتيان .

فيا أيها المؤمنون بالله تعالى واحداً لا شريك له أحدا لا ند ولا كفؤ له ، الكافرون بالجبت والدجال والطاغوت لا تخشوا الالقاء فى ناره ، اتفلوا فى وجهه فإن القاكم فى ناره فستجدونها جنة ، واحذروا طاعته ، فإن جنته نار وتؤدى إلى الخلود فى النار معه والعياذ بالله تعالى .

والذى أراه – والله تعالى أعلم بمراده ومراد رسوله ﷺ – هو تطابق الدلالتين على نصوص الجنة والنار الدجاليتين ، أى جنة الترف الذى أتاحته الحضارة الغربية المادية التقنية المعاصرة وبخاصة الترف المطغى الذى مصدره المال الحرام وينفقه أصحابه فى الحرام ، ودلالة أحداث المجاعات والتخلف والحروب والمذابح والأمراض وفساد البيئة على ناره .

ثم مطابقة الدلالة الجبتية التقنية الصناعية السحرية على النصوص المخبرة عن جنته وناره أيضاً ، فتكون الدلالة الأولى معه فى خروجه وسيطرته وحكمه للأرض من خلف ستار باسم الشرعية الدولية والنظام العالمى الجديد وهذا هو الذى نعاصره اليوم ، فشعوب بنى الأصفر أمريكا وأوروبا يعيشون فى جنته والشعوب الإسلامية فى أفريقيا وآسيا وحتى فى أوربا يعيشون ناره المتمثلة فى المجاعات والأمراض والحروب حتى حروب الإبادة والاستئصال فى البوسنة والهرسك وكوسوفا والجزائر وكشمير والهند وأفغانستان وقبل هذا كله فى فلسطين .

ألم يكن قابيل وضيئاً أبيض أصفر الشعر أو أحمره هو وأخته لأنهما من حمل الجنة ، والدجال عند خروجه السافر سيراه الناس هجاناً أى أبيضاً مشرباً بالحمرة أحمر الشعر،

بينما كان هابيل وأخته - كما ورد في كتب التفسير - أسمرين ؟ وقد علل قابيل هذا الاختلاف بينه وبين أخيه بأنه أى هابيل من حمل الأرض ، في حين أنه أى قابيل وأخته من حمل السماء، فاستعلى بهذا الاختلاف في الأصل على أخيه ،كما استعلى إبليس على آدم بأصله النارى ؟

فلماذا في أكثر مراحل التاريخ البشرى كان الاستعلاء للأبيض والاستعباد والاستغلال للأسود ، ولا يستثنى من تاريخ البشرية كله إلا فترات ظهور الاسلام وغلبة المؤمنين على الأرض التي صار الأسود كالأبيض لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بالتقوى ؟! لقد أصبح هذا معلوماً من خلال حقائق الجبت والطاغوت والدجال الرهيبة .

لقد كتب أرسطو اليوناني عن شعوب أفريقيا بأنهم درجة أو حلقة وسطى بين الحيوان والانسان الذى هو الجنس الأوربي الأبيض هذا هو الفكر الطاغوتي الدجالي يسوقه على أقلام الفلاسفة وألسنتهم يناوئ به عقيدة التوحيد الخالصة .

فالجبت - كما قلنا - علم وسحر - يربط بينهما ما يطلقون عليه الفن ، وبخاصة ما ينحتونه من تماثيل وما يصورونه من وجوه وأجسام حيّة يتبارى هؤلاء المصورون من خلالها في الإبداع ، والله تعالى وحده هو بديع السماوات والأرض ، وهؤلاء يضاهئون فعل الله تعالى ويتطاولون - إستكباراً وتألها ليكونوا مبدعين خالقين - وحاشا لله الذى لا خالق ولا مبدع الا هو - ومن ثم سيكونون أشد الناس عذاباً يوم القيامة ، بمقتضى نيتهم فيما يصورون وينحتون ، وبمقتضى خدمتهم لأهداف الدجال ، حيث لا يتم جبته إلا بكثرة التماثيل وشيوع التصوير وإمتلاء الأرض بهذه المنتجات الخبيثة ، لأنها جميعاً هى مسكن شياطين الجن ، وبالتالى هى التى تسمح لهم بالتغلغل في حياة الانس : مناماً ويقظة ومأكلاً ومشرباً وملبساً وكذلك معاشرة بين الأزواج ، حتى شاركوا الناس في الأموال والأولاد ووعدوهم بأنواع من المتاع الحسى الزائل الذى يشقى ولا يسعد ، سواء في الدنيا أم الآخرة .

فجبتيات الدجال لا تتم إلا بالشياطين لأن كونها سحراً ممتزجاً بمصنوعات تقنية

يستلزم دوراً للشياطين الذين هم مصدر الجانب السحرى من هذه الجبتيات ، وهذا يقتضى تغلغل الشياطين فى حياة الناس ، ومن ثم استلزم هذا الاكثار من التماثيل فى الميادين ومن الصور فى البيوت والمحلات والفنادق وفى كل مكان ، وهذا هو الذى يدل عليه الحديث الذى رواه الطبرانى عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : أقبلت مع رسول الله ﷺ من العقيق ، حتى إذا كنا على الثنية التى يقال لها ثنية الحوض التى بالعقيق أومأ بيده قبل المشرق فقال : إنى لأنظر إلى مواقع عدو الله المسيح ، إنه يقبل حتى ينزل من كذا ، حتى يخرج إليه غوغاء الناس ، ما منْ نقب من أنقاب المدينة إلاّ عليه ملك أو ملكان يحرسانه ، معه صورتان صورة الجنة وصورة النار ، معه شياطين يُشَبِّهُون بالأموات يقولون للحى : تعرفنى ؟ أنا أخوك أو أبوك أو ذو قرابة منه ، ألَسْتُ قَدْ مُتُّ ؟ هذا ربنا فاتبعه ، فيقضى الله ما يشاء منه .

ويبعث الله رجلاً من المسلمين ، فيُسكته ويُبكّته ويقول : يا أيها الناس لا يغرنكم فإنه كذاب ، ويقول باطلاً ، وليس ربكم بأعور فيقول : هل أنت متبعى ؟ فيأبى ، فيشقه شقين ويعطى ذلك ، ويقول : أعيده لكم ، فيبعثه الله عز وجل أشد ما كان له تكذيباً وأشد له شتماً فيقول : أيها الناس إن ما رأيتم بلاء ابتليتم به وفتنة افتتنتم بها ، إن كان صادقاً فليعدنى مرة أخرى ، وإلا ، فهو كذاب ، فيأمر به إلى هذه النار ، وهى صورة الجنة ، فيخرج قبل الشام) . وفى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ألا أحدثكم عن الدجال ما حدث به نبى قومه إنه أعور وإنه يجئ معه بمثال الجنة والنار ، فالتى يقول إنها الجنة هى النار وإنى أنذركم به كما أنذر به نوح قومه).

والشاهد الذى نريده فى هذه الرواية (معه صورتان صورة الجنة وصورة النار) فهما إذاً مجرد صورتيْن إذاً ليستا إلا ما يجعل الناظر يرى أحداهما جنة والأخرى ناراً فى حين أن ما ترى جنة هى نار وما ترى نار هى جنة ، وليس هذا إلا بالجبت بحسب التفسير السابق له ، يؤكد هذا ما رواه الشيخان والإمام أحمد عن حذيفة رضى الله عنه عن

النبى ﷺ أنه قال فى الدجال (إن معه ماء ونارا فناره ماء بارد وماؤه نار ، فلا تهلكوا)

ومن جبتياته أيضاً إمطار المطر ومعلوم أنه لا ينزل الغيث إلا الله عز وجل ولكن هذا مطر والمطر غير الغيث الذى هو المطر الغزير الذى يغيث به الله البلاد والعباد وينبت به الكلأ ومن ثم يمكن تفسير إمطار الدجال المطر بما حدث على أيدى المجربين من العلماء من إنزال قطرات من الماء عن طريق الصعود بالطائرة ونفث عناصر خاصة فى صور غازية فى السحب البيضاء غير الممطرة فتمطر قطرات لا تسقى الحرث ولا تنبت العشب ، ودليل هذا ما رواه الإمام أحمد بأسانيد صحيحة على شرط الشيخين من حديث جنادة بن أبى أمية قال : أتيت رجلاً من أصحاب النبى ﷺ فقلت له حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فى الدجال ولا تحدثنى عن غيرك . وإن كان عندك صادقاً ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنذركم فتنة الدجال فليس من نبى إلا أنذره قومه أو أمته ، وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى ، وإنه يمطر المطر ، ولا ينبت الشجر ، وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ، ولا يسلط على غيرها ، وإنه معه جنة ونار ، ونهر ماء وجبل خبز ، وإن جنته نار وناره جنة ، وإنه يلبث فيكم أربعين صباحاً يرد فيها كل منهل إلا أربع مساجد : مسجد الحرام ومسجد المدينة والطور ومسجد الاقصى ، وإن شكّل عليكم أو شبه ، فإن الله عز وجل ليس بأعور)

فقوله (يمطر المطر ولا ينبت الشجر) [(١)] دليل على أنه المطر الصناعى التقنى الذى لا ينبت شجراً لقلته ولعدم تكراره لأنهم ما أنزلوه إلا على سبيل التجربة .

أما قوله (معه نهر ماء وجبل خبز) ، فهو يحتمل التفسيرين الأول : فى خروجه المعاصر حيث يسعى الدجال وبطانته اليهودية التى علت فى الأرض بالإفساد ويسعون اليوم لترسيخ هذا العلو بالسيطرة على مقدرات ومقومات حياة الشعوب وهى الأنهار بالسيطرة على منابعها بإقامة السدود والخزانات خلفها للتحكم فى دول المجرى ودول

(١) وسيلى حديث أو رواية أخرى تثبت إنبات العشب بمطره وليس الشجر .

المصب ، ويعمل على إشاعة المجاعات وإنصراف الأنظمة الحاكمة عن زراعة القمح ، بينما يزرعه في دولته أمريكا بوسائل تقنية حديثة على مساحات شاسعة بما يعرف بالرى المحورى ثم يصدر هذا القمح للمجتمعات الجائعة في سفن الشحن العظيمة التي هي جوارى في البحر كالأعلام – أى كالجبال لأن العلم في اللغة هو الجبل – فتنزل عبواته « بالأوناش » على الموانى وترص فتصير كالجبال ، وحتى مياه الشرب صارت تعبأ في زجاجات وعبوات أكبر وتصب من زجاجاتها إلى أفواه الناس كالأنهار ، وذلك بعد أن لوثت حضارته الصناعية الجبتية الأنهار فلم تعد صالحة للشرب .

هذا هو التفسير التقنى الصناعى لجبل الخبز ونهر الماء المصاحب لخروج الدجال غير السافر أى خروجه الأول المعاصر ، ولا يمنع أن يصحب معه في سيره في الأرض جبل خبز يوزع منه على من يؤمن به ، بعد أن يشيع المجاعة في الأرض ، ونهر ماء يسقى فيه المؤمنين به الكافرين بالله تعالى بعد أن يعم الأرض العطش نتيجة لمخططاته الإفسادية ، ومن ثم يظهر لنا جلياً أن كل ما يقدمه الدجال للناس من جبتياته الخبيثة ، إنما يقدمه لكي يثبت أنه يميت ويحيى ، وأنه يمنع ويعطى ، وأنه الذى يرزق الناس بالطعام والشراب لكي يقنعهم بأنه رب الناس . ومن ثم سيتبعه ويعبده كل صاحب عقيدة فاسدة في الربوبية والألوهية ممن يجيزون على الله تعالى الحلول في جسد آدمى ، وكذلك يتبعه هؤلاء الذين لا هم لهم من هذه الحياة الدنيا إلا الطعام والشراب ، ويتبعه العامة الغافلون الذين تخدعهم أعماله التقنية السحرية أى جبتياته الطاغوتية .

وذلك أن للدجال خروجين – كما وضّحناهما في الجزء الأول من هذه الموسوعة – الخروج الأول : هو الذى لا يكون فيه سافراً ولا معلناً عن نفسه ، وإنما هو يتمثل في سيطرته على الأرض وعلوه فيها من خلال السيطرة على القوى الكبرى الاقتصادية والعسكرية والسياسية والإعلامية .

والثاني : هو الذى مدته أربعون ليلة ويكون فيها ظاهراً مسفراً عن نفسه ، ومن إعجاز البيان النبوى أن الإخبار عن كل أعماله الجبتية بالنصوص الحديثية له تفسير مقبول

موافق للنص ومطابق له على خروجه الأول ، وله أيضاً تفسيره لنفس النص الموافق لخروجه الأخير السافر ، ولذا فلا يجوز أن نرفض أحدهما ونرجح الآخر ، ما دام الجمع بينهما جائزاً .

وهذا هو الذى أراه والله تعالى أعلم .

- خروج جيوش شياطين الجن مشاهدين لإضلال الناس من الأعمال الجبتية :

ومن جبتيات الدجال التي لا تكون إلا منه من خلال أساليبه الطاغوتية ما جاء في حديث سلمة بن الأكوع الأسبق في الذكر الذى جاء فيه (... معه شياطين يُشبَّهون بالأموات ، يقولون للحى : تعرفنى ؟ أنا أخوك أو أبوك أو ذو قرابة منه ، ألستُ قَدْ مُتُّ؟ هذا ربنا فاتبعه ، فيقضى الله ما يشاء ..) أى من الفتنة لهذا والنجاة لذاك .

وهكذا يُحى الدجال الموتى الأقرباء لقربهم بهذا الأسلوب الشيطانى عن طريق القرين الذى يتمثل ، حسب أوامر الطاغوت ، للناس فى صورة قريبهم المتوفى من قبل زاعمين أن هذا الأعور هو ربهم ، وهو الذى أحياهم ، فإذا رأى الرجل قريبه أمامه حياً يُرزق بعد موته بزمن ، وسمع نفس صوته وأخبره ببعض ما كان سراً بينهما تَلَبَّس عليه الأمر وصدَّق ووقع فى الفتنة المهلكة ، فتنة الدجال المخلدة فى النار والعياذ بالله

ومقدمة هذه الجبتية تحدث الآن فيما يعرف عند الناس بتحضير الأرواح عن طريق السلة أو أى طريق آخر وسؤال هذا الكائن الغيبى الذى يحضر عن أسرار بين المتوفى وبين قريبه ، فتأتى الإجابة صحيحة فيعتقد القريب أن هذا الكائن الغيبى الذى يخبر عن أسرار بين المتوفى وبين قريبه أن هذا الكائن الغيبى روح قريبه ، وهو قرينه الجنى الذى كان ملازماً له ويعلم عنه كل تفاصيل حياته .

ولقد روج بعض أعوان الدجال من شياطين الانس عن طريق الاعلام المقروء طريقه تحضير الجن القرين بالسلة باسم تحضير الروح ، افساداً لعقيدة المسلمين وتحضيراً لمرحلة

خروج الدجال الأخيرة حتى يصدقوا أن هؤلاء الذين يشبهون أقرباءهم الموتى هم أقرباؤهم قد أحياهم لهم ربهم الدجال.

ففتنة الدجال أو خروجه غير العلنى الجبتى المعاصر ما هو إلا تمهيد وإعداد لخروجه العلنى الطاغوتى الأخير ، كما أخبر بهذا الحديث الذى سبق ذكره .

ولقد قرب الحافظ ابن حجر من هذه الحقيقة الجبتية فذكر عناصرها الشيطانية الخفية وبطبيعة الحال لم يتصور العنصر التقنى الصناعى ، فلم يذكره لكنه مع هذا وضع الاحتمالين المذكورين آنفاً فقال رحمه الله فى كتابه فتح البارى شرحاً لقوله ﷺ (فناره ماء بارد وماؤه نار) : هذا كله يرجع إلى إختلاف المرئى بالنسبة إلى الرائى ،فإما أن يكون الدجال ساحراً ، فيُخيل الشئ بصورة عكسه ، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التى يسخرها الدجال ناراً وباطن النار جنة ، وهذا الراجح ، وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة وعن المحنة والنقمة بالنار ، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته ، يؤول أمره إلى دخول الآخرة ، وبالعكس ، ويحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة ، فيرى الناظر إلى ذلك من هشته النار فيظنها جنة وبالعكس) حقاً لقد تحيّر العلماء فى العصور الإسلامية السالفة فى أمر الدجال ، لكن بعد أن علمنا أن الجبت مزيج من السحر والتقنيات المتقدمة التى ليس لها نظير عند سائر البشر ، وضح لنا الأمر وزالت الدهشة وبطل التعجب وانكشف سره وإفتضح أمره

الكشف عن حقيقة الجبتيات الدجالية :

فما مع الدجال من خوارق خروجه الأول قبل الإسفار عن شخصه والثانى المصاحب للإسفار عن شخصه إما أن يكون مخترعات ومصنوعات تقنية متقدمة يُخفى على الناس أسرارها ، وإما أن يكون من قبيل السحر ومآزرة الشياطين له ، وإما أن يكون العمل الواحد منه أو معه أكثر تعقيداً وغرابة ، لأنه يكون مزيجاً من الإثنين معاً .

روى الإمام أحمد وابن خزيمة فى كتاب التوحيد والحاكم فى المستدرك مختصراً

وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال على شرط مسلم (عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم ، وله أربعون ليلة يسيحها فى الأرض ، اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً ، فيقول للناس : أنا ربكم ، وهو أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كفر ك ف ر مهجاة يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، يرد كل ماء منهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه وقامت الملائكة بأبوابهما .

ومعه جبال من خبز والناس فى جهد إلا من تبعه ، ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه نهر يقول : الجنة ، ونهر يقول النار ، فمن أدخل الذى يسميه النار فهو فى الجنة .

ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس ، ومعه فتنة عظيمة ، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفساً فيحييها فيما يرى الناس ، لا يسلط على غيرها من الناس ، ويقول يا أيها الناس ، هل يفعل مثل هذا إلا الرب عز وجل ؟

فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام ، فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ، ويجهدهم جهداً شديداً .

ثم ينزل عيسى بن مريم فينادى من السحر فيقول : يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ؟ فيقولون هذا رجل جنى ، فينطلقون ، فإذا هم بعيسى بن مريم ﷺ فتقام الصلاة ، فيقال له : تقدم يا روح الله ، فيقول : ليتقدم أمامكم فيصل بكم ، فإذا صلى صلاة الصّبح خرجوا إليه ، قال : فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح فى الماء ، فيمشى إليه ، فيقتله حتى إن الشجر والحجر ينادى يا روح الله هذا يهودى ، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله)

فانظر إلى هذه الرواية لقوله ﷺ (ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه) وقوله (ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس) أى مواجهة ومشافهة ، وقوله أيضاً (يأمر السماء تمطر

فيما يرى الناس) وقوله ﷺ (ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس) أليس فى هذا التعبير دلالة صريحة أنه يُحْدث هذا كله فيما يرى الناس أى أمام أعينهم فحسب ، ومن ثم فهو لا يحدث حقيقة وواقعاً ، تماماً كما أخفى دافيدكوبر فيلد تمثال الحرية أو المكوك الفضائى فيما يرى الناس ، ثم إذابه واقف فى مكانه كما كان لم ينتقل من مكانه مطلقاً وإنما كان الاختفاء فيما يرى الناس ، وكذلك شق المنشار الكهربائى لخصره كان فيما يرى الناس ، وفيما تلتقط « الكاميرا » وتسجل أشرطة الفيديو وليس حقيقة وواقعاً . وكذلك ليس أسهل بعد ذلك أن تمطر السماء فيما يرى الناس أيضاً .

تلك جميعاً من جبتيات الدجال .

إذاً فقتل الرجل وإحياؤه والجنة والنار وإنزال المطر ، وظهور الموتى لاقاربهم يزعمون أن الدجال ربهم وأنه أحياهم وجبل الخبز الذى يتحكم فيه ويصاحبه ونهر الماء الذى يمتلكه كل هذا ليس واقعاً وليس حقيقة وإنما هو من الجبت الذى إما أن يكون من عمل الشياطين : سحراً وكهانة وغيرهما ، وإما تقنيات متقدمة لم يسمع عنها الناس من قبل وإما مزيج من الإثنين معاً ، ومن ثم فإن من يسمع عن هذه الأعمال التى تجرى على يديه لأول وهلة ويظن أنها حقيقة يهولن شأن الدجال ويرتفع شخصه فى نفسه ، فما بالك بالنسبة لمن يراها ؟!

فإذا علم أنه يستخدم ذلك كله ليعبده الناس من دون الله لعنه المسلم واحتقره وخفض شأنه ، وهذا ما يدل عليه الحديث الطويل الذى تضمن أكثر جبتيات الدجال وهو حديث صحيح رواه مسلم وأبو داود مختصراً وابن ماجة والترمذى وقال عنه : هذا حديث غريب حسن صحيح ، وكذلك رواه الإمام أحمد عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ، ذات غداة ، فخفّض فيه ورفّع ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا . فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ، ذكرت الدجال غداة فخفّضْت فيه ورفّعت ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال غير الدجال أخوفنى عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج

ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم ، إنه شاب قطط ، عينه طافئة ، كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً : يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله : وما لبثه في الأرض ؟ قال : أربعون يوماً : يوم كسنة ويوم كشهر ، ويوم كجمعه ، وسائر أيامه كأيّامكم ، قلنا يا رسول الله ، فذلك اليوم الذى كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : أقدروا له قدره . قلنا يا رسول الله ، وما أسراعه فى الأرض ؟ قال : كالغيث إستدبرته الريح ، فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماءفتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر ، ثم يأتى القوم ، فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ، ليس بأيديهم شئ من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل ويَتَهَلَّلُ وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مَهْرُودَتَّين ، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلاّ مات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد ، فيقتله ، ثم يأتى عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة ، فبينما هو كذلك ، إذ أوحى الله إلى عيسى : أنى قد أخرجت عباداً لى لا يُدان لأحد بقتلاهم فحرّز عبادى إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويُحصر نبى الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النّغف فى رقابهم ، فيصبحون فرثى كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه

إلى الأرض ، فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت ، فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يدركها كالزلقة ، ثم يقال للأرض : انبتى ثمرتك وردى بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويبارك فى الرِّسل ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس ، واللقحة من البقر تكفى القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلمة ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة)

وما يهمنا الآن فى هذا الحديث ، الذى سنعود إليه مراراً عند الكلام عن الخروج الأخير العلنى للدجال ، هو قوله ﷺ عن سرعة الدجال (كالغيث استدبرته الريح) أى أنه كالعاصفة المحملة بالسحب الركامية التى تسوقها الريح السريعة أمامها ، وهذه سرعة الطائرات وبخاصة النفاثة ، لأن النفاثات تندفع برد فعل النيران المنبعثة من خلفها فتسبق الريح وتجعلها خلفها ، وهذا من الإعجاز النبوى الدال على صدق النبوة . وهذه من الجبتيات العلمية التقنية ، وهى جبتية بالنسبة للسابقين على عصر الطيران والصواريخ والفضاء الذين كانوا يظنون أنها من خوارق الدجال ، ولكنها لم تصبح جبتيه لأهل هذا العصر الذين يعلمون أنها صناعة تطبيقية لعلوم فيزيائية ، فهى ليست من الخوارق .

أما قوله ﷺ (فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت) [1] فكما قلنا من قبل ، إما أن يكون هذا المطر الصناعى فى خروجه الأول الحالى ، وإما أن يكون هذا من جبتياته المصاحبة لخروجه العلنى ، لكن الملاحظ أن الحديث السابق أثبت أن مطر الدجال لا ينبت الشجر ، وإنما ينبت العشب والقمح والشعير والذرة من النباتات العشبية وقد زرعوا

---

(١) النبات ليس شجرا ، إنما هو عشب أو قمح أو شعير أو أى نباتات عشبية أخرى ، وكلها تروى بالرى المحورى بخلاف الشجر .

منها فى العالم المتحضر وفى أمريكا بصفة خاصة ملايين الأفدنة بالرى المحورى الذى يتم به إسقاط المياه على الأرض المزروعة من أعلى بما يشبه المطر ، ومن ثم يمكن تفسير هذا النص بوسائل الرى بالرش بعامة والمحورى بخاصة ، ثم لما استغلوا هذه المحاصيل للإنتاج الحيوانى بتقنيات متقدمة ، توصلوا إلى أحجام فى التسمين ، لم تعرفها البشرية من قبل وإلى كميات فى إنتاج الألبان بلغت إلى أكثر من خمسين كيلو جرام فى المتوسط من اللبن تدرها ضروع البقرة الواحدة فى اليوم وهذا هو معنى قوله ﷺ عقب إخباره عن أمر الدجال بانبات الأرض (فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً) كناية عن زيادة حجمها وتوالدها (وأسبغه ضروعاً) أى لم تعرف البشرية ضروعا أكثر منها حليباً .

أليس هذا هو ما حدث من النمو والتقدم فى العالم الغربى فى مجال الانتاج الغذائى النباتى والحيوانى ومنتجات الألبان ؟! حتى كانت ولا زالت عند السوق الأوربية المشتركة التى تغطى الثلوج أكثر بلادها شتاء ، مشكلة أطلقوا عليها جبل الزبدة ، لأن كميات الزبدة المتراكمة فى ثلاجات أوروبا لو وضعت بعضها فوق بعض لصارت فى إرتفاع جبل الهملايا أعلى قمة جبلية على الأرض .

لكن مَنْ هم الذين ينعمون بهذه الوفرة الغذائية ؟ يقول الرسول ﷺ رداً على هذا السؤال (فيأتى القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء ، فتمطر ، والأرض فتنبت) .. الخ الحديث ، ومَنْ مِنَ الناس على وجه الأرض أعظم إستجابة للدجال وخضوعاً له ولبطانته الصهيونية أكثر من أمريكا وأوروبا ؟! ومَنْ مِنَ الناس أكثرهم وفرة فى المنتجات النباتية والحيوانية غير بنى الأصفر فى أمريكا وكندا وأوروبا ونيوزلندا وإستراليا ، على قدر إستجابتهم له يكون النمو الاقتصادى .

وهذا يستتبع سؤالاً آخر وهو : فما بال الشعوب التى لا تستجيب له ؟ يجيب رسول الله ﷺ بقوله (ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله) فينصرف عنهم فيصبحون مُمَحّلين ، ليس بأيديهم شئ من أموالهم) أليس هذا هو حال الشعوب الإسلامية مع

اختلاف قومياتهم ؟! إذ من المعلوم أن أشد الناس عداوة له هم المسلمون ، أنظمتهم تمنيهم بالخطط الخمسية والرخاء ولكن ، هيهات هيهات ، إلا أن يكفروا بالله تعالى ويؤمنوا بالطاغوت ، ويبيحوا الفاحشة على قارعة الطريق ، ويتدرجوا فى أنواعها وأشكالها حتى زنى المحارم ، كما هو حادث الآن فى أمريكا وأوربا ويخضعوا حكومات وشعوباً وجيوشاً وجامعات وثقافة وإعلاماً أى قلباً وقالباً لليهود ، ويعلنوا العلمانية والإلحاد والتطاول على ذات الخالق سبحانه وعلى أنبيائه ﷺ جميعاً ، بكتب منشورة ومحروسة بقوة الدول باسم حرية الفكر والنشر (المجرم سلمان رشدى) فإذا ما كتب أحد المفكرين ما يكذب زعماً كاذباً تاريخياً لليهود عن عدد قتلى اليهود فى عهد هتلر (المفكر رجاء جارودى) حاكموه واضعين قيمة حرية الفكر والنشر تحت الأقدام ، صدقتَ يا رسول الله بأبى أنت وأمى ،ما نطقت عن الهوى ، لقد إستجاب بنو الأصفر للدجال فكرا وعقيدة وثقافة وأخلاقاً فعاشوا فى وفرة الطعام والشراب .

أما المسلمون الذى رفضوا النهج الطاغوتى الدجالى للحياة النجسة فقد صار محكوما عليهم أن يعيشوا ممحلين ، أى تحت خط الفقر .

ولكن أليس الله عز وجل قد منّ على أهل الجزيرة والخليج بالبترول ، فصاروا أغنياء ؟ بلى والله ، ولكن الشعوب تقاوم علمانية الدجال وإلحاده ومخططات التطبيع مع إسرائيل ، ومن ثم وضع الخطط التى تسلب منهم أموالهم ، وهذا هو ما حدث خلال العقد الأخير من القرن العشرين حتى صارت دول البترول الغنية تقترض .

أين أموالهم التى كانت كالجبال ؟ يجيب رسول الله ﷺ (فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم) أى حتى ما كان فى أيديهم من مال سُحب منهم .

وما الذى يمنع المسلمين أن ينهضوا بالزراعة والصناعة والتجارة بخطط مدروسة فيصيروا أغنياء مثل أهل أوربا وأمريكا واليابان وغيرهم ؟ مقاله خبيثة يرددها الغافلون أنصاف المتعلمين المسيطرون على الإعلام والفكر والثقافة فى بلاد الاسلام ، وهى أن العيب فينا وليس فى اليهود أو أمريكا أو أوربا ، لو أردنا أن ننهض إقتصادياً لنهضنا

ولصرنا مثل اليابان ، فلا تلوموا غيركم ، ولوموا أنفسكم ، لكن حديث رسول الله ﷺ الصحيح يكشف العلة عن فقر الفقراء فى الأرض وعن علة غنى الأغنياء ، وهى أن الأغنياءعبدوا الدجال من دون الله والفقراء رفضوا عبادته ، فأصبحوا ممحلين نتيجة المخططات الدجالية العاملة على إحباط مخططات التنمية عندهم من ناحية ، ولسلب أموالهم التى مصدرها الثروات الطبيعية كالبترول من ناحية أخرى .

لقد نهضت بعض الشعوب الإسلامية بخطط تنموية صناعية ناجحة ، وبدأوا يشقون الطريق نحو الرخاء مثل ماليزيا وأندونيسيا فجاءتهم الضربة القاصمة التى سحبت منهم ثمرة عشرين عاماً من التنمية والجهد والكفاح فعادوا كما كانوا .

إن أمثال هؤلاء تناسوا أن الاقتصاد المحلى لأى دولة صار مرتبطاً - بفعل الدجال ومخططات خبثاء صهيون - بعجلة الاقتصاد العالمى التى يملك مفاتيح تشغيلها اليهود بقيادة الدجال ، ومن ثم يوزعون الرخاء على الشعوب بمقتضى طاعة هذه الشعوب وإستجابتها لمخططاته وأوامره ، كما أخبرنا رسول الله ﷺ ، بل يصل أمر تحكمهم لدرجة سحب ثروات الشعوب منها من خلال أنظمة العملات الورقية والبورصات العالمية والمحلية والربا وغير ذلك من وسائل أكل أموال الناس بالباطل.

أفلا يحق لنا بعد هذا أن نقول أن هذا الجزءمن الحديث قد تحقق وتعيشه البشرية اليوم ؟! وأن هذا يدل على ما سبق أن قررناه من أن الدجال قد خرج الآن خروجه الأول غير السافر بالسيطرة على مقدرات الأرض من خلال علو إقتصادى سياسى عسكرى إعلامى ثقافى خلقى ؟ بلى ، وليس أدل على هذا من فقر المسلمين وضعفهم والمذابح الجارية عليهم ، والمجاعات المسلطة عليهم ، وعقوبات العراق التى ليس لها مثيل فى التاريخ شاهد على ذلك ، ولن يشفع عند أمريكا التى هى ذراع الدجال القوية موت مليون طفل عراقى بسبب الحصار ، ولابد من إسقاط النظام الذى تحداه وقال : لا سأحتفظ بجيش قوى أدافع به عن نفسى ضد جيش إسرائيل العدو . ولا بد أن تُشن على العراق قريباً معركة يخرج فيها الدجال بالجيوش الأمريكية البريطانية التركية من خلة

بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالاً ليقضى الله أمراً كان مفعولاً [1]، كل هذا لأن العراق قال : لا لن ألقى سلاحي فأين حقوق الانسان وحق تقرير المصير ومبادئ الأمم المتحدة ؟! لتذهب إلى الجحيم .

الذهب رأس جبتيات الدجال :

قوله ﷺ (ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل) وهذا النص يمكن فهمه من خلال تفسير تقنى معاصر ، ويمكن فهمه من خلال تفسير جبتى يصاحبه فى خروجه المعلن السافر . ، وليس ما يمنع أن ينطبق النص على الإثنين .

أما بالنسبة للتفسير التقنى الصناعى المعاصر فهو ينطبق على آبار البترول ، التى هى كنوز من الذهب الأسود لم تعرف البشرية فى تاريخها كنوزاً أثمن منها ، وقد ثبت أن أكثر آبار البترول تستخرج من القفار ، فهى أراضى خربة يمر أهل الحضارة الغربية الذين جاء وصفهم فى الأحاديث بأنهم شرار الخلق وينقبون بوسائلهم التقنية البترولية فتخرج وتسيل أنهاراً فى الأنابيب وتنقل إلى بلادهم ، والتشبيه بيعاسيب النحل يفيد ذهاب هذه الكنوز خلف الدجال ، أى خلف البلاد التى يسيطر بها على الأرض ، وهى أمريكا وأوروبا وملحقاتها ، وهذا هو الحادث الآن لأن أكثر البلاد إستهلاكاً للبترول هم بنو الأصفر هؤلاء الذين هم أكثر إستجابة وإيماناً وتنفيذاً لمخططاته وسواء أكان المقصود بالكنوز المواد البترولية أم أموال البترول فكلها تتبعه ، ألم تكن فوائض هذه الأموال فى بنوكه الأمريكية ثم استولى عليها ثمناً لإستيلاء قواته على بلاد المسلمين وبخاصة السعودية والكويت ؟! .

أما المعنى الجبتى فهو المعنى النصّى الذى يكون من شأنه أن الدجال يمر خلال الأربعين يوماً على الخربة أى المكان غير العامر ، الذى سبق وأن كان عامراً ثم أصابه

---

(١) سبق شرح هذا الحديث بكتاب النبوى للمؤلف

الخراب ولم يعد عامراً . ، وهذا يفيد أنه مكان أثرى ، ومن ثم فالمقصود أنه سيمر على أماكن أثرية بعينها ، يعلم هو ـ بمقتضى ما عنده من أسرار خلال مراحل حياته الممتدة عبر القرون ـ أن بهذه الخربة كنوزاً مدفونة ، ربما من آلاف ومئات السنين وبأسلوب جبتى شيطانى يدعو هذه الكنوز إلى الخروج من مخبئها فتخرج تتبعه طائرة كيعاسيب النحل .

وأغلب الظن أن هذه الخرابات المليئة بالكنوز هى الأماكن الأثرية فى أكثر بلاد العالم بعامة وفى مصر بخاصة ، إذ هى التى تحتوى أرضها على ربع آثار البشرية .

لقد عبد الفراعنة الذهب وطغت المادية عندهم على كل شئ ، حتى صار المال الذهبى صاحب القيمة الأعلى فى حياة المصرى ، ومن ثم حاول الفراعنة والمصريون القدماء التقليل من شأن موسى وهارون ، لأنهما لم يكونا يمتلكان ذهباً ، قال تعالى **﴿ ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خيرٌ من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يُبين فلولا أُلقى عليه أسْورة من ذهب أو جاءمعه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين فلما آسفونا أنتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾** « الزخرف / ٥١ / ٥٦ » وهكذا طلب فرعون من موسى لكى يؤمن به : إما أن تُـلَقَى عليه من السماء أسورة من ذهب أو يأتى بالملائكة ، وهذا يدل على أن إيمانهم بالذهب كان فى مستوى الإيمان بالغيب حتى أنه خيّره – كشرط للإيمان به – أن يأتى بأحدهما .

وبنو إسرائيل ، الذين خرجوا من مصر ، وقد تأثر كثير منهم بالثقافة الفرعونية وبالقيم الفرعونية المادية الطاغية على غيرها من القيم الخلقية والروحية والمعنوية ، استطاع الدجال الذى عاش بينهم ، وصنع لهم العجل من الذهب الذى أخذوه من المصريين ليلة خروجهم ، وفتن كثيراً منهم بالعجل ، فعبدوه فى غياب موسى عليه الصلاة والسلام ، أقول : إستطاع أن يجند منهم بطانة جبتية يؤمنون بالذهب إلهاً ورباً ومعبوداً

يسعون ، من خلال إكتنازه بالفساد ، إلى العلو فى الأرض ، ومن ثم نسب الله تعالى إلى الذين كفروا من بنى إسرائيل الإيمان بالجبت والطاغوت .

ولما كان رأس الجبت هو الإعلاءمن كل ما هو مادى على أى قيمة معنوية أو روحية بل إنكار هذه الأخيرة ، لذا فإن الذهب الذى كان العملة المالية المصرية المتداولة فى مصر وما حولها حينئذ هو مطلب كل يهودى منخرط فى الوسائل والأعمال والمخططات الجبتية الهادفة إلى علو بنى إسرائيل فى الأرض كلها ، من خلال الافساد لجميع أوجه ونشاطات الحياة الإنسانية ، وأولها الافساد الاقتصادى ، إذ بدأوا منذ هذا الزمن المبكر التخطيط لجمع أموال البشر جميعاً تحت أيديهم ، هؤلاء اليهود هم بطانة الدجال التى تعلمت منه الوسائل والأساليب والمناهج والأعمال الجبتية المفسدة فى الأرض تلك التى تصب جميعاً فى جمع الذهب والاستيلاء على أموال البشر بشتى أساليب أكل أموال الناس بالباطل.

لقد كان كفرة اليهود فى المدينة فى العهد النبوى على وعى بهذه الحقيقة الجبتية حتى أنهم كانوا يعيشونها ويزاولونها إيماناً منهم بأن امتلاك الذهب سيكون القوة الرئيسية والعامل الرئيسى لعودتهم لبيت المقدس ، وإقامة دولة إسرائيل ، بعد أن يسيطروا على أقوى دول العالم ، ويصير لهم العلو فى الأرض ، كما نصت على هذا آيات سورة الإسراء فيهود المدينة الذين رفضوا الإيمان بما أنزل على خاتم الرسل والنبيين سيدنا وسيد الخلق محمد ﷺ وحاربوه وحاولوا أن يغدروا به ويقتلوه فى خيبر ، فنصر الله تعالى رسوله ﷺ وجاء فيهم حكم الله بالخروج من ديارهم وحشرهم إلى الشام إشترطوا أخذ أموالهم وسمح لهم رسول الله ﷺ ، فخرجوا من ديارهم جبناء أذلاء ، لكنهم كانوا يتطاولون برقابهم مستكبرين ، مظهرين شعورهم بالرضى والفرح لا لشئ - رغم أنهم كانوا فى أشد حالات الذلة والهوان - إلا لأنهم حملوا معهم ذهبهم وأموالهم ، وما هذا إلا لأن إله المشرك ومعبوده هو أعز ما لديه ، فإذا لم يفقده ، فكأنه لم يصب بأمر ذا بال حتى ولو كان الإجلاء عن موطنه وأرضه وبيته ، وهذا هو الذى جعلهم يخرجون

متظاهرين بالنصر ، لأنهم كانوا قد انخرطوا في مخطط الدجال الجبتي الذي رأسه امتلاك مال البشرية بالإفساد ثم العلو من خلال هذا المال بامتلاك القوة العسكرية والسياسية والإعلامية ، فكانوا في هذه المرحلة مؤمنين بالمال والذهب إلهاً وبقيادة الدجال الجبتية رباً يحققون به العلو الافسادى ، ويحقق هو بهم ربوبيته في الأرض . ومن ثم أخبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿ **ألم تر إلى الذين كفروا من أهل الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاءأهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾ .

إن قصة امتلاك الشاب من بنى إسرائيل المال والدنيا ، ثم موته قبل أن يهنأ بما امتلك وجمع على مدى السنين ، تلك التي أوردناها بالجزء الرابع في الأمارات الاقتصادية هي قصة الدجال الذي هو إله يهود ، وملك يهود هو الجبت الذي يؤمن به اليهود ، ويجتمع مجلسهم الاعلى المكون من ثلاثة عشر عضوا ليتلقوا ما يأتيهم من تعاليم وبروتوكولات الطاغوت ، أى أنه هو الحلقة الوسطى بينهم وبين الطاغوت ، هذا المجلس هو بطانة الدجال أو المجلس التنفيذي للأعمال والأهداف الجبتية التي على رأسها جمع ذهب البشرية بالإفساد ، وجعله تحت أيديهم باعتباره الدعامة الأولى للعلو في الأرض .

لذا نقول إن مرور الدجال على الخربة ، فينادى على كنوزها فتتبعه ، يمكن أن يفسر بخطط التنمية للبلاد التي توافق الصهيونيةُ الحاكمةُ للأرض على تنميتها فيتحول الخراب والقفر إلى مصانع ومزارع وآبار بترول وتعدين ، ومن ثم يستخرج أهلها كنوزها فإذا ما صار عندهم فائض الانتاج في صورة عملات ورقية مرتبطة بالدولار ، عملة الدجال واليهود الرئيسية ، أو في صورة أسهم الشركات في البورصة ، أو في صورة سندات أو في صورة أرصدة في البنوك اليهودية أو غير ذلك من الصور المالية الجبتية المستحدثة ، فإن هذه الكنوز التي خرجت تكون بهذا قد ذهبت إلى الدجال بطريقة آلية كما يذهب اليعسوب خلف النحلة ، أليست أرصدة الدول وأموالها الاحتياطية في بنوك أمريكا ؟ وهي بالعملة الأمريكية التي يتحكم فيها اليهود بقيادة الدجال ؟ وهذه الأرصدة ليست إلا فوائض جهد الشعوب ؟ : بلى

إذاً فمن يزعم بعد ذلك أن كنوز الأرض الخارجة بالزراعة الحديثة والصناعة والتعدين والتجارة لم تذهب إلى مركز الدجال الاقتصادى فهو مخطئ .

ومن ثم يكون قوله ﷺ عن الدجال (ويمر بالخربة ، فيقول لها : أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل) قد تحقق وحدث .

ولنتساءل أين ذهبت فوائض أموال أندونيسيا وماليزيا وكوريا وغيرها من البلاد التى انهارت عملتها فضاع فى لحظة واحدة عرق شعوبها خلال أكثر من عشرين عاماً ؟

هذا التأويل لهذا النص النبوى الكريم واقع اليوم فى خروج الدجال المعاصر متمثلاً بوضوح فى الانظمة الاقتصادية والمالية الدجالية التى عمت البشرية والتى تتيح بسهولة ويسر إستيلاء الدجال واليهود على فوائض جهد الشعوب ومدخراتهم بسهولة ويسر مثل تتبع اليعاسيب للنحل ، فاليعاسيب فى هذا التشبيه هم الدجال وبطانته اليهودية والنحل يقابل عرق الشعوب وفوائض جهودهم ومدخراتهم حين تحول إلى بنوك اليهود .

ومع هذا فلا يمنع أن يحدث هذا مطابقاً مطابقة حرفية للصورة التى حملها النص فيمر الدجال فى خروجه الأخير العلنى على الخربة ، أى الموضع الأثرى ، الذى يعلم بأسلوبه الجبتى ، الذى يتعامل من خلاله هو وأتباعه مع الشياطين ، بأن فى الخربة كنز فرعونى مدفون وعليه حراسة من الشياطين مرصودين له بأساليب سحرية فرعونية قديمة ، تمنع من يقترب من الكنز ، مما عرفت آثاره بما أطلقوا عليه لعنة الفراعنة ، تلك التى راح ضحيتها كثير ممن تعبوا بحثاً عن الآثار أو الكنوز ، لكن الدجال بما لديه من جبتيات يمكنه أن يفك طلاسم هذه الحراسات الجنية بمقتضى التعاون الذى بين مملكته الشيطانية الإنسية ومملكة الشياطين الجنية ، ومن ثم تُخرج له الشياطين الجنية المرصودة على هذه الكنوز فتحملها وتسير خلفه ، فلا يرى الناس سوى كنوزاً تطير خلفه كما تطير اليعاسيب خلف النحلة ، وليس لهذه الظاهرة عندما تحدث إلا النهج الجبتى الذى هو سحر أو علم متقدم أو هما معاً .

أرأيت كيف أن النص النبوى الكريم ببيانه المعجز ، يصدق على حال الخروج المعاصر للدجال ، وعلى حال الخروج الاخير المسفر فيه عن شخصه معاً ؟!

تلك الجبتيات الدجالية التى سيُعَمِّم أعمالها للناس إيهاماً لهم بأنه رب الناس الذى ينزل المطر وينبت الكلأ ويبارك الماشية ويبسط الرزق لمن يطيعوه ويضيق الرزق على الذين يعصوه ، ويسبق الريح ويحى الموتى يحدثون أرحامهم ، بل أنه يميت الرجل ويشقه نصفين ثم يحييه ، وكل هذه الجبتيات ليثبت أنه رب الناس ملك الناس إله الناس ، مع أن هذه الأعمال كلها ليست حقيقية ، وإن ظن الناس عند عرضها عليهم أنها حقيقية ، وبمقتضى هذا الظن قال النواس راوى الحديث (فخفّض فيه ورفع) أىَ أن رسول الله ﷺ خفّض من شأن الدجال لما ذكره (دجالاً كذاباً أفّاقاً) ورفّع من شأنه لما ذكر أنه يفعل كذا وكذا من هذه الجبتيات ، فهال أمره بعض الصحابة وأصابهم الخوف منه حتى ظهر هذا على وجوههم ، إذ توقعوا أن عنده من القوى ما يمكن أن يخرج عليهم فى التو واللحظة من خلف النخل الذى يجلسون تحته ، فلما راحوا إلى النبى ﷺ عرف هذا الخوف فى وجوههم (فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفّضت ورفّعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال : غير الدجال أخوفنى عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم) وهكذا هوّن رسول الله ﷺ من شأنه ، وفى هذا إشارة إلى أن ما سمعتموه عن القتل والإحياء والامطار والانبات كلها أمور جبتية أى علمية أو سحرية أو هما معاً أى أن فى الأمر دجل ، ومن ثم فهو لهذا ولغيره ، يسمى الدجال .

يؤكد أن ما يفعله ليس بحقائق ولا واقع صحيح ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم فى المستدرك (عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه مما يبعث به من الشبهات) فهى إذاً شبهات وليست حقائق . ولكنها تبدو كأنها حقائق بالأساليب والوسائل الجبتية ، وحيث قد كان المسيح عيسى بن مريم ﷺ يبرئ الأكمه

والأبرص فى عصره الذى لم يكن الاطباء يعرفون لهذين الداءين علاجاً ، وحيث سيزعم الدجال عند خروجه العلنى الأخير أولاً أنه المسيح ثم يزعم أنه الله ، فإنه سيبرئ أيضاً الأكمه والأبْرص ، ليدلل على أنه المسيح الذى ينتظره الكتابيون جميعاً إمعاناً فى التضليل والخداع ، وهذا ما جاء فى حديث الطبراني فى الكبير والأوسط برجال ثقات عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال ، وقد قلت فيه قولاً لم يقله أحد قبلى : آدم جَعْد ممسوح عين اليسار ، على عينه ظفرة غليظة ، وإنه يبرئ الأكمه والأبرص ويقول : أنا ربكم ، فمن قال ربى الله فلا فتنة عليه ، ومن قال : أنت ربى فقد أفتتن ، يلبث فيكم ما شاء الله ، ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقاً بمحمد ﷺ على ملته إماما مهدياً وحكماً عدلاً فيقتل الدجال) فكان الحسن يقول : ونرى أن ذلك عند الساعة .

فإبراء الأكمه والأبرص سيكون بعلاج علمى يحتفظ هو بسره، ليبدو أمام الناس إعجازاً فهو إذاً من أعمال الجبت ما دام سر هذا الكشف العلمى مجهولاً ، لأنه يصبح بجهل الناس بسره شأنه شأن السحر وأعمال الشياطين الذين سيصيرون جنوداً للدجال عند خروجه العلنى لفتنة الناس بهذه الجبتيات التى يشاهد الناس نتائجها ، ولا يشاهدون أسبابها فيعتبرونها خوارق ومعجزات وآيات تدلل على صدق دعوة الدجال بالنبوة أولا ، ثم بالربوبية بعد ذلك .

يدل على هذا الحديث الذى رواه نعيم بن حماد فى الفتن وأورده صاحب كنز العمال كما أورده فى التويجرى فى « إتحاف الجماعة » وقوّى ضعفه ، عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود ، وأصناف الناس ، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ويُحييهم معه جبل من ثريد ونهر من ماء ، وإنى أنعت لكم نعته : إنه يخرج ممسوح العين ، فى جبهته مكتوب كافر ، يقرؤه كل من كان يحسن الكتاب ومن لا يحسن فجنته نار ، وناره جنة ، وهو المسيح

الكذاب ، ويتبعه من نساءاليهود ثلاثة عشر ألف أمرأة ، فرحم الله رجلاً منع سفيهه أن يتبعه ، والقوة عليه يومئذ بالقرآن ، فإن شأنه بلاء شديد ، يبعث الله الشياطين من مشارق الأرض ومغاربها ، فيقولون له : إستعن بنا على ما شئت فيقول : نعم : انطلقوا فاخبروا الناس أني ربهم ، وأني قد جئتهم بجنتي وناري ، فينطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان ، فيتمثلون له بصورة والده وولده وإخوته ومواليه ورفيقه ، فيقولون : يا فلان أتعرفنا ؟ فيقول لهم الرجل : نعم ، هذا أبي ، وهذه أمي ، وهذه أختي ، وهذا أخي ، فيقول الرجل : ما نبؤكم ؟ فيقولون : بل أنت فأخبرنا ما نبؤك ؟ فيقول الرجل : إنا قد أخبرنا أن عدو الله الدجال قد خرج فتقول له الشياطين : مهلا لا تقل هذا ، فإنه ربكم يريد القضاء فيكم ، هذه جنة قد جاء بها ونار ، ومعه الانهار والطعام ، فلا طعام إلا ما كان قبله إلا ما شاء الله ، فيقول الرجل : كذبتم ما أنتم إلا شياطين ، وهو الكذاب ، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قد حدّث حيثكم ، وحذرناه وأبناءنا به ، فلا مرحباً بكم ، أنتم الشياطين ، وهو عدو الله ، وليسوقن عيسى بن مريم حتى يقتله فيخسؤوا فينقلبوا خاسئين ثم قال رسول الله ﷺ : إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتعوه ، فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم ، وليحدث الآخر الآخر ، فإن فتنته أشد الفتن) [(١)]

فالشياطين المصاحبة للدجال بأعداد كالجيوش فى كل بلد عندما يتمثلون للناس فى صور أرحامهم الموتى يكون هذا من أخطر أعمال الدجال الجبتية التى ستتم بلا شك بتنسيق بين قسمى مملكة الشر الطاغوتية : قسم أبالسة وشياطين الجن ، وقسم أبالسة وشياطين الانس ، ومن ثم فهى فتنة شديدة مهلكة لمنْ لا يعرف أسرارها الخبيثة ، وهى فتنة ضعيفة هينة لمن يعرف هذه الأسرار ، من أجل ذلك شدد رسول الله ﷺ على ضرورة تبليغها وفهمها وتعقلها ووعيها بقوله ﷺ (إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفقهوه وتفهموه وتعوه ، فاعملوا عليه وحدثوا به من خلفكم وليحدث الآخر الآخر ، فإن فتنته أشد الفتن) أى على من لا يعرف جبتيات الدجال المتضمنة لأساليبه الخداعية الدجالية

ولم اقرأ من حديث رسول الله ﷺ توصية بالتعقل وبالتفقه وبالفهم وبالوعى ، ولم اقرأ أمراً منه بالبلاغ للغير جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرنا ، مثلما وصى وأمر حيال ما أخبرنا عن الدجال بعامة ، ثم عن حقيقة جيوش الشياطين الخارجة معه فى ظهوره العلنى الأخير بخاصة .

اللهم فاشهد أنى قد حدثت جيلى ، وبلغت ما علمتنى سبحانك وعلمنى رسولك ﷺ عن الدجال ، وأخبرت ما أعتقد صحته(١) وهو خروجه المعاصر غير المعلن ، المهيئ لخروجه النهائى المرتقب ، الذى سيظهر نفسه للناس ربا ، وملكاً لأكثر شعوب الأرض ، توطئة لظهور الطاغوت الذى سيزعم أنه إله الناس .

اللهم هذا نداء وعليك سبحانك البلاغ لأكثر أبناء الأمة الإسلامية فهذا البلاغ لا حول لى به ولا قوة ، وتقبل منى جهدى الضئيل الضعيف طاعة لرسولك الكريم الحبيب المصطفى ﷺ ، وتنفيذاً لوصيته ، وبياناً لنصيحته ، وأجعله فى رضاك ، ونجنا وأهلنا وأخواننا وأصدقائنا ، وسائر أمة رسولك ﷺ أجمعين من فتنة الطاغوت والجبت والدجال أجمعين .

أيها المسلمون لقد أظلكم زمان ظهور الدجال فاحذروا أن تنخدعوا بجبتياته التى رأسها عبادة الذهب والدولار وذراعاها تطبيقات العلم الصناعية التقنية والسحر ، وكل أعمال شياطين الانس والجن التى استراتيجيتها أن يصير المسيح الدجال أى الجبت رب الناس وملك الناس والطاغوت إله الناس .

وهذا ما سيأتى بيانه عند تفصيل ظهوره العلنى الأخير بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه .

---

(١) عن إتحاف الجماعة للتويجرى مجلد / ٣ ص ٦٧ .

الفـــهـــرس

• كتب للمؤلف •

١ – القضاء والقدر فى الإسلام الجزء الأول – فى الكتاب والسنة	ثلاث طبعات
٢ – القضاء والقدر فى الإسلام « الجزء الثانى » : عند السلف والمتكلمين .	ثلاث طبعات
٣ – القضاء والقدر فى الإسلام « الجزء الثالث » :– عند الفلاسفة .	ثلاث طبعات
٤ – القضاء والقدر فى الإسلام « الجزء الرابع » :– عند الصوفية .	تحت الطبع
* وهو الكتاب الذى حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .	
٥ – الأصول الإعتقادية للمعرفة فى الإسلام .	طبعة واحدة
٦ – الإسلام والعلم التجريبى .	طبعة واحدة
٧ – إستخلاف الإنسان فى الأرض .	ثلاث طبعات
٨ – قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة .	طبعتان
٩ – الإنسان والشيطان .	ثلاث طبعات
١٠ – مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان .	ثلاث طبعات
١١ – محاضرات فى العقيدة الإسلامية .	ثلاث طبعات
١٢– توفيق الحكيم لمن أستمع وإلى من تحدث .	طبعة واحدة
١٣ – مقومات المجتمع المسلم .	ثلاث طبعات
١٤ – البيان النبوى بدمار إسرائيل الوشيك وتحرير الأقصى .	طبعتان
١٥ – الخلافة الإسلامية :– حقيقتها وأصولها الإعتقادية وحتمية عودتها .	طبعة واحدة
١٦ – التوحيد : الجزء الأول (معرفة الله عز وجل)	طبعة واحدة
١٧ – التوحيد : الجزء الثانى (العلم به عز وجل)	تحت الطبع

١٨ - المدخل إلى العقيدة الإسلامية . تحت الطبع

١٩ - حكم الإسلام فى استخدام العنف فى الدعوة والإصلاح . طبعة واحدة

• موسوعة أشراط الساعة •

٢٠ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الأول : - وهو الإصدار الثانى لكتاب زلزال الأرض العظيم . طبعتان

٢١ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثانى : « المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة » . طبعة واحدة

٢٢ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثالث : « الأمارات العلمية والتكنولوجية فى الكتاب والسنة » طبعة واحدة

٢٣ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع : « الأمارات الخلقية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية » . طبعة واحدة

٢٤ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس : « المسيح الدجال بين الجبت والطاغوت » طبعة واحدة

٢٥ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس « أحداث ما قبل المهدى » تحت الطبع

٢٦ - القيامة الصغرى الجزء السابع : « المهدى عليه السلام » تحت الطبع

٢٧ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن : « الملحمة العظمى وفتح أوروبا » . تحت الطبع

٢٨ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع : « نزول المسيح عليه السلام » تحت الطبع

٢٩ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر : « يأجوج ومأجوج » تحت الطبع

٣٠ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادى عشر « ما بعد المسيح عليه السلام إى قيام الساعة » تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

باسم عد الرحمن فاروق الدسوقي

ت / ٥٥٧٢٦٦٠ / ٠٣ - ١٤١٨٧٨٣/ ٠١٠ الاسكندرية

تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية :

١ – مكتبة مدبولى – ٦ ميدان طلعت حرب / ت : ٥٧٥٦٤٢١

– طريق النصر – مدينة نصر / ت : ٤٠١٥٦٠٢ القاهرة

٢ – مكتبة حميدو – ٢٦ ش النبى دانيال / ت : ٤٩٠١٤٩٤ – ٤٩٣٣٨٧٤ الإسكندرية

٣ – مكتبة دار العقيدة للتراث : ١٠١ شارع الفتح باكوس أمام محطة الترام ت :٥٧٠٧٣٢١ الإسكندرية

٤ – دار الدعوة للنشر والتوزيع ١ ش منشا – محرم بك ت : ٤٩٠١٩١٤ – ٤٩٠٧٩٩٨ الاسكندرية

٥ – لدى مكتبات ومعارض وكالة الأهرام للنشر والتوزيع .

٦ – لدى مكتبات ومعارض وكالة الأخبار للنشر والتوزيع .

٧ – لدى باعة الجرائد فى جميع المحافظات توزيع الأهرام والأخبار .

- **إنتظرونا في الجناح الخاص بكتب الأستاذ الدكتور / فاروق الدسوقي بمعرض القاهرة الدولي للكتاب من كل عام .**

موسوعة أشراط الساعة

٣

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الثانى

مدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة

الأستاذ الدكتـــــور

فاروق أحمد الدسوقى

حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع ٣٢٩٧ / ٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 19 - 5458 - X

تحـذير



المقـــدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله ومن والاه.

ثم أما بعد،

فإنه مما هو معلوم عند المتخصِّصين أن لكل علم أكاديمِّى مدخلا إليه يعالجون فيه قضاياه الرئيسية ومناهجه، ويحددون موضوعاته وفوائده، وصلته بالعلوم الأخرى.

ولا أزعم أن علم أشراط الساعة علم جديد، إذ هو قديم قدم سائر العلوم الاسلامية، إلاَّ أن علم أشراط الساعة الموروث عن السابقين الأولين لم يتضمن مطابقة ماورد من أخبار فى نصوص الوحى عن الساعة وأشراطها على الأحداث والأحوال المتحققة فى حياة البشريه بعامة وحياة الامة الاسلامية بخاصة، إلاَّ فيما ندر ومن ثم يمكننا القول أن علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة علم جديد، هدانى الله تعالى إليه من خلال إقامة جدلية أو علاقة تبادلية بين النص والحدث بمنهج التحليل النقدى للعناصر المكونة لكل منهما تنتهى إلى المطابقة بينهما، اى بين النص والحدث فيصبح الحدث تأويلا للنص ويكون النص كاشفاً عن خبايا الحدث.

إن تناول نُصوص الوحى الخاص بالأشراط بهذا المَنْهج وُصولاً لهدف المطابقة يُؤدى إلى علم جديد لأشراط الساعة يزيد على كونه مجرد سرد وعرض للنصوص، كما هو متبع عند السابقين ومن سار على نهجهم من المعاصرين، ومن ثم كان لابد من كتابة المدخل لهذا العلم.

إن لكل من مصطلحات: اليوم الآخر والقيامة والساعة فى العلم القديم مفهوما غير محدد وغيْر واضح ويكتنفها جميعا الخلط واللبس، وكذا الحال بالنسبة لمصطلحات الأشراط والآيات والعلامات والأمارات، وحيث من الضرورى التعريف المحدد الواضح لكل مصطلح من هذه المصطلحات وغيرها من مصطلحات هذا

العلم، فقد صارت هذه التعريفات من أهم موضوعات المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة، لأن أهم ما يَتميَّز به أى علم جديد هو التحديد الواضح لموضوعاته وبالتالى لمصطلحاته، وكلما وضحت المصطلحات وكثرت كان هذا دليلاً على نمو هذا العلم ونضجه وشهادة لنتائجة بالصحة والصواب.

وكذلك فإن معالجة موضوعات قديمة بمنهج جديد وصولا إلى نتائج جديدة دليلٌ على قيام علم جديد.

وإن مما توصلنا إليه فى هذا المجال هو التمييز بوِضُوح بين أحداث اليوم الآخر الذى يتَضمن حسب هذا العلم مراحل ثلاث تقع كل واحدة منها بنفخة من نفخات الصور الثلاث، ومن ثم أطلقتُ على الأحداث الناجمة بأمر الله تعالى عن كل نفخة إسم القيامة. وللتَّمييز بينها أطْلَقْتُ على أحداث النفخة الأولى وهى نفخة الفزع مصطلح: القيامة الصغرى، وأحداث النفخة الثانية وهى نفخة الصعق: القيامة الوسطى، وأحداث النفخة الثالثة وهى نفخة البعث: القيامة الكبرى، وهذه الثلاثة – وإن كانت مذكورة فى الجزء الأول – إلاَّ أنها مطروحة فى هذا الجزء تفصيلاً بأدلتها من الكتاب والسنة.

وتكمنُ أهمية هذه المصطلحات وتعريفاتها المفَصَّلة الواضحة فى رفع اللبس والتضارب الموجود عند المفسرين فيما دَوَّنُوه عن أحداث اليوم الآخر وأشراط الساعة إبتداء من إبن جرير الطبرى ومروراً بابن كثير والذين مِنْ بَعْدِهما.

كما أن كل من كتبوا فى علم الأشراط لم يميزوا بين الأشراط والآيات والعلامات والأمارات مما أحدث عندهم لبسا وخلطا وغموضا واضطرابا فى تصنيفاتهم لأخبار الأشراط والفتن والملاحم، ومع أن التمييز بين الأشراط والآيات قد سبق فى الجزء الأول، فإن هذا الجزء الخاص بالمدخل تَضمن تعريفاً مفصلاً وتمييزاً واضحا بين

العلامات والامارات أيضاً فصارت مصطلحات ذات مدلولات محددة، وهذا يذكرنا بأن بعض مواضيع هذا المدخل قد سبق طرحها مجملة أو بالاشارة في الجزء الأول ومن ثم فصلتُها في هذا الجزء، بالاضافة الى موضوعات أخرى جديدة ولعل قائلا يقول: إن المدخل عادة ما يُكَوِّن الجزء الاول في أي موسوعة، فكيف يأتي في الجزء الثاني من هذه الموسوعة؟! وهذا الإعتراض وجيه، لكن عذري أن العلم رزق من الله تعالى سبحانه لا علم لنا إلاَّ ما علَّمَنا إياه، وما كان في حُسْبَانِي أن أُفرد للمدخل جزءاً خاصاً.

فلما كَثُرتْ موضوعاته وتَفَصَّلَتْ وظَهَرتْ ضرورة هذه المسائل، باعتبارها تمهيداً ضرورياً لفهم قضايا هذا العلم وأجزائه المتَلاحقة، إنتهيتُ بفضل اللـه تعالى وحده بهذه المسائل إلى الحجم الذي رأيتُ أنها صارت جديرة بإفرادها بجزء خاص بها.

والتفصيل بين أحداث القيامات الثلاث في غاية الأهمية، لأن أكثر المفسرين والعلماء جعلوا أحداث كل قيامة متداخلة مع التي تليها، فَدَمَجُوا أحداث الصغرى والوسطى في قيامة واحدة، وجعلوا النفخات الثلاث إثنتيْن فقط، فحَدث اللبس والخلط والتعارض والإختلاف في تفسيرهم لنصوص الوحي: كتابا وسنة تلك النصوص التي تتحدث عن مشاهد القيامة وما يحدث فيها من أحداث وأهوال في السماء والأرض والجبال والبحار والكواكب وغيرها. وكذلك النصوص التي تتحدث عن العذاب وهي كثيرة جدا، حتى أنني أقول مطمئنا أن تفسيرات المفسِّرين لهذه النُّصوص: قرآنا وسُنَّة قد شابها الغموض لما تضمنته هذه التفسيرات من أخطاء نتيجة هذا الخلط.

ومن ثم يعتبر هذا الجزء متضمنا للأساس الفكري لتصحيح هذه التفسيرات الخاطئة لا أقول لعشرات الآيات القرآنية بل لمئات الآيات وربما للآلاف الخاصة

بموضوعات هذا العلم وهذا من أعظم ما أنعم الله تعالى به عليَّ، وأدعو الله عزوجل أن يوفقني إلى إتمام هذه الموسوعة التى أرجو أن تتضمن فى أجزائها كشف هذه الأخطاء، وبيان الوجوه الصحيحة لتأويل هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويكفى فائدة عظمية لهذا العلم كشف اللبس والغموُض والإختلافات الكائنة فى كتب التفسير حول آيات القيامة والساعة والأشراط، وقَدْ عرضتُ بعض الأمثلة لهذه التأويلات غير الصحيحة لنصُوص أحداث القَيامَة في الباب الأخير من هذا المدخل.

وحيث أن من العرف المعمول به لدى العلماء في المدخل لأى علم إستعراض الأبحاث والنتائج السابقة له منذ السابقين حتى المحدثين والمعاصرين، فقد عرضتُ بابا إستعرضتُ فيه أعمال أهم المساهمين فيه وخصصتُ لكل واحد منهم فصلا، تناولتُ فيه ماكتبه وصنَّفه فى أشراط الساعة والفتن والملاحم تناولاً نقديًا مقارنا لبيان أوجه الإتفاق والإختلاف بين تصنيفاتهم للأشراط من ناحية، وترتيبهم لها من ناحية أخرى مع الإشارة إلى أوجه الخطأ والصواب فيها مع سوق الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

إن علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة يختلف، من حيث المنهج والأهداف والنتائج عن كل ما سبق تدوينه فى القديم والحديث تحت عناوين أشراط الساعة والفتن والملاحم. من حيث أن الاولين السابقين من العلماء رحمهم الله لم يكن أمامهم إلاَّ أن يفهموا نصوص الوحى الخاصة بالأشراط من خلال تصورات ومفاهيم عصورهم، وبالتالى فهم مَعْذُوُرون، إذا لم تتطابق تفاسيرهم للآيات وشروحهم للأحاديث، مع كل ما تحقق من أحداث تاريخية، وعلوم ومخترعات صناعية، لم تكن تخطر على بال أحدهم، فيما تعيشه البشريه فى عصرنا الراهن، فنحن أهل هذا العصر الراهن أقدر على فهم هذه النصوص منهم، لأننا نعايش تأويلاتها، من هنا

جاءت أهمية المطابقة بين المفاهيم اللغوية لنصوص الوحى مع الأحداث والأحوال الاجتماعية والخلقية وكذلك مع المخترعات العصرية[١] فظهرت بالتالى نتيجة هذه المطابقة معالم ومقومات وأصول علم جديد فى أشراط الساعة.

والمدخل إلى هذا العلم الذى هو الموضوع الرئيسى لهذا الجزء يضع الأساس الإعتقادى له، ويقدم أهدافه ومناهجه ومصادره وفوائده ومفاهيمه ومصطلحاته، ومراحل القيامة الثلاثة، ويحدد أحداث كل مرحلة فى علم يتناول المستقبل إبتداء من عصرنا الراهن إلى نهاية الدنيا.

من أجل هذا كله إستحق أن يكون مدخلا لعلم أشراط الساعة بمنهج المطابقة الذى لاغنى عنه لمن يريد أن يتابع قراءة هذه الموسوعة. أسأل الله العلى القدير سبحانه أن يُثَقِّل بجهدى المتواضع هذا ميزانى وميزان من أعاننى على إخراجه وتقديمه للقارئ المسلم، وأسأله سبحانه أن ينفع به المسلمين، إنه سميع مجيب.

د. فاروق الدسوقى

الإسكندرية فى ٧ ربيع ثان ١٤١٩هـ
٣١ يوليو ١٩٩٨م

---

(١) وسنعرض بإذن الله تعالى فى الجزء الثالث الإمارات العلمية والتكنولوجية والصناعية وسيجد القارئ أنه ما من اختراع معاصر الا وقد اخبر عنه الوحى وارجوان يصدر قريباً جداً.

الباب الأول
مصادر أشراط الساعة وأصولها الاعتقادية فى الكتاب والسنة

الفصل الأول: الكتاب والسنة أصح مصادر علم المستقبل على الإطلاق

الفصل الثانى: الاصول الاعتقادية لاشراط الساعة أو علم المستقبل فى الكتاب والسنة.

(١) حفظ القرآن الكريم لفظاً ومعنى ظاهرة فريدة

سيظل كتاب الله تعالى محفوظا، بأمر الله تعالى وقدره النافذ، من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير والتحريف، أى سيظل مصونا من ذلك كله لفظا ومعنى.

وهذا هو الواقع المشهود المعروف بالظاهرة القرآنية باعتبار أنه ظاهرة تاريخية فريدة متميزة غير متكررة فليس لها نظير فى الأديان الكتابية السابقة، وليس لها سابق ولا لاحق فى تاريخ الحضارات وفيما هو موروث من تراث أى أمة ومن ثقافة أية حضارة. لقد هيأ الله تعالى لحفظه باللفظ والكلمة الصدور التى تحمله عن آلاف الصدور عبر الأجيال، هكذا خلال القرون الأربعة عشر التى هى عمر أمة الإسلام، هذه الأمة التى جاء فى الوحى القديم عن تميزها، بأنَّ «إنجيلهم فى صدورهم».

وكذلك بما هيأ الله تعالى للأمة من أسباب كتابته وتدوينه وجمعه ومراجعته واتقانه من خلال مؤسسات انتشرت فى العالم الإسلامى المترامى الأطراف بحيث يكون من المستحيل أن تصدر طبعة من الطبعات فى عصر المطبعة بها أدنى تغيير ليس فى كلمة أو فى حرف من حروف الكلمة، بل وليس فى شكلة من أشكال الحروف، أو نقطة من نقاطها.

وكذلك حفظ الله تعالى كتابه من حيث المعنى بما هيأه الله تعالى من علماء مخلصين لتفسيره، وبيان أسباب نزول بعض آياته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وغير هذا كله من علوم القرآن الكريم.

وحَفِظَهُ الله تعالى من حيث المعنى بما هيأه له من علماء اللغة العربية، وما وضعوه وأنشأوه من علوم شتى للغة العربية: كالنحو والصرف والبلاغة والعروض، ومن معاجم وضعوها، حفظوا بها لغة القرآن الكريم حية غضة طرية، فحفظوا لنا أسرار العربية ودقائقها التى نفهم بها القرآن الكريم، رحم الله القراء والعلماء والحفاظ والنحاة جميعا، وجزاهم عن الأمة خير الجزاء، فهم الذين حفظ الله تعالى بهم القرآن

الكريم، كلمةً ومعنىً. ولا يرتاب فى هذه الحقيقة التى هى تحقيق لوعد الله تعالى ﴿واتلُ ما أُوحِيَ إليكَ من كتابِ ربِّكَ لا مُبدِّلَ لكلماتِه ولن تجدَ من دونِه مُلتحدًا﴾ [الكهف / ٢٧] لا يرتاب فيها إلاّ منافق، ولا يرفضها إلا كافر خارج عن الملّة.

هذا بالنسبة للقرآن الكريم المنزل من الله على قلب رسوله ﷺ بسوره وآياته وكلماته وحروفه، كما هو مدون فى المصحف الذى بين أيدى المسلمين اليوم.

(٢) حفظ السنة بالمعنى

أما السنة النبوية الشريفة التى هى المصدر الثانى للإسلام، وهى مصدرربانى كالقرآن الكريم، لأنها وحى منزل على رسول الله ﷺ، ولكن بالمعنى فقط دون اللفظ، فالمعنى إلهى ربانى سماوى، واللفظ نبوي كريم، فهو بشري من هذا الوجه فقط.

ومن ثم لما عجزت الطواغيت المحرِّفة للرسالات السماوية عن تحريف القرآن الكريم، لا باللفظ ولا بالمعنى، وضعوا هممهم وجهدهم لتحريف السنة النبوية محاولين تقليد الأسلوب النبوى الكريم ليخدعوا المسلمين بما هو شبيه به وعلى منواله. فوضعوا الأحاديث وكذبوا على رسول الله ﷺ، وكوَّن أعداء الأمة من اليهود جيشا من المتظاهرين بالإسلام المدعين العلم، وانتشروا فى الأمصار والقرى يقصون على الناس من القصص والأقاويل ما يفسد عليهم دينهم ويحرفون فى نفوسهم مبادىء الإيمان وأصول الإسلام.

فهل تم لهم ما أرادوا وضاعت السنة الصحيحة بين ركام الموضوعات والمكذوبات والمرويات الإلحادية؟ حاشا لله عزّ وجلّ العزيز الحكيم أن يسمح بضياع رسالته الخاتمة للإنسان وشريعته الأخيرة للبشرية، وسنة النبى ﷺ وحى من الله تعالى وقسم جوهرى منه، فكيف يضيع من هذه الرسالة؟ وقد أخبر حبيبه المصطفى سيدنا محمد بن عبد الله الهاشمى القرشى بأنه خاتم الرسل وآخر الأنبياء، وبأن الوحى الذى نزل عليه هو الوحى الأخير للناس، ومن ثم وعد سبحانه بحفظ كلامه الذى يتعبد به المسلمون، وأيضا وعد بحفظ الذكر المنزل عموما من عند الله تعالى فقال ﴿إنَّا نحنُ نزَّلنا الذِّكرَ وإنَّا لهُ لحافظون ⑨﴾ [آية: الحجر/ ٩] هذا وعد منه عزّ وجلّ

بحفظ السنة، التي هي من الذكر، لأنها من الوحي المنزل، وقد وعد الله تعالى بحفظ ما أنزله من ذكر على نبيِّه ﷺ، أي القرآن والسنة.

ومن ثم باءت بالفشل محاولات اليهود بخاصة وأعداء الإسلام بعامة للقضاء على السنة، أو لتحريفها، أو لتغليب المكذوب على الصحيح فيها، أو لتضييع الصحيح وإخفائه في المكذوب والموضوع، فلم ينجحوا، ولم يصلوا إلى ما خططوا له، ولم يحققوا ما ابتغوه، وهدفوا إليه، وأبطل الله تعالى كيدهم، الذي أحيانا ،ربما يبلغ من القوة أن تزول منه الجبال.

بل أدى كيدُهم وخبثُهم ومكْرُهم هذا ضد السنة الشريفة إلى أن تصدّى علماء الأمة لهم، ووفقهم الله تعالى إلى إنتاج أعظم العلوم الإنسانية في تاريخ البشرية قاطبة، وهو علم النقد التاريخي، القائم على تعديل وتجريح السند، الذي ليس له نظير عند الأمم الكتابية الأخرى.

فقيض الله تعالى لسنة نبيه من العلماء المخلصين الذين أنتجوا العلوم، وشيدوا المدارس والمعاهد والكليات، وأسسوا المناهج والمصطلحات والمعاجم وسطروا المجلدات بعلوم السنة: رواية وتحقيقا وحفظا وتنقيةً ومراجعةً وتدوينا، كل هذا على مدى قرون الإسلام الأربعة عشر، فأثمر هذا كله ما يُعرف الآن بعلوم الحديث النبوي، وهي العلوم التي انفردت وتميزت بها أمة المصطفى الخاتم عن سائر الأمم الكتابية، فاستحقت بذلك أن يطلق عليها بعضُ المستشرقين بحق : «أمة السند» اعترافا بحقيقة تاريخية متفردة في تاريخ البشرية المكتوب. وهي علوم الحديث النبوي. وبهذا التراث العظيم أصبح لدى المسلمين الميزان الدقيق والمعيار العلمي الذي يمكنهم أن يختبروا به كل خبر تاريخي وكل حديث منسوب لقائليه بعامة ولرسول الله ﷺ بخاصة، ليصلوا في النهاية إلى الحكم بأنه صحيح أو حسن أو ضعيف أو مكذوب أو موضوع.

فعلوم الحديث بما فيها من مناهج لنقد الرواية، ومن علوم متعددة للجرح والتعديل، ومن معاجم تضم عشرات الألوف من أسماء الرواة بتقرير واف عن كل منهم، ودرجته من الحفظ والاتقان والأمانة، بشهادة الأئمة والعلماء الكبار في

الأجيال الثلاثة المشهود لها، كل هذا يُعَدُّ مُرَشِّحاً دقيقا جداً لا ينفذ منه إلاَّ كُلُّ ما هو خالص ونقى وخال من الشوائب والآفات، وبهذا يتميز الطيب عن الخبيث فى المرويات، إذ بهذا العلم حفظ الله تعالى القرآن الكريم من التحريف فى معانيه، لأهمية السنة الشريفة فى تفسير وفهم كتاب الله عزّ وجلّ، لأن حفظ الله عز وجلّ أحاديث نبيِّه وسيرته وتاريخ الأجيال الثلاثة الأولى، وأقوالهم وآثارهم إنما هو تمام لهدى الله تعالى ولنوره لأجيال الإسلام حتى آخر الزمان.

(٣) دعوى التشكيك فى السنة وفى أحاديث الآحاد مصدرها المنافقون ومن فى قلوبهم مرض وجهلة المسلمين

ومع هذا فقد ابتليت الأمة بمن يشكك فى السنة النبوية، وهذا قدر الله تعالى بابتلاء المخلصين بالمنافقين وبالذين فى قلوبهم زيغ، وهذا البلاء لم ينج منه جيل من أجيال الأمة، إذ ظهر مع ظهور الفرق الخارجة عن الجماعة، ومازال له منافقون يُرَوِّجُونَه، فالخوارج الأوائل الذين خرجوا على الأمة فى عهد الصحابة وكفَّروا الصحابة حتى الإمام على رضى الله عنه، هؤلاء لم يكن لهم علم بأحاديث رسول الله ﷺ، إذ كان أكثرهم من البدو الذين ليس لهم صحبة معه عليه الصلاة والسلام، ولم يكن علم الحديث قد تكوَّن بعد.

ثم ظهرت القدريةُ أصحاب بدعة نفى القدر وقالوا: «لا قدر والأمر أنف» وهؤلاء لم يرجعوا إلى السنة ، بل لم يرجعوا إلى جميع آيات القرآن الكريم، وإنما أخذوا بالبعض دون بقية الآيات، فخرجوا ببدعتهم الضالة المضلة التى ردها ونقضها من طال عمره من الصحابة، مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وذكر من أحاديث رسول الله ﷺ ما يدل على بطلان قولهم.

ثم ظهرت المعتزلة أصحاب هوى، فزعموا أنهم يستخدمون العقل فى فهم القرآن الكريم، ولم يكن اعتمادهم على العقل بقدر ما كان على الهوى، فكان منهم ما كان من القول بخلق القرآن الكريم، وصارت فتنة أُبتلى فيها أئمة الأمة فصمدوا وبيَّنوا وصبروا.

وكان من فتنتهم بدعة رد أحاديث الآحاد بحجة أنها ظِنِّيَة، وأنه يؤخذ بها فى

الأعمال، ولا يؤخذ بها فى العقائد والغيبيات، وما قالوا ذلك إلاّ لكى يردوا من الأحاديث ما لا يوافق أهواءهم وبدعهم، وما عرفت الأمة فى عصر الصحابة وفى الأجيال الثلاثة المشهود لها التفرقة بين أحاديث الآحاد والأحاديث المتواترة، من حيث الصحة والقبول. بل ما صح سنده عندهم فهو صحيح، وإن كان برواية الآحاد عن الآحاد وما لم يصح فهو ليس بصحيح حتى ولو لم يكن من الآحاد.

وظل أصحاب الزيغ فى كل جيل يثيرون الشبهات حول السنّة ابتغاء الفتنة وابتغاء صرف المسلمين عنها، ومن ثم يبتعدون عن الإسلام الصحيح الكامل. يقولون الأحاديث فيها الموضوع والمكذوب، ولانستطيع أن نميز بين هذا كله وبين الصحيح. إذن، منعا للضلال نكتفى بكتاب الله تعالى، لأن الله تعالى وعد بحفظه، ولنرفض كل الأحاديث. فإذا وضّح العلماء لمن اغتر بهذا القول بعض حقائق علوم الحديث، وأنها جبل شامخ عزيز على مكر الماكرين وعبث العابثين، وأن العلماء منذ القدم قد ميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف، وأنهم عزلوا عن سنة النبى ﷺ كل ما هو دخيل خبيث، وأنه لا يقول بهذا القول إلاّ جاهل أو ضال مُضِلٌ مبتدع هادم لدين الله تعالى، تراجعوا خطوة، وقالوا ولكن ـ مع تسليمنا بجهود المحدثين والحفاظ وبمعرفتهم للصحيح من الضعيف والموضوع، إلا أنهم يقرون أن من أقسام الحديث ما هو متواتر، وهو المروى بسند جماعى عن سند جماعى يبلغ العشرة فيستحيل تواطؤهم على النسيان أو الكذب، والقسم الآخر هو الآحاد، وهو المروى بفرد عن فرد أو آحاد دون العشرة، فيكون متن هذا الحديث الذى هو عن طريق سند فردى ظنيا، وليس يقينيا ومن ثم لا يصلح أن يكون مصدرا للعقائد والغيبيات. ثم يبنون على هذه المقدمة نتيجة ويقولون: وعلى هذا فنحن لا نرفض الأحاديث المتواترة، وإنما نرفض الآحاد. وإذا أخذنا بها، ففى فضائل الأعمال وليس فى العقائد. هذا ما قالته المعتزلة مخالفة بهذا القول جميع علماء الأمة، والذين فى قلوبهم زيغ يبتغون الفتنة، ويردد هذا القول خلفهم أنصاف المتعلمين والمثقفين بالثقافة الغربية الجاهلين بالإسلام.

وقد رد العلماء من كل جيل على هذه الدعوى الباطلة بتفاصيل وأدلة من الكتاب والسنة تثبت أن الصحابة اعتمدوا أخبار الآحاد لدينهم(١).

(٤) التشكيك فى أحاديث أشراط الساعة لا يفيد إلاّ أعداء الإسلام

ولما كان الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان فى الإسلام، ولما كان بدء اليوم الآخر وصدره فى الدنيا(٢) باعتبار أنه آخر أيامها أى آخر عصورها، وانتهاؤه بيوم الحساب بعد البعث والنشور وآخره دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، لذا جاءت أخبار هذا اليوم مفصلة فى السنة الشريفة بينما جاءت أخباره مجملة فى القرآن الكريم، ومن هذا المفصل أشراط الساعة وعلاماتها وأماراتها وآياتها.

فما جاء عنها مجملا فى القرآن فصلته السنة، وما جاء ذكرها تلميحا وإشارة فى الكتاب كشفته السنة، وصرحت به الأحاديث .

وقد أخبر الله عزّ وجلّ كليمه موسى عليه السلام بقوله عنها﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه / ١٥] فلم يقل سبحانه «أخفيها» وإنما قال «أكاد أخفيها» لأن الوَحْيَيْن القديم والأخير تَضَمَّنَا ذكراً لأحداث معينة محددة متسلسلة فى الزمان تسبق الساعة مباشرة، فإذا وقع أولها، تيقن العالمون بهذه الأمارات من الوحى أنهم فى آخر الزمان، وأن اليوم الآخر قد بدأ، ومن ثم يمكنهم ترقب الحدث بعد الحدث فيحدث كما جاء خبره فى السنة الشريفة. هذه الأحداث هى ما يعرف فى السنة بأشراط الساعة وعلاماتها وأماراتها وآياتها.

وأخطر هذه الأحداث فتن وملاحم، أى مواقع عسكرية عظيمة تقع بين أهل

---

(١) انظر رسالة «حديث الآحاد والعقيدة» ورسالة «الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام» للشيخ الألبانى وهو مِنْ أعلم أهل الأرض فى علم الحديث وردود العلماء القدماء وعلى مر تاريخ المحدثين كثيرة.

(٢) حسب قول ابن عباس رضى الله عنه وسيأتى بيانه ومصدره.

الإيمان وأهل الكفر، من خلال الصراع المستمر بين حزب الله وحزب الشيطان، وعصر الملاحم يعبر عن سلسلة من هذه الملاحم العظيمة يقود حزب الله تعالى فيها شخصياتٌ مؤمنة صالحة ويقود حزب الشيطان شخصيات ملحدة كافرة متألهة طاغية.

أهم الشخصيات المؤمنة شخصية المهدى محمد بن عبد الله، الذى يأتى فى عصر ضعف المسلمين وضَيَاع خلافتهم، وامتلاء الأرض بالظلم والفساد والشر والظلام، فيعيد الله تعالى به الخلافة الراشدة، ويوحد العالم الإسلامى، بعد فرقة ويعم الخير والعدل على يديه، وتستمر بعده الخلافة حتى يأتى القحطانى، وهوالخليفة الراشد الذى يأتى بعده فتحاربه أوروبا الصليبية، وتهجم على جميع أرجاء العالم الإسلامى فى الموقعة الفاصلة النهائية بين الروم والمسلمين، فيهزمهم الله تعالى، ويدخل المسلمون أوروبا، ثم يخرج الدجال وهو القائد الخفى الآن لحزب الشيطان، فيظهر لأول مرة للناس ويظهر مخاريقه ويَدَّعى الربوبية، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويقتله، ويحارب المسلمون تحت قيادته، حرب استئصال لليهود وللمشركين، حتى يقول الحجر والشجر يامسلم ياعبد الله ورائى يهودى تعالى فاقتله، ويضع المسيح عليه السلام الجزية فلا يقبل من النصارى إلا الإسلام أو القتل ثم يخرج يأجوج ومأجوج فيقتلهم الله، ثم تصير الأرض كلها مسلمة تحت حكم المسيح عليه السلام وتعطى بركتها.

ثم تخرج الشمس من مغربها وتخرج الدابة من الأرض ويأتى الدخان من السماء.

وتحدث بعد ذلك أحداث تعود من خلالها البشرية إلى الكفر، ويبقى الأشرار وحدهم فى الأرض، ثم تخرج نار من قعرعدن، فتسوق الناس إلى محشرهم، ثم تقوم الساعة فى وقت لا يعلمه إلاَّ الله وحده سبحانه وتعالى. هذه الأخبار وردت فى السنة، ولها سندها فى القرآن الكريم، واتفق العلماء فى عصور الأمة عليها، لكن لأمر ما يظهر فى الأمة من يقول:

ـ أحاديث المهدى كلها موضوعة لا أصل لها، فما صح منها غير صريح وما هو صريح منها غير صحيح، وأن فكرة المهدى من صنع الشيعة، والقول بالمهدوية يحيل الأمة إلى التواكل. كأن الأمة فى عصر ذلها وهوانها من أبناء القردة والخنازير قادرة على النصر، ولكنها لا تريد وتفضل عدم الأخذ بالأسباب فتتواكل؟! أين الأسباب التى يمكن الأخذ بها أمام إفساد اليهود وعلوهم الكبير فى الأرض!. إلاَّ الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة!؟. وإلا الصبر على الأذى والتعذيب فى السجون والقتل؟!

ـ ومن يقول: لم يرد ذكر الدّجال فى القرآن الكريم وأحاديث الدّجال (تعارضت فتَساقطت) وإن صحت بعض الأحاديث فيه فهو رمز للفساد والشر الذى سيغلب على الناس فى آخر الزمان، ولا يوجد شخص أعور اسمه الدّجال.

ـ ومن قولهم أيضا لم يرد ذكرنزول المسيح عيسى بن مريم فى القرآن الكريم، وإنما ورد فى السنة، وهذا النزول يتعارض مع كون المصطفى سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء، إذ يكون المسيح عليه السلام رسولا نبيا بعد المصطفى الخاتم ﷺ ولم يثبت فى القرآن رفع المسيح عليه السلام حيا حيث توفاه الله إليه، وهذا أمر مخالف للسنن، والله تعالى أخبر أنه لا يكون ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا، وأنه تعالى ما جعل لبشر قبل نبيه ﷺ الخلد.

ـ كذلك بقية آيات الساعة العشر، وهى الخسوف الثلاثة وخروج الشمس من مغربها وخروج الدابة من الأرض والدخان من السماء قد جاءت مجملة فى القرآن، ونص القرآن على الدابة فقط، أما الدخان فقد اختلفوا فى تفسيره.

هذه أقوال فئات من الأمة ترددها خلف من لا يريد لهذه الأمة خيرا ولا صلاحا ولا هدى ولا انتفاعاً بسنَّة نبيها ﷺ. لمصلحة من يكون هذا الكلام؟

أليس هذا الكلام لمصلحة حزب الشيطان بعامة؟! ولمصلحة المسيح الدّجال ودولته، التى تحكم الأرض الآن من خلال مؤسسات صنعها لذلك، بخاصة؟!

إذا كذبنا وجود شخصية الدّجال فسيكون هو ودولته أسعد الناس بهذا التكذيب، لأنه سيظل العدو الخفى الذى يحارب من وراء ستار، فكيف تنتصر أمة فى صراع

وحروب قاسية، وهى لا تعرف مَنْ الذى تحاربه؟ بل ربما تستجيب لدعوته فتطيعه فتقع فى الخيبة التى ما بعدها خيبة، والنكسة التى ما بعدها نكسة، وكم من نكسة مرت بها الأمة، لأنها لم تكن تعرف مَنْ العدو ومَنْ الولى المخلص، وإذا رفض المسلمون التصديق بوجود شخصيات ستقودها للخير كالمهدى الأول والأخير والمسيح بن مريم عليهم السلام، فإنهم سيحاربونهم، إذا جاءوا ويصبحون عونا للأعداء عليهم بدلا من أن يكونوا عونا لهم على الأعداء، أفرأيتم كم هو الضلال والتضليل الذى يَصْنَعُه الذين يُفتون بغير علم، تقليداً وترديداً لمقولات بثها الأعداء، وما ذلك إلا لجهلهم بما تركه لنا رسول الله ﷺ من أحاديث عن أشراط الساعة والفتن وملاحم آخر الزمان.

فحزب الشيطان هو صاحب المصلحة فى تكذيب الأحاديث الصحيحة والحسنة، وحتى الضعيفة منها، تلك التى يمكن تقويتها، فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة وأماراتها.

وهل فى سنة رسول الله ﷺ إلاَّ كل ما هو هدى ورحمة، ونفع وموعظة للأمة، وبخاصة للنجاة من الفتن.؟!

(٥) من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، الوصول إلى التفسير الصحيح للأحداث المعاصرة، من غير الرجوع إلى نصوص الوحى فى أشراط الساعة.

فى ثنايا الجزء الأول من هذا الكتاب قدمتُ الأدلة من القرآن الكريم والسنة، على أننا نعيش فى هذا العصر، إفسادة اليهود الثانية والأخيرة مع العلو الكبير فى الأرض كلها، وأن هذه الإفسادة وهذا العلو هما من صناعة المسيح الدّجال ملك اليهود.

ثم أقمتُ الدليل من السنة على أن أول أشراط الساعة الكبرى كما أنبأ به حديث البخارى (أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)[1] هو فتنة

---

(١) صحيح البخارى/ ك أحاديث الأنبياء / ب خلق آدم وذريته/ ح٣١٩٦. وأخرجه أحمد والنسائى. ورقمه فى مسند أحمد: ١١٧٥٣.

العراق والكويت أو الحرب العالمية الثالثة ضد العراق عام ١٩٩٠/ ١٩٩١م. وباعتبار أن هذه أولى الملاحم، فإن هذا يدل على أننا فى آخر الزمان، وأن اليوم الآخر قد بدأ ، وأن القيامة الصغرى على وشك الحدوث، متمثلة فى الزلزال والخسوف وغير ذلك من مظاهر القيامة الصغرى فى القرآن الكريم، إذا لم يرجع الناس ويتوبوا إلى الله ويقلعوا عن جرائم: استحلال الزنا والربا والخمر وكل ما وقعوا فيه من آثام عمت البشرية جمعاء.

وثبت لنا أيضاً من خلال فصول هذا الكتاب أن الإفسادة الكبرى لليهود فى الأرض كلها، والتى وصلوا بها إلى العلو الكبير، والسيطرة على مقدرات الأرض كلها، هى من صناعة اليهود بقيادة المسيح الدجال الذى لم يعلن عن نفسه بعد، وأنه هو الذى أملى بروتوكولات حكماء صهيون على المجلس الذى كان يتلقى منه، وأن المرحلة التى تعيشها البشرية الآن باسم النظام العالمى الجديد، وحكم الدُّوَلْ المُستَضْعَفة بما يعرف بمجلس الأمن الذى يصدر قرارات الحصار والتَجويع ومنع الأدوية وقتل الشعوب، وحشد الجيوش، كما حدث مع العراق، وما زال يحدث حتى الآن، إلى أن وصل عدد المقتولين من الأطفال فى العراق خلال أقل من سبع سنوات منذ انتهاء الحرب العالمية الثالثة أولى الملاحم حتى عام ١٩٩٧ حوالى ٩٥٠٠٠٠ تُسْعُمائة وخمسين ألف طفل، وعدد المقتولين من الرجال والنساء بسبب الحصار ومنع الأدوية حوالى مليونى رجل وإمرأة، ذلك كله فى شعب ضعيف صغير مثل الشعب العراقى، خلاف قتلى الطلعات الجوية التى ظلت أربعين يوما وبلغت قوة المتفجرات التى أُلقيت على العراق ما يعادل عشر قنابل نووية كالتى أُلقيتْ على اليابان، نقول: إن هذه المرحلة التى تعيشها البشرية تحت حكم قوة واحدة ، يبدو فى الظاهر أنها قوة الولايات المتحدة الأمريكية متعاونة معها أربع دول أخرى فى مجلس الأمن، هى فى الحقيقة المرحلة الأولى لحكم الدجال للأرض من خلال قوة واحدة ، بعد أن كان يحكمها خلال النصف الثانى من القرن العشرين بقوتين عُظْمَيَيْن. فليست أمريكا حاكمة للعالم، بل ليس الشعب الأمريكى حاكما لنفسه، بل تحكمه الصهيونية التى يحكمها ويحركها الدّجال لهدف نهائى شخصى له، وهو إعلان

ربوبيته للعالم من خلال اعلان نفسه ملكا متوجا لليهود، ثم للعالم كله كما دلت على هذا الأحاديث الصحيحة.

أما الحالة الثانية للوجود الدجالي فهو يوم أن يظهر للعيان فيبصره الناس بأعينهم، أي الخروج النهائي الذى يكون من أصبهان يتبعه سبعون ألفا من اليهود عليهم الطيالسة أي أكبر تجمع يهودي.

أي أن للدجال حضورين ووجودين في الأرض، هما ثمرة الإفسادة الأخيرة والعلو الكبير: الأول حضور وتواجد وسلطان عالمي على أكثر شعوب الأرض في شكل مؤسسات ودول عظمى ومنظمات مالية وبنوك وجيوش سرية تأتمر بأمره وهو يمسك بالخيوط الخفية التي يحرك بها كل ذلك.

والثاني: الحضور العلني عندما يخرج من أصبهان، والأمر الطبيعي أن لا يخرج هذا الخروج الأخير الذى سيزعم فيه أنه رب العالمين، ومنقذ البشرية وأمير السلام والإله الذى تجب عبادته، إلا بعد أن يصنع من الأجهزة والمؤسسات والوسائل والآليات التى تمكنه من أن يطاع، وطبيعي أيضا أن يكون هذا كله من خلال اليهود وبهم، لأنه ملك اليهود وإله يهود كما دلت على هذا النصوص الصحيحة المتطابقة مع الأحوال والأحداث البشرية العالمية المعاصرة.

(٦) العجب كل العجب أن يشكك البعض في أهمية علم أشراط الساعة ويعدلون عنه بالرغم من بدء اليوم الآخر:

كل هذا يوجب تنبيه الأمة وتحذيرها مما هو قادم من فتن ومخاطر وبلايا ومحن، كما نبأنا بها سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبالرغم من أن هذا الكتاب الذى صدر الجزء الأول منه باسم زلزال الأرض العظيم ثم صدر الإصدار الثاني من هذا الجزء الأول تحت عنوان القيامة الصغرى على البواب. قد وجد صدى إيجابيا عند بعض المسلمين وتفهموا ما فيه ولم يصدهم عن حقائقه الثابتة بالكتاب والسنة والوحي القديم بعض ما اكتنفه من أخطاء تدور كلها حول مواعيد توقعتها للأحداث المنتظرة، فإنه قد وجد صدى سلبيا عند البعض الآخر بسبب هذه الأخطاء، لكن هناك من المثقفين والمتعلمين والمتخصصين بل ومن العلماء والدارسين للعلوم الشرعية من يرفضون البحث في أشراط وعلامات

وأمارات الساعة لإثبات الذى تحقق منها، هـذا الإثبات الذى صح منه الكـثير واتفق عليه كثير من المخـلصين، وتفهمه العقلاء والمستبصرون مـن أبناء أمة الإسلام. فهناك من يقول ما فائدة هذا العلم؟ فإذا تلقى الـردود المفحمة وسلم بفائدته، عاد وقال لكن أكثـر أحاديث الفـتن ضعيفـة أو ضعيفـة جداً ، كمـا أن الصحيـح منها يـغلب علـيه أحاديث الآحاد؟! ومن ثم لا يمكن الوصول إلى حقائق مؤكدة صحيحة تطمئن إليها النفس؟!

إن أعظم نتيجة أردت تقريرها وتأكيدها والتحذير منها فى هذا الكتاب هى:

لقـد بدأ الـيوم الآخر، وإن لـم ترجـع البشـرية إلى الله تـعالـى، وتقلـع عن الحـياة الحيوانية البهيمية التى تسفَّلت إليهـا ـ فلتنتظر ولترتقب العذاب الأليم بزلزلة الأرض والخسوف العظيمة، والموت بما فيه، والهلاك.

وبالرغـم من أن فى هذا الكـتاب من الأدلة علـى هذه الحقيـقة من القرآن الـكريم ومن السـنة ومن الوحى الـقديم بما يكـفى لكى يبرهـن على أننا فـى مقدمات القـيامة الصغرى وتعيش الإنسانية إرهاصاتها وأسبابها ودواعيها، إلا أننى بعون الله وتسديده سأقدم فى الجـزء الثّانى بإذن الله تعالـى من الأدلة القرآنية القـاطعة بأن البشريـة تعيش اليوم، وليس غداً عصر الرجفة أو الواقعـة أو الزلزلة وكل هذه أسماء للعذاب الواقع الذى ليس له من دافع، إذا لم يرجع الناس إلى ربهم عز وجل ويتوبوا.

(٧) فتنـة إنكار السنـة أو التشكيك فى الأحـاديث النبـوية الشريفة والمخرج منها

فعندما تصبح الأحاديـث فتنة يتعلل بها المفتونون المحبون للدنـيا الذين يستبعدون عن أنفسهم الموت مؤملـين فى الدنيا، ويستبعدون عن البشرية الفنـاء فتنة بالحياة وحبا فيها فيـتشبثون فى أمل كاذب يـبنونه على ضعف الأحـاديث النبوية الشريـفة أو لأنها آحاد، عندما تكون فتنـة السنة على هذا النحو، فالنجاة منها لـلمفتون هو كتاب الله عزّ وجلّ، لعله يتنبه، ولعـلَّه يستيقظ من غفلته، ولعله يعود بما بـقى عنده من إيمان بأصل الوحـى الخاتم المحفوظ والمـصون بسوره وآيـاته وكلمـاته وحروفه بـحفظ الله تعـالى وعنايته وأمره النافذ.

روى الترمذى عن الحارث الأعور قال مررتُ فى المسجد فإذا الناس يخوضُونُ فى الأحاديث فدخلتُ عَلَى علىٍّ فقلت: ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث؟.

فقال: أَوَ قد فعلوها؟

فقلت: نعم

قال: أما إنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (ألاً إنها ستكون فتنة) قلت: فما المخرج منها يارسول الله؟

(قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قَصَمَهُ الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلُق على كثرة الرد، ولاتنقضى عجائبهُ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به﴾. من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرَ ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم). خذها إليك يا أعور][1].

فإذا راجعنا صدر الحديث علمنا أن المقصود من قوله ﷺ (ألا إنها ستكون فتنة) هو التشكيك فى السنة، لأن الضمير فى (إنها) يعود على الأحاديث، وذلك لأن الحارث الأعور لما وجد الناس يخوضون فى الأحاديث أى فى ضَعْفها ومدى يقينيتها بالقياس إلى القرآن الكريم، ثم دخل وأخبر الإمام على رضى الله تعالى عنه، فكأن الإمام كان يعلم أن هذا سيكون من أمة الإسلام حسب ما سمعه من المصطفى ﷺ، وأن هذا سيحدث كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، ولكنه لم يتوقع أن يحدث هذا فى عصره وخلال حياته، فقال متعجبا «أَوَقَدْ فَعَلُوها» وهذا تعبير العالِمْ بالحدث المتوقع لحدوثه، لكنه لم يكن يعلم متى؟ وفيه من التعجب ما يفيد أنه ما كان يتوقع حدوثه فى عصره، ثم أخبر الأعور عن إخبار رسول الله ﷺ بأنها، أى الأحاديث النَّبوِيّة الشريفة، ستكون حولها فتنة من الناس بالتشكيك فيها، والخوض فى يقينيتها

---

(١) جامع الترمذى / ك فضائل القرآن/ ب ما جاء فى فضل القرآن، ح / ٢٩٨٢ ورواه الدارمى أيضا.

بالقياس إلى القرآن الكريم، عندئذ سأل الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه رسول الله ﷺ هذا السؤال المنهجى الهام: فما المخرج منها يارسول الله؟ (قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم.. إلخ) أى أن فى كتاب الله تعالى الأصول التى تَنْبَنى عليها المواضيع الرئيسية للحديث النبوى، فإذا كانت أصول الموضوع، المراد بحثه موجودة فى القرآن الكريم، وما جاء فى الحديث تفصيل له وتوضيح وشرح، فمن الذى يمكنه بعد ذلك أن يرفض هذه التفصيلات، إذا كانت تدور حول محور قرآنى؟ وأشراط الساعة وما بعدها من بعث ونشور وحساب وميزان وصراط وجنة ونار، أليس هذا كله فى كتاب الله تعالى؟! فإذا ورد من الأحاديث الشريفة ما هو تفصيل لذلك كله، فمن يزعم بعد هذا أنها أحاديث آحاد، وليست مصدراً يقينيا للعقائد فهو مفتون، ما دامت هذه الأحاديث، لها أصولها التى تَنْبنى عليها فى القرآن الكريم، ولا تتعارض مع آياته، وتكون بمثابة التفْصيل والتفسير لها، أقول إنه مفتون حتى ولو كان ممن ينتسبون إلى العلم وممن يحملون الشهادات.

أليست الأشراط والعلامات والأمارات والآيات التى بين يدى الساعة هى ما عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله عن القرآن الكريم ﴿فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم﴾؟ أليس هذا كله من أحداث ما بعد جيل الصحابة، ومنها التى تعيشها البشرية اليوم وما سيأتى بعد اليوم؟!. بلى ورب الكعبة.

وهذا ما سنراه فى القرآن الكريم من أمارات للساعة، وأيضا ما سنراه فى السنة من الأحداث ، التى هى تفصيل وتفسير لهذه الأمارات الواردة فى القرآن الكريم.

فليس معنى أن المخرج من الفتنة التى حول الأحاديث هو كتاب الله أى الاكتفاء بكتاب الله عزّ وجلّ وترك الأحاديث، ولكن المعنى أن المخرج هو كتاب الله بمعنى أنه الأصل للسنة، فكل ما فى السنة مفصلا موجود فى القرآن مجملا، ومن ثم لا يحق لأحد أنْ يترك السنة بحجة أنها أحاديث آحاد، لا سيَّما إذا كانت أحاديث الآحاد تَفْصيلاً لما فى القرآن الكريم، وقوله ﷺ: (فيه نبأ ما قبلكم) أى تاريخ الأمم السابقة (وخَبر ما بعدكم) أى أشراط الساعة، أى كل ما يسبقها من أحداث (وحكم ما بينكم) أى الشريعة التى فصلتها السنة.

فالحديث يلزم بالأخذ بالسنة مع أصولها من القرآن الكريم، فبقدر ما يعطيها يقينا تُعطيه تفصيلا وتفسيرا. وهذا هو منهجنا في أشراط وعلامات وأمارات وآيات الساعة من القرآن الكريم والسنة.

(٨) اعتراض البعض على الرجوع إلى الوحي القديم والرد عليه

واعترض البعض على الرجوع إلى كتب أهل الكتاب: التوراة وأسفار العهد القديم أي كتب أنبياء بني إسرائيل، والإنجيل بحجة أنها مُحرفة، وهذا صحيح ومعلوم منذ عهد رسول الله ﷺ وأخبر عنهم الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم بما أحدثوه من تحريف ومن تغيير ومن أقوال كفريَّة، ومع هذا فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي بسنده [عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: (بلّغُوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)](١). ومطلبنا من هذا الحديث قوله ﷺ: (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...).

وروى أحمد بسنده [عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ، فقال يارسول الله إني مررتُ بأخ لي من بني قريظة فكتب لي: جوامع من التوراة، ألاَ أعرضها عليك، فتغير وجهه ﷺ فقال ألا ترى الذي بوجه رسول الله ﷺ ؟فقال عمر: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً، فسُرِّيَ عنه ﷺ ، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيّين](٢).

وأخرج البخاري بسنده عن النبي ﷺ قال: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، «وقولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم..»)(٣). والتوفيق بين هذه الآثار الصحيحة يكمن في معرفة الأقسام الرئيسية للوحي وهي:

---

(١) وأيضاً أخرجه البخاري في صحيحه / ك أحاديث الأنبياء / باب ما ذكر عن بني إسرائيل/ح٣٣٢٣.
(٢) مسند الامام أحمد /ح ١٧٩٢٦.
(٣) صحيح البخاري ك/ التوحيد ب/ ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله/ح ٧٢٧٦

الأول: التوحيد، وما عندنا فى العقيدة بتفاصيلها كامل صحيح، وما عند أهل الكتاب محرف، فلا يجوز ترك الصحيح الكامل والرجوع للمحرف الذى اكتنفته الوثنيات والشركيات الصريحة، ويكون هذا تهوكًا وشكا وَزَيْغًا، وهذا دليل عقلى بعد الدليل النقلى فى الحديث السابق.

الثانى: الشريعة وهى عندنا كاملة تامة مفصلة ناسخة لما عندهم الذى حرفوا أكثره، ومن ثم يكون الرجوع إليهم فى الشريعة تهوكاًوشكا وزيغًا وبخاصة لقول الله تعالى ﴿ . . . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . . . . ﴾[٤٨/ المائدة].

الثالث: أخبار السابقين لأمة الإسلام: يهود ونصارى ومن قبلهم، وأنباءاللاحقين لأهل الكتاب يهود ونصارى، ومن أخبار هؤلاء اللاحقين ما بشر به الوحى القديم عن بعث النبى الخاتم سيدنا وسيد الخلق محمد بن عبد الله ﷺ، وما جاء فيه من أنبائه وأنباء صحابته وخلفائه الراشدين، ومن بعدهم من الملوك والدول والعصور بعامة وما أنبأ به الوحى القديم من أمارات وأحداث الساعة المباشرة بعامة، وما أنبأ به عن الإفسادة الأخيرة المقرونة بالعلو الكبير فى الأرض بخاصة، وأخبار الصراع المرير الدائر بينهم وبين أمة الإسلام حتى آخر الزمان.

وهذا القسم الثالث هو الذى من أجله ـ والله تعالى أعلم ـ قال رسول الله ﷺ (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) ـ فَرَفْعُ الحرجِ عن التحديث عن بنى إسرائيل لا يكون بالنسبة للتوحيد، ولا يكون بالنسبة للشريعة، للأسباب التى ذكرناها فى بند أولا وثانيا.

ومن ثم لا يكون رفع الحرج إلاَّ «الثالثا»، إذ يتعذر فهم آيات القرآن الكريم فهما مفصلاً، تلك الآيات المخبرة عن تاريخ بنى إسرائيل وما كان منهم مع أبيهم يعقوب ومع أخيهم يوسف ومع كليم الله تعالى موسى عليهم السلام إلا بالرجوع إلى بعض التفصيلات الواردة عنهم ،وبشرط أن تكون هذه التفصيلات متوافقة ومتطابقة مع ما جاء مجملا عنهم فى القرآن الكريم والسنة.

وكذا الحال بالنسبة لنبى الله داود والنبى سليمان وطالوت وغيرهم من أنبياء بنى إسرائيل وآخرهم سيدنا عيسى بن مريم عليهم جميعا السلام.

أما ما عندهم عن أنباء المستقبل وأشراط الساعة والملاحم التى بيننا وبينهم فيجب أن نُحدّث عنهم، ونرجع إلى ما عندهم حاكمين له بما عندنا فى السنة الشريفة، بمنهج نقدى نميز به بين الخبيث وبين الطيب وبين الصحيح والمحرف.

ومن يعترض بعد ذلك على التحديث عنهم فقد جعل على علماء الأمة والباحثين حرجاً مخالفا بذلك رسول الله ﷺ الذى رفع هذا الحرج لقوله فى الحديث (... ولاحرج).

وليعلم أن حديث (لو كان موسى بين أظهركم فاتبعتموه وتركتمونى لضللتم) هو فى العقيدة والتوحيد والشريعة لأن الاتباع لا يكون إلاَّ فى الاعتقاد والعمل أى فى التوحيد والشريعة ولا يكون فى سرد الأخبار والتاريخ، إذ هذا يخضع لمنهج نقدى علمى. ومن ثم رفع الحرج فى التحديث عنهم فى ظل هذا المنهج، وفى هذا البند الثالث فقط.

أما قوله: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولاتكذبوهم) فهو يتضمن دعوة كريمة من رسول الله ﷺ إلى منهج النقد العلمى التاريخى للتحقق من صحة نصوص أهل الكتاب، والمعنى: لا تصدقوهم ولا تكذبوهم إلاَّ بعد النقد والتمحيص، لما حدثوا به ، لأن عندهم حقا مختلطا بباطل وصحيحاً ممزوجاً بمحرف، وهذا يتضمن دعوة نبوية كريمة للأخذ بما عندهم فى هذا البند الثالث بشرط النقد والتمحيص، لأنه لو أراد عليه الصلاة والسلام ترك ماعندهم فى هذاالبند بالكلية لأمرنا بتكذيبهم، ولكان النص (إذا حدثكم أهل الكتاب فلاتصدقوهم) ولو أراد ﷺ أن نأخذ ما عندهم بلاتحفظ لقال (فلا تكذبوهم) أمّا وقد قال (فلاتصدقوهم ولاتكذبوهم) فهذا نهى عن التكذيب كما أنه نهى عن التصديق، وهذا لا يتم فى نفس العبد المسلم، إلاَّ إذا أخذ ما حدثوا به إلى موازين النقد العلمية ليصدق بما يثبت صحته وأحقيته، ويكذب بما يثبت كذبه وبطلانه، ومن ثم فتعبيره ﷺ أمر بالتثبت من صحة ما يحدثونا به وليس نهيا عن الأخذ به مطلقا.

وهذا هو النهج الذى سنتبعه إن شاء الله تعالى فى هذا الكتاب، طاعة لأمره ﷺ

(حدثـوا عن بنى إسـرائيل ولا حـرج) بلا أدنى حرج رغـم أنف المعـترضين أنـصاف المتعلمين وأرباع المثقفين.

وللـذين يحـتجون بـقول سيدنـا رسول الله ﷺ لعـمر بن الخـطاب رضى الله عـنه (أمتهوكـون أنتم؟) على تحريم الرجـوع لكتب أهل الكتـاب مطلقا نسوق اليهم هذا الحديث الذى رواه نـعيم بسنده عن أبى العالية قال: لما فُتحت تُسْتَر وجدنـا فى بيت مال الهرمزان مصحفا عند رأس ميت على سرير وقال: هو دانيال فيما يحسب قال:- فحملناه إلى عمـر، فأنا أول العرب قرأته، فأرسل إلى كعب، فنسخه بـالعربية، فيه ما هو كائن، يعـنى: (من الفتن)[1] وتُسْتَر مدينة من مدن فـارس والهرمزان حاكـمها، والجثة علي الـسرير كانت للنبى دانـيال عليه السلام والذى أرسل إلـيه عمر رضى الله عنه الكتاب هو كعب الأحبار لعلمه بكـتب بنى إسرائيل، ولم يكن بالكتاب إلاَّ أخبار الفتن ومن ثم دفعه أميـر المؤمنين إليه ليترجمه إلى العربيـة، ترى هل كان يخالف ابن الخطاب بهذا النبى ﷺ؟ أجيبوا أيها المتنطعون؟!.

وروى الإمام أحمد بسنده (عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال: رأيت فيما يرى النائم، لكأن فى إحدى إصبعى سمـنا وفى الأخرى عسلا، فأنا ألعقهما، فلما أصبحتُ ذكرتُ[2] ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «تقرأ الكتابين التوراة والفرقان» فكان يقرؤهما) (وعن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مكتوب فى التوراة: من سَرَّهُ أن تـطول حـياته، ويـزاد فى رزقـه، فليـصل رحـمه»)[3] وأيضـا (عن سلـمان الفارسى رضى الله عنه قال: قرأت فى التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده، فذكرتُ ذلك لـلنبـى ﷺ فأخبـرته بما قـرأتُ فى التـوراة فقال رسـول الله ﷺ: «بـركة الطـعام

---

(١) نعيم بن حماد المروزى/ الفتن حديث رقم ٣٧.

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٢/ ٢٢٢ عن عبدالله بن عمرو/ عن كتاب / اليهود فى السنة المطهرة لعبدالله بن ناصر الشقارى ح٢ صـ٦١٥ ح رقم ٥٤٥ نشر دار طيبة

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه والبزار فى مسنده والهيثمى فى مجمعه عن المصدر السابق ح ٥٤٦.

الوضوء قبله والوضوء بعده» (١) وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتيت الطور فوجدت كعبا، فمكثت أنا وهو يوما أحدثه عن رسول الله ﷺ ويحدثنى عن التوراة....) (٢) إلى آخر الحديث وكل هذه الاحاديث تثبت أن الصحابة رضى الله عنهم حدثوا عن التوراة فى حياته وبعد وفاته ﷺ.

(٩) الاعتراض على نصوص الاشراط بإنكار العقل لها والرد عليه:.

ومن الدعاوى المثارة حول علم أشراط الساعة قول البعض إن بعض الأحاديث متعارضة متضاربة، بل ذكر بعض العلماء القدامى من المحدثين والمؤرخين أن بعض هذه الأحاديث، وربما كثير منها، منكر يخالف أحكام الواقع وسنن الحياة.

والرد على هذا: أن هذه الأحاديث تتناول أحداثا متباعدة فى الأزمان والأماكن، ومن ثم فقولهم على انتقال الجيش أو الشخص من مكان إلى مكان بعيد فى يوم واحد، أنه خبر منكر، إنما هو لاختلاف وسائل الانتقال فى عصر الخبر عن عصورهم التى كان الجيش أو الشخص يقطع المسافة فيها من مكة إلى المدينة مثلا فى أسبوعين بينما الخبر يدل على أنه تمَّ خلال يوم واحد. ومن ثم صار وجه رفض الخبر هو علامة صحته، لأنه دل على خيرغيبى قبل حدوثه بأزمان طويلة.

وسنقرأ من الأخبار والآثار والأحاديث ما تحقَّق وصار أدلة دامغة على صدق نبوة النَّبىِّ الخاتم ﷺ، رغم غرابة الخبر بالنسبة للسابقين وإنكار عقولهم له، ومن ثم شكهم فيه والحكم عليه بالوضع أوالكذب أو الضعف الشديد، وأكثر الذين رفضوا أحاديث الفتن من العلماء القدامى، لم يكن رفضهم بسبب ضعف السند وإنما كان بسبب إنكار عقولهم لها، ولو اعتمدوا الأحاديث من خلال نقد أسانيدها فقط، دون المتن لأصابوا، لأن أكثرها يتحدث عن عصرنا الملىء بما تنكره عقولهم من مخترعات

---

(١) رواه الترمذى فى سننه وابو داود وغيرهما عن المصدر السابق ح ٥٤٧

(٢) رواه أبو داود فى سننه والنسائى وغيرهما عن المصدر السابق ح ٥٤٩

(١٠) زعمُ البعض بأن البحث فى علم المستقبل الإسلامى المعروف بأشراط الساعة والملاحم يضر ولا ينفع والرد عليه

ويزعم البعض أنه ليس من ضرورة لنشر أحاديث الفتن وأشراط الساعة والبحث فيها، ومحاولة مطابقتها للوقائع التاريخية: ما حدث وما هو قائم مستمر وما يُتَوقع حدوثه، وحجتهم فى هذا المسلك أنها تضر ولا تنفع، إذ قد تثير الفتن والاضطرابات من ناحية، إذا كانت تخبر عن أحداث خطيرة ضارة بالناس، وإذا كانت تخبر عن أحداث طيبة ونصر للإسلام والمسلمين على أيدى أشخاص كالمهدى مثلا أو سيدنا عيسى، فإنها تؤدى بهم إلى التواكل وترك العمل.

وللرد على هذا نقول: إن توقع الفتنة والتأكد من حدوثها عن طريق مطابقة ما جاء من أخبار عن مقدماتها وإرهاصاتها بالواقع يساعد على توقِّى السقوط فيها، والنجاة منها. وهذاما صرح به حذيفة بن اليمان رضى الله عنه (هذه فتن قد أظلَّت، كجباه البقر، يهلك فيها أكثر الناس، إلاَّ من كان يعرفها قبل ذلك)[١].

وهل ترك لنا رسول الله ﷺ أكثر من ثمانين حديثا فى الدجال، فيما يحدث قبل خروجه وأثناء خروجه وصفاته وغير ذلك إلاَّ لكى ندرسها ونُعلِّمها أبناءنا ليعرفوها توقيا لفتنته وبهدف النجاة منها؟!

كأن الذى يقول هذا القول يقول: إن فى السنة أبوابا وكتبا لا لزوم لها ولا نفع ولا هَدْىَ فى تعلمها؟!

وحاشا لله ولرسوله هذا، وكفى به إثما من قائله، لو كان هذا دافعه لهذا القول.

إن الله تعالى أخفى الساعة وأظهر مقدماتها وكذا نبيُّه ﷺ ترك لنا الكثير من الأحاديث فى هذا المجال، ليس لكى تخزن وتمنع عن الناس بحجة عقلية أو أخرى يجعل فيها المانع نفسه وكيلا من دون الله تعالى وحفيظا وقيما على المسلمين وبخاصة شبابهم خوفا عليهم من الفتنة إذا سمعوا هذه الأحاديث، وإنما أظهر الله تعالى مقدمات الساعة وكذا نبيه ﷺ أعلمنا بأشراطها وأماراتها وآياتها لحكمة جليلة وفائدة عظيمة للمسلمين أفرادًا ومجتمعات وأمة.

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد فى كتاب الفتن حديث رقم ٥ نشر سمير أمين الزهيرى. مكتبة التوحيد القاهرة.

أما الذيـن يرفضون تبـليغ هذا العـلم العظيم الـنافع وبخاصـة فى زماننا المـعاصر للمسلـمين، فهم الذين وقعوا فـى الفتنة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[التوبة/ ٤٩] وكفـى بحجـب سنة رسـول الله ﷺ عن آذان الـناس فتـنة سقط فيها من يحجب نور الله تعالى عن خلقه.

فكل ما جاء فى القـرآن الكريم وما بلَّغنا به رسول الله ﷺ هو لحـكمة وفائدة وكله نور وهدى، ومعرفـته واجبة بل هى فرض كفاية عـلى الأمة يقوم به العلمـاء وعليهم واجب التبليغ ومن يـحول دون هذا التبليغ فهو آثم مفتون، ولـو اعتقد أنه من الدعاة، ولو زعم أنه من المجاهديـن، ولو توهم أنه الحفيظ والوكيل والكفـيل لدعوة الله تعالى والناصر الوحيد لدينه.

لقـد بحث الـعلمـاء عن حكـمة ورود أشراط الـساعة فـى القرآن والـسنة فـذكر القرطبى فوائد جمـة لهذا العلم فقال: (قال العلماء رحمهـم الله تعالى: والحكمة فى تقديم الأشـراط ودلالة الناس عليهـا تنبيه الناس عن رقـدتهم، وحثهم علـى الاحتياط لأنفسـهم بالتوبة والإنـابة، كى لا يباغتـوا بالحول بينهـم وبين تدارك العوارض مـنهم فينبغى لـلناس أن يكونوا بعد ظهورأشـراط الساعة قد نظروا لأنفسهـم وانقطعوا عن الدنيا، واستـعدوا للساعة الموعود بهـا والله أعلم. وتلك الأشراط علامة لانتـهاء الدنيا وانقضائها...)(١)

وقال أميرالمؤمنين فى الحديث الحافظ بن حجر العسقلانى فى الفتح (والحكمة فى تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد)(٢).

والسؤال الذى يـفرض نفسه علـينا الآن هو: كيف تتـحقق هذه الحكمـة وتتم هذه الفائدة؟

ليس من سبيل لتحقيق الحكمة وجنى الفائدة إلا بمطابقة الأخبار الواردة فى أشراط الساعة بالأحداث المعاصـرة، لأننا لو حفظنا هذه الأخبار منعزلـة عن الواقع التاريخى وأحداثه لما استفدنا منـها بشىء، ولو علمنا أن حدثًا تاريخيا معـاصرا نبَّأت به السنة لما

---

(١) القرطبى/ التذكرة ص ٦٢٤.

(٢) ابن حجر/ فتح البارى جـ١١ ص٣٥٠.

استفدنا به إلا باعتباره دليلا جديدا على صدق نبوة المصطفى ﷺ، وإنما تتم الفائدة وتتحقق الحكمة إذا رتَّبنا الأحداث الواردة فى السنة، كمقدمات للساعة، ترتيبا متسلسلا متتابعا ثم مطابقة هذه السلسلة بالواقع حتى إذا وقعت أول أحداث السلسلة صار عندنا توقع وترقب لما بعد هذا الحدث الأول من أحداث، فنتيقن أننا فى آخر الزمان ونستعد لكل فتنة متوقعة ونأخذ حذرنا منها حتى لا نسقط فيها.

وهذا هو المحور الرئيسى لعلم أشراط الساعة كما تصوره العلماء على مر العصور.

وهذا هو الذى نتوخاه فى هذا الكتاب مُنبِّها ومُحذراً من قرب وقوع زلزال الأرض العظيم وأحداث القيامة الصغرى راجيا من الله تعالى التوفيق والسداد ونفع المسلمين به.

فنشر أحاديث الفتن وأشراط الساعة وبحثها وتصنيفها وشرحها ومطابقتها للواقع ضرورة حياتية للأمة حدَّث بها رسول الله ﷺ وصنفها وحفظها المحدثون وشرحوها وأوصلوها لنا أحوج الأجيال إليها لأننا أهل آخر الزمان، ثم يطلع علينا من يقول ليس لها فائدة، سبحان الله، ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة/ ١٤٠].

ففيم كان حذيفة رضى الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن الشرمخافة أن يدركه بعد رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يجيبه إجابات مفصلة؟!

وفيم كان سؤال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه للصحابة وفيهم حذيفة: أيكم يحفظ قول النبى ﷺ فى الفتنة؟. ولِمَ كان حذيفة يجيبه؟!.

ولم كان أبو هريرة رضى الله عنه، إذا لقى الفتى قال له: يا ابن أخى، إنك عسى أن تلقى عيسى بن مريم فأقرئْهُ منى السلام".

ولِمَ كان عبد الله بن عمرو بن العاص يمتلك حمل بعير من كتب أهل الكتاب يحدث منها عن الفتن وأحداث آخر الزمان؟!.

وأخيرا ما الحكمة فى أن الله تعالى لم يقل لموسى: إن الساعة آتية أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى، وقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه/ ١٥]. أليس لأن هديه سبحانه: قرآنًا وسنة مُتضمنٌ للأحداث التى بين يدىّ الساعة والتى بها يستيقن أهل العلم بقربها الشديد ويتوقعون الحدث تلو الحدث، حتى إذا خرجت النار من قعر عدن لم يبق إلا حدوثها ووقوعها الذى لا يعلم وجبته على وجه الدقة والحقيقة إلا هو سبحانه؟!.

أم ماذا يقول المنكرون لضرورة نشر هذاالعلم وتعلمه وتعليمه للشباب والصبية المتوقع معايشتهم لأحداثه فى قوله تعالى ﴿... أَكَادُ ...﴾ وما هوتفسيرهم لها؟!.

ولكن يبدو أن الناس ـ وبخاصة الذين ينتسبون إلى العلم ـ يكرهون وينكرون ما يجهلون، وهذا العلم من العلوم التى أهملتها الأمة وانشغلت عنها. فزعموا أن لا فائدة منه، بل زعم البعض أن له أضرارا على دعوتهم، فحاولوا حجبه عن آذانهم وقلوبهم وهو نور ربانىٌّ هم أحوج ما يكونون إليه، ومن يُغْمِض عينيه دون النور يضير عينيه ولا يضير النور.

أمَّا الذين يَمنعُون جزءاً من الهُدى النبوّى عن الناس، ويريدون أن يَحُولُوا بينهم وبينه، بحجة خشيتهم من هديه ﷺ فى علم الفتن وأشراط الساعة على دعوتهم وجماعتهم، فَلْيَعلمُوا أنه لن يكون فى هذه الجماعة ولا فى هذه الدعوة خير يرجى للأمة إذا كان نور النبوة يهدد هذه الدعوة وتلك الجماعة، لأن النور المحمدى لا يهدد إلا الضلال ولا يبدد إلا الظلام. وجماعة مثل هذه الجماعة تسير على غير بصيرة: القيادة ومن إتبعها.

الفصل الثانى

الأصول الاعتقادية لأشراط الساعة

فى القرآن الكريم والسنة

(١١) الإيمان بالساعة وأشراطها فرع من الإيمان باليوم الآخر:

يتأسس الإيمان بالساعة والتصديق بأشراطها عند المسلم بحسب ما جاء عنها فى القرآن الكريم والسنة على أركان الإيمان الستة بعامة وعلى ركنى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر بخاصة.

لأن الإيمان بالأشراط والتصديق بحتمية حدوثها كما وردت فى نصوص الوحى، وتوقعها وترقبها والعمل فى الدنيا بحسب هذا التصديق، كل هذا فرع من الإيمان والتصديق بهذه الأركان بعامة، وبركنى الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر بخاصة.

فالإيمان بالساعة فرع من الإيمان باليوم الآخر إذ الساعة بدؤه أو هى جزء منه أو مرحلة من مراحله أوحدث من أحداثه، كما سترى بعد.

جاء فى حديث الإيمان قول الرسول ﷺ عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (١).

وكذلك ورد الحديث بلفظ آخر هو: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث ....» (٢).

أركان الإيمان الأربعة هى أصول الإيمان باليوم الآخر:

تتأسس أركان الإيمان الخمسة: الإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره على الإيمان بالله عزوجل.

---

(١) صحيح مسلم / ك الإيمان/ ب بيان الإيمان والإسلام والإحسان/ ح ٥٩.

(٢) صحيح البخارى/ك الإيمان/ ب سؤال جبريل النبى فى الإيمان والإسلام والإحسان / ح ٥٠.

وهذا الترتيب الوارد في الحديث يدل على أن اللاحق من هذه الأركان يتأسس على السابق فيها، وحيث أن أولها الإيمان بالله تعالى وهو أمر فطرى جبلى فى النفس الإنسانية، فإن الإيمان بالملائكة ينبنى فى النفس ويقوم فيها مؤسساً على الإيمان بالله عزوجل، والإيمان بالكتب لا يتحقق فى النفس إلا بعد الإيمان بالله تعالى وبملائكته.

كما أن الإيمان بالرسل ينبنى أيضاً على الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه، ثم يأتى الإيمان باليوم الآخر بعد هذه الأركان، فلا يكاد يصدق الإنسان باليوم الآخر إلا بعد التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وينبنى الإيمان بالقدر خيره وشره على هذه الأركان السابقة عليه جميعاً.

الأصل الأول: الإيمان بالله تعالى

هو أصل الإيمان الأول، وأساس جميع الأركان فهى جميعاً فروع منه، وهو أمر فطرى فى النفس الإنسانية إذ يولد الطفل مسلماً موحداً فمعرفة الله تعالى واحداً لاند له مغروسة في النفس البشرية بمقتضى الخلقة، فهى أمر جبلي.

وهذا الركن هو أول أركان الإيمان فى الإسلام لأن جميع الأركان مبنية عليه فلا يمكن أن يتحقق الإيمان بالملائكة فى النفس إلا بعد الإيمان بالله تعالى بصفاته العليا وأسمائه الحسنى، كما وردت بالوحى، ولو آمن الإنسان بالله تعالى بصفات لا تليق بجلاله أو سماه بأسماء تتعارض مع كمالاته وتنزيهه المطلق فإنه يتعذر عليه أن يؤمن ببقية الأركان الخمسة التالية لركن الإيمان بالله تعالى، لأن نفى الأصل يستلزم نفى الفروع القائمة عليه والمنبثقة منه لذا نقول: إن الإيمان با لله تعالى واحداً لا ند له ولا شريك له متصفاً سبحانه بصفات الكمال والجلال، منزهاً عن أوصاف النقص والعيب التى هى للمخلوق من حيث كونه مخلوقاً هو الأساس الأول الصحيح الذى تقوم عليه بقية أركان الإيمان الأخرى.

ومن صفات الخالق العليا أنه سبحانه حكيم فلا يخلق إلا لحكمة، وأنه عليم بكل شيء كان وكائن وسيكون، وقد خلق الله تعالى الإنسان لحكمة جليلة سامية، لها

صلة وثيقة باليوم الآخر، وبالتالي فإن لها صلة وثيقة بالساعة وأشراطها كما سيأتي الحديث عن هذه الحكمة بإذن الله تعالى.

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة:

الملائكة جنود الله تعالى ورسله، ولا يصدق بوجودها إلا من آمن با لله تعالى إيماناً صحيحاً صادقاً موافقاً لما فطره الله عليه، ولما جاء عنه سبحانه في القرآن الكريم، والسنة الشريفة الصحيحة، ويعتبر التصديق بالملائكة مع الإيمان بالله تعالى أساساً للإيمان بالأركان التالية على ركن الملائكة وأولها الإيمان بالكتب.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب:

وينبني على الإيمان بالله تعالى وعلى الإيمان بالملائكة لأن الملائكة هم الرسل المنزلة بالكتب على الأنبياء ﷺ، ومن ثَمَّ فمن لم يصدق بوجود الملائكة لا يتيسر له التصديق بالكتب السماوية المنزلة من عند الله عزوجل.

كما أن الإيمان بالكتب بعد الإيمان بالله تعالى والإيمان بالملائكة أسس ثلاثة للإيمان بالرسل.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل:

الرسل من البشر هم الذين تنزل عليهم الملائكة بالكتب التي هي رسالة الله تعالى للناس، وهديه سبحانه وتعالى لهم، قال تعالى لآدم وزوجه عليهما السلام ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة/ ٣٨].

فالهدى الإلهي المنزل هو مضمون الكتب الإلهية المنزلة على رسل البشر خلال عمر البشرية، وهي تتضمن فيما تتضمن أخبار المستقبل، وأحداث الدنيا حتى تنقضي وتنتهي، وكذا تتضمن أحداث ما بعد الموت للفرد وما بعد انتهاء الدنيا للنوع الإنساني.

وحيث أن الرسل هم من البشر، فإن الحكمة من إرسالهم مرتبطة بخلق الإنسان، الأمر الذى وجدنا أساسه الاعتقادى فى صفات الله عزوجل فلإنه حكيم سبحانه فهو لا يخلق خلقاً إلا لحكمة، لأنه سبحانه وتعالى منزه عن العبث واللهو.

والحكمة التى من أجلها خلق الله تعالى الإنسان فى الحياة الدنيا ـ كما أخبرنا عنها فى القرآن الكريم ـ هى الابتلاء بمعنى الإمتحان والاختبار، قال تعالى: ﴿... الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [تبارك/ ٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود/ ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [الإنسان/].

لقد خلق الله تعالى الناس لكن يبتليهم ويمتحنهم حتى يميز الخبيث من الطيب ويقيم الحجة العملية على الخبيث، وخلق سبحانه السماوات والأرض وكل شيء بنواميس وطبائع وكيفيات محققة جميعاً لهذا الحكمة فصارت الدنيا داراً للابتلاء.

وحيث أن الامتحان والاختبار لابد أن يعقبه الجزاء، فإن الابتلاء والامتحان لابد أن زمنه محدود ومن ثم صارت الدنيا بأجل محدد وزمن معلوم مقدر لله عزوجل ولزم أن تكون الدنيا مرحلة أولى فى الوجود البشرى يعقبها مرحلة ثانية وأخيرة هى مرحلة الوجود الجزائي، وبالتالى لزم أن يكون اليوم الآخر بحسب قدر الله تعالى ومشيئته داراً دائمة باقية للثواب والعقاب.

هذا هو الأساس الاعتقادى للحكمة من اليوم الآخر فى الإسلام.

الإصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

ينبنى الإيمان باليوم الآخر كما رأيناه على الإيمان بالله تعالى وعلى الإيمان بالملائكة وبالكتب وبالرسل، من الناحية المعرفية لا معرفة للإنسان بالحكمة من خلقه إلا عن طريق الكتب والرسل، وكذلك لا يمكن أن يعرف الإنسان أخبار اليوم الآخر إلا عن طريق الوحى: ملائكة وكتباً ورسلاً.

لذا جاء ركن الإيمان باليوم الآخر بعد الإيمان بهذه الأركان جميعاً، فهو مبنى عليها، كما ورد فى آيات كثيرة مقروناً بالإيمان بالله تعالى، وبخاصة فى مواضع الحض على عمل الخير والبر والنهى عن الكفر وعن عمل الشر والسيئات، وكذا فى مجال الوعظ ترغيباً وترهيباً من هذا قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة/ ٢٣٢].

لقد اقترن الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله تعالى فى خمس وعشرين آية أخرى من آيات الذكر الحكيم، منها قوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٧]. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة/ ٦٩]. وكذلك فى قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة/ ٢٨٥]. فالإشارة هنا إلى اليوم الآخر فى قوله تعالى: ﴿وإليك المصير﴾، وعلى هذا فإن أركان الإيمان الخمسة التالية لركن الإيمان بالله تعالى والتى تبدأ من الإيمان بالملائكة وتنتهى بالإيمان بالقدر، كلها فروع منبثقة من أصلها جميعا، وهو ركن الإيمان بالله تعالى، وهى جميعاً تصديق بالله تعالى لأن الإيمان لايمكن تبعيضه إذ هو حقيقة واحدة لا تتجزأ ولاتتفرق، ومن ثم فإن التصديق بالأركان جميعا هو جوهر الإيمان بالله تعالى، فلا يجوز التفريق بينها، إذ لا يصح الإيمان بواحد منها دون سائرها، كما لا يصح الإيمان بها جميعاً دون واحد منها، وبالتالى فإن الكفر بواحد منها كفر بها جميعاً.

أما الكفر بها جميعاً صراحة فهو الضلال البعيد قال تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء/ ١٣٦] وذلك هو حال الملحد المعاصر المنكر لوجود الخالق عزوجل، والعلماني هو المنكر لليوم الآخر أو الذي يرفض تنظيم الحياة على أساس الإيمان بالله واليوم الآخر وهو كافر ملحد أيضاً.

(١٢) الإيمان بالآخرة في مقابل الدنيا:

لقد ورد ذكر الآخرة في اثنتى عشرة ومائة آية من آيات الذكر الحكيم، جاء بعضها للدلالة على الحياة الآخرة الدائمة التي تلي البعث والقيامة في مثل قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة/ ٤]. فالآخرة هنا تدل على اليوم الآخر والحياة الأبدية التي تبدأ من انتهاء الدنيا بالبعث وتستمر بلا نهاية، وورد ذكر لفظ الآخرة في بعض الآيات في مقابل الدنيا: منها قوله عزوجل ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة ١١٤]. ومنها قوله عز من قائل ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة/ ٢٠١]. وقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [البقرة/ ٢١٧]. وقوله تعالى أيضاً: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [البقرة/ ٢٢٠].

والمعنى الثابت أو الدلالة المؤكدة من اجتماع لفظي الدنيا والآخرة، في آية واحدة أن الإنسان يحيا حياتين: الأولى: وهي التي نحياها الآن، والثانية: وهي التي تكون في عالم آخر أو جود آخر مختلف عن هذه الحياة الأولى ويبدأ بالبعث والنشور الذي يأتي بعد الموت.

والاولى هي الحياة الدنيا، والثاية هي الحياة الآخرة.

يدل على هذا ورود لفظ الآخرة في بعض الآيات في مقابل الحياة الدنيا في مثل قوله عزوجل ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾[النساء/ ٧٤].

فالأولى فى مقابل الآخرة كما هو الحال بالنسبة لعملية البيع، حيث الثمن فى مقابل السلعة، وهما، أى الأولى والآخرة، من خلق الله تعالى، ومن ثم فهما ملك له سبحانه وتعالى ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النجم/ ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾ [الليل/ ١٣]، وله الحمد فيهما معاً، قال تعالى ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَىٰ وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص/ ٧٠].

فإذا شاء سبحانه رحم عبده فى الدنيا والآخرة، وإذا شاء عذبه فى الدنيا ورحمه فى الآخرة، وإذا شاء نعمه فى الدنيا وعذبه فى الآخرة، وإذا شاء نعمة فى الدنيا ثم أنزل عليه عذابه فيها ثم عذَّبه عذاباً أبدياً فى الآخرة مثل فرعون الذى قال الله تعالى عنه ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ [النازعات/ ٢٥].

وفى مجال المقارنة بينهما بيَّنَ سبحانه وتعالى لنبيه الكريم ﷺ خيرية الآخرة على الأولى بقوله عزوجل ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى﴾[الضحى/ ٤].

وهذا يدعونا إلى التفكير فى العلاقة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، لنجد أن الرابط بينهما يتمثل فى الحكمة من ثنائية الوجود الإنسانى: ألا وهى الابتلاء كما أسلفنا من قبل، لأنه إذا كانت الدنيا دار امتحان، والامتحان مؤقت بالضرورة ولابد أن يعقبه الجزاء والثواب نعيماً وفرحاً وسروراً للفائزين، وعكس ذلك تماماً للخاسرين، فإن دار الجزاء دائمة مستمرة بفضل الله تعالى وكرمه ومنَّه على الفائزين، فالثانية إذاً هى الآخرة إذ ليس ثمة دار ثالثة، وعلى هذا فكل منهما دار يؤوى الله تعالى فيها الإنسان، قال تعالى ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٦٩]، لأن الدار الآخرة إما أن تكون دار خير وسلام، وإما أن تكون دار سوء وشر، لأنها دار جزاء على العمل الذى عمله الإنسان فى الدار الأولى، وعمل الإنسان فى الحياة الدنيا ليس من جنس واحد، بل هو إما أن يكون شراً، وإما أن يكون خيراً، قال تعالى: ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾.

ودار المؤمنين هى نعم الدار فى الآخرة، يسكنها الإنسان، قال تعالى مخبراً عن تحيتهم فيها ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد/ ٢٤] فهى دار

السلام قال تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٧]. **يقابل ذلك** دار الكافرين في الآخرة وهي دار شر وألم وسوء وعذاب، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد/ ٢٥]. **إن الدار الأولى** التي هي هذه الحياة الدنيا المؤقتة يختلط فيها الخير بالشر والمتاع بالألم والفرح بالحزن والبكاء بالضحك والصحة بالمرض والحياة بالموت بينما الدار الآخرة ينفصل فيها كل النقائض والأضداد، كل نقيض في عالم أو دار مستقلة بعيدة عن الأخرى، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال/ ٣٧]. **فتكون** جهنم داراً للخبيثين، والجنة داراً للطيبين، قال تعالى ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾ [النمل/ ٣٠]. **فالحكمة من الابتلاء** هي فصل الخبيثين عن الطيبين في الآخرة، وجوهر الابتلاء هو تخيير الإنسان بين الدنيا والآخرة، أي بين دار الدنيا ودار الآخرة، فالفوز لمن يؤثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، لأن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية لدوامها،بينما تبدو الدنيا بعد انقضائها كأنها وجود وهمي، إذ يظن الناس بعد انقضائها أنها كانت مجرد حلم مر بين عشية وضحاها.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٦٤]، أي أنها الحقيقة التي يرجوها كل إنسان، وقال تعالى عن الحياة الدنيا بعد انقضائها يوم القيامة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات/ ٤٦]. **وقال تعالى** أيضاً في بيان العلاقة بين الدار الدنيا والدار الآخرة ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد/ ٢٦].

ومع هذا فالحياة الدنيا لها أهميتها العظمى بالنسبة للإنسان، إذ هي مزرعته للآخرة، ففيها الحرث الذي ثمرته دار السلام في الآخرة، أو الحرث الذي ثمرته سوء الدار في الآخرة، فهنا الحرث وفي الآخرة الحصاد والجني، ومن ثم فلا يجوز إهمال الدنيا أو تركها أو الحياة فيها حياة سلبية أو حياة لعب ولهو، لأن إهمال الحرث تضييع للثمار، والعناية بالحرث عناية بالثمار، ومثل الإهمال الإفساد ، فمن أفسد زرعه أو ضل في التعامل معه ضيعه وخسر الخسران المبين.

ومن ثم فإن العمل فى الحياة هو السبيل لكسب الآخرة والفوز بدار النعيم فيها: وكما أن الحرث علة خروج الثمر بإذن الله تعالى، فإن من يريد الحياة الآخرة عليه أن يكتسب حرثها ويحصل على أسبابها ويسعى لمقدماتها فى الدنيا، أما من آثر الحياة الدنيا. وباع بها الآخرة، فهو الذى يأخذ بأسباب وعلل الدنيا فقط، فلا يكون له من ثمار الآخرة الطيبة نصيب، وينحصر نصيبه من الآخرة فى الخبيث، لأن الشر والخبث فى طلب الدنيا وحدها، وبالعكس فإن من أراد الدار الآخرة وسعى لها سعيها واشتراها بالدنيا ، فإنه يأخذ بأسباب وعلل ثواب الآخرة، فيفوز بالحياة الطيبة الراضية فى الدنيا والآخرة، أى بنعيم الدنيا والآخرة ولو ضحى ببعض نصيبه من الدنيا، وربما دفع حياته ثمناً للجنة فى الآخرة، فيكون شهيداً يرزق عند ربه، قال تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلاءِ وَهَٰؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)﴾ [الإسراء/ ١٨، ١٩، ٢٠].

وحيث أن لكل دار من الدارين أسبابا وعللا خاصة يجب على الإنسان أن يكتسبها لكى يحصل عليها، فقد وعد الله تعالى طالب الدنيا أن يمكنه من حرثها، أى من أسبابها، ليفوز بما قسمه الله تعالى منها، كما وعد سبحانه طالب الآخرة أن يمكنه من حرثها أيضاً، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[الشورى/ ٢٠]. فالحرث ليس مراداً لذاته بل لنتيجته وثمرته وثوابه، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النساء/ ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٥]. أى أن الله تعالى يمد العبد بما يمكنه من تحقيق ما يختاره العبد، سواء أكان إختياره للدنيا، أم كان اختياره للآخرة، وأكثر ما يكون اختيار الناس للدنيا فقط دون الآخرة نتيجة كفرهم باليوم الآخر، أو على الأقل ريبهم فيه.

فأصحاب التفكير المادى الذين لا يؤمنون إلا بما يبصرون ويسمعون ويلمسون ويشمـون، يكذّبون بوجود حياة ثانية بعد الموت، أو دار أخرى بعد هذه الدار، فهم ينكرون الآخرة ألبتة، وهؤلاء يقول الله تعالى فيهم لنبيه الخاتم ﷺ وسلم﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٠].

وقال تعالى أيضاً فى وصف الظالمين :﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٤٥]. **وقال تعالى:** فى مصير هؤلاء المكذبين بالآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٤٧].

فالكافر والمكـذب باليوم الآخر الذى هو الركن الخامس هوكافر ومكذب بالساعة وبلقاء الله تعالى فى الآخرة، وبالبعث والنشور وبالجنة وبالنار وبالحياة الآخرة الخالدة، ومن ثم إذا كان يزعم أنه يؤمن بالله تعالى ويقر بأن له رباً خالقاً ـ فهو يصفه بالعبث واللهو، إذ يزعم أنه خلق الخلق بلا حكمة، ولذلك قال عنهم ﴿وهم بربهم يعدلون﴾ أى يعدلون عن وصفه بما يليق بجلاله إلى وصفه بما لا يليق به سبحانه، مثل اللهو والعبث بالخلق.

أما من آمن بالله تعالى وباليوم الآخر، بحسب المفاهيم والأخبار الواردة عنه فى الكتاب والسنة فإنه مصدق بالضرورة بالساعة، وبالتالى فهو مصدق بما ورد فيهما عن أشراطها، ومن ثم لا يتم الإنتفاع بهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ وبغيره من كتب أشراط الساعة وأحوال الموتى، ومراحل اليوم الآخر، إلا للذى يؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى.

وخلاصه القول أن الإيمان باليوم الآخر فرع من الإيمان بالله تعالى، والإيمان بأشراط الساعة فرع من الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالفروع لا يكون إلا بعد الإيمان بالأصول.

(١٣) النشأة الآخرة فى مقابل النشأة الأولى:

الوجود الثانى للإنسان الذى هو الحياة الآخرة يسبقه الموت الذى يقع بين

الحياتين، قال تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة/ ٢٨]. **وقال تعالى:** مخبراً عن مقالة الكافرين فى جهنم ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾ [غافر/ ١١] **فالوجود ليس هو هذه الحياة الدنيا فقط**، كما أنه لا يبدأ بمولد الإنسان، أو يبدء تكونه جنيناً فى الرحم، بل يمتد وجوده سابقاً على هذه المرحلة، إذ خلقه الله تعالى أول ما خلقه ميتاً، ثم أحياه فى هذه الحياة الدنيا، فقبل الحياة الأولى الموته الأولى، قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك/ ١،٢]. **ومن ثم فالموت يسبق الحياة**، والموتة التى ينتظرها كل حى هى الثانية التى تسبق الحياة الثانية أى الأخيرة.

ومن ثم فإن الله تعالى ينشىء الإنسان حياً بنشأتين، النشأة الأولى، ثم النشأة الآخرة، قال تعالى ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس/ ٧٨]. وعن النشأة الآخرة بعد الأولى قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت/ ١٩، ٢٠]. **إن النشأة الآخرة** هى بدء الحياة الآخرة، لكنها تتم لكل البشر أولهم وآخرهم فى لحظة زمنية واحدة أو فى ساعة واحدة.

وبعد النشأة الآخرة التى يتحقق بها البعث تأتى أحداث وأحوال وأهوال يمر بها البشر وكل ذلك تحت مسمى اليوم الآخر.

فالساعة حدث من أحداث اليوم الآخر، وحال من أحواله، وهول من أهواله، فما هو المعنى الدقيق والمفهوم المحدد للساعة فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة؟

الباب الثانى

مراحل يوم القيامة

وتصنيف الاشراط

الفصل الأول: الساعة والقيامة فى القرآن الكريم والسنة وتصنيف الاشراط عند العلماء.

الفصل الثانى: مفهومى للساعة والقيامة وتصنيفى للاشراط النابع من القرآن الكريم والسنة.

الفصل الأول
القيامة والساعة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وتصنيف الإشراط عند العلماء

١٤ـ قيام الساعة بغتة فى آخر لحظه من عمر الحياة الدنيا.

١٥ـ خلط الباحثين بين دلالات الساعة والبعث والقيامة.

١٦ـ ما أطلق عليه العلماء أشراط الساعة العظمى هو بدء نهاية الدنيا أو هو بمثابة فجر اليوم الآخر.

١٧ ـ دلالات الساعة الثلاث عند العلماء.

١٨ـ معنى قرب الساعة عند العلماء.

(١٤) قيام الساعة بغتة فى آخر لحظة من عمر الحياة الدنيا

ورد لفظ الساعة فى اثنتين وأربعين آية من آيات الذكر الحكيم، للدلالة على الحدث الذى هو لحظة انتهاء الدنيا وموت البشر، وفى نفس الوقت هو لحظة بدء الآخرة، قال تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام/ ٣١]. فمجئ الساعة بغتة يفيد حدوثها فى الدنيا على حين غرة ودون توقع، قال تعالى ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف/ ١٠٧]، وقال تعالى أيضاً ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام/ ٤٠]. ففى هاتين الآيتين الكريمتين نذير للكافرين بواحد من اثنين:

الأول: إما عذاب الله أو غاشية من عذابه.

الثانى: وإما الساعة.

ومعنى هذا أن الكافرين الذين تجاوزوا الحد وطغوا فى البلاد، إن لم تقم عليهم الساعة فقد يصيبهم عذاب الدمار أو الاستئصال أو قريب منه والعكس صحيح، وهذا دليل على أن الساعة تقوم فى الدنيا وتصيب الكافرين بغته فتقضى عليهم جميعاً، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى عن المكذبين بالقرآن الكريم ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج/ ٥٥].

وهذه الآية تتضمن نبوءة بأن الدنيا سيكون فيها كافرون مكذبون لآيات الله تعالى ولوحيه الأخير للنبى الخاتم حتى قيام الساعة، لأن الضمير فى قوله تعالى: ﴿فى مرية منه﴾ يعود على القرآن الكريم، والآية تثبت أن الكفار لا يزالون فى شك وريب من هذا القرآن ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ فإن لم يكن هذا الجيل هو الجيل الذى ستقوم عليه الساعة فقد يأتيه ﴿عذاب يوم عقيم﴾ أى لا غدله، إذ يصيبهم الاستئصال وهو هو المعنى الراجح عندى والله أعلم، فى حين أن ابن كثير رحمه الله قد فسر قوله تعالى

﴿عذاب يوم عقيم﴾ بيوم القيامة وهذا قول مرجوح عندى بدليل قوله تعالى: ﴿أو﴾ بين العذابين، فإما أن يصيبهم هذا أو ذاك، فلو كان عذاب اليوم العقيم هو عذاب يوم القيامة لكان الحرف (و) مناسباً بدلاً من الحرف (أو) لأن الكفار الذين ستقوم عليهم الساعة لن تكون لهم نجاة من عذاب اليوم العقيم أيضاً فالعذابان مجموعان وواقعان عليهم معاً حسب تفسير ابن كثير. بينما الحرف أو يفيد أحدهما.

ومن ثم يكون الراجح أن عذاب اليوم العقيم فى الدنيا هو عقيم لأنه لا غد لهم بعده، فهو إشارة إلى عذاب الاستئصال لمن شاء الله تعالى أن يستأصلهم من الطغاة والمكذبين، وحرف العطف (أو) لا يفيد جمع العذابين على جيل الساعة بل يفيد تعذيب الكافرين بعد نزول الوحى الخاتم بواحد من اثنين إما عذاب اليوم العقيم أو إما عذاب الساعة.

وعلى هذا فالساعة تسبق البعث بالضرورة، إذ بها تموت البشرية كما قلنا فى حين أن البعث هو بدء النشأة الآخرة، لأنه إحياء الله تعالى للناس من قبورهم، يدل على هذا قوله تعال: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج/ ٧]. فإذا كانت الساعة تسبق البعث فإن أشراط الساعة تسبق قيامها أو حدوثها لأنها مقدماتها أو أوائلها، قال تعالى ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد/ ١٨].

(١٥) خلط الباحثين بين مدلولات الساعة والبعث والقيامة:

خلط بعض العلماء قديماً وبعض الباحثين حديثاً بين مفاهيم الأسماء: الساعة، البعث، القيامة، الدين، إذ جعلوا القيامة بمعنى الساعة، والساعة بمعنى يوم الدين أو البعث.

من هؤلاء: ابن كثير رحمه الله فى كتابه: النهاية فى الفتن والملاحم [١] إذ يتحدث عن الساعة باسم يوم القيامة مع أنه حدد مفهوم الساعة بأنها الحدث الذى يقع بنفخة الفزع، وهى الثانية فيموت بها كل حى فى الأرض.

(١) انظر النهاية فى الفتن والملاحم / جـ١/ ص ٢٥٥ تحقيق د. طه زينى.

ومن المحدثين على سبيل المثال: الأستاذ يوسف الوابل فى كتابه أشراط الساعة إذ ذكر أن من أسماء يوم القيامة: الساعة، ويوم الدين، ويوم الحسرة، والدار الآخرة، ودار القرار، ويوم الفصل، ويوم الجمع، ويوم الخروج، ويوم الخلود، والواقعة، والحاقة، والطامة الكبرى، والصاخة، والآزفة، والقارعة (١).

ومما قال: "والساعة الكبرى هى بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وإذا اطلقت الساعة فى القرآن فالمراد بها القيامة" (٢).

ومما قال فى هذا الموضوع أيضاً: "وقد ذكر الله تعالى القيامتين الصغرى والكبرى فى القرآن الكريم فنجده يذكر القيامتين فى السورة الواحدة، كما فى سورة الواقعة، فإنه ذكر فى أولها القيامة الكبرى فقال تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة﴾ [الواقعة/ ١-٣] ثم ذكر فى آخرها القيامة الصغرى وهى الموت فقال تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ [الواقعة/ ٨٣-٨٥]. وذكر القيامتين فى سورة القيامة فقال ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة/ ١]، وهذه القيامة الكبرى، ثم ذكر الموت فقال ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ [القيامة/ ٢٦](٣).

وتلك هى القيامة الصغرى عنده، وما أود التنويه إليه بالنسبة لهذا الموضوع، أن ألفاظ العربية ليست متطابقة فى المدلول والمعنى، ومن باب أولى أن تكون ألفاظ أسماء القرآن الكريم كذلك، فالترادف بين الأسماء أو الألفاظ ليس تاماً وليس على إطلاقه، وإلا كان هذا تكراراً بلا فائدة، وحاشا لله تعالى أن يكون هذا فى كتابه الحكيم المحكم، وإنما هى أسماء لأحداث متداخلة يضمها اليوم الآخر، لكن لكل حدث خصوصيته من حيث المكان والزمان والكيفيات التى جعلته يحمل هذا الاسم دون ذاك للدلالة عليه، ولايمنع هذا إطلاق اسم الواحد على الكل والعكس، فالساعة

---

(١) يوسف الوابل/ أشراط الساعة ص ٣٧ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق ص٧٥.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

بالنسبة للإنسان النوع هى التى تتم بنفخة الصعق فيموت كل حى، وينتهى أجل الحياة الدنيا بها.

أما القيامة الكبرى فهى التى تتم بنفخة البعث، وهى النفخة الثالثة، وبينها وبين النفخة الثانية التى تقوم بها الساعة زمان لا يعلمه إلا الله الحى الباقى القيوم سبحانه، وبالنسبة للإنسان الفرد فإن ساعته الخاصة به هى لحظة موته، أما قيامته الخاصة به فيمكن أن تتمثل فيما وصفه النبى ﷺ بقوله فى حديث الجنائز عن الميت بعد أن يوضع فى قبره: "فيأتيانه ملكان فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وما بال الرجل الذى بعث فيكم؟"

ففى معنى الإقعاد قيامة خاصة أو صغرى له بعد الموت حيث يعقب هذا الحساب تماماً كقيام الناس جميعاً لرب العالمين بعد البعث والنشور للحساب يوم الدين.

ومن ثم فتفسير الواقعة بالقيامة [1] جائز، لكن تفسير بلوغ الروح الحلقوم بالقيامة الصغرى فيه تكلف، إذ هى ساعة النفس الفردية الخاصة، اما تفسير بلوغ النفس التراقى بأنه قيامة الفرد أو القيامة الصغرى لمجرد أن السورة احتوت الحَدَثَيْنِ ففيه تكلف أيضاً، كما أنه ناجم عن عدم الانتباه للفروق الدقيقة بين معنى الساعة والبعث والقيامة والحساب والجزاء والخلود، وجميعها يوم واحد، ذو مراحل وأحداث،هو اليوم الآخر.

فاليوم الآخر هو الاسم العام الذى ينضوى تحته أسماء الأحداث والأحوال والأهوال التى ستمر بها البشرية منذ بدء هذا اليوم إلى أن يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار والعياذ بالله تعالى، بيد أنه، بحسب قاعدة إطلاق اسم الجزء على الكل أحياناً للتعريف والوصف، فإننا إذا قلنا يوم القيامة أو يوم الدين أو يوم الحساب أو يوم البعث، فإنما نذكر اليوم الآخر بأخطر أحداثه تنبيها وتحذيراً، إلا أن الوضوح يقتضى منا العلم بأن هذه كلها أحداث وأحوال أو مراحل لليوم الآخر.

ومما يجدر ذكره أن بعض الكتاب استبدل اسم يوم القيامة باسم اليوم الآخر، وجعل بقية الأسماء منضوية تحته ووصفاً أو أسماء له مثل: الساعة أو الحساب أو

(١) سنعلمُ بعد ذلك فى أحد أجزاء الكتاب أن الواقعة هى القيامة الصغرى، أو هى حدث من أحداثها.

الخلود أو الطامة أو الصاخة وهى أحداث من اليوم الآخر شأنها شأن القيامة، لأن القيامة مرحلة من مراحله، تبدأ من اكتمال حشر الناس فى صعيد واحد حتى يتشفَّع المصطفى الخاتم ﷺ الشفاعة الكبرى لإقامة الحساب وعبور الجسر أو الصراط، ومن ثم فإنه يكون من الأدق والأصوب والأرجح أن تدخل هذه الأسماء جميعاً تحت اسم اليوم الآخر، دخول الفرع تحت الأصل. ولكن لايمنع ما نقول من استخدام يوم القيامة بنفس دلالة اليوم الآخر.

وكما ينغلق باب التوبة بالنسبة للإنسان الفرد إذا غرغر ساعة الاحتضار مع أنه يكون حياً يرى ويسمع ويتنفس، كذلك فإن باب التوبة ينغلق بالنسبه للإنسان النوع عند طلوع الشمس من مغربها، أو بخروج الدابة، أو بظهور الدخان، وكلها تحدث فى يوم واحد من أيام الدنيا وتستمر الدنيا بعده إلى ما شاء الله تعالى.

ومن ثم فهذه الأحداث الثلاثة العظمى هى بمثابة غرغرة النوع الإنسانى كله، ولكن يستمر حياً، أى هذا النوع ربما لعشرات السنين أو لمئات السنين، والله تعالى أعلم، وهذا يعنى أن بَدْأَ اليوم الآخر يكون فى الدنيا قبل قيام الساعة ، ومن ثم جاءت أشراط الساعة ضمن عقيدة اليوم الآخر فى الإسلام.

وتبدأ أحداث اليوم الآخر بالنفخة الأولى فى الصور، التى هى نفخة الفزع، وهى تحدث فى الدنيا، وبها تقع أحداث الساعة الصغرى التى تنبىء ببدء نهاية الدنيا، وبالقرب الشديد لوقوع الساعة، وهذا اليوم هو يوم التناد فليس يوم التناد اسماً من أسماء يوم القيامة، وليس اسما من أسماء الساعة، بل هو اسم من أسماء يوم الفزع كما عبر عن هذا حديث أبى هريرة عن النفخات الثلاث فى الصور والذى سيأتى بيانه بعد (١).

أما النفخة الثانية فى الصور فبها تقع الساعة ويموت الناس بها نتيجة الصيحة أو الصاخة التى تصخ آذانهم أو القارعة التى تقرعهم فتهلكهم.

---

(١) أورده الطبرى فى تفسير قوله تعالى ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم﴾ وأورده ابن كثير فى النهاية ولم يضعفه. وذكرته فى الجزء الاول من القيامة الصغرى على الابواب.

أما يوم البعث الوارد ذكره في قوله تعالى ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم/ ٥٦]. فهذا يوم الخروج قال تعالى ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق/ ٤٢]. أي: الخروج من القبور للنشور، وهذا يكون بالنفخة الثالثة في الصور، وهو الحدث أو اليوم الذي يحي الله تعالى فيه الموتى فيساقون بعدها للموقف قائمين لرب العالمين، وهذا هو يوم القيامة الكبرى أو الطامة الكبرى أو حدث القيامة الذي قال تعالى فيه ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين/ ٤،٥،٦].

أي: أنهم سيبعثون في يوم البعث بحدث عظيم اسمه البعث وهو الإحياء من القبور، ثم يكون بعده حدث عظيم أيضاً اسمه القيامة ولو فهمنا القيامة بالخروج من القبور قائمين على الأرجل سعياً إلى المحشر لكان أيضاً حدثاً مخالفاً للبعث لأن البعث هو إحياء الله تعالى للأجساد بعد تكوينها وإعادتها في قبورها. فالبعث فعل الله عزوجل في الناس، والقيامة فعل منسوب للناس.

والأرجح أن القيامة اسم للوقوف في المحشر في انتظار الحساب، وهو يوم الجمع لأن الناس يكونون جميعاً مجموعين في صعيد واحد، لا يتخلف منهم أحد من ذرية آدم، قال تعالى ﴿وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه﴾ [الشورى/ ٧].

يتبع هذا الحدث: بدء الحساب وإقامة الموازين لإدانة المجرمين فهو يوم الدين، قال تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة/ ٤]، وهو يوم الحساب، قال تعالى ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص/ ٥٣]، وهو امتداد ليوم القيامة أو يوم الجمع.

ثم بعد انتهاء الحساب وانفضاض الموقف ينتهي الناس إلى يوم الخلود إما إلى جنة أبدا قال تعالى للمؤمنين ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق/ ٣٤]، إذ يستقرون فيها بلا انتهاء أو تحول أو فناء، قال تعالى ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر/ ٣٩].

فليس يوم الخلود هو يوم القيامة أو هو يوم الدين أو البعث إذ ينتهي حدث البعث

ويبدأ يوم القيامة أو الدين أو الحساب وينتهي يوم الدين أو الحساب ليبدأ يوم الخلود، إما فى الجنة أبدا، وإما فى النار أبداً، والعياذ بالله تعالى.

ولقد حدث خلط فى الأذهان بين هذه الأحداث والمراحل ربما لإطلاق اسم المرحلة الواحدة على كل المراحل أو اسم اليوم الآخر على اسم المرحلة الواحدة فوجب التنبيه والتوضيح لأن هذا الإطلاق وإن كان جائزاً فى اللغة إلا أن الخلط بين مدلولات الألفاظ والأسماء غير جائز فيجوز إطلاق اسم الجزء على الكل والكل على الجزء لكن من الخطأ والخلط إطلاق اسم الجزء على جزء آخر.

وعلى أى حال فإسم القيامة من أعم أسماء اليوم الآخر، أو هو الذى يليه فى العمومية ونظراً لأنه يطلق على جميع مراحل اليوم الآخر، فإنه يلزم اذا ذكرناه أن نقرنه بما يميز به بين كل مرحلة من مراحل اليوم الآخر الثلاث على ما سيرد بعد مفصلا باذن الله تعالى.

(١٦) ماأطلق عليه العلماء أشراط الساعة العظمى هو بدء نهاية الدنيا أو هو بمثابة فجر اليوم الآخر

الصلة بين أشراط الساعة واليوم الآخر أوثق من الصلة بينها وبين الدنيا إذ هى علامة على قرب بدء اليوم الآخر، ويعتبر أول الأشراط العظمى بمثابة فجر اليوم الآخر، ولاشك أن صلة الفجر بالنهار أوثق من صلته بالليل، لأنه وإن كان إيذاناً بانتهاء الليل، ومع أنه استمرار لظلام الليل، إلا أنه ينتسب إلى النهار أكثر من انتسابه إلى الليل، لأنه بابه وأوله، وأول الشىء جزء منه أكثر من كونه جزءاً من غيره.

لذل يصح القول بأن اليوم الآخر يبدأ فى الدنيا وليس فى الآخرة، خلافاً لما قد يتوهم البعض، وبدايته هى أشراط الساعة العظمى لأن الأشراط التى تنبىء عن قرب وقوع الساعة هى من أحداث آخر الدنيا، وأول اليوم الآخر، لكن أشراط الساعة بدأت ببعث المصطفى الخاتم ﷺ، فهل معنى هذا أن اليوم الآخر بدأ ببعثه عليه الصلاة والسلام؟

إن بدء اليوم الآخر أو فجره يتمثل فى حدوث ما أطلق عليه العلماء أشراط

الساعة العظمى أو الكبرى(١)، التى سيأتى الحديث عنها بعد بإذن الله تعالى.

أما الأشرط التى بدأت تتابع منذ بعث المصطفى الخاتم ﷺ فهى الأشراط التى أطلق عليها العلماء الأشراط الصغرى(٢).

وبيان هذا: أن بعض السنن الربانية التى تحكم وجود النوع الإنسانى فى مراحله الوجودية الأربعة: الموتتين والحياتين، هى التى تحكم الوجود الانسانى الفردى فى مراحله الوجودية الأربعة أيضاً، وإن لم يكن فى سبلها وخطوطها ومناهجها الدقيقة، فهو على الأقل فى سبلها الرئيسية وخطوطها العريضة، إذ كما تنتهى حياة الأفراد بالضعف ونسيان العلم وأعراض أخرى لمرحلة أرذل العمر ﴿ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾[النحل/ ٧٠] ثم يحدث انهيار الفرد، فيلزم الفراش ويصبح فى حال ليس هو فيها من أبناء الدنيا لأنه مدبر عنها، كما أنه لم يصبح بعد فى الآخرة وإن كان مقبل عليها.

كذلك فى حياة النوع الإنسانى فى العقود الأخيرة التى تسبق الساعة، فالأشراط التى بين يدى الساعة بمثابة أحوال وأعراض شيخوخة النوع الإنسانى، بل هى أرذل العمر بالنسبة إليه.

أما لحظة قيام الساعة التى يموت فيها كل البشر فهى تقابل لحظة موت الفرد بخروج نفسه، ومن ثم إذا كان للنوع الإنسانى ساعة فإن للفرد ساعة أيضاً هى لحظة صعود نفسه إلى بارئها.

(١٧) دلالات الساعة الثلاث عند العلماء:

استنبط بعض العلماء من أحاديث الرسول الكريم ﷺ ثلاث دلالات لمعنى الساعة، فأطلق بعضهم على الأولى الساعة الصغرى، والثانية: الساعة الوسطى، والثالثة: الساعة الكبرى.

وهم يقصدون بالساعة الصغرى: موت الفرد، والوسطى: موت الجيل أو انقراض جميع أفراده أو أكثرهم، أما الساعة الكبرى فهى موت الناس أجمعين.

(١)، (٢) سيرد بعد ذلك ما يوضح للقارىء رفضى لهذا التصنيف وتسميتها بالامارات والآيات.

بيد أن هذه التسميات ليست مطابقة تماماً لمدلولاتها الثلاثة، فهى تسميات أو إطلاقات غير دقيقة، والأوضح والأدق أن نثبت للساعة ما صدقين فقط:

الأول الساعة الخاصة.

الثانى: الساعة العامة.

فالأولى: هى التى تصدق على موت الفرد إذ لكل فرد ساعته التى تسبقها علاماتها، وأشراطها، كما أسلفنا، وهى لحظة موته وانتقاله من الدنيا إلى عالم البرزخ الذى يسبق البعث، أى الذى يكون بعد الموت وقبل البعث، قال تعالى: ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ [المؤمنون/ ١٠٠] .

فساعة الفرد: ساعة خاصة وليست صغرى كما أطلق عليها بعض العلماء والباحثين، وهذه هى التسمية الدقيقة لها.

أما الساعة العامة: فهى الحدث الذى يتم به نهاية أجل البشرية، بل نهاية أجل الحياة بعامة فى الأرض من إنس وجن وحيوان ونبات، وجميع أشكال الحياة الأخرى، لذلك نقول: إن إطلاق اسم الساعة الكبرى عليها قد لا يكون مخالفاً للصواب إذا نظرنا إلى عظم الحدث، ولكن إطلاق اسم الساعة العامة أدق لأنها من ناحية تقابل الساعة الخاصة.

ومن ناحية أخرى لأنها لحظة النهاية لعموم الأحياء الأرضية، أما ما يقصده الباحثون والعلماء بالساعة الوسطى أو ساعةالجيل أو ساعة أهل القرن: فهى لا تعدو أن تكون مجموع ساعات الأفراد وحيث أن موتهم يتم خلال عمر الجيل كله، وليس فى لحظة واحدة كما هو الشأن بالنسبة للساعة الكبرى أو العظمى لذا فلا نرى من الصواب أو من الدقة وصف موت الأفراد خلال عمر الجيل بالساعة الوسطى ضمن تصنيف لأقسام الساعة ومدلولاتها، لأن أهم عنصر يدخل فى معنى الساعة هو حدوثها فجأة وفى لحظة واحدة ووقوعها بغتة بالرغم من تقدم علاماتها وأشراطها، وبالرغم من توقع كثير من الناس قرب حدوثها، وهذا ما لا يتوفر بالنسبة لما أطلقوا عليه الساعة الوسطى، بمعنى نهاية أجل جيل من الأجيال الذى يحدث بالتعاقب.

وهذا لا يمنع من القول بوجود ما يمكن تسمتيه بساعة القوم أو ساعة الأمة إلا أنه ليس لكل الأقوام أو كل الأمم، بل للأمة المستأصلَة بعذاب الله تعالى العاجل فى الدنيا، مثل ما حدث لقوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط وقوم شعيب، فقد قضى الله تعالى على كل شعب من هذه الشعوب بضربة واحدة، إما بالغرق وإما بالصيحة أو بالرياح العاتية فقضى عليهم فى لحظة واحدة، كما هو الحال بالنسبة لانتهاء البشرية بما أطلقوا عليه الساعة الكبرى، ولكن هذه الساعة الجماعية إن صح التعبير بساعة القوم أو ساعة الأمة فهى بين الخاصة والعامة لأنها تخص من استحقوا عذاب الاستئصال، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩]. من ناحية، وهى تعم جميع أفراد الشعب الكافر من ناحية أخرى.

أما الحديث الذى استنبط منه العلماء إطلاق الساعة الصغرى والوسطى والكبرى على مدلولات الساعة الثلاث فهو: قوله ﷺ مجيباً من سألوه عن الساعة: « تسألونى عن الساعة فإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتى عليها مائة، وفى رواية عائشة رضى الله عنها: « قامت عليكم ساعتكم»(١).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى مُبَيِّناً: وذلك أن من مات فقد دخل فى حكم القيامة .

ومن الواضح أن إجابة الرسول ﷺ على السائلين عن موعد الساعة يتضمن نهياً ضمنياً عن محاولة معرفة موعدها أو على الأقل كراهة هذا الأمر، لأنه من المعلوم أنه لا يعلمها إلا الله عز وجل وحده ولا يشاركه سبحانه فى هذا العلم لا نبى مرسل ولا ملك مقرب، كما سبق وأن أثبتنا ذلك من قبل، كما أن العلم بأنها لن تحدث إلا بعد عشرات السنين، أو مئات السنين مثلاً لا يفيد السائل شيئاً لأنه لن

(١) انظر فتح البارى (١١/ ٣٦٣) والحديث فى صحيح البخارى ك الرقاق، باب سكرات الموت، وفى صحيح مسلم ك/ الفتن وأشراط الساعة ، باب قرب الساعة.

يعيش هذه القرون كما هو معلوم من واقع أعمار البشر، وأعمار أمة الرسول ﷺ بين الستين والسبعين ومن تخطى السبعين فغالباً لا يصل إلى المائة، ومن تخطى المائة لا يستمر كثيراً، فإذا كان موت الأفراد في هذا المدى، وقد أقسم رسول الله ﷺ للسائلين عن موعد الساعة بأن كل إنسان على ظهر الأرض يومئذ لن يبلغ المائة عام ومن ثم فمن كان مهتماً بموعد الساعة فليعلم أنه إن لم تدركه الساعة خلال المائة القادمة فسيدركه الموت وهوما يتساوى أثره بالنسبة للفرد، ومن ثم يعتبر هذا أعظم موعظة لكل الأجيال ، إذ أن بعد الساعة عن جيل من الأجيال أو قرن من القرون مئات السنين أو حتى آلاف السنين لا تفيد هذه السنين القرن بشيء ، ما دام موتهم محقق في حدود عمر الجيل الواحد، أو القرن الواحد، لأنه إذا كانت ساعة المرء هي لحظة موته الخاصة فإن الساعة العامة بالنسبة له هي نفس هذه اللحظة أيضاً ، لأن الزمن بالنسبة له معدوم بين موتته وبين الساعة العامة وأيضاً بين موته وبين البعث لأن الأموات لا يحسون بالزمن ولا يشعرون بالوقت.

(١٨) معنى قرب الساعة عند العلماء:

أثبت العلماء معنيين لقرب الساعة:

(أولا). القرب النسبي: إذا ثبت بآيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ أن بعثه ﷺ ونزول القرآن الكريم عليه أول العلامات أو الأشراط على قرب الساعة. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر:١].

قال القرطبي موضحا لهذا المعنى الأول لقرب الساعة: أولها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي (١). فهو عليه الصلاة والسلام أول علامات الساعة التي يبدء حدوثها تكون الساعة قد اقتربت نسبياً، ومن هذا حدوث معجزة انشقاق القمر في العهد المكي أمام المشركين، وهذا الانشقاق هو من أشراط الساعة الدالة على اقترابها بهذا المعنى الأول.

وقال تعالى أيضا: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]

---

(١) القرطبي / التذكرة ص٦٢٦.

والحساب لا يكون إلا بعد الساعة فاقتراب الساعة إذن أولى، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦/٧]. وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد:١٨]. أي : جاء أشراطها ببعث النبي الخاتم الذي ليس بينه وبين الساعة نبي وبنزول الوحي الأخير الذي لا ينزل بعده كتاب من السماء إلى أن تقوم الساعة.

وقد أثبت العلماء هذا المعنى في كتبهم فأورد ابن كثير عن الحسن البصري قوله: « بعثة الرسول ﷺ من أشراط الساعة»(١). وأيده ابن كثير رحمه الله تعالى فقال : بعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين و أقام به الحجة على العالمين (٢).

أما عن أحاديث المصطفى الخاتم ﷺ التي تدل على هذا المعنى الأول لقرب الساعة ببعثه فقد جمعها الشيخ حمود بن عبد الله التويجري في كتابه «اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

فكتب رحمه الله بالمجلد الثاني: [وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا- بالوسطى والتي تلي الإبهام : بعثت والساعة كهاتين» رواه الإمام أحمد والشيخان واللفظ للبخاري .

وفي رواية له عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين» ويشير بإصبعيه فيمدهما».

وفي رواية لأحمد: أن رسول الله ﷺ قال: « مثلي ومثل الساعة كهاتين، وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال: مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان، ثم قال: مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي أن يُسْبَق ألاح بثوبه أُوتِيتُمْ أُوتِيتُمْ ثم يقول رسول الله ﷺ: « أنا ذلك».

---

(١) ابن كثير / التفسير ج ص

(٢) المصدر السابق . التفسير/ ط١/ ص٢٤٦.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه الإمام أحمد وأبو داود الطيالسى والشيخان والترمذي. زاد مسلم : «قال شعبة : وسمعت قتادة يقول فى قصصه : « كفضل إحداهما على الأخرى» فلا أدرى أذكره عن أنس أو قاله قتادة؟ وفى رواية له عن معبد « وهو ابن هلال» عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » قال: وضم السبابة والوسطى». وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وجمع بين إصبعيه رواه البخارى وابن ماجه وهذا لفظه. وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: « كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكُم ومسَّاكُم، ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى. رواه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه . وعن المستورد بن شداد الفهرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « بعثت أنا فى نفس الساعة فسبقتها هذه هذه لإصبعيه السبابة والوسطى. رواه الترمذي وقال :هذا حديث غريب.

قال الحافظ بن حجر : قوله فى نَفَس بفتح الفاء وهو كناية عن القرب، أى بعثت عند نَفَسِهَا انتهى.

وعن بريدة رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقنى ».

رواه الإمام أحمد وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير بإصبعيه ويقول: « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه». رواه الإمام أحمد وإسناده حسن، ورواه ابن جرير ولفظه قال: كأنى أنظر إلى إصبعى رسول الله ﷺ أشار بالمسبِّحة والتى تليها وهو يقول: « بعثت أنا والساعة كهذه عن هذه» وفى رواية : « وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى»][1].

(١) التويجرى / إتحاف الجماعة فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة جـ٢ ص٥-٨ دار الصميعى للنشر والتوزيع الرياض.

وذكر ابن كثير ما رواه ابن أبى الدنيا بسنده عن صبرة بن الضحاك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « بعثت فى نَسَم الساعة » يقول : حين بدت فى أول وقتها»[1]. قال ابن كثير عن الحديث : « وهذا إسناد جيد» [2]. ومعنى أول وقتها: أى من الأشراط الأولى التى تدل غلى القرب النسبى المتضمن للبعد النسبى أيضاً.

وتفسير هذا وبيانه هو أن قرب عصر النبى ﷺ من الساعة نسبى بالقياس إلى عمر الدنيا إذ أن عمر البشرية طويل جداً حتى أن خمسة عشر قرناً أو حتى عشرين قرناً بالنسبة له ليعتبر زمناً يسيراً وأجلاً قصيراً. يدل على هذا المعنى ما رواه البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس». وروى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن مثل آجالكم فى الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغربان الشمس»

قال ابن كثير رحمه الله تعليقاً على هذه الأحدايث : وهذا كله يدل على أن ما بقى بالنسبة إلى ما مضى كالشيء اليسير لكن لا يعلم مقدار ما بقى إلا الله عز وجل، ولم يجيء فيه تحديد يصح سنده عن المعصوم ﷺ حتى يصار إليه، ونعلم نسبة ما بقى بالنسبة إليه، ولكنه قليل جداً بالنسبة للماضي»[3].

فالقرب بهذا المعنى الأول نسبى وليس قربا بالمعنى المطلق، ومن ثم فالأشراط الدالة على هذا القرب كثيرة تبعد عن الحصر، وقد بدأت تتوالى منذ عهد المصطفى الخاتم ﷺ ولا زالت.

---

(١) ابن كثير جـ ١ ص ٢٤٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن كثير / النهاية فى الفتن والملاحم ، جـ١ ص ٢٤٩ طبعة دار الفكر العربي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز.

(ثانيا). القرب المطلق للساعة: هو القرب غير النسبى ، وتدل عليه أشراط تقع بين بدء الساعة وقبلها بزمن يسير جداً، ومن ثم فهى من نوع آخر يختلف عن الأشراط التى بدأت ببعث النبى ﷺ

ولقد فرق بعض العلماء: على أساس هذين المعنيين للقرب من الساعة بين نوعين من الأشراط فأطلقوا على الأولى: الأشراط الصغرى، وعلى الأخرى التى تقرب من الساعة بهذا المعنى الذى نحن بصدده أى المطلق: الأشراط العظمى أو الكبرى، ويرجع هذا السبب فى تسمية هذه الثانية بالكبرى أو العظمى إلى طبيعة الأحداث التى تقع بهذه الأشراط من ناحية، وإلى مباشرة عصرها للساعة أو لكونها تدل على اخر الزمان من ناحية أخرى، أى لأنها تدل على القرب الشديد للساعة.

ولقد وردت هذه الأشراط فى أحاديث رسول الله ﷺ بصيغة تتضمن بياناً بحدوثها قبيل الساعة مباشرة وبزمن يسير جداً مثل قوله ﷺ « إن بين يدى الساعة الهرج، قالوا : وما الهرج ؟ قال: القتل، قالوا : أكثر مما نقتل؟ إنا نقتل فى العام الواحد أكثر من سبعين ألفاً!! قال: إنه ليس بقتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً»(١).

وقد تكرر تعبير: إن بين يدى الساعة فى كثير من أحاديث النبى ﷺ وهى صيغة تدل على مباشرة هذا الحدث للساعة وعلى المعنى الثانى للقرب أى القرب المطلق».

ومن هذه الصيغ الدالة على القرب المطلق قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى ...» وكذا وكذا مثل قوله : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان...»(٢). **ومثلها** قوله

---

(١) رواه الإمام عن أبى موسى رضى الله عنه (٤/ ٤١٤) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٩٣.

(٢) رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة، وأورده ابن كثير فى النهاية وقال: إسناده على شرط مسلم جـ١ ص١٨١.

ﷺ : « إن الساعة لـن تقوم حتى تروا عـشر آيات...» (١). ومن هذه الصيغ أيضا: النص علـى أن الحدث الذى هو موضوع الحـديث الشرف « فى آخر الـزمان» أو فى «آخر الأمة» . مثل قوله ﷺ : « يكون فى آخر أمتى خليفـة يحثى المال حثياً لا يعده عداً» (٢). ومثله قوله ﷺ : « يكـون فى آخر هذه الأمـة - أو فى أمتى - خـسف أو مسخ أو قذف فى أهل القدر»(*)(٣).

والمتواتر بين العلماء: أن الأشراط العظمى التى تسبق الساعة مباشرة وتقع بين يديـها هى الخـسوف الثلاثـة وخروج الدجـال ونزول المسـيح عليه السلام ويـأجوج ومأجـوج وطلوع الشـمس من مغـربها والدابـة والدخان ونار تـخرج من قعـر عدن وجميعها نص علـيها حديث الآيات العشر التى تكون بين يَـدَىْ الساعة، إلا أن كثيراً من الأشراط التى دلت عليها النصوص تـقع بين يدى الساعة أيضاً وهى قد لا تكون من الأشـراط العظمـى أى من الآيات أو الأحـداث العظـيمة ، ومن ثـم أورث هذا التصنـيف للأشراط إلى صغرى وكبـرى لبساً وخلطاً، سـيستلزم منا رفع هـذا اللبس كما سيلى بإذن الله وتعالى وعونه.

بيد أنه قد يكون من المفيد أن ننبه إلى أن تصـنيف الأشراط إلى نوعين للـتمييز بينـهما أمر لازم ولا خلاف فيـه، وإنما قد يكون مـن الأدق وكذلك مما يساعـد على البيان والتـوضيح، أن نسمى الصنف الأول الـذى يندرج تحت معنى القـرب النبـى الذى بدأ منذ عصر النبى ﷺ بالأشراط الأولى أو البعيدة، ونعنى به بعداً نسبياً ، فهذه بعيدة عن الساعة بالقياس إلى الصنف الثانى الذى هو أقرب إليها.

وهذا الصنف الثانى الذى هو بـين يدىْ الساعـة يمكـن أن نسميه الأشراط

---

(١)، (٢) صيح مسلم : ك الفتن وأشراط الساعة. صحيح مسلم ك/ الفتن وأشراط الساعة.

(٣) رواه الترمذي، فى باب القدر جـ ٦ ص٣٦٧.

(*) أهل القدر هم المنكرون للقدر مثل الجهمية وبعض فرق المعتزلة ولم توجد شعوب تدين بهذه العقيدة إلا الشيعة بما فيهم الأثنا عشرية على درجات متفاوتة من الإنكار حتى يقول بعضهم بالبداء على الله ومعناه أن الله تعالى فى عقيدة هؤلاء لم يقدر شيئاً وإنما يدبر الأمر حسب ما يبدو أولاً بأول.

الأخيرة أو أشراط آخر الزمان أو الأشراط القريبة وسوف نعطى للصنف الأول البعيد عن الساعة مصطلح الأشراط، ونعطى لـلقريب منها، العلامات والأمارات والآيات، وهى مصطـلحات فى القرآن الـكريم، والسنة كما سـنرى فى الفصل الـتالى بإذن الله تعالى .

الفصل الثانى
المصطلحات الأربعة للأحداث الدالة على الساعة فى الكتاب والسنة

(١٩) معنى الشرط

الشرط فى اللغة هو العلامة، ومنه اشتق اسم الشرطة لأنهم يتخذون علامات أو ملابس خاصة تميزهم وتدل عليهم، وكل شرط يتبعه مشروط بالضرورة، كما أن كل علامة ترتبط بمعلوم تدل عليه.

وعند النحاه أدوات الشرط «إذا وإن ولو ومتى وحتى» لكل منها فعلان: الأول، هو فعل الشرط، والثانى هو جواب الشرط، وبالنسبة لأشراط الساعة، فإن ما يأتى بعد أداة الشرط هو العلامة التى تدل على قرب الساعة، أماوقوع الساعة أو أى مشهد من مشاهدها فيكون جواب الشرط، منها قول الله عزّ وجلّ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤﴾[الإنفطار/ ١ - ٥]. فكل جملة بعد إذا هى خبر عن شرط من أشراط الساعة يحدث قبل وقوعها، وجاءت جملة ﴿علمت نفس ما قدمت وما أخرت﴾ جوابا لفعل الشرط، إذ تُنبىءُ هذه الجملة عن حال كل نفس بإزاء عملها الذى تتذكره جيداً ويكون حملا ثقيلا وشغلا شاغلا لها تخشى الحساب عليه.

فالشرط هو العلامة وأشراط الساعة علاماتها، ولم يرد لفظ الشرط فى القرآن الكريم مضافا إلى الساعة بصيغة المفرد، وإنما ورد دائما بصيغة الجمع «أشراط» فى مثل قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد / ١٨].

(٢٠) معنى الساعة

الساعة لغة من سَوَعَ وهو أصل يدل على استمرار الشىء ومُضيِّه (وسواع من

(٢٠) معنى الساعة

الساعة لغة من سَوَعَ وهو أصل يدل على استمرار الشيء ومُضِيِّه (وسواع من الليل أى هدء منه) وسُمِّى جزء من الليل والنهار بالساعة لأنه شيء يمضى ويستمر. فالأصل فى معنى الساعة هو الدوام والاستمرار والمضى والتتابع فهى زمن دائم مستمر ، أى وحدات متكررة بلا توقف، واشتقت من لفظ سوع الساعة للدلالة على الوحدة الزمنية التى يتكون منها الليل والنهار، فالساعة ـ باعتبارها وحدة زمنية متكررة ـ مقياس للوقت والزمن.

أما الصلة بين الساعة التى هى انتهاء أجل الحياة فى الأرض مرة واحدة فى لحظة واحدة، وبين مفهوم الساعة الذى هو مقياس للوقت، هذه الصلة تكمن فى أن الساعة التى هى مقياس للوقت تطلق على وحدات متتابعة من الليل والنهار فيقال الساعة الأولى من الليل والساعة الثانية من الليل ثم الثالثة حتى يقال عن السَّحر إنه الساعة الأخيرة من الليل، وهو يتبعه الفجر الذى هو الساعة الأولى من النهار، فالزمن أو الوقت فى هذه الحياة الدنيا ساعات متسلسلة متتابعة أى أنها وحدة متكررة لا تنقطع بسبب سريان الزمان فى حركة دائرية يعود إلى حيث بدأ، ليل يعقبه نهار وهذا النهار يعقبه ليل، وهكذا منذ أن بدأت الدنيا إلى أن يرثها الله تعالى.

أما الساعة التى هى نهاية الحياة على وجه الأرض، فإن الصلة بين معناها وبين المعنى اللغوى للساعة هو أن الزمن سيتوقف بانتهاء الدنيا، ولن يكون ثمّ ليل أو نهار، وبالتالى فلن تكون يومئذ ساعات متتابعة بمعنى أجزاء من الليل أو أجزاء من النهار تختلف كل ساعة عن سابقتها وعن لاحقتها، وإنما ستكون ساعة انتهاء الحياة الدنيا ساعة واحدة ممتدة ذات صبغة واحدة لا زمن ولا تتابع ولا تسلسل ولا اختلاف بين ساعات فى الليل وأخرى فى النهار، إذ لن يكون بعد ليل ولا نهار، وإنما هى ساعة واحدة. ومن ثم سُمِّيت الساعة، فهى ساعة واحدة أى وحدة زمنية مستقلة عن التى قبلها والتى بعدها، تبدأ بصيحة من السماء يموت على أثرها كل حى وتظل ممتدة حتى يخرج الناس من قبورهم بالبعث ثم مراحل الحساب والميزان والصراط والحوض والجنة لأهل الإيمان والنار والشقاء لأهل الكفر.

على ظهر الأرض ويتوقف فيها الزمان فيمتد ليصبح ساعة واحدة مستمرة بانقطاع التباين بين ساعات اليوم وتوالى الأيام والشهور والسنين، وهذا لا يكون إلابانقطاع التسلسل الوقتى الذى عليه الزمن الحالى فى الحياة الدنيا.

إذن الساعة لحظة أو أقل قال تعالى ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[النمل/ ٧٧] لكنها ممتدة فتشمل البعث من القبور ثم الحشر والوقوف للحساب ثم الميزان ثم الصراط ثم الذهاب إلى المصير الأبدى، إلى جنة أو إلى نار قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾[الروم/ ١٤] وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر/ ٤٦] فالساعة تقوم فى لحظة أو أقل من ثانية وهذا هو الوقت الذى يستغرقه «لمح البصر» فيموت كل حى بالصيحة بلا هدم وبلا أى مظهر من مظاهر القيامة فى القرآن الكريم، ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلاّ صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون فلا يستطيعون توصية ولاإلى أهلهم يرجعون﴾ [٤٨ ـ ٥٠ يس] إذًا سيموت كل حى فى مكانه لحظة وصول الصيحة إلى أذنيه.

ومن ثم يتجمدُ الزمن وتصبح هذه اللحظة ممتدة لتشمل البعث والحشروالحساب حتى يتفرق الناس فريقين: فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير، والعياذ بالله تعالى.

(٢١) معنى اليوم الآخر، ومتى يبدأ؟ ومتى ينتهى؟ ومراحله

وبخلاف الفهم الخاطىء عند أكثرالناس حتى عند بعض علماء الإسلام من أهل التخصص فى العقيدة والتفسير، فإن اليوم الآخر لا يبدأ فى الآخرة بدخول كل فريق إلى مثواه، كما أنه لا يبدأ لحظة قيام الساعة، وإنما هو يبدأ فى الدنيا وينتهى فى الآخرة لأن اليوم الآخِر (بكسر الخاء) ليس هو اليوم الآخَر (بفتح الخاء) ذلك أن القرآن الكريم يقابل الآخرة بالدنيا والحياة الآخرة بالحياة الدنيا والحياة الآجلة بالحياة العاجلة.

ومن ثم جاء الركن الخامس من أركان الإسلام (... وباليوم الآخِر) وهو غير

الآخرة إذ ليس اسمه الآخَر، ومن ثم فهو اليوم الآخر بمعنى الأخير، فهو إذن اليوم الأخير من أيام الدنيا، وليس اليوم الأول من أيام الآخرة، لأن هذا اليوم الأول يبدأ بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وهو يبدأ من حيث تنتهى الدنيا، وتنتهى الدنيا بانتهاء اليوم الآخِر أى الأخير منها، وهذا اليوم يبدأ فجره فى الدنيا، وينتهى بنهاية الحساب وعبور الصراط.

ويبدأ فجره فى الدنيا ببدء الأشراط العظمى أو الآيات التى بين يَدَىْ الساعة أو أماراتها، فيجب على كل مسلم أن يصحح هذا الخطأ الشائع عن مفهوم اليوم الآخِر بالتمييز بين اليوم الآخِر والحياة الآخِرة أو الآخِرة.

(سئل ابن عباس رضى الله عنهما: متى يبدأ اليوم الآخر؟ فقال أوله فى الدنيا وآخره فى يوم الدين)[1].

وقد حصر العلماء أسماء اليوم الآخر فى القرآن الكريم فوجدوها تسعة عشر اسما هى: يوم القيامة، يوم الفناء، الواقعة، القارعة، الآزفة، الصاخة، الساعة، يوم البعث، يوم الخروج، يوم الدين، يوم الحسرة، يوم الفصل، يوم الجَمْع، يوم الوعيد، يوم الحساب، الطامة الكبرى. الحاقة، يوم الخلود، يوم النشور، ويمكن تصنيفها إلى مراحل اليوم الآخر كالتالى: -

١) اليوم الآخر: وهو الذى يبدأ بآيات الساعة فى الدنيا وينتهى بنهاية يوم الحساب ودخول كل فريق من الفريقين إلى مصيره الأبدى. فهو اليوم الجامع لجميع الأسماء الثمانية عشر التالية:

٢) يوم القيامة، يوم الفناء، الواقعة، الراجفة.

٣) الساعة، الصاخة، القارعة، الطامة الكبرى.

٤) يوم الدين، يوم البعث، يوم الخروج، يوم النشور، يوم الجمع، يوم الوعيد، يوم الحساب، يوم الفصل، يوم الحسرة.

٥) يوم الخلود، وهو بدء الحياة الآخرة.

---

(١) انظر لوامع الأنوار البَهِيَّة للسفارينى جـ٢.

وكل اسم من هذه الأسماء يطلق على اليوم كله، من قبيل إطلاق الجزء على الكل، ومن قبيل تسمية الشيء بخاصية من خصائصه المتعددة، كما أن الجزء يُطلق على عينه وكذلك يطلق اسم الكل على بعض الاجزاء، وإن كان فى الأصل يعنى مجموع الأجزاء. ومن ثم فاليوم الآخِر (بكسر الخاء) هو الذى يبدأ بعصر الأشراط العظمى والآيات وينتهى بدخول الجنة أو النار والعياذ بالله منها.

(٢٢) تَصْنِيفِى للأحداث السابقة على الساعة إلى أشراط وأمارات وعلامات وآيات:

وردت مقدمات الساعة بأكثر من اسم:ـ أشراط الساعة، وعلامات الساعة، وأمارات الساعة، وآيات الساعة.

وجميع هذه الأسماء تُطلق على الأحداث التى تسبق الساعة وتدل على قرب وقوعها بدرجات متفاوتة فى القرب. ومن هذه الأحداث ما هو فلكى، ومنها ما هو طبيعى أو چيولوچى أو حيوى، ومنها ما يحدث بأفعال، البشر كالأحداث التاريخية، وهذه الأخيرة منها ما هو صناعى تقنى حضارى ومنها ما هو سياسى أوعسكرى أواقتصادى، ومنها ما له صبغة خلقية كشيوع الفساد وإباحة الفحشاء وانتشار الجرائم وطغيان الظلم وغلبة الشر، ومن هذه الأصناف جميعا ما هو من الأشراط ومنها ما هو من العلامات ومنها ما هو من الإمارات ومنها ما هو من الآيات.

وقد قسم بعض العلماء الأشراط إلى ما هو بعيد فى الزمان عن الساعة وأطلقوا عليه الأشراط الصغرى، وما هو قريب جدا من الساعة أى ما يحدث قبل وقوعها مباشرة وبزمن قصير وأطلقوا عليه الأشراط الكبرى.

ونعزف عن هذا التقسيم لأسباب ونَلتزم بما ورد منسوبا فى الكتاب والسنة إلى الساعة ونُصنِّف مقدماتها على أساسه، أى نصنفها إلى الأشراط والأمارات والأعلام والآيات.

أما عن لفظ الأشراط فهو أعمها حتى أنه يكاد يتضمن بعضها، وقد ورد هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد/ ١٨] ومجيء الأشراط متمثل في بعث النبي المصطفى الخاتم ﷺ، لأن بعث آخر الرسل والأنبياء ونزول آخر الكتب دليل على قرب انتهاء أجل البشرية، فهو شرط من أشراطها ومن هذا قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر/ ١] فانشقاق القمر الذي حدث في العهد المكي شرط من أشراطها. ويمكننا أن نتيقّن من أن بعث المصطفى الخاتم ﷺ دليل على قرب انتهاء الدنيا إذا علمنا أن عدد الأنبياء من لدن آدم إلى خاتمهم صلى الله عليهم جميعا وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا (فعن أبي ذر قال: قلت يارسول الله كم المرسلون؟! قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا) (١) وفي رواية أبي أمامة (قال أبو ذر: قلت يارسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا) (٢) فعمر الإنسان في الأرض طويل جدا، ربما يُقَدَّر بعشرات الألوف من السنين إن لم يكن بمئات الألوف من السنين، ومن ثم قال النبي ﷺ(بُعثت أنا والساعة كهاتَيْن) وأشار بإصبعية الشريفين السبابة والوسطى. وقال ﷺ (بُعِثتُ في نسم الساعة) (٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما (قال: كنا جلوسا عند النبي والشمس على قُعَيْقعَان(*) بعد العصر فقال: ما أعماركم في أعمار من مضى، إلاَّ كما بَقِيَ من النّهار فيما مضى منه) (٤).

وقال ﷺ أيضا (بعثتُ أنا والساعة جميعا، إن كادت لتسبقني) (٥).

هذه الأحاديث جميعا تفسير لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾

(١، ٢) رواه أحمد في المسند / ح٢١٠٩٦، / ح٢١٨٤٥.

(٣) ذكره الألباني في الصحيحة (٢/ ٤٤٨) ح (٨٠٨) وعزاه للدولابي في الكنى وابن منده في المعرفة.

(*) جبل بجنوب غرب مكة.

(٤) مسند الإمام أحمد ـ / ح٥٩١١.

(٥) مسند الإمام أحمد -حديث بريد الأسلمي / ح ٢٢٤٩٧.

[الأحزاب/ ٦٣] ولقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء/ ١]. ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ [٦-٧ المعارج].

فى كل هذه النصوص المنزلة تكمن حقيقة أن الزمن خادع إذ يوهم تسلسله ودوام تتابعه فى حس البشر باستبعاد النهاية كأنه أبدى، فإذا انقضى الأجل أدرك الإنسان الفرد على الفور أنه لم يعش غير ساعة، أى أنه لم يلبث فى الدنيا إلا وحدة زمنية واحدة، تلك هى خدعة تكرارها ودورانها. وكما يكون هذا إدراك الفرد بعد موته، تدركه البشرية جمعاء يوم البعث ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ ﴾ [الأحقاف/ ٣٥] بل إن المجرمين يقسمون على أنهم لم يلبثوا غير ساعة.

إن انتهاء الدنيا أمر حتمى، ومن ثم فإن الساعة، التى هى لحظة إنتهائها، آتية لا محالة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه/ ١٥]

وحيث إن أشراط الساعة هى الأحداث التى تسبقها، وهى مما علمناه من الوحى القديم والأخير، وهى تدل دلالة يقينية على قربها ومن ثم لم يقل سبحانه وتعالى (أخفيها) بل قال: (أكاد أخفيها) إشارة إلى الأمارات التى تدل على قرب وقوعها.

(٢٣) تصنيف العلماء الأشراط إلى صغرى وكبرى حسب البعد والقرب الزمنى من الساعة ومبررات رفضى لهذا التصنيف:

ومن ثم فلفظ الشرط يصدق على كل الأحداث التى حدثت وتحدث وستحدث منذ بعث النبى ﷺ إلى أن تقوم الساعة باعتبار أنها جميعا مقدمات وسوابق وأوائل لها، إلا أنه يخص ما هو بعيد عنها فى الزمن أى منذ بعث النبى ﷺ وهجرته ودخول الناس فى دين الله أفواجا، ثم الأحداث التى تلت وفاته ﷺ بين الصحابة ثم بين التابعين، ثم الأجيال التى توالت بعد هذا الجيل، هذه الأحداث المتسلسلة والمتتابعة بعضها على أثر بعض كل هذه الأحداث هى الأشراط الصغرى عند بعض العلماء. ولكن المصطلح الأدق اعتبارها أشراطا واعتبار القريب من الساعة علامات وأمارات وآيات.

فالأشراط تختص بما هو بعيد من الساعة من الأحداث، أما ما هو قريب منها فقد ورد ذكره فى الأحاديث بأسماء أخرى، وهى العلامات والأمارات والآيات.

وقد خلط العلماء بين هذه المصطلحات فلم يُمَيِّزُواْ بينها، ولم يفرقوا بين استخداماتها كما وردت فى الكتاب والسنة. ومن ثم لجأوا إلى التفريق بين ما هو بعيد منها وما هو قريب. بأن الأولى هى الأشراط أو العلامات الصغرى، وأن القريبة من زمن الساعة هى الأشراط أو العلامات الكبرى.

ولكن بتقصي استخدام هذه الكلمات مضافة للساعة فى الكتاب والسنة توصلتُ ـ بفضل الله تعالى وحده ـ إلى التمييز بين استخداماتها نتيجة لبروز فروق فى هذه الاستخدامات متوافقة مع الفروق اللغوية بينها، تجعلنا نستغنى عن تصْنيف الأحداث السابقة للساعة إلى صغرى وكبرى، لما لهذا التصنيف الثنائى من لبس وغموض وتَعارض، لأن من الأحداث البعيدة عن الساعة ما يوصف بالعظمة والأهمية التاريخية القصوى، ومع هذا فهو يوصف بأنه من الأشراط الصغرى مثل موت رسول الله ﷺ الذى هو أعظم مصيبة فى حياة الأمة إلى قيام الساعة، ومثل فتح بيت المقدس الذى يعتبر من أعظم أحداث التاريخ الإسلامى، وهو بلا شك إذا اعتبرناه من الأشراط، فهو من الأشراط العظمى، رغم أنه بعيد زمنيا عن الساعة، كما أن من الأحداث التى تسبق الساعةَ بزمن يسير، ما ليس له تأثير تاريخى يذكر ومن ثم لا يعد من العظمى أو الكبرى، وهذا وذاك يدل على أن هذا التصنيف غير دقيق وغير مطابق للواقع التاريخى لأحداث الأشراط، إذ ليس ثمة علاقة بين حجم الحدث وبين قربه أو بعده من الساعة والصِّغَر والكِبَر وصفٌ لحجم الشرط أو الحدث وليس له علاقة بالقرب والبعد أو بالعلاقة الزمنية بالساعة.

ولعل السبب فى تسمية الأحداث القريبة من الساعة بالكبرى هو اشتهار هذه الفترة الزمنية فى آخر عمر البشرية بما فيها من الآيات العشر، وبالفتن المهلكة وبالملاحم العظيمة، فاعتبروا هذه الأحداث أكبر وأعظم أثرا من غيرها ، وهى وإن كانت عظيمة، إلا أن غيرها من أشراط الساعة المصاحبة لها من الأحداث الصغيرة

قليلـة الأثر فى حياة البشـر وهى تعاصرها فى الـزمان، كما ثبت من أحـداث التاريخ الإسلامى والعالمى بعد بعث المصطفى ﷺ ما هو عظيم وكبير الأثر فى حياة البشر.

(٢٤) الفـروق اللغوية والاصطلاحية بين الأشراط والعلامات والأمارات والآيات :.

لفظ الشرط هو المضاف الرئيسى للساعة حسب علـمنا لأن ما ورد فـى القرآن الكـريم فى قـوله: ﴿... فقد جـاء أشراطهـا﴾ وأيضا ورد لـفظ ﴿عِلْمٌ للساعة﴾ أو﴿عَلَمٌ للساعة﴾ فى قوله تـعالى عن المسيح عليـه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف/ ١٦] وقُرئت ﴿وإنَّه لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ بفتح العين واللام وكلاهما بمعنى الشرط والعلامة والدليل، لذلك استخدم كثير من العلماء لفظ علامات الساعة بدلا من أشراط الساعة، أو معها.

وكذلك ورد لفظ «الأمارة» مضـافاً للساعة فى حديث سؤال جبريـل عليه السلام المصطفى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان الذى جـاء فى آخره سؤال جبريل للنبى ﷺ (فأخبرنى عن الساعة)؟.

قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

قال: فأخبرنى عن أماراتها ـ يعنى أعلامها ـ؟

فقال: أن تلد الأمة ربتها...)[1] إلى آخر الحديث.

وفى رواية (فما أمارتها؟)[2].

فالأمارة هى العـلامة. والأمارات هى العلامات أو الأعلام. وكلهـا أحداث تسبق الساعة وتدل على القرب الشديد لها.

---

(١) صحيح مسلم / ك الإيمان / ب بيان الإيمان والإسلام والاحسان ح٥٩.

(٢) كتاب الإيمان لابن منده حـ١ حديث ٦ ص ١٣٢

كما ورد عن أهم وأخطر الأحداث التى تسبق الساعة مباشرة لفظ الآيات مضافا للساعة فى حديث الآيات إذ جاء فيه قوله ﷺ (إن الساعة لن تكون حتى تكون عشر آيات.)(١) إلى آخر الحديث.

والآية فى اللغة هى العلامة، وهى الدليل الواضح القوى، ومن ثم أصبح لدينا أربعة مصطلحات كلها دلائل على الساعة: أشراط وأمارات وعلامات أو أعلام وأخيرا آيات الساعة. فما هو الفرق بين كل منها؟!

عند مدرسة رئيسية من مدارس اللغة لا مترادفات متطابقة فى اللغة العربية بمعنى أن الألفاظ التى يظن البعض أنها مترادفات، ليست مترادفات إذ أن بينها فروقاً لغوية، لأنها، وإن اشتركت فى جزء من المعنى، وهو أن كل واحد منها يدل على أن الساعة آتية، وأنها تقترب رويداً رويداً ، إلا أن كل لفظ منها له، مع هذه الدلالة المشتركة بينها، ما يخصه من المعنى ومن الدلالة، لا يشاركه فيهما غيره.

ويمكن أن نتلمس هذه الفروق اللغوية بين هذه المصطلحات الأربعة من خلال استعمالها فى الكتاب والسنة على النحو التالى:ـ

أولا: الأشراط

ورد هذا اللفظ فى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد/ ١٨] ومجيء الأشراط فى الآية متمثل فى بعث المصطفى الخاتم ﷺ لأن بعث خاتم النبيين الذى لا نبى بعده دليل على قرب انتهاء أجل البشرية، فهو إذن شرط من أشراطها لا تنتهى الحياة إلا بعد تحققه، ومعنى أنه تحقق، اقتراب الساعة.

فالأشراط تخص إذن ما هو بعيد وما هو قريب، لأن الشرط هو الذى يتوقف مجيء المشروط على حدوثه أولا.

(١) صحيح مسلم ك/ الفتن وأشراط الساعة ب/ فى الآيات التى تكون قبل الساعة/ح ٧٢٣١.

ثانيا: الأمارات:

أمارات الساعة من الأشراط وقد ورد لفظ الأمارة فى سؤال جبريل عليه السلام عن أمارات الساعة فجاء رد النبى ﷺ بذكر إثنتين هما:

١ ـ أن تلد الأَمَةُ ربَّتَها.

٢ ـ أن ترى الحفاة العراة رعاء الشاه يتطاولون فى البنيان).

وهذان الحدثان من السمات الحضارية والظواهر الاجتماعية التى تظهر وتستمر، الأولى ـ كما سنعلم هذا بعد ـ بإذن الله تعالى ـ من مظاهر التقدم الطبى والتقنى وفى مجال علم الأجنة وعلوم الحياة بصفة خاصة، والثانية أيضا سمة حضارية فى مجال تقدم هندسة التشييد والبناء، ومن ثم فليست الأمارة من قبيل الأحداث التاريخية الفردية التى تحدث مرة ثم لا تعود بعينها، بل هى الظاهرة المتكررة وهى صبغة حضارية وسمة مدنية وظاهرة اجتماعية تقوم وتستمر، فهى وإن كانت من الأحداث السابقة على الساعة كالأشراط، إلا أنها تتميز عن الأشراط بأنها من أوائل الساعة، أى أنها تحدث بين يدى الساعة وتدل على القرب الشديد لها، لأن سؤال جبريل للرسول ﷺ كان أولا عن موعد قيام الساعة بقوله (فأخبرنى عن الساعة؟، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرنى عن أماراتها ـ يعنى أعلامها ـ فقال: أن تلد الأمة ربَّتَها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان).

قوله ﷺ: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) دليل على أن الاستفهام كان عن موعد وقوع الساعة سنتها وشهرها ويومها.

ومن ثم فإن السؤال عن أماراتها هذا الذى جاء عقب هذه الإجابة إنما هو استفهام عن الأشراط التى تسبق وقوعها مباشرة أى عن أحداث آخر الزمان والعصر الأخير من عصور الدنيا.

وعلى هذا فالأمارة من أحداث آخر الزمان بعامة والذى يحمل السمات الحضارية والظواهر الاجتماعية منها بخاصة.

ثالثا: العلامات

تحتمل علاقة الشرطية فى اللغة التراخى بين الشرط والمشروط، كما تحتمل التتابع والتوالى سواء بسواء، كأن تقول: إذا نزل المطر غزيرا جاء محصول الشعير وفيراً. أو تقول: إذا تعلم أكثر أبناء الشعب ازداد الوعى، وحدث الرخاء، فالأول على التراخى خلال الموسم والأخير على التراخى خلال الجيل أى عشرات السنين.

أما على التتابع كأن تقول: إذا ارتفعت الشمس فى كبد السماء اشتدت حرارتها.

أمَّا العلامة فإنها إمَّا أن تصاحب الحدث أوتدل على القرب الشديد لحدوثه فهى تتبعه كظله، لأن علامة الشىء معه أو قبله بقليل، فهى من هذا الوجه كالأمارة من حيث قربها الشديد للساعة، إلا أنها ربما تخص الأحداث الفردية دون الظواهر المتكررة. ومن ثم جاء تفسير أماراتها فى الحديث يعنى أعلامها. فالعلامات هى الأحداث الواقعة فى آخر الزمان والمنذرة بقرب وقوع القيامة، أو مجىء الساعة، وتصدق أكثر ما تصدق على أحداث تاريخية غير متكررة، أو ظهور شخصيات بعينها أو حدوث فتنة معينة، مما جاء وصفه فى النصوص، أو ملحمة من الملاحم فى موضع معين، وبين أقوام محددين.

ومثل هذه الأحداث، إذا كانت فى آخر الزمان، فهى من العلامات، وإذا كانت فى العصور البعيدة عن الساعة فهى من الأشراط.

أما إذا كانت لها صفة الدوام والاستمرار والتكرار والاضطراد والزيادة مع تقدم الزمن كالسمات الحضارية والظواهر الاجتماعية والعادات السلوكية والأدوات والآلات الصناعية فهى من الأمارات.

رابعا: الأمَارة والفروق اللغوية بينها وبين العلامة:

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (أمر: الهمزة والميم والراء، الأمر من الأمور، والأمر ضد النهى، والأَمَر بفتح الميم النمَّاء والبركة، والمعْلَم، والعَجَب)[١] وما يخص موضوعنا هما الأصلان الرابع والخامس أى المعلَم والعَجَب وجمعه

(١) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة جـ١ ص١٣٧.

أمارات أى معالم، فإذا أردنا أن نفرق بين الأمر وبين العلامة دخل عنصر العجب أى أن أمارات الساعة ليست معالم وعلامات معتادة معلومة، لأنها، وإن كانت عادية لأهل زمانها، فإنها غريبة لأهل الأزمنة السابقة ومثيرة للعجب أيضا لأهل زمانها. والمعلم ليس مجرد دلالة وإنما أكثر، لأنه عند العرب الموعد، قال ابن فارس (وأما المعلم الموعد فقال الخليل: الأمارة الموعد) (وقال الأصمعى: الأمارة العلامة تقول: اجعل بينى وبينك أمارة وأماراً) (يقال جعلتُ بينى وبينه أماراً ووقتا وموعدً وأجلاً، كل ذلك أمارة، فالأمارات تجمع بين عدةعناصر فى معناها أهمها:

(١) الموعد، وهذا يدل على شدة قربها من الساعة حتى كأنَّ حدوث الأمارة هو موعد الساعة أو هو مجيء وقتها.

(٢) العلامة لأنها دليل عليها.

(٣) العَجَب بما يفيد أن الأحداث ستكون غريبة على الإنسان، لم يعهدها من قبل فالأمارات عجائب والدليل على هذا أن الرسول ﷺ أطلق على واحدة من هذه الأمور العجيبة التى تحدث فى آخر الزمان أمارة، فقد جاء فى حديث طويل عن أبى هريرة (قال النبى ﷺ إنها أمارة من أمارات بين يدى الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)[١].

وما السوط والنعل الذى يحدثه بما فعل أهله من بعده إلاالتليفون المنزلى السلكى والتليفون المحمول على التوالى فالرجل يخرج من منزله ويغيب عن أهله وأبنائه فى شغل أو فى سفر فيتصل بأهله ليطمئن عليهم وليسأل ماذا فعلوا وماذا أتموا وهكذا. فهو عليه الصلاة والسلام لم يطلق عليها علامات أو أشراط وإنما أطلق عليها أمارات وقال: (إنها ستكون أمارات بين يدىْ الساعة) أى أمارات كثيرة قبل الساعة مباشرة لأن ما يكون بين يدى الشيء أو الإنسان هو الذى أمامه مباشرة حتى يكاد يلتصق فيه، وذكر واحدة من هذه الأمارات. كمثال لها، فقال بالتليفون السلكى والمحمول. لأن السلكى هو أشبه بالسوط الذى هو أشبه بالسلك وفى آخره كتلة سميكة من الشعر.

---

(١) رواية الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة حديث ٧٩٧٧.

أما المحمول فهو أشْبَه ما يكون بالنعل. وهذا أمر عجيب أن يخبر النعل صاحبه بما فعل أهله من بعده، ومن ثم أطلق عليها أمارات ولم يطلق عليها آيات، لأنها ليست أمورا خارقة للعادة، بل هي أمورعجيبة بالنسبة لزمن الصحابة والذين من بعدهم، وهي عند أهل زمانها عجيبة لأول ظهورها ثم لا تلبث أن تصبح معتادة لا غرابة فيها وبخاصة بالنسبة للجيل الذي يتعامل معها منذ الطفولة.

وأطلق ﷺ على ولادة الأمةُ رُبَّتها أمارة، وكذلك تطاول الحفاة العراة في البنيان لأنهما تعبيران عن سمات حضارية في الطب والبناء كما سنرى هذا بعد بإذن الله تعالى في أمارات الساعة العلمية والتكنولوجية والطبية في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

خامسا: الآيات والفروق التي بينها وبين كل من الامارات والعلامات:-

الآية في اللغة هي الدليل وهي العلامة أيضا، والآية من القرآن الكريم كأنها العلامة التي تهدي إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة لهداية المسافر حتى لا يضل الطريق، وهي أيضا آية، لأنها معجزة، لأن كل كلام الله آيات أي معجزات.

والآيات أيضا العبر،كقوله تعالى: ﴿**لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائلين**﴾ والآية المعجزة كما قال تعالى:: ﴿**وجعلنا ابن مريم وأمه آية**﴾ أي معجزة ولم يقل سبحانه عن عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام آيتين لأن مجيئه منها من غير أب هو المعجزة وهو حدث واحد مفرد.

المعنى الزائد في لفظ الآية عن الثلاثة: الشرط والعلامة والأمارة هو أنها تحتمل أن تكون أمراً خارقا للسنن مخالفا للطبائع والنواميس السارية في الكون والأشياء والأحياء كالمعجزات في حين لا تحتمل الألفاظ الثلاثة الأخرى هذا العنصر.

ومن ثم لم ترد الأحداث التي أجراها الله تعالى على أيدي الرسل والأنبياء مخالفة للسنن باسم المعجزات، ولا مرة واحدة وإنما جاءت في القرآن الكريم باسم الآيات لأنها بالنسبة للقدرة الإلهية متساوية مع الأمور المعتادة سواء بسواء، وإنما هي

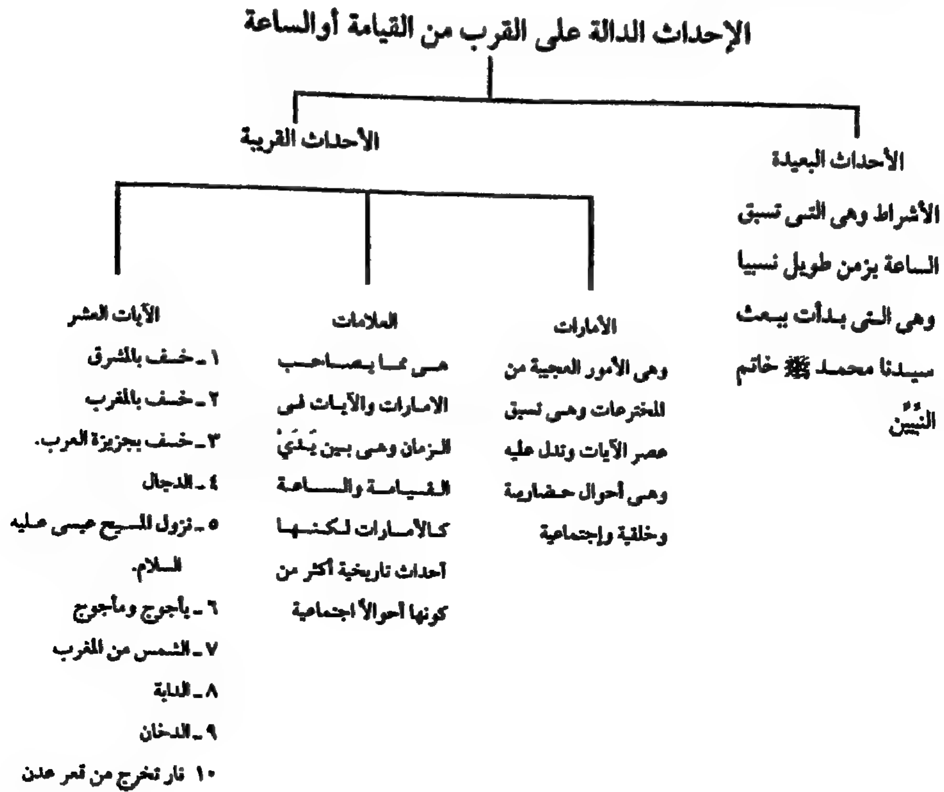
معجزات بالنسبة لاستطاعة البشر، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف/ ٧٣] فأطلق سبحانه على الناقة التى إنفتق عنها الجبل آية أى معجزة لأن مجيئها مخالف لسنن الحياة.

فالآيات المنسوبة للساعة إذن هى أشراط، ولكنها تتميز عن سائر الأشراط والأمارات والعلامات بأنها خارقة لسنن الكون والحياة.

وهذا ما تؤكده الآيات القرآنية التى ورد فيها ذكر آيات الساعة، وكذلك الأحاديث النبوية التى نبأت عنها. قال تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾ [الأنعام]. وذكر المفسرون أن تأويل قوله تعالى: (بعض آيات ربك) طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة من الأرض تكلم الناس، والدخان الذى يأتى من السماء، وهى التى ينغلق بحدوثها باب التوبة.

وقد سبق تفصيل الكلام عن الآيات العشر فى الجزء الأول.

ولبيان تصنيف[1] الأحداث السابقة على القيامة الصغرى ثم الساعة والدالة عليهما نعرض هذا التصنيف.



(١) هذا التصنيف يختلف عن التصنيف الوارد فى الجزء الأول ولكنه لايتعارض معه وإنما يفصله ويوضحه وعلى كل حال فهذا التصنيف ينسخ الذى قبله.

الباب الثالث
حجب علم الساعة
وكشف علم الأشراط

الفصل الأول: لايعلم الساعة إلا الله تعالى وحده ولم يظهر أحداً من خلقه على وقت وقوعها.

الفصل الثاني : الاصول الاعتقادية لاشراط الساعة أو علم المستقبل فى الكتاب والسنة.

الفصل الأول

لايعلم وقت الساعة إلا الله تعالى وحده

٢٥ـ لايعلم وقت الساعة إلا الله تـعالى وحده ، ولم يظـهر احداً من خلقه على وقت وقوعها

(٢٥) لايعلم الساعة إلا الله تعالى وحده، ولم يظهر احداً من خلقه على وقت وقوعها

لقد أكثر الناس من سؤال الرسول ﷺ عن موعد الساعة، فكان يرد عليهم دائماً بما يؤكد لهم أن هذا من الغيب الذى لايعلمه إلا الله وحده، وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٧]. فسؤال السائلين هنا عن وقتها الدقيق بالتفصيل أى عن يوم وقوعها وفى أى ساعة ودقيقة ستقع، أو بعد كم عام وكم شهر وكم يوم من وقت سؤال السائل فإذا بالإجابة تؤكد أن رسول اللهﷺ، لايعلمها وإن علمها عند الله تعالى وحده قال تعالى أيضاً﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾[الأحزاب/ ٦٣] وقال تعالى أيضاً﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات/ ٤٢-٤٤].

فقوله سبحانه فى آية الأعراف﴿لا يُجَلِّيهَا﴾ أى لايظهر ويكشف خفاءها فى وقت وقوعها إلا هو سبحانه،وقوله تعالي﴿وثَقُلَتْ﴾ أى عظمت وجلت عن أن يعلم كل الخلق فى السموات والأرض وقت وقوعها(١) ويؤكد عدم معرفة رسول الله ﷺ وقت وقوعها قوله تعالى فى آية الأحزاب ﴿عِندَ اللَّهِ﴾أى ليس عندى، وإنما هو عند الله تعالى مما استأثر به من علم الغيب، فلم يطلعنى عليه،و جاء التأكيد الثانى لهذا المعنى فى قوله تعالي﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾أى أنت مثلهم فى هذا الأمر لاتدرى وقتها الذى قد يكون قريباً وقوله تعالى : فى آيات النازعات﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾أى فيم أنت من استحضارها والنطق بوقتها وإعلامهم بها، فإن كل ذلك بعيد عنك، وليس فى مقدورك، وقوله تعالي﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾أى منتهى علم وقت حصولها إلى الله تعالى وحده

---

(١) تفسير الجلالين.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ من ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾(فصلت/ ٤٧)وقال تعالى أيضاً﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(الزخرف/ ٨٥) ولاشك أن قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، وقوله تعالى ﴿وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ تأكيد بأن الله تعالى لايشاركه فى هذا الأمر غيره، فالآية الأخيرة جمعت ثلاث من خصائص الربوبية ممالايجوز إلا لله عزوجل ولايشاركه فيه غيره لاباسم الصفة ولابحقيقة الصفة.

الأولى : أنه مالك السموات والأرض وما بينهما.

الثانية: أنه سبحانه عنده علم الساعة

الثالثة: إليه يرجع الناس جميعاً.

فإذا كان استئثار الله تعالى بعلم الساعة خاصية بين خاصيتين لله تعالى لايشاركه فيهما غيره ولايجوز أن يوصف بهما غيره حتى ولاعلى سبيل المجاز،وبأى معنى من المعانى، فإن علم الساعة هو من علم الله تعالى الذى يَخُصُّهُ وحده،ولا يشاركه فيه غيره مهما كان هذا الغير مقرباً إلى الله عزوجل، جاء فى الحديث الشريف:«خمس لايعلمهن إلا الله ثم قرأ:﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤](١) **وقال ابن كثير:**«ولما جاء جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة أعرابى فسأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان أجابه ﷺ عن ذلك فلما سأله عن الساعة قال له: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال : أخبرنى عن أشراطها؟ فأخبره عن ذلك»(٢)

وقال القرطبى : «فاما وقتها فلا يعلمه إلا الله وفى حديث جبريل: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» الحديث اخرجه مسلم.

---

(١)الحديث رواه البخارى وأحمد بن حنبل عن بريدة.

(٢)ابن كثير/ النهاية ،المجد ص ٣٢

وكذلك روى الشعبى قال : « لقى جبريل عيسى عليه السلام فقال له عيسى : متى الساعة؟ فانتفض جبريل عليه السلام فى أجنحته وقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ﴾[1] .

وقد سألوا النبى ﷺ قبل موته بشهر عن موعد الساعة فقال: «تسألونى عن الساعة؟» وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ماعلى الأرض من نفس منفوسة تأتى عليها مئة سنة»[2]

وحتى المسيح عيسى بن مريم ﷺ لايعلم موعد الساعة وهو من آيات الله العشر التى تقع بن يديها فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبىﷺ قال: «لقيت ليلة أسرى بى موسى وعيسى، قال : فتذاكروا الساعة، فردوا امرهم إلي إبراهيم ، فقال : لاعلم لى بها، فردوا الأمر إلى موسى فقال: لاعلم لى بها، فردوا الأمر إلى عيسى فقال: أما وجبتها فلايعلمها أحد إلا الله، وفيما عهد إلى ربى أن الدجال خرج ، قال : ومعى قضيبان، فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص، قال : فيهلكه الله»[3].

ومعنى قوله: أما وجبتها فلايعلمها أحد إلا الله، أى: وقتها الدقيق الذى تقع فيها ولاتَتَخَطَّاه بلحظة واحدة، وفى رواية ابن ماجه لهذا الحديث وهى رواية طويلة جاء في نهايتها قول عيسى عليه السلام بعد ذكرإهلاك الله عزوجل ليأجوج ومأجوج« ففيما عهد إلى ربى عزوجل: إن كان ذلك كذلك، فإن الساعة كالحامل المتم لايدرى أهلها متى تفجأهم»[4]

والحامل المتم يكاد أهلها أن يتوقعوا مولدها على مدى الشهر او الأسبوع. وربما اليومين أو الثلاثة لكنهم يعجزوا عن معرفة الوقت واليوم الذى تلد فيه على سبيل التحديد الدقيق، أى على مستوى الساعة والدقيقة، والحديث يتضمن نَفْى العلم

(١) القرطبى/ ا لتذكرة ص ٦٢٤.

(٢) رواه مسلم، ك فضائل الصحابة، باب معنى قوله ﷺ :« على رأس مئة سنة لايبقى نفس منفوسة.

(٣) مسند الإمام احمد ج٥ ص ١٨٩.

(٤) ابن كثير / البداية ج١ص ١٩٠، وعزاه لابن ماجه،وعزاه إلى مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعودر ضى الله عنه.

بتاريخ ووقت وقوع الساعة عن أولى العزم من الرسل محمد وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام جميعاً

لأن الرسول الخاتم ﷺ هوالذى يقص علينا ماكان من مذاكرتهم للساعة وسؤالهم عن موعدها، فلو كان نبينا الخاتم يعلم لأخبرهم، أما وقد انتهى الثلاثة إلى أن الله تعالى وحده،والنبى الخاتم ينقل لنا هذا المعنى مخبراً بإقرار المسيح بن مريم عليه السلام بعدم علمه بموعد الساعة وأنه لايعلم (وجبتها)، فإنه أيضا لايعلمها.

وفى النهاية لابن كثير: أما حينها فلايعلم به أحد إلا الله.

فهؤلاء الأربعة الكرام أولو العزم من الرسل، وهذا دليل نقلى آخر على أن علم الساعة استأثر الله به فى علم الغيب عنده ولم يطلع عليه أحد، لانبى مرسل، ولاملك مقرب. **قال ابن كثير فى التفسير:** «فهذا النبى الأمى سيد الرسل وخاتمهم صلوات الله عليه وسلامه نبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملحمة والعاقب والمقفى والحاشر الذى تحشر الناس على قد ميه، ومع قوله فيما ثبت عنه فى الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رضى الله عنهما: « بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرن بين أصابعه السبابةو التى تليها» **ومع هذا له** قد أمره الله تعالى أن يرد علم وقت الساعة إليه،إذا سئل عنها فقال﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف/ ١٨٧).**كل هذا** يرفض وينقض نقضاً قاطعاً ماتردد عند بعض المتأخرين من أصحاب البدع الذين رددوا قولاً لادليل عليه من نقل أو عقل بل اجتمعت على نفيه أدلة النقل والعقل، وهذا القول هو أن الله تعالى قد أطلع رسوله وحبيبه وخاتم رسله على مَوْعِد الساعة.

وهذا مما شاع فى القرون المتأخرة التى ساد فيها الفكر الصوفى، وهذه القرون التى انتشرت فيها البدع الفكرية والاعتقادية والسلوكية،وهذه من البدع الاعتقادية،التى ساعد على انتشارها حب الأمة الشديد لنبيها الخاتم ﷺ.

ولكن هذا من الغلو فى الدين، وهو من الخطأ الفادح، ولايشفع له حب النبىﷺ، لأنه مخالفة اعتقادية لكتاب اللهتعالى ولسنة نبيه ، وهكذا قد ثبت لنا

بالنصوص التى تنفى العلم بوقت الساعة عن كل الخلق: الرسل أولى العزم والملائكة المقربين عليهم السلام جميعاً حتى إسرافيل نافخ الصور الذى ينتظر الأمر بالنفخ فى الصور ولايعلم متى يؤمر.

وممن وقعوا فى هذ الخطأ البرزنجى صاحب كتاب«الإشاعة فى أشراط الساعة» إذ قال عن وقت الساعة: «وإنها لاتجئ إلا بغتة كما قال تعالى ، وقد استأثر بعلمها،ولم يعلما أحد من خلقه، وعلَّمَها النبىﷺ ونهاه عن الإخبار بها تهويلاً لشأنها وتعظيماً لامرها»(١)

ولا شك أن هذا تناقض من البرزجى وقع فيه،وإذ صرح بأن الله تعالى استأثر بعلمها، ومع هذا واستثنى فصرح بأنه سبحانه أعلمها النبى ﷺ، من غير أن يأتى بالدليل النقلى على هذا الاستثناء، إذ لا يصلح عند الأصوليين فى هذا المقام إلا الدليل النقلي، ومن المحال وجود الدليل النقلى الصحيح لأن الآيات القرآنية المحكمة والأحاديث الصحيحة دلت على أن الله تعالى حجب علم الساعة: أى وقت قيامها الدقيق: السنة والشهر واليوم والساعة والدقيقة والثانية عن كل خلقه، فمن زعم أنه سبحانه وتعالى استثنى الرسول ﷺ فعليه أن يأتى بالدليل من القرآن الكريم، وحيث ان هذا على فرض وجوده ـ يكون متناقضا مع الآيات النافية للاستثناء، وحيث أنه من المستحيل التناقض او الاختلاف بين آيات الذكرالحكيم، فإنه يستحيل أن يوجد نص من الوحى قرآناً أو سنة يفيد علم الرسول ﷺ بوقتها.

وقد قام العلماء بالردود المفصَّلَة على هذا الزعم بالنقل والعقل منهم ابن القيم الذى قال :«وقد جاهر بالكذب بعض من يدعى فى زمان العلم،وهويتشبع بما لم يعط، وأن رسول الله ﷺ، كان يعلم متى تقوم الساعة، وقيل له: فقد قال فى حديث جبريل: «ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل»، فَحرَّفَهُ عن موضعه وقال : معناه أنا وأنت نعلمها، وهذا من أعظم الجهل وأقبح التحريف، والنبيﷺ أعلم بالله من أن يقول لمن كان يظنه أعرابياً: أنا وأنت نعلم الساعة، إلاَّ أن يقول هذا الجاهل أنه كان يعرف أنه

---

(١) البرزنجى/ الإشاعة لأشراط الساعة ص ٣، طبعة عبد الحميد أحمد صفى، القاهرة، بدون تاريخ

جبريل ورسول الله ﷺ هو الصادق فى قوله قال «والذى نفسى بيده ماجاء فى صورة إلا عرفته غير هذه الصورة»،وفى اللفظ الآخر« ماشُبِّهَ عَلَيَّ غير هذه المرة»،وفى اللفظ الاخر:« ردوا على الأعرابى فذهبوا فالتمسوه فلم يجدوا شيئا»، إنما علم النبيﷺ أنه جبريل بعد مدة ثم فى قوله فى الحديث : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل شأنهما كذلك»(١)

وأما الإمام السيوطى رحمه الله فقد صرح بأن الساعة تقع فى خلال القرن الخامس عشر او نهايته على الأكثر استنباطاً من عدة نصوص.

قال هذا فى رسالة بعنوان« الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف»(٢)، والتى حررها رداً على الحديث الذى شاع بين الناس حينئذ وهو: أن النبي ﷺ لايمكث فى قبره ألف سنة»، أى أن الساعة تقوم قبل ان يمر على يوم وفاته ألف سنة، فصرح السيوطى مجيباً السائل عن قوة هذا الحديث بأنه باطل لاأصل له.

ثم استرسل فى الرسالة ليثبت بالاثار والنصوص أن مدة هذه الأمة تزيد عن ألف سنة، وحيث ان السيوطى توفى عام ٩١١هـ فإن هذا البيان الذى قدمه فى هذه الرسالة كان له الأهمية القصوى للمسلمين حينئذ، بيد أن السيوطى لم يقتصر فى الرسالة على العنوان الذى وضعها له، إذ تَعَدَّى هذا الهدف إلى موضوع آخر تماماً هو ان الساعة، إن لم تكن قائمة قبل نهاية الألف،فإنها ستقوم قبل نهاية الخمسمائة بعد الألف.

ولاشك ان السيوطى قد اصاب فى استنباطه بأن عمر الأمة يتعدى الألف، بناء على أن الأشراط العظمى كالدجال ونزول المسيح عليه السلام وخروج الشمس من مغربها لم تحدث بعد، وهذه كلها عنده تقع قبل الساعة بمائة سنة على الأقل بدلالات بعض الآثار، ولما كان الزمن الذى كتب فيه السيوطى الرسالة هو آخر القرن التاسع،أو

(١) ابن القيم/ المنار المنيف/ تحقيق الشيخ أبو غدةص ٨١.
(٢) مشورة فى كتاب / الحاوى للفتاوي/ طبعة دار الكتب العلمية/ بيروت ،ج٢ ص ٨٦/ ٨٩.

أوائل القرن العاشر، أى السنين العشرة الأخيرة من حياته،ولم يكن قد خرج حينئذ المهدى او الدجال فقد جزم بأن عمر الأمة يتجاوز الألف.

أما قوله بأنها لن تتعدى الخمسمائة بعد الألف ففيه نظر واحتمال الخطأ فيه وارد ، بل الأرجح أنه أخطأ فى هذا الأجتهاد.

اولا: لانه بنى الاجتهاد على استنباط من آثارغير صحيحة، إذفيها ماهو ضعيف جداً، وفيها ماهو ضعيف ، وفيها ماجاء بطرق صحيحة،ومعلوم ان مثل هذه الموضوعات الغيبية لاينفع فيها إلا القوى، أو على الأقل الضعيف المنجبر.

ثانيا : أن اجتهاده الأخير هذا غير اجتهاده بالنسبة لموضوع الرسالة الأساسى الذى يدل عليه العنوان،وهواجتهاد موفق اصاب فيه،وساعده على هذا معاصرته لنهاية القرن التاسع وبداية العاشر، إذ من المسلم به، أن ماكان مدعماً بالواقع التاريخى فى مسائل الأشراط وعلم المستقبل فهو من القوة بمكان، خصوصاص إذا كان تفسير النصوص صحيحاً، وكان فهم الواقع التاريخى صحيحاً أيضاً.

ومن ثم جزم السيوطى بأن هذه الأمة ستتجاوز الألف، بينما الأحتمال الذى رجحه بأنها لن تتجاوز الخمسمائة بعد الألف، مع انه لم يجزم به، إلا أنه لم يستطع ان يقدم من الأدلة النقلية المباشرة مايجعله مقبولاً عند اللاحقين له من العلماء، إما لضعف النقل، وإما لغموض الأستنباط وعدم وضوحه .

أما الأثر الذى اعتمدعليه السيوطى فهو ما قَرَّرَ أنه ورد من طرق: أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة،وأن النبيﷺ بُعِثَ فى أواخر السادسة اوالقرون الأخيرة من الألف السادسة.

من ذلك مارواه الطبرانى فى الكبير عن الضحاك بن زمل الجهنى قال: رأيت رؤيا فقصصتها على رسول اللهﷺ فذكرالحديث، وفيه : .....إذا أنا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت فى أعلاها درجة ، فقال ﷺ: أما المنبر الذى رأيت فيه سبع درجات وأنا فى أعلاها درجة فالدنيا سبعة الاف سنة، وأنا فى آخرها ألفاً».

وقد اختلف العلماء حول هذا الحديث، فقد أخرجه البيهقى فى دلائل

النبوة ورواه الطبرانى فى الكبير ورواه ابو جعفر ابن جرير الطبرى فى التاريخ موقوفاً على ابن عباس رضى الله عنهما من طرق صحيحه كما قَرَّرَ الطبري.

لكن الألبانى حكم بأن الحديث موضوع، لكن ليس بالرواية السابقة فقد جاء فى كتابه ضعيف الجامع الصغير حديث:« الدنيا سبعة آلاف سنة،وأنا فى آخرها ألفاً»، وهى رواية مختلفة عن رواية الطبرانى.

ومن ثم فإن الحديث برواية الضحاك بن زمل رضي الله عنه قد لايكون ضعيفاً جداً ولاحتى ضعيفاً فلا يلزم أن يكون موضوعاً كما قال الألبانى عن هذه الرواية الأخيرة.

وعلى أى حال فإن السيوطى قد واجه نقداً شديداً من العلماء الذين أتوْا بعده، وبخاصة نحن الذين عاصرنامطلع القرن الخامس عشر،و لم يبعث المهدي،ولم يخرج الدجال بعد ، ومعنى هذا أنه حتى لو بعث المهدى هذ العام أو خلال العقد الثالث من القرن الخامس عشر فإن الساعة بالضرورة لن تكون فى نهاية هذا القرن، بل ربما تتجاوزه الى القرن الذى يليه،أو الذى يلى القرن القادم، أو إلى ماشاء الله تعالي.

بَيْدَ ان ما يجب أن أسجله دفاعاً عن السيوطى رحمه الله تعالي، وإن كنت ارى خطأه أيضاً، هو أن اجتهاد السيوطى فى محاولة تحديد مدى من الزمان على مستوى القرن تقع فيه الساعة بناء على آثار استنبط منها هذه النتيجة، هو من الاجتهاد المشروع ، لانه لم يزعم أنه من الممكن معرفة الوقت الدقيق لوقوع الساعة، وإنما هو اجتهد فجزم بنفى وقوعها قبل نهاية القرن العاشر، حسب الحديث الموضوع الشائع الذى قال عنه لاأصل له، فدلل بالعقل وبالنقل على بطلانه ، وأتى بالأدلة على عدم وقوعها خلال الأربعة قرون التالية للقرن العاشر،وذكر احتمال توقع وقوعها فى نهاية القرن الخامس عشر على الأكبر استنباطا من آثار بعضها صحيح وبعضها ضعيف، فما دام لم يزعم إمكانية معرفة موعد قيام الساعة، وإنما زعم توقعًا بفترة قيامها خلال قرن او عشرات السنين، فأرى أنه من الإجتهاد المشروع بناء على قوله تعالى:﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ وبناء على قول المسيح عليه السلام فى الحديث السابق ذكره

أن الدنيا بعد "يأجوج مأجوج تكون كالحامل المتم لايدرى اهلها متى تفجأهم» **فأهلها يمكنهم** أن يتوقعوا ولادتهـا في مدى معين من الزمان لاتتعداه، وهذا لـيس من قبيل ادعاء الغيب، لكنـه توقع قائـم على استنباط،يصح إذا صـحت المقدمـات، وصحت طريقة الاستنباط ، ويخيب إذا خابت.

وعلى هذا فالسيوطى اجتـهداجتهاداً مـشروعاً واخطأ، وهـذا يرفع اللـوم عنه ويبرؤه مما وُصِفَ به بعض العلماء. اوبعض الكتاب من مدّعى العلم.

وعلى كـل حال مازال أمام قول السـيوطى فرصة لتـثبت صحته، وهـى إذا ماتمت بيعة المـهدى عليه السـلام خلال العشرين او الثـلاثين سنة الأولى من الـقرن الخامس عشر الهجرى فإن الحقيقة لن تبعد كثيـرا عن قوله،وقد مضى حتى الآن قرابة الثمانية عشر عاما، وقد ظهر السفيانى الذى يسبق المهدى مباشرة ممايجعل فرصة ثبوت صحة قوله رحمه الله قوية . والله تعالى أعلى وأعلم

الفصل الثاني

أهداف علم أشراط الساعة وفوائده

٢٦- فوائد علم أشراط الساعة

٢٧- اهم أهداف علم اشراط الساعة هو معرفة تسلسل الوقوع للاحداث التى تدل عليها النصوص.

٢٨- الحكمة من حجب العلم بأزمنة وقوع الفتن والملاحم

(٢٦) فوائد علم أشراط الساعة

يقف العلماء من قيام هذاالعلم موقفين متعارضين:

الأول : الذين يؤيدون إمكانية قيام هذا لعلم، وإمكانية تحقيق فوائده الى درجة كبيرة،حتى يمكن توقع الأحادث المقبلة على مدى المستقبل القريب اوالمستقبل البعيد، ويقدم هؤلاء حججاً كثيرة يدللون بها على صحة موقفهم شرعاً.

بل يذهب البعض الى القول بوجوب إقامة هذا العلم، حتى يستفيد المسلمون من نتائجه فى ميدان الصراع الحضارى والعسكرى الدائر بينهم وبين اعدائهم لأن النصوص الصحيحة، إذا نجحنا فى مطابقتها للوقائع التاريخية المعاصرة، يمكن ان تدلنا على الاحداث المقبلة وتعطينا تصوراً قريباً من صورة الصراع وتفاعلاته المستقبلة، أو على الأقل ترسم لنا خطوطه العريضة التى تمكن أصحاب القرار من اتخاذه على بصيرة. **وأهم هذه الأدلة هي:**

١ـ دلت النصوص على أن القرآن الكريم والسنة فيهما خبر من قبلنا من الأمم ونبأ من بعد جيل الصحابة، وما كتب الفتن وأشراط الساعة وأبوابها فى كتب السنة إلا برهاناً ساطعاً على ذلك، وحيث ان هذاقسم عظيم ورئيسى من اقسام الوحي: قرآنا وسنة، وحيث أن الرسول ﷺ كان يستعيذ بالله من علم لاينفع،وتوجيهاً لنا حتى نحرص على النفع من كل علم، فإن نفع هذا القسم الرئيسى من الوحى إنما يتمثل فى توقع احداث المستقبل القريب ومعرفة الأعداء الحقيقيين الذين يشكلون الخطر الأكبر على المسلمين فى صراعهم معهم.

فمن يرفض قيام هذا العلم فكأنما يحرم المسلمين من فائدة هذا القسم من الوحي، ويجعله علماً بلا نفع، وهو الأمر الذى استعاذ رسول الله ﷺ منه، لانه يصبح يوم القيامة حجة على العلماء، وليس حجة لهم.

وليس هذا دليلاً على جواز قيام هذا العلم فحسب، بل هو دليل على

أنه من الفروض او الواجبات الكفائية على الأمة، أى على العلماء منهم، وبخاصة اصحاب هذا التخصص.

٢ـ أن دراسة هذه النصوص ومطابقتها على الوقائع الماضية، لممّا يزيد الإيمان فى قلوب المسلمين، حيث يعتبر مطابقة الحديث الشريف على واقعة من الوقائع التى حدثت كما نص عليها الأثر الشريف معجزة جديدة تضاف الى معجزات النبيﷺ وبرهاناً جديداً على صدق نبوته، **ومن ثم** يصبح من الواجب على العلماء متابعة أحوال الأزمنة السابقة عليهم وأحداث زمانهم وفى نفس الوقت عليهم مراجعة الكتاب والسنة والتأمل فى نصوصهما وتدبر معانيهما لمطابقة هذه النصوص على الوقائع التاريخية والأحداث المعاصرة، فإذا قام علماء كل جيل بذلك ظلت السنة متجددة فاعلة مؤثرة من بعده إلى أن يأتى أمر الله وهو مما يهدى به الله سبحانه قلوباً جديدة الى الإسلام ويزيد به المؤمنين إيماناً

٣ـ إن محاولة توقع أحداث المستقبل القريب بناء على دراسة منهجية جادة وموفقة وبأدلة علمية وبراهين أصولية يقبلها أهل هذا العلم، او العلماء بعامة، **ليس ضربا من الرجم بالغيب** او الكهانة اوالتنجيم حتى يرفضه بعض العماء ، ولايجيزون هذه المحاولات اوقيام هذا العلم. مادام الهدف المستقبلى قائم على توقع وترقب الحدث من غير تحديد لموعده او زمنه.

إن أكثر حجج الرافضين تدو حول المحاولات التى اخفقت فى التوقع لحدث معين فى زمن معين، هذه المحاولات التى لم تنقطع خلال تاريخ الإسلام كله.

من ذلك مثلاً: مَنْ توقع من العلماء أن **المهدى** سيخرج على رأس الثلاثمائة بعد الألف، وقد بنى توقعه على فهم معين للنصوص وترتيب محدد عنده للأحداث، **وغيره** توقعه على رأس القرن الربع عشر الهجرى،ولكن خيبة هذا التوقع وذاك اوغيرهما لاتفيد بطلان المحاولة اوعدم جواز قيام هذا العلم وتحريم اوكراهة البحث فيه، وما دام البحث بعيداً عن الموعد المحدد لقيام الساعة، وعن كل

ماثبت أن الله تعالى استأثر بعلمه، فللمجتهد المخطئ أجره، وللمصيب منهم أجران، لأنه علم مشروع وله فائدته للأمة.

إلا أن هذه المحاولات كانت تتم بصورة فردية حيث لم يقم للمستقبل علم مستقل له أصوله وأسسه وأهدافه ومناهجه، الأمر الذى كان له أثره فى نتائج هذه المحاولات.

٤- **إن أهم مسائل هذا العلم وقضاياه** هى ترتيب الأحداث التى تضمنتها النصوص بحسب وقوعها فى الزمان ، لأن الوصول إلى هذا الترتيب الصحيح ، يجعل التوقع ممكناً، بل وصحيحاً إلى درجة كبيرة، وهذا يحتاج إلى دراسة للنصوص لاستبعاد الضعيف جدا أو الموضوع منها ثم تقوية مايمكن تقويته من الضعيف ووضعه فى القائمة للاسترشاد به وسداً للثغرات، ثم تصنيف هذه النصوص ، ثم ترتيبها بحسب الزمان منذ وفاة رسول الله ﷺ الى العصر الراهن، ثم ترتيب ماتبقى منها حسب توقع حدوثه فى المستقبل الى قيام الساعة، وذلك غير محاولة تحديد موعد محدد للحدث اى محاولة معرفة يوم الحدث وشهره وسنته،وأما القول بأنه آت وسيحدث فى المستقبل القريب فهذا جائز.

الثانى : وهو موقف العلماء الرافضين للبحث فى امور المستقبل وتوقع الأحداث زعماً منهم أن هذا رجم بالغيب، وأنه مما يحدث الفتنة ويثير الأضطرابات فى نفوس المسلمين، والتواكل أحياناً والتهور أحيانا أخري.

وقد تقدم فى حجج الفريق الأول الرد على بعض هذه المزاعم.

(٢٧) أهم أهداف أشراط الساعة هو معرفة تسلسل الوقوع للأحداث التى تدل عليها النصوص.

لقد وردت أشراط الساعة منجمة ومتفرقة خلال آيات القرآن الكريم، كما جاءتنا من خلال أحاديث الرسول ﷺ، من غير تحديد أو بيان لزمان الأحداث اللهم إلا من بعضها الذى اشتمل على مايفيد حدوثها فى آخر الزمان، أو بين يدى الساعة، أو فى آخر الأمة كما أسلفنا، وهذا بيان عام لايتضمن ذكرا للشهر أو للعام، ولالليوم، حتى نص ابن كثير فى النهاية على أن الأثار المتضمنة لوقوع حدث مافى سنة محددة غير صحيحة(١)

وأما خطبة رسول الله ﷺ الطويلة التى استغرقت نهاراً كاملاً من بعد صلاة الصبح حتى آذان المغرب، تلك التى لم يتوقف عنها إلا لصلاة الظهر وصلاة العصر، فلم تصلنا بنفس السياق و بنفس الترتيب وبنفس التفاصيل التى عرض بها رسول الله ﷺ أحداث الدنيا منذ بدء الخلق الى نزول أهل اجنة منازلهم فى الجنة ونزول أهل النار منازلهم فيها، أى أنه ذكرفيها ماكان حتى عصره ثم ماسيكون من بعده.ﷺ.

وعلة عدم وصولها الينا كما ذكرها رسول الله ﷺ بالإضافة إلى أن هذا مراد لله تعالى لحكمة جليلة ـ هى أنه لم يكن فى استطاعة أحد من الصحابة متابعة الخطبة من اولها إلى آخرها متابعة واعية يقظة تمكنه من حفظها كما سمعها لأن **هذا فوق طاقة البشر**، فمن تابعها منهم تعذر عليه أن يحفظها كما سمعها بتتابع أحداثها.

يدل على هذا قول حذيفة رضى الله عنه فى الحديث المتفق عليه كما ورد بلفظ البخارى رحمه الله :« لقد خطبنا النبى ﷺ خطبة ماترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشئ قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذاغاب عنه فرآه فعرفه»(٢)

وروى الإمام احمد بسنده عن ابى زيد الأنصارى قال: «صلى ﷺ الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد

---

(١) النهاية فى الفتن والملاحم مجلد ١ ص٩

(٢) عن إتحاف الجماعة للتويجرى مجلد ١ ص١٣

المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنابما كان وماهو كائن فأعلمنا أحفظنا»(١)

وروى **البخارى** فى الصحيح بسنده عن عمربن الخطاب رضى الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه»(٢).

وروى **أبو داود** فى سننه عن حذيفة قال: «قام فينارسول الله ﷺ مَقَاماً فما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه اصحابى هؤلاء، وإنه ليكون الشئ فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه»(٣) . **ثم قال ابن كثير** رحمه الله تعالى بعد أن أورد هذه الروايات الثلاث: وهكذا رواه البخارى من حديث سفيان الثوري، ومسلم من حديث جرير كلاهما عن الأعمش به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن على بن زيد عن أبى نضرة عن أبي سعيد قال: . صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ذات يوم، ثم قام فخطبنا إلى أن غابت الشمس فلم يدع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة الا حدثناه، حفظ ذلك من حفظه ونسى ذلك من نسيه، فكان مما قال : يا أيها الناس إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء، إلى أن قال: وقد دنت الشمس أن تغرب، وإن ما بقى من الدنيا فيما مضى مثل ما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه»(٤)

ومع تضعيف على بن زيد أحد الرواة فى سند هذه الرواية الأخيرة إلا أن ابن كثير قبله لوجود مايقويه فى روايات صحيحة اخري.

ومايمكن تسجيله من ملاحظات على هذه الروايات مايلي:

١ـ ورد فى الرواية الأخيرة أنه قام عليه الصلاة والسلام فيهم بعد **صلاة العصر**

---

(١)عن النهاية لابن كثير، مجلد ١ ص ٢٧.

(٢) صحيح البخارى ك/ بدء الخلق.

(٣) عن ابن كثير فى الفتن والملاحم، مجلد ١ ص ٢٨.

(٤) نفس المصدر ص٢٨

بينما جاء فى الرواية الأولى أنه قام فيهم بعد **صلاة الصبح** ، وليس فى هذا أدنى اختلاف اوتعارض، إذقد يكون بسبب أن الصحابى الجليل صاحب الرواية الأخيرة **وهو أبو سعيد رضى الله عنه** لم يحضر من هذا المقام إلا ماكان منه بعد صلاة العصر فروى ماسمعه فيه، وقص ماشاهده، بينما أصحاب الروايات الأخرى حضروا المقام من اوله اى بعد صلاة الصبح،

يؤكد هذا أنهم إتفقوا على ان موضوع الخطبة: هو جميع الأحداث منذ بدء الخلق من حيث أن رواية ابى سعيد ذكرت ماسيكون الى يوم القيامة وهو الجزء الذى حضره من هذا المقام العظيم للنبيﷺ

٢ـ جاء فى الرواية الأولى استمراره ﷺ من بعد صلاة الصبح حتى المغرب قائماً لم ينزل من مقامه إلا للصلاة ، بينما لم يأت هذا صريحاً فى الرواية الثانية والثالثة، وربما جاء تلميحاً فى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «قام فينارسول الله ﷺ مقاماً».

وفى قول حذيفة رضى الله عنه:« قام فينا رسول الله ﷺ قائماً» ، وهذا وذاك تَعْريبان عن طول القيام وعظمة المقام وأهمية المقال، فهو بمثابة الإجمال لما جاء تفصيلاً وفى رواية حذيفة، أى الرواية الأولى وهذا وذاك لا يتعارض اويختلف معها.

٣ـ أفادت جميع الروايات أن هذه الخطبة كانت طويلة حيث يصح القول بأنها تملأ أسفاراً،ومن ثم لم يستطع بعض الصحابة، مع كثرة المستمعين، ولا حتى واحد مهم أن يحفظ هذا الحديث العظيم الطويل كاملا بتفاصيله وترتيب أحداثه التى هى أحداث الكون منذ نشأته الى يوم الخلود.

يدل على هذا عبارة: حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه، وكذا عبارة فأعلمنا أحفظنا، وهى بنفس معنى العبارة الأولى وتدل على أن الأكثر علماً بهذه الأشراط هو الأقوى حفظاً وذاكرة.

ولكن الذى نود الوصول إليه هو أنه لم يثبت عن احد من الصحابة انه روى هذا

الحديث كاملا مفصلاً مرتبا كما سمعه من رسول الله ﷺ فلم يصلنا بهذه الصورة لافى خبر متواتر او خبر آحاد، وإنما وصلنامفرقا مجزءاً موزعاً على ماقسمه العلماء من بعد أبوابا وفصولا لأشراط الساعة وأحداث الفتن والملاحم .

ومن ثم تصبح مسألة ترتيب هذه الأحداث حسب تسلسل وقوعها فى الزمان من أهم واخطر مسائل أشراط الساعة على الإطلاق، ومن المهام والواجبات الكفائية على الأمة تلك التى سيُحاسب عليها العلماء والمفكرون بصفة خاصة.

(٢٨) الحكمة من حجب العلم بأزمنة وقوع الفتن والملاحم والأشراط، وتفاصيل الأحداث والأسماء الحقيقية لشخصيات الفتن.

لايقع شئ أوحدث أو أى أمر: عَظُمَ وكَبُرَ،حقر أوصغر فى الكون إلابقدر الله تعالى ومشيئته وعلمه، ومن ثم فما من شئ يحدث إلاويكون وفق الحكمة الإلهية الخاصة من حدوثه، وفى نفس الوقت يكون متمشياً مع الحكمة الإلهية من خلق الكون عامة ومتوافقة معها ومحققة لهاأيضاً.

والحكمة الإلهية العامة أو الكلية من خلق السموات والأرض والإنسان هى الابتلاء، كماوضحنا هذا من قبل بأدلته،والحكمة من نزول الوحى السماوى على رسل الله تعالى وأنبيائه هى توصيل الهدى الربانى لكى يفوز الذين يتبعون هدى الله تعالى بالجنة،فالخلق عطاء إلهى دنيوى وأُخروي معًا.

أماالعطاء الإلهى فى الدنيا فهو لتحقيق الابتلاء،وأما العطاء الإلهى فى الآخرة فهو للجزاء، ومن هدى الله تعالى ورحمته بالناس عامة وبالمؤمنين خاصة حجب تفاصيل الغيب والمستقبل عنهم، وكذا أحداث الابتلاءات التى منها الفتن، والمراحل الرئيسية التى يمر بها الوجود البشرى وسيجتازها كل الناس، وسواء الذى سيجتازه الإنسان: فرداً أو جماعة او نوعاًوذلك لان الإخفاء التام المطلق يحرم الناس اوالمؤمنين من خير عظيم، هذا الخير يتمثل فى تثبيت إيمانهم بالغيب واليقين بالساعة، وكما يحرمهم الإخفاء المطلق من أهم فوائد الهدى الربانى، وهوتوقي الوقوع فى الفتن، والردى والخسران فى الإبتلاء ات، من ذلك على سبيل المثال إخفاء موعد موت العبد عنه، لأن موته هو ساعته الخاصة، وكذلك إخفاءالمكان الذى يموت فيه، وكذلك إخفاء ماسيكسبه فى مستقبل ايامه حتى الغد الذى هو اقرب الأيام إلى حاضره، لأن إخفاء هذا كله من أهم ضرورات تحقيق الابتلاء قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾

ولكن في نفس الوقت تحدث لهذه النفس التي حجب الله تعالى عنها متى وأين تموت، وماذا تكسب في المستقبل، تحدث لها علامات وإمارات وأشراط تدل على قرب انتهاء الأجل منها الشيخوخة مثلاً، أو حادث يطرأ يؤثر على صحته، وبالنسبة للمؤمن فقد ثبت أن الله تعالى يَمُنُّ عليه بإعلامه بقرب الأجل بالمبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها او ترى له، فيتوقع لقاء الله تعالى، ونفس السُّنَّة التي تحكم علاقة الفرد بالمستقبل تحكم علاقة الإنسان النوع بالمستقبل وبالساعة العامة أيضاً.

لقد اخفى الله تعالى موعد الساعة، فلا يعلمها غيره سبحانه وتعالي، في نفس الوقت أعطى للمؤمنين عن طريق الوحي والنبوة علامات متمثلة في أحداث رئيسية وشخصيات يدل ظهورها على قرب أجل الدنيا وقرب قيام الساعة.

فالحكمة من إخفاء موعد الساعة علاوة على أنه من العلم الذى خص الله تعالى به نفسه، هي الابتلاء حتى يؤمن مَنْ يؤمن عن بينة، فينال الثواب برحمة الله تعالى وفضله، ويكفر من يكفر عن بينة، فينا ل الجزاء بعدل الله تعالي، ففي قوله تعالي: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ حجب لهذه الخمس فلا يعلمهن إلا الله عزوجل، ومع حجبه سبحانه علم الساعة عن جميع خلقه فإنه عزوجل لم يخفيها عنهم إخفاء مطلقاً، قال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾(طه:١٥) .وذلك لأن إطلاق الإخفاءمتعارض مع الهدى الرباني، ومع مهمة النبي باعتباره نذيراً وبشيراً وهاديا، ومن ثم قال تعالى ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ وفي هذا دلالة على تفضل الله تعالى على عباده بقدر من الإعلام بها متمثلاً في الأخبار بسوابقها ونذرها وعلاماتها التي تدل على قربها، وهذا مما انزله الله تعالى على جميع رسله وأنبيائه، وفي جميع كتبه فما من نبي إلا حدث قومه عن اليوم الآخر،و عن الساعة وعن أهم أشراطها. فالحكمة من الإخفاء غير المطلق ظاهرة، والحكمة من الإعلام المقدر المحدود ظاهرة أيضاً.

أما الحكمة من وصول أشراط الساعة بما فيها من الفتن والملاحم بغير الترتيب

الزمنى لحدوثها فهى وثيقة الصلة أيضاً بحقيقة الابتلاء،وكذلك هى رحمة من الله بالمؤمنين، فلم يخبرنا الله تعالى فى كتابه،ولم يخبرنا رسول الله ﷺ فى سنته من هذه الأخبار إلا بالقدر الذى نهتدى به، ومنع عنا من التفاصيل أو الأوقات والأزمان ومن الأسماء الحقيقية لشخصيات الفتن التاريخية مايضر الناس معرفته، وأخبر من مجمل الأحداث ماننتفع به، ورَمَزَ لنا عن الأشخاص مايمكن أن يعلم به العلماء أو الفقهاء عنهم مايكتمونه ولايذيعونه إلا بقدر مايمنع ضلال الناس وتهافتهم على الباطل وافتتانهم به.

لذا: فإن من أخبار الأحداث والفتن ماصرح به الرسولﷺ لصحابته مثل امير المؤمنين على بن ابن ابى طالب وحذيفة بن اليمان وأبى هريرة رضى الله عنهم جميعاً،ولكنهم لم يصرحوا بكل ماعلموا أو سمعوامن رسو ل الله ﷺ، إلا بقدر محدود مراعاة للظروف والأحوال وتحسباً للنتائج المترتبة على هذا بين عامة الناس.

يدل على هذا ماجاء في كنز العمال: عن حذيفة قال :« لوحدثتكم ماأعلم لافترقتم عَلَيَّ ثلاث فرق: فرقة تقاتلنى ،وفرقة لاتنصرنى ، وفرقة تكذبنى»(١).

كما عبر عن هذا المنهج فى الإبداء والإخفاء من حديث الرسول ﷺ فقال حذيفة: «ضرب رسو ل اللهﷺ أمثالا واحداوخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر، وفسر لنا منها واحداً، وسكت عن سائرها فقال : إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة فقاتلوا قوماً كانوا اهل حيلة وعداء، فظهروا عليهم واستعلوهم وَسَلَّطُوهم فأسخطوا ربهم عليهم»(٢). وقد تحقق هذا الحدث بإستيلاء اليهود على فلسطين والقدس، ولقد كانوا اهل ذلة ومسكنة وضعف ، وكان المسلمون اهل حيلة وعداء فانقلب الحال وظهر اليهود على العرب استعلوهم وأذلوهم واسخطوا ربهم عليهم ، فإخفاءأنهم اليهود فى هذا الحديث له حكمة عظيمة وهى حتى لايترك ا لمسلمون الجهاد فى معاركهم ضد اليهود قائلين انهم سيهزموننا وردت بهذا السنة فالحكمة من الإخفاء واضحة كما أن التفسير لهذا المثل لم يأت بتصريح وتوضيح بقدرما أتى بتلميح

(١) الشيخ على المتقى الهندي/ كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، مجلد ١١ ص ٢٢٧، حديث رقم ٣١٣٢١ مؤسسة الرسالة.

(٢) نفس المصدر والصفحة ، حديث رقم ٣١٣٢٢

وتكـنيـة وعلامات يمـكن ان يـفهمـها خـاصة الـعلمـاء والفـقهاء دون عـامة الـقراء والدارسين.

وبالنسبـة لشخصيات الفتن وقادة الـفرق فقد كان حذيفة يعـرف اسماءهم رضى الله تعـالى عنه، كـما كان يعـرف أسماء المنـافقين، لـكنه مأمـور بان لايصرح بـها او يذكرها بأعيانهـا، يدل على هذا ما اخرجه نعيم بن حماد فى الفـتن بسنده عن حذيفة بن اليمـان قال:« ما من صاحب فتـنة يبلغون ثلاثـمائه إنسان إلا ولو شئـت أن أسميه باسمه واسم أبـيه ومسكنه إلى يوم القـيامة، كل ذلك مما علمنـيه رسول الله ﷺ قالوا : بأعيـانها؟ قال : أو أشبـاهها يعرفـها الفقهاء ، أو قـال : العلماء ، إنـكم كنتم تـسألون رسول الله ﷺ، عن الخير، وأسأله عن الشر،وتسألونه عماكان وأسأله عما يكون»(١)

فقول السائل لحذيفـة: بأعيانها؟أى هل تقول الأسماء بأعيانـها، تلك الأسماء التى يُعْرَف بها قادة الفتن فى أزمانهم فكان جوابه رضى الله عنه أو اشباهها يعرفها الفقهاء أوقال العلماء، أى أن بعـض شخصيات الأحداث يقولها بأسمائـها، والبعض لايقول الأسماء، وإنما يـخبربما هو دلالة وعلامـة او كناية عنه، ممايـكون مفهوما للـعلماء دون عامة الناس.

وحكمة إخفاء هذا كـله او الغيب بعامة عن الناس مرتبطـة بالابتلاء لأن الله تعالى يبتلى العباد أفرادا وجماعات ودولاً، وأيضاً على مستوى النوع الإنسانى كله بأحداث جبريـة تصيبهم قسراً وتنتهى بـأفعال إختياريـة بإرادتهم الفرديـة والجماعية، ونتـيجة الابتلاء تكون بـالضرورة إما شراً وإما خيراً، قـال تعالى ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(الأنبياء / ٣٥) وقال تعـالي﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِن﴾(التغابن / ٢) أى بعد الابتلاء يصير النـاس إلى فريقين:مؤمنين وكافرين ، بعد أن كانوا بمقتضى الميلاد مؤمنين وموحدين بـالفطرة وتحقيق الابتلاء لايكون إلا بإخفاء القَدَر المكتوب عن المبتلي، سواء أكان الـقدر الجبرى اى الأمر الذى سيُبْلَى به، أم كان القـدر الأختـيارى الذى قَـدَّرَ الله وقوعـه من العـبد، ولـيس قدراً عـليـه كالأول(٢)

(١) الحافظ أبو عبد الله نعيم بن حماد/ كتاب الفتن، تحقيق سمير أمين الزهيري، مجلد ١، ص ٣١، حديث رقم ١٦، ومكتبة التوحيد القاهرة، وأورده صاحب ا لكنز

(٢)راجع كتابى القضاء والقدر فى الإسلام الجزء الأول، فصل القضاء والقدر، المكتب الإسلامي، بيروت

فمعرفة الابتلاء سلفاً مفسدة للابتلاء ومتعارضة معه.

ولبيان هذا نضرب مثلاً فنقول : لو ان المسلمين فى موقعة من المواقع الحربية فى مواجهة أعدائهم قد علموا أنهم سينتصرون وذلك بعلم يقينى من الوحى الذى يؤمنون به فإنهم سيتهاونون فى القتال ويتواكلون، وقد يؤدى هذا إلى فتنتهم، بل قد يؤدى هذا إلى قلة المقبلين على الجهاد فى هذه الموقعة وهذا فى حد ذاته فتنة عظمي.

وإذا علموا أنهم فى موقعة ما سينهزمون فإن هذا يؤدى إلى تقصيرهم ونكوصهم وتولى البعض منهم يوم الزحف، وشيوع الروح الأنهزامة فى الأمة، وهذا فيه ضياع عظيم للأمة وفتنة عظمى إذ يؤدى كل هذا إلى إبطال الجهاد.

ولكن هذا العلم الذى يؤدى بالمسلمين إلى هذه النتائج لا يتحقق إلا إذا جاء خبر هذه الموقعة مفصلا واضحا مع النص على زمانها ومكانها وقادتها وأطرافها وأسبابها، ولذلك لم يرد فى نصوص الوحى مثل هذا الخبر المفصل ولو مرة واحدة، وإنما تأتى أخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة فى صيغ مجملة موجزة مجردة من التحديد أو التعيين للزمان والمكان والأسماء الحقيقية للشخصيات، ومن ثم فغالبا لا تعرف تأويلات هذه الأخبار الحقيقية إلا بعد حدوثها، إلا أن القلة القليلة من العلماء المتخصصين قد يعرفونها قبل وقوعها.

وقد يتضمن بعض الأخبار تفصيلات محددة على عكس هذا المنهج العام، أى فى أحوال استثنائية وهى التى تكون فيها هذه التفصيلات ضرورة للتحذير من شر خطير أو للحض على خير عظيم.

مثال ذلك ما جاء عن شخصيتين من شخصيات آخر الزمان نذكرهما:

١- **المهدى وأسمه محمد بن عبد الله** وهو من آل بيت النبي ﷺ من نسل الحسن بن على رضى الله عنهما، جاء عن وصفه وبيعته وأفعاله الفصول الكاملة فى كتب السنة، وذلك حتى لا يكون لمن يرفض بيعته حجة، وحتى يلتف المؤمنون المخلصون حوله ليعيد الخلافة الراشدة بإذن الله تعالى وعونه وقد حددت الأخبار أنه يأتى فى آخر الزمان.

٢- **المسيح الدجال** وقد جاء وصفه ومخرجه وأفعاله والأماكن التى يرتادها، وحربه للمسلمين ونهايته على يد المسيح الحق عيسى بن مريم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم، وذلك العلم التفصيلى لتحذير المؤمنين من فتنته لأنها أعظم فتنة فى تاريخ البشرية منذ آدم إلى قيام الساعة.

لهذا كله لم يصلنا حديث رسول الله ﷺ الذى خطب الصحابة خطبة طيلة نهار كامل عن أخبار الدنيا منذ بدء الخلق إلى انتهاء المؤمنين إلى منازلهم فى الجنة والكافرين إلى منازلهم فى النار، لم يصلنا كاملا متسلسلا لأن هذا مفسد للإبتلاء وهو الحكمة العليا التى من أجلها خلق الله تعالى السموات والأرض والإنسان علاوة على أنه يضر بالمؤمنين كما أسلفنا، ومن ثم فإن وصول أخبار هذه الخطبة مفرقة ومختلفة عن ترتيبها الذى قاله رسول الله ﷺ، أمر مقصود ومراد- ككل صغير وكبير فى الكون- لله رب العالمين وذلك للحكمة التى ذكرناها من قبل، وما لبعض أخبار الغيب من آثار على الناس قد تضرهم فى دينهم ودنياهم.

قال حذيفة فيما رواه عنه نعيم بن حماد بسنده: «لو حدثتكم بكل ما أعلم ما رقدتم فى الليل»(١)

وهذا يدل على أنه يكتم كثيرا مما أخبره به رسول الله ﷺ من أحداث المستقبل القريب منه والبعيد أيضا، لما سيصيبهم من الفزع، وربما يؤدى الخبر إلى أن ينقسم المستمعون إليه فرقة تكذبه ولا تصدقه وفرقة تعاديه أو تقتله، وفرقة لا تنصره على عدوه كما ورد قوله من قبل.

ومن ثم كان من منهج العلم بأشراط الساعة الإجمال أكثر من التفصيل، والتلميح بدلا من التصريح، وذلك حتى يتوقع خاصة المسلمين وعلماؤهم النابهون المتفقهون فى هذا الفن الحدث بعد الحدث فى موعد قريب من زمن حدوثه غالبا على وجه التقريب وليس على وجه التحديد، وعلى سبيل الظن والتغليب والترجيح، وليس على سبيل الجزم والتأكيد، لأنه لا يعلم الغيب على وجهه الصحيح وبصورته الدقيقة إلا الله عز وجل وحده، وهو سبحانه لا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى

من رسول ومن خلال هذه النافذة أو الثقب المتاح لنا من بعد رسول الله ﷺ للنظر من خلاله إلى المستقبل ومن خلال ما وصلنا عن صحابته الأجلاء وعن تابعيهم وممن تبعهم إلى عصرنا هذا من علماء الحديث يمكننا أن نترقب أحداثا وأن نتوقع أحوالا وأشخاصا يخرجون على البشرية بالخير، وبعضهم بالشر، ومن ثم يكون هذا العلم هاديا للمؤمنين، ومرشدا ومبشرا ونذيرا، وتتحقق به مهمة رئيسية من مهام خاتم النبيين ﷺ، محققا متجددا عبر الزمان عن طريق فهم ما أخبرنا به ومطابقته بالأحداث.

الباب الرابع

علم أشراط الساعة بين السابقين والمعاصرين

الفصل الأول: خطة الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله تعالى فى ترتيب كتابه الفتن وتصوره لتسلسل الأحداث.

الفصل الثانى : أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى وكتابه السنن الواردة فى الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها.

الفصل الثالث : خطة القرطبى رحمه الله تعالى فى كتابه التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة.

الفصل الرابع : خطة ابن كثير فى كتابه النهاية فى الفتن والملاحم.

الفصل الخامس : خطة الشريف محمد بن رسول الحسينى البرزنجى رحمه الله تعالى فى كتابه: «الاشاعة لأشراط الساعة».

الفصل السادس : ترتيب السفارينى للأشراط فى كتابه لوامع الأنوار البهية.

الفصل السابع : كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية لرائد علم أشراط الساعة المعاصر أبو الفيض أحمد بن محمد الصديق الغمارى الحسنى رحمه الله تعالى.

الفصل الثامن : كتاب الشيخ حمود بن عبدالله التويجرى «إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

الفصل التاسع : الشيخ أبو بكر الجزائرى ورسالتاه: اللقطات فى بعض ما ظهر للساعة من علامات، والأحاديث النبوية الشريفة فى أعاجيب المخترعات الحديثة.

الفصل العاشر : الخطة وتقسيم الأشراط فى كتاب أشراط الساعة للأستاذ يوسف الوابل.

الفصل الحادى عشر : ترتيب الأشراط حسب وقوعها بين الأولين والمعاصرين.

الفصل الثانى عشر : ترتيبى للأحداث التى تترقبها أجيالنا المعاصرة استخلاصا من النصوص ومما إتفق عليه جمهور العلماء.

الفصل الأول

٢٩ـ خطة الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله تعالى في كتاب الفتن

(٢٩) خطة الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله تعالى لترتيب كتاب الفتن

إختلف العلماء قديما وحديثا فى عرض أحاديث الفتن وأشراط الساعة، وسنعرض لخطة كل منهم ومنهجه في العرض وترتيبه العام للأشراط بحسب الأسبقية فى الزمان.

ولعل أقدم الحفاظ الذين أفردوا للفتن كتابا خاصا مستقلا هو الحافظ نعيم بن حماد المروزى المتوفى عام ٢٨٨هـ وهو ممن روى عنه البخارى رحمه الله تعالى فى غير الصحيح، وذلك لأن نعيما رحمه الله عند البخارى وعند العلماء فى أحاديثه شيء، فقد قال عنه الذهبي: «نعيم من كبار أوعية العلم لكنه لا تركن النفس إلى رواياته»، وقال أيضا : «لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب الفتن فأتى فيه بعجائبه ومناكيره.

وقال عنه النسائي: قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة فصار فى حد من لا يحتج به.

وقال عنه مسلمة بن القاسم: وله أحاديث منكرة فى الملاحم انفرد بها(١) .

ولعل أكثر المأخوذ على نعيم رحمه الله أن أحاديثه منكرة وغريبة لما تضمنته من أخبار تكاد تكون مخالفة للمعهود والمألوف فى زمانهم، ومع أن ما تعيشه البشرية الآن من مخترعات وأساليب فى الاتصالات والمواصلات والمعمار وغير ذلك كله أمور غريبة جدا ومنكرة، ولا يمكن إذا عرضت على القدماء تصديقها وأكثر أحاديث الفتن تتضمن أخبارا أنكرها العلماء، لأنها غريبة وغير طبيعية بالنسبة لزمانهم فظنوها من خرافات الدجالين والكذابين والإسرائيليات التى دخلت على نعيم رحمه الله تعالي، بينما هي واقعية وعادية بالنسبة لزماننا الذى حدث فيه من الإختراعات ما يعد بالنسبة لهم خيالا وخرافة.

ولا شك أن نعيما رحمه الله من العلماء الثقات، وإن كانوا قد صنفوه فى الضعفاء لأسباب أخري، ومن ثم فإن كثيرا من أحاديثه قواها العلماء لورودها عن

أسانيد وطرق أخري، وما سوى ذلك فهو ضعيف، وقد يكون القليل منه ضعيف جداً.

أما عن خطته فى ترتيب النصوص حسب أحداث الفتن وأسبقية الأشراط فى الزمان فقد عمد إلى تصنيف الأحاديث والآثار التى تتحدث عن فتنة بعينها أوعن شخصية من شخصيات الفتن فجمعها تحت عنوان واحد، وفى جزء من أجزاء الكتاب يخصها.

وفى نفس الوقت رتب الأشراط أو الأجزاء حسب ما رأى أنه **الأسبق فى الزمان**، وبطبيعة الحال فقد كان موفقا فى ترتيب الفتن والأشراط والأحداث التى حدثت من بعد وفاة النبى ﷺ **حتى عصره**، وذلك بعد أن جاء تأويل هذه النصوص فى الواقع وفسرها التاريخ كما فسرت هى أحداثه.

أما بالنسبة للنصوص التى تحدثت عن أحداث لم تحدث حتى عهده فقد أجتهد فى ترتيبها، وكما سنرى لم يكن توفيقه فى هذا الترتيب تاما، إذ جانبه الصواب فى بعضها، حيث حدثت بعض هذه الأحداث مخالفة للترتيب الزمنى الذى سجله فى كتابه.

لذلك جمع منهجه بين الترتيب الزمنى وبين التصنيف بحسب الأبواب والموضوعات التى دلت عليها النصوص، وأما بالنسبة للأشراط التى بين يدى الساعة فقد اجتهد فى ترتيبها أيضا ووافقه اللاحقون له من العلماء على بعضه وخالفوه فى البعض الآخر.

وحيث أنه وجد بعض الأحداث والملاحم والفتن التى لم يعرف موضعها التاريخى فى الترتيب الذى وضعه فقد أفرد لها أبوابا بعناوين مستقلة دون أن يبين العلاقة الزمنية التى بينها وبين الأحداث الأخري، فجاءت فى أجزاء منفصلة مقطوعة عما قبلها وعما بعدها.

وقد اطَّلَعْتُ على كتاب الفتن من خلال صورة المخطوطة المودعة بمكتبة مخطوطات جامعة أم القرى، وأثناء دراستى لها ظهر الكتاب مطبوعا فى مجلدين

فتحولتُ من صورة المخطوطة إلى هـذه النسخة المطبوعة التى اقتصر عـمل المحقق فيها على ترقيم الأحاديث والآثار الواردة بالكتاب.

ولقد أفرد نعيم رحمه الله فى الكتاب عددا من الأبواب للموضوعـات الفقهية مثل ما يُستحب من الأعمال فى زمان الفتن مع بعض الأحكام الفقهية التى يُحْتَاجُ إليها المسلم للإهتداء بها فى الفتن للوقاية من الوقوع فيها .

بل إنه صنـف بابا بعنوان« **المعقـل من الفتن**» سرد فيه الآثـار والروايات التى تنص عـلى الجهات أو الأمصار أو الأقاليم أو المـدن التى يحتمى المسلـم فيها من الفتن العظـمى، مثل ما جاء من أن مكة والمديـنة هما المعقل من فتنـة الدجال، والطور هو المعقل من فتنة يأجوج ومأجوج، والمعقل من فتنة المغرب اليمن وهكذا.

ولقد بدأ نعيم الكتاب بالأحـاديث النبوية التى نبأت بالخلفاء مـن بعد وفاة النبى ﷺ وهم الخلفاء الراشدون الأربعة ثم انتقل بعد ذلك إلى النصوص الدالة على ملك بنى أمـية والفتن الـتى حدثت فـى عهودهم ثم خـصص جزءا للـنصوص التـى نبأت بانقطـاع ملكهم وعلامات ذلـك، ثم عرض النصوص الخـاصة بقيام دولة العـباسيين حتى عصره.

وحيث أن نعـيما رحمـه الله قد توفى فـى خلال دولة بنـى العبـاس فإن ترتيـبه للنصـوص الدالة على الفتن والملاحـم حتى عصره جاء مطابـقا للواقع كما قلـنا لكن ترتيبه لـلنصوص التى تتحدث عـن أحداث وفتن وأشراط بعيدة أو قريبـة من الساعة وهى التى لم تحدث حتى عصره جاء اجتهاديا قابلا للخطأ وللصواب.

ومن ثم جعل بـاباً من أبواب الجـزء الثالث بـعنوان« **أول علامة تـكون فى انقطاع ملك بنى العباس**» وأيضاً مـا يذكر من علامات فى السماء فيها انقطـاع ملك بنـى العباس» ثم خـتم هذا الجزء بـعنوان «ما يـذكر من غلبة سفلة الناس وضعفائهم».

وحيث أن هذا الـعنوان الأخيـر من أحوال آخر الزمان الـذى بين يدى السـاعة، والتى تقع فيه الأشراط القريبة منها فإن هذا يدل على أن نعيما اعتبر العباسية هى آخر

دول الإسلام يلى سقوطها على الفور عصر الفتن والملاحم الذى يسود ويحكم فيه سفلة الناس فجعل موضوع الجزء الرابع من الكتاب بعنوان« أول علامة تكون من علامة البربر وأهل المغرب فى خروجهم» كذلك «ما يكون من فساد البربر وقتالهم فى أرض الشام ومصر»، ثم عنوان يلى حملة البربر يتحدث عن صفة السفيانى وأسمه ونسبه، وتستمر أخبار فتنة السفيانى هذا خلال موضوعات الجزء الرابع والخامس وحتى فى الأجزاء التى تلى الخامس باعتبار أن السفيانى هو الشخصية الأهم والأخطر فى الشخصيات الإسلامية عنده.

ثم يعرض بعد ذلك النصوص التى تتحدث عن المهدى الذى يأتى مباشرة بعد السفيانى ويتسلم منه خلافة العالم الإسلامي.

ثم يذكر ما جاء عن الدجال وهى أحاديث وآثار كثيرة تتحدث عن أو صافه وأفعاله وفتنته وأتباعه ومخرجه وخروجه وأساليبه فى فتنة الناس، ومدة ملكه للأرض ما عدا مكة المكرمة والمدينة المنورة حتى نزول المسيح الحق ابن مريم عليهما السلام وقتله للدجال وما يكون من صلاة المسيح عليه السلام خلف إمام المسلمين وقائدهم وهو المهدى الثانى أو الثالث ثم خروج يأجوج ومأجوج.

ثم خصص الجزء التاسع من كتابه للأحاديث والآثار الخاصة بالخسف والزلازل والرجفة والمسخ، ثم جعل بقية كتابه فى الأمور العظام وهي: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة التى تكلم الناس، ثم خروج الحبشة وهدمهم الكعبة المشرفة.

ثم خصص الجزء الأخير من كتابه للنصوص التى تحدد أوقات الفتن بالسنين والشهور والأيام وهكذا يمكن القول أن نعيما رحمه الله تعالى خالف بتصنيفه وترتيبه الواقع التاريخى الذى حدث بعده فيما يلي:

١- لقد ذكر فى مستهل الجزء الرابع النصوص التى تتحدث عن خروج البربر وأهل المغرب وغزوهم لمصر والشام، وذلك بعد الفصل الخاص بزوال الدولة العباسية ، وهذا الأمر لم يحدث حتى الآن رغم مرور قرون عديدة على زوالها.

٢- ذكر نصوصا تتحدث عن صراع بين العباسيين والأمويين بقيادة السفياني ، الذى يدفع الخلافة للمهدي، وذلك بعد نصوص أحداث حملات البربر وأهل المغرب ، معلوم أنه لم يحدث شيء من هذا بعد سقوط العباسيين منذ قرون طويلة والبرر وأهل الغرب الذين يغزون مصر يأتون من الحدود الغربية لمصر.

٣- عرض نعيم النصوص الدالة على مجيء الرايات السود من خراسان لتأييد المهدي، وجعل هذه النصوص وكل ما يتعلق بالمهدى من موضوعات الجزء الخامس، الذى يلى الجزء المتضمن لنهاية الدولة العباسية، مما يدل على أن تصوره للأحداث اشتمل على اعتقاد أو توقع بأن العلامات الكبرى التى تبدأ بالسفيانى ثم المهدى ثم الدجال تأتى مباشرة بعد سقوط الدولة العباسية، وهذا كله مخالف للواقع التاريخى من بعده.

٤- بالرغم من تضمن كتاب الفتن لنصوص كثيرة عن الترك إلا أن نعيما لم يتصور أن تقوم خلافة إسلامية تركية أى العثمانية بعد سقوط الخلافة العباسية، ومن ثم صنف هذه النصوص ضمن حملات إعتداء غاشمه على أمصار العالم الإسلامى تأتى من الغرب مرة ومن الروم مرة ومن الشرق مرة ومن الترك مرة ومن الحبشة على جنوب مصر مرة أخرى، وأيضا من الحبشة على الحجاز لهدم الكعبة فى آخر الزمان، وفى حين أن الواقع التاريخى أثبت أن العثمانيين الأتراك أقاموا خلافة إسلامية وَحَّدَت، العالم الإسلامى قرابة خمسة قرون.

ولكنه محق فى هجوم تركى غاشم على العراق وسوريا عبر الجزيرة وهو الذى نترقبه بعد الحلف الإسرائيلى الأمريكى التركى المعاصر(١).

٥- تضمنت الأجزاء بدءا من الرابع والخامس حتى الأخير أخبارا متفرقة عن السفيانى فبدا أن أكثر وأخطر الفتن هى التى فى عهده أو هى على الأقل تلى فتنة الدجال فى الخطورة والأهمية، مع أنه مجرد شخص واحد من شخصيات الفتن، وأرى أن هذا يعكس صورة الصراع الذى ترك ظلاله على عصر نعيم، وهو الصراع بين العباسيين والأمويين مما جعل نعيما يتوقع نهاية الدولة العباسية على أيدى الأمويين ، وتصور بالتالى أن السفيانى الذى هو من نسل أبى سفيان، هو الذى

---

(١) راجع تفاصيل أحاديث نعيم عن هذا الهجوم بكتابى البيان النبوي.

سيقضى على الدولة العباسية، ثم يأتي المهدى الهاشمى ليقضى على حكم السفياني، ويقيم بعده الخلافة الراشدة التى تملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما.

٦- وكما خلت تصنيفات نعيم من تصور للدولة العثمانية فقد خلت أيضا من تصور لما حدث من اليهود فى العصر الحديث من الإفساد فى الأرض بعامة، وفى فلسطين بخاصة، لأن أحدا من علماء المسلمين لم يكن ليتصور هزيمة المسلمين أمامهم ولذلك لا نجد عن هذا فصلا فى كتابه، مع أن الأحداث التى تعيشها الأمة الإسلامية منذ سقوط الخلافة العثمانية حتى الآن تستحق أن يفرد لها فصولاً تحت عنوان« فتنة اليهود والملاحم التى بينهم وبين العرب» وغير ذلك من الأحداث التى تعيشها الأمة منذ عشرات السنين، لكن هذا لا ينسينا أن نعيما أخرج نصوصا عن اليهود وقتالهم فى آخر الزمان، لكن هذا ضمن قتال مسيح الهدى ابن مريم عليها السلام للمسيح الدجال ، فهو لم يتصور أن يكون لليهود دولة فى فلسطين إلا برئاسة الدجال بعد خروجه المعلن،وهذا مخالف للواقع المعاصر لأن دولة اليهود قامت قبل السفيانى والمهدى وهما قبل زمن الدجال، وهم لم يخرجوا جميعا بعد.

٧- تحدث نعيم عن ملحمة الأسكندرية، إذ يغزوها جيش من المغرب وجعل هذا فى زمان المهدى مع أن الإسكندرية قد جاءها من الجيوش الغربية جيش نابليون وجيش نلسون الإنجليزى منذ قرن وربع تقريبا، ولم يكن هذا فى زمن المهدى ، وهو مخالف للواقع إلا أن تكون هذه الحملة لم تحدث بعد وهذه الملحمة غير معارك الملحمة العظمى.

٨- رتب الأشراط العظمى أو الآيات العشر العظمى للساعة التى وردت فى أحاديث متعددة فجعل الخسوف الثلاثة: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيزة العرب، بعد يأجوج ومأجوج، وهذا يختلف معه فيه بعض من جاء بعده من العلماء، إذ جعلوا الخسوف قبل الدجال ولكن مهما يكن من ملاحظات على تصنيف الحافظ نعيم بن حماد رحمه الله فى الفتن، فإنه بلا شك الأستاذ لكل الذين جاءوا بعده ممن كتبوا فى هذا العلم وصنفوا فى أشراط الساعة.

الفصل الثانى

أبو عمرو: عثمان بن سعيد الدانى وكتابه السنن الواردة فى الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها

٣٠- خطة الدانى فى كتابة السنن الواردة فى الفتن

٣١- ترتيب العلامات والامارات والآيات حسب تسلسلها عند الداني.

(٣٠) خطة أبى عمرو: عثمان بن سعيد المقريء الدانى فى كتابه: السنن الواردة فى الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها:

هو أبو عمرو: عثمان بن سعيد المقريء الدانى نسبة إلى دانية والقرطبى نسبة إلى قرطبة، كان من موالى بنى أمية بالأندلس، ولد سنة ٣٧١هـ أو ٣٧٢هـ، كما أخبر هو عن نفسه، وعاش ٧٢ سنةإذ كانت وفاته سنة ٤٤٤هـ(١).

اقر لـه المؤرخون أمثال الذهبى وابن الجوزى بأنه كان على عقيدة أهل السنة والجماعة بمذهب السلف فى صفات الله تعالى، وسائر المسائل الأعتقادية التى خالف فيها المتكلمون والفلاسفة عقيدة السلف رحمهم الله تعالى.

وقد أثنى عليه العلماء والمؤرخون واعتبروه علما من أعلام القراء والحفاظ فى عصره فقال عنه الذهبي: الإمام الحافظ المجود المقريء الحاذق عالم الأندلس(٢)

وقد قام الدكتور ضياء الله بن محمد ادريس المباركفورى بدراسة الكتاب وتحقيقه ونشرته دار العاصمة بالرياض عام ١٤١٦هـ،١٩٩٥م، فى ثلاثة مجلدات ضم كل مجلد جزأين فجاء الكتاب حسب خطة مصنفه فى ستة أجزاء.

قدم المصنف أبو عمرو الدانى فى الجزء الأول أبوابا عن أحكام الفتن وما يجب على المؤمن أن يتخذه من مواقف وأعمال للنجاة من غوائلها، فذكر الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الآمرة باتقاء الفتن مثل قوله تعالي: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[الأنفال] ، وقول الرسول ﷺ:«بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم»(٣)

فجاءت عناوين بعض هذه الأبواب دالة على هذا المعنى مثل باب ما جاء فى التعوذ من الفتن وجعل بعضها تحذيرا شديدا من الوقوع فيها مثل قوله «باب ما جاء

---

(١) السنن الواردة فى الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها تأليف أبو عمر وعثمان بن سعيد المقريء الدانى تحقيق الدكتور رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة الرياض..

(٢) مقدمة السنن للمحقق ١٠٩.

(٣) السنن ص ٢٥٧.

فى القاتل والمقتول فى الفتنة» وباب قوله ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(١)

وقدم النصيحة للمؤمنين فى الفتنة تحت عنوان «باب الإمساك فى الفتنة» وأيضا «باب الأمر بلزوم البيوت فى الفتنة»(٢)

كما عقد باباً بعنوان «النهى عن الخروج عن الأئمة والأمراء وخلعهم وسبهم والطعن عليهم وما جاء من التغليظ فى ذلك»(٣)

وعقد المصنف باباً فى النهى عن بيع السلاح والدواب فى الفتنة، بل عقد بابا فى النهى عن الكلام فى الفتنة فأورد الأحاديث الدالة على ذم الكلام فيها، وأن بعض وقع اللسان قد يكون مثل الضرب بالسيف أو أشد منه.(٤)

كذلك أورد المصنف أكثر من أثر يحذر من كسب المال فى الفتنة وبسببها مثل قوله ﷺ: «من أصاب ديناراً أو درهما فى فتنة طبع الله على قلبه بطابع النفاق حتى يؤديه، وقوله ﷺ: «ستكون فتنة لا ينجو منها إلا من لم يصب منها شيئا، فمن أصاب من مالها كمن أصاب من دمها» (٥)

كما وضح المؤلف فى هذا الباب أن حب الفتنة والرضا القلبى عنها وعن وقوعها أو ميل قلب العبد لأحد طرفى الفتنة وتأييده له ضد الطرف الآخر ولو بالقلب فقط هو مشاركة حقيقية ووقوع فى الفتنة كمن شارك فيها بالعمل والقول، ومن ثم يتحمل أوزارها مثلهم تماما: دماءا وأموالا وأعراضا.

وأورد فى هذا المقام حديث ابن مسعود الذى قال فيه: «تكون أعمال مَنْ رَضِيَهَا ممن غاب عنها فهو كمن شهدها، ومن كرهها ممن شهدها فهو كمن غاب عنها» (١)

وأورد كذلك قول النبى ﷺ لفريق من المتقاتلين فى الفتنة ينتهى بصاحبه إلى نفس المصير فى الآخرة.

---

(١) السنن ص ٣٣١.
(٢) السنن ص ٣٦٣.
(٣) السنن ص ٣٨١.
(٤) نفس المصدر ص ٤٤٣.
(٥) نفس المصدر ٤٦٣.
(٦) المصدر السابق بص ٤٦٥.

لعل أبو عمرو الدانى يكون رائدا فى إثبات هذا المعنى فى باب مستقل بغية التنبيه إلى خطورة الوقوع فى الفتنة ليس بالعمل أو بالقول فقط بل أيضا بالتأييد القلبي.

ويمكننا أن نستنبط من هذا الجزء من كتاب الدانى أن مفهوم الفتنة عنده هى نزاع أو خلاف بين طائفتين من المسلمين يصل بهما إلى الاقتتال بالسلاح وإراقة الدماء، ومن ثم فليس الواقع فى الفتنة هو فقط الذى يحمل السلاح فى وجه أخيه المسلم، بل هو أيضا الذى أسهم فى النزاع بالعمل وبالمال وبالتحريض قولا وفعلا وبيعا وشراءا، وحتى بالميل القلبى مؤيدا هذا الفريق أو ذاك راضيا بقلبه عن إراقة دماء الطرف الذى يعارضه.

ولعل القول باللسان الذى يكون أشد من الضرب بالسيف فى الفتنة هو مثل ما يكون فى زماننا هذا من الإعلاميين المستخدمين وسائل الإعلام المعاصرة مرئية ومسموعة ومقروءة، لأن الكاتب فى الصحف أو المتحدث فى الإذاعة والتليفزيون له تأثيره وتضليله لملايين المسلمين الأمر الذى يؤدى بالضرورة بكثير من المسلمين إلى المشاركة فى إراقة كل نقطة دم فى المعركة وساهم فى قتل كل قتيل، وهذا يكون بلا شك أكبَر وزرا ممن شارك بسيفه وقتل أو جرح بعض الأشخاص.

من أجل ذلك عقد المؤلف رحمه الله تعالى بابا أورد فيه من النصوص ما يدل على التحذير الشديد من الخروج على الحكام والأمراء أيا كان ظلمهم وتجاوزهم، لأن ما يحدث نتيجة الخروج من انتهاك للحرمات دماء اً أو أعراضا وأموالا أعظم شرا بكثير من ظلمهم، ومن ثم فإن الخارجين على السلطان يتحملون أوزار ذلك كله.

وهكذا اقتصر الجزء الأول والثانى من كتاب السنن للدانى على بيان الفتن وما جاء فيها من نصوص تحذر من الوقوع فيها، والنصائح التى يتوخاها المؤمن للنجاة من غوائلها فلم يخرج موضوع هذيْن الجزئين عن الفتن.

ومن ثم فإن خطة الكتاب جاءت موافقة لعنوانه وهو «السنن الوردة فى الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها » فاستغرقت الفتن الجزأين الأول والثاني، واستغرقت موضعات الساعة وأشراطها الأجزاء الثلاثة: الرابع والخامس والسادس.

أما الجزء الثالث فقد جاء حاملا لموضوعات هى بين الفتن والأشراط وكأن المؤلف يرى أنها لا هى إلى الفتن فقط، ولا هى إلى الأشراط فقط، إذ هى من وجه من الفتن ومن وجه آخر من الاشراط.

فموضوعات الجزء الثالث هى التى أوردها بعض العلماء بعد الدانى على أنها أشراط دائمة مستمرة تأخذ خلال الزمان صفة الاستمرار والانتشار مثل الأحوال والعادات والبدع والأهواء المضلة والأفعال المنافية للشرع كظهور المنكر واعتياد الناس عليه حتى يصير معروفا وغياب المعروف حتى يصبح مع تقدم الزمان غريبا على الناس ويصير عندهم منكرا وغير ذلك من قلب الأحوال والأوضاع والقيم.

وهذا كله من الفتن الدائمة المستمرة المتزايدة عبر الزمان، وهى فى نفس الوقت مما يزداد مع تقدم الزمان فيكون دليلا على الاقتراب من نهاية الدنيا، ويكون أيضا من إمارات الساعة وأشراطها القريبة.

لكن أبا عمرو الدانى التزم مفهوما خاصا للفتنة حصره فى الحديث الساخن الذى تمثل فى القتال بين طائفتين مسلمتين أو على الأقل اعتبار هذا الحديث هو قمة الفتنة التى تحدث بين المسلمين.

كذلك نستطيع أن نستنبط من تصنيف وتبويب أبى عمرو الدانى لكتابه أن الخسف والمسخ والقذف والرجف والطاعون وغير ذلك من الكوارث ليست عنده من الفتن كما أنها ليست من الأشراط بل هى عقوبات ربانية يعاقب بها الله تعالى الأمة على المعاصى والفسق والذنوب بناءاً على وقوعهم فى الفتن،إذ هذه الأحداث هى مما تصيب البشرية منذ وجودها على الأرض فهى ليست من أشراط الساعة، كما أنها مترتبة على وقوع الناس فى الفتن وليست هى من الفتن .

ولذلك أورد هذا كله ضمن موضوعات الجزء الثالث عند أبى عمرو الدانى عن تدهور الحالة الإيمانية بين شعوب الأاة الإسلامية مع تقدم الزمان وانتشار الفسق والمعاصى بينهم وزيادة بعد الأمة عن دينها، مع تقدم الزمان، الأمر الذى قد يشيع روح اليأس من الإصلاح والعودة إلى الكتاب والسنة، ، فيثبط هذا روح الدعاة، ويضعف عزيمة المجاهدين.

ومن ثم لم ينس المصنف رحمه الله تعالى أن يختم هذا الجزء بباب هام أراد أن ينبه إلى مزية من مزايا الأمة الإسلامية، وخاصية من خصائصها التى تنفرد بها عن سائر الأمم السابقة، وبخاصة اليهود والنصاري، ألا وهى استمرار طائفة الحق والإيمان بين طوائف الأمة الضالة وفرقها المنحرفة، ليس فقط استمرارها وجودا، بل استمرارها ظاهرة لتكون حجة على سائر الفرق والأمم الضالة الأخري، فعقد بابا لقول النبي ﷺ :«لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين» وأنها «لا تجتمع على ضلالة »وأنه «لا يزال فيها من إذا سئل وفق» ونحو ذلك.

وتبدو لنا أهمية ختم الجزء الثالث بهذا الباب إذا علمنا أن الفتن والأحوال السيئة التى تصيب أكثر طوائف وشعوب الأمة، بحيث يصبح البعض كفارا خارجين عن الملة، والبعض فساقا عصاة خارجين عن دائرة أهل السنة والجماعة لا تؤدى إلى ضياع أمة الإسلام على النحو الذى حدث لليهود أو للنصاري، فاجتمعوا على الضلال، ولا يستلزم حدوث هذا كله فى تاريخ أمة الإسلام اليأس من الإصلاح والعودة لدين الله تعالي، إذ يفيد هذا الخبر الصحيح نجاة طائفة من الأمة من الفتن مهما اشتدت وشاعت وترسخت فلا يصيبها ما أصاب الفرق والطوائف الأخرى من الضلالات والفتن.

وهذه الطائفة تظل هى المسلمة المؤمنة المجاهدة فى سبيل الله القابضة على دينها كالقبض على الجمر، فتكون غريبة بين الطوائف والفرق الأخرى المفتونة، ويكون أهلها هم الغرباء الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالدرجات العلى والأجر الجزيل بقوله عليه الصلاة والسلام مبشراً: «..... فطوبى للغرباء».

أما الجزآن الرابع والخامس فقد خصصهما المصنف للساعة وأشراطها ودلائل اقترابها والملاحم والفتن والآيات.

أما الجزء السادس والأخير من الكتاب فقد خصصه للأخبار الواردة فى الملحمة العظمى بين العرب والروم التى تنتهى بفتح القسطنطينية وورومية ثم خروج الدجال ونزول المسيح عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج.

وبعدها ذكر أخبار الدابة وطلوع الشمس من مغربها ثم ختم الكتاب بباب عن النفخ فى الصور وهو الحدث الذى تقوم به الساعة الوسطي.

(٣١) ترتيب العلامات والأمارات والآيات حسب تسلسلها عند أبى عمرو الداني

ذكرنا من قبل أن الموضوع الرئيسى والصريح للأجزاء الثلاثة الأخيرة من الكتاب هو أشراط الساعة.

لكن ليس معنى هذا أن الأجزاء الثلاثة الأولى تخلو تماما من بعض الأشراط، إذا وسعنا مفهوم أشراط الساعة من المفهوم المحدد الذى استخدمه أبو عمرو الدانى فى خطته، ذلك أنه يصح القول أن المصنف يفرق بين مفهوم الفتنة ومفهوم شرط الساعة.

ذلك بالرغم من أن المفهومين متداخلان، وليسا مستقلين، لأن كثيرا من الأشراط فى الحقيقة هو من الفتن، كما أن كثيرا من الفتن وردت فى الرويات والآثار على أنها من أشراط الساعة.

فإذا صح القول بأنه ليس كل شرط من أشراط الساعة فتنة بالضرورة، فإنه مما يصح أيضا، أن كل فتنة ورد ذكرها فى السنن من أخبار المستقبل هى من أشراط الساعة سواء أكانت من الأشراط البعيدة أم القريبة التى بين يَدَىْ الساعة

ومن أمثلة أشراط الساعة التى ليست من الفتن المهدي، ونزول المسيح عليه السلام، فالأول تنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعمها قط من الرخاء والغنى والعدل والقوة والعزة والمنعة والنصر على أعداء الإسلام، ومعلوم أن المهدى من الاشراط التى بين يَدَىْ الساعة.

والثاني: وهو نزول المسيح عليه السلام ليقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويعم به الإسلام ربوع الأرض، فهو قضاء على أعظم فتنة فى تاريخ البشر ألا وهى فتنة الدجال، وهو فى نفس الوقت من أعظم أشراط الساعة بل هو من آياتها العشر. وهو أيضا من أعلامها.

لكن يصح القول بأن كل فتنة من الفتن التى نبأت عنها الروايات هى شرط من أشراط الساعة، إذا فهمنا الأشراط بأنها الأحداث والأحوال والتغيرات التى تصيب الأمة منذ وفاة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، فهذا المفهوم الواسع أو هذا الماصدق» الشامل يجعل الأشراط قسمين: بعيدة عن الساعة وقريبة أو مباشرة لها.

ومن ثم فكل فتنة شرط أو علامة من علامات الساعة، وليس كل شرط أو علامة فتنة، وعلى هذا لم يكن تخصيص بعض الأجزاء للفتن في كتاب أبي عمرو موافقا لهذا المفهوم، لأن هذه الفتن هي أشراط وعلامات وإمارات للساعة، كما أن كثيرا من الأحداث والأحوال التي وضعها ضمن أبواب الأشراط هي في حقيقتها من أعظم الفتن، مثل فتنة الدجال الذي جاء ذكره ضمن الآيات العشر أي الأشراط العشر الخارقة للسنن، التي يدي الساعة، ومع هذا فقد ورد عند المصنف من الأشراط ولم يرد ذكره في الفتن.

وهكذا ضمن أبو عمرو رحمه الله الأجزاء الثلاثة الأولى كثيرا من أشراط الساعة البعيدة ، باعتبارها فتنا، وليس باعتبارها أشراطا، فكأنه خصص هذه الأجزاء الثلاثة الأولى لما تعارف عليه العلماء من بعده بالأشراط الصغرى أو البعيدة وأطلق عليها الفتن، ثم جعل بقية الكتاب لما تعارف عليه العلماء من بعده باسم الأشراط الكبرى أو الأمارات القريبة من الساعة التي هي الآيات العشر، وما يتخللها من أمارات وعلامات سماها العلماء الأشراط العظمى أو الكبري.

لذلك جعل عنوان الباب الأول من الجزء الرابع بعنوان ما جاء في الساعة وأشراطها ودلائل اقترابها، فحصر مفهوم الأشراط عنده في العظمى تلك التي تدل على القرب الشديد للساعة، وهذا واضح من قوله في نهاية عنوان الباب : ودلائل اقترابها.

ثم سرد كثيرا من هذه الأشراط التي اتفق جمهور العلماء على أنها من العلامات الكبرى القريبة مثل ذهاب العلم وكثرة الجهل، ومثل تقارب الزمان والتطاول في البنيان، وموت الفجأة، وانتفاخ الأهلة، ورفع الأشرار، ووضع الأخيار، وكثرة النساء، وقلة الرجال، وخراب البلدان الواحدة تلو الأخري، فذكر خراب المدينة المنورة

ومكة المكرمة والكوفة والبصرة والشام ومصر وهكذا ..... وكلها عند أكثر العلماء من العلامات التى تسبق قيام الساعة بزمن يسير.

كذلك مما اتفق عليه العلماء أن الملاحم العظيمة بين أمة الإسلام من ناحية وبين النصارى (الروم) واليهود بقيادة الدجال من ناحية أخري، هى من العلامات القريبة التى تسبق أو تصاحب الآيات العشر وتعاصرها. ومن ثم عقد الدانى الجزء الخامس والسادس من كتابه للملاحم ولمعاقل المسلمين من الملاحم والفتن فذكر فى الجزء الخامس ما ورد فى السنن عن الآيات ومنها:

خروج النار ، والدخان، والريح، كما ذكر ما ورد فى العلامات القريبة المعاصرة لبعض الآيات مثل القحطانى والسفيانى والمهدى وهذه كلها من الشخصيات المعاصرة لأحداث آخر الزمان والمتخللة للآيات.

لكن الملاحظ أن الترتيب الذى جاء بهذه الأحداث ليس موافقا لوقوعها إذ جعل بابا فى أول الجزء لخروج النار، مع أنها آخر الآيات، كما تنص على ذلك الحديث الشريف، ووضع فى هذا الباب الآثار الواردة فى النار التى تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب، ووصفها الحديث بأنها أول أشراط الساعة، ولم يحاول المصنف أن يوضح ما إذا كانت هذه غير تلك أم هى نار واحدة، ومعلوم أن هذا الخلاف قائم بين العلماء فيرى فريق أنها نار واحدة ويرى الآخر أن هذه غير تلك.

ثم ذكر أخبار الدخان ثم الريح التى تقبض نفوس المؤمنين ثم أخبار القحطانى ثم السفيانى ثم المهدى ثم ذكر خبر الجيش الذى يتوجة لغزو الكعبة، فيخسف به ثم خبر موقعة كلب التى تكون بين المهدى والسفياني.

وترتيب الدانى لأخبار هذه الأحداث فى خطته يوافقه عليه أكثر الذين كتبوا وصنفوا فى الأشراط فى بعض الأحداث، ويخالفونه فى البعض.

لأن الدخان والريح من الأحداث التى تقع بعد نزول المسيح عليه السلام، فهما ليسا قبل السفيانى والمهدى كما وردا عنده.

أما ترتيب ظهور السفيانى فالمهدى فخسف الجيش فموقعة كلب فهو مما لا خلاف فيه عند جمهور العلماء.

أما القحطانى الذى جعله سابقاً للسفيانى فلم يرد من الآثار ما يدل على أسبقيته للسفياني.

واتفق الدانى مع جمهور العلماء على ترتيب أحداث الملاحم فى الجزء السادس حسب وقوعها فى الزمان بإذن الله تعالي، فجعل الباب الأول من هذا الجزء فى خروج الروم للملحمة ففتح القسطنطينية ففتح رومية ثم خروج الدجال ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم ذكر ما ورد فى عيسى بن مريم عليه السلام، ثم ما جاء فى الدابة ثم عقد بابا بعد ذلك لطلوع الشمس من مغربها، ثم ذكر نفخ الصور الذى ستقوم به الساعة.

وهذا الترتيب موافق عليه الجمهور ما عدا ذكره يأجوج ومأجوج قبل نزول المسيح عليه السلام لأن يأجوج ومأجوج لا يخرجون إلا بعد أن يقتل المسيح عليه السلام الدجال كما دلت على هذا النصوص ذاتها، كذلك خالف أبو عمرو الدانى العلماء إذ ذكر أخبار الدخان فى الجزء الخامس منفصلا عن طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة مع أن الثلاثة تحدث فى يوم واحد تقريبا، وكل منها إذا ظهر فى مكان ما فى الأرض يغلق بخروجه باب التوبة فأكثر العلماء أنها تحدث فى أوقات متقاربة إذا ظهرت واحدة فإن الأخرى تظهر على أثرها قريبا.

ومع هذا يمكن القول أن تصور الدانى لتسلسل الآيات والعلامات أكثر وضوحاً من سابقيه، وأقرب لما أتفق عليه أكثر من كتبوا عن الأشراط من بعده، حيث نضج علم الأشراط خلال المصنفات العديدة التى صنفها، وحققها كثير من علماء الحديث اللاحقين له ، وكتابه هذا بلا شك بما تضمنه من تبويب لموضوعات الفتن والأشراط، ولما دلت عليه خطته من ترتيب للأحداث حسب فهم المؤلف رحمه الله تعالي، أقول

يعتبر ركيزة هامة من ركائز علم الأشراط فى الإسلام، هذا العلم الذى أسهم فيه المؤلف بكتابه هذا إسهاما هاما كان له أثره المستمر العميق فى نمو هذا العلم ونضجه على أيدى من جاءوا بعده.

وبالرغم من أن المؤلف لم يميز بين الآيات العشر وبين الأشراط الكبرى التى هى متخللة ومصاحبة للآيات من ناحية، كما لم يميز تمييزا دقيقا بين الفتن والأشراط، إلا أن سفره هذا يعتبر بحق من أهم وأوضح وأنفع ما صنفه علماء السنن فى الفتن والأشراط.

رحم الله أبا عمرو عثمان بن سعيد الدانى وجزاه الله تعالى عنا وعن المسلمين المنتفعين بعلمه خير الجزاء.

الفصل الثالث:

خطة القرطبى رحمه الله تعالى فى كتابه التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة

٣٢- خطة القرطبى ومنهجه فى كتابه.

(٣٢) خطة القرطبى (١) ومنهجه فى كتاب التذكرة فى احوال الموتى وأمور الأخرة

يتضح لنا من عنوان كتاب الإمام القرطبى رحمه الله تعالى أن أكثر موضوعاته عن الموت والبرزخ والبعث والحساب والميزان والصراط والحوض والجنة وما فيها من نعيم والنار وما فيها من ألوان العذاب، وقد استغرقت هذه الموضوعات أكثر أجزاء أو فصول الكتاب، وهى لا تدخل فى موضوعنا، أما الذى يدخل فى موضوعنا فقد شغل ماأطلق عليه القرطبى «كتاب الفتن» وهو آخر كتب هذا السفر الذى شغل قرابة سبعمائة صفحة نال منها كتاب الفتن قرابة مائة وسبعين صفحة عرض فيها مع الشرح والبيان والتعليق النصوص الواردة فى كتب السنة وكتب التفسير عن موضوعات الفتن منذ مقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه باعتبار أن هذا أول باب من أبواب الفتن فتح ولم يغلق بعد ذلك أبدا، ثم عرض بابا بعنوان «لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه»، أى أن الفتن تزداد كلما تقدم الزمان، ثم عرض ما يجب على المؤمن علمه حيال الفتن من اعتزال الفريقين المتصارعين من المسلمين، ثم جاء بالنصوص الدالة على وجوب تعلم كتاب الله تعالى والإلتزام بأحكامه، وتقوى الله تعالى توقيا للفتن والنجاة منها.

وبعد أن تحدث عن بعض المسائل المتعلقة بالفتن ذكر مقتل الحسين رضى الله تعالى عنه. ثم تحدث عن التحذير من فتنة المال والنساء، ثم بدأ الكلام عن إمارات الملاحم وتداعى الأمم على أهل الإسلام، فذكر ما جاء فى قتال الترك للمسلمين وسياقتهم للمسلمين (٢) وسياقة المسلمين لهم (٣) ، ثم تحدث عن ملاحم البصرة وبغداد والا سكندرية ثم تحدث عن الخليفة الكائن فى آخر الزمان ويقصد به المهدى وأفرد بضع صفحات للسفيانى الذى يسبق حكمه خلافة المهدى، وفَصَّلَ القول فى

---

(١) هو الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ.

(٢) الأرجح عندى أن سياقتهم للمسلمين هو كناية عن حكمهم للمسلمين من خلال الخلافة العثمانية.

(٣) فى آخر الزمان فى عهد المهدى حيث يفتح القسطنطينية مرة ثانية.

المهدى وفيمن يوطئ له ملكه، وهم اصحاب الرايات السود القادمون من خراسان، وذكر حكمه وأعماله حتى فتح القسطنطينية للمرة الثانية، ثم أفرد عنوانا لأشراط الساعة، وهو يقصد بها الآيات العظمى فذكر الخسوف ثم الدجال ثم تحدث عن نزول المسيح عليه السلام، وذكر خبرا يقول: إن حوارى المسيح عليه السلام بعد نزوله هم أصحاب الكهف، وتحدث بعد هذا عن يأجوج ومأجوج.

ثم تحدث عن دابةالأرض التى تكلم الناس، وذكر خبرا يقول إنها ناقة صالح عليه السلام ، ثم أفرد بابا لطلوع الشمس من مغربها، وغلق باب التوبة والأخبار الواردة فى زمن مكوث الناس فى الدنيا بعد ذلك ومدته.

ثم تحدث عن أحوال الناس بعد ذلك حتى تقوم الساعة.

وقد أفرد القرطبى بابا للآيات العشر التى تكون قبل قيام الساعة وعرض النصوص الواردة فيها ولم يحاول ترتيبها بحسب وقوعها فى الزمان، وعرض روايات متعددة تختلف فى الترتيب، من هذه الروايات ما تضمن الترتيب التالي:-

١- خسف بالمشرق.
٢- خسف بالمغرب.
٣- خسف بجزيرة العرب.
٤- الدخان.
٥- الدجال.
٦- دابة الأرض.
٧- يأجوج ومأجوج.
٨- طلوع الشمس من مغربها.
٩- نار تخرج من قعر عدن.
١٠- نزول عيسى عليه السلام.

الثانية: ومنها ما جاءت فيه الآيات بالترتيب التالي:

١- الشمس من مغربها.
٢- الدخان .
٣- الدجال.
٤- الدابة.
٥- خسف بالمشرق.
٦- خسف بالمغرب.
٧- خسف بجزيرة العرب.
٨- نزول المسيح عليه السلام.
٩- يأجوج ومأجوج.
١٠- نار تخرج من قعر عدن.

الثالثة : فى رواية ثالثة جاء هذا الترتيب:

١- طلوع الشمس من مغربها.
٢- الدجال .

٣- الدخان. ٤- دابة الأرض.
٥- يأجوج ومأجوج. ٦- نزول المسيح عليه السلام.
٧- خسف المشرق. ٨- خسف المغرب.
٩- خسف جزيرة العرب. ١٠- نار عدن.

ومن ثم عقب على ذلك القرطبى قائلا: « جاءت هذه الآيات مجموعة غير مرتبة ما عدا حديث حذيفة المذكور أولا، فإن الترتيب فيه "بثُمَّ" وليس الأمر كذلك على ما نبينه. » (١)

وذلك لأن الأحاديث الصحيحة تضمنت ما يفيد نقض هذا الترتيب أيضا، وتوجد روايات لحديث حذيفة لا يتضمن (ثُمَّ) حسب وقوعها فى آخر الزمان،وإنما جاءت فى الروايات مجتمعة على سبيل الإحصاء، ومن ثَمَّ اختلفوا حول ترتيبها فى الوقوع.

ويرى القرطبى أن الخسوف وقعت أو وقع بعضها منذ عصر النبوة والصحابة، وعلى هذا فقد جعلها أولى الآيات وصرح بوقوعها، وهذا خطأ وقع فيه بعض العلماء من بعده، وكذا صاحب كتاب الإشاعة فى أشراط الساعة كما سيأتى الكلام عنه بعد.

ومما ورد فى كتاب القرطبى خبر بعنوان« دروس الإسلام وذهاب القرآن»، قبل الكلام عن الآيات العشر مع أن هذا الحديث لا يكون إلا بعد طلوع الشمس من مغربها كما هو معلوم بالضرورة، لأن أهل الإيمان والقرآن موجودان فى أيام بعض هذه الآيات، وإنما يكون رفع العلم والقرآن بعد الريح التى تقبض أورواح المؤمنين، وهى لا تكون إلا بعد غلق باب التوبة بالآيات الثلاث (الشمس - الدابة الدخان).

ولكن هذا لا يعتبر خطأ من القرطبى لأنه رحمه الله لم يقصد عرض الأشراط والآيات مرتبة حسب وقوعها فى الزمان أى أنه لم يحاول ذلك، ولم يرغب إليه، ولم يبن خطة كتابه على هذا الأساس بدليل أنه جعل أخبار الآخرة والجنة والنار قبل أخبار أشراط الساعة.

---

(١)القرطبى / التذكرة ص ٦٥٣

الفصل الرابع

خطة ابن كثير فى كتابه النهاية فى الفتن والملاحم

(٣٣) خطة الحافظ ابن كثير الدمشقي (رحمه الله) فى كتابه النهاية فى الفتن والملاحم

هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى المولود سنة ٧٠٠هـ أو بعدها بقليل كما ذكر ذلك الذين ترجموا له، وتوفى سنة ٧٧٤هـ ومن أشهر كتبه« التفسير» و«البداية والنهاية» وهومرجع نفيس فى التاريخ فى ١٤ مجلد كبير(١). وقد أرخ فيه من بدء الخلق حتى أحداث سنة ٧٦٨هـ أى قبل وفاته رحمه الله بنحو ٦سنوات

أما المجلدين الخامس عشر والسادس عشر من هذا الكتاب فهما بعنوان «النهاية» وكما سماها ابن كثير نفسه لأنه جمع فيهما ماصح لديه من أخبار الفتن وأشراط الساعة والملاحم وأحوال الآخرة(٢)، وقد تم طبعهما فى سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨١م بنفس الأسم(٣).

أما عن خطته فى الكتاب: **فقد بدأ بذكر الأحاديث الصحيحة التى** أخبر بها رسول الله ﷺ عن أحداث عامة وخاصة ستقع بعده وتحدث لصحابته من بعده، وقد حدثت بالفعل كما اخبر بها الصادق المصدوق ﷺ، ممايعد إعجازا للنبى وأدلة كثيرة على صدق نبوته ﷺ، وقد جعل عنوان هذا الباب : بعض ما أخبر الرسول ﷺ، وبدأها بإخبار الرسول ﷺ بأنهم سيفتحون مصر، وإخباره بذهاب دولتى فارس والروم، وثم إشارة نبوية الى أن عمر رضى الله عنه سَيُقْتَل، ثم أشارة نبوية الى ما سيصيب عثمان بن عفان رضى الله عنه من المحنة، ثم جعل بعد ذلك عنوانا: إشارة نبوية إلى أن عماربن ياسر سَيُقْتَل، ثم ذكر الخبر بأن مدة الخلافة ثلاثون سنة، ثم تتحول إلى ملك، ثم إشارة نبوية إلى أن الحسن سيصلح الله به بين فتتين عظيمتين من المسلمين، وهو كما حدث عند ما بايع الحسن رضى الله عنه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما.

---

(١) طبعته مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٥٨هـ

(٢) قام بتحقيق كتاب النهاية الأستاذ محمد عبد العزيز ونشرته دار التراث الإسلامى بمصر سنة ١٩٨١

(٣) بتحقيق الأستاذ محمد أحمد عبد العزيز نشر دار الفكر العربى

وهكذا نجد أن ابن كثير قدرتب فصول هذا الباب ترتيبا موافقا تماما لتحقيق هذه الأحداث فى الواقع التاريخى بعد وفاة رسول الله ﷺ، فجعل خبر فتح مصر قبل خبر القضاء على دولتى فارس والروم، تماما ثم جعل بعدهما خبر مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لأن هذا موافق لتسلسل هذه الأحداث، ثم خبر محنة عثمان رضى الله عنه ومقتله، ثم خبر مقتل عمار بن ياسر رضى الله عنه بعد ذلك، وأتى بعد هذا بخبر تحديد مدة الخلافة الراشدة بثلاثين سنة، وقد تمت هذه الثلاثين بستة أشهر، تولى فيها الخلافة الحسن رضى الله عنه، بعد مقتل الخليفة الراشد الرابع على بن ابى طالب رضى الله عنه، وبعدها صارالحكم ملكياً على يدى معاوية رضى الله عنه.

كل هذا يدل على النزعة التاريخية عند ابن كثير رحمه الله تعالي، فهو يتوخى التسلسل التاريخى للأحداث، وعلى اساس هذا التسلسل يصنف الأحاديث الشريفة الصحيحة، التى نبأ بها الرسول ﷺ، عن هذه الأحداث، وهو يتوخى من هذا هدفا هاما،وهو تقديم المزيد من الأدلة على صدق النبوة المحمدية، لمن تنفعه مثل هذه الأدلة من غير المسلمين فيؤمن، وكذلك هى نافعة للمسلمين إذ تزيدهم إيمانا مع إيمانهم، ومثل هذا الأمر يعد هدفا لذاته سعى إليه البيهقى فى كتابه دلائل النبوة، ولكن ابن كثير فى النهاية يبدأ بإيراد أخبار الأحداث،التى حدثت بعد وفاة النبي ﷺ، ويمضى قدما فى الكتاب حتى ينتهى بأخبار أهل الجنة وأحوالهم ومعيشتهم الأبدية فيها،وكذا أخبار أهل النار وألوان العذاب فيها،ومن ثم فهو يرى ان الأحداث التى بدأت بعد وفاة النبى ﷺ هى بداية النهاية، والنهاية عنده ليست بقيام الساعة بل بدخول الجنة او النار والعياذ بالله تعالى منها.

وحيث أن كتاب النهاية يقع فى مجلدين فإن الأول تناول أكثر أشراط الساعة التى بدأت كما ذكرنا بأخبار فتح مصر والقضاء على فارس والروم وانتهى بالنصوص التى تتحدث عن لحظة قيام الساعة بعد ذكر أكثر أخبار الأشراط التى حدثت قبل عصره وأثبت حدوثها إثباتا تاريخيا.

مثال ذلك: ذكره للحديث الشريف المتضمن« ظهور نار من أرض الحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببصرى من ارض الشام»، ثم تعقيبه على الخبر بقوله: أن هذه النار ظهرت في المدينة المنورة واستمرت شهرا عام ٦٥٤هـ.

ثم انتقل بعد هذا الخبر إلى تصنيف الأحاديث الحاملة للاخبار التى هى غيوب مستقبلية بعد زمانه فقال : ذكر إخباره ﷺ بالغيوب المستقبلية بعد زماننا هذا»(١)

والتى لم يعد بعضها غيبا بالنسبة لزماننا فذكرأولا من الفتن التى ستصيب الأمة بدلالة الأحاديث الصحيحة وأحوالا عامة للأمة مثل ما أشار اليه النبيﷺ من تعاقب الخير والشر،وعودة الإسلام غريبا كما بدأ غريبا، ومثل افترق الأمة ، كذلك ما خص الله تعالى به أمة المصطفى الخاتم من أنها لاتجتمع على ضلالة، بينما اجتمعت الأمم السابقة؛ اليهود والنصارى وغيرهما على الضلال.

كذلك عرض بعض الأحكام التى يحتاج إليها المسلم فى الفتن من الإذن باعتزال الناس عند إشتداد الفتن وتحكم الأهواء، والنهى عن تمنى الموت، ومع جواز تمنى الموت والدعاء به اتقاء الفتنة وخوفا منها.

وبعد هذه الصفحات القليلة انتقل ابن كثير رحمه الله تعالى إلى ماهو مباشر ورئيسى فى موضوعنا وهو ماأدرجه تحت عنوان: « بعض أشراط الساعة التى اخبر بها رسول الله ﷺ»، فذكر رفع العلم فى آخر الزمان، ثم بعد ذلك ذكرفضلا فى المهدى الذى يكون فى آخر الزمان، وأورد من الأخبار الواردة فيه، والتى صحت عنده صفحات عديدة ثم اورد نصوصا تحت عنوان: ذكرأنواع من الفتن ستكثر وتتفاقم فى آخر الزمان.

ثم تحدث عن أمور تَعْلَم انها حدثت فى عصرنا هذا، منها ما جعله تحت عنوان: إخبار الرسول ﷺ بما ستنفجر عنه الأرض العربية من ثروات هائلة، وما سيكون لهذه الثروات من إثارة الشقاق وأسباب النزاع والقتال بين الناس.

ولكنه يورد تحت هذا العنوان قول ﷺ: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من

---

(١) ابن كثير/ النهاية ج ١ص ٢٧/ دار الفكر العربي .

ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا[1]»

وكان العنوان يشير إلى أن ابن كثير رحمه الله تعالى يفهم أن هذا الجبل من ذهب إنماهو كناية عن ثروات تخرج من باطن الأرض العربية وإن لم يصرح بذلك.

والحق ان البترول الذى انفجرت عنه الأرض العربية هو ماينطبق عليه انه ثروات هائلة، كما انه كان سببا فى النزاع والقتال بين العرب، واقرب حدث للأذهان هو غزو العراق للكويت،و ما ترتب عليه من تواجد للقوات الأمريكية بالكويت والجزيرة والخليج بعد ذلك درءاً لتكرار هذا الغزو، وانقسام العرب وفرقتهم المستمرة.

ثم ذكر خبر الدجالين الذين يسبقون الساعة وخروج الناس أفواجا من الدين وردة بعضهم الى الصنمية، وتجمع الأمم وتكالبهم على المسلمين مع كثر ة عددهم طمعا فيهم واستخفافا بهم.

ثم ذكر خبر انتشارالغدر والخيانة بين الناس حتى لايأمن المرء جليسه، وانتشار أنواعها من الفتن والشرور تكون النجاة منها فى اعتزال المجتمع.

ثم ذكر اخبار فتنة الأحلاس التى تدوم وتستمر، ثم خبر الفتنة التى يكون وقع اللسان فيها كوقع السيف، ثم اخبارفتح القسطنطينية وروميه.

ثم ذكر بعض الأخبار عن خراب بعض البلدان إلا أنه حكم على الحديث بالوضع،ثم انتقل بعد ذلك إلى الموضوع الرئيسى فى موضوعات الفتن وهو العلامات أو الآيات التى تقع بين يدى الساعة، وهى الآيات العشر، فذكر اولا بعض العلامات التى بين يدى الساعة وأهمها فتح القسطنطينية وروميه بعد الملحمة الكبرى.

ثم تناول الآيات العشراللاتى بين يدىْ الساعة أيضا، فذكر حديث حذيفة ابن أسيد الذى جاءت الآيات مرتبة فيه كما يلى :

١ـ الدخان .	٢ـ الدجال.
٣ـ الدابة .	٤ـ طلوع الشمس من مغربها .

(١) النهاية ج ١ ص ٦٤ وقد عز ا الحديث للبخارى .

٥ـ نزول عيسى بن مريم عليه السلام. ٦ـ يأجوج ومأجوج.
٧ـ خسف بالمشرق. ٨ـ خسف بالمغرب.
٩ـ خسف بجزيرة العرب.
١٠ـ نار تخرج من قبل المشرق تسوق الناس الى محشرهم.
ثم عقب بعد ذلك برواية أخرى جاء فى آخرها: ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس او تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل حيث قالوا.
كأنه بذلك يقبل هذا الأخير فى الحديث ولم يحاول ابن كثير ترتيب هذه الآيات بحسب وقوعها فى الزمان أى الترتيب الذى ستقع به، ولكنه عاد مرة اخرى إلى ذكر قتال الملحمة العظيمة مع ا لروم الذى آخره فتح القسطنطينية، إذ بعد فتحها فتح رومية ثم يخرج الدجال، فأورد الأحاديث التى صحت عند العلماء حول هذه الملحمة العظيمة، وكأنه عمد الى ترتيب الحدث قبل الحدث، حسب وقوعه فى الزمان، لأنه أتى بعد هذابخبر نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وقتله للدجال.
وذكر بعض أحاديث عن الروم وبعض خصالهم الحسنة وكثرتهم فى الناس قبيل قيام الساعة، ثم أورد حديث الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة اشهر [1] وهذا يفيد ترتيب هذه الأحداث وقربها الشديد وهى تدور حول آيتين من الآيات العشر، هما خروج الدجال ونزول المسيح وقتله إياه.
إلا أن ابن كثير لم يرتب الآيات حسب الترتيب المرتقب أن تحدث به فى الزمان، فقد عاد وأ فرد للأحاديث الواردة فى الدجال عنوانا رئيسيا «الكلام على احاديث الدجال»[2]، ذكر فيها احاديث ابن صياد ثم التحذير من الدجال واوصافه وانتهى الى ترجيح القول بان ابن صياد هوالدجال الأكبر، وإن كان احد الدجاجلة الكبار الكثار، ثم ذكر حديث الجساسة ونزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ومقتل الدجال، واستمر فى ذكر أخبار الدجال حتى شغل قرابة المائة صفحة ثم انتقل إلى ذكر نزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء الى الأرض [3].

---

(١) النهاية ج ١ ص ٩٧.
(٢) النهاية ج ١ ص ١٠٣.
(٣) السابق ص١٨٢.

ثم بعد ذلك أتى بالأحاديث التى تتحدث عن يأجوج ومأجوج (1)، ومن ثم فإن ابن كثير يتفق مع نعيم بن حماد رحمهما الله تعالى على النحو التالى :

١ـ المهدي. ٢ـ فتح القسطنطينية ورومية.

٣ـ خروج الدجال . ٤ـ نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال.

٥ـ خروج يأجوج ومأجوج.

ثم عقد بضع صفحات ضمت اخبار خروج الدابة من الأرض (2). ثم ذكر خبر طلوع الشمس من مغربها (3) ثم ذكرالدخان الذى يكون قبل يوم القيامة (4) .

ومِنْ ثَمَّ يكون ابن كثير قد رتب الآيات الست على النحو التالي:

١ـ الدجال. ٢ـ نزول عيسى عليه السلام.

٣ـ خروج يأجوج ومأجوج. ٤ـ الدابة

٥ـ طلوع الشمس من مغربها ٦ـ الدخان.

ويتفق أكثر العلماء معه فى هذا الترتيب فتكون خطته فى عرض هذه الآيات الست موافقة لترتيب حدوثها في الزمان، ويبقى بعد هذا اربع آيات هي:

١ـ خسف المشرق. ٢ـ خسف المغرب. ٣ـ خسف جزيرة العرب.

٤ـ النار التى تخرج من قعر عدن وهى آخر العلامات.

بيد أني لم اجد فى خطة ابن كثير ما يشير الى ترتيب حدوث هذه الآيات الأربع، والجدير بالذكر أن ابن كثير رحمه الله تعالى لم يعمد الى الترتيب الزمنى للأشراط والآيات التى بين يدى الساعة، ولم يحاول ذلك، إلا أنه رتب بعض الآيات بحسب وقوعها فى الزمان دون البعض، لأن بعض لآيات ورد بالنصوص ما يفيد اسبقية حدوثها على بعض، وهذه هى التى أوردها مرتبة، اما الأربعة الأخيرة وهى الخسوف الثلاثة والنار فقد تحير فى ترتيب حدوثها كثير من العلماء ومنهم نعيم كما ذكرنا ، ومن ثم سكت عنها ابن كثير.

لكن من الجدير بالذكر ايضاً أنه ذكر من الأشراط قبل الآيات مالايحدث إلا بعد

---

(1) السابق ص ١٩٤.

(2) السابق ص٢٠٨.

(3) السابق ص ٢١٤ .

(4) السابق ص٢٢٣.

وقوع بعض الآيات او مايحدث متخللاً للآيات منها: رفع العلم، وغزو الأحباش للكعبة المشرفة وهدمها، إذ جعلها قبل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وفى هذه خلاف بين العلماء، ولكنه يتفق مع أكثر العلماء، إن لم يكن كلهم فى ان المهدى وفتح بلاد الروم يسبقان خروج الدجال.

وهذه النتيجة لها قيمتها الكبرى علميا وتاريخا، لأن ابن كثير له منهجه النقدى المتشدد سواء للسند او للمتن، هذا التشدد الذى جعله يسقط كثيرا من الأخبار والنصوص الصحيحة لغرابتها أو لمجرد الضعف الخفيف فى السند الأمر الذى يجعلنا مطمئنين الى صحة النصوص التى تنبئ بمجئ المهد ى وإقامة الخلافة الراشدة وفتح قسطنطينية مرة ثانية ثم فتح روما التى منهاجانب فى البحر وجانب فى البر ، ومن ثم يخرج الدجال على اثر ذلك ، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام على اثر خروجه او بعد اربعين يوما لخروجه. ثم يقتله ثم خروج يأجوج ومأجوج بعد ذلك.

لأنه إذا كان منهج ابن كثير المتشدد فى النقد قد قبل هذه الأخبار فلاسبيل لأحد بعده لإنكارها.

والخلاصة: أن خطة ابن كثير رحمه الله تعالى لم تجعل ترتيب الاشراط التى لم تحدث حتى عصره حسب وقوعها مطمحا رئيسيا، ولم تجتهد لمعرفة ترتيب الآيات،وما تَوَصَّلَ اليه من ترتيب الآيات الستة المذكورة ليس اجتهادا وإنما هو بدلالة النصوص الصريحة، ومن ثم لم يذكر مطلقا الآيات الأربع ، وهذامنهج العالم الحصيف الذى لايكتب ولايتحدث إلابما تثبت صحته لديه.

ولئن كان ابن كثير كذلك، وهو بلا شك منهاج وسبيل الراسخين فى العلم من علماء هذه الأمة، فإن علماء آخرين آثروا الأجتهاد فى هذه القضية الهامة غير خائفين من الخطأ املا فى ان يمن الله تعالى عليهم بالحق واصواب، فينفع الله باجتهادهم المسلمين ، وينالوا أجر المجتهد المصيب ، اويمن الله تعا لى عليهم بالمغفرة إذا أخطأوا وينالوا اجر المجتهد الذى لم يوفق الى الصواب

من هؤلاء الذين سنعرض لخططهم ومنهجهم البرزنجى والسفارينى وبعض العلماء المعاصرين.

الفصل الخامس

خطة الشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي رحمه الله تعالى فى كتابه: «الإشاعة لأشراط الساعة»

(٣٤) خطة البرزنجي فى كتابه الإشاعة لأشراط الساعة

هو الشريف محمد بن رسول الحسينى البرزنجى من فقهاء الشافعية له علم بالتفسير والأدب، رحل الى بغداد ودمشق ومصر، استقر فى المدينة ودرس بها، وفيها توفى سنة ١١٠٣هـ وله عدة كتب هذا واحد منها.

وقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب بدون تحقيق بالقاهرة وذكرالبرزنجى ما دعاه الى تأليف الكتاب بقوله:« فإنى لما رأيت الحافظ جلال الدين ابا الفضل عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى ذكرفى خطبة كتابه الذى ألفه فى بيان حال الموتى المسمى بشرح الصدور بشرح حال الموتى فى القبور مانصه: وأرجو إن كان فى الأجل فسحة ان اضم إليه كتابا إن شاء الله تعا لى فى أشراط الساعة وآخر فى احوال البعث والقيامة وصفة الجنة والنار على وجه الاستيعاب ايضا، حقق الله ذلك بمنه وكرمه .

ووجدته قد ألف فى أحوال البعث وما بعده كتابا سماه «البدور السافرة فى أمورالآخرة» ولم اجد له كتابا فى اشراط الساعة إما لعدم تأليفه او لانعدامه اولغير ذلك، احببت ان أؤلف فى أشراط الساعة كتابا مستوعباً لها، وكما أراد الحافظ السيوطى فيكون برزخا بين كتابيه شرح الصدور والبدور السافرة اومقدمة لهما(١).

ومن ثم يمكن القول ان البرزنجى هو اول من افرد لأشراط الساعة كتابا مستقلا مستوعبا لما كتبه السابقون عليه فى هذا الموضوع، إذ كان اكثر العلماء يجعلون الأشراط فصلا فى باب الفتن، كما خلط بعضهم بين الفتن والأشراط فى حين كل فتنة من ا لأشر اط، وليس كل شرط من اشراط الساعة فتنة، لأن المهدى الذى يعتبره العلماء من الأشراط العظمى ليس فتنة، اوزعيما لفتنة، وإنما هو خليفة راشد وقائد هدى وقامع فتنة، على هذا فموضوع الأشراط مستقل عن الفتن، إن كان ثم تداخل بينهما ، الأمر الذى يوجب إفراد هذا الموضوع فى كتب مستقلة، و هومافعله البرزنجى بتوجيه من السيوطى رحمهما الله تعالى .

---

(١) ا لإشاعة ص ١

ذكر البرزنجي خطته العامة في الكتاب بقوله : انقسمت الأمارات الى ثلاثة اقسام:

١ـ قسم ظهر وانقضى وهى الإمارات البعيدة

٢ـ وقسم ظهر ولم ينقض، بل لا يزال يتزايد ويتكامل، حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث.

٣ـ والقسم الثالث هو الأمارات القريبة الكبيرة التى تعقبها الساعة كنظام خرز انقطع سلكها.

فلنذكر كل باب على حدته، وهذاترتيب لم اره لغيري، ولعله اقرب الى الضبط وانفع للعوام إن شاء الله تعالي»(١)

ومن ثم جعل الكتاب ثلاثة ابواب لكل باب قسم من ا لأشراط، وقد جعل عنوان القسم الأول : الإمارات البعيدة التى ظهرت وانقرضت، وقد بدأها بموت النبى ﷺ، وهو من اعظم المصائب فى الدين بل هوأعظهما»(٢)

ثم استرسل فى سرد النصوص النبوبة التى نَبَّأَتْ عن الأحداث التالية التى هى اقرب للشر وللفتن، مثل قتل عمر بن لخطاب، ثم قتل عثمان بن عفان رضى الله عنهما، ثم وقعة الجمل ووقعة صفين ووقعة النهروان ثم مقتل الإمام على بن ابى طالب رضى الله عنه ، ثم موت الحسن بن على رضى الله عنه، ثم مقتل الحسين رضى الله عنه ثم وقعة الحرة ومنها خراب المدينة، ثم قتل ابن الزبير وهدم الكعبة، ثم بعد ذلك انتقل الى فتنة الفاطمية واستيلائهم على المغرب، وثم غزو التتار للعالم الإسلامي.

كذلك لم يقتصر فى هذا الباب على الأحادث التاريخية، إذ أضاف اليها بعض الأشراط التى نبأ بها رسول الله ﷺ فى مجال الأحداث الطبيعية او الكونية او الجيولوجية، مثل نار الحجاز التى اضاءت لها اعناق الإبل ببصرى بالشام هذا الحدث

(١) البرزنجى / الإشاعة ص ٣

(٢) الإشاعة ص ٤

الذى ذكر ابن كثير رحمه الله أنه حدث فى عصره وذكر البرزنجى أنه قد صاحبه زلازل شديدة وحدث بعده بسنتين غرق اهل بغداد والعراق بفيضان شديد لنهر دجلة ثم غزو التتار وقتل الخليفة المستعصم.

ثم ذكر فتنة الرافضة واستبدادهم بالملك بعد ذلك، ومن اهم علاماتهم انهم لايشهدون جمعة ولاجماعة ويطعنون على السلف الأول اى يسبون الصحابة.

ثم ذكر خبر خروج الدجالين الكذابين الذين زعموا أنهم رسل الله عز وجل، كما نبأ عنهم المصطفى الخاتم ﷺ.

وتحدث بعد ذلك عن القرامطة بإعتبار ان أبا طاهر القرمطى احد هؤلاء الدجاجلة وتحدث عن زوال الجبال عن اماكنها ووقوع الخسوفات الثلاث وكثرة الزلازل والرجف والمسخ والقذف والريح الحمراء، وظهورالكوكب الذى له ذنب ، ورضخ رؤرس اقوام بكواكب من السماء، وكثرة الموت والقحط.

ثم يختم هذا الباب بتنبيه فى قوله ﷺ (الفتن بعدالمائتين) فقال : إن هذا يحتمل أن تكون المائتان بعد الهجرة،ويحتمل أن تكون المائتان بعد الألف، ثم يرجح الإحتمال الأول لان اكثر ما ذكره فى هذا الباب من الفتن الخلافية وفتن الفرق والأحداث الجيولوجية من الزلازل والخسف قد حدث فى القرن الثالث وما بعده، والجدير بالذكر هنا ان البرزنجى قد رأى ان الخسوفات الثلاثة التى هى بعض الآيات العشر قد حدثت فيما حدث بعد المائتين وقبل الألف، وهذاخطأ منه سنوضحه فى حينه من بعد بإذن الله تعالي.

وهو يرى أنه لو كان المقصود بالمائتين بعد الألف لايلزم أن يتأخر المهدى الى القرن الثالث عشر لانه يجوز أن يأتى المهدى قبيل هذه الآيات التى يكون المقصود بها طلوع الشمس من مغربها والدابة والدخان، ومن ثم يرجح ظهور المهدى خلال المائة الثانية بعد الألف أى قبل عام ١٢٠٠هـ وقطع بذلك بقوله (فلا يتأخر عن المائة الثانية قطعاً).

ثم انتقل بعد هذا إلى الأحاديث التى أنبأنا فيها الرسول ﷺ عن الأمارات التى

ظهرت واستمرت، بعد ظهورها، وتتزايد الى ان تتكامل فيحدث بتكاملها القسم الثالث من الأشراط

وقد أطلق البرزنجى على هذا القسم من الأشراط الأمارات المتوسطة،و هو موضوع الباب الثانى من الكتاب، وبقراءة هذا الباب ندرك انه يقصد بالأمارات التى لاتنقضى وتستمر وتتزايد الأحوال السياسية والاقتصادية والعلاقات الدولية وكذا احوال المسلمين الخلقية والأسرية وتطورات هذه الأحوال عند البشر عموماً.

فأورد الأحاديث التى تدل على زيادة الشر فى الأرض يوما بعد يوم وطغيان الكفر والإلحاد وانحسار الإسلام والإيمان رويدا رويدا حتى لايكون الإيمان إلا فى الحجاز اومكة والمدينة المنورة وهذا فى آخر الزمان بطبيعة الحال.

والأحاديث الدالة على الإنحلال الجنسي وإباحة الزنا والشذوذ وقطيعة الرحم وحكم الرويبضة وسفلة الناس واللئام، وفشو الكذب والغدر وكذا تخوين الأمين وإئتمان الخائن الى آخر ذلك من الأمور الخلقية والأحوال الاجتماعية للناس التى نبأ عنها رسول الله ﷺ وبدأ حدوثها منذ قرون وتزداد وتشيع بين الناس حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا ومنها شيوع الربا.

ولا شك ان التغيرات الاجتماعية والخلقية والسياسية والاقتصادية هى من الأمور التى تحدث خلال اجيال متعددة وليس حدوثها طفرة خلال العام الواحد او الجيل الواحد.

وكذا ما يستحدث من تطور عمرانى او تقدم صناعى أيضاً هو من هذا القسم لأنه يتحقق خلال الأجيال والقرون مثل التطاول فى البنيان الى ان نطحت العمارات السحب.

وكذلك مثل زخرفة المساجد وتحلية المصاحف وإطالة المنابر وما ورد عن حديث الرجل لسوطه،وكثر ة القذف،وتقارب الأسواق وغير ذلك من الأحوال المتزايدة حتى إذا اكتملت بدأ القسم الثالث من الأشراط وهى التى افرد لها الباب الثالث.

وغني عن البيـان ان البرزنجي لم يعاصر اكتمال هـذه الاشراط الوسطي، وإن كان قد شاهد وعاين كثيرا منها كما ذكر ذلك اكثرمن مرة.

اما القسم الثالث فقد خصص له البـرزنجي الباب الثالث والأخير من الكتاب وقد سماه في الأشراط العظام والأمـات القريبة التي تعقبها الساعـة، وقد افرد لهذا الباب اكثر من مائتة وعشرين صفحة اى قرابة ثلـثى الكتاب، وهى عنده التى ستبدأ فى آخر الزمان بين يدى الساعة بعد ان تكتمل الأشراط الوسطى تماما.

ومعلوم لنا مماسبق أن مـوضوع هذا القسم مما اختلف فيه العلماء فـلم يتفقوا على ترتيب احـداثه، إلا فيما يخـص بعض الأحداث التى دلـت الأحاديث على ترتـيبها، ومعلوم لنا ايضا مماسبق ان الآيات العشر الـتى تسبق الساعة مباشرة هى اهم احداث هذا القسم، وللبرزنجي اجتهاده الخاص لترتيب هذه الأحداث كما سنري.

(٣٥) ترتيب وقوع الأشراط العظيمة (الإمارات والآيات) عند البرزنجي

١ ـ الفتن الواقعة قبل المهدي.

٢ ـ العلامات التى يعرف بها والأمارات الدالة على قرب خروجه

٣ ـ اسمه ونسبه ومولده ومبايعته ومهاجره وحليته وسيرته.

٤ ـ ذكر الملحمة الكبرى وهى التى تكون بين الأمة الإسلامية بقيادة المهدى وبين الروم (أوربا)

٥ ـ ذكر خروج الدجال : اسمه ونسبه ومولده.

٦ ـ حليته وسيرته وزمنه

٧ ـ خروجه ووقته ومدته وكيفية خروجه وطريق النجاة منه.

٨ ـ نزول عيسى بن مريم عليه السلام، حليته وسيرته

٩ ـ قتله للدجال

١٠ ـ مدته ووفاته.

١١ ـ خروج يأجوج ومأجوج ثم هلاكهم.

١٢ ـ خروج القحطانى والجهجاه والهيثم والمقعد.

١٣ ـ طلوع الشمس من مغربها.

١٤ ـ الكلام على دابة الأرض

١٥ ـ الدخان.

١٦ ـ الريح الطيبة التى تقبض ارواح المؤمنين

١٧ ـ عقم النساء.

١٨ ـ رفع القرآن من المصاحف والصدور

١٩ ـ هدم الكعبة

٢٠ ـ رجوع الناس الى عبادة الأوثان

٢١ ـ ريح تلقى الناس فى البحر

٢٢ ـ قصد الزمان وتقارب الأيام.

٢٣ ـ نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى محشرهم وهى آخر الآيات العشر.

ثم ختم الكتاب بخاتمة فى ذكر الباقى من عمر الدنيا الى قيام الساعة بعد خروج النار،و أورد قبل ذلك ان عمر الدنيا بعد قبض المؤمنين بالريح وبقاء الأشرار مائة وعشرون عاماً.

والذى يمكن ملاحظته على خطة البرزنجى مايلي:

١ـ لاشك أنه يُعتبر حتى عصره من **أكثر العلماء توفيقاً** فى وضع خطتة التى لم يسبقه احد إليها، فهى تمتاز بوضوح الرؤيا بالنسبة لأشراط الساعة، إذ جعل الأبواب بحسب طبيعة الأشراط مع مراعاة ترتيب الأشراط فى كل باب بحسب اسبقية كل منها فى الحدوث فكان تاريخيا بالنسبة لما وقع من الأشراط قبل عصره، وكان ترتيبه اجتهاديا بالنسبة لما هو مستمر حتى عصره وبالنسبة لمابعده.

٢ـ **اخطأ البرزنجى بوضع الخسوفات الثلاث ضمن الباب الأول** باعتبارأنها قد حدثت فى زمن بعض الخلفاء العباسيين معتمدا على وقوع بعض الخسوف والزلازل فى مختلف بلاد العالم الإسلامي، وقد ذكر عددا كبيرا من الخسوف والزلازل تدليلا على رأيه هذا،ولكن هذا خطأ منه لأسباب متعددة:

أ ـ أن **الخسوفات الواردة ضمن الآيات العشر** ثلاث بالعدد كما نصت عليها الأحاديث الخاصة بالآيات وهي: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، بينما الخسوف التى ذكرها اكثر من ثلاثة.

ب ـ **الخسوفات الثلاث** آيات فهى إذن أحداث خارقة لسنن الطبيعة اوقوانين إضطرابات القشرة الأرضية التى تحدث بين الحين والأخر فى بعض قطع الارض

غير المستقرة ذات البراكين والزلازل، وكونـها آيات، اى انها ستكون خسوفا عظيمة ولم يحدث لها نظير من قبل ، بينما الخسوف التى عرضها البرزنجى من قبيل الأحداث الجيولوجية المحلية المعروفة المتكررة.

ج ـ **الآيات كلها تقع بين يدى الساعة**، وهى من العلامات العظمى كما عبر عنها البرزنجى فكيف يقع بعضها فى القرو ن الخمسة الهجرية الأولى ، ثم يتأجل أو يتأخير وقوع البعض حتى نهاية القرن الحادى عشر الذى عاصره البرزنجى وكذلك حتى نهاية القرن الرابع عشر الذى تعاصره نحن الآن و معلوم أن الآثار كثرت فى إثبات ان الآيات كخرزات منظومات فى سلك، إذا انقطع تساقطت منه تباعا بحيث لايكون بين بعضها والآخر فترات زمنيه طويلة .

د ـ **لم يدرج البرزنجى الخسوف ضمن الأشراط الكبرى** كما انه لم يفرق فى هذه القسم بين الآيات والأشراط او العلامات، ومع ان حديث الرسول ﷺ لم يطلق على هذه العشرة سوى لفظ الآيات ومنها الخسوف ، فإذا بالبرزنجى يدخل فى هذا القسم من الأشراط ماليس من الآيات ، كما انه ادخل فى غير هذا القسم الخسوف وهى من الآيات.

هـ ـ **ونتيجة لإسقاط الخسوف من الآيات نجد البرزنجى** قد رتب الآيات السبع الباقيات كالتالى :

٣ـ الدجال. ٤ـ نزول المسيح عليه السلام

٥ـ يأجوج ومأجوج ٦ـ طلوع الشمس من مغربها.

٧ـ الدابة ٨ـ الدخان

٩ـ النار التى تخرج من قعر عدن

وهو **بلاشك** موفق بالنسبة لترتيب هذه الآيات اكثر من غيره من العلماء السابقين، عليه كما رأينا وكما سنرى تفصيلاً، ولو لم يغفل وضع الخسوف معها لكان له سبق الوصول إلى الترتيب الذى ترجح صحته عندى فى الجزء الأول من هذا الكتاب

و- يلمس القارئ لهذا القسم من كتاب البرزنجي بعض التردد والاضطرابات حيال ترتيب العلامات العظمى المصاحبة والمتخللة للآيات وهو ما وجدته عند كل السابقين عليه، من هذا مثلا: أنه جعل رفع القرآن الكريم من الصدور والمصاحف بعد قبض أرواح المؤمنين بالريح الطيبة وهذا قول متناقض لان الصدورالحاملة اللقرآن الكريم صدور مؤمنين وبالتالى لايبقى صدر بعد الريح التى تقبض أرواح المؤمنين حافظاً للقرآن كما لايبقى قرآنٌ فى المصاحف بعد قبضهم حيث لاينتفع به احد من الكافرين.

ولكن أياً كانت الملاحظات على خطة البرزنجي فى كتابه، فمن حقه علينا أن نقول أنها أفضل خطة للأشراط حتى عصره وأنه رحمه الله تعالى قد صدق عندما قال عنها،« وهذا ترتيب لم أره لغيري، ولعله اقرب الى الضبط وانفع للعوام ان شاء الله تعالى» وأشهد أنه كما قال بإذن الله تعالى.

بل ربما صح القول أنه لم يكتب بعد البرزنجي فى الأشراط أحدإلا وتأثر بخطته غير المسبوقة ، وأثره واضح فى المعاصرين كما سنرى عندهم بإذن الله تعالى.

الفصل السادس
ترتيب السفاريني للأشراط في كتابه لوامع الأنوار البهية

٣٦- ترتيب السفاريني للاشراط فى كتابه لوامع الأنوار

(٣٦) خطة العلامة محمد سالم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية.

عاصر السفاريني رحمه الله القرن الثاني عشر الهجري حيث توفى بنابلس عام ١١٨٨هـ، ومن ثم يكون قد استفاد من الشريف البرزنجي وممن سبقوه من العلماء الذين كتبوا في هذ العلم، ويعتبر كتابه «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية»، سفراً ضخما بحث في الجزء الأول منه جميع مسائل التوحيد الرئيسية وعرض فيها لأقوال الفرق المخالفة لعقيدة السلف وأهل السنة والجماعة وتصدى للرد عليها لبيان زيفها ومواضع الإنحرافات فيها.

وفي الجزء الثاني تناول بعض السمعيات التي تختص باليوم الآخر والموت والبرزخ وانتهى الى عقد باب خاص بأشراط الساعة عرض فيه للأقسام الثلاثة حسب خطة الشريف البرزنجي.

أ - ما قد مضى وانقضي.

ب - ما ظهر واستمر.

جـ - العلامات الكبري

وقد اختصر القسمين الأول والثاني في بضع صفحات ثم فصل تفصيلاً دقيقا في القسم الثالث في قرابة الثمانين صفحة حتي يحق لنا ان نعدل عنوان هذا الباب عنده ليكون في أشراط الساعة الكبري بدلا من العنوان الحالي وهو في اشراط الساعة، لان الأشراط ماقبل الكبرى لم تكن عنده إلا كتمهيد لموضوع الأشراط الكبري.

ومع ان السفاريني قد بدأ الاشراط الكبرى بأحاديث المهدى على الفور من غير أن يقدم الترتيب الذى سيتبعه في عرض الأشراط الكبرى والآيات إلا أنه يفاجئنا في منتصف الباب تقريبا بعد الكلام عن طلوع الشمس من مغربها وهى العلامة الثامنة عنده بعقد مبحث صغير عن ترتيب الآيات،وكان الأجدر ان يكون هذا المبحث في اول الفصل، إذ يتضمن هذا المبحث خطته في عرض الآيات والأشراط الكبرى قال السفاريني: وقال الحليمى من الشافعية : أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها».

«قلت: (١) والذى يظهر،و الله أعلم، أن أول الآيات خـروج المهدى ثم الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع القرآن ثـم طلوع الشمس من مغربهـا،ويحتمل ان طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخـروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربهـا فى يومها اوقريبـا منها، وهذا هو النسق الذى مشينا عليه وإخترناه والله أعلم، وأما خروج السفيانى فإنه و إن كان قبل خروج المهدى إلا انه لم يعد خـروجه آية وإنما هو علامة لخروج المهدى والله أعلم(٢).

(٣٧) ترتيب السفارينى للإمارات والآيات التى يطلق عليها الكبرى حسب حدوثها فى الزمان:

أما ترتيـب الأشراط عنده، فقد اجتهد رحمه الله تعـالى ليقدم لـنا الأشراط والآيات متسلسلة من أول العلامات الكبرى إلى آخرها التى تقوم بعدها الساعة،وهى عنده كالتالى :

١ـ مايسبق المهدى من علامات وفتن هى

أ ـ خروج السفيانى ويعاصره الأبقع والأصهب والأعرج الكندي

ب ـ خروج الحارث والمنصور، و ذكر شعيب ابن صالح

٢ـ العلامـة الأولى **المهدي**: اسمه واسم ابيه وسـبب تسميته بالمهدى ونسبه وحليته وصفته وسيرته وبيعته ومايتصل بها ومدة ملكه.

٣ـ العلامة الثانية وهى الدجال

أ ـ ماجاء فى صفته وقول البعض انه شيطان لاإنسان

ب ـ عظم فتنته ومدة بقائه وطول بعض ايامه.

---

(١) القائل هو السفارينى انظر لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٤١

(٢) السفارينى /. لوامع الأنوار ج ٢ ص ١٤٢

انا استخدم مصطلح الكبرى هنا التزاما بأمانة عرض مذهبه،وإن كنت لا اوافق عليه حسب ما فصلته من قبل تحت عنوان المصطلحات الأربعة. د. الدسوقى.

ج ـ جنة الدجال وناره، هل حقيقة ام تخييل؟!

د ـ المؤمن الذى يقتله الدجال.

٤ـ العلامة الثالثة وهى نزول عيسى عليه السلام.

أ ـ الأدلة على نزوله من الكتاب والسنة والإجماع.

ب ـ حليته وسيرته.

ج ـ وقت نزوله ومحله وما يجرى على يديه

د ـ قتله للدجال وقتل المسلمين لأتباعه من اليهود

٥ـ العلامة الرابعة : خروج يأجوج ومأجوج

أ ـ إثبات وجودهم وخروجهم بالكتاب والسنة

ب ـ اشتقاق الاسمين، وإثبات نسبهم وقبائلهم.

ج ـ سبب خروجهم وإهلاكهم

د ـ هلاكهم

٦ـ العلامة الخامسة هدم الكعبة

٧ـ العلامة السادسة الدخان

٨ـ العلامة السابعة : رفع القرآن

٩ـ العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربا.

١٠ـ العلامة التاسعة: دابة الأرض.

١١ـ العلامة العاشرة: النار التى تخرج من قعر عدن

وبالرغم من أن السفيانى من العلامات المعاصرة للمهدى إلا أن السفارينى لم يدرجه من العلامات اوالآيات الكبرى، معللاً مسلكه هذا بأنه ليس من الآيات وإنما هو من علامات خروج المهدي.

وما يمكن ملاحظته على خطة السفاريني مايلي:

١ـ خلط السفاريني بين الآيات العشر التي تسبق الساعة مباشرة وبين العلامات فلم يفرق بين مفهوم كل منهما، وهو أمريورث اللبس وهذا ماحدث عنده وعند من جاءوا بعده، وبالرغم من أن رسول الله ﷺ أفرد للآيات العشر حديثا،ولم يطلق اسم الآية إلا عليها ،بينما ذكر ماسوى هذا من العلامات تحت اسم الأشراط،ومن ثم فقد وجب التمييز بين مفهوم الآية ومفهوم الشرط او العلامة كما وضَّحْتُ هذا في الباب الأول.

٢ـ أدخل السفاريني المهدي في الآيات، واعتبره واحداً منها، مع ان الروايات لم تذكره منها إذ جاءت فيها جميعاعلى سبيل الإحصاء عشر فقط وليس فيها المهدي ، وأدخل السفاريني أيضا فيها هدم الكعبة ورفع القران الكريم ومن ثم ترتيبه للعلامات العشر قد اشتمل على ثلاث علامات ليست من الآيات، ومع ملاحظة أنه توقف عند آخرها وهي النار التي تخرج من قعر عدن، وهي في حديث الآيات العاشرة والآخيرة .

٣ـ اغفل السفاريني الخسوف الثلاثة الواردة بأحاديث الآيات، وأحل محلها العلامات الثلاث السابق ذكرها، فانضبط العدد وجاءت النار رقم (١٠) في العلامات الكبرى، كما أطلق عليها، وعلى هذا فقد اعتبر السفاريني هذه الخسوف من العلامات التي انقضت، ومن ثم فهي ليست من الكبرى عنده، هذا خطأ وقع فيه كما وقع فيه البرزنجي من قبل ، لان هذه الخسوف هي من احداث القيامة المصاحبة لزلزلة الساعة، كما وضحت من قبل في الجزء الأول .

٤ـ لم يورد السفاريني من العلامات الكبري: الريح التي تقبض ارواح المؤمنين، ورفع العلم بقبض العلماء، والملحمة، وفتح القسطنطينية مرة ثانية، وفتح رومية. هذه جميعا من العلامات الكبرى التي نصت عليها كثير من الأحاديث وهي مصاحبة للمهدي او للعهد المهدوي، وهو لم يوردها لانها ليست من الآيات بالرغم من أنه اورد المهدي الذي تحدث في عهده هذه الأحداث وهو ليس من الآيات، ولعله رحمه الله توخى ذلك لضبط العلامات إحصائيا فلا تزيد عن العشر. وهذا كله

نتيجة الخلط بين مفهوم الآية ومفهوم الشرط اوالعلامة، وعدم التمييز بين كل منها.

ومن ثم يمكن القول بناء على هذه الملاحظات ان الآيات التى هى خرزات فى سلك تتوالى إذا انقطع، كما وصفها الحديث الصحيح، هى جميعا من العلامات العظمى، وإن لم تكن كل العلامات العظمي، إذا كان فهمنا للعلامات العظمى انها التى تحدث بين يدى الساعة والمباشرة لها.

فالخسوف الثلاثة إذن هى من العلامات العظمي، ومما يقع بين يدى الساعة، لم تقع من قبل، ومن ... فهى إما أن تكون قبل المهدى مباشرة، او معاصرة له، أو بعده مباشرة، أو قد تكون بين الآيات السبع ا لأخري، فمن الخطأ إذن تصنيفها ضمن العلامات الصغرى التى انقضت من قبل فى عصر الخلافة العباسية او ما بعدها.

لاشك ان المهدي من العلامات العظمي، بدليل معاصرته للدجال ومعاصرته ايضا لنزول المسيح عليه السلام، وكل منهما من الآيات من ثم فهو عندى من الأمارات.

ومن ثم فإنه يصح استنباط العلماء القائل بأن السفيانى من العلامات العظمى او الكبرى، مع انه ليس من الآيات، وذلك لمعاصرته للمهدي، لكن السفارينى رحمه الله تعالى أصر على أن الكبرى عشر فقط: ثلاث علامات وسبع آيات وهذا مما أورث اللبس والخلط بين الآيات والعلامات عند العلماء من بعده، وعقد مسألة ترتيب وتعيين زمان الخسوف وموضع هذه الآيات الثلاث بين الآيات العشر.

لذا يمكن القول ان هذا الترتيب الذى وضعه السفارينى للأشراط الكبرى إنما هو مجرد نقل عن البرزنجى مع الاختصار والحذف

وليس للسفاريني من اجتهاد سوى اختيار مصطلح العلامات الكبرى متحاشيا لفظ الأشراط، كما انه لم يعتبرهذه العشر هى الآيات، وإن كان أغلبها من الآيات .

ولو توقف رحمه الله تعالى قليلا للتمييز بين الآية والشرط،واستخدام كل واحد منهما حسب مفهوم محدد له ، لما وقع فى هذا الخطأ، ولما وجد نفسه مضطرا لاستخدام لفظ «العلامة» بدلا من «الشرط والآية» وهما اللفظان الواردان فى

الكتاب والسنة،و لكن يعلل هذا كله ويبرره عنده ويصبح عذراً للسفاريني ان موضوع الأشراط في كتابه الكبير ليس سوى فصلا من باب ضمن أبواب كثيرة تضم فصولا متعددة رحمه الله تعالى وأثابه على اجتهاده ورحمنامعه وأثابنا معه وغفر لنا زلاتنا العلمية وخطايانا السلوكية وكلاهما يستحيل ان ينجو اى عالم او باحث من الوقوع فيهما لماكتبه الله تعالى على ابن آدم، إذ خلقه خطاءاً.

ولكن تحدُّثاً بنعمةِ الله وفضله عَلَيَّ أن أُنَوِّه هنا الى ان التميز بين المصطلحات الأربعة:الشرط والعلامة والامارة والآية كما وردت فى هذا الجزء الذى بين يدى القارئ وأيضا ماجاءعن الآيات فى الجزء الأول،كل هذا يرفع اللبس حول ترتيب هذه الأحداث ، هو مما لم يسبقنى أحد من العلماء إليه، وما ذكرته إلا تحدثا بنعمته عَلَيَّ التى خَصَّني بها سبحانه كما امرنا عزوجل بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فله الحمد والشكر سبحانه.

الفصل السابع
كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية لرائد علم أشراط الساعة المعاصر أبو الفيض أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسني رحمه الله تعالى

(٣٨) كتاب مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية للغمارى.

توفى الشيخ الغمارى رحمه الله فى أوائل التسعينيات الميلادية من هذا القرن، ولا شك عندى أنه ـ لا غيره ـ **رائد علم أشراط الساعة فى هذا العصر**، بكتابه المذكور أعلاه، وبالرغم من أهمية هذا الكتاب القصوى فى مجال علم أشراط الساعة إلا أنه لم يطبع تقريبا إلا طبعة واحدة منذ أمد طويل يدل على هذا الورق الأصفر وغلاف الكتاب وطريقة إخراجه وقامت بنشره دار الرشيد الحديثة بالدار البيضاء، مع أنه مطبوع بلبنان، هذا كله يدل على أن الكتاب طبع طبعة واحدة فى الخمسينيات أو الستينيات من هذا القرن الميلادى على الأكثر.

وكنت قد سمعت من بعض الأساتذة الزملاء بجامعتى الملك سعود وأم القرى عن هذا الكتاب وما تضمنته صفحاته من مفاهيم وتفسيرات رائدة وجديدة سواء منها ما يختص ببعض آى الذكر الحكيم عن أشراط الساعة أو تلك التى تخص كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة عنها، ومع البحث والسؤال عنه كثيرا لم نعثر عليه إلا بالدار البيضاء، ويقع الكتاب فى أكثر من أربعين ومائة صفحة من القطع المتوسط.

وينفرد المُصَنِّف رحمه الله تعالى بكتابه هذا عن جميع الذين سبقوه والذين صنفوا بعده فى أشراط الساعة من حيث الهدف من التصنيف والخطة والأسلوب، وإن كان يتفق مع كتب الأقدمين فى الفتن والأشراط من حيث المنهج لأن الشيخ رحمه الله تعالى من علماء الحديث المعاصرين، بل ويشهد له كتابه هذا أنه من الحفاظ المجتهدين الملهمين، فهو من ناحية لم يتأثر فى خطة كتابه بخطط وتصنيفات العلماء السابقين الذين عرضنا لمصنفاتهم ابتداءاً من نعيم بن حماد وانتهاءاً بالسفارينى رحمهم الله تعالى جميعا، فلم يجعل الغمارى رحمه الله فصول الكتاب بحسب ما شاع بين العلماء من تصنيف للأشراط البعيدة والقريبة، وذكر شخصيات الفتن فى فصول خاصة كالسفيانى والدجال ويأجوج ومأجوج وغير ذلك مما علمناه من العروض السابقة لمصنفاتهم وخططهم، ولعل ما حدا بالشيخ الغمارى رحمه الله

تعالى إلى التفرد بخطة خاصة لم يسبقه أحد إليها كما لم يتبعه فيها أحد ممن كتبوا بعده في الأشراط في أيامنا هذه، أقول إن الذى حدا به إلى هذا هو الهدف الذى توخاه رحمه الله تعالى من مصنفه.

(٣٩) أهداف الشيخ الغمارى من تصنيف كتاب المطابقة.

لقد كان للتطور التقنى والصناعى والعلمى فى العصر الحديث وقع شديد على نفوس الناس، وهذا التطور والتحول الحضارى الذى أخذ يتسارع بشكل مذهل مع أوائل القرن العشرين الميلادي، فلم ينتصف هذا القرن حتى ظهرت الاختراعات فى الآلات والأجهزة التى تغطى جميع مناحى الحياة فى مجال الاتصالات والمواصلات وآلات الزراعة والصناعة والتجارة والبناء والإدارة وأسلحة الحرب فى البر والبحر والجو وعمارة المدن من شق الطرق والأنفاق بنسف الجبال وإزالتها فاستحدث الإنسان فى هذه المجالات جميعا ما أذهل المعاصرين وأثار عجبهم، وما جعلهم على يقين بأن ما حدث يصعب بل يستحيل أن يصدقه أهل الأجيال السابقة، ومن ثم جرى على ألسنة المؤمنين سؤالٌ عن وجود أخبار هذه العجائب فى القرآن الكريم والسنة الشريفة، خاصة أنه قد ورد أن فيهما نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا إلى قيام الساعة.

لقد تساءل كثير من المسلمين: ألم يخبرنا سيد البرية عليه الصلاة والسلام عن هذه الأمور الغريبة العجيبة التى تحدث، وصارت واقعا معاشا ولم يكن أحد من السابقين يتصور وقوعها أو يصدق بحدوثها لو أخبر بها؟.

وكما أخبر الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى عن نفسه إذ كان قد تلقى هذا السؤال كلما انتقل من مصر إلى مصر آخر من أمصار الأمة الإسلامية، فسألوه عن هذا فى المغرب وفى مصر وفى الشام وفى الحجاز، ومن ثم دفعه هذا إلى مراجعة كتب السنن بحثا عن إجابة لهذا التساؤل فى أحاديث المصطفى الخاتم ﷺ فإذا به يفاجأ بالأخبار الكثيرة فى الفتن التى تتحدث: إن صراحة وإن ضمنا أو إشارة، عن كل ما جرى من اختراعات، بل يفاجأ بحديث رسول الله ﷺ عن الأمور العظام التى ستحدث فى آخر الزمان بين يدى الساعة، وأنها ستكون غريبة على الناس، حتى يتساءل المسلمون حينئذ: هل حدث نبيكم ﷺ عن هذه الأمور فيما حدث عن أشراط الساعة، وعن أنباء المستقبل؟.

فأورد الشيخ الغماري رحمه الله ما رواه البزار والطبراني في الكبير من حديث سمرة أن النبي ﷺ قال: «سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاما تقولون هل كنا حدثنا بهذا، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة»(١).

كما ذكر رواية لأحمد في حديث طويل عن الدجال جاء قوله ﷺ: **«ولن يكون ذلك حتى تروا أمورا يتفاقم شأنها في نفوسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرًا؟»**(٢).

قال الشيخ الغماري تعقيبًا على هذين الخبرين: «فهكذا والله كنتُ أسأل في المجالس فيقال لي عند ذكر هذه المخترعات: هل أخبر النبي ﷺ: بهذه العجائب؟ أو هل ورد في الأحاديث النبوية ما يشير إليها؟ فأجيب بما في علمي من ذلك(٣).

ثم بدأ الشيخ رحمه الله تعالى فألف الكتاب لتحقيق الهدف الذي يعبر عنه عنوانه بدقة وهو «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية».

فجعل عنوان الموضوع الأول من مواضيع المطابقة هو إخباره ﷺ بظهور «بابور السكة الحديد والأطومبيل وما في معناهما»(٤).

فيتحدث في هذا الفصل عن وسائل الركوب الجماعية ثم وسائل الركوب الفردية ويذكر الآيات الكريمة المشيرة إلى وسائل المواصلات الآلية الحديثة ثم يفسرها بما ورد من أحاديث عن رسول الله ﷺ في نفس الموضوع فلا يدع مجالا للريب أو الشك أو أدنى احتمال لرفض تفسيره بالرغم من مخالفته لما فسر به المفسرون القدماء هذه الآيات.

وهذا هو منهجه في معالجة مواضيع الكتاب إذ يبذل جهده ويقدم من النصوص والاستنباطات ما يؤكد به المطابقة بين ما أخبرت به السنة وبين الواقع البشري المعاش في هذا العصر. فذكر قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي

---

(١) المطابقة ص٥.
(٢) نفس المصدر ص٦.
(٣) نفس المصدر والصفحة.
(٤) المطابقة ص٦.

الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾(١). ويرفض تفسير القدماء الذين فسروا قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ بالإبل وهو يعذرهم لأنه لم يكن فى زمانهم ما يشبه الفلك فى حمل الركاب والبضائع سوى الإبل، وهو يقطع ببطلان القول بأنها الإبل، ويؤكد بأن المثل المقصود فى الآية هو السكة الحديد والحافلات والطائرات.

ويستدل على هذا بقول ابن عباس والحسن والضحاك: «وخلقنا لهم سفنًا أمثال تلك السفن يركبونها»(٢). ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(٣). أى من جنس المخلوقات للركوب والزينة وهى كما ذكرها الشيخ الغمارى رحمه الله: أنواع العَجَلْ والعربات من بسكليته وأوطمبيل وغيرهما(٤).

فآية سورة يس فى وسائل الركوب الجماعة، وهذه الآية فى وسائل الركوب الفردية.

ويستدل أيضًا على هذا كله بقوله تعالى فى أشراط الساعة: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾(٥)، ولأن العشار هى الإبل التى بلغت عشرة أشهر وتصلح للسفر عليها، وقد تم تعطيلها عن الركوب بعد إختراع وسائل الركوب الفردية منها، ويؤكد الشيخ رحمه الله تفسيره هذا بقول الرسول ﷺ فى نفس المعنى: «والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها»، والقلاص جمع قلوص بفتح القاف وهى من الإبل كالفتاة من النساء(٦).

فهذا الجزء الأخير من الحديث الشريف يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ بترك استخدامها فى السفر وحمل البضائع، وهو ما حدث بعد اختراع وسائل الركوب الحديثة.

وهكذا يستطرد الشيخ فى كتابه تحقيقا للمطابقة بين نصوص الوحى الحاملة لأخبار المستقبل وأشراط الساعة وبين ما قد تحقق فعلا من هذه الأخبار.

---

(١) يس آية ٤١.
(٢) المطابقة ص ٧.
(٣) النحل آية ٨.
(٤) المطابقة ص٧.
(٥) التكوير آية ٤.
(٦) نفس المصدر والصفحة.

لكن الهدف الذى يسعى إليه الشيخ من كتابه ليس هو المطابقة فحسب، وإن كانت المطابقة هدفا يتحقق به اليقين فى صدق النبوة المحمدية، ومن ثم زيادة إيمان المسلم، وهذا من أعظم وأجل الأهداف التى ينبغى للعالم المصنف أن يسعى إليها، إذ لا يلبث القارىء فى كتاب المطابقة أن يشعر بأن صاحبه رحمه الله تعالى يجعل المطابقة وسيلة لتحقيق هدف آخر له خطورته العظمى فى حياة الناس بعامة والأمة الإسلامية بخاصة، هذا الهدف هو البرهنة بما لا يدع مجالا للشك عند القارىء بأن البشرية تعيش فى آخر الزمان[1].

فهذا الحديث الشريف عن تعطيل القلاص أو العشار يربط بوضوح وجلاء بين زمن نزول المسيح عليه السلام وبين وجود وسائل المواصلات الحديثة، ومن ثم قرر الشيخ أن البشرية قد دخلت عصر الأشراط الكبرى بهذه المخترعات الحديثة، وأن الأمة الإسلامية على وشك الدخول فى عصر المهدى والدجال ونزول المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام، ويؤكد الشيخ الغمارى هذه النتيجة بما يورده من الآثار التى تفيد أن المسيح الدجال لعنه الله تعالى يستخدم السيارات والطائرات والوسائل الحديثة إذ ثبت فى الروايات الصحيحة أنه يطوى الأرض فى أربعين يوما ويطوف الأرض على دابة وأن سرعته كالغيث استدبرته الريح وهذا إشارة إلى الطائرة التى تسبق الريح وتجعله خلفها.

ويورد الشيخ أيضًا الأحاديث الواردة فى المهدى وتدل على أنه يذهب من مكة إلى المدينة، ثم يعود إلى مكة، ثم إلى المدينة، ثم إلى مكة، ثم إلى المدينة، ثم إلى مكة، خلال الفترة من انتهاء الحج فى منتصف ذى الحجة حتى ليلة عاشوراء حيث يبايع عند المقام، الأمر الذى اعتبره السابقون منكرا لعجز الإبل عن قطع هذه المسافة ذهابا وإيابا بين الحرمين ثلاث مرات، خلال خمسة وعشرين يوما، لكنه أصبح الآن بالسيارة أو بالطائرة ميسورا فى ساعات أو أيام قليلة ويستنبط من هذا الخبر نتجتين:

الأولى: أن زمن ظهور المهدى قد قرب وآن أوانه بعد اختراع وسائل المواصلات الحديثة.

---

(١) ولا يقدح فى قولى هذا تشدق بعض المتعالمين (الهواة) الذين يحاولون ابطال هذا القول بالقول أن نهاية الدنيا وآخر الزمان بدأ منذ بعث المصطفى الخاتم ﷺ.

الثانية: أنه لا غبار على متن هذه الأحاديث وما فى معناها التى تحمل أخبارا حكم عليها السابقون من العلماء بأنها منكرة لاختلافها مع ما كانت عليه أساليب معيشتهم وصبغة حضارتهم، وأنه كان من الخطأ الحكم على الحديث الذى صحح أو حسن سنده بالضعف، لأنه يخبر عن أمور منكرة فى زمن هؤلاء السابقين، وكان الأولى بهم ما دام الحديث صحيحا سندا أن يفوضوا أمر هذه الأخبار إلى الله تعالى.

ولو ربط السابقون بين حديث رسول الله ﷺ الذى قال فيه: «سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاما...»، إلى آخر الحديث وبين هذه الآثار التى أنكروها، لعلموا أن هذه الأخبار المنكرة ستكون بإذن الله تعالى وقدره معتادة، ولَمَاَ رفضوا بذلك هذه الأخبار التى حدث بها الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى.

لقد فسر الشيخ رحمه الله تعالى الأحاديث النبوية الشريفة عن زى الأرض زيًا، أى انضمام بعضها إلى بعض، بأن هذا قد تم بعصر السرعة وتقدم وسائل المواصلات، وكذلك الأخبار الكثيرة عن تقارب الزمان وتقارب الأسواق إذ هى إشارة أو كناية عن تقدم وسائل الاتصال الحديثة والمعاصرة من برق وهاتف وتلكس.

وقدم الشيخ من النصوص ما تتضمن إشارات واضحة إلى أجهزة الصوت الحديثة مثل الميكروفون وجهاز التسجيل والراديو.

وفسر قول الله عزوجل ﴿.... وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ بحشرها فى أقفاص حدائق الحيوان، وفسر قوله تعالى: ﴿.... وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بأنها آبار البترول الكائنة فى باطن الأرض بحارا ممتدة، وتسجيرها أو حرقها داخل الأفران فى المصانع فى محركات القطارات والسيارات والماكينات وجميع الآلات والأجهزة التى تدور بمشتقات البترول.

وفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ بأنه قد حدث فى هذا العصر إذ نسفها الإنسان بالديناميت ثم حملها بالسيارات إلى خارج المدن وذلك لشق الطرق ونقب الأنفاق داخل الجبال.

ويؤكد الشيخ الغمارى صحة تفسيره هذا بقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى

تروا أمورا عظاما لم تكونوا ترونها وحتى تزول الجبال عن أماكنها»(١).

ففى هذه الرواية لهذا الحديث هذه الزيادة إذ من أعظم الأمور التى يصعب على غير أهل العصر أن يصدقها أن ينقل الإنسان الجبل ويحمله بعيدا عن مكانه.

كما يفسر الشيخ الغمارى أيضا قوله تعالى فى شرط آخر من أشراط الساعة الكبرى ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ بأن هذا الشرط قد تم وحدث الآن وانكدرت النجوم فلم يعد الناس فى المدينة المضاءة بالمصابيح الكهربائية الساطعة قادرين على رؤية النجوم، فقد انكدر ضوؤها بسبب الإشعاعات الصادرة من مصابيح المدينة.

كما فَسَّرَ الخبر الوارد عن مخاريق الدجال بقوله: للسماء أمطرى فتمطر، وللأرض انبتى فتنبت بأنه قد حدث بالمطر الصناعى وبالتقدم التقنى الزراعي.

وهكذا يمضى الشيخ الغمارى فى تقديم الأحاديث التى تحمل الإشارة الصريحة إلى بعض المخترعات العصرية كما يقدم الروايات التى تشير إليها أو يستنبط منها حدوث هذه المخترعات باعتبار أنها من .الامارات التى بين يدىْ الساعة :.

ثم ينتقل إلى المرويات الدالة على الأحوال الخلقية والدينية المنهارة مثل إخباره ﷺ بطغيان النساء(٢)، وخروجهن سافرات عاريات(٣) واتجارهن مع الرجال فى الدكاكين وهو شائع الآن.

كذلك ذكر الروايات المُخبرة عن كثرة الشرط لاعتماد الحكام على الشرطة فى زمن حكم الجبابرة، ثم انتقل إلى المرويات التى نبأت عن الأحوال السياسية والدولية للأمة، ويدلل على مطابقتها لما عليه هذه الأحوال(٤).

كذلك عقد الشيخ الغمارى فى كتابه فصلا للآثار الواردة التى تتحدث عن قيام دولة إسرائيل بمساعدة الأمم والشعوب الأخرى تحقيقا لقوله تعالى: ﴿... إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ وذكر أخبار تدل على قتال أهل مصر وأهل سوريا لليهود إشارة إلى حروب عام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣.

---

(١) المطابقة ص٨.
(٢) المطابقة ص٤٠.
(٣) نفس المصدر ص٤٢.
(٤) نفس المصدر ص٥٠.

ثم بعد ذلك عقد فصولاً للمرويات التى أنبأت عن التغيير الذى أصاب الأمة فى العادات، مثل تركهم للعمائم وذكر الأثر الوارد الذى قرن بين ترك الأمة للعمامة وضياع عزة الأمة وقوتها، وهو قول الرسول ﷺ: «العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها وضعوا عزهم»، وقد فعل المسلمون والعرب ذلك تقليدا أعمى للفرنجة المستعمرين فكان من علامات ضياع العِزّة بذوبان شخصية العربى الإسلامية فى الشخصية الغربية، وليس أكثر هوانا للمرء من ذوبان شخصيته فى غيره فما بالك إذا كان ذلك تقليدا لعدوه الكافر.

ثم عقد فصولاً لذكر المرويات التى تنبيء بإشاعة الزنا والمجاهرة به وعدم الحياء من مزاولته والإعلان عن ذلك كما جاء فى حديث رسول الله: «... فلا يستحى يومئذ من الزنا...»(١).

كذلك تعرض الشيخ للتغير الذى حدث فى النظام التربوى الإسلامى وقلدت فيه الأمة أهل الغرب وذكر المرويات التى نبأت بهذا.

ويستمر الشيخ فى عرض الفصول التى حاول خلالها المطابقة بين ما نبأت به النصوص وبين أحوال وأخلاق وأنظمة طرأت على حياة الأمة الإسلامية وحدثت كما نبأ بها رسول الله ﷺ.

كل هذا ليثبت أن البشرية دخلت عهد الأشراط العظمى، وأن الآيات العشر ستحدث بين يوم وآخر، وقد سجل هذا بالعبارة الصريحة بقوله: «وبهذا يعلم أن الساعة قريبة جداً، ولأن ظهور أشراطها الكبرى كالمهدى وعيسى عليهما السلام منتظر من يوم لآخر»(٢).

فالإنسان إذن يعيش الآن فجر عصر الآيات العشر، هذه الدعوى التى أعلنها الشيخ الغمارى من أخطر وأهم ما يمكن أن يتلقاه المسلم من أخبار، بل هو أخطر وأهم خبر تلقته الأمة بعد خبر وفاة رسول الله ﷺ، ولم يسبق الغمارى رحمه الله تعالى أحد من العلماء الذين صنفوا أو كتبوا فى أشراط الساعة إلى هذا الزعم الخطير، أو إلى إعلان هذا النبأ العظيم، كذلك لم يبرز هذا النبأ أحد بعده نقلا عنه وتأييدا له وتصديقا لدعواه.

---

(١) المطابقة ص٥٧.

(٢) المطابقة ص ٦٠ .

بل العجب كل العجب أن خبر هذه الدعوة لم ينتشر، وأن زعم الشيخ الغمارى لم يجد من الشيوع والتأثير فى أوساط العلماء والمؤمنين ما يستحقه، بالرغم من أن الشيخ رحمه الله تعالى قد أكد دعواه بكل صفحة، بل وبكل سطر، وكل كلمة فى كتابه، حتى أن القارىء المسلم المؤمن بنصوص الوحى قرآنا وسنة ليزداد قناعة وتصديقا لهذه الدعوى مع قراءة الكتاب وصفحاته، فيسلم معه بأن الدنيا قد آذنت بانتهاء وأن الأشراط الصغرى والوسطى قد تمت، وأن عصر الأمارات القريبة قد بدأ وأننا نعيش أوائل الساعة.

لذلك كله استحق الغمارى أن يكون رائداً فى علم الأشراط المعاصر بخلاف الكتب السابقة عليه، وبخلاف الكتب اللاحقة له، تلك التى ذكرت المرويات دون محاولة المطابقة بين ما أنبأت به من أحداث وأحوال وبين واقع البشرية الحديث والمعاصر، ومن حاولوا عقد بعضا من هذه المطابقة ممن جاءوا بعده، كانوا ناقلين عنه مقلدين، ولم يعلنوا دعوى بدء عصر الأشراط، وأوائل الساعة صراحة كما فعل الشيخ رحمه الله تعالى.

ومن ثم تتضاءل جميع الكتب والمؤلفات والأسفار التى كتبت عن الأشراط فى هذا العصر أمام كتاب الشيخ الغماري. رحم الله تعالى الشيخ الغمارى رحمة واسعة لريادته لعلم الأشراط المعاصر، ولاعتباره أول من كتب منبها إلى قرب دخول عصر المهدى والدجال ونزول المسيح عليه السلام، ومعلنا بدء عصر الأشراط الكبرى ومجيء أوائل الساعة، ومنذراً بقرب انتهاء أجل البشرية، وأى نذير أخطر من هذا النذير؟

ولكن بالرغم من عظمة النبأ الذى ألقاه إلى الأمة، ووضوح الدعوى التى أعلنها، وقوة الأدلة التى قدمها، إلا أن القليل جدا من المسلمين هم الذين انتفعوا بكتابه الرائد، إذ لم يكتب لكتابه الشيوع والانتشار، ربما لأن قوى الشر والطغيان وحزب الباطل عملوا على حصر الكتاب وحبسه فى أضيق الحدود، كما هو ديدنهم دائمًا حيال ما يخص نشر الحق وبيانه وتبليغه صدًا منهم عن دين الله عزوجل.

وسنرى بعد مدى الأثر الذى أحدثه كتاب الشيخ رحمه الله تعالى فيمن كتبوا عن الأشراط من بعده.

الفصل الثامن
كتاب الشيخ حمود بن عبدالله التويجري «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة»

٤٠ ـ خطة الشيخ التويجرى فى كتابه.

٤١ ـ ترتيب الامارات والآيات عند التويجرى.

٤٢ – تأثر الشيخ التويجرى بالشيخ الغمارى رحمهما الله فى بعض المطابقات.

(٤٠) خطة الشيخ حمود بن عبدالله التويجرى فى كتابه.

الشيخ حمود بن عبدالله التويجرى رحمه الله من العلماء السعوديين المعاصرين، ولد رحمه الله تعالى عام ١٣٣٤هـ وتوفى عام ١٤١٣هـ.

ويعتبر كتابه(١) هذا سفراً فى بابه إذ هو من **أوسع الكتب المعاصرة** فى ميدانه، بل هو فى الحقيقة ثلاثة كتب:

الأول: هو كتاب الفتن.

الثاني: كتاب الملاحم.

الثالث: كتاب أشراط الساعة.

ويقع هذا السفر فى ثلاثة مجلدات شغل كتابا الفتن والملاحم المجلد الأول، واستقل كتاب أشراط الساعة بالمجلدين الثانى والثالث.

ومن ثم فإن المجلدين الثانى والثالث من هذا الكتاب يتناولان موضوع الأشراط تفصيلا.

وعلى هذا فإن خطة الشيخ فى هذا السفر تتميز عن خطط ومناهج السابقين بالفصل والتمييز بين الفتنة والشرط من ناحية، وبالفصل والتمييز بين الملحمة والشرط من ناحية أخرى، وهذا الفصل بين هذه الثلاثة: الفتنة، والملحمة، وشرط الساعة، ليس بالهين فهو أمر صعب، لأن هذه الثلاثة من الأمور المتداخلة إلى حد كبير سواء فى المفهوم أو فى النصوص، إذ نجد أن أكثر الملاحم من الفتن، وهى فى نفس الوقت من الأشراط، كما أن كثيرا من الأشراط فتن أيضًا.

لقد بدأ الجزء الأول من الكتاب ببعض الموضوعات المنهجية التى تعتبر من قواعد المنهج السلفي، فجعل الباب الأول فى وجوب الإيمان بما صح عن النبى ﷺ، أنه أخبر بوقوعه أى أن المؤمن الحق يصدق بوقوع كل ما أخبر النبى ﷺ أنه سيقع، وأن بعض ما أخبر به وقع خلال القرون الهجرية الماضية، وما لم يقع حتى الآن، سيقع حتما بإذن الله تعالى، ما دام قد أخبر بوقوعه الصادق المصدوق ﷺ.

---

(١) الطبعة الثانية ١٤١٤ دار العفيفى بالرياض.

وأن ما وقع مما أخبر به رسول الله ﷺ هو من أعلام نبوته ودليل على صدق رسالته، ودليل أيضا على أن ما أخبر به، ولم يقع بعد، سيقع بإذن الله تعالى فى المستقبل، وأنه ﷺ قد أخبر بما كان وبما سيكون من بعده إلى قيام الساعة.

ومن منهج السلف والمحدثين أن الآثار المخبرة عن أشراط الساعة وأنباء المستقبل وسائر الغيبيات أو السمعيات مقبولة ولو لم تكن متواترة لأن السلف اعتمدوا أخبار الآحاد ولم يجحد أخبار الآحاد إلا الزنادقة وأهل الأهواء وزعماء الفرق الغالية.

ويذهب فى هذا الشيخ التويجرى رحمه الله تعالى إلى حد تكفير من يجحد ما ثبت بخبر الواحد العدل.

كما أنه ينهج فى كتابه نهج المحدثين فى قبول الخبر الضعيف ما دام فى الصحيح ما يناظره فى المعنى فيقويه.

كذلك يرى الشيخ أن مطابقة الواقع للأخبار الضعيفة يقويها ويدل على صحتها فى نفس الأمر.

ويعتبر كتاب الفتن عند الشيخ رحمه الله تعالى من أوسع كتب الفتن المعاصرة ومن أحسنها تبويبا وتخطيطا، وهذا الكتاب جامع لأكثر ما جاء فى كتاب الفتن السابقة وبمنهج المحدثين الذى يأتى بالخبر وبمصادره ويبحث فى سنده من حيث القوة والضعف وأقوال أهل الجرح والتعديل فى رواته.

ويمكن أن نستنبط مفهوم الفتنة عند الشيخ بأنها النزاع بين طائفتين أو أكثر من المسلمين، يصل إلى حد القتال بالسلاح وإراقة الدماء، وهو نفس مفهوم الشيخ الدانى رحمه الله تعالى، ولذلك اشتمل كتاب الفتن على بعض الأبواب المتضمنة للنصائح الواجب اتباعها اتقاء للفتن وللتحذيرات من الوقوع فيها: إن بالفعل وإن بالقول، وإن بالرضى القلبي، وحتى ببيع السلاح، إذ يعد هذا كله اشتراكا فى الفتنة.

ثم استعرض الشيخ بعض الفتن التى حدثت فى عهد الصحابة ابتداء من فتنة

قتل عثمان رضى الله عنه، ثم وقعة الجمل، ثم وقعة صفين وقتل عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما.

ثم ذكر ما جرى على يد الحسن بن على رضى الله عنهما من تسكين للفتنة حين بايع معاوية فى عام الجماعة.

ثم أورد الشيخ بعض الفتن التى حدثت فى زمن الأمويين مثل مقتل الحسين رضى الله عنه، ثم فتنة الحجاج وقتل عبدالله بن الزبير رضى الله عنه وعن أبيه.

ثم ذكر الفتن العامة التى ألمت بالأمة حين افترقت إلى فرق كثيرة نبأ الرسول ﷺ عنها، وأنها ستكون اثنتين وسبعين فرقة، كلها على ضلالة إلا واحدة تظل ظاهرة على الحق.

فذكر من أخبار الفرق: الخوارج والروافض والنواصب ثم القدرية والمرجئة ثم أخبار أهل الرأى والقياس، وما أخبر به النبى ﷺ عن الأئمة المضلين.

بيد أن الشيخ رحمه الله تعالى لم ينس بعد ذكر هذه الأخبار التى نبأت عن الفرق الضالة فى تاريخ الأمة أن يبرز ميزة الأمة الإسلامية التى تنفرد بها، وهى أن الأمة لا تجتمع على ضلالة فعقد لهذا بابا خاصا، أردفه بباب عن وجود طائفة ظاهرة منصورة فى الأمة إلى أن يأتى أمر الله تعالى، كما أتى بالأخبار التى نبأت ببعث مجددين للأمة على رأس كل قرن.

وتذكرنا خطة الشيخ هذه بخطة أبى عمرو الدانى فى كتابه «السنن الوادرة فى الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها» حيث نجد التشابه بينهما كبير، بل إن كثيراً من الأبواب والنصوص التى وردت فيها تكاد تكون متطابقة فى الكتابين وتحت عناوين متشابهة فى اللفظ أو متفقة فى المعنى.

وأهم الموافقات بين السفرين: سفر الدانى وسفر التويجرى هو احتواء كل منهما على كتب ثلاثة رئيسية هي: الفتن، والملاحم، والساعة وأشراطها على النحو التالي:

١ - في كتاب أبي عمرو الداني تضمنت الأجزاء الأول والثاني والثالث مواضيع الفتن العامة منها والخاصة، أي التي تخص أحداثا معينة وتعتبر في نفس الوقت من أشراط الساعة.

وكذلك الحال عند الشيخ التويجري إذ استغرق كتاب الفتن عنده معظم صفحات المجلد الأول، وقد ضمت هذه الصفحات الطوال مواضيع عامة وخاصة عن الفتن تشابهت نصوصهما وعناوينهما في السفرين.

٢ - شغل الداني الجزء الرابع بأخبار الساعة وأشراطها، وهو يقع في أقل من ثلاثمائة صفحة.

أما كتاب أشراط الساعة عند التويجري فقد استغرق الجزء الثاني كله ويقع في ٤٢٥ صفحة وكذا ٢٢٥ صفحة من الجزء الثالث.

أما الشيخ التويجري رحمه الله تعالى فقد خصص كتابا للملاحم لم يشغل سوى خمسين صفحة لم يجعل من بيهما ملحمة السفياني والمهدي وملحمة الدجال ويأجوج ومأجوج، إذ وضعها مع الفتن، وأهم ما جاء في هذا الكتاب عنده ملحمة الروم وفتح قسطنطينية ورومية.

فالشيخان متفقان إذن في الأقسام الرئيسية لسفريهما فتن وملاحم وأشراط الساعة، وهذا التقسيم عندهما كما ذكرنا من قبل ليس بالأمر السهل لأن هذه الثلاثة من الأمور التي يصعب الفصل بينها، فكثير من الفتن والملاحم هي من أشراط الساعة التي ذكرها النبي ﷺ، باعتبارها أحداثا أو أحوالا ستحدث قبل الساعة أو بين يديها.

كذلك يمكن القول إن كل ما أخبر النبي ﷺ بوقوعه بعد وفاته، هو من الأشراط سواء كان من الفتن أم لا، وسواء كان من الملاحم أم لم يكن.

وهذا التقسيم الذي وجدناه عند الداني رحمه الله تعالى وتأثر به الشيخ التويجري رحمه الله تعالى حرمهما من إمكانية أو محاولة مطابقة ترتيب المواضيع أو الفتن أو الملاحم والأحداث السابقة للساعة بحسب توقع حدوثها في الزمان، ومن ثم

فَقَدَا أهم الأهداف التى يمكن أن يسعى إليها ويتوخاها من يتصدى للكتابة فى أشراط الساعة.

إن الفصل الذى حدث عندهما فى هذه الثلاثة بالرغم من تداخلها أبعدهما عن مطابقة الأخبار بالأحداث الأول فالأول على النحو الذى برز واضحا وبنجاح وتوفيق عند الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى.

ولا شك أن الكتابة فى أشراط الساعة والفتن التى بين يديها والملاحم التى تسبقها على طريقة المحدثين القدماء التى لا تميز فيها بين متقدم ومتأخر، ولا عناية فيها للتمييز بين الأحداث الحاضرة والمتوقعة فى المستقبل وبين ما ورد فى نصوص الوحى عن الأشراط، أقول إن الكتابة بهذا المنهج القديم هو من الأعمال التى لا فائدة جديدة للأمة فيها، لأنها تكرار لما هو مكتوب، ومسجل ومطبوع ومتداول بين الناس، وإذا كانت البشرية تعيش فى هذا العصر الغرائب والعجائب والأمور العظام، فإن أهم أهداف علم الأشراط هو، بلا جدال، المطابقة، الأمر الذى يجعل كتاب الغمارى رائدا متقدما فى ميدانه على كتاب الشيخ التويجرى رحمهما الله تعالى.

والخلاصة أن التقسيم الموضوعى الذى التزمه الشيخ التويجرى فى كتابه، منعه من محاولة تخطيط كتابه بحسب الترتيب الزمن الكامل، ومع هذا لم يخل كتاب الأشراط الذى يقع فى مجلدين من ترتيب موضوعى وترتيب زمنى فى آن واحد تمكن الشيخ رحمه الله تعالى من الجمع بينهما بتوفيق من الله عز وجل.

ذلك لأن هدف الشيخ الأول هو فيما يبدو الرد على منكرى بعض الغيبيات الأحداث التى نبأت بها الأحاديث.

فأفرد صفحات طوال للرد على منكرى عودة الخلافة الراشدة على يد المهدى عليه السلام، وعلى منكرى الدجال وعلى منكرى نزول المسيح عليه السلام، وهو يذهب إلى حد تكفير هؤلاء المنكرين.

أما الجانب الموضوعى فى خطته لكتاب الأشراط فيتمثل فى جمع النصوص التى تنبىء عن أشراط الساعة على أساس الموضوع فجعل الأحوال الدينية للمسلمين

وما يصيب هـذه الأحوال من الـتغيـر فى عدة أبواب متتالـية، مثـل ما جاء فـى دعاة الضلالة وإقبال الدين وإدباره، وما جاء فى غربة الإسلام، وما جاء فى ضعف الإيمان.

ومثل ما كتبه عن بعض الأبواب فى موضوعات أخلاقية مثل تضييع الأمانة أو رفع الأمانة والحياء ثم رفع الجهاد وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم جمع النصوص الخاصة بالأحوال العلمية للأمة وما يصيب العلماء من فتن.

ثم انتقل إلى الأحوال الاقتصادية فعرض فى عدة أبـواب فتنة المال وما سيصيب الناس فى فتنته كأكل الحرام والربا وفشو التجارة، وإتجار النساء مع الرجال.

ثم انـتقل إلـى فتـنة المرأة بـالرجل والـرجل بالمرأة وما يصـيب هـذه العلاقـة من انحرافات والإعلان عن الزنا والدعوة إليه وهو مـن الأشراط القريبة من الساعة والتى تحدث فى آخر الزمان.

ثم انتقل إلى عرض بعض الأشراط فـى الجانب العمرانى فأتى بالـنصوص التى تحدثت عن التطاول فى البنيان ونقشه وزخرفة المساجد وعمارة مكة وعمارة المدينة.

ثم عرض لأحداث متفرقة مثل ظهور معـادن جديدة وحسر الفـرات عن جبل من ذهب وفيضان المال وكثرة القتل وكثرة الزلازل والخسف والمسخ.

(٤١) ترتيب الامارات والآيات عند التويجري:

١ ـ ذكر الخسوف الثلاثة: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب.

٢ ـ ثم المهدى وأخباره وصفاته وبيعته.

٣ ـ ثم القحطانى ثم الجهجاه.

٤ ـ ثـم بـدأ بالكلام عن الدجال وقد استغـرق موضوع الدجال فى كتـابه قرابة المائتى صفحة، وهذا موافق لما جاء عنه من أنه أعظم الفتن منذ آدم إلى قيام الساعة.

٥ ـ ثم ذكـر أبوابًـا عن نـزول المسيح عليـه السلام والأخبار التى جـاءت عنه فى السنّة.

٦ - ثم عرض أبوابا للنصوص الخاصة عن **خروج يأجوج ومأجوج** ذكر فى آخرها باب فى أقوال المعاصرين فى يأجوج ومأجوج والرد عليهم.

٧ - ثم ذكر نصوص **خروج الدابة**.

٨ - ثم ما جاء فى **الدخان**.

٩ - ثم ما جاء فى **طلوع الشمس من مغربها**.

١٠ - ثم عرض بابًا فى **رفع رؤيا** النبى ﷺ فى آخر الزمان.

١١ - ثم ما جاء فى **ترك تعظيم الكعبة المشرفة**.

١٢ - ثم ما جاء فى **ترك الحج**.

١٣ - ثم ما جاء فى **رفع الحجر الأسود**.

١٤ - ثم ما جاء فى **استحلال البيت وهدم الكعبة**.

١٥ - ثم ما جاء فى **رفع القرآن**.

١٦ - ثم ما جاء فى **دروس الإسلام**.

١٧ - ثم ما جاء فى **هبوب الريح الطيبة**.

ثم عرض أبوابا لأشراط أخرى تنبيء عن أحوال الأشرار الذين تقوم عليهم الساعة، ثم ذكر النصوص الخاصة بقيام الساعة والحساب والجنة والنار لا يهمنا هنا ذكر تفاصيلها.

ولا شك أن هذا الجزء من الأشراط قد عمد الشيخ التويجرى إلى ترتيبه بحسب وقوع أحداثه فى الزمان، ليس فقط بالنسبة للآيات العشر بل كذلك بالنسبة للأشراط المعاصرة لها والتى ليست من الآيات وإنما هى مصاحبة لها فرتب الآيات كالتالى :-

١ - خسف المشرق. ٢ - خسف المغرب.

٣ - خسف جزيرة العرب. ٤ - الدجال.

٥ - نزول المسيح عليه السلام. ٦ - خروج يأجوج ومأجوج.

٧ ـ الدابة. ٨ ـ الدخان.

٩ ـ طلوع الشمس من مغربها.

أما الأشراط المصاحبة لها فأهمها المسخ والقذف والزلازل وجعلها أسبق من المهدى ثم المهدى والقحطانى والجهجاه وهؤلاء جميعا قبل خروج الدجال عنده، وهذا مما انفرد به عن علماء سابقين عليه.

بيد أنه اتفق معهم جميعا على أن الدجال ثم المسيح عليه السلام ثم يأجوج ومأجوج آيات متتاليات تحدث فى الواقع بحسب هذا الترتيب.

كذلك اتفق مع العلماء على أن الآيات الثلاث الشمس والدابة والدخان تلى الثلاثة السابقة لكنه انفرد بتقديم الدابة وتأخير الشمس من مغربها ولا بأس فى ذلك لأن النصوص دلت على حدوث الثلاثة فى يوم واحد.

كذلك انفرد الشيخ عن سابقيه من العلماء فى ترتيب العلامات من العاشر حتى السابع عشر، وهو موفق فى هذا إلى حد بعيد، وهذا الترتيب يدل على نضج علم الأشراط واقتراب قضاياه من صورها الصحيحة القريبة من الواقع.

بيد أن الشيخ التويجرى رحمه الله تعالى قد فاته أن يسجل النار التى تخرج من قعر عدن باعتبارها آخر الآيات بالرغم من أنه رفض كونها فتنة وقد نص حديث الآيات على أنها آخر الآيات.

(٤٢) تأثر الشيخ التويجرى بالشيخ الغمارى رحمهما الله فى بعض المطابقات:

كذلك يحق لنا أن نسجل تأثر الشيخ التويجرى بالشيخ الغمارى فى بعض أبواب كتابه أو توافقه معه فيما أقره من مطابقة بعض الأخبار الواردة فى السنن مع الواقع التقنى والصناعى الحديث والمعاصر، وذلك واضح فى باب ما

جاء فى تقارب الزمان والأسواق فقد فسر الشيخ التويجرى تقارب الزمان بأنه إشارة إلى وسائل الركوب الأرضية والجوية بما عرف بعصر السرعة، وكذلك تقارب الأسواق باختراع الآلات الكهربائية الخاصة بالاتصالات التى جعلت تبادل المعلومات فورى ووقتى مما جعل الأسواق كأنها فى بقعة واحدة من الأرض، وقد حدد الشيخ التويجرى مظهر هذا التقارب فى الأسواق فى ثلاثة أوجه:

الأول: سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه.

الثاني: سرعة السير من سوق إلى سوق ولو كانت بعيدة عنها.

الثالث: مقاربة بعضها بعضا فى الأمصار واقتداء بعض أهلها ببعض فى الزيادة والنقصان.

ولم تكن تلك النتائج لتتم لولا وسائل الاتصال ووسائل الانتقال والنقل المعاصرة.

كذلك أردف الشيخ التويجرى هذا الباب بباب يتصل بوسائل المواصلات والنقل والركوب الحديثة والمعاصر تحت عنوان باب ما جاء فى ترك السفر على الإبل، وقد رجح التويجرى سبب الترك باستخدام هذه الوسائل الصناعية المعاصرة، وهذا وذاك مما سبق به الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى.

كذلك أورد بعد هذا الباب بابا بعنوان ما جاء فى الأمور العظام بين يدى الساعة، وذكر أحاديث الرسول ﷺ التى ذكرها الشيخ الغماري.

ولكن نظرا لأن الشيخ التويجرى لم يذكر كتاب الشيخ الغمارى كمرجع له فى هذه الأبواب فقد وضعنا احتمال توافق أفكار ومفاهيم الشيخين حول هذه الأحاديث ومطابقتها للواقع المعاصر، وهذا غير مستبعد بالرغم من أنه قد ثبت أن الشيخ التويجرى قد قرأ كتاب الغمارى رحمهما الله وانتقده فى موضع من المواضع

وعقد لـه فصلا خاصـا بدون عنوان قـال فيه: وسلـك أحمد بن مـحمد بن الـصديق الغماري في كتابه مطابقة الاختراعات العصـرية لما أخبر به سيد البرية مسلكا آخر في قيام الساعة، فزعم أن قيامها يكون بسبب القنابل الذرية والهيدروجينية[1].

وقد نقض الشيخ التويجري هذا القول للشيخ الغماري بالرغم من أن الشيخ الغماري لم يقطع به ولم يقل إن قيام الساعة سيكون بانفجار القنابل النووية وإنما قال إنه إذا حدث فقد يكـون من أشراط الساعة أي من الأحداث التي تسبـق قيامها وتدل علـى قربها وهـي أن يجعـلها الله تعـالى حصـيداً بعد أن كـانت عامـرة غنية مـزدهرة بالأمس.

وهذا المعنى الاحتمالي لا يستطـيع الشيخ التويجـري أن يقطع بنفيـه، كما لم يقـطع الشـيخ الغـماري بإثـباتـه وحتمـية وقوعـه، لأن بعض الامـارات أي الأشراط العـظمى من فـعل الناس مـثل الدجـال ويأجوج ومأجـوج، وقوله تعـالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ قد لا يكون عن قيام الساعة بـل عن الخسوف الثلاثة التي هي ثلاث من الآيات.

وليس في كتاب الشيخ الغماري رحمه الله تعالى أي عبارة تدل على أن قيام الساعـة يكون بفعـل الإنسان وليس فـيه ما يدل عـلى استبعـاد الصور والنفـخ فيه أو تأويله، ومع هذا فقد قال الشيخ التويـجري في هذا: الوجه الثالـث: (أي خراب الدنيا بأسرها وقيام الساعة لا يكون على أيدي بني آدم بتـفجير القنابل القوية المفعول كما قد توهمه الغماري ...).

والحق أن الـقارىء لكـتاب الغـماري رحمه الله وكـذلك للعبـارة التي أوردها عنه الشيخ التويجري رحمه الله لا يجد فيه ما يدل على هذا الاتهام.

ولا يبرر هذا العبارات القاسية التي وجههـا الشيخ التويجري إلى الشيخ الغماري رحمهما الله تعالـى بقوله: (... لا يقول ذلك من له أدنى مسكة مـن عقل، وإنما يقوله

---

(1) اتحاف الجماعة ج ٣ ص ٢٧٤.

لمعتوهون الذين يتكلمون فى أمور الكون من غير شعور)[1].

مما لا شك فيه أن لكل عالم زلة، وللشيخ الغمارى رحمه الله تعالى بعض المطابقات القليلة التى لم يوفق فيها والتى هى من قبيل الاجتهاد الخطأ الذى سيثاب عليه أجرا واحداً بإذن الله تعالى، لكن له الكثير من المطابقات التى سيثاب عليها بإذن الله تعالى أَجْرَان، وقد أخذها عنه الشيخ التويجري[2]، أو لعله توافق معه والله أعلم.

ولكن أهم الموضوعات فى كتاب الشيخ التويجرى على الإطلاق هو موضوع الدجال.

فقد بدأ الحديث عن المرويات التى حملت أخبار الدجال من صفحة ٣٢٢، إلى آخر الجزء الثانى أى إلى صفحة ٤٢٥، ومن صفحة ٥ من الجزء الثالث إلى صفحة ٩١ منه، أى أن فتنة الدجال وحدها شغلت من هذا السفر أكثر من ١٩٠ صفحة، وهذا الحجم يناسب ما ورد عنها من أنها أعظم الفتن فى تاريخ البشرية قاطبة، كما أنه يناسب ما حملته السنة من آثار كثيرة عنه تحذيرا وبيانا لفتنته.

وهذا مما تفرد به كتاب التويجرى بين سائر كتب الفتن القديمة والمعاصرة بلا شك، فهى ميزة من مميزاته التى تعطى سفره أهمية قصوى بين الكتب المعاصرة فى موضوع الأشراط والفتن والملاحم.

رحم الله الجميع، وجزاهم عن أمة الإسلام خير الجزاء.

---

(١) اتحاف الجماعة ج٣ ص٢٧٦.

(٢) من غير أن يشير إلى ذلك.

الفصل التاسع

الشيخ أبوبكر الجـزائـرى ورســالتاه: اللقطـات فـى بعض ماظهر للساعة من علامات، والأحـاديث النبوية الشريفة فـى أعاجيب المختـرعـات الحـديثـة

٤٣ ـ الشيخ أبوبكر الجزائرى ورسالتاه.

(٤٣) الشيخ أبوبكر الجزائرى ورسالتاه «اللقطات فى بعض ما ظهر للساعة من علامات» و«الأحاديث النبوية الشريفة فى أعاجيب المخترعات الحديثة»[1]:

من الواضح أن الشيخ الجزائرى قد نهج فى هاتين الرسالتين نهج الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى وبخاصة ما كتبه فى الرسالة الخاصة بأعاجيب المخترعات الحديثة إذ يناظر هذا العنوان ويطابقه فى المعنى وفى بعض الألفاظ عنوان كتاب الشيخ الغمارى «مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به خير البرية».

وكما بدأ الشيخ الغمارى كتابه بذكر تساؤل المسلمين فى عصر الأمور العظام: هل أخبر النبى ﷺ عن هذه الأمور؟ كذلك بدأ الشيخ الجزائرى بهذا الحديث وبنفس الشرح الذى جاء فى كتاب الغماري.

ثم تحدث عن الأحاديث التى أشارت إلى وسائل الركوب الحديثة فذكر قول النبى ﷺ: «سيكون فى أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال.. إلخ»، ويعقب بشرح لهذا الحديث مماثل تماما لشرح الشيخ الغماري.

ثم ذكر ما ورد من أحاديث نبوية تشير إلى المذياع أو الراديو وهو مطابق فى شرحه وفهمه وفى مطابقته لما جاء عند الغمارى بهذا الصدد.

وهكذا يذكر الشيخ الجزائرى فى كل موضوع نفس الأحاديث ونفس الشرح الذى يبين وجه المطابقة بين ما يدل أو يشير إليه النص الشريف وبين ما يقابله من المخترعات الحديثة.

فذكر تقارب الأسواق وسرعة النقل الأمر الذى يشير إلى اختراع البرق والهاتف والتلكس وغير ذلك، وهو عنده كما جاء عند الغمارى رحمه الله أيضًا.

حتى يمكن القول إن رسالتىْ الشيخ الجزائرى ليستا سوى ملخص لبعض أبواب كتاب الشيخ الغمارى رحمه الله من غير أن يشير إليه من قريب أو من بعيد.

---

(١) نشر مطبعة الكليات الأزهرية القاهرة ١٤٠٣هـ.

هذا كله يؤكد مـا سبق أن ذكرنـاه عن أهميـة كتاب الشـيخ الغمـارى رحمه الله تعالى ومدى تأثيره فى غيره من المعاصرين وتأثرهم به دون أن يبلغوا أهميته أو شمول نفعه وعموم أهدافه.

لقد توخى الشيخ الغمارى رحمه الله تعالى من كـتابه إثبات دخول البشرية عصر أوائل الساعة وبدء الأشـراط العظمى أى أماراتها وقرب حدوث الآيـات العشر التى تسبقها مباشرة علاوة على ما يتحقق فى نفس القارىء نتيجة إثبات صحة وحدوث ما أخبر به رسول الله ﷺ بمنهج المطابقة الذى اتبعه.

بيد أن الشيخ الجزائرى لم يبرز هدف الغمارى العام فى رسالتيه، وإنما توخى الهدف الثانى وأبرزه أكثر من الأول.

وإرجاعا للفضل إلى أهله رأيت وجوب التنويه إلى ريادة الشيخ الغمارى فى هذا المضمار وأسبقيته إلى الشروح التـى أدت إلى المطابقة، والتى أرى أنها فتح من الله تعالى مَنَّ به عـليه رحمه الله، فأخذ كثير مـن المعاصرين منه وتأثروا بما قـدمه من فهم جديد لنصوص شريفـة كثيرة، فطابق فهمه لها الواقع الحضـارى والصناعى والخلقى الذى تعيشه البشـرية الآن، ولكن أحداً ممَّنْ قرأْتُ لهم ممَّنْ ثبت أنـهم نقلوا عنه لم ينسـبوا له ما جـاء به من شروح وتـفسير يـؤديان إلى المطـابقة، وكان الأجـدر بهؤلاء الناقلين أن يرجعوا الفضل إلى أهله.

الفصل العاشر

الخطة وتقسيم الأشراط في كتاب أشراط الساعة للأستاذ يوسف الوابل

٤٤ ـ الخطة وتقسيم الأشراط عند يوسف الوابل

(٤٤) الخطة وتقسيم الأشراط عند يوسف الوابل

الكتاب المذكور رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة التخصص الأولى (الماجيستير) من جامعة أم القرى .

قدم المؤلف أشراط الساعة فى بابين:

الأول: فى الأشراط الصغرى.

والثاني: فى الأشراط الكبرى.

ومهد للبابين بعدة مباحث عن اليوم الآخر، ويوم القيامة، وعلم الساعة ، وقرب قيام الساعة وأشراط الساعة، وأقسامها فقال فى هذا الموضوع الأخير: تنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

١- أشراط صغرى:

وهى التى تتقدم الساعة بأزمان متطاولة وتكون من النوع المعتاد، كقبض العلم وظهور الجهل، وشرب الخمر، والتطاول فى البنيان ونحوها، وقد يظهر بعضها مصاحباً للأشراط الكبرى أو بعدها.

٢- أشراط كبرى:

وهى الأمور العظام التى تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع كظهور الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها.

وقسم بعض العلماء أشراط الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم ظهر وانقضى.

٢- قسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر.

---

(١) يوسف الوابل/ أشراط الساعة ، دار ابن الجوزى الدمام ١٩٩٠،ص٧٧،٧٨.

٣- قسم لم يظهر إلى الآن.

فأما القسمان الأولان فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأما القسم الثالث فيشترك فيه الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى[١].

وأول ما يلفت النظر فى الأساس الذى بنى عليه تصنيف الأشراط إلى اثنين: صغرى وكبرى، أو إلى ثلاثة: ما انقضى، وما هو مستمر، وما هو فى المستقبل ، هو أن هذا الأساس هو الزمان، أى أنه بالتحديد موقع الشرط أو الحدث فى الزمان ليس بالنسبة للساعة قرباً وبعداً ولكن بالنسبة للمؤلف، ولقد أثبتنا أن أول من نهج هذا النهج هو البرزنجى رحمه الله فى الإشاعة فى أشراط الساعة.

أما الصغرى عنده فهى ما سبقت أو ستسبق الساعة بأزمان متطاولة، والكبرى هى التى تظهر قرب قيام الساعة.

ليته التزم هذا الأساس فى التصنيف إذاً لصار على تصنيف أكثر العلماء ومنهم البرزنجى رحمه الله صاحب التصنيف الثلاثى الذى أورده الباحث وسبق أن عرضناه لكن الباحث وقع فى خطأ فادح كان له أثره المستمر سلباً على خطته كلها.

ويتمثل هذا الخطأ فى اعتماده بجانب هذا الأساس للتصنيف أساساً آخر أدخله مع الأول ربما دون أن يدري، وصنف الأشراط وقسم الأبواب والفصول فى خطته بحسب هذا الأساس تارة، وذاك أخرى وبحسب الأثنين أحياناً.

وهذا خطأ منطقى أدت إلى تناقضات فى الخطة وفى التصنيف مما أورثت فى ذهن القاريء لبساً فى مفهوم الأشراط وتعريف الصغرى، والكبرى منها، وهذا اللبس موجود أساساً فى ذهن الباحث ولم ينتبه إليه، وكذا غفل عنه أساتذته الذين أشرفوا عليه وناقشوا البحث، ولم ينتبهوا له، مع احترامنا للجميع، ودعائنا لهم بخير الجزاء.

وقد ظهر هذا التناقض فى النص المذكور آنفاً والمنقول عنه، فبعد أن ضرب الأمثال للأشراط الصغرى التى تسبق الساعة بأزمان متطاولة حسب تعريفه لها إذا به يقول (وقد ظهر بعضها مصاحباً للأشراط الكبرى أو بعدها..).

فبعد أن عرف الصغرى بأنها التى تسبق الساعة بأزمان متطاولة رجع وقال إن بعض هذه الصغرى قد يظهر مصاحباً لـلكبرى أو بعدها، والكبرى عنده هى الأمور العظام التى تظهر قرب قيام الساعة.

أليس هذا تناقضا واضحا صريحا ومخالفاً للتصنيف أو التقسيم الذى اعتمده، وألا يدل على أن اللبس واقع فى ذهن الباحث؟

إذ كيف تكون بعض الأشراط الصغرى معاصرة للكبرى أو حتى تظهر بعدها فتكون الصغرى أقرب للساعة من الكبرى وإذا كانت بعض الأشراط كبرى لمجرد أنها أمورٌ عظام أفلا يكون بعض الأشراط التى وقعت فى عهد الصحابة رضى الله عنهم من الكبرى لحملها هذا الوصف.

أليس موت رسول الله ﷺ حدثاً جللاً ومصيبة عظمى لم تصب الأمة بمثلها؟

أليس فتح بيت المقدس أعظم إنتصارات الأمة وأكبر فتح إسلامي؟

أليس سقوط الأندلس والقضاء على المسلمين فيها أمراً عظيماً ومن أعظم وأكبر الفتن؟

إن كثيرا من الأشراط التي هي بعيدة عن الساعة هي من الأمور العظام فكيف تقول عنها صغرى لأنها بعيدة عن الساعة بزمان طويل؟ ومن ناحية أخرى تكون كبرى لأنها من الأمور العظام؟

إن الخطأ عند الباحث يكمن فى جعله أساسين للتصنيف وليس أساساً واحداً وهو خطأ منطقي انسحب على خطته كلها وعلى تقسيمه للأشراط من أول الكتاب إلى آخره.

أما أساسا التصنيف الذى اعتمدهما الباحث فقد ذكر الأول صريحاً وأدخل الثاني معه ضمناً.

أما الأول فهو البعد أو القرب الزمنى من الساعة فجعل البعيد عنها فى الزمان من الصغرى، وما كان مباشراً وقريباً من وقوعها هو الأشراط الكبرى.

أما الثانى : فهو عظمة الحدث فى ذاته ومخالفته للسنن، لقد قال فى الصغرى أنها التى تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، ولو اقتصر على هذا لما حدث اللبس ولكنه عاد وأضاف إلى هذا الأساس الأول لتصنيفه أساساً آخر بقوله: وتكون معتادة الوقوع، ومن ثم تكون الكبرى عنده غير معتادة الوقوع، وزاد عليها أنها تكون من الأمور العظام، واشترط أيضاً أن تكون قبل الساعة بزمن يسير.

ومعلوم منطقيا أن أى تصنيف يقوم على أكثر من أساس للتصنيف فهو تصنيف فاسد، ذلك أن بعض الأشراط والأحداث موافق للسنن ومن النوع المعتاد، وهو فى نفس الوقت، يقع قبل الساعة بزمان يسير جداً، وكذلك نجد أن بعض الأشراط هو من الأمور العظام وليست معتادة وبعيدة عن الساعة بأزمان متطاولة.

فكيف تصنف هذه أو تلك ؟

لقد كان من نتيجة هذا أن الباحث لم يستطع أن يدخل بعض الأشراط القريبة جداً من الساعة فى الكبرى، لأنها من الأمور المعتادة، وليست من الأمور العظام على حد تعبيره، ووضعها فى قسم الأشراط الصغرى فتناقض مع تقسيمه حسب الأساس الأول للتصنيف، واقتصرت الكبرى على الآيات العشر فقط، فلم يسجل فى قسم الكبرى غيرها، فى الوقت الذى أثبت فيه من الأمور العظام وغير المعتادة والقريبة جداً من الساعة بل أقرب إليها من الكبرى فى قسم الصغرى.

لقد جعل الباحث كل الأشراط الواردة فى السنة من الصغرى ما عدا الآيات العشر فهى وحدها الكبرى عنده وزاد عليها المهدي، ولقد علمنا أن الآيات العشر هى من الأمور العظام والمخالفة للسنن وهى تسبق الساعة بزمن يسير كما دلت على ذلك الأخبار والآثار باتفاق العلماء.

لكن هذه الآيات تتخللها علامات كثيرة جداً هى من الكبرى لأنها من أمور عظام ولقربها أيضاً من الساعة ومنها المهدي، ومنها قتال اليهود، ومنها فتح رومية، ومنها كلام السباع والجمادات للأنس، ومنها ظهور الخسف والمسخ والقذف، ومنها كثرة النساء وقلة الرجال حتى تصل نسبة النساء إلى الرجال ٤٠ إلى ١، ومنها رفع

القرآن من المصاحف، ومنها عقم النساء في الجيل الذي تقوم عليه الساعة، ومنها الريح التي يقبض الله تعالى بها نفوس المؤمنين دون الكافرين.

وهذه كلها أمور تحدث قبل الساعة بزمن يسير جداً بعضها بعد حدوث أكثر الآيات وبعضها قبل الساعة مباشرة وأكثرها من الأمور العظام وغير المعتادة ومع ذلك لم يدخلها الباحث في الأشراط الكبرى بل سجل أكثرها في قسم الأشراط الصغرى، ما عدا المهدي الذي خصص له الفصل الأول من الأشراط الكبرى بالرغم من أنه لم يرد ضمن الآيات العشر وليس هو من الأمور غير المعتادة. لأنه خليفة مجدد راشد.

إن قضية تصنيف الاشراط إلى صغرى وكبرى ليست واضحة المعالم عند جميع من كتبوا في الأشراط قبل الباحث، ومن ثم ورث الباحث من المراجع السابقة هذا الغموض واللبس، ولعل البرزنجي رحمه الله قد عزف عن استخدام هذين المصطلحين : صغرى وكبرى لكي يتخلص من هذا اللبس والغموض فالتزم تقسيماً زمنياً للأشراط ما مضى وانقضى وما لا زال مستمراً وما لم يأت بعد.

وهذا التقسيم يكون حسب الزمان ولكن بالنسبة لعصر المؤلف ومن ثم يجعل الباب مفتوحاً للاجتهاد في علم الأشراط في جميع العصور إذ يتعين على علماء كل جيل إضافة ما ظهر من الأشراط في حياتهم وإحصاء ما بقي منها وما هو متوقع حدوثه في المستقبل، وهو تصنيف زمني صرف، وليس فيه وصف لهذا بأنها من الصغرى أو لتلك بأنها من الكبرى، إلا أن يكون هذا وصفاً للحدث أياً كان موقعه في الزمان سواء في الماضي أم في الحاضر أم في المستقبل.

من أجل تحاشي هذا اللبس الذي نجده ليس عند الأستاذ يوسف الوابل فحسب بل عند كثير ممن يعتمدون تصنيف الأشراط إلى صغرى وكبرى حسب زمن حدوث الشرط عرضت تصنيفي للأحداث الدالة على الساعة إلى : أشراط وعلامات وأمارات وآيات وجميعها- ولله الحمد والمنة مصطلحات مأخوذة من القرآن الكريم، والسنة، وبها يزول كل لبس حول هذا الموضوع.

الفصل الحادى عشر
ترتيب الأشراط حسب وقوعها
بـــين الأولـــين والمعاصـــريـــن

٤٥- أهمية ترتيب الأشراط متسلسلة حسب وقوعها فى الزمان بين الأولين والمعاصرين.

(٤٥) أهمية ترتيب الأشراط متسلسلة حسب وقوعها فى الزمان بين الأولين والمعاصرين.

إن درجة الأهمية بالنسبة لأى حدث من الأشراط ترتبط بمدى أثر الحدث سواء أكان بالخير والعزة والنَّصر للأمة الإسلامية، أم كان بالفتنة والضر والشر عليها.

وعلى قدر عموم الخير أو الفتنة والشر وشمولهما لأكثر شعوب الأمة الإسلامية يكون الحدث من الأشراط الصغرى أو الكبرى، وهذا الوصف يطابق أساس التصنيف الخاص به، ومن ثم لا يتعارض مع التصنيف الخاص بزمن وقوع الحدث أو الشرط بالنسبة للساعة قرباً أو بعداً.

وحيث أن قيمة كل علم فى نفعه فإن علم الأشراط ترتفع قيمته كثيراً بالنظر إلى ما يمكن تجنبه من الفتن التى ستحدث وشرورها إذا علمناهما قبل حدوثهما لأن النفع لا يتم إلا إذا سبق العلم بها حدوث الفتنة للتنبيه إليها، وإلى شرها وإلى طريق النجاه منها.

وهذا لا يكون إلا إذا صاحب معه العلم بزمان وقوعها على وجه التقريب أو الإحاطة بدلالات وإشارات تفيد توقع الفتنة قبل حدوثها الأمر الذى يساعد المؤمنين على التحرز منها وتوقى شرها .

فالتحذير من الفتنة قبل وقوعها إذا توقع العلماء قرب وقوعها من الأمور الواجبة عليهم، لما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: نادى رسول الله ﷺ الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعِلَ عافيتها فى أولها، وسيُصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجئ الفتنة، فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه ، فَمَنْ أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فَلْتَأْتِهِ منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر»[(١)].

ويدل هذا الحديث الشريف علاوة على ما سبق أن ذكرنا من فائدة نفع العلم بالفتن والأشراط قبل وقوعها- يدل على أن أخطر الأحداث وأشد الفتن وأكثرها شراً هى التى تكون بين يدى الساعة، أى تسبقها بزمن يسير.

---

(١) صحيح مسلم/ كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعه الخليفة الأول فالأول (١٢/ ٢٣٢-٢٣٣) على شرح النووي.

أما الفتن التى فى أول عمر الأمة فهى الأقل خطراً وضراً وشراً يدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها».

ويؤكد هذا أيضا قوله ﷺ «إن بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً...»(١).

فهذه الفتن المهلكة التى تكون نتيجتها الكفر، وليس مجرد المعصية إنما تكون بين يدى الساعة.

ومثله ما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»(٢).

كل هذا يدل على نتيجة هامة بالنسبة لأساس تصنيف الفتن والأشراط، ذلك أن أشد الأشراط خطراً أو ضرراً على الأمة أقربها للساعة.

كما أن فائدة هذا العلم تكون أنجع وأشمل وأجدى إذا اقترن التحذير من الفتنة بالإشارة إلى توقع حدوثها فى عصر أو زمن أو فى سنة ما أو فى زمان وقوعه المرتقب على وجه التقريب، أو ترقب حدوثها بعد أحداث أخرى تسبقها وهكذا.

وتكون الفائدة محققة إذا كانت الأحداث مرتبة ترتيباً متسلسلاً بحيث يكون الحدث أو الفتنة منذرة للمسلمين لما بعدها، فيكون المؤمن على توقع وترقب للفتنة بعد الفتنة وللحدث بعد الحدث ، فيكون علي علم ودراية بكيفية النجاة منها، والسلوك الواجب عليه اتباعه نحوها حتى ينجو من شرها.

ومن ثم فإن أهم ما فى علم أشراط الساعة هو قضية الترتيب الزمنى لها.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٤٠٨)، ومستدرك الحاكم (٤/ ٤٤٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن،(٢/ ١٣٣) مع شرح النووي.

ومطابقة أحداث الأشراط بالأحداث والأحوال المتحققة فى الواقع المعاصر لأصحاب هذا العلم.

وترتفع أهميته أكثر إذا صح ترتيب الأحداث المُسْتقبَلة على الأحداث الحاضرة أو المعاصرة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ وهيهات أن يعرف الإنسان الفرد ماذا سيكسب غداً ، وهيهات أن يعرف بأى أرض وفى أى وقت سيموت، فكيف يكون الحال بالنسبة لشعب أو أمة أو الإنسانية كلها؟!

ولكن الأشراط التى هى من الأحداث العامة للأمة هى مما أخبرنا بها الوحي، ويتيح اجتهاد العلماء بمنهج المطابقة بين المدلول الصحيح لنصوص الأشراط وبين الواقع معرفة أو توقع قرب حدوث الحدث الجلل، ومن ثم يمكن للمسلمين: حكاماً ومحكومين الاهتداء بهذه المعرفة لاتخاذ قراراتهم السياسية والاقتصادية والحربية وغيرها، تحرزاً وتوقياً للشر، وليس منعاً لما هو مرتقب، لأن كل مقدر بأمر الله تعالى، واقع لا محالة، ومن ثم تكون الفائدة مجرد التحرز من الشر، ووقاية من الوقوع فى الفتنة .

هذا كله يجعل قضية ترتيب الأشراط وتسلسلها فى الزمان أخطر قضايا هذا العلم.

أقول هذا رداً على بعض الهواة غير المتفرغين للعلم وغير المنقطعين له المعترضين على منهج المطابقة، والذين ظنوا أن الكتابة فى الإسلام والتأليف فى علومه- وبخاصة فى هذا العلم، ساحة مفتوحة لكل من تعلم القراءة والكتابة بالنقل ووضع العناوين، وما أسهل أن يطلب الواحد من هؤلاء أحاديث موضوع ما من «الكمبيوتر» ثم يضع لكل مجموعة منها عنواناً، ولكل مجموعة عناوين عنوانا لفصل أو لباب ثم يدفعها إلى المطبعة ويصبح بذلك عالماً إسلامياً أو مؤلفاً وكاتباً إسلامياً، وليته يكتفى بهذا بل لابد، لكى يثبت رسوخه فى العلم، أن يتطاول على غيره، ويسخر من الذين اجتهدوا، وحاولوا مطابقة النصوص على الأحداث التاريخية والمعاصرة، ومن ثم أصابوا، وأخطأوا، فلا يذكر لهم إلا الأخطاء، ولو قلْتُ أما هو فقد آثر السلامة فلم يجتهد

واكتفى بنقل النصوص فحسب، ومن ثم لم يخطئ، وكيف يقع في الخطأ وهو لم يكتب شيئاً أصلاً، وإنما قام بالنقل فقط؟ فتوهم أنه أعلم وأفقه وأفضل ممن اجتهد فأخطأ أمثال هؤلاء يخفون عجزهم عن المطابقة وجهلهم بأصول وأهداف هذا العلم فيتهمون المجتهدين بالتكلف.

لأمثال هؤلاء أقول: لَئِنْ أَجْتَهِدُ وأُخطِئُ خير لي من المتاجرة بنصوص الوحي بنقلها، ووضع أسمي عليها كما تفعلون.

إن العلم هو الحفظ للنصوص المنزلة من السماء ثم تفسيرها حسب قواعد التفسير وأصول الفقه ثم فهمها وتأويلها في ضوء الواقع التاريخي والواقع الحضاري والصراع المعاصر، أي إن العلم الحقيقي هو تفسير النصوص بالواقع والكشف عن أسرار هذا الواقع الدفينة بالنصوص.

وللمجتهد المخطئ أجر وللمصيب أجران، أما النساخ فلم يرد ما يثبت أن لهم أجر العلماء ولو كتبوا على غلاف ما ينسخون« تأليف فلان».

أما الذين يعتبرون أنفسهم علماء لمجرد حفظ النصوص فإن أشرطة الفيديو والكاسيت أكثر منهم حفظاً، بل إن شريحة في الكمبيوتر أو ديسكاً أو اسطوانة تحمل الآن من العلوم ما يعادل مكتبة جامعة وتحفظه لطالبه ويستحضره الجهاز في أقل من ثانية حين الطلب ومن ثم يقتصر العلم على الفهم، أو هو حفظ مع فهم، أما الحافظ بغير الفهم، فهو أشبه بهذه الأدوات والأجهزة السمعية .

فليس المقصر عن الاجتهاد كالمجتهد وبخاصة هذا الذي لم يجتهد مخافةالخطأ حرصاً منه على سمعته بين الناس والزملاء، وحتى يقولوا عنه أنه عالم لا يخطئ، وهذا هو عين الرياء.

الفصل الثاني عشر
ترتيبي للأحداث التي تترقبها أجيالنا المعاصرة استخلاصاً من النصوص ومما اتفق عليه جمهور العلماء

٤٦ - ترتيبي للأحداث التي بين يدي الساعة التي تَتَرَقَّبُها الأجيال المعاصرة استخلاصاً من النصوص ومما اتفق عليه جمهور العلماء.

(٤٦) ترتيبى للأحداث التى بين يدى الساعة التى تَتَرقبها الأجيال المعاصرة استخلاصاً من النصوص ومما اتفق عليه جمهور العلماء:

١ - أحداث القيامة الصغرى بنفخة الصور الأولى نفخة الفزع: زلزال الأرض العظيم الذى يصاحبه خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وهو ما جاءت تفاصيل أحداثه ومقدماته بالجزء الأول.

٢- بيعة المهدى وخسف جيش السفيانى بالبيداء.

٣- إقامة الخلافة الراشدة وتوحيد الأمة وعودة عزتها وقوتها وتحقيق الغنى والرخاء والعدل على يديه.

٤ - مصالحة الروم وقيام حلف بين الخلافة وبين أوربا الموحدة ضد عدوٍّ مشترك والانتصار عليه.

٥- غدر الروم (أوربا الموحدة) وهجومهم على العالم الإسلامى العربى كله مرة واحدة فى أعظم ملحمة فى تاريخ البشرية وهزيمتهم وفتح المسلمين لأوربا: قسطنطينية (تركيا) مرة ثانية ثم رومية (روما) لأول مرة وهدم الكنيسة الشركية.

٦- الخروج العلنى للدجال.

٧- نزول المسيح عيسى بن مريم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، وقتل الدجال واستئصال اليهود وإفسادتهم الأخيرة.

٨- خروج يأجوج ومأجوج وقتل الله عز وجل لهم.

٩- حكم المسيح عليه السلام الأرض بالإسلام وتحقق الرخاء العميم والسلام التام للبشرية لأول مرة فى تاريخها حتى لا يبقى على ظهر الأرض آدمى إلى وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

١٠- موت المسيح ودفنه بجوار رسول الله ﷺ وصاحبيه.

١١- خروج الشمس من مغربها والدخان من السماء ودابة الأرض التى تكلم الناس.

١٢- قيام ملك الحبشة ذو السويقتين بهدم الكعبة.

١٣- رفع القرآن من المصاحف.

١٤- موت المؤمنين بريح طيبة فلا يبقى فى الأرض إلا المشركون الكافرون جيل أو أجيال الأشرار الذين ستقوم عليهم وعلى أبنائهم أو على أحفادهم الساعة.

١٥-عقم النساء.

١٦- خروج نار من قعر عدن تسوق الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا وهى آخر آيات الساعة.

١٧- فى وقت لا يعلمه إلا الله تعالى وحده يُنْفَخُ فى الصور نفخة الصعق فيموت كل من وما على الأرض من أحياء فى لحظة واحدة وتلك هى القيامة الوسطى.

١٨- بعد هذا بزمن لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وحده يُنفخ فى الصور النفخة الثالثة: نفخة البعث ليقوم الناس للحساب ثم الجزاء وأحداث القيامة الكبرى.

إحفظوها وحفظّوها لأبنائكم وأحفادكم، ولاتنسونى من دعائكم.

الباب الخامس

التمييز بين مراحل القيامة الثلاث

الفصل الأول

المفهوم الشائع ليوم القيامة لدى المسلمين فى ضوء الكتاب والسنة

الفصل الثاني

اختلاف العلماء فى تحديد عدد نفخات الصور من أسباب الخلط بين مراحل يوم القيامة الثلاث

الفصل الثالث

أحداث كل مرحلة من مراحل القيامة الثلاث

الفصل الأول

المفهوم الشائع ليوم القيامة لدى المسلمين في ضوء الكتاب والسنة

٤٧- الخلط بين مراحل القيامة الثلاث:

٤٨- شواهد على تداخل أحداث القيامة الثلاثة عند المفسرين.

(٤٧) الخلط بين مراحل القيامة الثلاث:

ثم اختلاف كبير بين المفهوم الصحيح للقيامة أو للساعة فى القرآن الكريم والسنة، وبين المفهوم السائد فى أذهان المسلمين، لا أقول العامة منهم فقط بل وعند كثير من العلماء غير المتخصصين بل والمتخصصين منهم ولو طرحنا استبياناً بين المسلمين عن مفهومهم ليوم القيامة أو الساعة من خلال ما يسمعونه من آيات كريمة ومن أحاديث شريفة تُحَدِّثنا عن مشاهد القيامة وأحداث الساعة لَسَمِعْنَا من كثير منهم قولاً واحداً: أن القيامة أو الساعة هى اسم لمجموع الأحداث التى يتم بها هدم عمارة الكون وموت كل حى فلا يبقى بعدها فى الأرض أو فى السماء نفس النظام أو النواميس القائمة الآن ويموت بسبب هذا الهدم كل حي، من ذلك انتثار الكواكب وتكوير الشمس، وانكدار النجوم ونسف الجبال حتى تصير هباء منبثاً وانفجار البحار وتسجيرها وانشقاق السماء، وانفطارها وكشطها، ورجفة الأرض وزلزلتها التى هى زلزلة الساعة الموصوفة بأنها شيء عظيم، وغير ذلك من مظاهر الهدم، والتدمير فى السماء وفى الأرض وفى الجبال، وفى البحار ومن ثم يصل التدمير والتغيير إلى كل شيء، وتفنى الحياة على الأرض ، بما فيها حياة الإنسان.

وإذا طرحنا سؤالاً عن المدة الزَّمَنِيَّة الواقعة بين هذه الأحداث وبين موت كل الأحياء فى الأرض، لجاءت الإجابة بأن هذا يحدث فى وقت واحد، وأن موت جميع الأحياء يكون بسبب هذا الهدم.

هذا هو المفهوم الذى كنتُ أتلقاه ممن سألتهُم عن القيامة والساعة سواء كان المسئول: أُمِّياً أم كان متعلماً، وسواء أكان مثقفاً أم غير مثقف حتى الذين سألتهم من أساتذة الشريعة والفقه، قالوا نفس الإجابة، بل إن المتخَصِّصين منهم فى التفسير والحديث وبدرجة أستاذ جامعى أجابوا بأن زلزلة الساعة هى وقت هدم عمارة الكون وهو الهدم الذى يموت بسببه كل حي، كل ما هنالك أن بعضهم فرَّق بين الساعة والقيامة، بأن الساعة هى لحظة بدأ الهدم وموت الأحياء فى الأرض، وأن القيامة لحظة البعث وبدأ النشور والوقوف لرب العالمين للحساب.

والذى دعانى إلى مثل هذا الاستبيان عن مفهوم الساعة أو القيامة عند المسلمين، عامة وخاصة هو أننى ظللتُ حتى تَخَطَّيْتُ الخمسين من عمرى بهذا المفهُوم مع أن تخصصى فى العلوم الإسلامية هو العقيدة والتوحيد،وأصحاب هذا التخصص لابد لهم من أن يتعاملوا مع نصوص الوحى : كتاباً وسنة تعاملاً مباشراً فيما يخص آيات وأحاديث العقيدة والتوحيد، ومن أركان العقيدة والتوحيد الإيمان باليوم الآخر، ومن مواضيع اليوم الآخر أشراط الساعة وهى الأحداث التى بدأت ببعث النبى الخاتم المصطفى سيدنا محمد ﷺ والتى تَنْتَهِى بأحداث القيامة أو الساعة التى هى مشاهد هدم عمارة الكون، ومن مواضيعه أيضاً أحداث يوم القيامة أو الساعة التى هى مظاهر الهدم ، والفناء، ومنها أيضاً أحداث البعث والنشور، ومن أحداثه أيضاً الميزان والحساب والصراط والشفاعة الكبرى والشفاعات الصغرى والحوض، ودخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار، ومن العلماء من يُضيف إلى هذه المواضيع الموت والبرزخ وحساب القبر.

والذى أود إبرازه من هذا كله، أن أكثر العلماء والأساتذة ، وقد كنتُ معهم فى هذا الخطأ، يخلطون بين أحداث الهدم وبين فناء الحياة ويجعلون هذا كله فى ساعة واحدة أو يبدأ بلحظة واحدة، بيد أنَّهُ قَدْ ثبت لى بالأدلة القرآنية، والحديثية أن أحداث الفناء ومشاهد القيامة فى السماء والأرض والجبال والبحار سَتَسْبقُ فى الحدوث بعشرات السنين، وربما بمئات السنين، فناء الحياة على الأرض، أى أن كل ما نقرأه فى القرآن الكريم من مشاهد الهدم والفناء لا يتم على أثره انتهاء الحياة على الأرض، بل تستمر الحياة بعده زمناً لا يعلمه إلا الله عز وجل- و إن كان وقوع هذه الأحداث الرهيبة التى تشمل العالم كله، دليل على أن الدنيا تحتضر وأن البشرية صارت بين يَدَيْ الساعة، ولا يمنع هذا من القول بأن أحداث الفناء سيهلك فيها وبسببها كثير من الخلق، ربما يكون القتلى والموتى من هذه الأحداث أكثر بكثير من الذين كتب الله تعالى لهم النجاة، لكن البشرية ستبقى ويستمر الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان وستقع أحداث كثيرة فى نطاق هذا الصراع نَبَّأَتْ بها نصوص الوحى: قرآناً وسنة.

أمَّا انتهاء الحياة على الأرض فلا يصحبه أدنى هدم أو حدث من أحداث الفناء لا في السماء ولا في الأرض ولا في البحار، ولا في الجبال.

وسيتضح لنا هذا من خلال الأدلة التي سنعرضها بإذن الله تعالى وبعونه وتوفيقه.

لكن الذي أود أن أُنوِّهَ إليه: أن أكثر المفسرين لم يوضحوا هذه الحقيقة فيما فَسَّرُوه من آيات مشاهد الفناء والعذاب والقيامة والتي ورد أكثرها في القرآن المكي وبخاصة في جزء عَمَّ والسور القصيرة.

ونتيجة لغياب هذه الحقيقة التي ذكرناها، وهي وجود فاصل زمني بين أحداث القيامة المتمثلة في الهدم والفناء والتي يتم بسببها هلاك كثير من البشر والأحياء ، وبين انتهاء الحياة بالكلية على ظهر الأرض في لحظة واحدة بحيث لا يبقى بعد هذه اللحظة حتى ولا حشرة على قيد الحياة، هذا الفاصل الزمني بين الحدثين غاب عن كثير من المفسرين ففسروا الحدثين باعتبارهما حدثاً واحداً ويتمان في وقت واحد ويوم واحد ويبدآن في لحظة واحدة، بالرغم من أنهما لم يُصَرِّحا بهذا، ولكن فَسَّرُوا الآيات من خلال هذا المفهوم، مع أن بعض النصوص قد صرحت بأن الحياة تستمر بعد أحداث الهدم، إلاأن هذه النصوص لم يلتفت إليها أكثر المفسرين، ومن ثم لم يصلوا إلى حقيقة أن اليوم الآخر، أو يوم القيامة هو عصر من عصور البشرية، وهو آخرها وأنه يتكون من ثلاث مراحل، وكل مرحلة منها يطلق عليها نفس الاسم وهو القيامة، ومن ثم تمييزاً لهذه المراحل كان لابد من أن نطلق على الأولى القيامة الصغرى والثانية القيامة الوسطى والثالثة القيامة الكبرى، أو الأولى والثانية والثالثة.

والذي يراجع كتب التفسير فيما يخص آيات الهدم والفناء، وآيات انتهاء الحياة بالكلية، وآيات البعث والنشور والحساب، يجد خلطاً عند المفسرين بين أحداث القيامة الصغرى الأولى، التي هي الهدم والفناء والموت غير الكلي للأحياء، وبين أحداث الوسطى التي هي انتهاء الحياة بالكلية من غير هدم مع أن بينهما عشرات، وربما مئات السنين، فهما ليسا حدثاً واحداً بل هما حدثان منفصلان تماماً ومختلفان تماماً، وإن كان كلٌ واحدٍ منهما مرحلة من مراحل يوم القيامة : وكذلك تتضمن كتب

التفسير خلطاً بين أحداث القيامة الوسطى التى هى فناء الحياة على ظهر الأرض بالكلية بغير هدم او دمار، وبين أحداث القيامة الكبرى التى هى البعث والنشور مع أن الحدثّين مختلفيّن ومتناقضيّن بالكلية، إذ الأولى إفناء وإنهاء للحياة بالكلية على الأرض، والثانية بعث الأولين والآخرين دفعة واحدة هذه المراحل الثلاث من مراحل اليوم الآخر لا يتم فهمها على الوجه الصحيح إلا بالفصل بين كل منها بخلاف ما هو موجود عند كثير من المفسرين.

وسأضرب لهذا بعض الشواهد للتوضيح عند أحد المفسرين المحققين، بل لعله أشد المفسرين تحقيقاً للأحاديث رواية ودراية وهو الحافظ ابن كثير رحمه الله فى تفسيره الذى اسمه «تفسير القرآن العظيم»، وكذلك فى كتابه «النهاية فى الفتن والملاحم».

(٤٨) شواهد على تداخل أحداث القيامات الثلاثة عند المفسرين:

الشاهد الأول: فى تفسير قوله تعالى: ﴿.... وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً (١٢) وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ [المزمل:١١-١٤] قال ابن كثير رحمه الله فى تفسير هذه الآيات ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ﴾ أى دعنى والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم، وهم يطالبون من الحقوق، بما ليس عند غيرهم ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ أى رويداً كما قال تعالى: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤] ولهذا قال هاهنا ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً﴾ وهى القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاووس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة، وأبو عمران الجوني، وأبو مجلز والضحاك وحماد بن أبى سلمة وقتادة والسدى وابن المبارك والثورى وغير واحد﴿وَجَحِيماً﴾ وهى السَّعير المضطرمة ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾ قال ابن عباس ينشب فى الحلق فلا يدخل ولا يخرج ﴿ وَعَذَاباً أَلِيماً يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أى تزلزل ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ أى تصير ككثبان الرمل بعد ما

كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أي رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع[1].

والسؤال الذي نطرحه على ابن كثير رحمه الله تعالى هو: كيف تفسر قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ في النهاية بأن الأرض تصير: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ أي رابية مع أن الآية الكريمة في هذه السورة لا تتضمن هذه الحال الأخيرة للأرض والجبال وإنما اقتصرت على أن الأرض والجبال سترجف بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ فالحال الذي آلت إليه الجبال بعد رجفتها مع رجفة الأرض هو أنها صارت ﴿مَّهِيلاً﴾ والكثيب المهيل هو كوم عظيم، أو تل من التراب فالجبال في هذه الآية ستصير كثباناً من الأحجار المحطمة والأتربة المتطايرة ومثلها قوله تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا﴾ [الواقعة :١-٦] فرَج الأرض هو رجفتها في سورة المزمّل والهباء المنبث أي الأتربة المنتشرة في الفضاء من لوازم انهدام الجبال وصيرورتها إلى كثبان مهيلة، لأن هدم الجبال نتيجة لرجفة الأرض الشديدة، أو الزلزلة لا تصير به إلى كثبان مهيلة فقط، وإنما لا بد أن تملأ الأتربة الناتجة من الهدم الجو المحيط، فإذا كانت عدد الجبال بالملايين في أرجاء الأرض فكيف تتصور الفضاء المحيط بالأرض إلا أن يكون مملوءاً بالهباء المنبعث فيه، والذي يحجب ضوء الشمس، والقمر؟ وقد أصبحت الأرض مليئة بأكوام ضخمة عظيمة من الأتربة والحجارة المحطمة والكتل الجبلية الضخمة؟ فهل تكون الأرض بعد الرجفة قاعاً صفصفاً لا عوج فيها ولا أمتاً؟ بالقطع لا،لأن هذا الحال نقيض هذا الحال.

ولم يخف على ابن كثير هذا الاختلاف والتناقض بين حَالَيْ الجبال فحاول أن يرفع هذا التناقض بينهما بقوله « أي تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء،

---

(١) ابن كثير ـ التفسير/ جـ ٤ صـ ٤٣٧، صـ ٤٣٨.

ثم إنها تنسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أي رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع» ولا يختلف اثنان ممن يقرأون هذا التفسير له رحمه الله على أن مدلوله هو أن هذا كله يوم البعث وأن الجبال ستنهدم بالرجفة أو برجة الأرض فتصير كثباناً من الحجارة والأتربة ثم ينسف الله تعالى هذه الكثبان فتصير كالهعن المنفوش أى الصوف المتطاير من خفته ثم تصبح الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه:١٠٥-١٠٧].

ويبدو أن ابن كثير رحمه الله تعالى فسر آيات سورة المزمل بآيات سورة الواقعة وبآيات سورة طه، وبآيات سورة القارعة وهي قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:١-٥] وحيث أن الاختلاف واضح بين الكثبان المهيلة التى تصير إليها الجبال بفعل رجفة الأرض ورجتها، وبين العهن المنفوش الذى تصير إليه الجبال بعد القارعة ، وذلك حين يكون الناس كالفراش المبثوث، فقد حاول ابن كثير أن يجعل هذا تحولاً من ذاك فقال: ﴿فقل ينسفها ربى نسفاً﴾ومن ثم وقع النسف حسب قوله على الكثبان المهيلة وليس على الجبال مع أن آيات سورة طه تثبت النسف الذى تنعدم على أثره الجبال واقعاً على الجبال ، وليس على كثبان مهيلة وتنسب الفعل مباشرة لله تعالى : ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ بخلاف هدمها ودمارها بفعل رجفة الأرض ورجتها الذى يعقبه الهدم والردم، وليس النسف الذى تصير به كالعهن المنفوش، ثم تصير هباء ثم تنعدم بالكلية، فتصبح الأرض مستوية ليس فيها نتوءات والحقيقة أن الجبال التى تصبح بالرجفة كثباناً مهيلة غير الجبال التى ينسفها الله تعالى نسفاً، الأولى هى العمارات والمبانى السكنية الشاهقة، وهى جبال لارتفاعها الشاهق ولضخامة المبنى وتنهدم بزلزلة الساعة فتصبح أكثرها كثباناً مهيلة أى أكواماً من التراب والحجارة وذلك يوم زلزلة الساعة التى هى شيء عظيم، وهو يوم الواقعة وهو اليوم الذى ترجف فيه الأرض والجبال، و هذا اليوم من أيام الدنيا، ولاتفنى فيه الحياة

بأكملها بل هو فناء لأكثر الأحياء ويبقى الناس بعدها كما وضحنا فى الجزء الأول من القيامة الصغرى، وانهدام الجبال هو انهدام العمارات، وليس الجبال التى هى أوتاد الأرض التى يسمونها الطبيعية بخلاف الجبال الصناعية التى أنشأها الإنسان أما اليوم الذى تكون فيه الجبال كالعهن المنفوش فهو يوم البعث الذى يخرج فيه الناس من قبورهم كالفراش المبثوث، وهو اليوم الذى ينسف فيه الله الجبال نسفاً فيذر الأرض قاعاً صفصفاً لا عوج فيها، ولا أمتاً وكل البشر يتبعون الداعى ويسيرون فى اتجاه واحد نحو المحشر للحساب ومن ثم قال بعد ذلك ﴿لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٧-١٠٩] .

فالجبال التى ستصبح كثيباً مهيلاً غير الجبال التى سينسفها ربى نسفاً واليوم الذى يتم فيه الحدث الأول غير الذى يتم فيه الحدث الثاني، الأول فى الدنيا ومن أحداث القيامة الصغرى، والثانى بعد البعث ومن أحداث القيامة الكبرى لكن ابن كثير خلط بين الحَدَثَيْن وبين الزمانين وجعل هذا امتداد لذاك وجعل الحال الثانى تحولاً عن الحال الأول، أى جعل الحدثيْن حدثا واحداً بمرحلتين تصبح الجبال فى الأولى كثيباً مهيلاً ثم ينسف الله تعالى الكثيب المهيل إلى عهن منفوش ثم يتلاشى هذا العهن المنفوش، وهذا هو الخطأ لأن الجبال التى تنهدم بالزلزال ليست أوتاد الأرض التي ألقاها الله عليها من السماء أثناء خلقها في يومين، وإنما هي البنايات الشاهقة ذات الطوابق المتعددة والشقق العديدة التي صارت قممها وأسطحها أعلى من كثير من جبال مكة وغيرها، أما الجبال التي سألوا الرسول ﷺ عنها ماذا سيكون مصيرها يوم القيامة فهي الجبال التي جعلها الله تعالى أوتاداً للأرض مثل جبال مكة وهي التي سينسفها الله عز وجل وهي التي كان سؤال المشركين للنبي ﷺ عنها.

وهذا شاهد من شواهد الخلط بين حدث من أحداث القيامة الصغرى التي تقع في الدنيا وتستمر بعدها الحياة وبين أحداث القيامة الكبرى التي تحدث بعد البعث من القبور، وهو ليس عند ابن كثير فقط بل عند أكثر المفسرين، والسبب هو عدم التمييز بين كل من القيامة الصغرى، والوسطى والكبرى.

الشاهد الثاني: وهو يخص حال الأرض يوم القيامة قال تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة:١-٦]. .

قال ابن كثير فى تفسيرها :

قال ابن عباس :﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أى تحركت من أسفلها.

﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أى ألقت ما فيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[الحج:١] وكقوله: ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق : ٣،٤] وقال مسلم فى صحيحه وحدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: فى هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: فى هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: فى هذا قُطِعت يَدى، ثم يَدَعُونَهُ فلا فلا يأخذون منه شيئاً» (١).

فإذا تأملنا هذا الحديث الصحيح لوجدنا أنه من أحداث الدنيا وأحوالها وأحوال أهلها وليس من أحوال البعث ولا من أحوال البرزخ، ولا من أحوال أهل الجنة ولا من أحوال أهل النار، ومن ثم فالذى يشير إلى اسطوانات الذهب والفضة تحت قدميه بعد أنْ أخرجتها الأرض من باطنها أثر الزلزلة ويقول فى هذا فعلت وفى هذا فعلت من المعاصى نادماً لابد أنه من أهل الدنيا ولا زال حياً فيها بدليل قوله ﷺ عن هؤلاء الذين عصواْ ربهم بسبب الذهب والفضة أو المال بعامة « ثم يَدَعُونَهُ فلا يأخذون منه شيْئا» وليس هذا من أحوال الناس فى المحشر، وليس هذا من أحوالهم فى البرزخ،

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥٣٨ ،ص٥٣٩ .
لاحظ أن هذا ليس من قول ابن عباس وإنما هو قول بعض التابعين فهو اجتهادىمنهم بالرغم من أنه يخالف حديثاً ورد فى تفسير هذه الآية كما سترى

وإنما الذى يرى المال ويدعه ندماً على فعله، هـو بالضرورة من أهل الدنيا، فبنص هذا الحديث الـشريف الصـحيح يكون وقـوع زلزلة الأرض التى هـى زلزلة السـاعة فى سورة الحج، هو من أحداث الدنيا الذى يعيش الناس بعده وتستمر الحياة بدليل قول الإنسان بعد انتهاء الزلزلة ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ قال ابن كثير : « أى استنكر أمرها بعد مـا كانت قارة ثابـتة ساكنة وهـو مستقـر على ظهرهـا أى تقلبت الحـال فصارت متحـركة مضطـربة قد جاءهـا من أمر الله تعـالى ما قد أعـده لها من الـزلزال الذى لا محيد له عـنه، ثم ألقت ما فى بطنهـا من الأموات الأولين والآخرين وحينئـذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار »(١) .

فتأمل انتـقال ابن كثير من زلزلة الأرض إلـى البعث والنشور مباشرة وهو خطأ لأن الزلزلة يعيش بعدها كثير من النـاس ويتساءلون : مالها؟ أى ما سبب هذه الرجفة العنيفة الـتى لم يحدث لها مثيل مـن قبل؟ وتأتى الإجابة من أخبارهـا التى تحدث بأن ربك أوحى لها، أى أن نشرات الأخـبار وإجماع العلماء من جيولوجـيين وفيزيائيين وغيرهم سـيقولون يومها أن هـذا أمر لا تفسير له بـالعوامل المادية، إذ لا تفـسير له إلا بالمبادئ الديـنية القائلة أن للكون ولـلإنسان رباً واحداً غضب عليه فـأنزل به العذاب بهذا الـزلزال، أليست أخـبار الأرض هى الصادرة عـن وكالات الأنباء فى الـنشرات الإخبارية فى أجهزة الإعلام؟ بلى والله إن هذا لا يكون إلا فى الدنيا وفى أيامنا هذه، وبالرغم من أن الحديث الصحيح يقول إن الأثقال التى ستخرجها الأرض من باطنها هى اسـطوانات الـذهب والـفضة إلا أن ابـن كثيـر يصر عـلى أن الـذى ستخـرجه الأرض هو جثث الأموات من الأولين، والآخرين، فـجعل الزلزلة هى الحادث الذى يتم عـلى أثره البعث والـنشور، وهذا الخطـأ الناجم عن الخـلط بين الزلزلة الـتى هى أخطر أحداث القيامـة الصغرى، أو فجر يوم القيامة، وبين الـساعـة التى يموت بها كل

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص٥٣٩ وقد سبق أن فصلت فى الجزء الأول ما يثبت أن زلزال الساعة هو فى الدنيا، ولكـن ابن كثير هنا يحيد عن الحديث الذى يقرر أن الأثقال التى تلقيها وتخـرجها الأرض بعد الزلـزال اسطوانات الـذهب والفضـة ويقول أن الأثقـال هى الأموات من الأولـين والآخرين أى البـعث وهذا هو الخطأ

حي في لحظة واحدة، وهي ما نُسَمِّيه القيامة الوسطى، وأيضاً خلط في تفسير هذه السورة بين القيامتين، الصغرى والوسطى من ناحية وبين القيامة الكبرى من ناحية أخرى بقوله وحينئذ استنكر الناس أمرها ﴿تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وهذان الحدثان اللذان هما تغيير الأرض والسموات والبروز لله عز وجل للحساب هما أهم أحداث يوم القيامة الذى يبدأ في الدنيا والحياة تستمر بعده والناس يتصارعون ويطيعون ويعصون ويبتلون وبين يوم الدين والحساب الذى فى آخره بعد انتهاء الحساب يغير الله الأرض غير الأرض والسماوات فانظر إلى أى مدى صار الخلط عند المفسرين بين مراحل يوم القيامة وهو خطأ واضح كمن يخلط بين طلوع الشمس وبين غروبها، ويجعلهما ساعة واحدة لمجرد أنهما فى عصر واحد مع أنهما نقيضان إن يوم القيامة يبدأ فى الدنيا فى آخر عصر من عصورها، وينتهى فى آخر يوم البعث والنشور أى يوم الدين ويوم الحساب بانتهاء الحساب وبين هذا الحدث وذاك حدث آخر وسط هو القيامة الوسطى الذى يموت فيها كل حي وهو مختلف عن يوم الزلزلة الذى يُقْتَل ويهلك فيها خلق كثير ولكن تستمر الحياة ويستمر الصراع بين أهل الإيمان، وأهل الكفر وهذا الخلط عند ابن كثير موجود فى تفسير آيات القيامة وأحداث الساعة ومشاهد البعث والنشور فى جميع السور التى وردت فيها وليس عند ابن كثير وحده، بل عند كثير من المفسرين المحققين غفر الله لنا ولهم جميعاً، إن لم يكن عند أكثرهم.

هذا بالرغم من أن منطوق سورة الزلزلة وسياقها يدلان دلالة صريحة على أن الزلزلة تكون فى الدنيا ويستمر بعدها الإنسان حياً ويثبت هذا ويؤكده حديث رسول الله ﷺ عن خروج اسطوانات الذهب والفضة وموقف العصاة منها وتركهم لهذا المال بعد أن كان سبباً فى معصيتهم لله تعالى من قبل، ثم صار كثيراً حتى أنه ليضربه بقدميه نادماً ولكن ابن كثير مع كثير من السلف يفسرون « أثقالها» بأنها الأموات من الأولين والآخرين أى فسروها بالبعث وهو غير صحيح بل هو خطأ ناتج عن لبس وخلط فى أذهانهم عن أحداث القيامة وتداخلها فى بعضها، و الصحيح هو الفصل والتمييز بينها، ومن ثم لزم منا هذا الفصل والتمييز استخدام المصطلحات الثلاثة: القيامة الصغرى والقيامة الوسطى والقيامة الكبرى أو مراحل القيامة الثلاثة ،

وذلك حتى لا ينجم تناقض بين الحديث الصحيح ودلالة الآيات عند المفسرين، كما حدث في تفسير آيات الزلزلة ولجوء بعض السلف إلى تفسير الأثقال بالأموات بعد البعث في حين أن الحديث الذى رواه مسلم يفسرها باسطوانات الذهب والفضة تخرجها الأرض من بطونها للناس الأحياء.

وهذا الاختلاف ما نجم إلا بسبب اللبس الحادث في أذهان المفسرين بين مراحل يوم القيامة واعتبارها كلها مرحلة واحدة حتى أدخلوا أحداث كل مرحلة في الأخرى.

الشاهد الثالث: وهو فيما يخص أحداث السماء يوم القيامة في سورة الانشقاق قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:١-٥] قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات « يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وذلك يوم القيامة ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء وَذَلَّ له كل شيء ثم قال: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ اى بسطت وفُرشت ووسعت]. ثم اورد ابن كثير حديث ابن جرير بسنده إلى على بن الحسين ان النبي ﷺ قال: «اذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مَدَّ الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه فاكون أول من يُدعى وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها، فأقول: يارب ان هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ فيقول الله عز وجل صدق، ثم اشفع فأقول يارب عبادك عبدوك في أطراف الأرض قال وهو المقام المحمود وقوله تعالى ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾: أى ألقت ما في بطنها من الاموات وتخلت منهم قال مجاهد وسعيد وقتادة][1] فتفسير إنشقاق السماء بأنه يكون يوم القيامة من غير تحديد في أي مرحلة من مراحل هذا اليوم ثم تفسير مَدّ الارض والقاء ما فيها وتخليها عما كان فيها بانه بعث الاموات من قبورهم وخروجهم للحساب،

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٤٨٨

يوحي بـأن الانشقاق يكـون يوم البعث، وهـو غير صحيـح اذ هو من احداث القـيَامة الصغرى أو المـرحلة الأولى من مراحل يوم الـقيَامة وخروج الاموات من الـقبور من مراحل القـيامة الكبرى أو المرحلـة الثالثة من مراحلـها، فالانشقاق يقع فـي فجر يوم القيامة اى فى الـقيامة الصغرى ومثلهـا قوله تعالى ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ كما سنرى هذا بعد فى جزء لاحق بـاذن الله تعالى والقول بأن هذا يحدث يوم القيـامة تحديد للمرحـلة يورث اللبس والخـلط بين الأحداث ويتبع هـذا الشاهد إنفطار الـسماء الذى فسره ابـن كثير بانشـقاقها على مـا بين الانفطار والانشـقاق من فروق لغويـة أغفلها فقـال فى تفسير أول سـورة الإنفطار [يقول تـعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ أى انشقت كما قال تعالى ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ اى تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ قال ابن عباس فجر الله بعضها فى بعض](١)

وهذا تفسـير عام للأحداث من غـيْر بيان زمان الحدث ومـرحلته فى يوم الـقيامة، وتفسير الانفطار بالانشقاق غيْر دقيـق ومخالف لمقتضى دلالة اللغة، لأن هذا غير ذاك كما سنرى بعد.

هذه كلها شواهد اثبتت ما ذكرناه من أخطاء فـى التفسير فيما يخص آيات الساعة والقيامة ويوم الدين والاحداث المميزة لكل مرحلة عن الأخرى فى اليوم الآخر.

وهذا يَسْتلزم عرض أحداث كـل مرحلة من خلال نـصوص الوحى فى الـكتاب والسنـة لتستبين لـنا الفروق المميـزة بينها حتـى يرتفع عن أذهانـنا ما توارثناه مـن لبس وخلط وإختلاف وليس ما نـقوله عن علمائنا الأولين السابقين طعنـا فى علمهم، فهم الأعلم والأحكم، بيْد أن مـن عاصر احداث القيامة يكون اقرب إلى فهـمها وتأويلها منهـم لاننا نحن اهل يـوم القيامة الصـغرى قد رأينا بعـض احداثه رأىَ عيْن ونـنتظر ونترقب بقية الاحداث.

---

(١) تفسير ابن كثير/ ٤/ ٤٨١

الفصل الثاني

اختلاف العلماء حول تحديد عدد نفخات الصور من أهم أسباب الخلط بين مراحل القيامة الثلاث

٤٩- إختلاف العلماء حول تحديد عدد نفخات الصور.

٥٠- نفخة البعث.

٥١- نفخة الصعق.

٥٢- العلاقة بين الصيحة والصعق.

٥٣- نفخة الفزع.

(٤٩) اختلاف العلماء حول تحديد عدد نفخات الصور:

اختلف العلماء حول عدد نفخات الصور، فقال بعضهم: هما إثنتان وقال الفريق الثانى: بل ثلاث نفخات. ولا شك أن هذا الإختلاف أحد أسباب الخلط بين أحداث كل مرحلة من مراحل القيامة، ويكون الخلط أوضح عند الذين يقولون أنهما نفختان، ومع هذا لم ينج الفريق القائل بثلاث نفخات من الخلط أيضا.

ولنا أن نسأل أولا عن الصور الذى يأمر المولى عز وجل بالنفخ فيه فتأتى الإجابة بأنه الناقور قال تعالى ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر/ ٨- ٩] قال المفسرون الناقور هو الصور يُنقر فيه، أى ينفخ فيه.. ولم يرد النقر فى الناقور إلا فى هذه الآية الكريمة، بينما ورد النفخ فى الصور فى عشر آيات كريمات، يحتمل تفسيرها أن يكون عدد النفخات إثنتين، كما يحتمل أن يكون ثلاث نفخات، ومن ثم سنحتاج إلى مرجح من النقل والعقل لترجيح أحد القولين.

ويساعدنا على تحقيق هذا المطلب البدء بما إتفق عليه العلماء من النفخات، ذلك أن كل نفخة تمثل مرحلة من مراحل يوم القيامة، فمن قال بأنهما نفختان جعل القيامة إثنتين، ومن جعل النفخات ثلاث جعل القيامة ثلاث قيامات، أو جعل يوم القيامة يوما واحدا بمرحلتين أو بثلاث مراحل. لكن الجميع بلا إستثناء يتفقون على أن آخر النفخات هى نفخة البعث التى يقوم على أثرها الناس جميعا من قبورهم للحساب، فهى الثانية عند فريق والثالثة عند فريق.

(٥٠) نفخة البعث:

وعلى هذا الأساس سنورد من آيات النفخ فى الصور تلك التى تخص النفخة الأخيرة، لانها التى لاخلاف حولها عند العلماء.

الأولى: قوله تعالى ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ⑩⑩ خالدين فيه وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً ⑩① يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ⑩②

يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ [١٠٠-١١٢ طه] فالسياق يتحدث عن يوم القيامة، يوم ينفتح فى الصور ويحشر الله تعالى فيه المجرمين زرقا، ويستعرضون مدة وجودهم فى الحياة الدنيا فيجدو اكأنها عشرا، بل يصل الامر لامثلهم طريقة إلى القول بأنهم لم يلبثوا فى الدنيا كلها الا يوما، وأما الجبال فى هذا اليوم أى يوم الحشر الذى يبدأ بنفخة الصور فينسفها ربى نسفاً حتى أنهم عندما يخرجون للحشر فسيجدون الأرض قاعا صفصفا لاعوج فيها ولا أمتا أى مُهيَّأة للحشر، فيتبعون الداعى الذى يدعوهم ويسيرون خلفه أو فى اتجاه صوته حتى يقفوا فى المحشر خاشعة أصواتهم للرحمن سبحانه فلا يتكلم أحد إلا همسا، ولن يتمكن أحد يومئذ من الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا وهو رسول الله الخاتم المصطفى سيدنا محمد ﷺ، وعنت الوجوه له سبحانه وخاب الظالمون بدخولهم جهنم وفاز الموحدون بدخولهم الجنة برحمة الله تعالى ومغفرته.

هذه كلها مشاهد يوم الدين الذى يبدأ بالبعث من القبور، هذا الذى يتم بنفخة فى الصور وهى بالضرورة الأخيرة بين النفخات الثلاث او من النفختين، وهى أيضا التى وردت فى قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا

تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٩٩- ١١٥ المؤمنون] وهذا السياق أيضا يثبت بما لايدع مجالا للخلاف ان هذه النفخة هى نفخة البعث التى يحى الله تعالى بها أهل البرزخ للحساب الذى نتيجته الحتمية فريق فى الجنه وفريق فى السعير ويراجعوا أيضا عدد السنين التى مكثوها فى الدنيا ليجدوا أنهم لم يلبثوا الا قليلاً.

ومثلها أيضا النفخة التى وردت فى سورة يسن فى قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [٥١-٦٧ يسن] فهذا السياق يثبت أيضا أن هذه النفخة هى التى يتم بها البعث، ثم الحساب، ثم دخول الكافرين النار ودخول المؤمنين الجنة، وذلك بعد عبور الصراط الذى يجتازه المؤمنون، ويسقط من فوقه الكافرون والمنافقون إلى جهنم، ومن ثم يحق القول- بلا أدنى مجال للخلاف- أن هذه النفخة هى آخر النفخات.

كذلك يدل سياق سورة ق على أن النفخة الواردة فيه هي الأخيرة التي يعقبها البعث قال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [١٦-٣٥ ق] ذلك أن السياق يتضمن بعد النفخة مشاهد من مجادلة كل فرد لقرينه ثم دخول حزب الشيطان النار ودخول عباد الرحمن الجنة خالدين ابدا.

وتلك العناصر موجودة فى جميع السياقات التى تعقب هذه النفخة، ومن ثم وبلا أدنى خلاف أو جدال تكون هى النفخة الأخيرة.

وكذلك النفخة الواردة فى سياق سورة النبأ يتضمن هذا السياق نفس العناصر فى حجيع السياقات السابقة قال تعالى ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠)﴾ [١٧- ٤٠ النبأ] هذا هو يوم الفصل يوم الحساب يوم الدين يعقبه الخلود فى الجنة للمؤمنين والخلود فى النار للكافرين، ومتى يبدأ هذا اليوم؟ يبدأ بالخروج من القبور بالنفخة الأخيرة ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أى بعد القيام من القبور. فهذه النفخة إذن هى بلا خلاف وبلا جدال نفخة البعث أى هى نفخة القيامة الكبرى تفتح فيها ابواب السماء وتسير فيها الجبال فتصبح سرابا وهذا هو الذى يتم بالمرحلة التالية لمرحلة العهن المنفوش حيث ستتلاشى الجبال بعدها وتصبح كأنها سراب ثم يقوم الحساب ثم يؤتى بجهنم ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [٢٣ الفجر] ثم يدخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة كما جاء فى بقية السورة .

كل هذه المواضع السبعة التى ورد فيها ذكر النفخ فى الصور تناولت بحسب السياق- نفخة البعث، وأما الموضع الثامن الذى ورد فيه ذكر الصور فهو قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام :٧٢-٧٣] وسياقه يدل على أنها نفخة البعث أيضاً لقوله تعالى قبل ذكر النفخة ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ولقوله تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ إشارة إلى قوله تعالى بعد موت الأحياء من الأنس والجن والملائكة حتى جبريل وملك الموت (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار..) فنفخة الصور هذه يحتمل أن تكون هى النفخة الأخيرة التى يُحْيِى الله تعالى بها الأموات: إنساً وجناً وملائكة ويحتمل أن تكون التى قبلها وهى التى يُميتُ الله بها كل حى فى الأرض ولا يبقى معه حى فى الكون ويرجح هذا القول قوله تعالى فى أول الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ إذ أن ذكر بدء الخلق فى الآية التى جاء فيها ذكر النفخة يرجح أنها نفخة النهاية التى تأتى بقوله تعالى (كن فيكون)

وعلى هذا فالنفخة فى آية الأنعام هذه تحتمل أن يكون المقصود بـها نفخة البعث أى الأخيرة ويحتمل أن يكـون المقصود بهـا النفخة التى قبلها وهـى نفخة الإفنـاء التام للحياة برمتها وهى نفخة الساعة، ودلالتها على هذه الأخيرة أرجح ، وأياً كانت دلالة النفـخة فى آية الأنعام عـلى الأخيرة أو التـى قبلها، فـإنه لا خلاف بين العلـماء حول هاتين النفختين، وأعنى بهما نفخة البعث التى هى الأخيرة، والتى هى نفخة الإحياء ونفخة الفناء التام وإماتة كل حى وهى التـى تسبقها مباشرة، وإنما الخلاف حول نفخة تسبق هاتين النفخـتين إذ يُقصر بعض العلماء النفخ فى الصور علـى اثنتين بينما يرى البعـض الآخر أنها ثـلاث وهو الذى أراه وأرجحـه معهم أن الـنفخات فـى الصور ثلاث، ومن ثم تـكون هاتان النفخـتان هما الثانيـة والثالثة، وتكون الأولـى من الثلاث هى محل الخلاف.

ولحسم هذا الخلاف وبيـان الحق فيه نقول إن عبارة نفخـة الصور وردت فى عشر مواضع كما ذكرنـا، أوردنا منها ثمانية مواضع، سـبعة منها تدل دلالة قطعـية بمقتضى السياق على نفخة البعث، وهى آخر النفخات، وواحدة وجدنا أنها يحتمل أن تخص البعـث كما يحتـمل أنَّها تـخص الإفناء والموت الـكلى التام الـشامل، ورجحـنا هذه الدلالة الأخيرة، وعلى هذا يـتبقى لدينا من آيات الذكر الحكيم الـتى تخص النفخ فى الصور موضعان فى سياقين، السياق الأول: ـ

(٥١) نفخة الصعق:

وهو الموضـع التاسع وهـو قوله تعـالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ

حقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الزمر:٦٦-٧٥].

هذا السياق القرآنى الكريم فى آية الزمر ضم النفختين معاً وفى آية واحدة إحداهما نفخة الصعق وفيها صعق من فى السماوات والأرض إلا من شاء الله والنفخة الأخرى التى تلى نفخة الصعق هى النفخة التى يقوم الأموات جميعاً على أثرها ينظرون حولهم أى هى نفخة البعث﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ فضمت هذه الآية نفختى الإفناء والموت الكلى الشامل لجميع الأحياء فى الأرض ثم نفخة البعث وهما الأخيرة وما قبلها كما وضحنا من قبل، ثم توالت فى السياق مشاهد الحساب وسوق الكفار إلى النار وسوق المؤمنين إلى الجنة.

والسؤال الآن عن الصعق ماذا يكون؟ وما هو أثره؟

ونبدأ بالصعق الذى نعرفه فى هذه الحياة الدنيا وهو الذى جاء فى قوله تعالى فى سورة الرعد ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد :١٢-١٣] والبرق والرعد كما يقول علماء الفيزياء المعاصرون مظهران لظاهرة واحدة ناتجة عن التقاء شحنة كهربية موجبة بأخرى سالبة فيحدث منها تيار كهربائى عالى جداً له أثره فى إنزال المطر من السحب المحملة ببخار الماء الكثيف وهذا الانفجار الكهربائى المتمثل فى التقاء الشحنتين له صوت وضوء وضوؤه هو البرق الذى هو عبارة عن التيار الكهربائى الذى يتلبس

بأبخرة الماء فى السحب الملقحة، وصوته هو الرعد ومن ثم يصل البرق قبل الرعد ويسرى لأن الضوء أسرع بكثير من الصوت، كما هو معلوم، وهذا الذى نراه ضوءاً لامعاً خاطفاً سريعاً فى السحاب قبل سماع صوت الرعد إذا امتد إلى سطح الأرض- وكثيراً ما يحدث هذا - فإنه يصعق كل من يطوله من الأحياء ويحرقه ويقتله على الفور وله تأثيره المدمر أيضاً فى غير الإحياء والواحدة منها صاعقة وجمعها صواعق، وإذا أصابت أحداً من الناس فهو بإذن الله تعالى وأمره وقدره، وليس مصادفة، كما قد يتوهم البعض وبخاصة العلمانيون والملاحدة بدليل قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ... ﴾ فلكل إنسان حفظة من الملائكة يحفظونه بأمر الله وقدره ومن ثم لا تُصيب الصواعق أحداً إلا بأمره كما لا يقع شيء فى الكون إلا بأمره، ومن ثم قال تعالى بعد ذكر البرق ثم الرعد : ﴿...وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ﴾ .

فالصعق إذن هو التعرض لتيار كهربائى شديد يقضى على الكائن الحي، هذا بالنسبة للصواعق النازلة من البرق والرعد.

ولكن الصواعق التى أهلك بها الله تعالى أقواماً سابقين عن آخرهم دفعة واحدة هو من الصعق السماوى الصادر من السماء، وهو إن كان مختلفاً عن الصواعق الجزئية المحدودة النازلة من البرق والرعد إلا أنه لابد أن يكون من جنسها لإطلاق لفظ الصاعقة بالمفرد أو الجمع على الاثنين.

ففى قوله تعالى عن هلاك عاد وثمود﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[فصلت : ١٣] دليل على أن هذه الصاعقة التى أهلك الله بها ثمود فما بقى منهم أحداً بصاعقة واحدة هى بلا شك صاعقة عظيمة جداً لإهلاكها مجتمعات بأكملها .

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا

حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ [الذاريات :٤٣-٤٥].

وكذلك أهلك الله النقباء المختارين من بنى إسرائيل بالصاعقة جزاء لهم على طلبهم رؤية الله جهرة قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥-٥٦] . فالصعق نتيجته غالباً الموت بدليل أن الله تعالى بعثهم من بعد موتهم لعلهم يشكرون، وفى سورة النساء : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٥٣].

أما الصعق الذى أصاب موسى عليه وعلى نَبِيِّنَا الصلاة والسلام من أثر تجلى الله عز وجل على الجبل الذى جعله دكاً والذى ورد فى قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف :١٤٣] فلم يمت موسى عليه الصلاة والسلام من هذا الصعق ولكنه خر مغشياً عليه بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾.

وبقيت من آيات الصعق واحدة تتحدث عن صعقة ينذر الله تعالى بها الكافرين من بعد نزول القرآن تصيبهم جميعاً وليس كفار قريش فقط لأن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب فهى إنذار لكل من يعرض عن القرآن الكريم، وعن الإسلام منذ نزوله إلى يوم الفناء قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت :١٣٠] وهذا إنذار من الله تعالى إلى البشرية الكافرة منذ العهد النبوى المكى إلى يوم الفناء أى أنها قادمة فى وقت يعلمه الله تعالى وبسبب طغيان أحوال الكفر والفسق والفجور على حياة البشر، وهى من الصواعق العامة

المهلكة المستأصلة ليس لقوم بعينهم ولكن لكل الكافرين، وحيث أن الفناء الكلى لا يحدث إلا إذا كان سكان الأرض كلهم كافرين فإنها تكون الساعة المهلكة .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى عن صاعقة منتظرة ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور:٤٥-٤٦]

فهذا اليوم الذى سيلاقى فيه الكفار الصعق هو يوم نفخة الصعق وهو يوم الفناء التام والموت الشامل لكل الأحياء﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ إذن هو سيأتي، وتلك هى نفخة الصعق أو نفخة الفناء التام لكل حى فى الأرض، وحيث لا يكون حى فى الأرض من الإنس والجن إلا كافراً فيقع عليهم الصعق، فالصلة بين النفخ فى الصور والصيحة وثيقة كما أن الصلة بين الصيحة وبين الصعقة وثيقة وتلك هى القيامة الوسطى التى يموت فيها كل حى بالصيحة الصاعقة.

(٥٢) العلاقة بين الصيحة والصعق:

فما العلاقة إذن بين النفخ فى الصور وبين الصيحة؟!

العلاقة واضحة بين النفخ فى الصور وبين نزول العذاب المستأصل العام على قوم من الأقوام بالصيحة فالنفخات فى الصور إذن ليست ثلاثة، وإنما هى أكثر من ذلك، وإنما الذى بقى منها منذ نزول القرآن إلى آخر الحياة الدنيا ثلاث نفخات لأن بعض الأقوام المستأصلين هلكوا بالصيحة التى أحدثتها النفخة بدليل قوله تعالى فى سورة يسن ذاكراً الصيحات الثلاث: الأولى التى أهلك بها قوم شهيد يسن والثانية وهى نفخة الفناء العام والثالثة نفخة البعث قال تعالى : ﴿وما أنزلنا علىٰ قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ﴿٢٨﴾ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ﴿٢٩﴾ يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ﴿٣٠﴾ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون ﴿٣١﴾ وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ [يسن ٢٨: ٣٢] ويمضى

السياق إلى أن يقول الله عز وجل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يسن: ٤٨-٥٤] ثم يمضي السياق ذاكراً الجنة وأهلها والنار وأهلها بعد تمام الحساب والصراط.

هذا السياق يتحدث عن صيحتين: الأولى هي صيحة الفناء الشامل المفاجئ الذي يدرك الناس جميعاً بصيحة الصعق فيموت كل في مكانه أثناء عمله ولا يرجع أحداً إلى أهله، وذكر في هذا الإفناء الصيحة ولم يذكر فيه النفخة.

والصيحة الثانية في السياق هي صيحة البعث والإحياء والخروج من القبور، لكن السياق قَرَنَ هذه الصيحة بالنفخ في الصور، لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ إذن النفخ في الصور يحدث صيحة والعلاقة بينهما وثيقة، فلا صيحة إلا بنفخة في الصور، ولكن صيحة للموت أو الصعق وصيحة للإحياء والبعث، ومن ثم تَبَقَّى الصيحة التي أهلك بها الله قوم شهيد يسن التي جاءت في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ فهذه إذن كانت بنفخة أيضاً في الصور، ومن ثم فكل صيحة إهلاك لقوم إنما تكون بنفخة في الصور، وهذا يفيد أن عذاب ينزل على قوم يكون بالصيحة تَتِمُّ بنفخة في الصور ومن ثم فالنفخات متعددة فيما سبق من تاريخ البشر ولكن الباقي في تاريخها هما اثنتان عند بعض العلماء وثلاث عند البعض الآخر.

(٥٣) نفخة الفزع:

والذي أرجحه كما ذكرت من قبل هو أن النفخات التي تنتظرها البشرية حتى نهاية الحياة الدنيا ثلاث نفخات، ومعنى هذا أن ثمة نفخة تسبق نفختي الفناء والإحياء.

فما هى هذه النفخة؟ إنها النفخة التى وردت بالموضع العاشر، وهو الموضع المتبقى لدينا من المواضع العشر، وهى نفخة الفزع، فما هى نفخة الفزع؟!

إنها نفخة لا تسبب صعقاً لأهل السماوات والأرض، ولكن تسبب هدماً وفزعاً وموتاً للبعض بسبب الهدم ونجاة للبعض، وفرق كبير بين الصعق وبين الفزع ، لأن الصيحة التى يصعق بها الخلق لا تترك لهم وقتاً يفزعون فيه أو يصيبهم فيه الخوف، وإنما هو مجرد وصول الصوت إلى الأذن وحدوث الموت على الفور.

أما نفخة الفزع فقد وردت فى القرآن الكريم مرة واحدة بخلاف نفخة الصعق فقد مضى منها عدد بقدر هلاك الأمم المستأصلة بالصيحة وسيأتى منها نفخة الإفناء العام أى الاستئصال العام للحياة من على ظهر الأرض، وهو ما سيتم بالصيحة كما دلت على هذه السياقات السابقة وكذلك بقيت نفخة البعث بصيحة الإحياء وهى بعد نفخة الإفناء بالصيحة.

ولكن نفخة الفزع التى وردت فى سورة النمل بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَمَن فِى الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧] والفعل المضارع ﴿يُنفَخُ﴾ فى الآية يفيد المستقبل، فهذا إنباء لما هو منتظر على مستوى البشر جميعاً بل إن الفزع يطول الملائكة أيضاً لأنهم أهل السماوات إلا ما شاء الله تعالى وقد علمنا أن هذا الفزع العام لأهل السماء والأرض ليس هو يوم الصعقة للفناء، وليس هو يوم الصحية للإحياء وللبعث، وحتى يتبين لنا المقصود بنفخة الفزع، يجب علينا أن نعرف أحوال البشر عند وقوع نفخة صيحة الفناء أو استئصال الحياة من الأرض بعامة، وأحوالهم عند البعث وبعده أى يوم الحساب والجزاء.

الفصل الثالث

القيامات الثلاث

أو مراحل يوم القيامة الثلاث

(٥٤) التمييز بين كل مرحلة من مراحل القيامة الثلاث:

لقد اصطلحنا فى هذا الكتاب على إطلاق اسم القيامة الصغرى على المرحلة الأولى والوسطى على الثانية والكبرى على الثالثة بقصد التمييز والفصل بين كل منها، فالوارد فى الكتاب والسنة أن يوم القيامة واحد ولكن نظراً لما يحدثه هذا من لبس عند الأذهان، إذ يتوهمون أنه يحدث فى ساعة واحدة، أو فى مرحلة واحدة، وهو ما حدث عند المفسرين، وحتى نتحاشى هذا، قلنا أنه ثلاث مراحل رئيسية أو ثلاث قيامات، حتى يمكن اعتبار كل نفخة محدثة لقيامة من القيامات الثلاث تميزاً بينها مع أنها جميعا أحداث يوم القيامة.

وليس الفصل أو التمييز بين مراحل القيامة بالاسم ولا حتى بالزمن فحسب، بل هو بالأحوال والأحداث إذ تختلف الأحداث التى تخص كل قيامة بالنسبة للانس والجن والملائكة والسماء والأرض والبحار والجبال والكواكب والشمس والقمر فى كل قيامة أو فى كل مرحلة عن المرحلتين الأخريّن.

وستحدث بإذن الله تعالى عن كل مرحلة على حدة من خلال حديث الصور الطويل الذى سبق أن أَوْرَدْتُ بعضه فى الجزء الأول من غير تفصيل أو شرح، ونذكره هنا مفصلاً مشروحاً بإذن الله تعالى ليتضح لنا الفصل والتمييز بين القيامات الثلاث أو مراحل القيامة الثلاثة.

ونبدأ بالقيامة الكبرى أو المرحلة الأخيرة التى تبدأ بنفخة البعث أو النفخة التى يحدث الله بها صيحة الإحياء، وتنتهى بدخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ثم خروج بعض أهل النار منها ودخولهم الجنة برحمة الله عز وجل وشفاعة الشافعين من أهل الجنة.

(٥٥) أحداث القيامة الكبرى أو مرحلة النفخة الثالثة:

جاء فى حديث الصور الطويل الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه ما يلى :

(... ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يقول ليحي جبريل

وميكائيل فَيَحْيَيَان، ثم يدعو الله الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً، والأخرى ظلمة فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النمل قد ملأت ما بين السماء، والأرض فيقول الله تعالى: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد، مشي السم في اللديغ، ثم تنبثق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تنسلون ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ حفاة عراة غرلاً غلفاً.

ثم تَقفون موقفاً واحدا مقدار سبعين عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً، وتعرقون حتى يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم أو يبلغ الأذقان، فتصيحون وتقولون: من يشفع لنا إلى ربنا يقضى بيننا؟! فتقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم؟ خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلاً، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه، فيأبى فيقول: ما أنا بصحاب ذلك، ثم يَستَقرُونَ الأنبياء نبياً نبياً كلما جاءوا نبياً أبى عليهم، قال رسول الله ﷺ: حتى يأتوني فأنطلق حتى آتي الفحص فأخر ساجداً، قال أبو هريرة: يا رسول الله ما الفحص ؟ قال: موضع قدام العرش، حتى يبعث الله إليَّ ملكاً فيأخذ بعضدي فيرفعني فيقول لي: يا محمد فأقول: نعم لبيك يا رب، فيقول: ما شأنك- وهو أعلم- فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فأقض بينهم فيقول: شفعتك أنا آتيكم فأقضي بينكم.

قال رسول الله ﷺ: فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا حساً من السماء شديداً، فينزل أهل السماء الدنيا مثل من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم قلنا لهم: فيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من نزل من الملائكة ومثل من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض، أشرقت الأرض بنورهم، وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا : لا وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى في ظلل من الغمام والملائكة

(ويحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة: أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والأرض والسماوات إلى حجرهم والعرش على مناكبهم لهم زجل من تسبيحهم يقولون : سبحان ذى العزة الحى الذى لا يموت، سبحان الذى يميت الخلاق ولا يموت، فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس إنى قد أنصتُّ لكم من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأرى أعمالكم، فأنصتوا إليَّ، إنما هى أعمالكم وصحفكم تُقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [يسن :٦٠-٦٢]، شك أبو عاصم﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يسن: ٥٩] فيميز الله الناس، وتجثوا الأمم، يقول الله تعالى : ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨] فيقضى الله بين خلقه إلا الثقلين الإنس والجن فيقضى الله بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقيد الجماء من ذات القرن فإذا فرغ الله من ذلك فلم يبق تبعة عند واحدة لأخرى قال الله لها: كونى تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ:٤٠]

ثم يقضى الله تعالى بين العباد فيكون أول ما يقضى فيه الدماء، ويأتى كل قتيل فى سبيل الله ، ويأمر الله فيأخذ من قَتَلَ فيحمل رأسه تشخب أوداجه، فيقول يا رب فيم قتلنى هذا فيقول تعالى -ووهو أعلم: فيم قتَلْتَه، فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول الله صدقتَ فيجعل الله وجهه مثل نور السماوات، ثم تسبقه الملائكة إلى الجنة. فيأتى كل من كان يقتل على غير ذلك، ويأمر من قَتَلَ فيحملَ رأسه تشخب أوداجه، فيقول يا رب فيم قتلنى هذا؟ فيقول الله وهو أعلم: فيم قتلته؟ فيقول: يا رب قتلتُه لتكون العزة لي: فيقول الله تَعِسْتَ ثم ما تبقى نفس قتلها قاتل إلى قتل بها، ولا مظلمة إلا أخذ بها، وكان فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، ثم يقضى الله بين من بقى

من خلقه، حتى لا تبقى مظلمة لأحد، عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم، حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء أن يخلص اللبن من الماء فإذا فرغ الله من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق كلهم فقال: ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد من دون الله شيئاً إلا مثلت له الهيئة بين يديه، فيُجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى، فيتبع هذا اليهود، ويتبع هذا النصارى، ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، فهذا الذى يقول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٩] فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون، جاءهم الله فيما شاء من هيئة فقال: يا أيها الناس، ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون والله ما لنا إلاّ الله، وما كنا نعبد غيره، فينصرف عنهم- وهو الله - فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يأتيهم فيقول: يا أيها الناس ، ذهب الناس ، فالحقوا بآلهتكم، وما كنتم تعبدون، فيقولون: والله ما لنا إلا الله، وما كنا نعبد غيره، فيكشف عن ساقه، ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم، فيخرون سجداً على وجههم ، ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله أصلابهم كصياصيى البقر، ثم يأذن الله لهم فيرفعون رؤوسهم ويضرب الله بالصراط بين ظهرانى جهنم كقد الشعر أو كعقد الشعر، وكحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك دونه جسر دحض مزلة فيمرون كطرف البصر وكلمح البرق، أو كمر الريح، أو كجياد الخيل، أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال، فناج سالم وناج مخدوش ، ومكدوح على وجهه فى جهنم.

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة، قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، إنه خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه، وكلمه قبلاً فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً، ويقول ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله ، يأتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحبكم عليكم بإبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ، ويقول ما أنا بصاحبكم، عليكم بموسى، فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً، ويقول : لست بصاحبكم ذلك، ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم فيؤتى عيسى ابن مريم، فيطلب ذلك إليه

فيقول: ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بمحمد ﷺ قال رسول الله ﷺ : فيأتوني، ولي عند ربي ثلاث شفاعات وَعَدنيهنَّ فأنطلق فآتي الجنة فآخذ بِحلَقِ الباب، فأستفتح فيُفْتَح لي فأحيَّى ويُرَحَّب بي ، فإذا دخلت إلى الجنة فنظرت إلى ربي عز وجل خررت ساجدا فيأذن الله لي من حمده ومجده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول لي الله ارفع رأسك يا محمد، واشفع تشفع وسل تعط، فإذا رفعت رأسي قال الله وهو أعلم : ما شأنك؟ فأقول : يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة فيقول الله عز وجل قد شفَّعْتُكَ وأذنت لهم في دخول الجنة، فكان رسول الله ﷺ يقول: والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء الله واثنتين آدميتين من بنات آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا، يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوت على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس واستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها، كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوتة كبده لها مرآة، وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله إذ نودي: إنا قدْ عرفنا إنَّك لا تَملُّ ولا تُمَلُّ إلاَّ أن لك أزواجاً غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة، كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إليَّ منك.

قال: وإذا وقع أهل النار في النار، وقع فيها خلق من خلق ربك أو بقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذه إلى قَدَمَيْه لا يجاوز ذلك منهم ومنهم من تأخذه إلى حقويْه، ومنهم من تأخذ جسده كله إلاَّ وجهه، قد حرم الله صورته عليها قال رسول الله ﷺ: فأقول يا رب شفعني فيمن وقع من النار من أمتي، فيقول الله عز وجل: أخرجوا من عرفتم، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم واحد.

ثم يأذن الله في الشفاعة ، فلا يبقى نبي ولا شهيد إلاَّ شفع فيقول الله عز وجل: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة الدينار إيماناً، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد.

ثم يشفع الله فيقول : أخرجوا من وجدتم فى قلبه ثلثى دينار ونصف دينار، ثم يقول : وثلث دينار ثم يقول وسدس دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى فى النار من عمل خيراً قط، وحتى لا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع حتى إن إبليس ليتطاول لما يرى من رحمة الله رجاء أن يشفع له.

ثم يقول الله عز وجل: بقيتُ أنا، وأنا أرحم الراحمين فيدخل الله يده فى جهنم فيخرج منها مالا يحصيه غيره كأنهم خشب مجترف، فينبتهم الله على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل فما يلى الشمس منها أخيضر، وما يلى الظل منها أُصَيفِر، فينبتون نبات الطواثيت حتى يكون أمثال الدرمك مكتوب فى رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن عز وجل يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا لله خيراً قط فيقون فى الجنة (١).

(٥٦) أحداث القيامة الوسطى أو مرحلة النفخة الثانية:

جاء فى نفس حديث الصور الطويل الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه ما يخص هذه الأحداث فيما يلي:

(... ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خمدوا، وجاء ملك الموت إلى الجبار، فيقول: يا رب مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت، فيقول الله، وهو أعلم بمن بقى، فمن بقى ؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقيت حملة عرشك وبقى جبريل وميكائيل، وبقيت فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله العرش ويقول: يموت جبريل، وميكائيل؟ فيقول : اسكت فإنى كتبت الموت على كل من تحت عرشى فيموتان، ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول - وهو أعلم بمن بقى : فمن بقى ؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت، وبقى حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله تعالى : فليمت حملة عرشى ، فيموتون، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتى ملك

(١) النهاية فى الفتن والملاحم لابن كير جـ١ ص٢٧٤ وما بعدها.

الموت إلى الجبار عز وجل، فيقول: يارب قد مات حملة عرشك، فيقول وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول : يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيتُ أنا فيقول : أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت، فإذا لم يبق إلا الجبار الواحد القهار الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، كان آخراً كما كان أولاً، طوى السموات والأرض كطي السجل، ثم دحاها ثم تَلَقَّفَها ثلاث مرات، وقال: أنا الجبار ثلاثاً ثم يهتف بصوته ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر :١٦] ثلاث مرات، فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦] .

ويبدل الله الأرض غير الأرض، والسماوات فيبسطها، ويُسَطِّحُها، ويمدها مد الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم في مثل ما كانوا فيه من الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش ، ثم يأمر السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم إثني عشر ذراعاً ، ثم يأمر الله الأجسام أن تنبت كنبات الطراثيث، أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت قال الله تعالى : لِيَحْيَ حملة عرشي فَيَحْيَون.

ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور بضعة على فيه، ثم يقول ليحي جبريل وميكائيل فيحييان، ثم يدعو الله الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً ، والأخرى ظلمة ، فيقبضها جميعاً، ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول الله تعالى : وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم، ثم تمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنكم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون منها سراعاً إلى ربكم تنسلون ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:٨] حفاة عراة غرلاً غلفاً)[١].

(١) نفس المصدر ص ٢٧٢ وما بعدها.

(٥٧) العناصر الرئيسية فى أحداث نفختى الصعق والبعث أو القيامتين الوسطى والكبرى:

أولاً : ما يخص الإنس والجن وسائر الأحياء من أحداث الصعق بالنفخة الثانية: ينفخ إسرافيل بأمر الله تعالى نفخة الصعق فتصدر إلى السموات والأرض صيحة الصعق المهلكة فيموت كل حى فى السماوت والأرض، إلا من شاء الله تعالى أن لا يموت بها من الملائكة، وتفنى الحياة على الأرض فناء تاماً بمجرد وصول الصيحة إلى أذن كل حى فتصعقه فى مكانه فلا يبقى على الأرض إنس ولا جان ولا ملك، ولا حيوان ولا طير ولا حشرة، ولا نبات ولا أى كائن حى حتى ولا الكائنات الدقيقة لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧] والملائكة الذين يموتون فى الأرض والسماء هم من غير كبار الملائكة مثل جبريل وميكائيل ، وإسرافيل وحملة العرش وملك الموت فهم الذين استثناهم الله تعالى من الصعق بالصيحة الصادر بنفخة الصور الثانية المخصصة للإفناء ، وتلك هى الساعة إذا أطلقنا الساعة وهى الساعة الوسطى أو القيامة الوسطى.

هذا هو الحدث الأول من أحداث القيامة الوسطى بالنفخة المحدثة لصيحة الموت والفناء الكلى فى الأرض، والموت الشامل الكلى فى لحظة واحدة بفعل الصيحة عندما تدخل أذن الحى فتصعقه ولن يموت أحد فى هذا الحدث إلا بالصعق ، ومن ثم لا هدم ولا دمار ولا حريق ولا غرق ولا إعصار ولا زلزال ولا رجفة، ولا أى حدث من أحداث العنف والشدة فى السماء أو فى الأرض أو فى الجبال أو فى البحار أو الكواكب أو النجوم أو الشمس أو القمر.

يدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس:٤٨-٥٠] فكل حى يموت فى مكانه حتى أنه لن يتمكن من الرجوع إلى أهله وحتى أن المتخاصمين أمام القاضى فى المحكمة يموتان ومعهما القاضى وكل الحضور فى المحكمة لأن الصيحة ستأخذهم وهم يخصِّمون أى يدافع كل خصم عن

حقِّه، يؤكد هذا الفهم ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لَقْحَته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة، وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»(١).

ولنا أن نتساءل: كم يستغرق من الوقت الإمساك باللقمة ثم توصيلها إلى الفم ومضغها؟! الإجابة : قليل جداً من الثواني، ذلك هو الزمن الذى تتم فيه كل أحداث الساعة التى هى القيامة الوسطى التى تتم بنفخة صيحة الصعق، وهذا يوافق ما علمناه بالتجربة وبالعلم إذ لا يستغرق الموت بالصعق إلا هذه الثوانى المعدودة، وما ضرب رسول الله ﷺ هذه الأمثلة وآخرها زمن رفع اللقمة إلى الفم وعدم وصولها إليه إلا ليبين أن الموت بالساعة لَنْ يستغرق سوى ثانية أو ثانيتين أو ثلاثة وهى فعلاً الزمن الذى يستغرقه القتل أو الموت بالصعق، ولا شك أن وصول الصيحة من السماء للأرض ولكل حى فيها يكون فى لحظة واحدة أو فى خلال لحظات معدودة.

إن فناء الحياة والأحياء على الأرض بالصيحة لا يتيح وقتاً لهم لعمل أى شيء ولا للتفكير فى أى شيء حتى ولا للفزع، فقط لحظات معاناة شدة وآلام الصعق ثم الموت.

وأورد السيوطى فى الدر المنثور قال « أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة رضى الله عنه فى قوله : ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[يس:٤٩] قال : ذكر لنا أن نبىالله ﷺ كان يقول : تهيج الساعة بالناس والرجل يسقى ماشيته والرجل يصلح حوضه ، والرجل يقيم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه فتهيج بهم وهم كذلك فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون قال: أُعْجِلوا عن ذلك ».

وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى رضى الله عنه فى قوله : وهم يخصمون قال: يتكلمون .

---

(١) صحيح البخارى ٩-٥٩- من حديث طويل- ابن كثير فى النهاية جـ١ ص٢٨٢- ورواه مسلم وابن المنذر وأبو الشيخ وسعيد بن منصور .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: لينفخن في الصور والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم حتى أن الثوب يكون بين الرجلين يتساومان فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ في الصور فيصعق به، وهي التي قال الله ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٤٩-٥٠].

وأقول والله تعالى أعلم : إن قوله تعالى﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ دليل أيضاً على أن الموت الكلي والفناء الشامل لن يستغرق ثواني لأن المحتضر يمكن أن يوصي بثلاث كلمات أو بأقل في ثانية أو ثانيتين، وهذا المصعوق الذي تقوم عليه القيامة تباغته الصيحة فيرتج جسده بها رجاً عنيفاً شديداً، يمنعه من الكلام للتوصية ويستمر هكذا ثواني معدودة يموت على أثرها فقوله تعالى : ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ معناه لا يقدرون على التحدث أو التلفظ ولو بكلمة واحدة.

وهذا كله تفسير لقوله تعالى عن الساعة: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [محمد:١٨] فهي تأتيهم بغتة لأن كل من سيكون على الأرض من الإنس والجن لن يكون مؤمناً بها ولا باليوم الاخر وهم الأشرار ولن يكون في الأرض دين ولا قرآن ولا سنة ولا توراة ولا إنجيل لا الصحيح ولا المحرف، ومن ثم فإن أهل الأرض يكونوا بلا علم وبلا ترقب، وبلا توقع للساعة فتأتيهم بغتة.

ويفيد قوله تعالى: ﴿بَغْتَةً﴾ أيضاً أن الساعة التي ليس لها معنى إلا الموت الكلي والفناء التام لكل الأحياء والحياة في الأرض لن تكون إلا بوسيلة سريعة جداً، وليس أسرع في وسائل الموت من الصاعقة والصعق لأن الهدم والغرق والزلزال وغير ذلك من وسائل الدمار تستغرق وقتاً ومن ثم فلا يكون الموت بغتة، ولا يموتون جميعاً في لحظة واحدة فإذا هم خامدون جثثاً ملقاة في كل مكان علي الأرض .

ثانيا: ما يخص الملائكة المقربين من أحداث الساعة أو القيامة الوسطى بنفخة الصعق:

جاء فى حديث الصور الطويل قوله ﷺ (ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فى الصور فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خمدوا، جاء ملك الموت إلى الجبار إلى آخر هذا المشهد، وفيه أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ يدل على أن المستثنى من الصعق الملائكة المقربون: جبريل وميكائيل وحملة العرش ومنهم إسرافيل نافخ الصور ثم ملك الموت نفسه والنص يفيد أنهم يموتون عن آخرهم فلا يبقى إلا الحى الواحد الذى لا يموت سبحانه وتعالى آخراً كما كان أولاً.

ثالثاً: ما يخص السماوات والأرض من أحداث بعد القيامة الوسطى أى بين نفخة الصعق وبين نفخة البعث:

جاء فى حديث الصور الطويل بعد موت ملك الموت وجميع الأحياء المخلوقين فى الوجود وبقاء الله تعالى وحده آخراً كما كان وحده أولاً قوله ﷺ « طوى السموات والأرض كطى السجل للكتاب، ثم دحاها ثم لفها ثلاث مرات، وقال: أنا الجبار، ثلاثاً، ثم هتف بصوته، لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات فلا يجيبه أحد، فيقول لنفسه: لله الواحد القهار، ويبدل الله الأرض غير الأرض، والسموات، فيبسطها، ويسطحها، ويمدها من الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً».

تفرد الله تعالى بالأولية والآخرية خصائص وجودية لا يشاركه فيها غيره، وأيضاً تفرده بالملك والملكوت وبالقهر والجبروت، فلا يشاركه فى هذه الصفات غيره عز وجل.

ثم هو سبحانه يهيئ السموات والأرض للموقف العظيم يوم يقف الخلائق كلها لله رب العالمين للحساب والفصل والجزاء.

والأرض التى عليها الناس الآن مخلوقة للحياة وللاستقرار فجعل فيها الجبال حتى لا تميد وجعل فيها الأنهار والأمطار والبحار والوديان، والصحارى والسهول والهضاب فالاختلاف فى تضاريسها لتنوع البيئات من مناطق استوائية ومدارية

وقطبية جـليدية وغابات كثيفة وصحارى شاسعة وسواحـل مختلفة وأعماق مـتباينة ومحيطات هائلة وبحيرات محدودة ومعادن وطبقات أرضية متنوعة ، وكله مخلوق للإنسان﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩] وذلك حتى تكتمـل أسباب معيشة البشر فى مرحلة الخلافة الابتلائية أى فى هذه الحياة الدنيا.

قال تعالى: ﴿.. وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] وحيث أن المستقر فى هذه الحياة الدنيوية له مقتضيات للمعيشة، فقد جعل الله تعالى الأرض وما فيها بكيفيات مـلبية ومحققة لحاجات البشرية وسائر الأحياء على الأرض، فهى بالهيئة التى عليها الآن من جبال ووديان وسهول وهضاب، وبحـار ومحيطـات ونباتـات، وأنعام وغيـر ذلك لتحـقيق هـذه الحاجات الضـرورية للحياة.

أما مـرحلة مـا بعد نـفخة الـبعث فـليس فـيها إلا وقـوف الخلق جـميعـاً عليـها للحساب، ومن ثم لن تكون صالحة لهذه المرحـلة إلا إذا كانت مستوية مسطحة ممتدة لا عوج فيـها ولا أمتاً أى لا بروز ولا ارتفـاعات فى سطحهـا وهذا يتمه الله سبـحانه، بدك الأرض والجبال دكة واحدة، فتنسف الجبال وتصـير كالعهن المنفوش، ثم تصير سراباً وتُـسوى الأرض بعد ذلـك فتختفـى منها الـبحار والارتفاعـات المختلفـة على سطحها فلا يـبقى إلا سطح ممتد منبسط وهى التـى يقول الله تعالى : ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة : ١٤] وهى التى يقول الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧] وصـفصفـاً أى لا نبات فـيها وأمتـا أى لا رابية فـيها وعـوجاً أى وادياً.

وهى التـى يقول الله تعـالى : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥-٦] تتحول الجبال من الصوف المتطاير إلى أن تكون

كالسراب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] وهى التى قال الله تعالى فيها أيضاً : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٧] فمتى يهيئ الله تعالى الأرض للحشر: وينسف الجبال ويجعلها سراباً وغير ذلك من أحداث يتحقق بها هذا الاستواء والتسطيح والمد كالأديم العكاظى أى كالجلد الذى كان يصنع فى عكاظ؟ إنه بعد نفخة الصعق وقبل نفخة البعث. وعلى هذا فليس من أحداث ليوم ما بين النفخة الثانية والثالثة إلا تسوية الأرض للحشر وهذا يتم والأحياء كلهم موتى أى ما بين النفختين الثانية والثالثة:

أما ما يخص الناس فى هذا اليوم فقد ورد فى حديث الصور الطويل قوله : « ثم يزجر الله الخلق زجرة، فإذا هم فى مثل ما كانوا فيه فى الأولى من كان فى بطنها كان فى بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليكم ماءاً من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فَوْقهم اثنى عشر ذراعاً ثم يأمر الله لأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم ، فكانت كما كانت» والذين فى بطنها يُحتمل أن يكونوا الجن الذين يسكنون باطن الأرض ويحتمل أن يكونوا موتى الإنس الذى دفنهم أهلهم فى مقابر، ومن ثم يكون المقصود بمن على ظهرها الذين يموتون بنفخة الصعق إذ أنهم لا يدفنون بل ستظل جثثهم على ظهرها ولا مانع من الجمع بين التفسيرين وما هذه الزجرة إلا لتهيئة بقايا[1] الناس للبعث بعد ذلك كما يدل عليه الحديث .

وبهذا نكون قد استعرضنا أحداث القيامة الكبرى أى يوم البعث ثم أحداث القيامة الوسطى بنفخة الصعق وما يحدث بين النفختين.

(٥٨) أحداث القيامة الصغرى التى تتم بنفخة الفزع وهى النفخة الأولى المرتقبة:

(١) أقصد بالبقايا عجب الذنب الذى لا يبلى من كل آدمى وعليه ينبت جسده فى البعث.

ويبقى لدينا سؤال هام هو محور هذا البحث هذا السؤال يقول: ورد فى القرآن الكريم مشاهد للقيامة وأحداث تقع فى السماء مثل الانشقاق والانفطار والانفراج والكشط.

وورد فيه مشاهد وأحداث تقع للأرض مثل الزلزلة والرجفة والرجّة والخسف.

وورد فيه مشاهد وأحداث تقع للجبال وهو بثها حتى تكون هباءاً منبثاً ونسف الجبال وتسييرها وورد فيه تسجير البحار وتفجيرها.

وورد فيه انتثار الكواكب وانكدار النجوم وتكوير الشمس وحشر الوحوش وحصباء تنزل من السماء على الناس وغير ذلك من مظاهر الهدم.

فمتى تكون هذه الأحداث، التى صارت فى أذهان المسلمين، هى الأحداث البارزة فى يوم القيامة؟! وبأى نفخة تقع هذه الأحداث؟ لم يبق إلاّ أن تحدث بنفخة الفزع، وهى التى تسبق نفخة الصعق أو نفخة الفناء والموت الكلى بزمان طويل، وما بين النفختين نفخة الفزع الأولى ونفخة الصعق أى الثانية أحداث وحياة وصراع وهزائم، وانتصارات وتتحقق فيها آيات الساعة العشر.

بل إن يوم القيامة يبدأ قبل نفخة الفزع التى هى مرحلة فيها، لأن يوم القيامة أوله سرور وفرح وبهجة ومتعة ومتاع ورفاهية وزينة وزخرف وقوة للإنسان لم تحدث له من قبل وآخره عذاب ينزل من السماء على أهل الأرض، يفنى منهم الكثير ويبقى من يشاء الله تعالى أن يبقى، عذاب يحصد ويهدم ما زرعوا وما بنوا فتصير حصيداً كأن لم تغن بالأمس، ونفخة الفزع هى التى تنهى سرورهم ومتاعهم وزخرفهم وزينتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [يونس :٢٤] فأول اليوم سرور بالزخرف والزينة والقوة وهذا يتوافق مع قوله ﷺ :(من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأى عين فليقرأ «إذا الشمس كورت»، «وإذا السماء انفطرت» «وإذا السماء انشقت»).

فهذه السور الثلاث تعرض ما يسر الناس المعاصرين للمرحلة الأولى من القيامة الصغرى، كما سيأتى تفسيرها بعد فى الجزء الثالث بإذن الله تعالى وهو ما يعتبر تفصيلاً لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ ثم بعد ذلك ينزل العذاب بنفخة الفزع وهو ما ورد فى أول حديث الصور الطويل : « إن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض، خلق الصور فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخصاً إلى العرش ببصره، ينتظر متى يؤمر؟ قال: قلت : يا رسول الله ما الصور؟ قال: قرن: قال: كيف هو؟ قال: عظيم، قال: والذى بعثنى بالحق إن عظم دائرة فيه لعرض السماوات والأرض.

يُنفخ فيه ثلاث نفخات، الأولى : نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلاَّ من شاء الله ويأمره تعالى فيمدها ويطيلها ولا يفتر، وهى التى يقول فيها :﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] فتسير الجبال سير السحاب، فتكون سراباً، وتُرَجُّ الأرض بأهلها رجاً، فتكون كالسفينة الموبقة فى البحر تضربها الأمواج، تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش، ترجه الأرواح، ألاو هو الذى يقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ [النازعات : ٦-١٠] الآيات فيميد الناس على وجهها، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار، فتلقاهم الملائكة فتضرب وجوههم فيرجعون ثم يولون مدبرين ما لهم من الله من عاصم ينادى بعضهم وهو الذى يقول الله تعالى يوم القيامة : ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢] بينما هم على ذلك، إذ تصدعت الأرض تَصَدَّعَيْن من قطر إلى قطر ، فرأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله، فأخذهم لذلك من الكرب، والهول ما الله به عليم، ثم تطوى السماء فإذا هى كالمهل، ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها، وخسف شمسها وقمرها.

قال رسول الله ﷺ : الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك، قال أبو هريرة : يا رسول الله من استثنى الله حيث يقول : ﴿ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٨٧] قال: أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون فوقاهم الله فزعه وأمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه، وهو الذى يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١-٢] فيمكثون فى ذلك العذاب ما شاء الله إلا أنه يطول ثم بأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق ...) أى أن بين نفخة الفزع التى ينزل بها عذاب القيامة الصغرى وبين نفخة الصعق التى تتحقق به القيامة الوسطى والموت الشامل لكل الأحياء أى الساعة زمناً يطول وهو ما ذكرنا أن الدنيا تستمر بعد الصغرى عشرات أو مئات السنين والله تعالى أعلم ويحدث فيه الآيات والأمارات والعلامات ابتداء من بيعة المهدى ثم خسف جيش السفيانى ثم عودة الخلافة الإسلامية الراشدة ثم الملحمة العظمى وفتح أوربا ثم الخروج العلنى للدجال ثم نزول المسيح عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام واستئصال الدجال واليهود والقضاء على بقية الإفسادة الكبرى لهم ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم موتهم ثم نزول بركة الأرض فى عهد المسيح عليه السلام ثم موته ثم خروج الشمس من مغربها والدابة والدخان ثم مجئ ريح تقبض كل نفس مؤمنة ورفع القرآن من المصاحف ثم مجيء ذى السويقتين الحبشى إلى مكة وهدم الكعبة ثم بقاء الأرض على أجيال من الأشرار وعقم النساء ثم خروج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم ثم تقوم الساعة فى لحظة لا يعلمها إلا الله تعالى وهى التى تتم بنفخة الصعق.

ومن ثم فالزلزال والراجفة والواقعة ونزول العذاب وانتثار الكواكب وانفجار البحار وكل مشاهد الهدم وأحداث الدمار كلها تحدث فى الدنيا وعلامات وقته ومقدماته هى اتخاذ الأرض زينتها وزخرفها وقوة أهلها حتى يظنوا أنهم قادرون عليها ، وتلك هى أحوال الأرض اليوم ، فساد فى جميع نشاط و

مناحى الحياة الخلقية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وفساد فى البيئة أى البر والبحر مع تقدم تقنى وصناعى وعلمى هائل تحقق به سرور الإنسان وراحته ورفاهيته فى الأرض فى شتى مناحى الحياة من وسائل انتقال وأجهزة سمعية وبصرية وإنارة وأجهزة تشيد وعمران وزراعة وصناعة وغير ذلك، وهو ما تعيشه البشرية الآن فى مرحلة الزينة والزخرف والقوة الغاشمة الطاغية فى انتظار نزول العذاب بالزلزال وأحداث القيامة الصغرى ومن ثم تصبح الأرض بعد حدوثها حصيداً كأن لم تغن بالأمس.

ليس أمام البشرية الآن إلا أنَ ترْتقب نفخة الفزع وزلزال الأرض العظيم ، إذا لم ترجع إلى الله تعالى وتتوب إليه وتقلع عن شرورها.

ولا شك أن قوله ﷺ : « إلا أنه يطول» إشارةإلى أن الزمن بين نفخة الفزع ونفخة الصعق زمن طويل يعد بعشرات أو مئات السنين وليس يُعدُّ بالساعات أو الدقائق كما توهم المفسرون فجعلوا فناء الحياة بأحداث هذا اليوم.

إن يوم القيامة أوله سرور وبهجة ومتاع وزخرف فى الأرض وزينة حتى أن الناظر إليها يسره ذلك، وكذلك قوة لدى الإنسان تجعله يطغى ويظن أنه قادر على حماية الأرض من عذاب الله النازل من السماء، هذا هو أول يوم القيامة الصغرى الذى ينتهى بنفخة الفزع لتصير الأرض حصيداً كأن لم تغن بالأمس.

وهو ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ (من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت) وهذا هو موضوع الكتاب التالى فى هذه الموسوعة (القيامة الصغرى على الأبواب) فنتناوله تفصيلاً بإذن الله تعالى وموضوعه (الأمارات العلمية والتقنية والصناعية).

نسأل الله تعالى عونه وتوفيقه وسداده وأن يقينا عذابه يوم ينزل بعباده.

فهرس الكتاب

كتب المؤلف

١ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الأول:- في الكتاب والسنة . — ثلاث طبعات

٢ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثاني:- عند السلف والمتكلمين. — ثلاث طبعات

٣- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثالث :- عند الفلاسفة. — ثلاث طبعات

٤ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الرابع:- عند الصوفية. — تحت الطبع

* وهو الكتاب الذى حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٥- الأصول الإعتقادية للمعرفة في الإسلام. — طبعة واحدة

٦- الإسلام والعلم التجريبي. — طبعة واحدة

٧- استخلاف الإنسان في الأرض. — ثلاث طبعات

٨- قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة — طبعتان

٩- الإنسان والشيطان — ثلاث طبعات

١٠- مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان — ثلاث طبعات

١١- محاضرات في العقيدة الإسلامية — ثلاث طبعات

١٢- توفيق الحكيم لِمنْ أستمع وإلى من تحدث — طبعة واحدة

١٣- مقومات المجتمع المسلم — ثلاث طبعات

١٤- البيان النبوي بدمار إسرائيل الوشيك وتحرير الأقصى — طبعة واحدة

١٥- الخلافة الإسلامية:- حقيقتها وأصولها الإعتقادية وحتمية عودتها — طبعة واحدة

١٦- التوحيد :- معرفة الله والعلم به — تحت الطبع

١٧- المدخل إلى العقيدة الإسلامية — تحت الطبع

١٨- حكم الإسلام في استخدام العنف في الدعوة والإصلاح — تحت الطبع

«موسوعة أشراط الساعة»

١٩- القيامة الصغرى علي الأبواب الجزء الأول :- وهو الإصدار الثاني لكتاب زلزال الأرض العظيم. — طبعتان

٢٠- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثانى:- «المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة». — طبعة واحده

٢١- القيامة الصغري على الأبواب الجزء الثالث: «الأمارات العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة» تحت الطبع

٢٢- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع: «الأمارات الخلقية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية» تحت الطبع

٢٣- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس: «أحداث ماقبل المهدى عليه السلام» تحت الطبع

٢٤- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس: «المسيح الدجال» تحت الطبع

٢٥- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السابع: «المهدى عليه السلام» تحت الطبع

٢٦- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن: «الملحمة العظمى وفتح أوروبا». تحت الطبع

٢٧ـ القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع: «يأجوج ومأجوج» تحت الطبع

٢٨- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر: «نزول المسيح عليه السلام» تحت الطبع

٢٩- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادي عشر «ما بعد المسيح عليه السلام إلى قيام الساعة» تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

بإسم عبد الرحمن فاروق الدسوقي ت/ ٥٥٧٢٦٦٠/ ٠٣- الأسكندرية تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية:

١- مكتبة مدبولي - ٦ ميدان طلعت حرب/ ت:- ٥٧٥٦٤٢١.
- طريق النصر - مدينة نصر / ت :- ٤٠١٥٦٠٢ - القاهرة.

٢- مكتبة حميدو - ٢٦ ش النبي دانيال / ت: ٤٩٠١٤٩٤ - ٤٩٣٣٨٧٤ - الاسكندرية.

٣- مكتبة دار العقيدة للتراث - ١٠١ ش الفتح - باكوس أمام محطة الترام / ت: ٥٧٠٧٣٢١ - الأسكندرية.

٤- معرض لونابارك - ش لاجيتيه - الإبراهيمية - الأسكندرية.

٥ ـ دار الدعوة ـ ١ ش منشا محرم بك/ ت : ـ ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ الاسكندرية

ولدى باعة الجرائد في جميع المحافظات

المؤلف

الأستاذ الدكتور فاروق أحمد حسن الدسوقى
ولد بالاسكندرية عام ١٩٣[illegible]م
حصل على ماجستير الفلسفة الاسلامية من جامعة الاسكندرية.
[illegible] مع جامعات العالم.
حصل على دكتوراه العلوم الاسلامية قسم الفلسفة الاسلامية من كلية
[illegible] جامعة القاهرة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الاولى
[illegible] الاسلامية عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
[illegible] بجامعتى الملك سعود وام القرى
[illegible] ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الكتاب

[illegible] من القيامة الصغرى على الابواب القضايا [illegible] اشراط الساعة [illegible] المطابقة. هذا العلم الذى يختلف فى [illegible] والمنهج والنتائج عن كل ما هو مدون تحت عناوين اشراط الساعة والفتن والملاحم [illegible] من حيث ان الاولين السابقين من العلماء رحمهم الله لم يكن بامكانهم الآن يفهموا نصوص الوحى الخاصة بالاشراط والفتن من خلال تصورات ومفاهيم عصورهم وبالتالى فهم معذورون اذا لم [illegible] تفسيرهم للآيات وشروحهم للاحاديث مع كل ما تحقق من احداث [illegible] ومخترعات لم تكن تخطر على بال احدهم [illegible] فى عصرنا الراهن فنحن اهل هذا العصر الراهن [illegible] على فهم هذه النصوص منهم لاننا نعيشها من هنا جاءت اهمية المطابقة بين المفاهيم اللغوية لنصوص الوحى مع الاحداث والاحوال الاجتماعية والمخترعات العصرية فظهرت بالتالى نتيجة هذه المطابقة ، معالم علم جديد فى اشراط الساعة وهذا الجزء يضع الاساس الاعتقادى له ، ويقدم اهدافه ومناهجه وفوائده ومصادره ومفاهيمه ومصطلحاته ومراحل القيامة الثلاث الصغرى والوسطى والكبرى ويحدد احداث كل مرحلة من اجل هذا كله استحق ان يكون مدخلا لعلم اشراط الساعة بمنهج المطابقة ، لا غنى عنه لمن يريد ان يتابع قراءة هذه الموسوعة

موسوعة أشراط الساعة
٤

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الثالث

أمـــارات القــيــامـــة العلمـــيـــة
والتكنولوجية فى الكـتـاب والسنة

الأستاذ الدكتـــــور
فاروق أحمد الدسوقى
حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

موسوعة أشراط الساعة

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الثالث

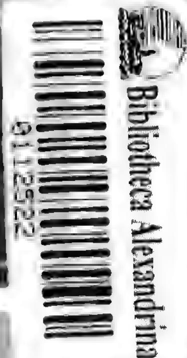
امارات القيامة العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة

الأستاذ الدكتور

فاروق الدسوقى

الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية





الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع ٣٢٩٨ / ٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 19 - 5459 - 8



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الاتمان الدائمان على اشرف الخلق اجمعين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،

فاني أحمد الله تعالى الوهاب المنَّان، إليك أخى القارىء، أنْ وفقنى سبحانه لاضع بين يديك الجزء الثالث من كتاب القيامة الصغرى على الابواب، وموضوعه: الكشف عن الامارات العلمية والتقنيّة والصناعية المعاصرة فى الكتاب والسنة.

وستتعجب، اخى القارىء المسلم، أيَّما تَعَجُّب، لأنك كنت تتلو وتسمع الآيات القرآنية المخبرة عن هذه الامارات التقنية والعلامات الحضارية المتمثلة فى أدوات وأجهزة ووسائل ومعدات وانظمة نستخدمها ونزاولها ونمارسها ونتعامل معها صباح مساء، ومع هذا ما كان يخطر ببال واحد منا أن هذا الذى يتلوه أو يسمعه من القرآن الكريم مُتَضَمِّنٌ لهذا كله.

فلستَ أنت وحدكَ الذى ستتعجب، فلقد تعجَّبتُ قبلك حين هدانى الله تعالى، وعلمنى وكشف لى هذه المطابقة الدقيقة للدلالات اللغوية المحضة للآيات القرآنية والاحاديث النبوية على هذه المظاهر والاشياء الحضارية المعاصرة، لاننا كنا نحفظها ونتلوها من غير ان ندرك تأويلاتها المتحققة تحت ايدينا وبنا، فسبحانك ربى لاعلم لنا الا ما علمتنا، ولا حول ولا قوة إلاَّبك وحدك.

لقد عشتُ رِدْحاً من عمرى العلمى. قبل ان يلهمنى الله تعالى ويعلمنى ويرزقنى فهم ما فهمته من نصوص الوحى الخاصة باشراط الساعة واحداث آخر الزمان الذى هو عصرنا الراهن، وكنتُ اتساءل فى نفسى: هل ذَكَرَ الوحيُ: قرآنا وسنة هذه المظاهر والاشياء الحضارية؟! وهو سؤال ملح لامهرب منه، لان الاجابة عليه لابد أن تكون بالاثبات وليست بالنفى لقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيـــــــرُ

بجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٣٧- ٣٩/ الانعام] فقوله تعالى رداً على الذين يطلبون من النبى ﷺ إنزال آية حسيّة، بانه، سبحانه، ما فرّط فى الكتاب من شىء يدب فى الارض أو من شىء يطير بجناحيه فى السماء، ومن ثم فكل آية من كتابه هى معجزة من المعجزات، إلاّ أنهم صم وبكم وعميٌ فى الظلمات، ضلوا بكفرهم عن هذه المعجزات التى تتلى عليهم، هذا القول الحكيم فيه تصريح بان كل شىء سيدب فى الارض ويطير فى السماء بجناحين مذكور فى الكتاب، لان الله تعالى لم يفرط فيه من شىء، أى لم يترك شيئا لم يذكره وخص بالذكر كل مادبَّ وسيدب، وكل ماطار وسيطير بجناحيْن. وقد دبّت وسائل الانتقال الحديثة فى ألارض: القطارات والسيارات والدراجات الآلية والمعدات الثقيلة وكذلك طارت الاجيال المتعددة من الطائرات ذات الجناحيْن ابتداء من المروحيات إلى النفّاثات، أفليس فى كتاب الله تعالى ذكرا لهذا كله.؟! بلى والله الذ ى لا اله الا هو.

الم يقل رسول الله ﷺ عن القرآن الكريم للصحابة رضوان الله عليهم «فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم؟»[1] بلى والله الذى لا إله إلاَّ هو، وكذلك ألم يخبرنا رسول الله ﷺ فى خطبة واحدة، استغرقت نهارا كاملا، ما سيكون من بعده إلى نهاية الدنيا؟.

افلا يكون قد أخبر بكل هذه الامور العظام التى تعيشها البشرية فى عصرنا الراهن فى شتّى المجالات؟! بلى والله الذى لا اله الا هو، وعلى هذا فالسؤال الملح الذى لامهرب منه هو: ماهى نصوحي الوحي: قرآنا وسنة، تلك التى ورد فيها ذكر كل ما استحدثته الحضارة المعاصرة من مخترعات تخدم جميع نشاطات الانسان، فتغيرت بها اساليب العيش وأنماط الحياة ، فى السلم والحرب، وفى المسكن والملبس

---

(١) جامع الترمذى ك فضائل القرآن/ باب ما جاء فى فضائل القرآن/ ح رقم ٢٩٨٢، كما رواه الدارمى أيضاً.

والمأكل وفى الاقامة والسفر وفى النشاطات الانسانية العلمية والفنية والترويجية. وهى مخترعات كثيرة، إبتداء من ماكينة الحياكة التى حلت محل الابرة. وانتهاء بالسيارة والقطار والطائرة التى حلت جميعا محل الخيل والحمير والبغال والابل، وكذلك ابتداء بالصاروخ الذى حل محل السهم، وانتهاء بالسفن العملاقة والغواصات وحاملات الطائرات التى حلت محل السفن الشراعية.

اين هذا كله فى كتاب الله تعالى وفى سنة نبيه ﷺ.؟!

لم استطع الهرب من هذا السؤال الذى ظل يطاردنى ردحًا من الزمن، حتى هدانى الله تعالى بفضله إلى مواضع هذا كله فى كتابه تعالى وفى سنة رسوله المصطفى الخاتم ﷺ. وهو محتوى هذا الجزء الثالث من القيامة الصُغْرى على الابواب، وسيرى القارئ الكريم أن كل هذه المخترعات والمعدات والاجهزة وردت كامارات وعلامات على القرب الشديد لنزول عذاب القيامة الصغرى، بل ان النصوص تصرح بان هذه المخترعات لا تكون فى الارض إلا يوم الرجفة والزلزلة ويوم نزول العذاب الذى ليس له من دافع. وسيعلم القارىء الكريم أن هذه الحقيقة ثابتة بالدلالة القطعية المحكمة للآيات القرآنية والأحاديث النّبوية.

ولكى يزول تعجبك، أخى القارىء، هذا التعجب الناتج عن عدم ادراك مواضع ذكر القرآن الكريم للتقنيات المعاصرة رغم تلاوتها والاستماع إليها، أقول: إن أهم اسباب حجب اخبار التقنيات التى فى نصوص الوحى هو جهلنا باسرار اللغة العربية العبقرية التى نزل بها الوحى من ناحية، ومن ناحية أخرى لان اكثر هذه المخترعات تحمل اسماء غير عربية لأنها بلغة الذين صنعوها، وهى الانجليزية فى أغلب الاحيان، أو تحمل اسماء عربية مترجمة عن هذه الاسماء الانجليزية، وحيث ان اكثر هذه الاسماء لاتُعبر عن الخاصية الذاتية لحقيقة الشىء المصنوع، ومن ثم يكون من الخطأ لغويا اطلاقها على مسمياتها، وحيث أنه من المحال أن يرد فى كتاب الله تعالى أدنى خطأ، ولو فى لفظ أو اسم واحد لشىء واحد، لذا فإن لكل هذه المخترعات المعاصرة اسماء فى القرآن والسنة تُعبر عن حقيقتها الجوهرية، و خاصيتها الذاتية، وتدل على ماهيتها الواقعية دلالة المطابقة الدقيقة التامة بصورة معجزة.

فجاءت هذه الاسماء، نتيجة هذه الدقة، مخالفة أو مغايرة للأسماء التى يطلقها عليها الناس، وكذلك المسلمون، فإذا ما سمعوا اسماءها الحقيقية فى نصوص الوحى ظنوا أنها أسماء لاشياء اخرى، خاصة وأن المفسرين الاوائل لم يتصوروا هذه المخترعات، ولم تخطر على بال أحدهم، وفَسّروا هذه الاسماء تفسيرات مناسبة لثقافتهم وعصورهم، حتى يستقيم معنى الآيات بالتأويل وليس بمحض المدلول اللغوى، ومن ثم فإننا ظللنا نتعامل مع هذه الظواهر الحضارية باسماء ونتلو الآيات المتضمِّنة لها، ولكن باسماء اخرى، هى الاسماء الصحيحة الدقيقة لها، فنظن أن النص يتحدث عن اشياء اخرى.

ولتوضيح هذا التعليل اضرب لك، اخى القارىء، مثلا بآخر ما توصل إليه الانسان من وسائل ركوب البحر، واعنى به ما نطلق نحن عليه خطأً «الغواصة» وهى إحدى المخترعات التى انحصرت استخداماتها فى الأغراض الحربية والعلمية.

فما نطلق عليه فى لغتنا العربية «غوّاصات»، جاء ذكره صراحة فى الذكر الحكيم باسم «النازعات غرقا» لأنها منازعات الغرق، الواحدة منازعة الغرق. إذ لو دققنا فى الأمر مليًا لَعَدَلْنَا عن تسميتها بالغواصة إلى تسميتها منازعة الغرق، لماذا؟!

لأن جوهر حقيقة هذه القطعة البحرية من قطع الأسطول البحرى الحربى ليس فى كونها تغوص فى الأعماق حتى القاع، لأنه ما من شىء كثافته أعلى من كثافة الماء كالمعادن إلاّ ويغوص بمجرد إلقائه فى الماء، ماعدا السابحات سبحاً أو الجاريات يسرا أو الجوارى فى البحر كالاعلام، لأن جوهر حقيقتهن أنهن تقاومن الغرق بالطفو مع الحركة أى السباحة أو بالطفو مع السكون، فيظللن رواكد على ظهر البحر، لهذا سميت سابحات، لأنها تظل مرتفعة على سطح الماء فلا تغوص، أى لاتغرق، فهى تقاوم الغرق أى الغوص فى الأعماق، من حيث أن كل غريق لايكون غريقا إلابالغوص في العمق، والسفينة الغارقة غائصة فى العمق، ومن يشاهدها وهى تغرق بسرعة يصح منه الإشارة إليها مع قوله: هذه السفينة غواصة أى تغوص بشدة تماما كما يصح منه القول أن هذه السفينة تغرق، فهل يصح بهذا المعنى أن نطلق على هذه القطعة البحرية «غواصة»؟

إن كونهـا تغوص إلى الـقاع ليس هو الخـاصية الجـوهرية الذاتيـة المعبـرة عن ما هيتـها، لأن أكثر مـايلقى فى البحر يـغرق ويغوص، إنما الخاصـية الذاتية المعبرة عن ماهيـتهـا، وتميزها عن سـائر قطع الإسطول، أو عن كل مـايركبـه الإنسان فى البـحر، هو أنها تنازع الغرق، ولانقـول: أنها تقاوم الغرق لأن السابحـات الطافيات هن اللائى يقاومن الغرق، وهذا هو معنى الطفو فى اللغة، أما تلك التى تكون أهم ماتتميز به عن غيـرها من أخواتها المُقْلِعـات فى البحر، هو مـنازعة الغرق، فـهى النازعة غرقـا لأنها تنازع الغرق، أى بعد أن تـغرق وتستقر فى القـاع، يمكنها أن تنزع نفسهـا صاعدة إلى سطح الماء، لتطـفو وتسبح فـوقـه مـرة أخـرى، كـمـا كـانت علي سطحـه من قـبل، فالغائصات هن الغارقات اللاتى لايمكنهن الطفو والسباحة بعد الغرق، أما النازعات غَرْقاً فهن اللاتى يصعدن للطفو والسباحة بعد الغرق.

واللغويون يـضربون مثـالا لمعنى النزع فى لغة العـرب بنزع الماء من قاع البـئر إلى أعلى بالدلو، فـالنزع هو أخذ الشىء من أسـفل إلى أعلى بالقوة، ومن ثم فـالنازعات غرقا هُنَّ اللاتى يمكنهن أن ينزعن أنفـسهن بقوة إرتفاعا وصعـوداً من القاع، أى حالة كونهن غرقى، إلي سطح الماء للطفو والسباحة، لأن لفظ«غرقا» في الآية يفيد حال هذه القطعة أثناء نزعها نفسها من أسفل إلى أعلى إذ تكون غارقة.

أرأيت أخى القارىء، كم هى دقة التعبير القـرآنى، وبيانه المعجز؟! ولوجاء القسم بقوله تعـالى ﴿والغواصـات غوصاً﴾ لما جـاز لنا أن نفسـره بهذه القطعـة الأسطولية البحرية المعاصرة التى نطلق عليها (الغواصة)، لماذا؟

لأن اللفظ سيصدق على كل مايغـوص غارقا، من ثم لايكون لمن يفسر هذا النص بالغواصة حجة فى قَصْرها على هذه القطعة التى نسميها«غواصة» لأن العبرة بمفهوم اللفظ ومـا صدقـات المعنى الذى يحـمله، أمـا قَسَمُهُ تعالى بقـوله﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ فلايصدق إلا على مانـسميه الغوَّاصات، هذا بمقتـضى محض الدلالة اللغوية، وهى دلالة قطعيه محكمة لا سبيل أمام أحد لرفضها.

أرأيت أخى القارىء كم هوعظيم كتاب ربنافلا تنفذ عجائبه ولاتنتهى معجزاته ولا يخلق على كثرة الرد، كما وصفه الصادق المصدوق أبو القاسم ﷺ بأبى هو وأمي، حتى لكأن هذا الكتاب العظيم قد نزل اليوم أوبالأمس القريب.

فلاتتوقع أخى القارىء أن تجد ذكرا للطائرة والصاروخ والقمر الصناعى والسيارة والقطار والكمبيوتر والبترول والكهرباء والتليفزيون والإذاعة واستنساخ الكائن الحى وغير ذلك بأسمائها التى نتعامل بها فى عصرنا هذا، فهى جميعا وكل ما إستحدثته هذه الحضارة مذكور صراحة فى الكتاب والسنة ولكن بأسمائها الصحيحة وعلى هذا فستقرأ أخى القارىء الكريم تفسيرا لكثير من آيات الذكر الحكيم وشروحا لكثير من الأحاديث ليست موجودة فى المصادر القديمة أو الحديثه ولا حتى فى المعاصرة منها.

ولا شك أن منهج المطابقة الذى سلكناه فى هذه الموسوعة سيثير إعتراض البعض بحجة مخالفة القديم، وغالبا ما يكون أولئك من(*) الذين ينسبون أنفسهم للسلف زورا وبهتانا، إذ لا يأخذون من السلف رضى الله عنهم إلا الصورة والشكل والرسم والظاهر غير مدركين أن الإسلام صورة وروح وشكل ومضمون ورسم وحقيقة وظاهر وباطن، وصدق قول رسول الله ﷺ فيهم إذ يقول «يوشك أن يأتى على الناس زمان لايبقى من الإسلام إلا اسمه ولايبقى من القرآن إلا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود»(١) ورواه الحاكم بلفظ «سيأتى على الناس زمان لايبقى من القرآن إلارسمه ولامن الإسلام إلا أسمه يتسمَّوْن به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود (٢) وفيهم وفى أمثالهم يصدق أيضاً قوله ﷺ (سيخرج

(*) (منْ) هنا للتبعيض والذى أقصده أن متهم أصحاب هوى، وليس كلهم، والله أعلم بما فى القلوب، وصدقت وصية رسول الله ﷺ بقتالهم فى آخر الزمان بعد ظهور حركة الطالبان التى خرجت على اجماع المجاهدين ومعلوم أنها مدعمة أمريكيا، والا فهل يتصور ترك أمريكالهم لو كانوا مجاهدين مخلصين فى سبيل الله، وهم يسيئون تطبيق الشرع صدا عن سبيل الله وصرفا للأفغان عن دينهم.

(١) رواه البيهقي في شعب الايمان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) رواه الحاكم في تاريخ نيسابور عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

فى آخر الزمان قومٌ: أحـداث الأسنان ، سفهاء الأحلام، يقولون من قـول خير البرية يقرأون القرن لايجـاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم مـن الرمية فإذا لقيتـموهـم فاقتلوهم فـإن فى قتلهم أجراً لمن قتلهم عندالله يوم القـيامة) [١] فقوله ﷺ أحـداث الإسنان أى من الشـبان ومع هذا فـهم يتطاولون عـلى الشيـوخ[٢] وسفهاء الإحـلام أى هممهم سفاسف الأمـوروهى ظواهرها وأشكالهـا وفروعـها. وقـراءتهم للقرآن بالحناجر دون القلوب، يعنى أنهـم لا يستوعبون منه إلا رسمه ونـغمات نطقه لايتجـاوزونه إلي حكمته وهديه للقـلوب، ومن ثم لايرقى فهمـهم للقرآن إلي إدراك معـالى الغايات، فهؤلاء وأمـثالهم هم خوارج آخـر الزمان يجهلون أو يتـجاهلون أن كتاب الله تعالى معطاءٌ فى كل العصور ولكل الأجيال.

ومما يجهله هؤلاء وغيرهم الذين يظـنون أنهم الموحدون دون غيرهم وأنهم الأعلم بكلام خيـر البرية دون من سـواهم، أن كثـيرا من آيات الله تعـالي ظل باب الاجتـهاد مفتوحـا فيه حتى الآن، وسيظل إلى أن يرفع الله تَعـاَلى القرآن من المصاحف، لأنه نزل لكل زمان حتى زمـان رفعه، وليس للقرون الأولى فقط، وإلا فـما معنى وصف النبى ﷺ له: «لاتنقضى عجـائبه» وهل يتحقق هذا إلاّ بفهم جديد يرزقـه الله تعالى لمن يشاء من عباده لآيات كتـابه ولسنة نَبِيِّه، ﷺ؟! وأليس هذا هو معنى قول النبى ﷺ «نَضَّرَ الله أمرءا سـمع مناشيئـا فبلغه كـما سمـعه فرب مـبلَّغ أوعى من سامع؟»[٣] أليـس هذا السامع منه ﷺ هو الصـحابى، وأليس المُبَلَّغ من الصحابى هو التـابعى، وهذا معناه أن التابعى التلميذ ربما يكون أوعى وأفقه من الصـحابى الأستاذ،ويصدق هذا على أجيال التلاميذ المتتابعة حتى آخر الزمـان فيرزق الله تعالى لأهل آخر الزمان مفاهيم لآيات لم يدركها السلف وبخاصة فيما يخص أحداث القيامة وأشراط الساعة وعلاماتها.

كما يثبت أيضاويؤكد هذا الذى نقول، الأدلة التالية:

---

(١) رواه الشيخان والإمام أحمد وأبو داوود الطيالسي وأبو داوود السجستاني والنسائى.

(٢) أول ظهورهم كانوا يتطاولـون على أئمة الامة الكبار ابى حنيفـة ومالك والشافعى وأحمـد رحمهم الله وقالوا هم رجال ونحن رجال، فما بالك بالمعاصرين لهم؟!

(٣) رواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود عن جمع الفوائد للمغربى جـ١، ص٤١.

(١) أن رسول الله ﷺ قد امسك عن تفسير بعض الآيات، وقال عن بعض آيات تخبر عن أحداث مستقبلية «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» أى سيكون أهل هذا الزمان الذين سيأتى فيه تأويلها أعلم بها، إذ يعاينون هذا التأويل ويدركونه واقعاً مُعَايَشاً «عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عَنْهُ قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: أما إنها كائنه ولم يأت تأويلها بعد[١] وصدق رسول الله ﷺ إذ وقع تأويلها فى عصرنا فالعذاب من فوق الرؤوس بالقنابل والصواريخ، ومن تحت الأرجل بالالغام، وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فى قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال : لم يجىء تأويل هذه بعد، ثم قال عبدالله: إن الله أنزل القرآن حيث أنزله: فمنه آىٌ قد مضى تأيلهن قبل أن ينزل، ومنه آىٌ وقع تأويلهن على عهد النبى ﷺ، ومنه آى وقع تأويلهن بعد النبى بقليل، ومنه آىٌ يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه آىٌ يقع تأويلهن بعد الحساب، وذلك ماذكر من الحساب والجنة والنار)[٢] ومن الواضح أن معنى قوله سيقع تأويلهن بعداليوم، أى يتحقق الخبر الذى تخبر به هذه الآيات، وعلى هذا يكون أهل الزمن الذى يقع فيه التأويل أقدر على فهمْ هذه الآيات وتفسيرها ممن قبلهم الذين لم يشاهدوا وقوعه، وهذا يعنى أننا أهل آخر الزمان مكلفون بالبحث عماوقع تأويله فى زماننا وتسجيل تفسيره بمقتضى هذا التأويل المتحقق، وإلاَّ نكون قَدْ قَصَّرنَا فى حق ديننا وكتابنا، وهذا فرْض كفاية على العلماء، يجب أن يقوم بعضهم به.

(٢) أمَر أمير المؤمنين عمربن الخطاب رضى الله عنه بجلد عبد الله بن صبيغ التميمى مائة جلدة بسبب تَساؤلات طرحها عن معنى قوله تعالى ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ وقوله ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا﴾ وأمثالهما. ثم أمر بحبسه ومنع الناس من مخالطته،ولهذه الحادثة مغزى وحكمة، تكمن فى أنه عاقبه ليس علي تأويله لهذه الآيات، وإنما على مجرد تَساؤله عن تأويلها،والحكمة العمرية معلومة، وهى أنه، رضى الله عنه، كان

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم ٤٣.

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم ٣٨.

يقمع فتنة يمكن أن يَتَسَبَّبْ فيها التميمى بإثارة هذه الأسئلة، لأن هذه الآيات مماسيأتى تأويلها بعد فى آخر الزمان، ومن ثم لن يدرك أهل زمان عمررضى الله عنه تأويلها، وإثارة الأسئلة حولها سيؤدى إلى بلبة وفتنة وفرقة وإختلاف بلا طائل وسيظل تَفْسيرها الصحيح الدقيق محجوباً عن كل المسلمين فى كل العصور، حتى يأتى العصر الذى يقع فيه تأويلها، فيفسرها أهله على الوجه الصحيح الدقيق، لأنهم سَيَرَوْن الأحداث أو الأشياء المخبرة عنها رأى عَيْن، ومن ثم يكون أهل آخر الزمان أو زمان وقوع تأويل مثل هذه الآيات، أقدر على فهمها وتأويلها ممَّن سبقوهم بما فى ذلك السلف، مع أنهم رضى الله عنهم أعلم بكتاب الله وسنةرسوله ﷺ، وبلغة القرآن الكريم من غيرهم من أجيال المسلمين ، ما عدا آياتِ ونصوص أشراط الساعة وأحداث القيامة.

(٣) ومن قواعد البحث بمنهج المطابقة، القاعدة التى تمنع من الخرُوج على إجماع الأمة فى تفسير كتاب الله عزو جل، وهى أن الآيات التى إختلف الصحابة رضوان الله عليهم فى تفسيرها، وهذه لابد أن تكون مما سكت عنه رسول الله ﷺ ومن ثم حَقَّ للتابعين من بعدهم أن يجتهدوا فيها، ثم إن الآيات التى إجتهد فيها التابعون رضى الله عنهم وأختلفوا فيها دون حسم لهذا الخلاف قد حق لتابعى التابعين أيضاً أن يجتهدوا فيها، فإذا ما اختلفوا يحق لمن بعدهم من المفسِّرين أن يجتهدوا، وما ظل المفِّسرون مختلفين فى تفسيره على مدى العصور الإسلامية حتى عصرنا الراهن فباب الإجتهاد فيه مفتوح حتى يجمع العلماء والمفسّرون علي تأويل لايختلفون عليه، ولن يكون إجماعهم إلا علي الآى التى وقع تأويلهن.

(٤) أكثر آيات الذكر الحكيم المخبرة عن إشراط الساعة وأحداث القيامات الثلاث مختلف فيها، ولم يصل العلماء خلال عصور الإسلام كلها إلى ما اتفقوا عليه، بل تبدو هذه التأويلات مضطربة غير مطابقة لدلالات اللغة ولا لمقتضيات السياق القرآنى الذى وردت فيه، ومَن ثم ظل باب الاجتهاد فى فهمها مفتوحا حتى

عصرنا الراهن ، مع العلم أنه ليس من هذه الآيات مايخص التوحيد أو الأحكام الفقهية والشرعية أو أخبار الأمم السابقة إذ هى من القسم الذى لم يقع تأويله إلا فى عصرنا، أو لم يقع تأويله بعد.

(٥) يبقى بعد هذا كله اعتراض تقليدى يلوذ به العلماء الذين يرفضون الإجتهاد فى الفهم إيثاراً للسلامة وتجنبا لتحمل مسئولية الخطأ، ويتمثل هذا الإعتراض فى عبارة منسوبة لصديق الأمة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه وهو قوله « أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى ، لو قلتُ فى كتاب الله تَعالى برأيى؟» والمعنى بالعامية المصرية«أروح من ربنا فين لو فسَّرت كلام الله على مزاجى، أى حسب هواى.؟!»

فما هو العاصم من إقحام الهوى فى تفسير كتاب الله عزو جل ؟!

هو فى عبارة واحدة: أن يكون التفسير للنص القرآنى من خلال السياق الوارد فيه وبمحض المدلول اللغوى للكلمات والعبارات لقوله تعالى﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف:٢]

فإذا توصلنا إلى تأويل للنص متوافق مع سياقه ومطابق مطابقة تامة ودقيقة حسب مدلوله اللغوى المحض لمظهر أو لحدث أولشىء من المستحدثات المعاصرة ، يمكننا أن نقرر مطمئنين أننا بازاء تأويل للنص خالى من الهوى والرأى الشخصى، إذ تكون المطابقة مع الواقع دليلا إضافيا مع الأصل اللغوى على صحته. ويكون هذا الحديث أو الواقع المطابق لهذا النص هو تأويله قدو قع.

هذا هو النهج الذى إتَّبعتُه بحمد الله وتوفيقه فى هذه الموسوعة . والذى أسأل الله تعالى أن يوفقنى به إلى الحق والصواب ويجنبى الخطأ والزلل فى فهْم كتابه الكريم وسنة نبيِّه ﷺ.

فإنْ رفض هذا النهج رافضون بعد ذلك، فهذا شأنهم، وَلايُثنينى شىء بعد هذا عن الإستمرار فيما تَفضَّل الله تعالى وتكرم به عليّ، وهو فضل عظيم أحمده وأشكره

عليه، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وكريم منه، وجليل نعمائه، طالبا المزيد منه، سبحانه، لاعلم لى إلاَّ ماعلمنى، ولاحول ولاقوة إلاَّ به، له الخلق وحده، وله الأمر وحده، وله الحكم وحده، هو الذى ألهم الحق وهدى إلى الصواب، وهو الذى أنجز وأتم، قال تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فله الحمد وحده.

فما كان فيما كتبتُه صوابا وحقا وهدى، فهو منه سبحانه وحده، وما كان فيه من خطأ أوزلل أونسيان أو ضلال، فهو منى، وأسأله واسع غفرانه، وأن يثقل به ميزاني وميزان من يعيننى علي نشره يوم لقائه، والصلاة والسلام الأتمان الدائمان على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. فاروق الدسوقى

الإسكندرية فى ٦ من جمادى الأولى ١٤١٩هـ
٢٦ من أغسطس ١٩٩٨ م.

الباب الأول
الإستخلاف الإبتلائى وصلته بنهاية الحياة الدنيا

الفصل الأول: استخلاف الإنسان فى الأرض حقيقته ودلالته الوجودية وصلته بالابتلاء.

الفصل الثانى : علم الأسماء هو الأساس فى توسيع دائرة الاستطاعة الإنسانية.

الفصل الثالث : الاستطاعة الإنسانية الموسعة والمدعمة بالعلم والتقنية من أهم أمارات القيامة الصغرى.

الفصل الرابع : استغلال خلفاء الشيطان الاستطاعة المدعمة بالعلم والتقنية فى الإفساد للعلو فى الأرض.

الفصل الخامس : سنة الله فى استئصال الكافرين تصدق على نزول بأسه على كل الأرض لتدمير الكافرين فى أحداث القيامة الصغرى.

الفصل السادس : إخبار النبى ﷺ بكل ما سيحدث بعده إلى قيام الساعة بما فى ذلك التقنيات الصناعية المعاصرة.

الفصل السابع : أمارات الساعة فى الكتاب والسنة.

الفصل الأول

(١) استخــلاف الإنســان فــى الأرض حقيقتـه ودلالتـه الوجـودية و صلته بحقيقة الابتلاء[١]

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢٩ - ٣٩].

تتضمن هذه الآيات الكريمات عدة حقائق إيمانية إنسانية، أى تخص تفسير الإنسان من الناحية الوجودية ومن الناحية المعرفية.

أما الوجودية فتتمثل فى اعتبار استخلاف الإنسان فى الأرض هو الغاية الوجودية العليا لبنى آدم فى الحياة الدنيا.

---

(١) لمن يريد أن يتوسع فى العلم بهذه الحقيقة التوحيدية الهامة فيمكنه الرجوع إلى كتابى (الخلافة الإسلامية حقيقتها وأصولها الاعتقادية وحتمية عودتها).

إن إخبار الله عز وجل الملائكة بأنه سيجعل فى الأرض خليفة أثار دهشتهم وتعجبهم من أن يكون الذى اصطفاه الله تعالى من بين أنواع المخلوقات لاستخلافه فى الأرض هو الإنسان ، لما سبق إليهم من علمٍ عن فساد الإنسان فى الأرض، وعن كثرة سفكه للدماء، فى حين أن الملائكة لايعصون الله عز وجل ولا يفسدون، كما أنهم يسبحون بحمده ويقدسون له.

فأبطل الله عز وجل تعجبهم وأزال دهشتَهم بأنّ طلب منهم الإدلاء بأسماء الأشياء والأحياء المعروضة عليهم فعجزوا واعتذروا قائلين (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) فلما أمر الله تعالى آدم أن ينبئهم بأسمائهم وفعل آدم هذا بنجاح، قال الله تعالى لهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ؟!﴾ والذى أَبْدَوْه بسؤالهم (أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ هو الدهشة والتعجب، أما الذى أخفوْه وكتموه حياءً من الله تعالى، وخشية منه فهو الغيرة من آدم وبنيه الذين اصطفاهم الخالق عز وجل للخلافة، وما حدثتهم به أنفسهم من أنهم كانوا يظنون أنهم سينالونها أو أنهم أجدر بها من آدم وذريته، فهى غيرة من غير حقد أو حسد، فلما أمرهم بعد ذلك بالسجود لآدم إقراراً منهم باستخلافه فى الأرض، واعترافا بتكريمه بهذه المكانة الوجودية المرموقة التى تاقت أنفسهم إليها، سجدوا فكان هذا السجود منهم إقراراً واعترافا بذلك.

وإعلانا فى الكون كله بأنهم صاروا أولياء لآدم وذريته منذ هذه اللحظة أى عوناً له ولذريته على تحقيق هذه الغاية الوجودية العليا، فى حين أن رفض إبليس الذى أصله من الجن، وكان معهم وقت تلقى الأمر بالسجود، كان هذا الرفض منه إعلاناً بتحوله إلى عَدُوٍّ له ولذريته منذ هذه اللَّحظة، ومن ثم جَنَّدَ نفسه وأتباعه لمناهضة الإنسان حتى لا يحقق غايته العليا من وجوده فى الأرض، وهى تحقيق خلافته لله عز وجل فى الحياة الدنيا برجاء الفوز بالحياة الأبدية الخالدة فى الجنة.

ولما كان أن أسكن الله تعالى آدم وزوجه الجنة تَفَضُّلاً منه وكرما ومنّا عليه وعلى زوجه، وجعل شرط بقائهما في الجنة الابتعاد عن معصية الله عز وجل، وحيث لا معصية ولا طاعة إلاَّ بعد تكليف وتخيير واختبار، فقد كلَّف الله عزَّ وجل أبانا وأمنا بالابتعاد عن شجرة واحدة من أشجار الجنة، وأذن لهما في أن يأكلا رغدا حيث شاءاَ من جميع الأشجار، ما عدا هذه الشجرة، ومع أنها شجرة واحدة وليست نصف أشجار الجنة مثلا، أو أكثر أو أقل، بل كانت واحدة، ومع هذا التكليف الخفيف الهيِّن فقد استطاع إبليس أن يزلهما عنها، وأخرجهما من النَّعيم الذى كانا فيه، ثم لما نزلوا جميعا الأرض، نزل آدم وزَوْجُه مغفوراً لهمازلتهما وتاب الله تعالى عليهما، وحذرهما من عدوهما اللدود إبليس، لأن الخسران في الابتلاء على أرض الابتلاء في الحياة الدنيا ستكون عاقبتُه ليس فُقدان الجنة فحسب، بل ودخول الجحيم أيضا.

وبتفضُّل من الله تعالى وبمنه ورحمته أخبر البشرية الساكنة في الأرض بأنه سيُرْسِلُ لهم طيلة الحياة الدنيا رسلا بالهدى فمن اتَّبعهم والتزم هدى الخالق عز وجل فسيعود إلى الجنة موطنه الأصلى مع آدم عليه السلام ومع أنبياء الله ورسله. ومن كفر بالهدى الإلهى وبالرسل، وبالكتب وعبد الشيطان بطاعته إياهُ وتحول عن عبادة خالقه الواحد الأحد، فإن مصيره النار، أى أن بنى آدم سينقسمون إلى فريقين عباد الرحمن وأوليائه وخلفائه في الأرض. وعباد الشيطان وخلفائه وأوليائه في الأرض.

فالإنسان إذاً إما أن يصبح - بعد الابتلاء - عبداً لله وحده فائزاً بالجنة إذا جعل نفسه خليفة لله عز وجل وحده.

وإما أن يصبح عبداً للشيطان إذا أطاعه وعبده، ومن ثم يصبح خليفة للشيطان. لهذا السبب جاءت كلمة خليفة في الآية مطلقة غير مقيدة ولا مُتَعَيِّنَة بالثبات المخلوف الذي سيخلفه الإنسان، فلم يقل تعالى (إنى جاعل في الأرض خليفة لى) ولم يقل عز وجل (إنى جاعل في الأرض خليفة لغيرى) وإنما قال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وهذا معناه أن الطبيعة الاستخلافية التى يخلق الله تعالى الناس عليها هى

طبيعة استخلافية «لامُتَعَيِّنَة» أو «لا مُتَوَجِّهة» حتى يتحقق الابتلاء بتخيير ابن آدم بين أن يجعل من نفسه خليفة لله عز وجل أو يجعلها من خلفاء الشيطان والعياذ بالله.

أمَّا حقيقة الخلافة المكلَّفُ الإنسان بتحقيقها فهى خلافة الله تعالى فى الأرض، وحيث إن الخلافة بالمعنى المطلق غير المحدد أو المعيَّن هى عبودية الذات الإنسانية لغيرها، أى لغير هذه الذات، وليس من عبودية لذات من الذوات إلاَّ لغيرها. هذا هو الوجه الأول للخلافة.

والوجه الثانى هو السيادة فى الأرض.

وعبودية الذات الإنسانية لغيرها بالضرورة يستلزم أن يكون للإنسان معبود يعبده بالضرورة، فهو إما أن يكون عابداً لله وحده وإما أن يكون عابدا لغير الله عز وجل.

فإذا حقق الناس عبوديتهم لله وحده وسيادتهم على كل مخلوقات الأرض، من غير البشر طبعا، فإنهم يكونوا قد حققوا وجهىْ الخلافة وهؤلاء هم خلفاء الرحمن. وإذا حدث العكس وسقط الناس فى مجتمع ما أو فى عصر ما فى عبوديتهم لغير الله عز وجل فإنهم يكونوا قد عبدوا الشيطان على الحقيقة، إمَّا الشمس المعبودة أوالبقر أو الصنم أو الطاغوت الحاكم، أو أو...، فكل هذه مجرد أقنعة يختفى خلفها إبليس لعنه الله قال تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (/ ٦٠/ يس).

فالكافر أو المشرك عابد للشيطان ومن ثم يكون بهذه العبادة قد حقق نصف خلافته للشيطان.

والمؤمن أو الموحد عابد لله وحده ومن ثم يكون قَدْ حقق نصف خلافته لله عز وجل.

والسؤال الآن: وماذا عن النِّصف الثانى أو الوجه الآخر من حقيقة الاستخلاف وهو السيادة؟!

كيف يحققه الإنسان وما هو منهج تحقيق العبودية أولا، ثم ما هو منهج تحقيق السيادة ثانياً؟

أما بالنِّسْبة لمنهج تحقيق العبودية فهو الهدى المذكور فى قوله تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨/ البقرة) والهدى السَّماوى الربانى هو الرسالة المنزلة من عند الله على رسله الذين خاتَمهم سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليهم جميعا وسلم.

او هو الدين الذى هو عند الله تعالى الإسلام والذى لا يرضى الله تعالى من العباد أن يعبدوه تعالى ويخضعوا له إلاَّ به وبمقتضاه.

هذا هو منهج تحقيق العبودية لله وحده.

أمَّا الوجه الآخر للاستخلاف فهو تحقيق سيادة الإنسان فى الأرض على نباتها وأحيائها وأنعامها ومعادنها وبحارها وأعماقها وأنهارها وتربتها وصخُورها وجبالها ورمالها، وفضائها وسمائها وتسخير كل ما فيها لحياته، بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾(البقرة) فكل ما فى الأرض خلقه تعالى لنا أى لبنى آدم. ثم قال تعالى بعد هذه الآية مباشرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣٠/ البقرة) ذلك لأن الله تعالى وهو يخلق الأرض كان يُهيِّؤها لحياة الإنسان أى بكيفيات ملبية لإحتياجاته وبسنن مُسْتَجيبة لتسخيره لها وسيطرته وهيمَنته عليها، وهذا هو معنى السيادة. فالسيادة على الأرض تتم باستطاعة منحها الله تعالى لمن استخلفه فيها، لكى يتمكن بها من الهَيْمنة والتَّسْخير والاستخدام لكل ما فى الأرض لنفسه.

فإذا تساءلنا : ومَا الحكمة؟ جاءت الإجابة: هى الإبتلاء بمعنى الإمتحان ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(٧/ الكهف) وقال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (٤٨/ المائدة). وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (١ – ٢/ الملك) وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ

خَلائفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيـــــــعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٦٥/ الأنعام) وقـال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٣ – ١٤/ يونس) فقـوله تعالى فى آيتى يونس : ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أى نختبركم بهـذا الاستخلاف بعد الذين ظلـموا، وهـم الذين سبق أن ابتـلاهم الله عز وجل أيضـا وخَسِرُوا وظلموا أنفسهم، فاستخلاف الأجيال هو للابتلاء.

وفى آية الأنعام بيان للحكمة من جعل الناس خَلائف الأرض مع جعلهم بعضهم فوق بعض درجـات أى سنن الله تعالى الضرورية للإجـتماع البـشرى، إنما هذا وذاك للإبتلاء أيضا.

وفى آية الملك بيان للحكمة الإلهية العليـا من خلق الإنسان فى الدنيا خاضعاً لسنة الموت والحياة أجيالاً، وهى أيضا الإبتلاء.

وفى آية المائدة بيـان ربَّانى للحكمة التى من أجلهـا شاء الله تعـالى أن يخلق الناس قابلين للاختلاف إلى أصحاب ملل وعقـائد وأديان مختلفة الأمر الذى صاروا به أمما مختلفة وهذه الحكمة هى الابتلاء والاختبار أيضا.

وفى آية الكهف بيـان للحكمة التى من أجـلها جعـل الله تعالى مـا فى الأرض وما عليها زينة أى أسبابا للمتاع والنعيم واللذة والسـرور والفرَح ترغيبا فيها وهى الإبتلاء أيضا.

وعلى هذا فالعلاقة بين الابتـلاء وبين الاستخلاف وثيقة لإرتباط الإثنيْن بالتـفسير الوجودى الإسـلامى للإنسـان، لأن الإستخـلاف هو غاية الإنسـان العليـا من وجوده والإبتلاء هو الحكمة الإلهية الربانية التى من أجلهـا جعل الله تعالى الإنسان خليفة فى الأرض.

أى أنه استخلفه فى الأرض وأعطاه كل ما فيها وما عليها وما فى باطنها وما فى سمائها لينظر ماذا يفعل، وكيف يتصرَّف فيما سخره الله تعالى فيه، وهل يستخدمه فى طاعة الله تعالى لتحقيق عبوديته لله تعالى أم يَسْتَخْدِمَهُ ويُسَخِرَه فى معصية الله عز وجل لتحقيق عبوديته وطاعته للشيطان. وهذا هو جوهر الابتلاء بالخلافة أو حقيقة الاستخلاف لتحقيق الابتلاء.

الفصل الثانى

(٢) علم الأسماء هو الأساس فى توسيع دائرة الاستطاعة البشرية وتقويتها.

فالسيادة تتمثل فى عمارة الأرض وإثارتها واستخراج ما فيها واستغلاله واستغلال ما فيها وما عليها من نَبات وحيوان وعناصر.

ومن ثم فهى تقترب من مفهوم الحضارة، وكلما كان الجيل أو الأمة أكثر إثارة للأرض وتعميراً لها كلما كانا أكثر تحضرا من غيرهما من الأجيال والأمم.

فالخلافة لله عز وجل عبودية لله تعالى وسيادة فى الأرض.

وهذا يؤدى بنا إلى سؤال هام وهو:

ما هو المنهج الذى يتحقق به خلافة الإنسان فى الأرض؟

الإجابة: هما منهجان متكاملان وليسا مختلفين أو متعارضان وإن كانا متباينين: هما الدين والعلم أى أنَّ الدين - وهو عند الله الإسلام - هو منهج تحقيق عبادة الله وحده، بإعتبار أن العبودية لله تعالى وحده هى الوجه الأول للخلافة الإسلامية والعبودية للشيطان هى الوجه الأول للخلافة الطاغوتية.

أما الوجه الثانى للخلافة فهو السيادة وتتحقق بالمنهج الذى يقابل الدين وهو العلم وسيادة الإنسان هى سيادته على كل ما فى الأرض.

ونعنى بهذا العلم العلم التجريبى وأساسه العلم بالأسماء كلها هذا الذى أعطاه الله تعالى آدم وَخصهَّ به دون الملائكة ودون الجن وثبت به أهلية آدم وذريته للخلافة.

وعلم الأسماء هو أصل ومصدر العلوم الكونية (فلك وفيزياء وكيمياء وعلوم طبية ونبات وحيوان وأحياء وعلم طبقات الأرض وعلوم البحار والأنهار والجغرافيا وعلوم كل شيء يمكن أن يخضعه الإنسان للتجربة سواء فى الحمل أو فى كينونته النظرية الطبيعية).

وذلك لأنه لايمكن للإنسان أن يتمكن من استخدام أى شىء من المخلوقات فى الأرض وتسخيره لمنفعته أو يتجنب ضرر أى شىء إلا إذا علم خصائص هذا الشىء ومكونات هذا الشىء ومنافعه ومضاره والسنن الحاكمة له فى وجوده وتغيره، فإذا علم عنه هذا كله تمكن من تسخيره وإستخدامه، فكلما علم عن كائن حى أو جماد سنن وجوده وقوانين تغيره كلما استطاع تسخيره واستخدامه والاستفادة بما فيه من فوائد والإبتعاد عما فيه من ضرر، فاذا اكثر وازداد عدد الأشياء التى علم عنها الإنسان هذا كله إتسعت دائرة التسخير للأشياء، فإذا ما تخطى علم الإنسان بالأشياء والأحياء إلى القوانين والسنن الحاكمة لتغيراتها فإن هذا معناه أن استطاعة الإنسان تتسع وتقوى وتشتد ومن تم يمكنه أن ينجز من عمارة الأرض وإثارتها فى جيل واحد ما كان ينجزه أهل الأجيال السابقة التى لم تكن متقدمة فى العلوم الكونية وتطبيقاتها فى خمسة أجيال وربما فى عشرة أجيال.

إن الاستطاعة البشرية هى القوة الفاعلة عند بنى آدم، وهذه القوة تتمثل اوضح وأجلى ما تتمثل فى الأخذ بالأسباب المفضية إلى النتائج المرجوة لحياة الإنسان وأهم الأسباب وأولها التى يتمكن بها الإنسان من تسخير الأشياء والأحياء هو كما قلنا العلم بخصائص الشىء وقوانينه الحاكمة له فى ذاته وفى تفاعلاته مع غيره من الأشياء والأحياء.

ولكن العلم وحده لا يكفى لأن العلم الذى يظل فى رؤوس الناس أو فى عقولهم أو فى الكتب على أرفف المكتبات لايجدى ويظل كما هو لا ينفع إذ هو مقوم أول من مقومات الفاعلية الإنسانية أما الثانى فهو الاستطاعة، والاستطاعة هى قوة السمع عند الإنسان وهى قوة البصر وهى القوة الذاكرة والحاسبة وهى قوة اليدين أى التحكم فى الأشياء والرجلين أى حركة النقلة والانتقال وسائر القوى البشرية تلك هى الاستطاعة التى أساسها الصحة ومقوماتها الثلاثة الرئيسية التى صار بها الإنسان إنسانا: السمع والبصروالفؤاد، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (/ ٣٦/ الإسراء) وقال تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ

جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيــــهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾(/ ٩/ السجدة).

فأهم مقومات الاستطاعة الإنسانية هى هذه الثلاثة السمع والأبصار والأفئدة، ومعنى هذا أن توسيع دائرة الاستطالة البشرية يعنى توسيع دائرة كل واحد من هذه الثلاثة بالإضافة إلى القدرات والملكات والقوى الأخرى وأهمها بعد هذه الثلاثة فاعلية اليدين والرجلين، فإذا توسعت الدائرة فى جميع قوى الاستطاعة توسعت السيادة الإنسانية.

وهذا هو ما حدث باختراع الأجهزة السمعية والبصرية وأجهزة الحاسبات الالكترونية التى تقوم بوظائف الأفئدة وكذلك جميع معدات البناء والهدم والتشييد ورصف الطرق والزراعة وآلات المصانع كلها وسعت دائرة استطاعة اليدين ثم جاءت وسائل الانتقال لتوسيع دائرة حركة الانتقال أى استطاعة الرجلين.

فليست هناك قوة عند الإنسان إلا وقد توسع مجالها حتى شمل كل حدود الكرة الأرضة وربما السماء أيضا سمعا وبصرا وإنتقالاً وزراعة وصناعة بمساحات وكميات هائلة فى الكم والسرعة كل هذا بسبب الأجهزة والمعدات والوسائل، وكلها قد توصل الإنسان إلى صنعه وإقامته بعد العلم بخصائص الأشياء والأحياء وقوانين الطبيعة وعناصر الكيمياء وإكتشاف قوانين الميكانيكا والكهرباء وأصل هذه كله عند الناس ما ورثوه من أبيهم آدم من علم الأسماء فالصلة بين تحقيق الخلافة فى الأرض وعلم الأسماء وثيقة إذبه أدركت الملائكة أن آدم وذريته قد آثرهم الله تعالى بمؤهل الاستخلاف وهو علم الأسماء كلها أى كل شىء أو كل حى له إسم. ومامن شىء هو موضوع لعلم إلا ولابد أن يكون له اسم فإن صنعوه أو اكتشفوه لأول مرة وضعوا له اسما.

فعلم الأسماء الذى أساس العلوم الكونية هو منهج تحقيق السيادة، كما أن الهدى الربانى أو الرسالة السماوية أى أن الدين الإسلامى هو منهج تحقيق العبودية.

الفصل الثالث

(٣) الاستطاعة الإنسانية المدعمة بالعلم والتقنية من أهم وأخطر الإمارات بين يدى القيامة الصغرى

السؤال الذى يفرض نفسه علينا الآن هو: ما الذى يحدث حين تتوسع دائرة الاستطاعة البشرية بالعلم والصناعة والتقنية؟ وما أثر ذلك على حياة الإنسان ومصيره الأبدى؟ وما صلة هذا كله بالقيامة الصغرى؟!

للإجابة على السؤال الأول نقول: إن الفرق بين مجتمع متقدم علميا وتقنيا وبين المجتمع المتخلف كالفرق بين المحراث الذى تجره الأبقار وبين الجرار الزراعى أو بين قافلة الجمال وبين القطار أو الطائرة من حيث كم الإنتاج وطول المسافة والسرعة.

إن الفاعلية الإنسانية قد تضاعفت آلاف المرات بسبب المعدات والأجهزة الحديثة، إن جهازا من أجهزة الحاسب الإلكترونى يحسب فى ثانية واحدة ما يحسبه عشرات الألوف أو مئات الألوف من الرجال فى ساعة أو أكثر.

إن الأجهزة والآلات والمعدات الحديثة تضاعف الفاعلية الإنسانية فى الخير والشر وفى السلم وفى الحرب فينتج الإنسان من أحداث التاريخ فى شهر ما كان يحدث فى عقد من الزمان.

وحيث إن خلافة الإنسان لله هى المنتجة للخير والحق والسلام فإن توسيع دائرة الاستطاعة بالنسبة لخلفاء الله فى الأرض إنجاز عظيم جدا وإنتاج ضخم هائل من الخير ونُصْرة الحق وإنشاء السلام وترسيخه، ونشر البر.

وبالعكس فإن خلافة الشيطان فى الأرض هى المنتجة للشر والباطل وسفك الدماء وإفساد عظيم فى الأرض ومن ثم فإن توسيع دائرة الاستطاعة البشرية فى ظل خلافة الشيطان إنجاز عظيم وضخم لترسيخ الشر ونصرة الباطل وسفك كميات أعظم وأضعاف أضعاف من دماء الناس.

إن خلافة الشيطان فى مجتمع متقدم علميا وتقنيا وذى استطاعة واسعة قوية أعظم شرا من خلافة الشيطان فى مجتمع متخلف علميا - لأن إنجاز الشر فى الأول يعادل إنجاز الشر فى الآخر عشرات بل ومئات الآلاف من المرات، كما أن التّدَهور والإنحطاط والتسفل فى الذاتية الإنسانية فى مجتمع خلافة الشيطان التقنى الصناعى يكون أسرع وأقوى وأشد وأسوأ منه فى العصر غير الصناعى حتى إن الرجل فى مثل هذا المجتمع يصبح مؤمنا ويبيت كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً. اى يتم كفر المفتون فى يوم واحد بل فى نصف يوم.

أما المجتمع غير الصناعي وغير التقني والذى تكون استطاعته ضعيفة بطيئة محدودة. فإن فتنة الكفر لاتتم بين يوم وليلة أو بين صباح ومساء، وإنما تتم على مراحل، أورد الهندى فى «كنز العمال» بسنده إلى (ميمون بن أبى شبيب، قيل لحذيفة: أكَفَرَتْ بنو إسرائيل فى يوم واحد؟. قال: لا، ولكن كانت تُعْرض عليهم الفتنة فيأبونها فيُكْرَهرن عليها، ثم تُعرض عليهم فيأبونها، ثم ضُرِبُوا عليها بالسياط والسيوف حتى خاضوا خَاضَةَ الْمَا لم يعرفوا معروفاً ولم يُنكرُوا منكراً)(١) ومعنى الحديث أن بنى إسرائيل كفروا فى زمانهم أيام أنبيائهم وأيام وجودهم ببيت المقدس وبعد طردهم منه أى فى القرون التى قبل سيدنا عيسى عليه السلام وفى عهده أو بعده فكانت على مراحل ينجون من الفتنة ثم يكرهون عليها ثم تُعْرض لهم الأخرى فينجُون منها ويأبونها فيضْرَبُونَ عليها بالسياط ويُعَذَّبونَ ويُقْتَلُون، وهكذا مرت عليهم المحن الواحدة تلو الأخرى خلال سنين بل وقرون حتى جاءت أجيال لا تصبر على بلاء ومحنة فلم يقاوموا ولم يرفضوا الفتن حتى خاضوا خاضةَ ألمت بهم، وتحوّلوا منها إلى الحال الذى يصبح المرأ فيه لايعرف معروفا ولا ينكر منكرا. ثم بعد ذلك تَدرَّجُوا إلى الحال الذى يقبلون المنكر ويرفضون المعروف ثم وصلوا إلى الكفر الذى يَرَوْنَ نيه المنكر معروفاً والمعروف منكراً ثم أصبحوا شياطين الأرض وقادة الإفسَاد ثم

(١) الهندى/ كنز العمال/ ح رقم ٣١٣١٨/ جـ ١١.

إنحدروا وتسفلوا إلى الدرك الذى يأمرون فيه بالمنكر وينْهون فيه عن المعروف(1).

ففتنة الكفر إذن التى أصابتهم كانت على مراحل وأزمان ممتدة، وذلك لأنهم كانوا فى العصر الذى كانت استطاعة الإنسان فيه ضعيفة ومحدودة وبطيئة، عصر الجمال والخيل والبغال والحمير والمحراث والفأس والسيف والمنجنيق والحربة والسفن الشراعية والمياه العذبة غير الملوثة والبيئة النظيفة.

أما فى العصر الراهن الذى صارت فيه استطاعة الإنسان على الفعل والإنتاج والإنجاز فى جميع المجالات قوية وسريعة وغير محدودة الآفاق، أى واسعة جدا.

فإن فتنة الكفر فيه تكون بنفس القوة والسرعة والانتشار والإتساع. يدل على هذا ما أورده الهندى بكنز العمال عن حذيفة رضى الله عنه رفعه قال: أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا، ويمسى مؤمنا ويصبح كافراً، يبيع أحدكم دينه بعرض من الدنيا قليل....)(2) فانظر إلى الذى يكفر من فتنة واحدة وفى ليلة واحدة أو فى نهار واحد، إن حدوث الفتنة فى ليلة واحدة يَعنى حدوثها فجأة بلا مقدمات حتى ليدخل فيها الرجل ويقع فيها ويكفر فى ساعات قليلة ينتقل فيها من معسكر أهل الإيمان إلى معسكر أهل الكفر، وما هذا إلاَّ لتسارع الأحداث ولقوتها ولانتشارها وتعميمها بعد ظهور وسائل الإعلام البصرية والسمعية: الراديو والتليفزيون والفيديو والإرسال من الأقمار الصناعية والقلمية أى الصحف وكلها واسعة الانتشار وسريعة ولها تأثيرات قوية جدا وخطيرة جدا على المشاهدين والمستمعين والقراء، وكذلك يتم الحدث الهائل كالحرب العظيمة أو غيرها بسرعة فائقة لوجود وسائل الانتقال الحديثة ووسائل ومعدات الحرب الحديثة، كما أن عظمة حجم الحدث وضخامة الجريمة تكون سبباً فى كفر المشتركين فيها مثل المشاركة فى قتل آلاف أو مئات الآلاف أو الملايين بضربات قليلة فى دقائق معدودة.

---

(1) وقد وصل إلى هذا الحال بعض فئات من المسلمين دعاة الضلالة المجاهرون بالكفر والالحاد باسم التنوير والعلم وهم لايدرون أنهم يدعون إلى الظلام والجهل فهم الذين يعمهون.

(2) الهندى/ كنز العمال/ ح رقم ٣١٣٤٩/ جـ١١.

إن الرجل كان قديما يعيش أياماً بل وشهُوراً أو أكثر فى المجتمع لا تُتَاح له فرصة النظر إلى امرأة غير محجبة إلاَّ مُصَادفةً وبطريقة عابرة، وهو اليوم ـ إذا أراد ـ يمكنه أن يرى عاريات تماما أو عاريات كاسيات وبأقل جهد وأقل مال، يُستدعى هذا كله وهو متكىء على أريكته، أى فتنة هذه فى سرعتها وقوتها وإمتدادها وسعتها وانتشارها فى أنحاء الأرض المعمورة. بل إنها تطول حتى البدوى فى الصحراء.

إن قوة الاستطاعة الإنسانية فى الحضارة المعاصرة وسرعتها وشمولها وبطشها أظْهَرَ فى الأرض الهَرْجَ الذى ليس شيئاً سوى القتل الجماعى، فَنَحنُ فى زمان الهرج وهو الذى يطلقون عليه فى العصر الحديث أسلحة الدمار الشامل النَّووى والكيماوى والجرثومى أو البيولوجى الذى يبيد أهل المدن بكاملها.

(فَعَنْ أبى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن من ورائكم أياما ينزل فيها الجهل ويُرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج. قالوا: يا رسول الله؟ ما الهرج قال: القتل)(١) فالكثرة تفيد القتل الجماعى بأسلحة الدمار الشامل، فقنبلة هيروشيما وهى الجيل الأول البدائى من القنبلة النَّووية قتلت فى لحظة كئيبة من لحظات حكم الجبت والطاغوت قرابة ربع مليون نسمة وشوهت وسَبَّبَتَ امراض السرطان لمئات الألوف فى دوائر ممتدة حول موضع انفجارها وبدرجات متفاوتة فى الإصابة حسب ضيق الدائرة واتساعها حول هذا الموضع.

أى استطاعة فى الهرج هذه التى أوصلتْ الحضارة المعاصرة أهلها إليها؟!

ولكن قوة وسعة وسرعة الاستطاعة الإنسانية فى الحضارة المعاصرة ليست فى ذاتها شريرة بل هى مجرد استطاعة محايدة يمكن أن توجه وتستخدم فى الخير كما توجه وتستخدم فى الشر، كما أنها أنتجت وسائل حيادية ومن ثم فهى جميعًا قوى محايدة قابلة للاستخدام الطيب كما أنها قابلة للاستخدام الخبيث الشرير. فما الذى يوجهها نحو الشر تارة ونحو الخير أخرى؟

هذا هو موضوع الفصل التالى بإذن الله تعالى.

(١) أخرجه الترمذى/ ك الفتن باب ما جاء فى الهرج والعبادة فيه/ح ٢٢٣١ وقال هذا حديث حسن صحيح.

الفصل الرابع

استغلال خلفاء الشيطان الاستطاعة المدعمة بالعلم والتقنية في الإفساد للعلو في الأرض

(٤) علو خلفاء الجبت والطاغوت بالإفساد مستغلين الاستطاعة المدعمة بالعلم والتقنية من الإمارات المباشرة للقيامة الصغرى:

ما الذى يرجح استخدام الاستطاعة فى الخير أو فى الشر.

المرجح هو العبودية، الجانب أو الوجه الآخر من الخلافة المقابل للسيادة أى أن الاستطاعة الإنسانية المُرَشَّدَة بالعلم والمدعمة بالتكنولوجيا قوة محايدة.

فإذا كانت العبودية لله عز وجل فإنها تُحَوِّلُ استخدام الاستطاعة العلمية التكنولوجية إلى الخير فيكون كل إنتاجها خَيْراً وبارا وطيبا وسلاما وسعادة فى الدنيا وفلاحا وسعادة فى الآخرة، وإذا كانتْ العبودية للطاغوت أى محققة لخلافة الإنسان للطاغوت يكون إنتاج الاستطاعة الإنسانية الموجهة بالعلم والمدعمة بالتقنيّة شراً وإثمًا وباطلاً وفَسَاداً وسفكًا لدماء المؤمنين بخاصة وفاحشة وتقطيعاً للأرحام وإهلاكا للحرث والنسل ودمارا وهدمًا بعامة.

وأى واحد من الفريقين ظهر على الآخر يظهر أثره المذكور فى الأرض، فإذا تعادل خُلفاء الله تعالى فى قوّة الاستطاعة وسرعتها مع خلفاء الشيطان تعادل الخير مع الشر فى الأرض أو كادَ، وإذا غلبت خلافة الله تعالى على خلافة الشيطان غلب الخير والحق والعدل والسلام على الأرض، وإذا ظهر خلفاء الطاغوت والجبت على خلفاء الله عز وجل ظهر الفساد فى البر والبحر، وغلب الشر وعلا الباطل وفشت الفاحشة والإثم وساد الظلم وعم الظلام، وأهلكوا الحرث والنسل والويل كل الويل للبشرية إذا كانت الغلبة لخلفاء الطاغوت والجبت فى عصر الاستطاعة البشرية القوية السريعة الشاملة، وهذا هو حالها فى هذه الأيام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لم يترك خلفـاء الجبت والطاغوت على الأرض وفى الأرض مجـالا من مجالات الفـاعلية إلاَّ وتَمَكَّنُوا منه وتمكـنوا فيـه وبقوة لحـسـاب الجبت والطاغـوت وهذه أهم وأخطر إمارات القـيامـة الصغرى بل هى إمـارات كثـيرة تشكل فى مجـموعـها الآية الأولى من الآيات العشر وهى المسيح الدجال.

الفصل الخامس

(٥) سنة الله فى استئصال الأمم الكافرة تصدق على نزول بأسه على كل الأرض لتدمير الكافرين فى أحداث القيامة الصغرى

إن خلفاء الجبت والطاغوت إذا تمكنوا من خلفاء الرحمن تمكناً تاما يُتِيح لهم استئصالهم من الأرض حتى تخلو لهم، فلن يَتَوانواْ لحظة عن ذلك.

حدث هذا على مدار التاريخ فما من مرة تمكنوا فيها من المسلمين إلاَّ عملوا فيهم بالإبادة والاستئصال بالذبح وأبشع أنواع القتل والتصفية الجسدية فى شكل مذابح جماعية.

وهذا هو الحادث الآن فى العالم كله ضد ضعفاء المسلمين الذين يشكلون أقليات فى مجتمعاتهم، بل بدأت تجربة الذبح البشع بين مسلمين يشكلون أكثرية فى مجتمعهم وهم أهل الجزائر، وأخرى فى العراق بإثارة الفتن والقتال بين قوميات ومذاهب وطوائف مختلفة من المسلمين ويعدون لمثلها لتقسيم أوطان إسلامية عربية عريقة فى التوحد فى شعب واحد من آلاف السنين مثل مصر وسوريا ولبنان وغيرهم، استئصالا للمسلمين وبخاصة الملتزمين بدينهم، واستئصالا أيضا لأوطانهم ودولهم وتفتيتا لشعوبهم وتقسيمهم إلى دويلات صغيرة لتتمكن إسرائيل من السيطرة عليها. وهذا كله من إمارات الساعة المباشرة.

إن نهاية الدنيا لا تكون إلا بعد أن تتحول البشرية كلها إلى الكفر التام والظلام المطبق والإلحاد الذى سيجهل فيه أهله معنى الألوهية وينسون لفظ الإله ويعيشون كالأنعام بل أضل، هذا حسب سنة الله تعالى فى معاملة الخلق وبأمره وقدره عز وجل، وتلك هى القيامة التى يموت فيها كل حى أى القيامة الوسطى.

كذلك القيامة الصغرى لن تقوم ويحدث الهدم فى الأرض إلا بعد أن يظهر خلفاء الجبت والطاغوت على خلفاء الله عز وجل، وبعد أن تختل موازين القوى بين الفريقين، وبعد أن يستفتح فريق الشيطان ويسعى لاستئصال المؤمنين استئصالاً تاماً شاملاً من الأرض.

وهو ما يخططون له الآن بل إنهم خططوا وانتهوا من التخطيط، وشرعوا فى التنفيذ ونفذوا بعض مراحل الخطة، ويستعدون لمراحل قادمة، ومن هذا الإعداد توحيد أوروبا. ومحاولة إضعاف المسلمين بالقضاء على كل قوة أو دولة أو حكومة تحاول أن تجمع من القوة العسكرية ما يمكنها من الصمود. كما هو حادث الآن مع العراق المحاصر الصامد.

إن استطاعة أهل الاستكبار وعبَّاد الطاغوت يعدون لكى يجلبوا على المسلمين بخيلهم ورَجلهم بعد أن شاركهم الطاغوت فى أموالهم، وأولادهم واعدين إياهم بالتنمية والرخاء والمدنية والتقدم.

لقد أخذت الأرضُ زخرفها وازيَّنَتْ وامتلأت عمرانا وتخطيطا وزراعة وصناعة وإضاءة ومواصلات واتصالات وإعلاما وصارت مجتمعا واحدا يحكمه خلفاء الشيطان. بحكومة واحدة ومؤسسات واحدة وأنذرهم الله تعالى بالعذاب النازل من السماء وبالعذاب من تحت أرجلهم، وجاءت الإنذارات من أهل الأديان ومن علماء الفلك يحدثونهم عن نيزك خطير الحجم قادم إلى الأرض، ومن علماء الجيولوجيا والزلازل عن زلزال رهيب مرتقب لعلهم يتوبون ويرجعون. وعلا اليهود بالإفساد فى الأرض كلها وقال الله تعالى ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (٦/ الإسراء) لكن لا أحد يستجيب للإنذارات ولا اليهود يلبون نداء السلام ولا يعطون الفلسطينيين بعض أرضهم. وأمريكا القوية تصوب أكثر من ١٥٠٠ صاروخ محملة بالرؤوس النووية للعالم الإسلامى، فَتُغَيِّر وجهها من الاتحاد السوفيتى إلى البلاد الإسلامية لقد صار مكرهم لتزول منه الجبال وسيبطله الله عز وجل بقدرته فى يوم من أيام مجده سبحانه. لقد زخرفُوا الأرض وزيَّنوا بلادَهم ويستعَدون الآن للنَّيزك القادم لإنقاذ الأرض من خطره وعمل الاحتياطات بدلا من التوبة والرجوع إلى خالقهم لكى يرحمهم ويمنع عنهم العذاب قبل نزوله ومجيئه ويؤخر عنهم عذاب القيامة إلى جيل آخر غيرهم لا يتوبْ، بدلا من ذلك فإنهم مصرون على ماهم فيه من فاحشة وربا وتجبر وطغيان وذبح للمسلمين، أما النيزك القادم فهم قادرون حسب زعمهم وظنهم وسلوكهم على ردَّه ودفعه عن الأرض من خلال المحطات الفضائية والصواريخ المحملة بالقنابل الهيدروجينية يقذفون بها النيزك فى الفضاء الخارجى قبل دخوله المجال الجوى أو إقترابه من الأرض وقد أعلنت أمريكا فى مارس ١٩٩٨ هذا وَطلبت تعاون الدول الفضائية معها.

إذا استمروا على هذا الحال. ولم يستجيبوا لإنذارات الكتاب المقدس والقرآن والسنة وإنذارات العلماء، فسيأتيهم العذاب.

وسيكون آخر ابتلاء يبتليهم الله تعالى به هو النيزك الذى هو دعوة صريحة جلية من الله تعالى للتوبة، حتى يبعده الله تعالى القادر على كل شيء، والذى لايتم شيء فى الكون إلاَّ بمشيئته سبحانه، فإذا لم يتوبوا وتصدوا له بقصد تدميره معلنين لخالقهم وخالق الكون والشمس والقمر والأرض والسماء سبحانه وخالق كل شيء أنهم قادرون على حماية الأرض مما يأتى من السماء بأمره كان هذا الفعل إعلاناً منهم على استحقاقهم للعذاب وللاستئصال قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (/ ٢٤/ يونس). هذه هى القيامة الصغرى وتلك هى موجباتها تضخم الاستطاعة البشرية بالعلم والصناعة فى عصر علو خلفاء الجبت والطاغوت المحاربين لله عز وجل، حتى ظنوا واهمين أنهم قادرون على دفع عذاب الله تعالى الذى سيبعثه عليهم من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم.

إن مظاهر الاستطاعة الإنسانية العلمية التقنية عمت جميع مناحى الحياة البشرية فى مجالات القوى النفسية: سمعية وبصرية وعقلية ويدوية وانتقالية فى الأرض وفى أعماقها وسمائها بل وخارج سمائها أى سماء الدنيا وفى مجالات البناء كما فى مجالات الهدم وفى مجالات السلم كما فى مجالات الحرب. ولكن كل ذلك فى خدمة أهداف الجبت والطاغوت وفى ظل خلافة الشيطان الظاهرة فى الأرض.

وهذا هو ما سنقرأه تفصيلا باعتبار هذا كله من إمارات الساعة وأوائل القيامة الصغرى الدالة على قرب وقوعها فى القرآن الكريم والسنة. وهو ما أُبلِّغه البشرية عامة والأمة الإسلامية خاصة بكتابى هذا، برجاء التوبة والعودة إلى الخالق جل وعلا.

ومن ثم سنعرض فى فصول لاحقة بإذن الله تعالى كل ما جاء فى الكتاب العزيز والسنة الشريفة عن إمارات الساعة فى زمن العجائب وعصر علو خلفاء الشيطان بالإفساد فى الأرض باعتبار هذا كله مقدمات مباشرة لعذاب القيامة الصغرى وذلك قياما بواجب البلاغ.

الفصل السادس

إخبار النبى ﷺ بكل ما سيحدث بعده إلى قيام الساعة بما فى ذلك التقنيات الصناعية المعا صرة

٦ - الإخبار بالأحداث السابقة على الساعة من المهام الرئيسية للنبوة.

٧ - طوى الله تعالى الزمن لرسوله حتى رأى المستقبل إلى يوم القيامة وبلغه للأمة.

٨ - أهم وأخطر مو ضوعات علم أشراط الساعة.

٩ - هل أخبر رسول ﷺ عن التقدم العلمى والتقنى والمخترعات المعا صرة.

١٠ - هل تضمن القرآن الكريم ذكرا لإمارات الساعة وآياتها بما فى ذلك التقدم العلمى والتقنى والمخترعات المعا صرة؟

(٦) الإخبار بالأحداث السابقة على الساعة من المهام الرئيسية للنبوة:

أشتق لفظ النبى من النبوءة لأنه يخبر بالغيبيات التى ستأتى فى المستقبل ومن بعده، ولذلك قُرئت النبىء أى الذى يتنبأ الغيب وأحداث المستقبل قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن ٢٦/ ٢٧] وعلى هذا فمن مهام النبى الرئيسية الإخبار بما سيحدث فى مستقبل الأيام من أحداث وأحوال للبشر.

والإيمان باليوم الآخر الذى هو الركن الخامس من أركان الإيمان إنما هو نبوءة من نبوءات الغيب التى جاء بها أنبياء الله تعالى بعامة ورسول الله خاتم النبيِّين صلى الله عليهم جميعا وسلم بخاصة.

وإبتداء اليوم الآخر لا يكون فى الآخرة، بل هو فى الدنيا كما صرح بهذا عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما وقد (سئل عن القيامة أهو من الدنيا أم من الآخرة؟ قال: صَدْرُ ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة)[1] وبدليل غلق باب التوبة بخروج الشمس من مغربها، وهو وقت احتضار البشرية، كما لاتقبل توبة المحتضر وهو حى لم يمت بعد ولم تَزُلْ قدماه من الدنيا لأنه يكون فى أول آخرته.

وقد نبَّأ الرسول ﷺ بكل ما سيحدث من بعده حتى يدخل أهل الجنة منازلهم ويدخل أهل النار دركاتهم.

(٧) طوى الله تعالى الزمن لرسوله ﷺ حتى رأى المستقبل إلى يوم القيامة وبلغه للأمة:

روى الطبرانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (إن الله عزّ وجل قد رفع لى الدنيا، فأنا أنظر إليها، وإلى ما هوكائن فيها إلى يوم القيامة، كأنما أنظر إلى كفى هذه)[2] قوله ﷺ (كأنما انظر إلى كفى هذه) يفيد أنه كان ينظر فى

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفارينى حـ٢ ص١٦٩.

(٢) عن اتحاف الجماعة حـ١ ص١٢ وعزاه إلى الطبرانى.

صفحة مسطحة تتوالى فيها أحداث الدنيا منذ عهده إلى يوم القيامة، وأنه رأى الأحداث كأقرب ما يكون الرائى منا اليوم ناظرا فى شاشة تليفزيونية، ومن ثم علمها علم مشاهدة، وليس علم استماع وتلقى بالألفاظ.

وهذا يعنى أن رسول الله ﷺ قَصَّ علينا بتعبيره وبيانه البليغ ما رآه عيانا، فهو يصف ما شاهده.

والسؤال الآن: هل أنبأ رسول الله ﷺ صحابته رضوان الله عليهم بكل ما شاهده أى بكل الأحداث المستقبلية إلى يوم القيامة، أم انبأهم ببعض ما شاهد، أو بأكثر ما شاهد، ومنع عنهم بعضه؟!.

للإجابة على هذا السؤال أقول: بما نسب بسند صحيح إلى السيدة عائشة رضى الله عنها قولها (من زعم أن محمداً ﷺ كتم شيئا من الوحى فقد أعظم على الله الفرية)(1) لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة/ ٦٧] أى وإن كتمتَ شيئا فما بلغت، ومن ثم يلزم الاعتقاد بأن النبى ﷺ لم يكتم عن أمته كلمة ولا حرفا، ومن يجيز أنه كتم شيئا فقد افترى على النبى كذبا أنه لم يبلغ رسالةربه.

وبناء عليه فإن ما نظر إليه ﷺ من احداث الدنيا منذ عهده إلى يوم القيامة لابد أن يكون قد بلَّغه صحابته ونقله إليهم وصفًا ببيانه البليغ المعجز.

وهذا ما صرح به حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وهو الذى خصه رسول الله ﷺ بما لم يعطه لغيره حتى قيل عنه انه سر رسول الله ﷺ فقد روى الإمام أحمد ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال: (أخبرنى رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة فما منه شىء إلا قد سألته الاَّ إنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة)(2).
وهذا معنى صريح وواضح بأنه علم من النبى ﷺ كل الأحداث الكائنة إلى يوم

---

(1) سنن النسائى الكبرى حديث ١١٠٤٨

(2) رواه مسلم/ ك الفتن/ ب اخبار النبى فيما يكون إلى قيام الساعة/ ح ٧٢١٠.

القيامة، ثم أنه كان يريد أن يستفسر ويستفصل منه عن خروج أهل المدينة من المدينة فى آخر الزمان، حتى يتركوها مهجورة ليس فيها أحد، ولكنه نَسِيَ ولعله لم يفعل لسبب اخر.

والسؤال الذى يعرض نفسه علينا الآن هو:

هل خص رسول الله ﷺ حذيفة بما شاهده نتيجة النظر فى أيام الدنيا كما ينظر فى كفه؟.

لا : بل عمم عليه الصلاة والسلام البلاغ بهذا على صحابته بدليل قول حذيفة رضى الله عنه فيما رواه أبو داود الطيالسى (قال: قام فينا رسول الله ﷺ فاخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة، إلاَّ أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة)(1)؟! وعنه رضى الله عنه قال: (لقد خطبنا النبى ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة الا ذكره عَلِمَهُ من عَلِمَهُ وجهله من جهله، إن كنتُ لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غاب عنه فرآه فعرفه)(2).

فنظراً لأن الخطبة طويلة جدا، تلك التى استوعبت جميع الأحداث إلى قيام الساعة ، فإن الذين استمعوا إليها حفظوا منها ونسوا، فإذا حدث الحدث الذى تضمنته الخطبة، تذكر ما نسيه كما ينسى الرجل وجه الرجل بعد افتراق طويل، فإذارآه تذكره وعرفه. ورواية الإمام أحمد عن حذيفة أيضا توضح هذا المعنى قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، فما ترك شيئا يكون بين يدى الساعة الاَّ ذكره فى مقامه ذلك، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه) قال حذيفة : (فإنى أرى أشياء قد كنتُ نسيتها فأعرفها كما يعرف الرجلُ وجه الرجل قد كان غائبا عنه يراه فيعرفه) وهو يقصد من قوله «أشياء» أحداثاً وأحوالا وأشخاصا ووقائع ومواضع وأوقاتا كلها نبأ بها رسول الله ﷺ فى هذه الخطبةالجامعة الشاملة.

والسؤال الذى يطرأ الآن على الخاطر هو: كم استغرقت من الوقت هذه الخطبةالتى استوعبت أحداث الدنيا إلى يوم القيامة؟.

---

(1) رواه أبو داود.

(2) صحيح البخارى / ك القدر/ ب وكان أمر الله قدراً مقدوراً ح/ ٦٣٦٣.

روى مسلم وأحمد رحمهما الله عن عمرو بن أخطب الأنصارى رضى الله عنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا)(١). وهذا إضافة جديدة لما سبق من روايات وهى أنه أخبر فى هذا المقام بما كان وبما سيكون ويؤكد هذا ما رواه البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: (قام فينا رسول الله ﷺ مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم)(٢) أى أن موضوع هذه الخطبة فى هذا المقام العظيم هو قصة الدنيا من أولها إلى آخرها.

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر بنهار ثم قام فينا خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة الا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قال: وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقى منها شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: ألاَ إنه لم يبْقَ من الدنيا فيما مضى الاَّ كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه)(٣).

وفى هذا بيان لقصر الزمن بين عصر رسول الله ﷺ وبين عصر الساعة، إذ يدل التعبير بالسؤال عن الذى بَقِيَ من الشمس على أنها كانت على وشك الغروب.

(٨) أهم وأخطر موضوعات علم أشراط الساعة:

والسؤال الذى يجب أن نطرحه الآن هو:

ما هى أهم وأخطر الأحداث التى ذكرها النبى ﷺ منذ عصره إلى يوم القيامة؟

إنها الفتن، لأن العلاقة بين ازدياد الفتن وشدتها وبين تقدم الزمان والقرب من الساعة علاقة مطردة. فكلما قرب الزمان من الساعة كلما اشتدت وإزدادت ،وأيضا كلما كثرت الفتن واشتدت، دل هذا على القرب الشديد للساعة، حتى اقترنت الفتن

---

(١) رواه مسلم / ك الفتن وأشراط الساعة/ ب أخبار النبى فيما يكون إلى قيام الساعة/ ح ٧٢١٢ .

(٢) رواه البخارى ك بدء الخلق/ ب ما جاء فى قول الله تعالى: "وهو يبدأ الخلق ثم يعيده/ ح ٣٠٦٠.

(٣) رواه الترمذي/ ك الفتن عن رسول الله ﷺ/ ب ما أخبر النبى ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة / ح ٢٢٢١.

بأشراط الساعة وأشراط الساعة بالفتن. وصنف العلماء فى هذا الموضوع تحت عنوان الفتن وأشراط الساعة، حتى يصعب الفصل بينهما، وأيضا صنفوا تحت عنوان الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لأن الملاحم العظيمة بين حزب الله وحزب الشيطان ستكون آخرالزمان. وهذه الملاحم مواقع عسكرية عظيمة بين أهل الإيمان حزب الله وبين جحافل الكفرحزب الشيطان وهى سلسلة من الملاحم تنتهى بالملحمة العظمى.

لقد روى حذيفة رضى الله عنه الكثير من أحاديث الفتن فقال: (ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه أو اسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة كل ذلك علمنيه رسول الله ﷺ قالوا: بأعيانها؟ قال: أو أشباهها يعرفها الفقهاء أو قال العلماء، انكم كنتم تسألون رسول الله ﷺ عن الخيروأسأله عن الشر وتسألونه عما كان وأسأله عما يكون)(١).

وبناء على ذلك صار حذيفة بن اليمان رضى الله عنه كأنه المتخصص فى مرويات الفتن وأشراط الساعة، حتى إنه ليتحدث عن الفتن من بعد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى يوم القيامة فيقرر انه اعلم بها من علمه بالطرق التى يسير فيها فيقول رضى الله عنه: (ما أنا إلى طريق من طرقكم بأهدى منى بكل فتنة هى كائنة وبِنَاعقَها وقائدها إلى يوم القيامة)(٢). ورُوِىَ عنه أيضا (والله ما أنا بالطريق إلى قرية من القرى ولا إلى مصر من الأمصار بأعلم منى بما يكون من بعد عثمان بن عفان)(٣).

والذى يمكن أن نستنبطه من حديث حذيفة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أخبره بمعلومات عن الفتن التى يزيد اتباع كل فتنة منها عن ثلاثمائة فأكثر، فهو يعرف إسم قائد الفتنة، واسم أبيه ومحل سكنه، ولكنه لا يخبر اسمه الصريح الذى سماه به أبوه والذى يعرفه به أهل زمانه المعاصرين له، ولكن يذكر حذيفة رضى الله عنه أشباه

---

(١) رواه نعم بن حماد/ حديث رقم.

(٢) رواه نعيم بن حماد فى الفتن رقم : ٢٦

(٣) الفتن / نعيم ابن حماد/ جـ١ حديث رقم: ٢٧.

وأوصاف وعلامات تدل عليه دون ذكر اسمه الحقيقى، فيمكن للعلماء أو الفقهاء المعاصرين لقائد الفتنة أن يستنبطوا مما يرد عنه فى الأحاديث انه هو الذى ترمز إليه الآثار بكذا، ويؤكد لهم هذا ذكر سكنه وقبيلته، وربما الشخصيات الأخرى المتصارعة معه، كما أنه يعلم جميع قادة الفتنة الذين يزيد أتباعهم عن ثلاثمائة من بعد عثمان رضى الله عنه، إلى يوم القيامة، إلا أنه غير مصرح له بالتصريح باسمه الحقيقى ولكن فقط باشباه الأسماء وليس بأعيانها..

والخلاصة أن الرسول الكريم ﷺ ما ترك صحابته الا وقد أخبرهم بما سيكون إلى يوم القيامة فعن أبى ذر رضى الله عنه قال:(لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يتقلب فى السماء طائر الا ذكر لنا منه علما)(١) .

وكما شهد هذان الصحابيان الجليلان بأن رسول ﷺ أخبرهم بكل ما كان وما هو كائن وَما سيكون من أحداث وتغيرات إلى يوم القيامة، فإن الذئب أيضا شهد له بذلك ﷺ أمام راعى الغنم اليهودى، فأسلم، فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال: (جاء ذئب إلى راعى غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى أنتزعها منه. قال: فصعد الذئب على تل فأقعى واستذفر فقال: عمدتَ إلى رزق رَزقنيه الله عزّ وجلّ انتزعته منى.

فقال الرجل: تالله إن رأيتُ كاليوم ذئبًا يتكلم!

قال الذئب: أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديا فجاء الرجل إلى النبى ﷺ...)(٢).

فخلاصة هذا الفصل أن رسول الله ﷺ بلَّغ الصحابة رضوان الله عليهم بما كان وبما هو كائن، وبما سيكون إلى يوم القيامة، وتلقى التابعون عنهم هذا كله، الأمر الذى كوَّن عند المحدثين فيما بعد قسما هاما ورئيسيا من أقسام علم الحديث صنفوه فى أبواب خاصة جعلوا لها عناوين أشراط الساعة والفتن والملاحم.

---

(١) رواه أحمد ورجال ثقات ح/ ٢٠٩٨٨.

(٢) مسند الإمام أحمد / ح ٧٩٧٧.

(٩) هل أخبر رسول الله ﷺ عن التقدم العلمي والتقني والمخترعات المعاصرة؟

ومن ثم يتحتم علينا الإجابة على سؤال هام يبرز لنا من خلال المعطيات الصحيحة السابقة وهو:

إذا كان رسول الله ﷺ قد أخبر بكل ما سيكون إلى يوم القيامة ووقوع الساعة، فهل أخبر عن سمات الحضارة الصناعية التقنية الحديثة المعاصرة التى غيرت وجه الحياة باختراعات فى مجال وسائل السفر والانتقال ووسائل الاتصالات ووسائل البناءوالتشييد وفى المعدات والآلات الزراعية والصناعية وفى الأجهزة البصرية والسمعية التى ملأت البيوت وصبغت الحياة اليومية للناس بصبغة خاصة مخالفة لما كانت عليه الحياة من قبل.

وكذلك تغيرت وسائل النقل البحرى والأساطيل والمعدات البحرية العسكرية وكذا المعدات والآلات والأسلحة الحربية.

لقد تغير كل شىء فى الحياة بالصناعة حتى أن الفرد العادي أو الطفل يفعل ويحصل على نتائج وأمور بالآلات والأجهزة والوسائل الحديثة ما لا يصدقه عقل القدماء لو أُخبروا بهذا أو ببعضه.

هل كان يتصور أحد القدماء مثلا أن الإنسان يمكن أن يزيل جبلا وينقله من مكانه إلى مكان بعيد؟! وهل كان يتصور أن الإنسان سيتمكن يوما أن يشق داخل الجبل طريقا إلى الناحية الأخرى منه، وهل كان يمكن أن يصدق أن الإنسان سيرقى فى السماء ويركب طبقا عن طبق، حتى يعيش فى بيت خارج السماء الدنيا اسمه المحطة الفضائية. أو هل كان من الممكن أن يصدق أن الإنسان سيرى البعيد ويسمع البعيد فى أقصى الأرض وأنه سيغوص فى قاع المحيطات ويخرج؟ وهل وهل وهل؟!

فهل تضمنت السنة أخبارا عن هذا كله؟!

إذا قلنا لا؟ تضارب قولنا مع ما سبق أن قلناه من أحاديث صحيحة عن إخباره ﷺ بكل شيء حتى قيام الساعة. ومن ثم لابد أن تكون الإجابة بنعم، وإنها لكذلك.

بل إن رسول الله ﷺ ذكر هذا صريحا مُوَضِّحًا أن هذه الاختراعات جميعا انما تأتى فى عصر الدّجال أى تسبقه فيما رواه أحمد عن سمره بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدّجال ممسوح العين اليسرى، كأنها عيْن أبى تَحيٍّ ـ لشيخ من الأنصار ـ وإنه متى خرج ، فانه يزعم أنه الله، فمن آمن وصدَّقه وإتَّبعه فليس يَنفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه فليس يُعاقب بشىء من عمل سلف، وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وأنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس فيزلزلون زلزالا شديدا، فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده حتى أن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادى يا مؤمن هذا كافر يَسْتَتِرُ بى فتعال اقتله.

قال: ولن يكون ذلك حتى تروْا أموراً يتفاقم شأنها فى أنفسكم وتساءلون بينكم:

هل كان نبيكم ﷺ ذكر لكم منها ذكرا؟!، وحتى تزول جبال عن مراسيها، ثم على أثر ذلك القبض)(١).

فأنظر إلى السؤال الذى طرحه نبى الله ﷺ مخبرا أننا فى آخر الزمان عندما تحدث الأمور التى يتفاقم شأنها فى أنفسنا ستتساءل: هل كان نبينا ﷺ ذكر لنا منها ذكراً؟ نعم ولابد أن نقول نعم. وهى إجابة صحيحة وحق.

ولكن من أى نوع هى هذه الأمور التى يتفاقهم شأنها فى أنفسنا؟

الإجابة: من قبيل إزالة الجبال عن مراسيها. إذن فهذه الأمور هى المخترعات المعاصرة التى وسَّع الإنسان بها دائرة استطاعته فى جميع مجالات وأنشطة الحياة حتى

---

(١) رواه أحمد عن سمرة والحاكم فى المستدرك وَصَحَّحَهُ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وكذا رواه أبو يعلى وأبى خزيمة والطبرانى وعند أحمد برقم : ١٩٧٢٢.

النشاط الفكرى اخترع له حاسبات تحسب فى الثانية ما يحسبه آلاف الرجال فى زمن طويل، وربط عليه الصلاة والسلام هذا العصر الصناعى التقنى بزمن خروج الدجال بعد أن يسبقه تسعة وعشرون دجالا من جنسه النجس.

تلك جميعا هى الإمارات التى تسبق الآيات، ولقد سماها رسول الله ﷺ أمارات فى حديث الذئب الذى جاء فى آخره(... فجاء إلى النبى ﷺ ثم قال النبى ﷺ «إنها أمارة من أمارات بين يدىْ الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)[1] وسنعلم بعد أن نعلاه وسوطه إشارة إلى التليفون السلكى الذى هو قطعتان وسلك أحدى القطعتين أشبه بالسوط وهى التى يتحدث فيها المتحدث. أوأن السو ط هو التليفون السلكى ، والنعلين هما التليفون المحمول. والشاهد من بقية حديث الذئب أن الرسول ﷺ أطلق على هذه المخترعات الصناعية أمارة لأن لفظ أمارة فيه معنى العجب.

فالأمارات والأعلام فى زمن واحد، الا أن الإمارة تمتاز بأنهآ من العجائب وبالخصائص التى سبق أن ذكرناها قبل، لكنها جميعا أى الامارات والأعلام إرهاصات لعصرالآيات العشر التى هى، أى الآيات، إرهاصات لوقوع الساعة وكل ذلك عصر واحد هو بدء اليوم الآخر بدليل قوله فى آخر الحديث (ثم على أثر ذلك القبض) إشارة إلى الزلزال العظيم أى القيامة الصغرى الذى هو الموت بما فيه.

وفى الأبواب والفصول التالية سنعرض للأمارات بأنواعها تلك التى تعيشها البشرية: أحوالا وأحداثا كما جاءت أخبارها فى الكتاب والسنة سابقة لحدوثها بقرون عديدة لتجزم لنا ببدء اليوم الآخر والقرب الشديد لوقوع العذاب وقيام القيامة ورجفة الأرض أو زلزال الأرض العظيم والخسوف العظيمة المصاحبة له.

---

(١) مسند الإمام أحمد/ ح ٧٩٧٧.

الفصل السابع

أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(١٠) هل تضمن القرآن الكريم ذكرا لأمارات الساعة وآياتها بما فى ذلك التقدم العلمى والتقنى والمخترعات المعاصرة ؟

علمنا مما سبق أن القرآن الكريم مُتَضمن لأنباء السابقين وأخبار اللاحقين(فيه نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم).

ومن المعلوم أن رسول اللهﷺ قد سكت عن كثير من آيات القرآن الكريم ولم يفسرها، وفى نفس الوقت نهى الصحابة عن سؤاله عن الذى سكت عنه. والحكمة من ذلك واضحة: وهى أنه يعلم تأويل هذه الآيات ولكنه يعلم أيضاً أن إخباره بتأويلها للصحابة والأجيال التى بعدهم يكون فتنه لهم، لأن عقولهم لاتستوعب أو تتصور حقيقة ما تتحدث عنه هذه الآيات.

والدليل على هذا الذى نقرره ما رواه نعيم بسنده [عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فى قوله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا إهتديتم﴾ (١٥٠ / المائدة). قال : لم يجيء تأويل هذه بعد، ثم قال عبد الله: إنَّ الله أنزل القرآن حيث أنزله. فمنه آيٌ قد مضى تأويلُهنَّ قبل أن ينزل، ومنه أيٌ قد وقع تأويلُهنَّ على عهد النبى ﷺ، ومنه آى قد وقع تأويلُهنَّ بعد النبى ﷺ بقليل، ومنه آى يقع تأويلُهنَّ بعد اليوم، ومنه آى يقع تأولهنّ يوم الحساب وذلك ما ذكر من الحساب والجنة والنار][1] والتأويل يعنى التحقيق فما كان من الآى اللائى تخص أحداث زماننا وتحقَّق فيه فنحن أهل زمان هذه الأحداث أقدر على فهمها من السابقين.

---

(١) نعيم بن حماد/ الفتن حديث رقم ٣٨.

يدل على هذا قوله ﷺ فى تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا...﴾[الأنعام/ ٦٥] أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد(١)، وهو ماينطبق فيما ينطبق على القذائف الصاروخية وقذائف القنابل التى تلقيها الطائرات وأيضا الالغام التى تتفجر تحت الأقدام. ومثل هذا لايستوعب حقيقته السابقون، ومن ثم لم يخبرهم رسول اللهﷺ بحقيقة تأويلها لهذه الحكمة، وإنما أنباهم بأن تأويلها سيأتى بعد، ولايمنع هذا أن تصدق الآية على النيازك والزلازل والخسوف أيضًا ويكون هذا التطبيق للآية أو هذا الحدث الذى ينطبق عليه هذا التأويل لم يأت بعد .

والشاهد من هذا فى موضوعنا أن كثيرًا من دلالات الآيات تنطبق على أحداث سيأتى تأويلها بعد، وأكثر ذلك فى الآيات الخاصة بمشاهد الساعة وأشراطها وأماراتها وعلاماتها وآياتها، وقد سكت رسول اللهﷺ عن تفسير كثير من هذه الآيات وبخاصة التى تتحدث عن المخترعات الحديثة، التى يتفاقم شأنها فى نفوس معاصريها، ولم يكن من السهل على السابقين تصور حدوثها، بل وتصديق حدوثها، لأنه إذا كان بعض الذين أسلموا قبل الاسراء، قد إرتدُّوا لَمَّا سمعوا أن الله تعالى قد اسرى برسوله ﷺ ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عاد فى نفس الليلة لأنهم كانوا يقطعون هذه المسافة ذهابا وإيابا فى شهرين، فماذا يكون حال امثال هؤلاء وغيرهم من عامة المسلمين، لو علموا أن الانسان سيتمكن بنفسه من قطع هذه المسافة ذهابا وإيابا فى أقل من ليلة؟! ليس بالبراق الذى أتى به جبريل عليه السلام، ولكن بشئ يصنعه الانسان، ويملكه ويتحكم فيه وينتقل به متى شاء؟

أفليس فى هذا فتنة عظيمة لهم؟ قصد الشرع الحكيم أن يبعدهم عنها؟! فسكت عن كثير مما تتضمنه آيات الأشراط والأمارات.

يدل على هذا مارواه المحدثون فى تفسير قسم الله تعالى بالذاريات فى قوله تعالى:

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده عن سعد بن أبى وقاص، والترمذى وحسَّنه، ونعيم فى الفتن وابن أبى حاتم وابن مردوية وأورده السيوطى فى الدر المنثور/ ٣/ ١٩.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾(١-٦-الذاريات).

قال السيوطى فى الدر المنثور (أخرج البزار والدارقطنى فى الإفراد وإبن مردويه وابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال: جاء صبيغ التميمى إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال: أخبرنى عن الذاريات ذروا؟

قال: هى الرياح، ولولا أنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقوله ماقلته.

قال: فأخبرنى عن الحاملات وقرا؟

قال: هى السحاب ، ولولا أنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقوله ماقلته.

قال: فأخبرنى عن الجاريات يسرا؟

قال: هى السفن، ولولا أنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقوله ماقلته.

قال: فأخبرنى عن المقسمات أمراً؟

قال: هى الملائكة، ولولا أنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقوله ماقلته.

ثم أمر بـه فضرب مائة وجعل فى بيت، فلما برأ دعاه وضرب مائة أخرى، ثم حمل على قتب، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى: امنع الناس من مجالسته، فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى، فحلف له بالإيمان المغلّظة مايجد فى نفسه مما كان يجد شيئا ،فكتب فى ذلك الى عمر، فكتب عمر ماإخاله إلاّ قد صدق فَخَلّ بينه وبين مجالسة الناس)(١).

والسؤال الذى يفرض نفسه على من يقرأ هذه الرواية هو:

لماذا جلده عمر رضى الله عنه، ومنعه من مخالطة الناس حتى أقسم أنه مايجد فى نفسه مما كان يجد؟ توضح لنا الرواية التالية عن نفس الحدث الإجابة عليه:

قال السيوطى فى الدر المنثور(وأخرج الفريابى عن الحسن قال سأل صبيغ التميمى عمربن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن الذاريات ذروا، وعن المرسلات عرفا، وعن

(١) السيوطى/ الدر المنثور/ ٦/ ١٢٣.

النازعات غرقا فقال عمر رضى الله عنه: اكشف رأسك فإذا له ضفيرتان، فقال: والله لو وجدتك محلوقا لضربت عنقك، ثم كتب إلى أبى موسى الأشعرى أن لايجالسه مسلم ولايكلمه)(١).

إذن لم يعاقبه عمر رضى الله عنه لأنه سأل عن الذرايات لأنه أجابه عنها بما سمعه من رسول الله ﷺ، وإنما عاقبه ومنع مخالطته والحديث معه، لأنه سأل أيضا عن «المرسلات والنازعات» فما بال«المرسلات والنازعات»؟ هذه لم يرد فيها تفسير عن رسول الله ﷺ أى هى مما سكت عنها، بخلاف«الذاريات».

كذلك قول عمر رضى الله عنه وهو يجيبه عن كل آيه فى الذاريات «ولولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته» مقصود منه رضى الله عنه بياناً لمنهج تأويل هذه الآيات التى هى قسم من الله عزوجل على مقسوم هو من مشاهد القيامة وأحداث آخر الزمان وأمارات الساعة، وكأنه يوضح رضى الله عنه أن ماسكت عنه النبى لانسأل عنه، لأنه مَنْ خَبَرَ مَنْ بعدهم، ومن ثم لم يأت تأويلها بعد، فإذا أتى كان الحدث أو الأحداث هو التفسير الصحيح والتأويل المطابق للآيات، ومن ثم لايعلم تأويلها الصحيح من الناس إلا أهل زمانها.

يؤكد هذا ماعلَّق به إبن كثير على الرواية السابقة بقوله:(.. وأقرب مافيه أنه موقوفٌ على عمر رضى الله عنه، فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضى الله عنه وإنما ضربه لأنه ظهر له من امره تعنتًا وعنادًا والله أعلم).

أما المقسم عليه فهو وقوع المعاد كما قال ابن كثير رحمه الله(إنما توعدون لصادق وأن الدين لواقع) قلت والله تعالى أعلم أن المقسم عليه هو العذاب او الزلزال الذى يسبق الساعة والبعث لأن هذا كله مما أوعد الله تعالى به الإنسان، فَلِمَ نقصره على المعاد كما قال ابن كثير.؟! فالأولى أن يشمل كل ماأوعد الله تعالى به فى القرآن الكريم واخطره الزلزال والخسوف وكل ماجاء عن مشاهدهما فى القرآن الكريم

(١) نفس المصدر والصفحة.

والسنة ثم المعاد للحساب فتأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ أى العذاب أو القيامة الصغرى وقوله: ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ القيامة الكبرى.

والشاهد من هذا كله لموضوعنا هو أن قسم الله عزوجل «بالمرسلات» «والنازعات» «والطور» وأمور كثيره أخرى هو مما يأتى تأويله فى آخر الزمان وعندما يأتى تأويله ويحدث فإن البشرية تكون بين يدى الساعة وأن هذه جميعا من أماراتها بالمعنى الإصطلاحى الذى ذكرناه لامارات الساعة من قبل وهذا ماسنتحقق منه فى الفصول التالية بإذن الله تعالى وتوفيقه.

الباب الثانى

رؤية القيامة رأى العين

الفصل الأول: عَصْرُ مُسِرَّات يوم القيامة المتفاقمات.

الفصل الثانى: المُسِرَّاتُ المتفاقمات الإثنى عشر فى سورة التكوير

الفصل الثالث: الأقمار الصناعية قمة المُسِرَّاتْ المتفاقمات فى القرآن الكريم

الفصل الرابع: القسم بامارات حضارية فى سورة الطور على وقوع العذاب

الفصل الأول

عصر مسرات يوم القيامة المتفاقمات

١١ - عصر المتفاقمات هو عصر تزيين الأرض وزخرفتها.

١٢ - مسرات يوم القيامة فى ثلاث سور قرآنية.

(١١) عصر المتفاقمات هو عصر تزيين الأرض وزخرفتها:

بناء على ما سبق، نثبت حقيقة هامة من حقائق الوحي الخاتم: وهى أن النبى ﷺ لم يترك شيئًا سيحدث منذ عهده إلى يوم القيامة إلاَّ وقد أخبر به. وكذلك أخبر القرآن الكريم بكل ما سيحدث من بعد نزوله إلى يوم القيامة بدليل قول النبى ﷺ عن كتاب الله تعالى: ﴿... فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم...﴾ وما بعد الصحابة الذين خاطبهم النبى ﷺ بهذا الحديث هو كل ما سيأتى إلى يوم القيامة وأحداث يوم القيامة إلى أن يدخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار دركاتهم. وهذا يوافق المعلوم بالضرورة عن السنة بأنها تفصيل وتفسير لما فى القرآن الكريم.

والسؤال الذى يفرضه سياق الموضوع علينا الآن هو:

إذا كان، الأمر كذلك، وهو كذلك حقا، فهل من المعقول ألاَّ يتضمن الوحى الخاتم: كتابا وسنة، أخباراً عن التقدم العلمي والتقنى والصناعى الذى تعيشهُ البشرية فى العصر الراهن تفصلاً وليس إجمالاً، وتصريحاً وليس تلميحًا.؟! هل يمكن أن نتصور إكتفاء الوحى بذكر هذا كله إجمالاً وتلميحاً وإغفال ذكره تفصيلاً وتصريحاً؟!

الإجابة : لا يمكن أن نتصور هذا الاغفال ولا يجوز تَصَوّره، ولا شك أن هذا التقدم العلمى التقنى الصناعى مذكور تَفْصيلا فى الكتاب والنسة ولا يقدح فى هذه الإجابة الصحيحة غفلة كثير من أساتذة التفسير والحديث المعاصرين، وكذلك العلماء الذين تَعَرَّضُواْ لتفسير القرآن الكريم أو شرحوا السنة الشريفة عن هذه الحقيقة رغم مرور أكثر من قرن من الزمان على بدء التقدم الصناعى والتقنى وظهور وانتشار المخترعات الحديثة، وما هذه الغفلة إلا لأنهم غالبا ما تمسكوا بتفسيرات القدماء وهنا يبرز إلى الذهن إعتراض يقول: إذا كانت أخبار المخترعات الحديثة والمعاصرة وعجائب زماننا التقنية مذكورة صراحة وتفصيلاً فى القرآن الكريم

---

(١) سبق تخريجه.

(١) سنن النسائى الكبرى حديث ١١٠٤٨

والسنة، فَلِمَ لم ينتبه إليها المفسرون الأولون، ولم لم يَتَحدَّثوا عنها، ولم يعلموا ما نعلمه نحن، ولم يذكروها تفصيلاً وصراحة، حسب ما نزعم بأنها موجودة في نصوص الوحي؟!

والإجابة على هذا الاعتراض الوجيه هي أن النصوص المتحدثة والمخبرة بأحوال عصرنا التقني الصناعي مُصَاغةٌ في غاية الحكمة وفي بلاغة معجزة، فهي مع دلالتها الصريحة والمُفَصِّلَة على أي إختراع من اختراعات العصر، فإنها تأتي مصاغة بحيث يمكن تفسيرها أو تأويلها على أمر أو شيء آخر مما يفهمه السابقُون الأولون، وذلك لأن القرآن الكريم كتاب الكون كله والمسلمون يَتَعَبَّدُون في صلاتهم وتلاوتهم به، فلابد أن تكون آياته مفهومة لكل المسلمين على مر العصور منذ نزوله إلى يوم القيامة، فالآيات، التي يأتي تأويلها في آخر الزمان لابد أن تكون مصاغة بكيفية بلاغية معجزة بحيث تحتمل المعنيَيْن: الأول الذي يصلح معنى ومفهوما ودلالة مقنعة للأولين، ثم الثاني وهو الذي يتطابق على أحداث الساعة أو على حال أهل آخر الزمان، ويكون في نفس الوقت التفسيران صحيحيْن ومُوافقيْن للآية، حسب مقتضيات اللغة وألفاظها، وهذا هو ما نجده في كثير من الآيات أو السور التي تتحدث عن أحوال وأحداث يوم القيامة. ومن ثم ونظراً لأن هذه الآيات تحمل مدلولات مقنعة حسب منطوق اللغة لأهل كل زمان، وجدنا المفسرين في كل عصر يكتبون في تفسير آيْ الذكر الحكيم ما هو متوافق مع عصرهم وثقافتهم وعلومهم، حتى إذا تحقق المدلول المطابق تماما للآية في عصر يوم القيامة الذي تتحدث عنه كان هو - وبمقتضى اللغة - التأويل الدقيق لها ولا يتَعارض أو يختلف في نفس الوقت مع التأويلات السابقة لأنها جميعاً متوافقة مع الدلالة اللغوية للآية، وهذا يعني أن آيات أحداث الساعة وإماراتها أو أشراطها حَمَّالَةٌ أوجه أي أن صياغتها وأسلوبها يصلح لأن يفسر على أكثر من وجه وكلها مطابقة للغة. ذلك أنه لا يجوز لمفسر ولمسلم أن يفسر أو يؤول آية من كتاب الله تعالى برأيه، والمأثور عن الصديق الأول في الأمة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه قوله: «أي أرضٍ تقلني وأي سماء

تظلنى لو قلت فى كتاب الله برأيي؟» وهذا مما لا يختلف عليه أهل السنة والجماعة فى التفسير، والذى يحكم هذا الجُنوح بالرأى فى التأويل ويمنعه عن المفسر هو التزامه بالدلالة اللغوية المحضة للآية الكريمة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [٢/ يوسف] فيجب أن يكون التأويل مطابقًا مطابقة تامة دقيقة مع المدلول اللغوى للآيات، وهذا هو العاصم من القول فى القرآن الكريم بالرأي، لأن القول بالرأى غالبًا ما يكون نابعًا من الهوى، ومن ثم يكون هذا تحريف لمعانى الكتاب نَعُوذُ بالله تعالى من ذلك، ونسأله العصمة منه. ومنهجى فى تفسير آيات اليوم الآخر وأحوال وأحداث يوم القيامة هو التزام المدلول اللغوى بدقة، فإذا تطابق هذا المدلول للآية على حال من أحوال العصر الذى نعيشه أو على صناعة من الصناعات أو اختراع من الإختراعات، فإن هذا التأويل يكون صحيحاً بإذن الله تعالى، بل يكون أقوى فى الصحة من غيره إذا خالفه، لماذا؟ لأن الآية تتحدث عن أحوال يوم القيامة، وهذا الحال موجود فى زماننا المعاصر ولم يوجد بهذا التطابق من قبل ومن ثم فإن التفسير يكون صحيحا باعتبار أن آيات أشراط الساعة تتحدث عما سيكون دائماً، فإذا تحقق هذا الذى تذكر الآية أنه سيكون دل هذا على صحة التفسير، ودل على أن البشرية تعيش يوم القيامة أو إرهاصاته ومقدماته التى هى علاماته وأماراته، علاوة على إثبات صدق النبوة وأن القرآن كلام الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ. وليس لمعترض بعد ذلك أن يعترض على أى تأويل من هذه التأويلات ما دام المدلول اللغوى الدقيق يتطابق بدقة على الحال العصرى أو الاختراع العصرى بحجة أن السابقين الأولين لم يفسروا الآية بهذا التفسير الجديد لأن الآيات التى تحمل خبر الذين بعد الصحابة والذين هم أهل آخر الزمان والتى أخبر عنها النبى ﷺ أنه لم يأت تأويلها بعد، والتى عناها عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بقوله (ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آىٌ يقع تأويلهن يوم الحساب)[1] هذه الآيات لابد أن يكون تفسيرها عندما يأتى تأويلها جديدا ومُغَايِراً تماما لتأويلات السابقين لها، وهذا يبطل هذا الاعتراض.

---

(١) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن رقم ٣٨.

ولم يبق إلاَّ أن يعترض معترض على ما سأذكره من تأويلات جديدة، ليس لأنها من قبيل الرأى أو لمخالفتها لقواعد التفسير أو لمخالفتها للسابقين الأولين من المفسرين، وإنما فقط يكون اعتراضه لمجرد أن قائلها هو العبد الفقير إلى الله عز وجل وليس غيره، ممن يكبرون فى عين هذا المعترض، والرد على أمثال هذا المعترض أن الفضل لله يؤتيه من يشاء، وله الفضل والمنة سبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا إياه عز وجل.

ومن ثم نقول أنه لا يقدح فيما ستقرأه أخى المسلم من تأويلات جديدة للآيات التى تتحدث عن أحوال يوم القيامة وأماراته، أقول لا يقدح فيها أن السابقين الأولين لم يقولوها لأنهم ليسوا أهل زمانها كذلك لا يقدح فيها غفلة كثير من أساتذة التفسير والحديث المعاصرين عنها، وقلة النتائج المرصودة فى هذا المجال.

والحقيقة أنهم ما غفلوا عن مطابقة ما فى القرآن الكريم والسنة من أخبار الساعة مع أحوال عصرنا ومخترعاته وصناعاته واكتشافاته إلا لأنهم غالبًا ما تمسكوا فى تفسيرهم وشروحهم بما جاء عن المفسرين والشارحين القدماء، فجمدوا عليها وفهموا العلم على أنه مجرد النقل من القديم. فنقلوا تأويلات السابقين الأولين من العلماء الذين لم يشاهدوا ولم يعايشوا ما نشاهده وما نعايشه نحن من تأويلات لكثير من نصوص الوحى المتحققة فى مخترعات وأحداث وأحوال عصرنا الراهن، الأمر الذى يفيد جزما بأنه لن يعلم هذه التأويلات إلاَّ معاصرون لهذه الأحداث والأحوال.

بل إن العجيب أنه لا يلتفت أحد إلى ما كتبه رائد علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة الشيخ محمد صديق الغمارى رحمه الله، كما ذكرت من قبل، ولم ينتفع بمنهجه أحد، وإن كان ما كتبه قليل محدود رحمه الله إلا أنه خط المنهج وفتح الباب.

فالإجابة اليقينية هى: نعم، أخبر الصادق المصدوق فى السنة بكل ما تعيشه البشرية الآن من عجائب تقنيَّة وصناعيَّة والكترونيَّة، كما جاء عن أكثرها آيات فى كتاب الله الحكيم، وكل هذا سنقرأ مطابقاته فى ثنايا وفصول هذا الجزء، بعضه مأخوذ عن كتاب

الشيخ محمد بن صديق الغمارى رحمه الله «مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية»، وهو الذى أخذ منه الآخذون ونسبوه إلى أنفسهم من غير الإشارة إلى كتابه، وأما أكثره فهو مما فتح الله تعالى به عليّ فى هذا المجال، ومما نبَّه إليه الشيخ الغمارى رحمه الله فى صدر كتابه هو الإجابة على السؤال المذكور آنفا والمتمثلة فى أحاديث للمصطفى ﷺ صرح فيها بما ستراه الأمة بين يدىْ الساعة من الأمور العظيمة التى يتفاقم شأنها فى أنفسنا حتى أنه سيكون من المسلمين من يتساءل: هل أخبر نبيُّنا ﷺ بهذه الأمور العجيبة والمخترعات الخطيرة فى حياة الناس؟!

فتكون الإجابة نعم حدّث ﷺ بكل هذا، بل وأخبر عن أثرها فى نفوس الناس، بل وأخبر عن تساؤل المسلمين آنف الذكر... فهو خبر مفصل صريح، فقال فيما رواه الإمام أحمد (عن سمرة بن جندب رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال، ممسوح العين اليسرى، كأنها عيْن أبى تحيٍّ - لشيخ من الأنصار - وإنه منى خرج، فإنه يزعم أنه الله، فمن آمن به وصدقه واتبعه، فليس ينفعه صالح من عمل سلف، ومن كفر به وكذبه؛ فليس يعاقب بشيء من عمله سلف، وإنه سيظهر على الأرض كلها؛ إلا الحرم وبيت المقدس، وأنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس، فيزلزلون زلزالا شديدا، فيصبح فيهم عيسى بن مريم فيهزمه الله وجنوده، حتى إن جذم الحائط وأصل الشجرة لينادي: يا مؤمن! هذا كافر يستتر بي؛ فتعال اقتله». قال: «ولن يكون ذلك حتى تروْا أموراً يتفاقم شأنها فى أنفسكم وتسألون بدنكم: هل كان نبيّكم ﷺ ذكر لكم منها ذكرا، وحتى تزول جبال عن مراسيها، ثم على إثر ذلك القبض»(١).

وشاهدنا فى هذا الحديث قوله ﷺ: «ولن يكون ذلك حتى تروْا أموراً يتفاقم شأنها فى أنفسكم» أى أن أحداث خروج الدجال ونزول المسيح بن مريم عليها وعلى نبينا الصلاة والسلام الواردة فى الحديث لن تكون إلا بعد أن تحدث أمور يتفاقم شأنها فى أنفس المسلمين.

---

(١) رواه الإمام أحمد عن سمرة بن جندب رضى الله عنه، والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى تلخيصه ورواه ابن حبان فى صحيحه. ورقمه فى المسند. ١٩٧٢٢.

فما هى هذه الأمور؟ أو على الأقل من أى نوع هى هذه الأمور؟

للإجابة على هذا السؤال يجب علينا أن تعرف أولاً معنى تفاقمها فى أنفسنا.

قال ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة (الفاء والقاف والميم أصل صحيح يدل على إعوجاج وقلة استقامة من ذلك الأمر الأفقم وهو الأعوج والفقم أن تتقدم الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا، وهذا هو أصل الباب) ثم قال: (وزعم أبو بكر أن الفقم الامتلاء يقال: أصاب من الماء حتى فَقِمَ هو أصل الباب، فإن كان هذا صحيحا فهو أيضًا قياسه) وجاء فى مختار الصحاح (تفاقم الأمر: عظم) وهو تابع لهذا الأصل الأخير.

فالكلمة إذن تشتمل حسب أصلها على عنصرين هامين وهما الأعوجاج والتعاظم، وحيث أن الأعوجاج فى حياة البشر لا يكون إلا فى الجوانب السلوكية، فإن هذه الأمور المتفاقمة فى الأحوال الاجتماعية والدينية والخلقية والسياسية والاقتصادية لا معنى لها إلا الفساد، وفى هذا إشارة إلى إفسادة اليهود الكبرى السابقة للخروج العلنى للدجال بزعامته.

أما إذا كانت الأمور المتفاقمة بمعنى المتعاظمة فى نفوس المسلمين بخاصة والناس بعامة فهى أمور تكبر وتتعاظم فى النفوس يوما بعد يوم خلال هذا العصر الذى يسبق خروج الدجال العلنى ونزول المسيح عليه السلام. ولتعاظم هذه الأمور المتزايد يتردد بين المسلمين سؤال يقول: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرا؟ والإجابة: نعم.

فالسؤال إذن عن المخترعات الحديثة والمعاصرة، وهى أمور تتفاقم فى ذاتها يوما بعد يوم بتطوير الاختراعات، ثم إنها تتعاظم فى نفوس الناس إعجابا وتعجبا و؟؟ وسرورا ومتعة ورفاهية وترفًا وفتنة بها يوما بعد يوما بعد تعاظمها يوما بعد يوم.

والذى يدعو المسلمين إلى أن يتساءلوا هذا السؤال هو أنه ليس من المعقول أن يخبر النبى ﷺ بأمور جزئية وأحداث فردية ذات أثر بسيط فى حياة الأمة، والأمثلة على هذا كثيرة فى السنة، ثم هو ﷺ لا يخبر بهذه الأمور ذات الأثر الخطير فى حياة البشرية بعامة والأمة الإسلامية بخاصة.

ولكن الأمور المتفاقمة فى النفوس قد تكون من قبيل السلوكيات الخلقية فقط، ولا تشمل الاختراعات والصناعات التقنية، فما الدليل على اشتمالها على هذه الأخيرة؟

الدليل هو الفقرة الأخيرة من الحديث الشريف إذا ضرب رسول الله ﷺ لنا مثلا من أمثلة هذه الأمور المتفاقمة أى المتعاظمة ليوضح لنا من أى نوع من هذه الأنواع هذه الأمور.

وهذا المثل الذى ضربه لنا ﷺ هو علامة أو إمارة من إمارات التقدم المذهل الهائل فى تقنيات الهدم والتشييد والبناء ومعدات النقل والرفع فقال: (وحتى تزول جبال عن مراسيها) أى أنكم أيها البشر أو أيها المسلمون ستتمكنون من كل شيء تحتاجون إلى فعله حتى من إزالة الجبال عن مراسيها بنسفها ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (/ ١٠ / المراسلات) ثم حملها والسير بها أشلاء محترقة أحجاراً مختلفة الأحجام إلى حيث تلقونها بعيداً فى الخلاء. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾(/ ٣ / التكوير) .

صحيح أن رسول الله ﷺ لم ينسب إزالة الجبال عن مراسيها أى قواعدها للإنسان كما ذكرت، ولكن الواقع المعاصر يجزم بأن هذا قدتم بفعل الناس اليوم، وهو ﷺ لم ينسب إزالتها للإنسان لحكمة عظيمة ليست خافية وهى منع فتنة الصحابة إذ سيصعب عليهم تصور تمكن الإنسان من هذا وأمثاله وهو نفس منهج القرآن الكريم فى ذكر هذه الأحداث وأمثالها حيث يذكرها مبنية للمجهول قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (/ ١٠/ المراسلات) وقال تعالى أيضاً ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾(/ ٣ / التكوير).

ثم قال رسول الله ﷺ بعد ذلك فى نهاية الحديث (وعلى أثر ذلك القبض) أى أحداث القيامة الصغرى بنفخة الفزع ونزول العذاب، وقد تم الآن إزالة الكثير من جبال مكة عن مراسيها ومد الطرق وإقامة النبانات الشاهقة محلها وكذلك بعج بطونها وشق الانفاق أو الانقاب بداخلها بإعداد هائلة تعد بالعشرات فإذا كانت إزالة الجبال عن قواعدها مثلا من أمثلة هذه الأمور المتفاقمة فى النفوس، فإن هذه الأمور ليست سوى المخترعات والصناعات والمعدات والوسائل والأجهزة والاختراعات المحققة لمسرات العشرية ورفاهيتها وزينتها وزخرفها التى هى المرحلة

الأولى من مرحلتيْ القيامة الصغرى التى يعقبها بالضرورة المرحلة الثانية فيها وهى ما ورد الخبر عنها فى نهاية الحديث بتعبير (القبض) أى الموت وهو العذاب النازل بنفخة القرع وما يتبعها من الزلزال العظيم والخسوف وموت أكثر الناس وغير ذلك مما سبق ذكره مفصلا فى الجزء الأول.

إن أحوال وأخلاق ونظم وأحداث زمن العجائب الذى تعيشه البشرية الآن كلها تتفاقم أى تعوج وتنحرف وتفسد وتزداد يوما بعد يوم، وكذلك تقنيات وصناعيات وألكترونيات هذا الزمن تتفاقم ، أى تتعاظم يوما بعد يوم. لذلك يَصِحُّ منا الاستنباط بأن الحديث يتناول كل ما يتفاقم فى أنفسنا حتى الشر الذى يزداد والظُّلم وإراقة دماء المسلمين فى مذابح لا ينتهون من إحداها حتى يبدأوا فى الأخرى. كما أنهم يزدادون فى اختراعاتهم كماً وكيفاً خيراً وشراً ودماراً شاملاً ومحدوداً هذا كله جعل الناس يتساءلون هل كان نبيُّكم ذكر لكم منها ذكراً؟ هل يوجد فى أحاديث النبى ﷺ ما يتناول هذه الأحوال وهذه الأشياء التقنية؟! نعم ذكر لنا نبيُّنا منها ذكراً ﷺ.

والرواية الأخرى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (سَتَرْون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاما، تقولون: هل كنا حُدِّثْنَا بهذا؟! فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى، واعلموا أنها أوائل الساعة)(١).

وهذا الحديث ضعيف ولكن الحديث الأول يُقَوِّيه وهو يتميَّز عن الأول بأن الذى يَعْظُم فى نفوسنا فى الحديث الأول سنستنكره هنا واسمها أمور فى الأول وأشياء فى الثانى والنص فى الثانى على أن هذه الأشياء دليل أن الدنيا فى أوائل الساعة أى إماراتها الدالة على قرب حدوث آياتها التى هى بعينها دلالة واضحة على قرب وقوعها.

ومن ثم فالحديثان يتناولان فى المقام الأول المجال الصناعى التقنى فى عصر العجائب الذى تعيشه البشرية الآن ومنذ عشرات السنين مع بدء التقدم الصناعى والتقنى فى جميع مجالات الحياة.

وهما دلالة واضحة صريحة دامغة بالغة على أن القيامة الصُّغْرَى على الأبواب.

---

(١) رواه الطبرانى والبزار وفى سنده ضعف ولكن حديث الإمام أحمد رحمه الله صحيح وهو يقوى هذا الحديث لاتفاقهما فى المعنى.

(١٢) مسرات يوم القيامة فى ثلاث سور قرآنية:

علمنا من الباب السابق أن الله عزَّ وجل قد مكّنَ الإنسان من تسخير كل شيء لحياته بالصناعة المبنية على العلم والإتقان فى العمل، لكى يحقق بهذا التسخير المنافع والمصالح التى تستمر بها حياته ليس بالنسبة للضروريات فقط، بل أيضًا بالنسبة لما يحقق الزينة والزخرف والمتاع والترف والراحة. وكذلك مكنه الله تعالى لأسباب القوة تحقيقًا للإبتلاء.

ولكن غالباً ما يطغى الإنسان إذا ما إبتلاه الله بالقوة والغنى والرفاهية والترف، وهذا هو ما حدث فى عصرنا الراهن. حتى أخذت الأرض زخرفها وإزينت، وتحققت لأهل الباطل القوة الباطشة التى وصلوا إليها بالعلم والصناعة المتقنة متمثلة فى أسلحة الدمار الشامل فطغى هؤلاء الأقوياء الأغنياء المترفون وبغوا على الضعفاء الفقراء الذين يطلقون عليهم المتخلفين.

وارتكب الإنسان كل أعمال الشر، وظهر الفساد الخلقى والدينى والاقتصادى والسياسى بقيادة بنى إسرائيل وبزعامة المسيح الدجال.

وظهر الفساد فى البر والبحر، أعنى فساد البيئة، بما كسبت أيدى الناس، وكل هذا فى زمن زخرفة الأرض وزينتها.

وهذا هو يوم القيامة الصغرى بعينه، أو هو بدء يوم القيامة، أوله زخرفة وزينة وغرور بالقوة الظالمة وبطش، وآخره عذاب كما جاء وصفه فى سورة يونس ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾[/ ٢٤/ يونس] فأول هذا اليوم زخرفة وزينة وقوة وغرور بالقوة وبطش بها، ثم ينتهى بمجيء الأمر الإلهى المتحقق بنفخة الفزع لتصبح الأرض بعد ذلك حصيدا حسب ما جاء وصفه مُفَصَّلاً فى حديث الصور الطويل عن نفخة الفزع.

هذا اليوم يتكون من حالتين:

الأول: هو ما جاء وصفه فى الآية بزخرفة الأرض وزينتها والقوة الباطشة الغرورة.

الثاني: هو مجيء أمر الله عز وجل بالعذاب الذى يُحيل كل هذا الزخرف والزينة والقوة الباطشة إلى حصيد فى يوم واحد أو فى ساعات حتى يكون كل ما تحقق من بناء وتعمير وزخرف وزينة وقوة فى اليوم الذى يلى يوم العذاب كأن لم يكن، ويدل على أن الآية تتحدث عن القيامة الصغرى التى تُتَم بنفخة الفزع بخلاف نفخة الصعق التى لا يأتى على البشر بعدها غد ولا مستقبل، ولن يوجد آدمى أو جنى أو كائن حى نشرق عليه الشمس فلا يكون للدنيا غد وكذلك بالنسبة لنفخة البعث يقومون للحساب لا يتحدثون عن الدنيا وعن الزمان كله إلا باعتباره كان عشر أيام أو يوما أو قليلاً فأول يوم القيامة سرور وبهجة ومتاع وترف ورفاهية للناس أو لأكثرهم وبخاصة للأشرار المفسدين منهم.

وآخره دمار فى الأرض كلها، وعذاب فى الأرض، وبخاصة لأشرارها وأكابر مجرميها .

ولا شك أن من يقرأ أو يسمع عن مسرات ومباهج ومتاع وتَرفَ ورفاهية يوم القيامة يُصيبه الدهشة، لأن كل ما يعلمه المسلمون عنه، هو أنه يوم العذاب والدمار والهدم والموت، لكن هذه هى الحقيقة الغائبة التى يجب على كل مسلم أن يعلمها، وهى أن ليوم القيامة مسرات ومباهج وزخرفا وزينة، ويصاحب هذا كله القوة الباطشة الغاشمة والكيد العظيم فى عهد الجبابرة الظلمة. وليس هذا بمقتضى ما دلت عليه آية سورة يونس فحسب، بل وبمقتضى الحديث الشريف الذى رواه أحمد والترمذى وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه (عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأى عيْن فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت وإذا السماء إنفطرت وإذا السماء إنشقت﴾ فإذا تأملنا قوله ﷺ: (من سَرَّه) تأكد لنا أن أحداث يوم القيامة أمور تنتمى إلى المسرات والمبهجات والممتعات والزينة والزخرف، وإلاَّ لَمَا قال عليه الصلاة والسلام: أن رؤيتها أمر يسر الناظر إليها

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور حـ٦ صـ٣٥٤.

رأى العين وهذا المعنى يتوافق مع الزينة والزخرف والقوة فى آية سورة يونس، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن الحديث يدل دلالة صريحة على أن ما تتّضمَّنه آيات سورة التكوير والإنفطار والإنشقاق من أحداث ليوم القيامة هى فى المقام الأول أو غالبًا أمورٌ مُيسرَّةٌ مبهجة من أحوال وأحداث وأشكال وألوان الزينة والزخرف، وهذا يستتبع أن تكون بعض السور التى تتناول أحداث القيامة متناولة لأحوال القوة الغاشمة الباطشة المتمثلة فى الأسلحة الحديثة : برية وبحرية وجوية، ثم أسلحة الدمار الشامل التى تحملها صواريخ قريبة ومتوسطة وبعيدة المدى حاملة للقنابل النَّووية أو الغازات الكيماوية أو القنابل البيولوجية أو ما يعرف إعْلاميا بأسلحة الدمار الشامل، حتى أن أهل هذه الأسلحة يظنون أنهم قادرون على الأرض، أى قادرون على غَيْرِهم فى الأرض أو يظنون أنهم قادرون عليها أى على حمايتها من أى عذاب أو دمار يأتى من السماء بالنيازك أو الأجسام الهائلة الضخمة، أو من أى عوامل دمار أو فساد أخرى، وهذا ما سنراه فى أبواب هذا الجزء من القيامة الصُّغْرَى، وفى فُصُول هذه الأبواب.

وسَنَبْدأُ بسورة التكوير من هذه السور الثلاث لما تتضمنه من أحوال عامة شاملة لمُسرَّات يوم القيامة الذى تعيشه البشرية فى العصر الراهن من خلال السور الثلاث المذكَورة(١).

ثم نتبع هذا بباب آخر عن تفصيل هذه الأمارات التقنية والصناعية فى الكتاب والسنة، وهى تتضمن من الآيات ما يعرض المسرات وما يعرض مظاهر القوة الطاغية الباطشة فى شتى المجالات العسكرية والمدنية علميا وصناعياً، ودائماً ما يأتى الخبر عن هذا كله ثم يعقبه على الفور خبر نزول العذاب فى القيامة الصغرى وأحيانًا تكون أخبار هذه المخترعات والأحوال المحققة لسرور الناس وراحتهم ومتاعهم فى صيغة القسم، يُقْسم به الله عز وجل ويكون المقسم عليه هو نزول العذاب المرتقب يوم القيامة، ومثال ذلك سور النازعات والمرسلات والعاديات والطور وغيرها، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) أما سورتىْ الإنفطار والانشقاق فسيكون - بإذن الله تعالى - تفسيرهما فيما بعد فى مبحث خاص بأحداث القيامة التى تخص الأرض والسماء والجبال والبحار والكواكب.

الفصل الثانى

المُسِرَّاتُ المتفاقمات الأثنى عشر

فى سورة التكوير

١٣ - مسرات يوم القيامة وأحداثه المتفاقمة فى التكوير

١٤ - ﴿إذا الشمس كورت﴾

١٥ - ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾

١٦ - ﴿وإذا الجبال سيرت﴾

١٧ - ﴿وإذا العشار عطلت﴾

١٨ - ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾

١٩ - ﴿وإذا البحار سجرت﴾

٢٠ - ﴿وإذا النفوس زُوِّجَت﴾

٢١ - ﴿وإذا الموءودة سُئِلت: بأى ذنب قتلت؟!﴾

٢٢ - ﴿وإذا الصحف نشرت﴾

٢٣ - ﴿وإذا السماء كشطت﴾

٢٤ - ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾

٢٥ - ﴿وإذا الجنة أُزلفت﴾

٢٦ - جواب الشروط الاثنى عشر فى سورة التكوير

٢٧ - اسماء المسرات الاثنى عشر أسماء علامات

(١٣) مسرات يوم القيامة وأحداثه المتفاقمة فى سورة التكوير.

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (/ التكوير/ ١- ٢٦).

لكى نفهم تفسير هذه الآيات الكريمات يجب أن نسترجع بعض ما سبق أن ذكرناه عن آيات أشراط الساعة، ومفهوم القيامة واليوم الآخر، وما سبق أن عرضناه عن سكوت سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله عن كثير منْ هذه الآيات مع التنبيه والإشارة إلى أن تأويلها سيأتى بعد، أى بين يدىْ الساعة أو مع بدء يوم القيامة. وهذه الآيات الكريمات تتحدث عن يوم القيامة كما سنرى، ومن ثم فهى لاتفهم إلا من خلال هذا المنهج، ونُذَكِّر أيضا بحديث النبىّ ﷺ وآله عن الأمور التى تحدث بين يدى الساعة ويتفاقم شأنها فى أنفس الناس فى زمن الدجال وبصفة خاصة معنى يتفاقم أى يتعاظم.

لأن الأمور المتعاظمة يوما بعد يوم هى الاكتشافات العلمية والصناعات التقنية فى شتى مجالات الحياة ونص الحديث الشريف (ولن يكون ذلك كذلك حتى تروْا أموراً عظامًا يتفاقم شأنها فى أنفسكم)[1] ومثال هذه الأمور (حتى تزول الجبال عن مراتبها)[2] والشاهد الذى سيساعدنا على فهم آيات سورة التكوير فى هذا النص هو تعاظم الأمور بالتطور يوما بعد يوم لأن كل أمر من أمور سورة التكوير هو من الأمور

النامية المتطورة المتعاظمة بالبحث العلمى والاكتشافات والأجيال المتتابعة من المصنوع الواحد حتى يصل إلى التصميم الأبسط والأدق والأصغر والأكفأ أداءًا لوظيفته. حدث هذا بالنسبة للقطار والسيارة والطائرة والسفينة والغواصة والمذياع والتليفزيون وآلة التصوير بأنواعها والهاتف بأنواعه وأجياله وكذلك المعدات الثقيلة للنقل والبناء والرصف والحفر والحرث والرى وأخيرا الحاسبات الآلية التى بدأت بحاسب محدود فى حجم حجرة واسعة ثم إنتهى إلى حاسب فى حجم صغير جدا. يحسب بمقدار حساب مئات الألوف من حاسب الجيل الأول، ويخزن من المعلومات مقدار تخزين ملايين حاسبات الجيل الأول ولم تستغرق هذه الأجيال المتلاحقة من الحاسبات الآلية (الكمبيوتر) لكى تتطور وتتعاظم فى واقعها ويتفاقم شأنها فى أنفسنا سوى أربعة عقود فقط من الزمان، بل أقل.

وكل اختراع تقنى فى مجال من المجالات بدأ بفكرة بسيطة وبشكل ساذج وبوظيفة أقرب، ما تكون إلى لعبة الأطفال، ثم أخذت بعد ذلك تتطور بأثر متعاظم فى حياة البشر فأخذت أبعادًا اقتصادية وحضارية مما ساعد على سرعة التطور والتعاظم.

وهذا هو الذى تتناوله آيات سورة التكوير حتى أن كل آية منها لا تتناول سلعة صناعية تقنية واحدة، أو اكتشافا واحدا بل تتناول مجالا من مجالات الاكتشاف والتقنية والعلم والصناعة. وكما يكون كر الخيط من البكرة أو مِنْ شرنقة دودة القز سهلا إذا أمسكنا بطرفه الأول، وإنما تكون الصعوبة فى العثور على هذا الطرف والإمساك به، كذلك الحال بالنسبة لكل أمر من أمور سورة التكوير بالنسبة لإدراك أوله. فإذا أدركته البشرية واكتشفه العلماء استتبع بعضه بعضا وتسارع اكتشاف ما بعده وتسارعت الصناعات المبنية عليه وكثرت هذه المصنُوعات وهذا كله قد عاصره وشاهده جيلنا المعاصر خلال النصف الثانى من القرن العشرين. لكن أكثر هذه المصنوعات، بدأت منذ القرن الماضى.

ولكى نوضح أكثر نقول إن العمود الفقرى للحضارة أو المدنية المعاصرة هو الكهرومغناطيسية البترولية. إذ لولا اكتشاف الكهرباء والمغناطيسية ثم البترول لما صارت الحياة المعاصرة بالكيفية التى هى عليها الآن. وعلى هذا فأول اكتشاف للكهرباء المتمثل فى الشحنات الضعيفة فى بعض الأجسام نتيجة الاحتكاك هو أول خيط اكتشاف الكهرباء، ومن ثم تتابعت معرفة أسرارها وقوانينهاواستخداماتها ومخترعاتها فى كل مجال.

وأول اكتشاف لكل المخترعات البصرية والإشعاعية فى المجالات الطبية والتصويرية والاتصالاتية هو معرفة طبيعة الضوء وتجميع أشعة الضوء الشمسى من خلال أول عدسة صنعها الإنسان، هذا الأمر الذى تتابعت تفاقماته وتسببت مخترعاته فى كثير من مجالات الحياة، ومن ثم وصلوا فى نهاية القرن العشرين إلى أحدث الاكتشافات والمخترعات والصناعات المبنية على علم فيزياء الضوء وتجميعه ونعنى به كل ما يخص الطاقه الشمسية. وهكذا فى كل حدث من أحداث سورة التكوير، إذ يكون كل حدث جاء بعد «إذا» هو التطور النِّهائى لسلسلة الأجيال أو الأحداث المتتالية المتفاقمة أى المتعاظمة مع مرور الزمن.

أما الأحداث ذاتها فهى من مشاهد يوم القيامة، وإن كانت من فعل الإنسان، كما سنرى، كما أنها من الأمور الممتعة التى تريح الإنسان وتبهجه وتزين الدنيا وتزخرف حَوْلَهُ الأرض..

أما كون أحداث سورة التكوير من أحداث القيامة وليست من أشراطها التى تدل على قرب مجيئها، وإنما تدل على بدء يوم القيامة فهو قول النبى ﷺ فيما (أخرجه أحمد والترمذى والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأىَ عين فليقرأ إذا الشمس كُوِّرت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت) فهذه السورة إحدى ثلاث سور كل منها يتحدث عن مشاهد من صلب يوم القيامة، حتى أن من يقرأ عن أحداثها أو

يتصورها فكأنه يرى القيامة، رأى عيّن، فما هى تأويلات هذه الأحداث التى وردت فيها بعد إذا؟!

ويلزم أن نورد هنا الحديث الذى يثبت أن هذه الأحداث التى هى من أحداث يوم القيامة، كما نص على هذا الحديث الصحيح، تقع فى الدنيا أى أن يوم القيامة يبدأ فى الدنيا كما سبق أن ذكرنا هذا فى أثر عن أبى بن كعب رضى الله عنه أخرجه ابن أبى الدنيا فى الأهوال وابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس.... إلى آخر الحديث)(١) وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبى العالية رضى الله عنه قال ست آيات من هذه السورة فى الدنيا وست فى الآخرة قول الله تعالى : ﴿آذا الشمس كورت.. إلى .. وإذا البحار سُجِّرت﴾ هذه فى الدنيا والناس ينظرون إليه ﴿وإذا النفوس زوجت .. إلى .. وإذا الجنة أزلفت﴾ هذه فى الآخرة)(١).

ومعنى أنها تحدث فى الدنيا والناس ينظرون أنه من الممكن أن تكون قد حدثت أو على الأقل يكون بعضها قد حدث، ولكى نتحقق من ذلك يلزم أن نعلم التأويل الصحيح والتفسير اللغوى الدقيق لهذه الآيات، ثم نبحث فى حياتنا المعاصرة أو فى تاريخ الأمس القريب وننظر ونتدبر ونتساءل هل حدث شىء من هذه الأمور أو الأحداث؟! فإذا تطابق الحدث مع الآية حسب تفسيرها اللغوى المحض فلنا، مطمئنين، أن نقرر بمقتضى التطابق أن هذا هو التأويل المتوقع قد حدث، فإذا تطابقت تفسيرات هذه الأشراط الستة أو أكثر مع أحداث معاصرة وجارية لها بدايات قديمة وتطورت وتفاقمت وتعاظمت حتى ظهرت فى هذه التى ورد ذكرها فى هذه السور الثلاث فلنعلم مطمئنين بل موقنين بأن يوم القيامة قد بدأ وإننا نعيشه ولنرتقب بقية أحداثه. فليس بَدْءُ يوم القيامة الصغرى بالصعق كما يظن البعض خطأ، بل هو يبدأ فى الدنيا والناس ينظرون، وهذا تأكيد لما ذكرناه فى الجزء الأول والثانى.

---

(١)، (٢) الدر المنثور للسيوطى / حـ٦ ص ٣٥٤. وهذا قول أبى العالية وربما نخالفه ونثبت أن الجميع فى الدنيا، وأنها جميعا من أحداث القيامة الصغرى.

(١٤) فما هو تأويل قوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(/ ١/ التكوير)ـ بمحض المدلول اللغوى؟

قال ابن منظور فى لسان العرب: تكوير العمامة هو لفها وجمعها. وتكوير الليل على النهار تغشيتُهُ كل واحد منهما صاحبه، أى يدخل هذا على هذا وأصله من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها وكوِّرت الشمس : جُمعَ ضوؤها ولُفَّ كما تلف العمامة(١). ولعل الذى يذهب بالذهن بعيدا عن معنى هذه الآية الصحيح هو انصرافه حين سماع اسم الشمس إلى القرص مع أن من معانيها العربية الصحيحة شعاعها وضوءها وحرارتها، من هذا قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ (/ الكهف/ ١٧) فالذى يتزاور ذات اليمين عن الكهف هو الشعاع الساقط على الكهف وليس قرص الشمس، فالشمس بهذا المعنى هى ما يقابل الظل. ومعنى تكوير شعاع الشمس تجميعه لأن التكوير هو التجميع والتكَوُّر هو التجمع.

وأول ما استطاع الإنسان تجميع شعاع الشمس وحرارتها تَمَّ باختراع العدسة المقعرة التى تجمع الضوء فى بؤرة ويتركز الضوء فالبؤرة هى النقطة التى يكون ضوء الشمس أشد ما يكون تجمعا وتركيزا ومن ثم تتولد منه حرارة حارقة.

ذلك هو أول الخيط فى كل المخترعات التى توالت بعد ذلك وتقوم فكرتها على التحكم فى تجميع وتفريق أشعة الشمس ثم أشعة الضوء عموما فنتج عن ذلك كل الأجهزة البصرية : التلسكوب المقرب والميكروسكوب المكبر والسينما والتلفزيون وكاميرات التصوير لأنها جميعًا تؤدى وظيفتها خلال العدسة ثم بعد ذلك كثير من أجهزة الأشعة الطبية التى تستخدم العدسات أو ما يقوم بوظيفتها وبعد ذلك ظهرت أجيال من استخدام الأشعة تجميعا بالعدسات وتركيزا من خلال الليزر الذى دخل فى شتى مجالات الحياة.

لكن آخر جيل من هذه المخترعات هو فى مجال، أهم مافيه تجميع أشعة الشمس وهو مجال الطاقة الشمسية الذى يعتبره البعض الأمل فى مستقبل آمن فى مجال الطاقة للبشرية، بعد نضوب البترول، وبدأت أبحاث واستخدامات الطاقة الشمسية منذ عده عقود لكنها أخذت الصورة الجدية فى منتصف السبعينات من هذا القرن الميلادى بعد ارتفاع سعر البترول. وقد وصلت الاكتشافات فى هذا المجال إلى توليد الكهرباء من خلال تجميع الشمس فى خلايا ضوئية ولهذا عدة تطبيقات ناجحة فى هذا المجال ومنها أيضًا صناعة سيارات تسير بالطاقة الشمسية..

فتكوير الشمس بمعنى تجميعها فى استخدامات شتى بدأ منذ اختراع العدسة وتعاظم وتفاقم حتى تشعبت فكرتها فى أجهزة شديدة التعقيد ولازال التفاقم مستمرا حتى اليوم فى أبحاث الطاقة الشمسية التى يصدق عليها تكوير الشمس أى تجميعها من خلال مرايا أو عدسات أو خلايا ضَوْئية، فانظر وتأمل فى هذا التعبير (إذا الشمس كُوِّرت) الذى يصدق على وظيفة العدسة وهو الشكل الأول من هذا التكوير إلى الخلايا الضوئية المُولِّدة للكهرباء من أشعة الشمس وهو الشكل الأحدث المعاصر لهذا التكوير وما بينهما من أجهزة دقيقة وإلكترونية معقدة فكرتها الأساسية التى تقوم عليها هى تجميع الأشعة، وبعد النظر والتأمل نسلم ونتأكد من أن المشهد الأول من مشاهد يوم القيامة قد حدث وبلغ فى تفاقمه وتعاظمه إلى منتهاه أو قريب من أحداثه الأخيرة. وكل نتائج الشمس هو مما يُسرُّ الإنسان ويمتعه وصدق رسول الله ﷺ.

(١٥) ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ (/ التكوير / ٢)

التفسير اللغوى للمصدر (كَدَرَ أنه نقيض الصفاء وفى الصحاح خلاف الصفو،... وكَدِرَ الماء بالكسر يكدر كدراً،... وكدَّره غيره تكديرا جعله كَدِراً، وكدَرة الحوض بفَتح الدال طينُه)[١]، لأنه هو الذى يكدر الماء إذا ترجرج فيه والمعنى أن تكدر الماء يمنع رؤية مابقاع الحوض إذا انكدر، فالانكدار وجود ما يكدر الوسط

(١) لسان العرب لإبن منظور / حـ٥ ص ٣٨٣٤.

بين الرائى والمرئى ومن ثم قال فى اللسان (وتكادرت العين فى الشىء إذا أدامت النظر فيه)[(١)] لأنها لو رأته بوضوح من النظرة الأولى ما أطالت النظر فتكادر العين عجزها عن رؤية المراد رؤيته، إما لشىء فيها وإما لشىء فى المرئى وإما لوجود ما يعكر الوسط الشفاف بين الرائى والمرئى.

وعلى هذا فانكدار النجوم باعتباره حدثا متناميا متعاظما يزداد يوما بعد يوم إما أن يكون بسبب فى أعين الناس أو بسبب فى النجوم أو بسبب كدر فى الوسط بين الأرض والنجوم.

فإذا كان السبب فى الحالة الأولى فإن انكدار النجوم يكون دائما فى الليل بطوله وفى جميع الليالى وتكون منكدرة أيضا من أى مكان فى الأرض. وبالنسبة لكل الناظرين إليها، وليس الأمر كذلك لأنه إذا كان الكدر فى الأعين فلايكون فى أعين الناس جميعا وإلا لما صار الحدث خاصا بالنجوم فحسب وإنما يكون الانكدار مسحوبا على كل المرئيات ولكان الحدث خاصا بأعين الناس، ولو كان السبب فى النجوم لدام الأنكدار وعم، ولما رآها بوضوح أحد، وهذا أيضا لم يكن ومن ثم لم يبق إلا أن يكون انكدار النجوم بسبب وجود الكدر فى الوسط بين أعين الناس وبينها وفى هذه الحالة لا يحدث الانكدار إلا فى وجود هذا الوسط، فلايكون لكل الناظرين، ولايكون فى كل وقت ولا يكون من كل مكان.

وهذا هو الذى حدث منذ أواخر القرن الماضى عندما تم افتتاح إضاءة أول مدينة فى العالم بالكهرباء فى حضور مخترع المصباح الكهربائى أديسون وهى مدينة نيويورك.

لقد بدأ انكدار النجوم أمام أعين أهالى نيويورك بسبب المصابيح الكهربائية التى أضاءت وسط المدينة فى هذا الوقت، حتى إن أحدهم إذا نظر فوق رأسه لم ير

---

(١) لسان العرب لإبن منظور / حـ٥ ص ٣٨٣٤.

النجـوم، لأن انبعـاث أضـواء المصابيح الكهربائـية فى الفـضـاء يشكل الانكدار فى الوسط الذى بين أعين الـناظرين وبين النجـوم فى السـمـاء. وهكذا بدأ هذا الحـدث التقنى الصناعى يتـفاقم ويتعـاظم مع الأيام حتى ملأ مـدن الدنيا كلها بأضواء صـفراء لامعـة كدّرت النجوم فـلا ترى من داخل أى مدينة لكنها تُرى من الريف أو الحـقول المظلمة أو من الصحارى أو البحار كما كانت ترى دائما.

فقوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ إشارة إلى الكهرباء بعـامة فى حياتنا، وإلى الإنارة بالكهرباء بخاصة، لأن التعدد فى استـخدامات الكهرباء فى شتى مناحى الحياة كان ينمو ويتطور ويتفاقم فى كل الاستخدامات وليس فى البعض دون البعض فقوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أى إذا أضـأتم مدنكـم حتى لم تعـودوا تَرَوْنَ منهـا النجوم رغم النظر كثيرا فى السماء إليها.

وحـيـث إن التقـدم والتطور والنمـو الاستـخدامى للـكهرباء كـان فى المحركـات والأجهزة السمعية والبصرية وأجـهزة الاتصالات تماما كما كان فى الإضاءة والإنارة فإن تحقق هذا الحدث يفيد إشارة الآية ضمنا إلى سائر الاستخدامات بجانب ذكرها صراحة للإنارة كأهم استـخداماتها. فالآية إذن تتحـدث عن الكهرباء عن طريق ذكر لازم من لوازمـها وهو انكدار النجـوم فهـو إذن عـلامة على أمـر ممتع يحقق الراحـة والرفاهية للإنسان وليس أمر سيئًا كما يظن البعض خطأ.

ومعلوم أن اكتشـاف الكهرباء ونمو علومها حتى أصبح لهـا قسم خاص بكل كلية من كليـات الهندسة وتشـعب هذه العلوم حـتى أصبـح لكل قسم شـعب ذات علوم معـقدة، هو نتيـجة تفاقم أى تعـاظم هذا الأمر منذ اكـتشاف طرف خـيطه حتى الآن، ولازال المجال مـفتوحـا فى الاكتشـافات والاختراعـات فهو من الأحـداث المتفاقـمة المتعاظمة مع الزمن وهو من أعظم وأهم ما ملأ حيـاة الناس بهجة وسرورا ومتعة وزينة وزخرفًا فى الأرض.

(١٦) ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (/ التكوير/ ٣).

لعل الخطوة الأولى أو الإمساك بأول الخيط بالنسبة لصناعة المعدات الثقيلة الخاصة

للبناء والتشييد والرصف والدك والهدم أيضا هى اختراع الآلة البخارية ثم تطبيقات هذا الاختراع فى السفن والقطارات وبعض الصناعات، الأمر الذى استلزم مادة الاحتراق فاستخدموا الفحم الحجرى الذى استلزم استخراجه من باطن الأرض حفر المناجم وتطور صناعة التنجيم فظهرت معدات معدنية لتشغيل المناجم لاستخراج الفحم ولغيره من المعادن، ومن ثم تطورت صناعة الحديد والصلب وظهرت معدات ثقيلة بدأت تزداد ضخامة ودقة وتحولت إلى استخدام مشتقات البترول وتعددت معدات التشغيل فى البناء والهدم والتشييد والنقل إلى الصورة التى هى عليها الآن. وتطورت متواكبة مع صناعة السيارات والشاحنات الضخمة ومن ثم تمكن الإنسان من خلال هذه الأطوار إلى نقل الجبال منذ زمن، أليس استخراج الفحم الحجرى مثلا من باطن الأرض وشحنه إلى بلاد عبر البحار والمحيطات فى سفن ضخمة ثم نقله من الموانى إلى داخل القارات عبر السكك الحديدية هو بمثابة نقل وتسيير أجزاء من الجبال من مكان إلى مكان؟!

لقد تطورت هذه التقنية حتى صار فى مكنة الإنسان أن يفجر جبلا ويفتته بالديناميت، ثم ينقله عبر الشاحنات خارج المدينة ليشق محله طريقا أو يبنى محله بناية، وبطريقة أرخص وأسرع وأيسر بسبب التقدم فى الصناعات المتعددة آنفة الذكر فقوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ بدأت خطوته الأولى منذ القرن الثامن عشر مع اختراع الآلة البخارية، لكنه وصل فى نهاية القرن العشرين إلى الحد الذى تمتلك فيه الولايات المتحدة حفّارا وناقلا للصخور والأتربة فى حجم ملعب كرة قدم. إذن هى بداية وأطوار وآخر المراحل التى وصل إليها الإنسان فى النقل الثقيل، والهدم فى مجالات النقل الثقيل: أليس مكوك الفضاء الأمريكى جبلا ينقلونه من قاعدة إلى أخرى، إذا أرادوا؟ بلى. وفى مجال الهدم: ألا يهدمون عمارة ضخمة فى حجم الجبل فى ثوان معدودة، ثم ينقلون ركامها فى أيام.؟ بلى.

وفى مكة أزيلت جبال لشق الطرق ولإقامة المنشآت فى مراتبها.؟ ألم يقل رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح ما معناه أن المسيح الدجال لن [illegible] حتى تزول الجبال

عن مراتبها؟. بلى ولقد زالت عن مراتبها كما أخبر الصادق المصدوق بأبى هو وأمى ﷺ . وهل يكون لهذا كله معنى سوى (وإذا الجبال سيرت)؟!.

هذا إذن أمر من الأمور التى تفاقمت وتعاظمت وتطورت عبر أجيال من البحث والتطبيق والتحسين حتى وصل إلى أن يزيل المتخصِّصُون جبلا ضخماً عن مرتبته فى مدة وجيزة ماكان الإنسان من قبل يظن أن هذا ممكنا فيها أو فى عُشْرِ أمثالِها.

(١٧) ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (/ التكوير / ٤).

وهذه أيضا من مشاهد يوم القيامة بدأت بخطوة أولى منذ القرن الثامن والتاسع عشر وأخذت أطواراً حتى وصلت إلى الشكل الذى نعايشه الآن فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين، إنها صناعة وسائل الانتقال والسفر القطار والحافلة والسيارة وأخيرا الطائرة وكلها حلت محل العشار وهى النوق والإبل التى كانت فى الماضى، تعد للسفر حسب ما سنوضح فى باب لاحق، وإنما نحاول هنا إبراز معلم هام هو الخاصية المشتركة بين هذه الأحداث جميعا والتى هى دليل على بدء يوم القيامة، بل هى من أحداث القيامة كما أخبرنا بذلك المصطفى الخاتم ﷺ، فإذا كان اختراع السيارة من عشرات السنين ومنذ أواخر القرن الماضى، فإن العشار ظلت مستخدمة للسفر عبر الصحراء العربية حتى الأربعينات من القرن العشرين، فلم تعطل، لأن اختراع الآلة أو الجهاز شىء وتعميم استخدامه شىء آخر، والآية التى تخبر أن من مظاهر وأحداث يوم القيامة تعطيل العشار وترك القلاص أى النوق الشابة القوية الصالحة للسفر فلا يسعى عليها كما أخبر النبى ﷺ فى حديث سبق ذكره، لاتخبر باختراع السيارة فحسب، بل تخبر بتعميم استخدامها فى جزيرة العرب بصفة خاصة وهذا الذى بدأ مع منتصف القرن العشرين فى العالم، ولكنه أصبح ظاهرة عامة فى جزيرة العرب بعد ارتفاع البترول ابتداء من الربع الأخير من هذا القرن، الأمر الذى امتلك كل رجل من أهل الجزيرة سيارة أو أكثر فأهملت العشار والقلاص كوسيلة للانتقال والسفر وتوقفت القوافل نهائيا وبخاصة بعد أن

رصفت الطرق البرية وامتدت عبر الجزيرة مد الأديم، ثم كثرت المطارات الداخلية وأصبحت الطائرة وسيلة رئيسية للانتقال عند أهل الجزيرة كل هذا حدث مع بدء الستينات ثم توسع مع الثمانينات من هذا القرن. ولازال يتطور ويتحسن ويتوسع فيه المخططون حتى الآن.

(١٨) ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (/ التكوير / ٥).

هذا هو الحدث رقم خمسة فى أحداث يوم القيامة الذى تعيشه البشرية حاليا وتراه رأىْ العيْن. وقد فسر بعض السابقين حشر الوحوش بعد البعث، وهو خطأ وعلة الخطأ أن العجماوات جميعها ستُحشَر يوم البعث: الوحشى منها والمستأنس بما فى هذا كله الأنعام التى خلقها الله مُذَلَّلَة مسخرة للإنسان، فكيف يأتى النص على الوحشى منها فقط خاصة وأن القصاص سيكون بين الوحشى وغير الوحشى منها كما يكون بين المفترس وغير المفترس.

الأمر الثانى أن هذا الحدث من الأمور الستة التى تحدث فى الدنيا حسب الأثر الوارد عن أبى بن كعب رضى الله عنه باعتبار أنه الحدث الخامس فى الترتيب. وهو من مشاهد يوم القيامة التى تسر الناظرين إليها كما يدل على هذا وهو الحديث الصحيح.

وهو أيضا علامة حضارية تقنيةولهذا العصر، ذلك أن الحشر هو السَّوْقُ مع الجمع والضم وقد تميزت المدنية الغربية المعاصرة بحدائق الحيوان فى المدن الكبيرة، وهذه التسمية غير دقيقة لأنها حدائق للوحوش وليست حدائق الحيوان بعامة، إذ لا تضم هذه الحدائق على سبيل المثال البقر والجاموس والخروف المستأنس إلا إذا كان من إقليم بعيد أو من قارة أخرى ووحشيا. فهى فى المقام الأول حدائق للوحوش هذه الوحوش التى يَجلبونها من جميع بقاع الأرض وأطرافها. ثم حشرها فى حدائق الحيوان وفى السيرك أيضًا.

أفلا يدل وجودها جميعا فى مكان واحد داخل أقفاص خوفا من خطرها على المشاهدين لها على الحشر؟!، فالحشر الوارد فى الآية هو حَشرها فى الأقفاص الحديدية حشرا دائما أبديا. كما يدل العذاب الذى تعانيه من الحبس على قسوة أهل هذا الزمان، علاوة على دلالة هذا كله على التقدم العلمى والصناعى إذ يدل هذا الحشر لها على التقدم الهائل فى جميع مجالات الحياة: فى علوم الحياة والأحياء والحيوان والنبات والطب البيطرى والصيدلة والبيئة وقبل ذلك فى وسائل الانتقال والصيد الحديثة ووسائل التبريد والتدفئة حتى يهيئوا بيئة صناعية ثلجية للدب القطبى وأخرى حارة لما جلبوه من أواسط أفريقيا فهو حدث حضارى شامل ما كان ليتم ويتطور ويستمر إلاَّ مع التقدم العلمى فى جميع مجالات الحياة. فهو ليس مقصودا لذاته ولكنه مذكور كمشهد من مشاهد الحياة الإنسانية يوم القيامة الذى تعيشه البشرية حالياً لما له من دلالة على التقدم العلمى والتطبيقى للنظريات العلمية بالتقنيات الحديثة والمعاصرة. وقد يفهمه البعض من خلال دلالة على سيطرة الإنسان على كل ما فى الأرض حتى الوحوش الضارية، وهذا حق ومن ثم يدخل فى مدلول هذه الآية الكريمة ظاهرة السيرك وهى اختراع أوروبى أيضا يقوم الإنسان فيه باستعراض قدرته على ترويض أقوى الوحوش: الأسود والنمور، وتدريبها وإخضاعها وإصدار الأوامر إليها وتلبيتها لهذه الأوامر. وهذا من مظاهر تحقيق خلافة الإنسان فى الأرض مثلها مثل سائر الأحداث الأربعة السابقة إذ هى جميعا من المظاهر الاستخلافية للإنسان. وحشر الوحوش فى الحدائق أو فى السيرك هو مما بدأ بسيطا ثم أخذ أطواراً حتى صار فى نهاية القرن العشرين فى طوره النامى التام أو شبه التام فصار بهذا حدثا من أحداث القيامة يراه الناس رأى العين ولايدرون أنهم يعيشون به وبما سبقه من الأحداث الخمسة يوم القيامة أو لايدرون أن يوم القيامة قد بدأ وأن فجره قد بزغ. كما أنه من مسرات ذلك اليوم الذى يتمتع بها الناس.

(١٩) ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾(/ التكوير/ ٦).

سيأتي تفصيلها من بعد وتأويلها ببحار البترول التي توقد في المحركات والمواقد، ومثلها قَسَمُ ربِّ العالمين بالبحر المسجور، فهو حدث فيه ذكر للبترول.

والنفط هو اللفظ الذي عرفه الإنسان قديما من خلال ما كان ينضح منه على سطح الأرض، ولكنه ظل مجهول الاستخراج والاستخدام حتى حدث التقدم العلمي والصناعي، فبالمضخات البخارية وما بعدها استخرجه الإنسان بكميات كبيرة ثم دفعه في أنابيب إلى المعامل أو إلى السفن التي تنقله عبر المحيطات. كل هذا بدأ بسيطا، ثم أخذ أطواراً يتفاقم فيها حتى صارت منتجات البترول القاسم المشترك للكثير من الصناعات، إن صح هذا التعبير، وهو أيضا، باعتباره الطاقة، روح الصناعة والزراعة والنقل حتى لم يعد الناس قادرين على تصور الحياة بدونه، و(أعجبهم مُعْتَمَلُهُ) كما جاء في الحديث الشريف[1] أي أحبوا نتائجه وآثاره التي يسرت الحياة وجعلتها ناعمة رغدة ينجون من حرها وبردها ويسيحون في الأرض شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ويزرعون ويصنعون ويبنون ويشيدون في عام مقدار ما كان يفعله أجدادهم في مائة عام. فهل حدثت في الأرض مسرات ومبهجات وزينة وزخرف مثل ما حدث بالبترول؟.

فالنفط أو البحر المسجور إذًا ليس مجرد علامة حضارية وإنما هو روح الحضارة المعاصرة وحجر الزاوية فيها ويقلق أهلها تصور نضوبه وإنتهائه من بحاره في باطن الأرض.

لكنه مثل سائر الأحداث في تفاقمه وتعاظمه من خلال أطوار في استخراجه ونقله وتكريره واستخدام مشتقاته بدأ بسيطا ثم أخذ أجيالاً متنامية حتى صار في أيامنا هذه يستخرج من أعالي البحار كبحر الشمال كما يستخرج من أواسط أفريقيا، ويرسل أنهاراً عبر أنابيب تمتد لآلاف الأميال، أو ينقل في حاملات عملاقة للنفط تزيد حمولتها عن خمسمائة ألف طن من البترول، ومع هذا والبشرية في هذا المجال

---

(١) سيأتي الحديث بكامله في الباب التالي.

كما فى غيره لسان حالها يقول هل من مزيد؟! لكنها لا تدرى أنها تعيش أحداث يوم القيامة وعما قريب جدا ـ إن لم تتب إلى ربها ـ سيقع العذاب.

والعلاقة بين البترول وبين وقوع العذاب العام بالأرض الذى هو قمة مشاهد القيامة وأخطر أحداثها هى علاقة وثيقة. واشتعال بحار النفط فى باطن الأرض ممثلة فى أكثر من ثمانمائة بئر فى الكويت عام ١٩٩١ علامة وأمارة على قرب حدوث الرجفة والزلزال والخسوف. فاشتعال هذه الآبار من مشاهد القيامة الدالة على قرب وقوع العذاب الذى هو أخطر أحداثها.

وربما يتضح لنا هذا من البحث فى الفرق اللغوى بين قوله تعالى بصيغة القسم ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [٦/ الطور] وبين قوله تعالى بصيغة الشرط ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [/ التكوير/ ٦].. إذا أن «إذا» الشرطية إذا دخلت على فعل ماض جعلته مستقبلاً، فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أى أن البحار ستسجر فى المستقبل وبعدها أى بعد أن تسجر سيحدث كذا وكذا مما هو آت فى جواب الشرط.

ومن ثم فالاية تشير إلى حدث سيقع أكثر منه حال دائم ونظام ثابت مستمر. أما القسم بشيء فهو قسم بشيء قائم ويصح أن يكون قسماً بحال مستمر يعمل على استمرار نظام دائم وآليات حياتية تستغرق عصرا أو عصورا زو حتى كل حياة البشرية إذا المقسم به من الطبائع كقوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [١٦/ الانشقاق] وهو حال فى السماء يظهر عند الشروق وعند الغروب منذ أن خلق الله تعالى الشمس والأرض ونظام الشروق والغروب. ومن ثم نقول أن قسم الله عز وجل بالبحر المسجور هو قسم بحال ونظام وظاهرة مستمرة أكثر منه قسم بحادث طارىء يستغرق وقتا ثم ينتهي، بخلاف إذا الشرطية التى تدل على حدث سيحدث يعقبه حدث آخر لضرورة هو المتمثل فى جواب الشرط لذلك نقول أن البحار هى بحار وآبار البترول حيث يكون فى باطن الأرض على هيئة بحار أو بحيرات ومع كونه سائلا كسيولة الماء

إلا أنه قابل للاشتعال بل هو شديد الاشتعال. ولكنه لا يشتعل فى باطن الأرض لأن لهذا الاشتعال نظام لابد من إتباعه حتى يستفيد الإنسان من إشعاله إشعالاً منضبطاً منظماً مفيداً. فهو بحر فى باطن الأرض، لكن لكى يتم إشعاله لابد من استخراجه ونقله وتكريره ثم توزيعه على محطات الوقو د بأنواعه عبر ناقلات معدة لهذا، ليكون جاهزا للاستخدام فى السيارات والشاحنات والسفن والقطارات والطائرات والمصانع ومولدات الكهرباء ومعدات التشييد والبناء والزراعة وغير ذلك، كل هذا اقتضى نظامًا حياتياً جديداً واليات إدارية وقوانين وقواعد مرورية وتخزين وتقنيات وصناعات لتحقيق هذا أى ليكون بحرا مسجورا أى مشتعلا بعد أن كان بحرا محبوسا فى باطن الأرض. فالقسم هنا بالبحر المسجور أو بالآبار وكل ما تمكن الإنسان به من إخراج هذا المارد من قنديله الذى ظل مسجونا فيه مئات الألوف من السنين وإرساله إلى أماكن ومواضع تسجيره بعد تَهْيئته لذلك. هذا هو تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [٦/ الطور] أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير/ ٦) فهو فعل الشرط جاء بعد «إذا» فهو إذن يدل على حدث طارىء يستغرق زمنا قصيراً ثم لا يلبث أن ينتهي، لذلك أرى والله تعالى أعلم أن البحار هنا هى آبار البترول أيضًا لأنها التى تشتعل بخلاف البحار المائية والنهرية، والحدث الطارىء هو تسجيرها، إمَّا بنفس المعنى السابق ذكره فى تأويل «البحر المسجور»، ومن ثم يكن فعل الشرط هنا دلالة على عصر البترول كله ليكون جواب الشرط هو أحداث القيامة وإما أن يكون تأويلها هو الحدث الطارىء الذى استغرق زَمنا قليلاً وانتهى وهو إشعال آبار بترول الكويت فى أعقاب حرب ١٩٩١ وهو الحدث الذى وجدنا انطباق حديث البخارى عن أول أشراط الساعة عليه كما فصَّلنا هذا فى الجزء

---

(١) صحيح البخارى ك الفتن باب ٢٤ كما أخرجه أحمد والنسائي.

(٢) راجع الجزء الأول من هذه الموسوعة صـ٢٦٠.

الأول من هذه الموسوعة (قال أنس قال النبى ﷺ: أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)[١] وقد فصلنا على الخبر فتبين لنا انطباقه التام على حرب الكويت وإشعال الآبار[٢].

وأياً كانت الدلالة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فإن الآيتين آية سورة التكوير وآية سورة الطور ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ يدلان على عصر البترول الذى تمتعت وتتمتع به البشرية بأنواع عديدة من الرفاعية والمتاع واليسر فى الحياة وعلى جميع الأصعدة وفى شتى مناحى الحياة إلا أن آية التكوير أكثر انطباقًا على حادث إشعال الآبار عام ١٩٩١ فهو إشارة إلى كون هذه العلاقة من مسرات يوم القيامة المتفاقمات.

(٢٠) ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (/ التكوير/ ٧).

سيرد ذكر هذا الحدث تفصيلا فى الباب التالى وتفسيره هو ما أعلنوا عنه عام ١٩٩٧ باسم الاستنساخ الذى ليس إلاَّ توليد نفس حية من نفس حية واحدة تحمل نفس خصائصها الوراثية الفردية فتأتى صورة طبق الأصل منها أى نفس مستنسخة من أخرى.

لكن القضية الرئيسية التى يجب علينا أن نناقشها حيال هذا الموضوع هى الأحداث الستة التى تبدأ من السابعة حتى الثانية عشرة، أى الأخيرة، والتى هى قوله ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ (التكوير/ ١٣).

وأصل القضية هو الخبر المروى عن أبى العالية رضى الله عنه قال ست آيات من هذه السورة فى الدنيا وست فى الآخرة ...) وهو خبر غير مرفوع وهو لايتفق مع حديث عبد الله بن عمر الذى رفعه للنبى ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقَّت) والذى يُفهم من هذا الحديث الشريف عن هذه الآيات الثلاث التى هى أوائل لسور ثلاث أن النبى ﷺ يندب لمن يريد أن يرى القيامة رأى عيْن أن يقرأ

هذه السور الثلاث بكاملها وليس هذه الآيات الأولى التى هى أوائل فى كل منها فحسب. ومن ثم تكون آيات سورة التكوير بكاملها عن يوم القيامة، وليست الست الأوائل منها.وهذا يضعف قول أبى العالية الذى لم يكن إلاَّ إجتهاداً منه.

الدليل الثانى الذى يجلى هذه القضية هو ما سبق أن ذكرناه من أن بدء اليوم الآخر فى الدنيا وليس فى الآخرة، لأنه بمقتضى اللغة من أيام النهاية فى الدنيا بدليل الكسرة على الخاء «الآخِر» ولو كان المقصود به يوما من أيام الحياة الآخرة التى تقابل الحياة الدنيا لكان اسمه بمقتضى اللغة اليوم «الآخَر» بفتح الخاء فاليوم الآخر هو اليوم الأخير ولا يعقل أن يكون هو اليوم الأخير من الآخرة التى سيبدأ يومها الأول بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار علاوة على أن هاتين الدارين هما داران للخلود لاحساب للأيام فيهما.

فالقيامة فى الدنيا أو اليوم الآخر يبدأ فى الدنيا وأحداثه هى هذه الاثنى عشر الواردة فى سورة التكوير وأخواتها فى سورة الانفطار وفى سورة الانشقاق كما سنرى هذا بعد بإذن الله تعالى.

لهذا ولما سيأتى بعده سنمضى قُدُمًا بعون الله تعالى وحوله وقوته وفضله فى تفسير الست الباقيات من سورة التكوير باعتبارها أحداثا تعيشها البشرية حاليا أى باعتبارها فجراً أو صبحا ليوم القيامة.

والذين فسروا ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (التكوير/ ٧). على أساس أنها حدث من أحداث الآخرة بمعنى اليوم الذى يبدأ بالبعث اختلفوا فروى عن الضحاك رضى الله عنه قوله (زوجت الأرواح والأجساد)(١) وهذا اجتهاد منه يمكن رفضه لأن الإنسان يكون ذاتا واحدة بعد سريان الروح فى الجسد فى حياة الخلود كما فى الحياة الدنيا فلا يقال عن فلان أنه زوج لأنه روح وجسد، وعن قتادة رحمه الله قال: (وإذا النفوس

(١، ٢) انظر تفسير ابن كثير / ٤/ وكذا الدر المنثور للسيوطى / ٦/ ٣٥٦.

زوجت قال ألْحِقَ كل إنسان بشيعته اليهودى باليهود والنصرانى بالنصارى)(٢) وهذا أيضا اجتهاد شخصى منه، ويمكن رده، لأن إلحاق النصرانى بالنصارى لايكون تزويجا، لأنه سيصبح واحدا من ملايين بل من بلايين أو مليارات فكيف يسمى هذا تزويجا وهو ليس من لغة العرب، وإذا قال المدافع عن هذا التأويل المقصود تزويج النصرانى بالنصرانية واليهودى باليهودية، يكون الرد: ومتى يفارق النصرانى نصرانيته واليهودى يهوديته؟! إن الوارد فى هذا المقام أن المرء يبعث على ما مات عليه، فهو يموت نصرانيا أو يهوديا وتظل نفسه نفسا نصرانية أو يهودية فى البرزخ ثم يبعث نصرانيا أو يهوديا فعقيدة العبد لاتفارقه حتى نقول أنها تعود إليه وتزوج نفسه بها. وهل يصبح العبد النصرانى زوجاً، لتبلسه بعقيدته؟ كيف هذا؟! وهل يقال إن النصرانى زوج فى الدنيا لتلبسه بها؟! أو المسلم زوج لتلبسه بإسلامه؟!، كل هذا يرد قول قتادة وإجتهاده رضى الله عنه.

وعن الربيع بن خيثم فى قوله: (وإذا النفوس زُوِّجت) قال: كل رجل مع صاحب عمله) وربما يقصد الرجل الذى يقول للعبد فى قبره أنا عملك الذى عملتنى، وهذا ليس يوم البعث بل هو عند دفن العبد، وحتى إذا خرج معه فى البعث من القبر وسار معه لايقال إن نفس العبد فلان صارت نفسين بل هو نفس واحدة فلان بن فلان ومعه عمله، وعمله ليس نفسا: وأورد السيوطى ما أخرجه الحاكم وصححه وغيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه «وإذا النفوس زُوِّجت» قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع السوء فى النار فذلك تزويج الأنفس)(١) وهذا أثر قوى لكنه من الواضح أنه اجتهاد من أمير المؤمنين رضى الله عنه ولا مانع من قبوله بشرط أن يكون هذا فى الحياة الآخرة فى دار الخلود، أما والآيات فى الدنيا كما أثبتنا هذا بالأدلة فإن التزويج للنفوس يكون هو المطابق تماما لظاهرة الاستنساخ التى فسرنا الآية بها فى باب لاحق لأنها خرق لسنة الفردانية فى

---

(١) تفسير ابن كثير

الخلق. بل إن اختلاف المفسرين لهذه الآية: صحابة وتابعين فى تأويلها، لأنها من أحداث عصرنا ومن ثم يكون تفسيرنا نحن أهل يوم القيامة الذين يرونه رأى العين أقدر على فهمها من سابقيهم.

إن استنساخ (النعجة دوللى) كان خطوة نهائية فى سلسلة أبحاث بدأت منذ قرون فى علم الحياة الذى صار بعد ذلك علوما فى الحياة وليس علما واحدا ولعل الخيط الأول هو اكتشاف الوحدة البسيطة الأولية للنسيج الحى وهى الخلية ومع اكتشاف الميكرسكوبات المتقدمة الإليكترونية ومع اكتشاف علم الوراثة والتعمق فى التفاصيل الدقيقة لمكونات الخلية من أحماض وما تحتويه من كروموزمات وعوامل وراثية ثم مع التقدم فى علم الأجنة ثم الهندسة الوراثية كل هذا انتهى إلى أن تلد الأمةُ ربتها أو ربها أى مشاتل الأجنة وتأجير الأرحام ثم الاستنساخ الذى ملأت أخباره الإعلام العالمى مع مطلع عام ١٩٩٧، وكل هذا بسبب التقدم الصناعى الهائل فى جميع الأجهزة فى شتى المجالات ومنها الطبية والمعملية وغيرها، إنه أمر من الأمور المتفاقمة أى المتنامية المتعاظمة خلال النمو العلمى والتطور التقنى الصناعي. وإذا الشرطية تفيد أن هذا الأمر سيقع فى المستقبل لدخولها فى الآية على فعل ماضى مبنى للمجهول، مما يشير إلى حدوثه على يد الإنسان فى يوم القيامة، وهو مخالف لسنة من سنن خلق الأحياء العليا من ذكر وأنثى فيكون المولود أو الناتج منهما حاملاً لخليط من خصائصهما الوراثية ومن ثم فتأتى خصائصه الحيوية مخالفة ومغايرة بالضرورة لكل منهما وبالتالى تكون كل نفس مخلوقة حسب هذه السنة نفس فردانية فلا يوجد نفس تماثلها تمامًا وفى كل الخصائص بحيث تصبح صورة طبق الأصل منها ظاهريًا وباطنيًا، أما النعجة (دولي) فقد جاءت من أنثى فقط ومن ثم جاءت صورت طبق الأصل من أمها فصارت مستنسخة منها فصارت النفس الواحدة زوجًا. وهذا يدخل فى تغيير خلق الله تعالى الذى أخبر إبليس بأنه سيأمر بنى آدم بفعله باعتباره من قمم الفساد والإفساد فى الأرض.

ـ سيأتى تفصيل هذا الموضوع لاحقا بإذن الله تعالى فى الباب القادم مفصلا وإنما إكتفينا هنا بذكره مجملاً منعا للتكرار.

(٢١) ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [/ ٨ ـ ٩/ التكوير]

جاء فى مختار الصحاح: «وأد بنته دفنها حية فهى موءودة». وسؤال الموءودة إما أن يكون فى الدنيا قبل وأدها، وهذا محال لأنها لم تصبح موءودة بعد، ولا سؤال على جريمة قبل وقوعها، وإما أن تكون بعد وأدها مباشرة وإنتقالها إلى البرزخ أى فى أولى مراحله التى هى القبر ومعلوم أن فى القبر حسابا إجمالياً للموتى. وحيث أن المُفسِّرين قالوا: إن هذا السؤال للموءودة مَقْصُودٌ به تبكيت الوائد فإن هذا الإحتمال الثانى لسؤال الموءودة بِقَصْد محاسبة الوائد جائز فى القبر بعد الموت أما الاحتمال الثالث والأخير فهو أن يكون هذا السؤال للموءودة يوم الدين يوم الحساب العام وهذا هو الذى تَوَجهت إليه أذهان المفسرين فى تفسير هذه الآية.

ومن المعلوم أن العرب كانت تَئِدُ البنات، وورد أن قبيلة كنده كانت تئد البنات، أى كانت أكثر القبائل وأداً لهن.

وقد ورد ذكر هذه الظاهرة عند العرب فى موضعيْن فى القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ⑤⑦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ⑤⑧ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ⑤⑨ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑥⓪﴾[النحل] فَدَسُّ الأنثى فى التراب هو وَأْدها، والسؤال الموجه فى آية سورة التكوير إذا وجهناه إلى موءودة العرب لجاءت الإجابة إن العرب كانُوا يروْن الأنثى عارا أو مجلبة للعار. قال تعالى أيضًا: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ①⑥ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ①⑦ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ①⑧ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ①⑨﴾ [الزخرف] والمعنى أنهم ينسبون لله تعالى البنات بقولهم أن الملائكة بنات الله ثم يشعرون بالعار والخزى

إذا وُلِدَ لأحدهـم أنثى حتى أن وجهه يسـود ويصيبه الغم ويصل به إلى الحـد الذى يُفكر فيه أن يأخذ المولودة ويدفنَها حية فى التراب، فهم ينسبون لله تعالى ما لا يرضونه لأنفسهم وهذا من مظاهر الشرك الواضـحة، وما لا يرضونه يَرَوْنَهُ عاراً وهو أن تكون لهم بنات يخشى الأب أو الأخ من أن يفـرطن فى عفتهن، ومن ثم فـإن العرب وأدُوا البنات خشية العار. وتلك هى الإجابة على السـؤال: بأى ذنب قُتِلَتْ، فيقال لها: خوفا من أن تقـعى فى الزنا فـتجلبى العـار لأهلك، وهذا معـناه أن العربى الجـاهلى كـان حريصا على العـفة لبناته وحريمه ولا يرضى لهن غيـرها، وإرتبط الشرف عند العرب بالعفـة نفسيـا وإجتمـاعيا إلى الحـد الذى لا يتحمل فـيه العربى أن يتـصور أن له إبنة مجروحة العفة إذا كبـرت فكان يقدم على وأدها فى طفولتها. ومن ثم يمكن القول أن العـفة ارتبطت بالشـرف والكرامـة عند العرب قـبل الإسـلام إرتباطاً وثيـقاً شـديدا. وظاهرة وأْد البنات عند العرب ـ وإن كـان لها وجه عدوانى وقسـوة ضارية شديدة ـ إلا أن الدافع إليـها يدل على أن لها وجـها آخـر ينتمى إلى فـضيلة من الفـضائل وهى العفة، ولذلك يمكننا أن نقـرر مطمئنين أن ارتفاع قيمة العفـة وإرتباطها بالشرف عند العرب قديما حافظ على أنسابهم إذْ حَصَرَ الزنا وفـعل الفواحش فى دوائر ضيقة جدا صانت الـزواج والأسرة حتى كـان فى العرب النَّسـابة الذين يحفظون الأنـساب إلى العديد من الأجداد فكانت قـريش تعرف أنساب أبنائها وتحفظهمـا حفظا متوارثا فى الذاكرة جيلاً بعد جيل، من جيل النبى ﷺ إلى أن يصل إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، ومن ثم سـجل التاريخ أجـداد النبى ﷺ لأبيه وأمه حـتى إسمـاعيل وإبراهيم عليـهما السـلام، هذا بالرغم من أن العـرب كانوا أمة أمـية لا تقـرأ ولا تكتب وليس عندهم دواوين ولا سجلات.

بيـد أن جـريمة الوَأد تمثل الإفـراط فى فضـيلة العـفـة حـتى أدت إلى هذه الرذيلة الوحشية.

ولقد واجه المفسرون سؤالاً هاما نجم عن صياغة هذه الآية الكريمة وهى أن المحاسبة والسؤال موجه فى الآية إلى المجنى عليه وليس للجاني، وهو عكس المفروض أن يكون، مع أن الذى يجب أن يحاسب ويسؤل هو القاتل وليس المقتول، ومن ثم لجأوا إلى تأويل هذه الصياغة من ذلك ما أورده السيوطى فى الدر المنثور قال: (وأخرج سعيد من منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى الضحى مسلم ابن صبيح أنه قال«وإذا الموؤدة سَأَلَتْ»، قال طالبت قاتلها بدمائها)[1].

وأخرج البزار والحاكم فى الكنى والبيهقى فى سننه عن عمر بن الخطاب فى قوله: «وإذا الموؤدة سئلت» قال: جاء قيس بن عاصم التميمى إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى وأدتُ ثمان بنات لى فى الجاهلية فقال النبى ﷺ: «اعتق عن كل واحدة رقبة قال إنى صاحب إبل قال: فاهد عن كل واحدة بدنة)[2].

فأمره ﷺ للتميمى بأن يكفر عن كل بنت وأدها باعتاق رقبة فيه معنى إحياء الرقيق بالحرية، كما أن أمره له بإهداء بدنة يطعم بها الفقراء والمساكين فيه مشاركة فى إحياء نفوسهم بإطعامها وهذا كله مقابل إماتته لبناته وإزهاق أنفسهن الحية. والذى أراه ـ والله تعالى أعلم ـ أن هذه الروايات لا تدخل فى تفسير الآية وإنما تعطى أحكاما عن الوأد: تحريمه وتجريمه وكفارته.

كما أن هذه الرواية تتناول الوأد القديم عند العرب، والآية تتحدث عن حدث هو من إمارات الساعة ومن أحداث يوم القيامة المتفاقمة المتعاظمة جيلا بعد جيل وسنة بعد أخرى.

ومن ثم نقول إن الآية تتناول ظاهرة سلوكية عالمية هى فعلا من أحداث يوم القيامة الذى تعيشه البشرية حاليا. وهى لا تشير إلى قتل النفوس الحية بالوأد فقط، ولكنها تشير إلى مخططات صهيونية دجَّالية وصلت إلى قمتها فى الفساد والإفساد الدجالى

---

(١) الدر المنثور / ٦/ ٣٥٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

الصهيونى فى أواخر القرن العشرين وبصفة خاصة من بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، أما الجانب السلوكى فيها فهو إباحة الزنا والانحرافات الجنسية وتسفل أهل الحضارة الغربية فى هذه الناحية بصفة خاصة إلى أن صاروا كالأنعام بل أضل، من حيث إنهم يزاولون الزنا علانية فى الأماكن العامة، ووصل بهم الحال فى التسفل والبهيمية إلى حد انتشار زنا المحارم فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين وتحدثت عنه أجهزة الإعلام الغربية حتى سألوا رئيسة ووزراء بريطانيا مارجريت تاتشر عن رأيها فيه فكان ردها: أنها لا تحبذه، ولعل هذه الإجابة المغضبة لإرباب الإفساد والفساد هى التى أفقدتها مركزها السياسي.

هذه العلاقات الجنسية غير المشروعة والموقتة لا تحتمل أن يتحمل أصحابها ثمرتها الجَنَينيَّة لما تستوجبه تربية الأطفال من مشاق والتزامات مالية وجهد ووقت، ومن ثم كان لابد من وسيلة ـ لكى ينتشر الزنا بالشكل الذى يريده المفسدون فى الأرض ـ لمنع الحمل، ومن ثم تقدمت الأبحاث فى هذا المجال، وبخاصة أن من استراتيجيات الصهيونية الخبيثة القضاء على الكثرة العددية للأمم التى تعمل على حكمها مثل النصارى والمسلمين، وليس من المهم بعد ذلك الأضرار الصحية التى تسببها هذه الوسائل للأم أو للزانية أو للزوجة.

ولكن للشهوة قهرها الذى يحتم أن يحدث الحمل لملايين الحالات، رغم الحرص الشديد على منعه ، ومن ثم كان لابد من إباحة الإجهاض لمثل هذه الحالات التى تحدث رغما عن الزناة.

وهذا هو أهم موضوعات مؤتمرات السكان والمرأة التى يوجهها المفسدون إذ يُصِرّون على بحث موضوع إباحة الإجهاض.

فالعزل الذى يقوم به الرجل أثناء معاشرته للمرأة حتى يتجنب وصول المنى إلى الرحم خوفا من الحمل هو وأد خفى كما وصفه رسول الله ﷺ فيما أخرجه أحمد فى

مسنده ومسلم فى صحيحه وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والطبرانى وابن مردويه عن خدامة بنت وهب قالت سئل رسول الله ﷺ عن العزل فقال: ذاك الوأد الخفى وهو إذا الموؤدة سُئِلتْ»[1].

وهذا الحديث الصحيح تفسير للآية ومن ثم لا يجوز العدول عنه إلى غيره. فالآية إذن تتحدث عن ظاهرة الوأد بعامة سواء الخفى منه وغير الخفى لأنه إذا كانت الموؤدة وأدًا خفيا تصدق عليها الآية فإنها أولى أن تصدق على الموؤدة وأدًا ظاهرًا ابتداء من الجنين الممنوع تكونه والجنين الموؤد إلى الوليد الموؤد.

فإذا تذكرنا أن ما جاء فى سورة التكوير هو من الأمور المتفاقمات التى هى أمور معوجة منحرفة عن الفطرة ومتعاظمة فى نفس الوقت جيلا بعد جيل وسنة بعد أخرى علمنا أن الآية تتحدث عن الفساد المتمثل فى الزنا الذى يجر الوأد منعا للحمل أحيانًا وإجهاضًا أحيانًا وقتلا للأطفال أحيانًا أخرى. إن ظاهرة الوأد ليست قاصرة على العرب فى جاهليتهم فهى ملازمة للمجتمعات الجاهلية القديم منها والحديث. فقد ظهرت فى المجتمع اليونانى الرومانى القديم وكانت طريقة القتل هى أن يوضع المولود فى سلة كانت تباع خصيصاً لذلك، تُعرف بسلة الموت ثم يوضع الطفل أو الطفلة المولودة خارج أسوار المدينة حتى الموت جوعًا وبردًا وكانوا يئدون الذكور والإناث خشية الفقر وتوفيرًا للنفقة وباسم المحافظة على مستوى المعيشة ومنعا لتفتيت الميراث وضياع الثروة وكذلك ظهرت حديثاً دراسات فى أمريكا أثبتت أن من الأمهات من يقتلن أطفالهن الرضع الذين لا يرغبن فيهم لعدم استطاعتهن التفرغ لتربيتهم وللتخلص من عناء التربية وتكاليفها ولأسباب أخرى وأظهرت الدراسة أن أكثر وسائل القتل تكون بكتم أنفاس الطفل أو الطفلة تحت الوسادة وهو وأد فى الفراش بدلا من التراب أما الإجهاض فهو يتم فى بعض الدول حسب القانون مثل كوريا التى تبيحه فى المستشفيات وإما يتم بطريقة مخالفة للقانون فى الدول التى لا

---

(١) عن السيوطي/ في الدر المنثور/ صـ٦ ص ٣٥٦.

تبيحه ومما نشرته وسائل الإعلام أن بعض شـركات أدوات ووسائل التجميل تعاقدوا مع جـهات كورية مـتخصـصة على توريد ٧٥٠٠٠٠ سبـعمائة وخـمسين ألف جنين بشـرى تستـخدمـها هذه الشـركات فى صناعـة كريم الوجـه والجلد لأن بروتين هذه الأجنة يعطى للوجه نضارة الشباب.

أما الوأد الخفى فـهو مخطط عام للإفسـاد الصهيونى يرى المفسـدون لهم مصلحة عليا فى تنفـيذه حتى يتمكنوا من الاستـمرار فى العلو والسيطرة بالإفسـاد رغم قلتهم العددية الظاهرة بالنسبة للشعوب والقوميات والأديان المخالفة لهم.

فـإذا أردنا أن نجيب علـى السؤال الموجـه للمـوؤدة باعتـبـار الموؤدة هنا اسم جنس لكانت الإجـابة مخـالفة تمـاما للسـبب الذى وأد العربى الجـاهلى إبنتـه من أجله وهو مخافة جلب العار الذى تولد عنده من الغلو والإفراط فى التمـسك بقيمة العفة. إنها أسبـاب أخرى سيـاسية واقـتصاديـة وخلقية إذن تلك التى وراء العـزل أو منع النسل والتى وراء الإجـهاض والتى وراء كتـم أنفاس الأطفال بـالوسائد أو بوسـائل أخرى، إنها فى المقام الأول بسبب التفريط فى قيمة العـفة بإباحة الفاحشة، وشتان بين دافعين للوأد الأول الإفراط فى التمـسك بالعفة الذى حافظ على الأنسـاب والثانى الذى هو التفريط فيها الذى ضيَّع الأنساب وإن كان كلا من الاثنين رذيلة وجريمة فهذه الظاهرة إذن ليست جديدة على البشرية وليست وليدة عصر يوم القيامة، بل هى قديمة، فما هو الجديد الذى جـعلها تحتل مكانا بين شرطيات سـورة التكوير لتكون علامـة أو أمارة شرطية على يوم الـقيامة؟ . إنها عـلامة لأنها من المتفاقـمات المتعاظمـات، أى الفساد الذى وصل إلى الذروة فى إرتكاب هذه الجريمة المتمثلة فى حادثة وأد إحدى النفوس لسبب هو فى حد ذاته جـريمة عظمى مغضبة لرب العـالمين سبحانه وتعالى غـضبًا قد ينزل به نقمته الكبـرى على أهل الشر والفساد والكفر والطغيـان إذا لم يتوبوا، فما هو هذا السبب؟!

حدث أن أهل الحضارة الغربية قد قتلوا العفة فى نفوسهم قتلا بحجة الحرية، وبسطوا حمايتهم على سلمان رشدى وغيره الذين يسبون الله تعالى ورسله باسم حرية الاعتقاد والرأى والنشر وسمحوا لأميرتهم المحبوبة زوجة ولى عهدهم ديانا أن تعترف علنا وعلى الملأ وعلى مستوى بلايين المشاهدين بما كان منها من خيانة لزوجها وهى فى عصمته، ثم هى تزداد فى نظرهم رضا وحبا ولا يفكر ولى العهد أن ينتقم منها لشرفه وعرضه، بحجة أنها لم تفعل إلا ما اختارته وهذا من حقها بمقتضى دين الحرية الذى يدينون به؟

لقد نشر سلمان رشدى روايته «آيات شيطانية» التى تطاول فيها بالسب على كل المقدسات، فتطاول على الخالق سبحانه وعلى الأنبياء جميعًا وعلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ وعليهم جميعًا وسلم، ثم لما أفتى الخمينى فى إيران بوجوب قتله خَصَّصت له إنجلترا حراسة خاصة مشددة وقامت بينها وبين إيران أزمة سياسية لا زالتْ قائمة حتى الآن وتشترط انجلترا إلغاء الفتوى لتحسين العلاقات بينهما هذا بالرغم من أن سلمان رشدى هذا ليس إنجليزيا فى الأصل ثم لحقت بانجلترا بعد ذلك إمرأة من بنجلاديش فَعَلَتْ مثل جريمته فاستقبلوها وبسطوا عليها حمايتهم.

يالها من قيمة مقدسة عند الإنجليز والبريطانيين بخاصة وعند أهل الحضارة الغربية بعامة، تلك التى ما يُسمونها بالحرية والتى تُضحى الدول الغربية وشعوبها بالغالى والنفيس من أجل صيانتها وحمايتها حتى لو كانت تخص فرداً واحد أو رجلا وإمرأة مثل الشيطان سلمان رشدى والشيطانة البنجلاديشية ولكن هل هم صادقون فى هذا؟! هل يقدسون حقا حرية الرأى والاعتقاد؟! وهل حمايتهم للفحشاء والمنكر ولدعاة الكفر والضلالة والإلحاد وشياطين الشر والفساد هو إحترام منهم للحرية فى الاعتقاد والنشر وحق الإختيار لكل جماعة ولكل فرد؟ لو كان الأمر كذلك لأعطوْا أهل الإيمان والحق والخير نفس الحقوق والحماية التى يعطونها لأهل الكفر والشر

والطغيان، فلماذا إذاً حاكموا روجيه جارودي على رأى قاله كذّب فيه مزاعم اليهود؟! ولماذا إذاً قتلوا أميرتهم المحبوبة ديانا لما عزمت على الزواج بمسلم والإنجاب منه؟!. أين يذهبون من مكر الله عز وجل الذى يبتلى العباد فيكشف سرائرهم ويفضح ما فى قلوبهم من كذب ونفاق وعبادة للطاغوت وكراهية للحق والخير وأحقاد نحو حزبه سبحانه، فلا يعطون لهم من حق الإختيار وحرية الرأى والعقيدة ما يعطونه للكافرين ومردة الشياطين، لقد كشف الله تعالى زيف دعواهم باميرتهم المحبوبة الغالية ديانا لما مال قلبها إلى الإسلام وبدأت تسأل عنه وتقرأ ترجمة معانى كتاب الله تعالى من خلال صداقتها لأحد الأبطال الرياضيين من باكستان، وشاع فى وسائل الإعلام خبر عن زواجهما، ثم تخلى عنها فجأة[1]، ثم عاشت مع دودى الفايد ولاحقتها أجهزة الإعلام فى كل فكان ولم تمض أيام على إشاعة أخبار عن نيتهما فى الزواج وعن حمل الأميرة فى أحشائها بجنين عمره بضع أسابيع سيكون ابنا لمن اسمه محمد الفايد وأخا ولو من الأم فقط لولى عهد بريطانيا المقبل.

لقد أخطرت الأميرة ابنها وليم الذى سيصير وليا للعهد بعد أبيه أنها اختارت حياة الاستقرار والهدوء والبعد عن الأضواء والإعلام. وأنها ستتزوج دودى الفايد وأنها ستنجب له أخا أو أختا هى حامل فيه ومما نشر أنها تحتفظ بنسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم.

كل هذه المؤشرات تدل على أن الأميرة المحبوبة لقومها أى للروم أو لبنى الأصفر مالت أو توجهت للإسلام وفضلت فى علاقتين متتاليتيْن الارتباط بمسلم وحملت من مسلم جنينا مسلما سيكون أخا لولى العهد المقبل.

فصَدرت الأوامر بالقتل بل بالوأد وتعاونت المخابراتان الإنجليزية والفرنسية فى التنفيذ بالرغم من العداء التقليدى بين انجلترا البروتسطنتينية وفرنسا الكاثولوكية هذا العداء الذى أشعل بينهما الحروب خلال القرون الاستعمارية الأخيرة والذى لا زال

(١) من الواضح حسب سير الأحداث بعد ذلك أنه كان بسبب تهديد لحياته.

يلقى بظلاله على علاقتهما فى المنافسة على زعامة أوربا الموحدة ولكنهما فى هذا الأمر تعاونا ليمنعا عارا سيلحق بالصليبية بعامة أياً كان مذهبها وهو إسلام الأميرة المحبوبة وإنجابها أخا مسلما لولى العهد المقبل. أى عار هذا الذى سيلحق بالروم أو بنى الأصفر أو أوربا الصليبية عندما تختار الأميرة السابقة الإسلام، وعندما يصبح لولى العهد المقبل أخا مسلما من أمه؟!

لقد اختارت الأميرة الخيانة الزوجية لولى العهد وأعلنت ذلك صراحة على الملأ فغفروا لها ذلك. باسم الحرية.

لقد سب سلمان رشدى كل المقدسات فغفروا له ذلك باسم الحرية.

لكن أن تختار الأميرة المحْبوبة الإسلام فلا، ولو ذهبت الحرية قيمة وسلوكا وغاية إلى الجحيم.

وللأميرة أن تعاشر من تريد وتزاول الفحشاء مع من تريد أو تتزوج من تريد وتلد ممن تريد لكن أن تلد مسلما أو مسلمة من مسلم فلا للحرية ولتوضع تحت الأقدام. إن من العار أن يكون أخو ولى العهد المقبل مسلما.

لذا يجب وأد هذه النفس الجنينية قبل أن ترى النور.

ترى لو أن الملائكة الذين قبضوا نفس القتيلة ديانا وإبنتها سألوا هذه الموؤدة بأى ذنب قتلت؟ فماذا تكون الإجابة: بذنب واحد هو الإسلام، صدقت يارسول الله (لقد حدث ما أخبرتَ به باعتباره أمارة من أمارات الساعة وقولك الحق وقُلْتَ (ويكون كتاب الله عاراً)(١). لقد صار دين الله عارا.

أباحوا الفحشاء والمنكر والخيانة الزوجية وكل المنكرات والمحرمات والحرية مكفولة لعمل أى شىء إلا اختيار الإسلام؟ إلا الرغبة فى الحق والرجوع إلى الله عزوجل.

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا، ضمن حديث طويل، انظر اتحاف الجماعة للتويجرى جـ٢، ص ١٦٣.

إن مقتل الأميرة ديانا لم يكن مقصودا لذاته وإنما كان لقتل الجنين المسلم ومن ثم صارت جريمة وأد هذه النفس الجنينية أمارة باعتبارها الذروة فى الفساد المتفاقم الناجم عن الفحشاء وإباحة الإجهاض والدعوة إليه من خلال مؤتمرات السكان والمرأة.

فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ يصدق على كل عملية وأد خفى يستخدم فيها الناس وسائل العزل، ووسائل منع الحمل المعاصرة ما هى إلا وسائل للعزل. ويصدق على كل عملية إجهاض ويصدق أيضًا على قتل الأطفال بكتم أنفاسهم تحت الوسائد وغير ذلك من أساليب القتل والعبرة بعموم اللفظ، ولكن ذروة هذا النوع من الفساد المستشرى فى عصر القيامة الصغرى والمتفاقم فيه باعتباره إمارة من إمارات بين يديها هذه الذروة جاءت متمثلة كأوضح ما تكون فى حادثة مقتل الأميرة ديانا التى كشفت الغطاء عن فساد وعفونة النفس الصليبية الجاهلية الحاقدة على الإسلام وأهله، وعن انحطاط وتسفل وحيوانية النفس الصليبية الأوربية العابدة للطاغوت التى لا تطبق الإسلام وأهله هذه الشخصية التى تفاقم فيها الفساد يوما بعد يوم حتى لم تر الخيانة الزوجية والاعتراف بها على الملأ عارا ورأت الإسلام وحمل الجنين المسلم فى الأحشاء عارا استحقت عليه أميرتهم المحبوبة القتل ليس تخلصا منها ولكن تخلصا من جنينها بوئده فى رحمها لا لشيء جناه أو سيجنيه إلا الإسلام.

فقتلوها ثم دفنوها فى مقبرة الكلاب من شدة حقدهم عليها واحتقاراً للإسلام الذى رغبت فيه وقبلت أن تقترن برجل يدين به[1] ثم أقاموا لها ما أطلقوا عليه فى إعلامهم جنازة القرن العشرين ولسان حالهم يقول لها: ليتك ظللت صليبية عابدة للطاغوت مثلنا حاقدة على الإسلام وأهله وإستمتعت بحياتك كما نفعل، إذن لما اضطررنا لقتلك، لقد قتلناك ونحن نحبك، ولولا هذا الذى ستلدينه مسلما لما مسسناك بسوء. فالحرية مكفولة فى كل مجال ولكل اختيار إلا فى اختيار واحد هو الإسلام.

---

(١) هذا حسب ما نشرته أخيرا وكالات الأنباء والصحف.

أى مسخ فى الفطرة هذا الذى أصاب الشخصية الرومية الأوربية الصليبية؟!

تلك هى الدلالة النهائية لعلامة أو أمارة من أمارات يوم القيامة فى سورة التكوير الوأد لأسباب اقتصادية وأسباب سياسية وأسباب خلقية وأخيرا بسبب الإسلام، وذروة هذا الأمر المتفاقم وأد النفس الجنينية لمجرد أنها ستحمل إسم محمد. فقوله تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ بحث فى أسباب الوأد الخفي، وغير الخفى وأبشعها الوأد للجنين الذى سيولد مسلما. وهذا وإن صدق على حادثة بعينها ملأت أسماع الدنيا وأبصارها إلا أنها ما صدقت عليها إلا لكونها ذروة فى ظاهرة افسادية متفاقمة يوما بعد يوم من خطط خبثاء صهيون لإهلاك الحرث والنسل والقضاء على دين الله عز وجل. فذكر حادثة ديانا ليس لذاتها وانما باعتباره علامة على ذروة ستام الكفر ومحاربة دين الله عزوجل والعداء المطلق لكل من ينتسب له سبحانه.

(٢٢) ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [/ ٩/ التكوير]

لم يرد فى تفسيرها حديث عن رسول الله ﷺ فهى إذن من الذى سكت عنه. وإنما ورد أثر منسوب لابن جريج قال: (وإذا الصحف نشرت قال: إذا مات الإنسان طُويت صحيفته ثم تنشر يوم القيامة فيحاسب بما فيها) [(١)].

وعن الضحاك قال: (أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تُملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى فى صحيفته) [(٢)].

من خلال هذين الأثرين لابن جريج والضَّحَّاك يمكننا أن نستنبط فهمهما لمعنى نشر الصحف وهو فتح صحيفة العبد يوم القيامة وبسطها أى ما يقابل الطي، فهى تظل مطوية منذ موته إلى أن يتسلمها وينشرها أى يفتحها ويبسطها ليقرأ ما فيها.

(١) الدر المنثور/ حـ٦ صـ٣٥٦.
(٢) تفسير ابن كثير حـ٤ صـ٤٧٨).

ولنتذكر أن هذا التأويل ليس إلا اجتهادهما الخاص الذى يحق لنا مخـالفته. فهل هذا هو معنى النشر فى اللغة؟.

قال ابن فارس فى مـعجم مقاييس اللغة (النـون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشـعبه)(١) فللنشـر إذن مـعنيان: الأول: فـتح الشيء ومنه (نشـرت الخشبة بالمنشار نشراً... ومنه نشرتُ الكتاب خلاف طويته)(٢) أما المعنى الثاني: فهو تشعب الأمر وإنتشاره ولا يكون هذا إلا بتوزيعه ومنه (النشر: الريح الطيبة)(٣) لأنها تنتشـر... ومنه (نشر الله الموتى فنشـروا. وأنشر الموتى أيضًا)(٤) (والنشر : أن تنتشر الغنم بالليل فترعى)(٥) ومن هذا المعنـى (يوم النشـور)(٦) أى يوم إنتـشار البشـر فى أرض المحشـر (ونشرت الريح) والـنَّشَرَ بالتـحريك المنتـشر، وضم الله نشـرك أى ما إنتشر من أمرك كقولهم: لَمَّ الله شَعَثَك) وهذه كلها تفيد أن النّشر يعنى تَشَعّب الأمر وإنتشاره علاوة على فتحه وَفَضْحِه ومن ثم نقول إن الأثريْن اللذيْن فَسّرا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَت﴾ بأنها فتح صحف العباد يوم القيـامة معتمدين المفهوم الأول للكلمة بمعنى فُتحت أى فتح كل عـبد صحيـفته ليـقرأ ما فـيها يمكن أيضًا أن تفسر بالمفهوم الثانى لها وهو نشر الصـحف بمعنى توزيعها وإنتشارها. لكن يمنعنا من ترجيح هذا التفسير عدة أمور الأول: أن تأويل نشر الصـحف بفتحها يوم الدين بعد توزيعها على أصحابها يخرجها عن أن تكون من الأمور المتفاقمات التى بين يدى الساعة.

الثاني: أن هذا التفـسير يخرجهـا أيضا عن أن تكون من مَسَرَّات يوم القيامـة، كما دل على هذا الحديث الشريف الصحيح، ولا يصح تفسيرٌ لآية يخالف حديثا صحيحا فى السورة، كائنا من كان قائله من المفسرين؟ فمـا هو التفسير المطابق للمعانى اللغوية للآية وفى نفس الوقت يكون من مـسرات يوم الـقيـامة ومن أحـداث عصر الـقيـامة المتفاقمة بالمعنى المزدوج للتَّفَاقم وهو التعاظم مع الإعوجاج أى الإفساد والفسَاد.؟!

(١،٢) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة جـ٥ صـ٤٣٠.

(٣،٤،٥،٦) نفس المصدر والصفحة.

الثالث: أن هذا التفسير يختلف عن الآيات الصريحة الخاصة بكتب أعمال العباد يوم القيامة فى كل الآيات التى تحدثت عن تسلم العباد يوم القيامة لسجلات بمالهم من أعمال أطلقت على هذه السجلات كتبا ولم تطلق صحفا ولو لمرة واحدة، كما أن جميع الآيات التى وردت فيها كلمة «صحف» دلت على الكتب السماوية المنزلة على الرسل قال تعالى: عن أحداث الحشر والحساب ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)﴾[الحاقة] فهذه الآية تثبت أن لكل عبد يوم القيامة كتابه الخاص الذى سيجد فيه كل ما عمله، صغيرا كان أم كبيرا . قال تعالى :﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾[الكهف] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٢)﴾ [المؤمنون] وقال تعالى أيضًا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)﴾ [الزمر] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [الإسراء] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا (٣٠)﴾ [النبأ] وحتى أعمال كل أمة لها كتاب عام يخصها

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩)﴾ [الجاثية] وقال تعالى أيضًا: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧١) وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢)﴾ [الإسراء] وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢)﴾ [الانشقاق].

وهكذا سواء على مستوى الأفراد أم على مستوى الأمم، يتلقى الجميع أعمالهم يوم الدين فى كتب وليس فى صحف، وسواء بالنسبة للمؤمنين الذين يتلقون الكتاب باليمين أم بالنسبة للذين يتلقونه من وراء ظهورهم الذين سيصلون سعيراً تكون أعمالهم يوم الدين فى كتب وليست فى صحف أيضًا.

فإذا علمنا أن كلمة الصحف لم ترد فى القرآن الكريم إلا فى ثمانية آيات منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) ﴾ [التكوير] وهى الآية التى نحن بصدد تفسيرها وتأويلها وأن السبع الباقيات كلها بمعنى الكتب المنزلة على الرسل باعتبار الكتب السماوية هى الإعلام الربانى للبشرية برسالة الله عز وجل لبنى آدم أو للإنس والجن من غير أن تكون لواحدة منهن دلالة على سجلات أعمال العباد يوم القيامة، نستنبط من هذا كله نتيجة ملزمة لنا وهى أن الصحف المنشورة فى آية سورة التكوير ليست مما ينشر يوم الدين، ووجه الإلزام فى هذه النتيجة هى أن ألفاظ وكلمات القرآن الكريم مصطلحات دقيقة فالصحف المنشورة هى الموزعة المعلن ما فيها للجميع وتلك هى الكتب السماوية وآخرها القرآن الكريم صحف مُنَشَّرة أى مُوَزَّعة ومعلنة للجميع ومبلغة ومُيَسَّرة للذكر، ومن ثم لا نجد آية من الآيات السبع إلاَّ وتَدل على الرسالة

السماوية وهن قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٣٣) ﴾ [طه] أى التوراة والإنجيل والزبور وكتب أنبياء بنى إسرائيل.

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) ﴾ [النجم] وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) ﴾ [عبس] والتذكـرة فى الآية القرآن وهو فى صـحف فى السـمـاء بأيدى الملائكة الكرام البـررة وقـال تعـالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩) ﴾ [الأعلى].

كذلك يفضـح الله نفوس المكذبين بالقرآن من أهل مكة وغيـرهم من الكافرين فى كل زمان ومكان بأنهم يـحقدون على رسول الله ﷺ الذى إصـطفاه الله بنزول القرآن الكريم عليه وود كل منهم فى نفسه لو ينزل عليه صـحفاً من مثله عليه ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ (٥٣) ﴾ [المدثر] أى أن كـلا منهم يريد أن يكون نبياً ويُنزل علـيه كتاب من السماء مـثل ما نزل القرآن الكريم على مـحمـد ﷺ فـالصحف المنشرة هنا هى الكتـاب السـماوية المنـزلة على الرسل والتى ينشرها الله وييسـر وصولها لكل مكلف. وهل على الأرض وخلال القـرون العشرين الماضيـة طبع من الكتب البشـرية مـثل عـدد مـا طبع من نسخ من التـوراة والإنجـيل والقرآن؟!. كلا والله الذى لا إله إلا هو.

والآية السابقة هـى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) ﴾ [البينة] أى القرآن الكريم.

إذن الصحف المنشَّرة أو الصحف المنشورة إذا نشرت ليست كتب أعمال العباد يوم الدين وإنما هى صحف منشورة فى الدنيا ونشرها توزيعها وتعميمها، هذا مصطلح قرآنى دقيق لا يجوز لنا أن نحيد عنه فنفسر الصحف فى آية سورة التكوير بدلا من الكتب.

فالصحف المنشورة التى هى من مسرات ومباهج المرحلة الأولى ليوم القيامة التى فيها الزخرف والزينة والقوة والتى هى أمر من الأمور المتفاقمة جيلا بعد جيل وفيها من الفساد ما فيها وشاع بها من الفساد ما شاع هى بالضرورة ما نطلق عليه فى أيامنا هذه الصحف ونشر الصحف فى صورة جرائد يومية ومجلات دورية على الورق المطبوع بعد اختراع المطبعة هو أول جيل لأول وسيلة إعلامية. لقد بدأت الصحف فى الظهور بعد اختراع المطبعة وبدأت بشكل محلى بسيط ثم تطورت خلال أجيال متتابعة لتعاظم شأن الصحافة حتى أطلقوا عليها صاحبة الجلالة أو السلطة الرابعة باعتبارها سلطة رقابية شعبية على السلطات الثلاث فى الحياة الديمقراطية الغربية، ألا وهى التشريعية والتنفيذية والقضائية.

فالصحف المنشورة هى الجيل الإعلامى الأول للوسيلة الإعلامية الأولى وهى المقروءة، ومن ثم فهى علامة أو أمارة حضارية من أمارات يوم القيامة المتفاقمات فى الظهور، وجاء ذكر الصحف المنشورة فى سورة المتفاقمات الأثنى عشر ليس لذاتها ولكن باعتبارها علامة على أمر خطير وهو الإعلام وتحتل خطورته فى أنه وسيلة من وسائل السيطرة على عقول وقلوب الناس والدعوة والتوجيه ومن ثم فهى مثل جميع الوسائل صالحة أن تستخدم فى الخير كما أنها صالحة أن تستخدم فى الشر.

فالخطورة فى الرسالة الإعلامية التى تحملها الوسائل والأجهزة الإعلامية لأنها أما أن تكون موجهة للناس من حزب الله، فتكون هداية لهم، وإما أن تكون موجهة من حزب الشيطان فتكون دعوة للكفر والإلحاد والشرك والضلال والفحشاء والمنكر. وقد

إستخدم الحزبان هذه الوسائل لكن الثابت تاريخيا أن حزب الشيطان بقيادة الدجال على رأس اليهود الذين حققُوا إفسادة اليوم الآخر المعاصرة كانوا أول من تنبه إلى خطورة هذه الوسائل والأجهزة وأول من إستخدمها لأهدافه الإفسادية وأول من ملكها وأول من سيطر عليها ولا زالوا حتى الآن يملكون النسبة الكبرى من هذه الأجهزة ولهم السيطرة شبه التامة عليها. وكانت هذه الأجهزة هي دعامتهم الرئيسية في العلو الافسادي الكائن في الأرض الآن. قال تعالى عن علو اليهود المعاصر بالافساد عن طريق الإعلام في المقام الأول: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴿٦﴾ ﴾[الإسراء] والمعنى أن الله تعالى سيرد لبني إسرائيل الكرة على أعدائهم ويمدهم بأموال ليست أموالهم ويمدهم ببنين أي بجيوش الدول التي تجند الشباب في سن مبكرة تجنيدا إجباريًا فتستخدمها الصهيونية في الحرب لصالحها يربط مصلحة الدول بمصالحها ويقطف اليهود ثمرة هذه الحرب لصالحهم وكذلك استولى اليهود على أموال البشر وذهبهم بأساليب شيطانية فهم يعلون بأبناء وأموال الغير ولكن في ذكر الإعلام أثبت الله تعالى في الآية بأنهم يملكون من وسائله أكثر مما يملك سائر الناس غيرهم فقال: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً ﴾ أي من غيركم والنفير هو الإعلان وهو الإعلام.

ولا شك أن التقدم التقني الصناعي الفني في استخدام وسائل الإعلام التي تطورت بعد ذلك فصارت مسموعة ثم مرئية بجانب المقروءة ساعد اليهود على صناعة الحياة اليومية للبشر بالشكل الذي خططوا له وهو إغراق الناس في المتاع: باللهو واللعب أي بالفن والرياضة إغراقًا لهم في الشهوات وإبعادًا لهم عن الحياة المحققة للهدف الذي خلقوا من أجله وهو عبادة ربهم عز وجل وعلى هذا فالصحف المنشورة ليست بالضرورة هي المقروءة بل هي المسموعة والمرئية أيضًا؟ لماذا؟، لأن كل ما يذاع في المذياع وتسمعه أذن هو مدون بالضرورة على صفحة من الورق الأبيض فهو صفحة مقروءة قبل أن يُصبح رسالة مسموعة إبتداء من الأغنية ونشرة الأخبار

إلى غير ذلك من أعـمال الدراما حتى البرامج المذاعة على الهـواء لابد لها من إعداد يكون على الورق أيضًا فمـا يذاع وتتلقاه الأذن هو نشر لرسـالة تبدأ على الورق وفى الصحف وكذلك كل ما تذيعه شاشة التليفـزيون الصغيرة أو شاشة السينما أو شريط الكاسيت أو شريط الفيـديو وكل ما يشاهده الناس عبر الأقمار الصناعيـة فيما يعرف بالمحطات الفضائيـة للدول والشركات والهيئـات كلها لابد أن تدون أولا فى صحف ثم تنقل للآذان أو الأعين فالمقصود إذن بالصحيفة هو الرسالة الإعلامية يدل على هذا ويؤكـده أن مادة «الصـحف» لم تأت فى القـرآن إلا للدلالة على رسالة الله عـز وجل للبشر التى غـايتها إعلانهم بالحكمة من خلق الله تعـالى لهم وبالهدف الذى يجب أن يسعـوا إليه فى حـياتهم وبالهـدى الذى يجب عليهـم أن يعيشـوا بنوره وفى نوره إذا أرادوا السعادة فى الدارين تلك هى رسالة الله عـز وجل نزلت فى صحف هى القرآن الكريم والسنة وهى مقروءة أولاً لمن يقـرأ ثم هى مسموعة من خـلال البرامج الدينية ومن خلال إذاعـات القرآن الكـريم لمن يسمع وهى أيضًا فى شكل برامج تلـيفزيونـية مرئية وأشرطة كاسيت وأشرطة فيديو.

لكن كل مـا هو مسـموع ومـرئى من رسالة السـماء مـصدره الأول هو الصـحف المطهرة أى القرآن والسنة.

فقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [٩/ التكوير] أى الرسالة الإعـلامية المدونة أولا فى الصـحف ثم منـشـورة بعـد ذلك فى جـرائد ومـجـلات ودوريات وإذاعـة وتليفزيون وأشـرطة مسموعة ومرئيـة وكل هذا وسائل للنشر والتعمـيم ووسائل فتح لهـذه الصحف ومن الواضح أن الغلبـة فى اسـتخدام هذه الـوسائل جـميعًا لحزب الشيطان وهذا هو تفسـير المعنى الثانى لتفاقم أمر النشـر فهو إعوجاج وإفسـاد متعاظم بتطور هذه الوسائل وقوتها فى التعميـم حتى غطت كل بقعة فى الأرض حتى النيافى والقـفار ينزل الشـر والفـتنة المهلكة عليـها من الـسمـاء نزولا حتى لـم يبق بقعـة من

الأرض إلا ويغطيها قنوات فضائية مفسدة بجميع أنواع الفساد الفكرى والجنسى والعنف وبجميع وسائل الإفساد بالكلمة والصورة والفيلم والأغنية لهوا ولعبا.

وسنرى فى الباب اللاحق أخبارا فى القرآن والسنة بكل هذه الوسائل والأجهزة تفصيلاً.

لكن لا ننسى أن نُذَكِّر هنا بالنص الذى جاء فى الجزء الأول من القيامة الصغرى عن أجهزة الإعلام الثلاثة: المقروءة والمسموعة والمرئية وعن سيطرة النبى الكاذب أى المسيح الدجال عليها، يقول النص: ﴿ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبى الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع﴾[1] التنين هو الصهيونية والوحش هو القوة العسكرية الاقتصادية من مجموعة دول مجلس الأمن والذى رأسه الرئيسى هو أمريكا والنبى الكذاب هو المسيح الدجال الذى يقود ويسيطر من خلال التنين على الوحش ذى الرؤوس السبعة. أما الأرواح النجسة التى تشبه الضفادع فهى الوسائل الإعلامية الثلاثة فى العالم الغربى وهى التى لا يخرج منها إلا فكر شيطانى خبيث نجس ولا تصدر إلا ما يفسد بكل فساد: الجنس والعنف والهوى والمتاع، وكلها رسالة خبيثة شيطانية واحدة تخرج من أجهزة الإعلام الصهيونية والدول الغربية والمخططات الدجالية منشورة فى صحف مقروءة وإذاعات مسموعة وعلى شاشات مرئية فى البيوت أو فى السينما.

ولكن كل ما تحويه هذه الرسالة تافه حقير ضعيف ولا معنى له ولكنه عال الصوت قوى الانتشار وفى هذا تكمن خطورته تماما كصوت الضفدع لا معنى فيه ولكنه قوى مرتفع يغطى على كل الأصوات حوله وإن كان مصدره ضعيفاً ولكن الصحف المنشورة لم تتوقف عند حد عرضها مسموعة ثم مرئية عبر الأقمار الصناعية فقط إذ ظهر الجيل الأخير منها المتمثل فى شبكة «الانترنت» وهو أوسع دائرة نشر للرسالة الإعلامية حتى الآن وهى وسيلة تمتاز على سوابقها فى أن الأجهزة الثلاثة السابقة هى

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتى إصحاح / ١٦، عدد / ١٣.

وسائل إعلامية للإرسال فقط والقارىء أو السامع أو المشاهد مجرد متلقى لكن خلال هذا الجهاز الرابع الذى يجمع هذه الأجهزة الثلاثة مجتمعة فى وسيلة واحدة يضيف إليها أن المستخدم له، يمكنه أن يرسل كما يمكنه أن يستقبل، فإذا كانت الصحف قد حولت أهل الدولة الواحدة إلى أن يصبحوا أهل قرية واحدة، وجعلت البشرية تعيش كأنها دولة واحدة وشعب واحد، ثم جاءت الإذاعة فجعلت البشرية تعيش كمدينة واحدة، ثم جاء التليفزيون والمحطات الفضائية فجعلت البشرية فى قرية واحدة، فإنه بالانترنت يمكن للبشرية أن تعيش فى بيت واحد أو فى حجرة واحدة يتسامرون معا رغم تواجد أجسادهم فى قارات مختلفة من أجل ذلك وردت الأخبار عن نشر الصحف والرسائل الإعلامية عبر هذه الأجهزة الأربعة بعد خبر سؤال الموءودة وخبر تزويج النفوس وذلك من خلال علاقة زمنية بين هذه العلامات سنتحدث عنها فيما بعد.

إن تعاظم أجهزة الإعلام من مقروءة بأجيال متعددة إلى مسموعة بأجيال متعددة إلى مرئية بأجيال متعددة إلى جهاز مقروء ومسموع ومرئى فى نفس الوقت هو أمر متفاقم عبر عشرات السنين بلغ ذروة سنامه فى شبكة الإنترنت التى شاع إستخدامها خلال العام ١٩٩٧ وبدأت فى الانتشار بعد ذلك ولا زالت، لذلك جاء ترتيبها فى مسرات سورة التكوير المتفاقمات. يحمل رقم ٩ وهو ما سنعرف الحكمة منه بعد ذلك بإذن الله تعالى وعونه ومدده وتوفيقه.

(٢٣) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [التكوير]

قال ابن كثير وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ قال مجاهد: إجتذبت، وقال السدي: كسفت، وقال الضحاك: (تنكشط فتذهب) وغنى عن البيان أن هذه التأويلات لكشط السماء لا يقل عن الكشط غموضًا، إذ كيف نتصور السماء منجذبة أو كيف يكون حالها وقد كسِفَتْ وما معنى أن تذهب السماء؟.

كما أضيف إلى هذا مصدر تفسير مجاهد والسدى والضَّحَّاك إذ فسروا الكشط بما ورد عن أحداث السماء يوم القيامة منطلقين من المفهُوم الشائع فى الأذهان عن يوم

القيامة باعتباره يوم الهدم لعمارة الكون والفناء للحياة بعامة. فالقائل بأن الكشط بمعنى نزول الكسف من السماء فسرها بقوله تعالى: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) ﴾ [الإسراء] وقولهم أيضًا على سبيل السخرية ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) ﴾ [الشعراء] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ (٣٤) ﴾ [العنكبوت] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ (٤٤) ﴾ [الطور].

أما تفسيرها بالذهاب فهو يكاد يكون تفسيرا لغويا محضا لأن كشط القشدة من سطح اللبن أخذه والذهاب به بعيدًا عن اللبن. أما الجذاب السماء فلا علاقة له بالكشط إلا أن يكون مجاهد رحمه الله قد فسر الكشط بسقوط السماء كسفا فيكون نزولها فوق الرؤوس هو إنجذابها. وهذه التأويلات جميعها مأخوذة من أحداث الهدم والفناء ليوم القيامة ومن ثم خالفوا الحديث الصحيح الذى جعلها علامة على مسرات يوم القيامة المتفاقمات.

وكشط السماء فعلا هو علامة على التقدم الصناعى والتقنى وكثرة إستخدام المصانع وشيوع إستخدام السيارات وإحتراق مشتقات البترول مما أدى إلى زيادة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الأرض فازدادت بسببه درجة حرارة الأرض بظهور ما أطلقوا عليه ظاهرة الصوبة التى تحبس الحرارة فتزداد معدلاتها سنة بعد أخرى. وكذلك بسبب استخدام غاز الفلوروكلوركاربون المستخدم فى التبريد وغير ذلك مما أدى إلى حدوث ما أطلقوا عليه ثقب الأوزون. وأحداث يوم القيامة التى تخص السماء متعددة وجاءت فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) ﴾ [المرسلات] وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) ﴾ [الانفطار] وقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) ﴾ [الانشقاق] وقوله تعالى: ﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٨) ﴾ [المزمل] وقوله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) ﴾ [النبأ] علاوة على الآية التى نحن بصددها وهي: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) ﴾ [التكوير] وتأويلنا لها بأنها إشارة إلى ضعف طبقة الأوزون فوق القطبين أدى نفاذ بعض الأشعة فوق البنفسجية إليهما

وازدياد حرارة القطبين ثم ذوبان نسبة من جليدهما مما أدى وسيؤدى إلى ارتفاع مستوى المحيطات ويتوقع الخبراء غرق الجزر والسواحل المنخفضة مثل ساحل دلتا النيل وسواحل هولندا وغيرهما فالكشط هنا واقع على الأكسوچين الثلاثى المسمى بالأوزون الذى من أهم وظائفه أو وظيفته الرئيسية كف موجات الأشعات فوق البنفسجية وإعادتها إلى الفضاء وعدم السماح لها بالنفاذ إلى الغلاف الجوى ثم إلى سطح الأرض.

وأنسب لفظ للدلالة على ضعف الأوزون فى هذيْن الموضعين مما أدى إلى فشله فى صد كل الأشعة فوق البنفسجية كما هو الحال فى سائر أرجاء سقف الغلاف الجوى هو كشط هذه الذرات من وسطها التى تسبح فيه تماما مثل كشط طبقة القشدة من فوق سطح اللبن فتؤخذ طبقة سميكة منها وتترك فى نفس الوقت بقايا من القشدة على سطحه وبالتالى يصبح النفاذ من سطح اللبن بعد الكشط أيسر وأسهل من النفاذ من خلال طبقة القشدة المتماسكة وسنعود إلى تفصيل موضوع أحداث السماء يوم القيامة: انفطاراً وانفراجًا وشقا وفتحا وكشطا أيضاً بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه. ونكتفى بهذا بالنسبة للكشط هنا منعا للتكرار لكنا نذكر هنا بأن هذا التغير هو المطابق لكون الكشط علامة على أمور هى من المسرات وهى كل المنتجات الصناعية التى يتمتع بها إنسان هذا العصر ابتداء من المسكن والسيارة والطائرة والمعدات التى سهلت الزراعة والصناعة والنقل والتجارة وكلها فى النهاية هى التى سببت ضعف طبقة الأوزون أى فساد البيئة وفساد البيئة أى التفاقم وتعاظم الأمر مع إعوجاجه، وهو نتائج هذه المسرات الممتعات ومن ثم يكون تفسير كشط السماء باعتباره علامة على التقدم الصناعى واستخدامات البترول وفساد البيئة مطابقًا مطابقة تامة للواقع المعاش ليوم القيامة الذى تعيشه البشرية حاليا. فالكشط بدأ ولا زال يزداد ويتفاقم يوما بعد يوم إلا أن يعود الناس إلى الله تعالى ويمتنعوا عن الصناعات المفسدة لطبقة الأوزون والمسببة لظاهرة الصوبة الزجاجية فى الأرض حسب النداءات المتكررة لمؤتمرات الأرض ويوم البيئة العالمي.

(٢٤) ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (١٢/ التكوير)

قال ابن كثير رحمه الله: (قال السُّدِّى أُحْمِيَتْ، وقال قتادة: أُوقِدَتْ قال: وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم)(١) (وعن عبيد بن عمير قال: خرج رسول الله ﷺ إلى أهل الحُجَرات فقال: يا أهل الحجرات سُعِّرَتْ النار وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)(٢). وفى رواية الطبرانى عن ابن أم مكتوم (سُعِّرت النار لأهل النار وجاءت الفتن كقطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)(٣) واهل الحجرات هم زوجاته رضى الله عنهم وأول ما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أن هذا سيكون فى يوم الحساب قبل دخول أهل النار النار، وكذا الذى يتبادر عند سماع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أى قُرِّبت لان تقريبها انما يكون للمؤمنين قبل دخولها حسب المتبادر إلى الذهن. ولكن قول الرسول ﷺ عن سورة التكوير (ومن سَرَّه أن يرى القيامة رأى عيْن فليقرأ إذا الشمس كُوِّرت...) إلى آخر الحديث يفيد أن هذين الحدثَيْن تسعير النار، وتقريب الجنة هما من أحداث يوم القيامة في الدنيا وهما من مسراتها أيضًا بالرغم من أن تسعير النار خبر مرعب رهيب، وإن كان هذا النذير للمغضوب عليهم والضالين، إلا أن المؤمنين لا يأمنون مكر الله عزوجل ومن ثم ينالهم فى الدنيا من الترهيب من هذا الخبر ما ينالهم.

أما ما يثبت أن تسعير النار يكون فى الدنيا كما يكون فى الآخرة فهو الحديث الصحيح الذى أعلن فيه رسول الله ﷺ لأهل الحجرات عن تسعير النار لأهل النار، وهو يدل على أن تسعير النار لن يكون يوم الجزاء فحسب بل هو يحدث فى الدنيا وقد حدث هذا فى العهد المدنى للنبى ﷺ وقد فسر قتادة مناسبة تسعيرها بقوله: (انما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم) فإذا كانت خطايا بنى آدم قد إزدادت وطغت فى

---

(١) تفسير ابن كثير مجلد ص٤/ ص٤٧٨.

(٢) كنز المال ١١/٣١٤٤٦، و٣١٠٢٤.

(٣) كنز العمال ١١/٣١٠١٦.

العهد النبوى فى مملكتي الفرس والروم وإفساد اليهود وحروب هؤلاء جميعا لرسول الله ﷺ، فغضب الله عليهم وَسُعِّرت النار، فكيف يكون غضب الله تعالى على بنى آدم فى عهد افسادة اليهود الأخيرة وعلوهم الكبير المعاصر فى كل الأرض بقيادة الدجال؟! لاشك أن غضب الله اشتد على بنى آدم لشيوع الزنا والمجاهرة به ولعموم الربا وطغيان قوى الشر التى تُدبر بليل لابادة المسلمين فى مذابح جماعية وغير جماعية فى أماكن عديدة فى الأرض تنتهى فى موضع لتبدأ فى موضع آخر حتى صار دين الله تعالى عاراً تقتل من أجل اعتناقه الأميرة المحبوبة لمجرد أنها ستنجب مسلما أو مسلمة؛ ثم خطتهم للقضاء على الأصوليين بتجفيف المنابع، أى لاقتلاع الإسلام من جذوره. أفلا يغضب هذا كله رب العالمين؟! فَتُسعَّرُ النار؟!

يؤكد هذا أن رسول الله ﷺ قرن فى الحديث بين تسعير النار ومجئ الفتن (... سُعِّرت النار وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم...).

(٢٥) ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ (/ ١٣/ التكوير)

ومعناها اللغوى: وإذا الجنة قُرِّبَتْ، وربما يتبادر إلى ذهن القارىء أن هذا سيكون بعد الحساب وهو غير صحيح، وأن كان من الصحيح أن الجنة ستقرب بعد الحساب أيضًا حسب ما ورد فى سورة ق لكن خبر التقريب فى سورة التكوير غير خبر التقريب الوارد فى سورة ق، ففى سورة التكوير التقريب شرطى ونسبى وفى سورة ق التقريب غير شرطى ومطلق. وفى سورة التكوير التقريب لكل الناس لأنه للأرض أما فى سورة ق فالتقريب للمتقين أولاً ثم لسائر المسلمين.

وفى سورة التكوير التقريب هو أحد أمارات يوم القيامة الصغرى واشراطها وهو من مسرات يوم القيامة اما فى سورة ق فهو من نتائج الحساب وفى آخره بل هو خبر عن وقوف المسلمين أمام أبواب الجنة فى آخر مشهد من مشاهد القيامة الكبري وهذا ما يتأكد لنا من آيات سورة ق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن

مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ / ٣٠ ـ ٣٥/ ق﴾ فبعد امتلاء النار أو أثناء امتلائها تُقَرَّب الجنة للمتقين غير بغير أى يصيروا على أبوابها، ويقال لهم هذا ما توعدون باسم الاشارة للقريب ومن ثم فهى تحت أبصارهم إن لم تكن تحت أقدامهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ / ١٣ ـ ١٤/ التكوير﴾ فيفيد أن بعض النفوس ستعلم ما أحضرت، وهو ما يكون من العبد إذا أيقن الهلاك وأنه سيموت، فإنه يستعرض كل حياته من أولها إلى آخرها فى لحظة واحدة فيعلم ما أحضر معه، وسيذهب به إلى العالم الآخر. وعلى هذا فتقريب الجنة فى هذه الآية هو من الشروط أو الأمارات التى تأتى بعد إذا، وإذا تسبق فعل الشرط وجواب الشرط لابد أن يكون بعد فعل الشرط فى الزمن لأن فعل الشرط يسبق جواب الشرط إذ أن معنى الشرطية هو أن الجواب لا يحدث إلا بعد حدوث الفعل وعلى هذا فإن تقريب الجنة فى سورة التكوير لابد أن يحدث فى الدنيا قبل القيامة سواء الصغرى أو الوسطى أو الكبرى بل هو قبل الوسطى التى يموت فيها بعض الناس، وليس كل الناس، لان قوله تعالى نَفْسٌ بالنكرة يفيد البعض بخلاف النفس أو النفوس الذى يفيد الشمول والكليه لأن ألف ولام التعريف تفيد الاستغراق كما هو معلوم، وعلى هذا فتقريب الجنة فى سورة التكوير لابد أن يكون فى الدنيا كتسعير النار وكسائر الامارات العشر السابقة عليهما والتقريب يكون بالمقرب اى التلسكوب، وهذا هو الذى يمكن أن يحدث إذا رصد الفلكيون المعاصرون الجنة وصوروها بالتلسكوبات الالكترونية الحديثة، فإن رؤيتها ورصدها يكون نتيجة لتقريبها بالمقرِّب (التلسكوب) ومن ثم ينطبق هذا الحدث إنطباقاً تاما على قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أى قُرِّبَتْ بالمقرب، وقد حدث هذا بالفعل منذ بضع سنوات وتم نشره ولكن توضيحه يحتاج إلى بسط وتفصيل لايسمح به هذا المقام لذا سنعرضه فى جزء لاحق من الموسوعة باذن الله تعالى.

ويكفى هنا أن نثبت أن المنطوق اللغوى يقرر أن اقتراب الجنة فى سورة التكوير يكون فى الدنيا قبل هلاك بعض النفوس أي قبل القيامة الصغرى. ومقتضى المنطوق اللغوى مقدم على دلالة المفهوم أو النتيجة المستنبطة كما هو معلوم عند الأصوليين وأن نُذَكِّر بأن الله تعالى خلق البشر من هذه الأرض وأنه يميتهم فيها ثم يخرجهم منها ويحشرهم عليها للحساب ثم لكى يدخل أهل الجنة الجنة لابد أن يعبروا الصراط أى الجسر الذى ينتقلوا عليه من هذه الأرض الدنيوية إلى أرض الجنة وهذه الحقيقة الإيمانية المعلومة من الدين لكل مسلم بالضرورة تستتبع نتيجة لازمة وهى أن الجنة ستصبح قريبة من الأرض يوم الحشر، وهذا يستتبع أن تقترب الجنة إلى أرضنا فاذا كانت المسافة بينهما تحسب بالسنين الضوئية، فإنه يلزم أن يبدأ الإقتراب بينهما من قبل ذلك حتى إذا قام الناس من قبورهم للحشر والحساب تكون الأرض قد قطعت المسافة التى بينهما وقربت إلى الحد الذى يسمح أن يقرب بينهما الصراط أي الجسر. وسنعود لبحث هذا تفصيلا فى جزء لاحق بإذن الله تعالى والخلاصة أن التقريب فى التكوير نسبى أى بالنسبة إلى ما كانت عليه من قبل، وهو للأرض كلها وليس للمؤمنين فقط وإنما للأرض ومن فيها باعتبارها كوكبا[1].

(٢٦) جواب الشروط الاثنى عشر فى سورة التكوير: -

قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ / ١٤ / التكوير﴾ قال ابن كثير (هذا هو الجواب أى إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم نفس ما عملت)، وأورد ابن كثير بسنده الحديث الذى رواه ابن أبى حاتم [عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال لما نزلت (إذا الشمس كوِّرت) قال عمر لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أُجْرِيَ الحديث].

والذى أود أن أنبِّه إليه أن الاثنى عشر شرطا إذا تحققت حدث المشروط وهو علم نفس بمَا أحضرت، ومن ثم فالاثنى عشر المُسرَّات المتفاقمات تحدث قبل علم نَفْسٍ بما أحضرت، وجواب الشرط ليس هو الذى يحدث فى يوم الحساب بعد البعث الذى وردت أخباره فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا

(١) سنعود بإذن الله تعالى إلى الكلام عن الجنة والنار فى الكتاب والسنّة من خلال معطيات علم الفلك الحديث فى أحد الأجزاء التالية للموسوعة بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه.

عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا / ٣٠ / آل عمران﴾ وقال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ / ١٣ / القيامة﴾ ففى يوم الحساب لا تعلم كل نفس ما قدمت وأخرت فقط بل وتجد ما عملته محضرا مسجلا فى كتابه الذى يتلقاه بيمينه أو بشماله، ويود صاحب العمل السيء أن يكون بينه وبين عمله أو كتابه أمدا بعيداً. وليس من إنسان إلا ويعلم ما عمل ويجده محضرا بدليل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ كما يعلم كل إنسان ما عمله من خير أى من الطاعات وكذا ما عمل من شر أى المعاصى.

أما جواب الشرط فى سورة التكوير (علمت نفس ما أحضرت) فهو مختلف تماما لأنه مما يحدث هنا فى الدنيا وسيحدث عندما تقوم القيامة الصغرى ويقع الزلزال العظيم وتقع الخسوف الثلاثة ويقتل ويموت كثير من البشر فعند ملاقاة الموت وفى لحظة واحدة بعد تيقن المرء أنه هالك لامحالة يمر بخاطره شريط ذكريات تتسلسل فيه أحداث حياته، فقط يعلم ما أحضر من أعمال، فالآية تدل على عدة حقائق بمقتضى منطوقها اللغوى:

١ ـ أنها جواب شرط للأشراط الاثني عشر السابقة، فهو يحدث بمجرد تحققها جميعا وقد اثبتنا أنها جميعها تحدث بل وحدثت، ومن ثم يحق لنا أن نرتقب تحقيق المشروط، وهو علم نفوس بما أحضرت أى مواجهة الموت.

٢ ـ ورد فى الآية ذكر الذى يعلم بصيغة النكرة (نفس) وهذه تفيد البعضية وتنفى العموم. وبخلاف قوله فى الآيتين الاخريين (كل نفس) أى جميع النفوس من الإنس والجن وقوله (يُنبأ الإنسان) أى كل إنسان لان الألف واللام تفيد الاستغراق والإنسان اسم جنس فالعلم بالعمل يوم البعث لكل الناس والعلم يوم الهلاك بالقيامة الصغرى للهلكى فقط أى للبعض.

٣ ـ ورد ذكر العمل بقوله تعالى: ﴿ما أحضرت﴾ من غير ذكر علم الإنسان بما هو

خيـر فى عمـله وما هو شـر لأن هذا لا يكون إلا بعد تسلم الكـتاب يوم الحساب والميزان أما قبل الهلاك ولحظة الموت فهو مجرد شريط ذكريات من غير تقييم.

٤ ـ وهذا هو الذى يحـدث للذى يواجه الموت غـرقًا أوفي حادث حسب ما أثبـتت بعض الدراسـات النفسية على الذين واجـهوا الموت ثم نجـوا وهو مجـرد تذكر الأعـمـال أو شريـط من الذكريـات منذ الطفـولة المبكرة حـتى الموت اما فى يوم الحـساب فـالعلم لكل الناس وهو علم مـا هو خيـر أو شر أو بما قـدمت من خيـر وأخرت من شر.

وعلى هذا فإن قوله تعـالى علمت نفس ما أحضرت يتـحقق فى الدنيا، وهو دليل على موت بعض البشر فى أحداث القيامة الصغرى وليس كل البشر.

٥ ـ خلط ابن كـثير وغـيره من المفـسرين بين هذا الحـدث وبين أحداث الحـساب فى القيـامة الكبـرى وهو من الأخطاء الشائعـة عند المفسـرين إذ جعلوا النفـخات فى الصور اثنتين فقط وقد نبهنا إلى مثل هذه الأخطاء فى الجزء الثانى .

(٢٧) أسماء المسرات المتفاقمات الاثنى عشر فى سورة التكوير اسماء لعلامات على مظاهر حضارية اكثر من كونها اسماء للأشياء نفسها:ـ

وذلك لأن علامة الشىء ليست هى حقيقة الشىء، بل هى غيره، وربما تكون عرضا من أعراضـه أو صفة خارجـية من صفـاته، ولكنها لا تعبـر عن حقيـقة الشىء أو عن صفة ذاتية له.

ومثـال هذا العلامة التى يضـعها ضـابط الشرطة أو ضابط الجـيش، تلك التى تدل على رتبته فـعلامة رتبة اللواء الموضوعـة على كتف الضابط الكبيـر ليست هى الرتبة، وليـست هى الضابط، لأن رتبـة اللواء تعنى بالنسـبة لمن يـحملهـا خبـرة سنين وعلوم عسكـرية وشخصـية ذات خـصـائص مـحددة تجعله مـؤهلا أن يقوم بعـمله، ومن ثم

فكونه أهلا لهذه الرتبة معناه بالضرورة أنه غير العلامة الموضوعة على كتفيه، لأن المؤهلات النفسية والعقلية المعبرة عنها الرتبة أمور باطنية إنسانية والعلامة رمز مادى، كالعلم تتخذه الدولة رمزا لها ويمكن أن يتغير هذا الرمز مع ثبات الدولة، وعلى هذا إذا قلنا أن اسماء الاثنى عشر أمارة المسرات المتفاقمات اسماء علامات على مظاهر التقدم الحضارى فى عصر القيامة الصغرى، فهى ليست اسماء لهذه المظاهر الحضارية، وإنما هى رموز تدل عليها، ولا تكون إلا بها.

فتجميع اشعة الشمس رمز للعدسة والتقدم فى علم الضوء وكل المخترعات البصرية والطاقة الشمسية.

وانكدار النجوم ليس مظهراً من مظاهر الحضارة، وإنما هو علامة أو رمز للمظهر الحضارى الذى هو إضاءة المدن بالكهرباء وبالتالى يمكن أن يكون دليلا على جميع استخدامات الكهرباء.

وتَسْيير الجبال رمز ودليل على المخترعات المعاصرة من المعدات الثقيلة فى التشييد والهدم والبناء.

وتعطيل النُوق والجمال المخصصة لقوافل السفر عن السفر عليها علامة على جميع وسائل الانتقال والسفر والنقل الخفيف والثقيل فى البر والجو.

وحشر الوحوش علامة على التقدم الحضارى فى كثير من مجالات الحياة مثل الصيد بأساليب مختلفة والنقل والطب البيطرى وأجهزة التكييف تبريداً وتدفئة لصناعة البيئة المختلفة المناسبة لكل وحش كما هى فى موطنه الأصلي.

وكذلك فيه علامة على التقدم فى ترويض الوحوش وتدريبها للعمل فى السيرك.

وتَسْجير البحار دلالة على استخراج البترول وتكريره واستخدام مُشْتَقَّاته فى أخطر المجالات ومنها توليد الكهرباء، ومن ثم لانه روح هذا التقدم فى جميع المجالات جاء ترتيبه السادس بين العلامات أى أنه فى المنتصف.

أما تزويج النفوس بالاستنساخ فهو علامة على آخر ما توصلت إليه العلوم الصحية والطبية والجراحية والهندسة الوراثية.

أما سؤال الموؤدة فهو علامة حضارية خلقية فى آن واحد، لأنه ما كان أن يتم الاجهاض بوسائل حديثة لمنع الحمل أو الاجهاض لاستخدام الأجنة لصناعة كريم الوجه أو القتل لبيع أعضاء الأطفال إلا بالتّقّدم الحضارى ويعتبر ذكرنا لحادثة قتل ديانا بسبب حملها لجنين سيكون مسلما وبسبب رغبتها فى الإسلام أبشع جريمة وأد فى التاريخ تغضب الله عزوجل، لأن الاجابة الوحيدة التى تقدمها هذه النفس بعد وأدها عن سبب قتلها هى: لاننى كننت سأكون نفسًا مسلمة. فحالة الوأد هذه علامة على ما وصلت إليه أخلاق الناس من الاستهانة بإزهاق الأنفس لأسباب اقتصادية وخلقية وقمة هذا كله السبب الديني الذي دلّ على أنهم ينظرون إلى الإسلام على أنه عار يجب التخلص منه، فلا يظن القارئ أنني أفسر هذه الآية بحادثة ديانا بل بظاهرة الوأد الخفي الذي هو منع الحمل وقتل الاجنة. أى الاجهاض ثم قتل الاطفال وخنقهن لأسباب دنيوية وقمة هذه الظاهرة وأجلى علامة ورمز لها هي قتل الاميرة المحبوبة بقصد وأد فى رحمها مع البكاء عليها.

وأما نشر الصحف فهو علامة حضارية على كل ما وصل إليه التقدم الاعلامي مقروءاً ومسموعا ومشاهداً لأن كل ما يبث عن طريق وسائل الإعلام يبدأ برسالة مكتوبة فى صحيفة فالصحيفة المكتوبة بالقلم رمز للنشر الإعلامي الواسع بأنواعه المتعددة، فالصحف مذكورة باعتبارها رمزا وعلامة وليست بذاتها.

اما كشط السماء فهو علامة واضحة على ما حدث من ضعف فى طبقة الاوزون فوق القطبين المتجمدّين، وهو علامة أيضا على فساد البيئة. نتيجة الاستخدامات الصناعية.

وتَسعير الجحيم علامة على غضب الله تعالى الذى يوشك أن ينزل به عذاب القيامة الصغرى إذا لم يتوبوا إليه عزوجل.

وقرب الجنة دليل على قرب نهاية الدنيا التى ليس بعدها إلا نار مُسَعّرة للكافرين أو جنة ونعم أبدى للمؤمنين. فهما أيضا علامتان على قرب القيامة وانتهاء الدنيا.

والخلاصة أن الاثني عشر فى سورة التكوير مجرد رموز لمظاهر حضارية وعلامات عليها.

الفصل الثالث

الأقمار الصناعية ذروة سنام المسرات المتفاقمات في القرآن الكريم

٢٨ - اختلاف المفسرين واللغويين حول تفسير الخُنَّس الجوار الكُنَّس.

٢٩ - الاقمار الصناعيةُ واستخداماتُها.

٣٠ - انطباق صفتي الخنوس والكنوس معا على الاقمار الصناعية.

٣١ - أقمار صناعية للاتصالات والبث التليفزيوني خُنَّسٌ جواري كُنَّسٌ.

٣٢ - الصلة والمناسبة بين القسم بالخنس (الاقمار الصناعية) وبَيْن المقسم عليه وهو قوله تعالى:(إنه لقول رسول كريم).

(٢٨) اختلاف المفسرين واللغويين حول تفسير الخنس الجوار الكنس:

قال تعالى فى سورة التكوير بعد ذكر المسرات المتفاقمات مقسما ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ / ١٠ـ٢٩/ التكوير﴾ فماذا قال قدامى المفسرين فى ﴿بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾؟ ورد فيها قولان: الأول هى النجوم، والثانى: هى بقر الوحش أو الظباء.

الأول: أورد ابن كثير رحمه الله الأقوال التالية بسندها: (عن على ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ قال: (هى النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل) قال ابن كثير بعد هذه الرواية (وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدى وغيرهم أنها النجوم وروى ابن جرير بسنده عن بكر بن عبدالله فى قوله تعالى ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ قال هى النجوم الدرارى التى تجرى تستقبل المشرق).

قال ابن كثير (وقال بعض الائمة: وإنما قيل للنجوم الخنس أى من حال طلوعها، ثم هى جوارى فى فلكها، وفى حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب: أوى الظبى إلى كناسه، إذا تَغَيَّب فيه).

الثانى: وهو بقر الوحش أو الظباء أورد فيه ابن كثير ما يلى (وقال الأعمش عن إبراهيم قال: قال عبدالله فلا اقسم بالخنس قال: بقر الوحش، وكذا قال الثورى عن أبى اسحق عن أبى ميسرة عن عبدالله: فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس ما هى يا

عمر؟ قلت: البقر قال: وأنا أرى ذلك، وكذا روى يونس عن أبي إسحق. وقال أبوداود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (الجوار الكنس) قال: البقر تكنس إلى الظل، وكذا قال سعيد بن جبير. وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء، وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد: هي الظباء والبقر.

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة من إبراهيم ومجاهد: أنهما تذاكرا هذه الآية ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها بما سمعت؟ قال: فقال مجاهد: كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون: أنها النجوم.

قال فقال إبراهيم: قل فيها بما سمعت، قال فقال مجاهد: كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس حجرتها.

قال: (فقال إبراهيم انهم يكذبون عَلَيّ عَلِيٌّ هذا كما رووا عن على أنه ضمن الأسفل إلا على وإلا على الأسفل).

أما ابن جرير الطبرى رحمه الله فقد توقف حيال القولين ولم يرجح أحدهما على الآخر بل قال (ويحتمل أن يكون الجميع مراداً).

وإذا كان لى من تعليق على إختلاف المفسرين من السلف حول تفسير قوله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ فهو قولى: إنهم رحمهم الله اختلفوا حول تفسيرين، الأول: باللغة أى بمحض المدلول اللغوى والآخر تفسير مأثور عن سيدنا على ابن أبى طالب رضى الله عنه، وهو تفسيرها بالنجوم الدرارى، وهو مخالف للتفسير اللغوى الذى لا يحتمل إلا الظباء وبقر الوحش كما سنرى.

بيد أن ابن كثير حقق الأثر الوارد عن سيدنا على بن أبى طالب القائل بالنجوم الدرارى وصححه فقال بعد أن روى الأثر بسنده (وهذا إسناد جيد صحيح) وقد

أورد الأثر باكثر من سند جيد. فلا مجال إذن لقول إبراهيم السابق (إنهم يكذبون على عليّ) مادام السند جيد صحيح، ولعله لم يقل قوله هذا إلا لأنه لم يكن يعلم صحة السند، ولأنه من ناحية أخرى كان يعلم أن سيدنا على لا ينقصه العلم بلغة العرب، ومن ثم استبعد أن يفسر الآيتين تفسيرا بعيدا عن اللغة أو مخالفا لها.

ولكن مادام الأثر صحيحا فإن تفسير قسم الله تعالى بالخنس بأنه قسم بالنجوم لابد أن يكون لأن سيدنا على بن طالب رضى الله عنه قد تلقاه من سيدنا رسول الله ﷺ ولكنه لم يرفعه له لحكمة، وإن كان بهذا الاعتبار فى حكم المرفوع.

ونظراً لأن القول الأول بأثر صحيح عن على بن طالب والقول الثانى بمحض اللغة وكلاهما مما لا يجوز رفضه ونظراً للتباين بينهما تباينا صَعَّبَ على ابن جرير الطبرى التوفيق بينهما، وإنه رحمه الله توقف فلم يرجح احدهما على الآخر وفى نفس الوقت لجأ إلى الجمع بينهما وقال: (ويحتمل ان يكون الجميع مراداً)، ولم يجزم به لقوله (ويحتمل). والذى أرجحه، والله تعالى أعلم، أن هذا القسم لا يجوز تأويله بعيداً عن حديث رسول الله ﷺ عن مُسرَّات يوم القيامة المتفاقمات لأن قوله ﷺ (من سَرَّة أن يَرى القيامة رأى عين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ...﴾ إلى آخره يفيد قراءة السورة بكاملها ومن ثم فالقسم الوارد بها لابد أن يكون من الأحداث أو المظاهر أو المخترعات التى هى مُسرَّات يوم القيامة أى مبهجات هذا العصر الأخير من عصور البشرية، عصر زخرفة الأرض وزينتها وقوة بطش أهلها حتى يصلوا إلى الظن بأنهم قادرون على حمايتها مما يأتى من السماء من عذاب فى شكل نيازك ضخمة أو زلازل وخسوف وكذلك الظن بأنهم قادرون على رؤية أى جزء من سطح الأرض وتصويره وتحديد أى شيء على سطحها بدقة تبلغ القياس بالسنتيمتر، كما أنهم استطاعوا رصد ما فى باطن الأرض من معادن وبترول ومياه جوفية بالتصوير الجوى والفضائي وبالاستشعار عن بعد، وباستخدام الاقمار الصناعية فى التجسس والاتصال والأرسال التليفزيوني الإعلامي وفى إدارة المعارك الحربية جعلهم يظنون أنهم قادرون عليها.

وعلى هذا فلابد أن يكون قسم الله تعالى بالخُنَّس الجوار الكُنَّس قسما بشيء خاص بهذا اليوم، لم يكن له وجود قبله، أو هو لم يحدث من قبل.

وحسب القاعدة التفسيرية الثابتة التى تقول أن كل آية فى السورة لابد أن تكون مرتبطة بسياقها وبموضوعها العام، فليس القرآن الكريم آيات متفرقات لا صلة بينهما بل الصلة قائمة حتي بين كل سورة والتي تليها وكل آية والتى تليها وكل آية والسورة التى هى فيها، وإن خفيت علينا بعض الصلات أحيانا.

فما الصلة إذن بين قَسَمِه تعالى ﴿بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ وبين مُسِرَّات يوم القيامة الاثنى عشر؟!

وكذلك ما الصلة بين هذا القسم والقسم الذي جاء بعده فى السياق وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾

ونبدأ ببيان المعنى اللغوى لهذين القسمين فما هى الخنس؟

قال ابن فارس فى معجمه (الخاء والنون والسين أصل واحد يدل على استخفاء وتستر. قالوا: الخنس الذهاب فى خفية. يقال خَنَسَ عنه وأخنس عنه حقه، والخنس: النجوم تخنس فى المغيب، وقال قوم سُمِّيت بذلك لأنها تختفى نهاراً وتطلع ليلا والخناس من صفة الشيطان لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى، ومن هذا الباب الخنس فى الأنف إنحطاط القصبة. والبقر كلها خنس)(١).

وقال ابن منظور (خنس: الخنوس الانقباض والاستخفاء. خنس من بين أصحابه: انقبض وتأخر، وقيل: رجع. وأخنسه غيره خلفه ومضى عنه. وفى الحديث (الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس أى انقبض منه وتأخر.

قال الأزهرى وكذا قال الفراء فى قوله تعالى (من شر الوسواس الخناس) قال: ابليس يوسوس في صدور الناس، فإذا ذكر الله خنس؛ وقيل: إن له رأسا كرأس الحية

---

(١) تفسير ابن كثير مجلد ص٤/ ص٤٧٨.

يجثم على القلب، فإذا ذكر العبدُ الله تنحى وخنس. وإذا ترك ذكر الله رجع إلى القلب يوسوس نُعوذ بالله منه.. ثم قال ابن منظور قول (الأزهرى: خنس) فى كلام العرب يكون لازما ويكون متعديا يقال: خَنَّسْتُ فلانا فخنس أى أخَّرته فتأخر وقبضته فانقبض.. وهكذا قال ابن شميل فى حديث رواه: (يخرج عنق من النار فتخنس بالجبارين فى النار)، يريد تدخل بهم فى النار وتغيبهم فيها. يقال خنس به أى ورَّاه ويقال: يخنس بهم أى يغيب بهم، وخنس الرجل إذا توارى وغاب، وأخنستُه أنا أى خلَّفته.

والكواكب الخُنَّس: الدرارى الخمسة تخنس فى مجراها وترجع وتكنس كما تكنس الظباء وهى: زُحَل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد، لأنها تخنس أحيانا فى مجراها حتى تختفى تحت ضوء الشمس وتكنس أى تستتر كما تكنس الظباء فى المغار، وهى الكناس وخنوسها إستخفاؤها بالنهار بينا نراها فى آخر البرج كرت راجعة إلى أوله ويقال: سُمِّيت خُنَّسا لتأخرها... ويقال هى الكواكب السيارة دون الثابتة). ويقصد بالثابتة النجوم. ثم قال ابن منظور (الزجاج فى قوله. فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس. قال: اكثر أهل التَّفسير فى الخنَّس أنها النجوم وخنوسها أنها تغيب وتكنس تغيب أيضا كما يدخل الظبى كناسه)(١).

(وفى الصحاح: الكُنَّس الكواكب لانها تكنس فى المغيب أى تستتر... والكنس جمع كانس وهى التى تغيب من كنس الظبى إذا تغيب واستتر فى كناسه، وهو الموضع الذي يأوى إليه.

والكَنْسُ كسح القمام عن وجه الأرض، وكَنَسَ الموضع يكنُسُه بالضم كنسا كسح القمامة عنه)(٢).

(والكناسُ: الظبى يدخل فى كناسه، وهو موضع فى الشجر يكتن فيه ويَسْتَتِرِ وظباء كنَّسٌ وكُنُوس)(٣).

---

(٢) كنز المال ١١/٣١٤٤٦، و٣١٠٢٤.

(٣) كنز العمال ١١/٣١٠١٦.

وعلى هذا نقول إن عناصر مـادة خنس هى: الاختفاء والتغيب والتـأخر والتخلف والتوارى والانقباض، واللجوء إلى الظل للإختفاء فى ظلمته.

لكن للكلمة صيغا للمبالغة متعـددة إذ تتعدد صيغ اسم الفاعل منها كقولنا خانس وخناس وخُنوس وأكثرها مبـالغة فى المعنى كُنَّس كقولنا نساء كُمَّلٌ، فهن أكـثر كمالا من كاملات.

فكونها خُنَّس، أى أن هذا الذى أقسم به الله عزوجل من شأنه أنه يخنس كثيراً جدا جدا، لأن ابراز هذه الخاصية فيه، وذكره بها يدل على أن هوية هذا الشىء ووظيفته أو غايتـه أو فائدته تكمن فى كـثرة تغيبه بعد ظهـوره، ومن ثم كثرة ظهـوره بعد تغيبـه، فالغـيب والاختـفاء والتـوارى والتخلف أهم مـا يميزه، إذ تتحـقق الغاية منـه والفائدة المرجوة من وجوده بتغيبه الكثير أى المتكرر وتكرار التغيب يستلزم تكرار الظهور لأن كلاهما لايكون إلا بعد الآخر.

ولكن هذا الشىء الذى يخنس كثيرا جـدا هو الذى وصفه الله عزوجل بأنه يجرى ويكنس بقوله تعالى: ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ والكنَّس صيـغة مبالـغة من كنس يكنس وهى على وزن خُنَّس أيضـا وهى مأخـوذة كمـا علمنا من قول العـرب عن الظبى يأوى إلى كُنَاسه أو يكنس إلى بيته، فالكنس لابد أن يكون انتقالا على الأرض إلى ما يختفى فيه الظبى سواء كان بيته أى كهفه أو إلى ما يكنه من ظِل أشجار الغابة ويحميه من حرارة الشـمس أو من الخطر. ومن ثم رفض بعـض السلف: مـجاهد وإبراهـيم وغيـرهمـا تفـسيـر (الخُنَّس الجوارى الكنس) بالنجـوم أو الكواكب، لأن القـول بأنها خُنَّس لأنهـا تخـتفى لايَصْدق ولا يتـطابق على الكواكب لأنهـا تظهر بـالليل وتختـفى بالنهـار أى بالعكس أى يقدح فى هذا القول أن كل النجـوم وكذلك القمر يظهرون بالليل ويختفون بالنهار، كما أن الشمس تظهر بالنهار وتختفى بالليل فكل أجرام السماء تخنُس مرة كل يـوم: النجـوم والكـواكب والقـمـر جميعها تَخْنُسُ مع طـلـوع النهــار. والشــمس

تخنس مع مجىء الليل. فإذا كان القسم بالخُنَّس يتطابق ويصدق على الكواكب الخمسة، فهو أيضا، بهذا المعنى للاختفاء اليومى، يَصْدُق على النجوم والقمر والشمس أيضا.. فلم نقصرها على هذه الكواكب الخمسة؟!

والاعتراض الثانى وهو الرئيسى والجوهرى الذى يمنع القول بأنها الكواكب السيارة، ومن ثم رفضها المفسرون من التابعين، هو أن هذه الخُنَّس تتصف، مع كونها خُنَّس أى كثيرة الغياب، بأنها أيضا جوارى كُنَّس فهى سريعة فى حركتها سرعة كافية لكي تجعلها تكنس إلى خبائها أو إلى الظل بسرعة بينما الكواكب لا تختفى بلجوئها إلى الظل وإنا تختفى بسبب ضوء النهار، وليس بسبب سرعة لجوئها إلى الظل، وهذا وجه مخالفة لايمكن إهماله، كما أنها ليست سريعة فى إختفائها، وليس اختفاؤها متكررا وكثيرا حسب دلالة صيغة المبالغة الواردة فى لفظ خُنَّس، والواردة فى لفظ كُنَّس، فحركة الكواكب البادية للعين مثل حركة النجوم والشمس والقمر، فهى لا تتميز عنهم بأنها جوارى. من أجل هذا رفضوا الأثر الوارد عن سيدنا علىٍّ رضى الله عنه مع صحته، لأن هذا الوصف لا يصدق على الكواكب أو النجوم، والتزموا المعنى اللغوى المحض للقسم الإلهى بالخنس، وهو الظباء وبقر الوحش لكن من ناحية اخرى نجد أنه يصدق عليه وصف الجوارى الكُنَّس ولا يصدق عليه وصف الخنَّس، من هنا توقف ابن جرير الطبرى رحمه الله بعد أن تكافأت عنده أدلة القولَيْن.

والذى أفسر به هذا القسم الإلهى الكريم فى ضوء المُسِرَّات المتفاقمات، وفى ضوء عصر زَخْرَفَة الأرض وزينتها وهو العصر الذى يظن أهلها أنهم قادرون عليها، أقول أفسر هذا القسم بأحد أهم مظاهر التقدم العلمى والتقنى ووسيلة من وسائل قوة الإنسان فى الأرض، تلك التى مَكَّنَ الله تعالى بها للإنسان فيها بما أتاه من سلطان علم الأسماء الذي هو المؤهل الأساسى لاستخلاف الإنسان فيها.هذه الوسيلة التى أقسم الله تعالى بها هى الأقمار الصُّنْعِيَّة التى يُطْلَقُ عليها فى الإعلام الأقمار الصناعية.

(٢٩) الأقمار الصناعية واستخداماتها: -

يقول عنها المختصون أن اطلاق أول قمر صناعي روسي كان عام ١٩٥٨ ثم أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية أول قمر صناعي لها في ديسمبر عام ١٩٥٨ وأرسلت أمريكا من خلاله رسالة عيد الميلاد لسلام العالم من الرئيس أيزنهاور إلى هذا القمر وتم تسجيلها في أجهزته، ثم بثها من القمر إلى العالم، فكانت هذه الرسالة أول صوت يسمعه الإنسان آتيا من الفضاء وعمل هذا القمر لمدة ١٣ يوما فقط.

ثم تتابعت أقمار الاتصالات مع ثورة الالكترونيات والاتصالات الدولية الهائلة، وتم انشاء أول منظمة عام ١٩٦٤ وهي إنتلسات، أطلقت أول قمر تجاري للاتصالات عام ١٩٦٥ (انتلسات ١) كانت سعته ٢٤٠ قناة صوتية وقناة تليفزيونية واحدة بين أمريكا وأوربا ثم تتابعت أجيال الاقمار الخاصة بالاتصالات حتى وصلت ستة أجيال موفرة أشكالا متنوعة من الاتصالات القمرية مقدمة خدماتها إلى أكثر من ١٦٥ دولة ضمن شبكة متكاملة تضم ١٥ قمراً صناعيا.

واستخدمت أمريكا والعديد من الدول الأقمار الصناعية للأغراض العسكرية وبنت أعداداً معلومة من هذه الأقمار وأطلقتها محتفظة بأسرارها لنفسها وهذه الأقمار تساهم في توجيه أساطيلها البحرية والغواصات في أعماق المحيطات أو البحار والسفن، وكذلك أسلحة الطيران المختلفة حتى ظهر مفهوم عَسكَرَة الفضاء لامتلائه بأعداد هائلة من الأقمار التي جعلوا بعضها في مدارات بيضاوية تكون قريبة جدا في بعض الأحيان من الأرض وبعيدة أحيانا أخري نسبيا.

وأستخدمت الأقمار الصناعية لأغراض مدنية مثل التنبؤ بحالة الطقس اليومية وربما على مدار الساعة عن طريق معرفة اتجاهات الرياح والسحب والاعاصير والمنخفضات الجوية ونتائجها، والسبيل إلى العلم بهذا كله هو الرؤية المباشرة لكوكب الأرض وما يحدث في أجوائها من خلال التصوير الفضائي لها الذي يقوم به القمر ثم يبثه إلى المحطات الأرضية وأجهزة الاستقبال.

واستخدمت الأقمار الصناعية فى تعميم الإرسال التليفزيوني المحلي للدول عن طريق إرسال هذا البث إلى قناة خاصة فى القمر الصناعي، ثم ارسال هذا البث إلي منطقة واسعة من الكرة الأرضية، فظهر ما يُعرَفَ الآن بقنوات التليفزيون الفضائية التى تستقبلها المنازل عن طريق مُسْتَقْبِلات خاصة تُعرفُ الآن «بالدش» فوق الأسطح. ومن أهم وأخطر استخدامات الأقمار الصناعيَّة التجسس على الدول المعادية بتصوير ما يقع فَوق أرضها من منشآت عسكرية وتحركات لجيوشها، وكذلك من استخداماتها ما يُعْرَف بالمسح الجيولوجي للأرض، عن طريق التصوير، أو ما يعرف بالاستشعار عن بعد، وهكذا تبين لنا أن الأقمار الصناعية متعددة المنافع والأغراض ومن ثم اختلفت أنواعا:

أولاً: أقمار استقبال البث التليفزيوني وإعادة بثه إلى مساحة كبيرة من الأرض بما يعرف بظاهرة القنوات الفضائية، وتقوم هذه الأقمار أيضا بحمل قنوات إتصال تليفونية للخطوط الدولية. وهذه الأقمار تكون فى مدار متزامن مع الأرض ليظل القمر ثابتا فوق موضع واحد من الأرض، لأنه يدور بسرعة الأرض وفى اتجاه دورانها، ومن ثم يظل دائرا بصفة مستمرة مدة عمره الافتراضى التى تبلغ ١٥ عاما فوق نفس البقعة التى وضع عليها، ولتحقيق هذا لابد أن يكون ارتفاعه فى حدود ستة وثلاثين ألف كيلومتر، لأن سرعته البطيئة نسبيا، وهى نفس سرعة الأرض لا تسمح له بالاقتراب إلى الأرض وإلا جذبته الأرض وسقط على سطحها، فلكى يستقبل هذا القمر من دولة معينة أو بقعة معينة من الأرض ويرسل إلى بقعة أوسع قد تصل إلى ثلث محيط الكرة الأرضية فلابد أن يظل ثابتا فوق هذه البقعة التى يستقبل منها ويكون فى مواجهة ثلث محيط الكرة الأرضية التى يبث إليها ومن ثَمَّ تمكنت الولايات المتحدة من بث ارسالها التليفزيوني عبر ثلاثة أقمار تغطى كل محيط الأرض، وهذا لا يتحقق إلا بأن يدور القمَر فى مدار من الغرب إلى الشرق، وهو نفس اتجاه دوران الأرض، ويكون فوق خط الاستواء حتى يكون دورانه حول مركز الأرض، ثم لابد لكى يتحقق ثباته فوق بقعة واحدة أن يكون دورانه بنفس سرعة الأرض، وحيث أن سرعته هذه لا تعطيه قوة طرد مركزية فلا مناص من أن يرتفع

مبتعدا عن منطقة قوة جاذبيتها إلى ارتفاع يصل إلى ستة وثلاثين ألف كيلومتر مربع أو أكثر هربا من مجال الجاذبية القوى إلى المجال الأضعف الذى يمكنه مقاومته فلا يسقط. وعلى هذا فان هذا النوع من الأقمار لا يصدق عليه أنه من الخنس الجوار الكنس معا وإن كان يصدق عليه وصف الجوار الكنس فحسب.

ثانيا: أقمار التجسس والمسح الجيولوجي ومراقبة أحوال الطقس وتوجيه السفن والغواصات والطائرات فى كل محيطات الأرض وقاراتها واكثرها لأمريكا وروسيا وأوربا: وهذا النوع يختلف عن الأول، إذ لابد لكى يقوم بالمهام وبالتصوير المطلوب وتحديد أماكن المعدات العسكرية بدقة أن يكون على إرتفاع قريب من سطح الأرض نسبيا فلا يزيد ارتفاعه عن ألف كيلومتر، وربما يقل عن ذلك، ومن ثم لابد أن تكون قوة الطرد المركزية عنده قوية لتعادل قوة الجاذبية الشديدة، بسبب قربه من سطح الأرض، وحيث لا تتأتي قوة الطرد المعادلة لقوة الجاذبية إلا بزيادة السرعة، فإن هذا النوع من الاقمار لا يتم دورانه فى مدار حول الأرض من غير أن يسقط إلا إذا كانت سرعته فى حدود إثنى عشرة مرة ضعف سرعة دوران الأرض، ولابد من زيادة السرعة كلما انخفض المدار، وإقترب من سطح الأرض، وعلى هذا فإن القمر الصناعى من هذا النوع الذي يأخذ مداره حول الكرة الأرضية من الغرب إلى الشرق بهذه السرعة يدور حول الأرض مرة كل ساعتين تقريبا أو أقل حسب وزنه وارتفاعه، أى أنه يدخل فوق النصف المظلم فيقطعه فى ساعة تقريبا، ثم يدخل فى مداره فوق النصف المضيء فيقطعه فى ساعة أخرى، وهكذا يدور حول مداره إثنى عشر مرة كل يوم من أيام الأرض، وعلى هذا فإنه يمر على المنطقة المراد تصويرها مرة كل ساعتين ومن ثم يتمكن الجيش المراد رصد تحركاته من الكمون فى أثناء مرور القمر فوق مواقعه ثم التحرك فى المدة التى يكون فيها القمر غائبا فى الناحية الأخري من الكرة الأرضية، لأن هذه الأقمار تغيب وتختفى عند دخولها فى خطوط الطول الخاصة بنصف الكرة الأرضية من الناحية الأخرى منها، فلا يمكنه تصوير البلد المراد التجسس عليه. أثناء اختفائه فى الناحية الأخرى من الكرة الأرضية، فهو اختفاء وراء نصف الأرض، ومن ثم يصدق عليه أنه يتوارى.

(٣٠) إنطباق الخنوس والكنوس على الاقمار الصناعية: -

فالاقمار الصناعية كثيرة الغياب والتوارى

والاختفاء وراء الأفق البعيد الذى يمنع تصوير الموقع المراد ويمنع البث والاستقبال. بل إنه يختفى فى اليوم الواحد إثنى عشرة مرة أو اقل قليلا أو أكثر حسب سرعته التى يحددها ارتفاعه عن سطح الأرض. فهو كثير الاختفاء والغياب ومن ثم فهو من الخنس، وهذا تطابق لغوى تام بين الوصف القرآنى وبين واقع هذا النوع من الاقمار وهو تطابق تام بينه وبين الأثر الوارد عن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفس الوقت، حين قال إنها النجوم، ومع قول السلف القائلين أنها الكواكب الدرارى التى تظهر فى السماء وتختفى وهو ما يتطابق عليها أكثر من انطباقه على النجوم والكواكب من حيث أنها كثيرة الاختفاء والتورية ليس هذا فقط، بل إن من معانى الخنَّس أنها التى تخلِّف غيرها وراءها، وهذه الأقمار تُخَلِّف وراءها الليل إثنى عشر مرة فى اليوم الواحد وتخلف وراءها النهار اثنى عشرة مرة وأدق من هذا القول بأنها تمر على الخط الفاصل بين الظلام والنُّوُر فى الكرة الأرضية، هذا الذي يكون فجراً أو صبحا فى ناحية منها ومغربا وعشاءاً فى الناحية الأخرى، وكلا الحالين أوالوقتين إقبال الليل ودخوله عشاءاً أو إدباره فجراً فى لغة العرب «عسعس الليل»[1]، وحيث أن هذه الأقمار تَدُور من الغرب إلى الشرق فى اتجاه دوران الكرة الأرضية فإنها تدخل منطقة ظلام الكرة الأرضية فتشهد عسعسة الليل عشاء، ثم تجتاز منطقة الظلام وتصل إلى آخرها قبل الوصول إلى منطقة النهار بقليل فتشهد عسعسة الليل فجراً، ثم تدخل فى أول منطقة الضوء فتشهد تنفس الصبح، ويتم هذا افى اليوم الواحد إثنى عشرة مرة لذا بدأ بالقَسَمْ بالليل إذا عسعس ثم بالصبح إذا تَنَفَّس بعد القسم بالخنَّس الجوار الكنَّس، وإن كان أهل الأرض يشهدون عسعسة الليل عشاء وفجرا كل يوم مرتين وتنفس الصبح كل يوم مرة واحدة لكن الخنس تشهدها وتخلفها وراءها كل يوم هذه المرات العديدة. لذا جاء خنوسها أي اختفاؤها بأقوى صيغة للمبالغة.

---

(١) عسعس الليل فى اللغة يطلق على وقت العشاء اى اول الليل كما يطلق على وقت الفجر اى آخر الليل.

وليس الخنوس المتعدد هو خاصية هذه الأقمار المحددة لما هيتها فقط، بل يحدد ماهيتها مع هذه الخاصيه بيان وظيفتها وفائدتها أو الهدف من صنعها وهو أنها (جوارى كُنَّس) لأن القَسَمَ الإلهى بها يَتَضَمَّن تَعْرِيفًا لها بالألف واللام (فلا أقسم بالخُنَّس الجوار الكُنَّس) فالخصائص الثلاثة المحددة لماهيتها والمشخصة لحقيقتها معرفة بالآلف واللام، جوارى أى شديدة السرعة وهى فى جريها تَخْتَفى من فوق المكان المراد مَسْحُهُ بالتصوير الجوى لتعود إلى نفس المكان، فتقوم باستكمال المسح. وإذا كان اللفظ المستخدم حديثا للتعْبير عن التَّصْوير الفضائي سواء أكان للتجسس أم للأغراض العلمية أم الاقتصادية أم الحربية هو المسح الجوى فإن الكنْسَ هو التعبير العربي الدقيق عن هذه العملية، لأن الكَنْسَ هو جمع ما على ظهر الأرض من قمامة، والتصوير هو جمع ما فوق ظهرها من منشآت أو معدات وكلاهما يشترك فى مدلول الجمع من فوق سطح الأرض، إلا أن الكنس يفيد الجمع مع أخذ، يتم جمعه بينما المسح لا يفيد ذلك، ومن ذلك كنس القمامة التى تؤخذ بعد جمعها بعيدا عن المكان. ومن ثم فالاقمار كُنَّس بصيغة المبالغة لما وصلت إليه من دقة التصوير وشموله حتى يمكن القول أنهن كنسن كل ما على ظهر الأرض كَنْسًا فصورنه أو مسحن سطح الأرض مَسْحًا جغرافيا فصورن كل شيء عليها تصويراً دقيقا، وذلك عن طريق قمر يدور - ليس من الغرب إلى الشرق فوق مدار خط الاستواء، ولكن من الشمال إلى الجنوب، فمثل هذا المدار يمكن من كَنْس صور لكل ما على الأرض من تضاريس ومن منشآت بقاطع طولى، أى يتم المسح فى إتجاه خطوط الطول، وحيث أن هذا القمر عندَما يقطع دورة واحدة من الشمال إلى الجنوب، ويعود إلى الشمال مرة تالية، تكون الأرض قد دارت دورة أو أقل من الغرْب إلي الشرق، فإن الدورة التالية للقمر لن تَمُر على نفس الخطوط الطولية للأرض، بل يستمر على خطوط جديدة أو ما بعد الخطوط التى مرت عليها من قبل، فتكنس بهذا بلاداً جديدة، ومن ثم يمكن لهذا القمر كنس صور كل ما على الأرض خلال عدة دورات يقطعها فى اسبوعين أو ثلاثة حسب سرعته.

فالاقمار المدارية التى تمر فوق خط الاستواء أو الأخرى القطبية التى تمر عبر القطبين على ارتفاع منخفض نسبيا وتتم دورتها فى ساعتين تقريبا هى الخنس لسرعة اختفائها بعد ظهورها وكثرة الظهور والاختفاء، ثم هى الجوارى الكُنَّس التى يمكنها كنس ما على الأرض أو مسحه، كما يقولون، فى مدد وجيزة فإستحقت بذلك صيغة المبالغة فى الخنوس والكنس. وهى وحدها التى يصدق عليها هذه الخصائص الثلاث. وهى التى لها صلة مباشرة بالليل إذا عسعس وبالصبح إذا تنفس، وهى أيضا من مسرات يوم القيامة المبهجات، وهى أيضًا مما توصلت إليه البشرية عبر مراحل وأجيال تطورت صناعتها حتى صارت إلى ما صارت عليه الآن، ومن ثم فهى من الأمور المتفاقمة أى المتعاظمة بالتطور جيلا بعد جيل.

أما الاقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات والبث التليفزيوني الفضائي هذه التى تكون على ارتفاع شاهق ٣٦٠٠٠ ألف كيلومتر فلا يصدق عليها وصف الخُنَّس لأنها لا تختفى بعد ظهور عن أعين المحطات الأرضية لهذه المحطات ولا تظهر بعد اختفاء، لانها تكون فوق بقعة من الأرض وتدور بسرعتها وفى اتجاهها فتبدو ثابتة فوق هذه البقعة، ومن ثم تظل ظاهرة ومتصلة بصفة دائمة بالمحطة الأرضية التى تتلقى منها أو تبث إليها فهى اذن من الكنس فقط لانها تتلقى البث والاتصالات وتكنسها كنساً وبصفة مستمرة، بخلاف اقمار التجسس والمسح الجيولوجي التي تتصل بمحطاتها الأرضية لمدة ساعة وتخنس عنها ساعة أخرى وهكذا، أما الكنس فهى تكنس ما يرسولنه إليها ثم تكنس ولا تمسح الأرض لأي غرض من الأغراض، بل هى تكنس ما يرسلونه إليها ثم تبث من مداراتها الفتن وتنزل هذه الفتن على أسطح بيوت البشر كما ينزل القطر، واخطر هذه الفتن إدخالها الحريم على بيوت البشر بعامة وبيوت المسلمين وهى تظل تبث طيلة النهار والليل بلا انقطاع لأنها لا تخنس، ومن ثم ورد فى هذه الاقمار قوله تعالى ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [/ ٥٣/ سبأ] فالخبر الغائب الذى يحدث فى أقصى المغرب يصل إلى أهل المشرق صوتًا وصورة عبر آلاف

الكيلومترات فى اللحظة والتو أى بعد حدوثه بدقائق، وربما في أثناء حدوثه فيصبح مشاهدا وليس غيبا، لأن الغيب هو ما غاب عن حس الإنسان سمعًا وبصرا وشمًا وتذوقًا ولمسًا، ومن ثم يمكن تصنيفه إلي أربعة أصناف:

الأول: هو «الغيب المكاني» أى الذى يكون البعد المكانى هو علة كونه غيبا، كالأحداث التى تحدث بعيدا عن الحس البشرى فى المكان، تظل غيبا على البشر حتى تنتقل إليهم فى صورة الخبر الذى حدث فى الماضى. ومن الغيبيات المكانية عوالم بعيدة عنا مثل الجنة والنار.

الثانى: «الغيب الزمانى» وهى الأحداث والمخلوقات التى لم تَحْدُث بعد، ومن ثم يعجز البشر عن إدراكها قبل حدوثها، ولا سبيل إليها إلا بالوحى السماوى.

الثالث: «الغيب الزمانى المكانى» أى البعيدة عن الحس البشرى فى المكان والزمان.

الرابع: «الغيب الكونى» نسبة إلى كينونة المخلوق وطبيعته الخلقية التى تكون هى علة غيبه عن الحس البشرى، رغم حضوره فى الزمان والمكان قريبا من الحس البشرى مثل الملائكة والجن، فالجن متواجدون ومختلطون بالبشر، وهم لا يرون منهم أحدًا، وكذلك الملائكة لا تُفَارق البشر ولا تفارق الجن أيضا. والبشر لا يَرَوْنَ الملائكة، وكذلك الجن لا يرونْ الملائكة، فالملائكة غيب عن حس الجن كما أن الجن والملائكة غيب عن حسن البشر، وما هذا الغياب إلا بسبب طبيعة الملائكة والجن، وبسبب محدودية الحس البشرى وعجزه عن إدراك هذين العالمين، فلما توصل الإنسان إلى خصائص الصوت وخصائص الضوء والقوانين الحاكمة لهما تمكن بهذا العلم من صناعة الأجهزة الموسعة لدائرة السمع ودائرة البصر ومجالهما ثم مع تمكنه بالعلم من نفاذه من أقطار السماوات بالصواريخ والأقمار الصناعية تمكن من استخدام الأجهزة البصرية والسمعية من خارج الغلاف الجوى إرسالاً واستقبالاً وبثًا فصاروا يقذفون بالخبر أو الحدث صوتًا وصورة من مكان بعيد، ويدل قوله تعالى فى الآية ﴿وَيَقْذِفُونَ

بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[/ ٥٣/ سبأ] على أن الأحداث التى هى من قبيل الغيب المكانى لاتصل إلى المكان البعيد ولا تُصبح شهادة إلا قَذْفًا، وفى هذا إشارة إلى أنها لا تُرْسَلُ إرسَالاً كالبريد لأن المقذوف لا يصل إلى المكان المقذوف إليه إلا بإختراق الهواء أو النفاذ من الفراغ. فهذه الآية خاصة بأقمار الاتصالات والبث التليفزيوني التى هى على إرتفاع يصل إلى ستة وثلاثين ألف كيلومتر فوق سطح البحر والتى يصدق أنها جوار كنس فقط، فانظر إلى أى مكان بعيد هذا الذى تقذف محطات الإرسال الأرضية إليها بثها التليفزيوني أو الاذاعي أو المكالمات الهاتفية لتبثها هذه الاقمار إلى الأرض مرة ثانية أو تنزل بعد ذلك على المستقبلات الأرضية (الدش والهواتف بأنواعها وآخرها المحمول) نزول القطر. فالقذف بالغيب يتطابق مع ما تقوم به وكالات الأنباء من بث أخبارها صورة وصوتًا إلى الأقمار الصناعية لأن ضمير الفاعل الذى هو واو الجماعة فى قوله (ويقذفون) يعود على مؤسسات القنوات الفضائية الاخبارية العالمية وكذا القنوات الفضائية لسائر الدول حيث يقوم كل تليفزيون ببث الأحداث في دولته: وكذا كل مراسل إلى القمر الصناعى الخاص به ثم تقوم التليفزيونات المحلية بالتقاط هذا المبثوث لإذاعته. فالآية تدلُ على قاذفين للأحداث الغائبة غيبا مكانيا من كل مكان فى الأرض لتصبح مشاهدة لمن يريد أن يعلمها، إذ عليه فقط أن يتوجه إلي جهاز الالتقاط التلفاز ليلتقط به هذا الحدث ويشاهده ويسمعه. وحيث أن اليهود فى زمن إفسادتهم الأخيرة المعاصرة هم الذين يمتلكون أكثر هذه المؤسسات الاعلامية فإنهم هم الذين يصيغون الأخبار والأحداث من وجهة نظرهم بما يخدم مخططاتهم الإفسادية علاوة على نشر الفساد لهواً ببث صور العاريات باسم الفن ولعبا بملأ الحياة بشتى أنواع المسابقات الرياضية. ومن ثم قال تعالى عن سيطرتهم على الإعلام العالمى فى هذه الافسادة ﴿... وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ لأن النفير كان الوسيلة القديمة للإعلام سواء للجنود أو لغيرهم.

(٣١) أقمار صناعية للاتصالات والبث خنس جوارى كنس:

أما الجيل القادم من أجيال الاقمار الصناعية الخاصة بالاتصالات فهو ما تقوم إحدى الشركات الأمريكية العالمية بصنعه الآن، وهو يقوم على الاستغناء عن الأقمار

الصناعية الثابتة فوق بقعة محددة بدورانها بسرعة دوران الأرض وفى اتجاهها على ارتفاع شاهق إلى عمل نظام اتصالات يستخدمون فيه الخُنَّس الجوارى الكُنَّس أى الأقمار التى تدور بسرعة على ارتفاع منخفض لايزيد عن ألف كيلومتر، ويقطع محيط الكرة الأرضية ليلها ونهارها فى ساعتين أو اكثر، ومن ثم فهو لا يخدم كل بقعة من الأرض إلا فترة زمنية محدودة، وللتغلب على هذه المشكلة ستقوم الشركة بنشر أكثر من سبعين من الأقمار الخُنَّس الجوارى الكُنَّس تغطي فى مجموعها محيط الأرض بالخدمات الاتصالاتية بحيث يكون فوق كل بقعة قمرا يقوم بالاتصال استقبالا وإرسالا، فإذا خرج هذا القمر من سماء هذه البقعة وقبل أن تنقطع خدمته لهذه البقعة بسبب اختفائه وغيابه عنها يكون القمر الذى يليه قد دخل هذه البقعة وتسلم منه الخدمة فيها وهكذا يكون فى كل وقت وعلى كل بقعة فى الأرض قمر يقوم بأداء خدمة الاتصالات وربما البث، وتكون هذه الأقمار جميعها بالتالى مستقبلة لكل اتصال وبث صادر من الأرض ومُرْسِلة أو قاذفة لها بعد ذلك إلى من يستقبلها فى الأرض، ومن ثم تكون جوارى لسرعتها التى تخلف وراءها الليل ثم النهار ثم الليل وهكذا أكثر من اثنتي عشرة مرة تقريبا على مدار اليوم الواحد وتكون خُنَّسًا لكثرة ظهورها وغيابها على البقعة الواحدة من الأرض لأن المحطة الأرضية الواحدة تستقبل كل عشرين دقيقة قمراً وتتعامل معه إرسالا واستقبالا ثم يغيب عنها ويتوارى عن أجهزتها لتستقبل قمراً آخر وهكذا، ومن ثم يتحقق بهذا النظام الذى يحقق اتصال البشر بعضهم ببعض من أى مكان فى الأرض إلى أى مكان آخر عبر الهاتف المنزلى أو هاتف السيارة والهاتف المحمول مباشرة من خلال محطات أرضية تتعامل مع أقمار صناعية سابحة فى سماء الأرض جارية وتَخْنُسُ عن إحدى المحطات الأرضية كل ربع أو ثلث أو نصف ساعة على الأكثر وتظهر لأخرى بعدها مباشرة فهى تخنس كثيراً وتظهر كثيرا لتكنس الاتصالات القادمة من الأرض فى ظهورها ثم تبثها للجهات الأخرى من الأرض فى خنوسها أو اختفائها وتتلقى وتجمع جميع اتصالات البشر ببعضهم فى كل لحظة فهى تكنسها كنسًا وتلك مع ما سبق ذكره، هى

الخنس الجوارى الكُنّس التى أقسم بها رب العالمين سبحانه مخبراً بأنها ستكون بما مَكّن الله تعالى به الإنسان من علم يحقق به خلافته فى الأرض.

(٣٢) الصلة والمناسبة بين القسم بالخنس (الاقمار الصناعية) وبين المقسم عليه (إنه لقول رسول كريم):

وهذا ما تحقق في عصرنا الراهن، أي بعد أكبر من أربعة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم، الأمر الذي يعتبر دليلاً ناصعا وبرهانا ساطعا وحجة بالغة على صحة القرآن الكريم لتضمنه سورة التكوير وغيرها من اللاتي ذكرن كل ما توصل إليه الإنسان من علوم ومخترعات تقَنِيَّة غَيرّت وجه الحياة في جميع المجالات، وزخرفت الأرض وزيَّنَت الدنيا وإمتلك بها الكافرون القوة الباطشة والرؤية الشاملة للأرض وما عليها حتى ظنوا أنهم وحدهم أهلها وأنهم قادرون عليها، فالإخبار بكل هذا قبل حدوثه دليل على أن القرآن حق، وعلى أن كل ما جاء فيه كله حق، وعلى أنه يستحيل إستحالة مطلقة أن يكون من كلام البشر، فهو ليس من قول سيدنا محمد ﷺ ولكنه من قول رسول الله عز وجل جبريل عليه السلام إلى نبى الله محمد عليه الصلاة والسلام. ومن ثم فإن المقسوم عليه (بالخنس الجوار الكنَّس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) هو أن القرآن الذى وصل اليكم أيها البشر عن طريق خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ إنما هو قد تلقاه من رسول الله إليه جبريل عليه السلام، فالمقسوم عليه هو (أنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين) فهذا القول ليس كلام جبريل، وإنما هو قائله ومبلغه للنبى المصطفى ﷺ بإعتباره رسولاً إليه من الله عز وجل وقول الرسول ليس كلاما للرسول وإنما هو قول المُرسل له والله عز وجل هو الذى أرسل جبريل إلى انبيائه ورسله وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ صاحب العرب وصاحب البشر لأنه بشر مثلهم ومن ثم فمن المحال أن يكون مجنونا كما قالوا عنه ولازال أعداء الإسلام من اليهود والنصارى يقولون هذا، لأن المجنون لايأتى بأحداث

مفصلة عن حضارة وعلوم وتقنيات ستأتى بعده بقرون عديدة ولم يكن ليخطر أحد مخترعاتها على بال أحد من معاصريه، بل ولا على بال أحد من قرن مضى.

وإن الأفق المبين الذى سترسلون إليه بسفنكم الفضائية ومحطاتكم الاتصالية وأقماركم الصناعية، هو الذى رأى فيه محمد ﷺ هذا الرسول الكريم جبريل على حقيقته لأنه ملك عظيم هائل لا يمكنكم تصوره، ورآه النبى ﷺ على هيئته التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح، ومن ثم لم يكن ليراه إلا بالأفق المبين ساداً له، فلا تغرنكم قوتكم وإختراعاتكم وعلومكم لأنه ملك الدمار والعذاب الذى استأصل بأمر الله تعالى مجتمعات وبلدان مثل قوم لوط وغيرهم ببعض قوته. فهو ذى قوة وهو مكين عند ذى العرش سبحانه أى له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة (مطاع ثَمَّ) أى مسموع القول ومطاع فى السماوات من الملائكة أى فى الملأ الأعلى فهو من سادة الملائكة وأشرافها.

(وما هو على الغيب بضنين) أى وما محمد ﷺ على الغيب ببخيل أى أنه لا يحتفظ بشيء مما يأتيه من علوم الغيب، فلا يحجزه عنكم وهذا الذى جاء فى هذه السورة هو من الغيب الزمانى المكاني الذى سيحدث بعد أكثر من أربعة عشر قرنا وقُرِئَت (بظنين) ومعناها وما هو بمتهم. كيف، وهو يخبر بما سيحدث قبل حدوثه بقرون عديدة؟!

فإذا أخبر بما حدث فى القرن الرابع عشر الهجرى وما بعده أى فى العشرين الميلادى، ورأيتم يا أهل هذا العصر أنه قد حدث فَصَدِّقُوا ما أخبركم به من نزول العذاب وما أنذركم به من أحداث ووقائع القيامة الرهيبة المرتقبة التى تَجعل الأرض حصيدا كأن لم تَغْنَ بالأمس، بعد أن أخبركم أنها ستَتزَيَّن وتأخذ زخرفها وتظنون أنكم قادرون عليها، وذلك بما توصلتم إليه من علوم ومخترعات وتقنيات وصناعات هى المُسرَّات المبهجات المتفاقمات لأن بَعْدَهَا ـ إذا لم تتوبوا وتَرجعوا إلى ربكم، وتُطَهِّرُوا أنفسكم من رجاسات إفسادة اليهود الأخيرة ـ سينزل بكم عذاب القيامة

الصغرى بنفخة الفزع، وزلزال الأرض العظيم والخسوف الثلاثة العظيمة الممتدة عن قطر إلى قطر، كما بيّن الله هذا فى كتابه وبيَّنه رسوله ﷺ فى سنته، فإذا لم تستجيبوا للتوبة: (فأين تذهبون؟!) لا ملجأ لكم من العذاب النازل، لأنه سيكون فى السماء والأرض كلها.

وما هذا كله إلا ذكر للعالمين (إن هو إلا ذكر للعالمين) لأن فيه من البراهين الدالة على صحة ما هو آت من العذاب بما تضمنه من الإخبار بمقدمات وإرهاصات هذا العذاب من أحداث ومخترعات وتقنيات قبل حدوثها، ومن ثم فهو ذكر للكافرين وللمؤمنين على حد سواء من هذا الوجه، ولكن لا ينتفع به إلا من أراد الحقيقة مخلصاً وشاء أن يستقيم ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [/٢٨/ التكوير] وإن كانت مشيئتكم الحرة غير خارجة عن مشيئة الله تعالى الكونية التى لا يتم أى شىء فى الكون صغر أم كَبُر وحَقُر أم عَظُم إلا بها ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [/٢٩/ التكوير][١].

فأنظر إلى ترابط معانى السورة كلها وأنظر إلى مناسبة القسم بالخنس الجوار الكنس وصلته بالقسم بالليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس، ثم العلاقة والصلة والوثيقة بالمقسم عليه وكون تعلق هذا كله برؤية القيامة رأى عين اى بالمسرات وبالنذير (فأين تذهبون؟) عندما تقع الزلزلة؟!.

---

(١) التكوير هى السورة الأولى من السور الثلاث الواردة فى حديث المسرات الخاصة بيوم القيامة وتبقى سورتان الإنشقاق والإنفطار وسيرد تفسيرهما فى جزء لاحق يخص أحداث السماء فى القيامة بإذن الله تعالى.

الفصل الرابع

القسم بأمارات حضارية في سورة الطور على وقوع العذاب

٣٣ - القسم بالطور يتضمن الاشارة إلى فساد البيئة الحادث فى الأرض حاليا.

٣٤ - التفسير اللغوى المحض للكتاب المسطور فى رَقٍّ منشور يصدق على الكمبيوتر.

٣٥ - التفسير اللغوى للبيت المعمور يصدق على الحرم المكى الشريف بعد توسعته.

٣٦ - قسم الله تعالى بالسقف المرفوع يصدق على المسجد النبوى الشريف بعد توسعته وتعميره.

٣٧ - البحر المسجور هو آبار البترول المشتعلة فى أماكن استخراجها أو أماكن تكريرها وفى مواضع استخدامها.

٣٨ - العذاب الذى اقسم رب العالمين بهذه الخمسة على وقوعه هو عذاب القيامة الصغرى المرتقب.

٣٣ - القسم بالطور يتضمن الإشارة إلى فساد البيئة الحادث فى الأرض حاليا.

قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ ① وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ② فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ③ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ⑧ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ⑩ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑪ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ⑬ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑭ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ⑮ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ /١ـ ١٦/ الطور﴾.

يقسم رب العالمين سبحانه فى صدر سورة الطور بخمسة، والمقسم عليه أحداث القيامة الصغرى التى هى نزول العذاب على الظالمين المكذبين بصفة خاصة، والصلة الواضحة بين القسم والمقسم عليه هى أن الخمسة المقسم بها مما يسبق القيامة الصغرى فهي من الأمارات على قرب حدوثها.

ومن ثم فلابُد أن تكون الصلة بين كل قسم من الخمسة وبين الأربعة الأخرى هى تزامنها جميعا، أى أن الصلة، هى إجتماع حدوثهم فى زمن واحد، كما سنرى، وهو ما يتمثل فى السنوات السابقات على وقوع العذاب الذى لايستطيع أحد أن يدفعه.

وجدير بالذكر أن المفسرين جعلوا المقسم به والمقسم عليه من أحداث القيامة الكبري، وهو من الأخطاء الشائعة التى سبق أن نبَّهتُ عليها من قبل فى الجزء الثانى وسننبه عليها كثيرا فيما هو آت باذن الله تعالى وعونه ومدده وتوفيقه وحوله وقوته وحده.

أما الطور، فإن معناه اللغوى المحض كما قال ابن فارس رحمه الله: الطاء والواو والراء: أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الامتداد فى شىء من مكان أو زمان... لذلك يقال: «عدا طوره» أي جاز الحد... والطُور: جبل، فيجوز أن

يكـون اسـمـا علما مـوضـوعـا، ويجوز أن يكـون سـمي بذلك لما فيـه إمتـداد طولا وعـرضـا)[1].

أما ابن كثـير رحمه الله تعالى فـقد فسر الطور في الآية بأنه الجـبل الذى يكون فيه أشـجار مـثل الذى كلم الله عليـه موسى وأرسل مـنه عيسى، ومالم يـكن فيـه شجـر لايسمى طورا، وإنما يقال له جبل)[2].

فالطور لغـة إذًا هو المرتفع الجبلى الممتد في المكان المملوء بالأشجار، فهـو سفوح الجبال الخضـراء التى تملأ أمريكا الجنوبية وجزيرة جاوة (اندونيسـيا) وماليزيا والفلبين واستراليا وكشمـير والجبل الأخضر بليبيا وجبال تهـامة الممتدة من الطائف إلى اليمن وغير هذا كثير من أرجاء الأرض.

ولهذه الجبال الخـضراء أهمية خاصة لاستمـرار الحياة على الأرض إذ أنها المصنع الربانى الذى يجدد الله به الاكـسوجين في الغلاف الجوى ويلطف مـن درجة الحرارة ويحافظ على صلاحية البيئة للحياة.

ومن ثم أقـسم به الله عـز وجل باعـتبـاره مما دبره عـز وجل لحـفظ الحيـاة بقـدرته سبحانه، بَيْدَ أنَّ ورُود القسم به على المقسم عليه وهو حتمية وقوع العذاب، يدل على أنَّ القسم بالطور أو الجبل الأخضـر بعامة، إنما هو قسم بما سيحـدثه الإنسان من فساد في البيئـة، وتدميـر لعناصر الحـيـاة، ونتيـجة لما سـيصيب الجبـال الخضـراء الممتـدة والغـابات، من تدميـر بقطع الأشجـار واحتـراقهـا بسبب الجـفاف وارتفـاع درجات الحرارة نتيجة تحول الغلاف الجوى إلى ما يشبه الصوبة الزجاجية وإحتباس الحرارة به ومن أسباب هذا تدمير الخضرة على الجبال وفي الغابات.

فالقسم بالطور اذن هو قسم بالخضرة وأهمـيتها للحياة[3] وبما طرأ على البيـئة من

---

(1) ابن فارس / المعجم/ مجلد ٣ ص ٤٣٠.

(2) تفسير ابن كثير / مجلد ٤/ ص٢٣٩.

(3) العجيب هو ظهور أحزاب الخضر في الغرب التى أهم أهدافها المحافظة على البيئة.

فساد نتيجة الصناعات وعوادم المصانع والسيارات والتفجيرات النَّووية وغير النووية، وقد ورد ذكر هذا بقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[٤١/ الروم] ونزول هذه الآية فى سورة الروم فيه إشارة إلى أن الروم بما سيكسبونه بأيديهم من اختراعات وصناعات واستخدامات بترولية هم الذين سيفسدون البيئة، وهذا حق يعترف عقلاؤهم به، ولا يقول قائل إن القسم بالطور هو القسم بجبل الطور فى سيناء، لأن العبرة بعموم اللفظ وهو ما اختاره ابن كثير.

أما ما ورد عن أن الطور جبل من جبال الجنة، فهو يؤكد هذا المعنى ولاينفيه لأن جبال الجنة لابد أن تكون شديدة الخضرة، فأهم ما فى معنى الطور هو المرتَّفعات الخضراء الممتدة.

أما الدليل على أن القسم هو بما أصاب الجبال الخضراء فى أرجاء الأرض من دمار، فهو صلة هذا القسم الأول بالأربعة التى تليه، كما سنرى من ناحية، وصلتها جميعا بالمقسم عليه من ناحية أخرى، لأنها جميعا أمور خمسة متزامنة من ناحية، ومن ارهاصات نزول العذاب من ناحية أخرى.

٣٤- التفسير اللغوى المحض للكتاب المسطور فى رق منشور يصدق على الكمبيوتر أكثر من صدقة على أى شىء آخر:-

أما قول المفسِّرين فعن (مجاهد رضى الله عنه: (وكتاب مسطور) قال: صحف، فى (رَقٍّ منشور) قال: الصحيفة. وعن قتادة رضى الله عنه (وكتاب مسطور) قال: مكتوب، فى (رق منشور) قال: هو الكتاب، وعن ابْنِ عباس فى رق منشور قال فى الكتاب).

وقال ابن كثير (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التى تقرأ على الناس جهارا ولهذا قال (فى رق منشور).

والملاحظ أن مجاهد وقتادة لم يقصرا دلالة الكتاب المسطور على الكتب المنزلة،

كما أن ابن كثيرا ذكر الخبر الدال على قصرها على الكتب المنزلة بصيغة التضعيف: (قيل) دون إسناد هذا الخبر، ومن ثم فالراجح هو عموم الدلالة على كل ما هو مكتوب من كتب بما فيها كُتُب التنزيل» فما هو الكتاب الذى يكون مسطورا فى رَقٍّ ومنشوراً أى موزعا ومعمما فى نفس الوقت؟ كما أنه يكون، بالرغم من كونه مسطورا أى مدونا فى سطور، مَقْروءاً مجاهرة، أى يمكن قراءته بالعين وسماعه بالأذن فى آن واحد؟!

أليس هو الكتاب المودع فى ذاكرة الكمبيوتر الذى يمكن إستحضَارُه على شاشته لقراءته بالعين وسماعه بالأذن كذلك؟!

بلى: أنه هو وليس غيره.

فما هى حقيقة الكمبيوتر؟ وما هى الخاصية التى يتَميز بها؟ تلك الخاصية التى لولاها لما استطاع مخترعوه إختراعه، ولما استطاع صانعُوه صناعته، أى لولاها لما كان له وجود، إن هذه الخاصية هى بلاشك خاصته الجوهرية التى تشكل حقيقته وتتحقق بها ماهيتُه ووظيفته التى صنعُوه من أجلها.

«الحاسوب» هو الترجمة العربية أو الاسم العربي لما أطلقوا عليه فى الغرب «الكمبيوتر»، وهو جهاز يخزن الأرقام، ويتم به اجراء عمليات حسابية من إضافة الاعداد أو التنقيص منها، بما يُعرَف بالجمع والطرح والضرب والقسمة بسرعة فائقة، ومن ثم استحق اسم الحاسوب بصيغة المبالغة.

وكان الجيل الأول منه يشغل حجم حجرة كبيرة حيث كان مصنوعا من دواليب (دوائر من الأرقام) تتحرك بتروس الآلة أو الساعات القديمة.

ولكن بعد اكتشاف الدائرة الكهربائية «المنمنمة» المعروفة بالترانزستور، بدأ عصر الحاسوب الألكترونى إذ تمكن العلماء والمهندسون من تخزين الأعداد فى صورة الصفر والواحد. باعتبارهما وحدتيْن يتركب منهما الأعداد التى تصل إلى عشرة

أرقام، وذلك عن طريق التحكم فى الألكترون، فأمكن تخزين الأعداد المطلوبة مع برمجة خاصة للجمع والطرح والضرب والقسمة بحيث تتيح هذه البرمجة التحكم فى هذه العمليات وإستحضار النتائج، فى صورة أرقام مقروءة على شاشة صغيرة ثم تطورت أجيال الحاسوب بإدخال البرمجة التى أتاحت التوسع فى أشكال وأنواع العمليات المطلوبة حسب البرنامج أى النظام المودع فيه، فظهرت الساعات الرقمية والآلات الحاسبة الهندسية المعقدة التى تجرى العمليات المعقدة فى ثوانى معدودة تلك العمليات التى كان ينجزها عدد كبير من الرياضيين الأذكياء فى زمن طويل.

ثم أمكن تَحويل كل حرفَ من حروف الإنجليزية، ثم بعد ذلك العربية واللغات المختلفة إلى أرقام الكمبيوتر التى تتكون من الصفر والواحد، ومن ثَمَّ أمكن تخزين العبارات اللغوية، واستحضارها على الشاشة مكتوبة بنفس الخط حسب البرنامج المودع فيه، ومع إتساَع ذاكرته أصبح فى الإمكان إيداع كتابا فيها واستعادة أى عنوان وما تحته أو أى صفحة منه حسب المطلوب، وذلك حسب البرمجة المودعة مع الكتاب بسرعة ودقة بالغتيْن.

ومع تطور أجيال الكمبيوتر خلال الثلاثين سنة الأخيرة وبصفة خاصة العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين صار من الممكن تخزين كميات هائلة من الكتب فى ذاكرة كمبيوترية حجمها لم يكن يتسع لكم هائل من المعلومات يصل إلى مكتبة عالم، ثم ظهر الجهاز الذى يمكن أن تسع ذاكرته مكتبة جامعة. ثم ظهرت الأقراص المبرمجة التى يودع فى الواحد منها عشرات المجلدات فى التفسير وأخرى فى الحديث.

وبالرغم من هذا التوسع العظيم فى ذاكرة الكمبيوتر إلا أن حجمه ظل كما هو بنفس الحجم الذى ظهر به فى جيله الأول والسر فى توسيع الذاكرة.

ولم يكن تطوره في توسيع الذاكرة فحسب، بل إن وظائفه تعددت حتى لم يَبْق مجال من مجالات النشاط الإنسانى إلاَّ وتغلغل فيه الكمبيوتر وأصبح له فيه الإنجاز الدقيق والسريع.

فكيف تمكن العلماء من تطوير هذا الجهاز حتى صار يسع من المعلومات المختلفة المتنوعة أعداداً وكلمات وصوراً ورسومات هندسية وخرائط ولوحات ملونةً وكتباً في جميع المجالات؟! وباختصار كل ما يُطلق عليه معلومات في أي منحى من مناحي الحياة وفي أي نشاط إنساني أيًا كان نوع هذا النشاط، حتى صار الجهاز الواحد يمتلىء بما معه من أقراص بمحتوى المكتبة أو المكتبات العامة؟ هذا بخلاف الأجهزة الصناعية والزراعية والطبية والتعليمية والفنية والرياضية والأعلامية والترويحية وغير ذلك كثير.

فما هو السر الذي تمكن به العلماء والمهندسون من تطويره ليقوم بهذا كله في مدة وجيزة لاتزيد على أربعين عاما من عمر الزمن حتى صار أخطر جهاز أو اختراع حضاري عرفته الإنسانية حتى الآن.؟

السر هو فيما أطلق عليه رب العالمين سبحانه (رَقٍّ منشور) هذا الذي يودع فيه الكتاب المسطور. وهو هو ما أطلق عليه العلماء والمهندسون بالإنجليزية «شيبس» أي رقائق.

قال ابن منظور في اللسان (رَقَقَ: الرقيق نقيض الغليظ والثمين، ورقَّ يرق رقة فهو رقيق ورقاق، وأرَقَّ ورقَّقَه والانثى رقيقة ورقاقة.... والرَّقُّ: الشيء الرقيق، ورَقٌّ جلد العنب: لطف... والرِّقُّ الصحيفة البيضاء، غيره: الرَّق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى ﴿في رَقٍّ منشور﴾ أي في صحف).

فإذا علمنا أن ذاكرة الكمبيوتر التي تخزن فيها المعلومات تتكون من أعداد كثيرة جدا من الرقائق تبين لنا أن إتساع هذه الذاكرة أي زيادة قُدْرتها على تخزين المعلومات مع بقاء حجم الجهاز على ماهو عليه يرجع إلى التقدم في صناعة هذه الرقائق وموصلاتها حتى صار سمك الرقيقة جزءاً ضئيلا جداً من الملليمتر هذه الرقيقة وموصلاتها أي «الترانزستور» أخذت أطواراً خلال أجيال، كان كل جيل يُوغل في الرِّقة، وهو ما أطلقوا عليه عملية النَّمْنَمَة، أي التصغير والتَّرقيق في كل طور عن الذي يسبقه. حتى وصل الترقيق بالنسبة لهذه الرقَائق الكمبيوترية (الشيبسات) أن الجهاز العادي المستخدم في المنازل تحتوى ذاكرته على بضعة عشر مليونا من الرقائق وموصلاتها من الترانزستورات.

فإذا تتبعنا أطوار أحجام الرقائق الكمبيوترية وجدنا أن الترانزستور الذى كان فى حجم سنتيمتر مكعب أو أقل عام ١٩٥٧ صار بالنمنمة أى الترقيق لايزيد حجمه عام ١٩٦٤عن حجم حبة الملح، ثم توصلوا بتصغير سمك الرقيقة (الشيب) أصغر فأصغر إلى سمك متناه فى الدقة كما يتضح لنا من مما يلى:-

فى سنة ١٩٦٠ كان سمك الرقيقة ٤٠ ميكرون ثم صارت فى ١٩٦٦، ٩ ميكرون ثم فى ١٩٧٠ صارت بسمك ٨ ميكرون ثم فى سنة ١٩٧٣ صارت ٧ ميكرون ثم صارت بسمك ٥ ميكرون سنة ١٩٧٥ ثم ازدادت رقة فى سنة ١٩٧٨ فصارت بسمك ٤ ميكرون ثم صارت بسمك ٣ ميكرون فى سنة ١٩٧٩ وازدادت فصارت بسمك ٢ ميكرون سنة ١٩٨٢ ثم بسمك ٥ر٠ ميكرون سنة ١٩٨٦ ثم وصلت إلى ٣٥ وسنة ١٩٩٦ وهذا يدل على أن الترقيق تضاعف قرابة ١٢٠ ضعفا خلال خمسة وأربعين عاما تقريباً، وتوقع كاتب المقال الوصول عام ١٩٩٨ إلى وجود شيبات (رقائق) معروضة فى الأسواق مقاسها ٢٥ر٠ ميكرون او ميكرومتر تحتوى هذا المجموعة من الشيبات على عشرة ملايين ترانزستور، والمتوقع ان تصبح مقاسها فى سنة ١٩٩٩، ١٨ر٠ مكرومتر ثم فى سنة ٢٠٠١ تصبح مقاسها ١٣ر٠ مكيرو وتحمل عشرة ملايين من الترانزستورات. والميكرومتر ١ من مليون من المتر. وانظر إلى أى مدى فى الدقة وصل الرق المنشور[1].

فإذا علمنا أن كل رقيقة دائرة كهربائية متكاملة، تَبيَّن لنا بوضوح أن تضخم سعة الذاكرة طورا بعد طور، رغم ثبات حجم الجهاز يرجع إلى عملية «النمنمة» وهو المصطلح المعبر عند مؤرخى هذا الجهاز عن الايغال فى التصغير أو الترقيق.

والحق أن اللفظ العربى الصحيح هو الترقيق لأن التَّرقيق هو اللفظ المناسب لوصف العملية التصنيعية التى جعلت سمك الرقيقة بموصلاتها لاتزيد عن جزء من أربعه آلاف جزء من المليمتر وصالحة لتخزين المعلومات فى صورة فوتونات معبرة عن الواحد والصفر اللذين يتكون منهما الأعداد التى تترجم إلى والحروف والألوان والخرائط والرسوم والبرامج، وكلها معلومات. ومن ثم أطلقوا على هذا النشاط بحق أنظمة المعلومات ومع التطور صارت المعلومة المستحضرة أو الصفحات المستحضرة من كتاب فى ذاكرة الكمبيوتر مسموعة بالإضافة إلى كونها مقّروءة على شاشته الصغيرة.

---

(١) مجلة العلوم المجد ١٢ العدد ١٠ اكتوبر ١٩٩٦ صفحة ٣٤.

وقامت بعض المؤسسات العربية العاملة فى هذا النشاط بإخراج برامج كومبيوترية فى «ديسكات كومبيوترية» للقرآن الكريم والسنة بأصوات مختلف القراء تتيح الاستماع إلى السورة المطلوبة من المقرىء المفضل مع متابعة الآيات على شاشة الجهاز فأصبح القرآن الكريم مسطوراً فى رق منشور وصدق التأويل الذى أورده ابن كثير للآية وهو التأويل القائل الكتب المنزلة التى تقرأ على الناس جهارا وإن كان المعنى اعم من هذا بكثير.

فما هى الكيفية التى تكون فيها الكتب المنزلة مسطورة فى رقائق منشورة ويتمكن الناس بها من قراءة آياتها وسورها بالنظر مع سماعها جهارا بالأذن فى آن واحد إلا بالحاسوب أو الكمبيوتر.؟!

وهو فى نفس الوقت له من الخطورة فى حياة الإنسان فى السلم والحرب حتى ليعتبر بحق من أهم وأقوى ما مكن الله تعالى به الإنسان فى الأرض، ومن ثم اقسم الله عزوجل به على وقوع العذاب الذى ليس له من دافع، أى أنكم إيها الكافرون لن تَدْفَعُوا عن أنفسكم العذاب النازل من السماء بالهدّة أى النيازك حتى بكل ما أوتيتم من قوة بما فى ذلك الكمبيوتر الذى تستخدمونه فى السلم والحرب على السواء حتى ظننتم أنكم قادرون على حماية الأرض منها.

أما قوله تعالى: ﴿منشور﴾ أى أنه صار معمما حتى دخل بيوت أكثر القادرين على شرائه وهم يعدون بعشرات وربما بمئات الملايين علاوة على الإستخدامات العامة فى المصالح والدواوين والمصانع والجيوش وجميع أنشطة الحياة العامة.

أن سر ظهور الكمبيوتر اذن هو التقدم التقنى فى صناعة الرقائق الترانزستورية فجوهر حقيقة الكمبيوتر هو هذا الرق المعمم أى الممكن تصنيعه بكميات إقتصادية قابلة للنشر أى التوزيع والتعميم فى الأسواق بعد أن امكن تخزين الكتب التى كانت المخزن الوحيد للمعلومات فى هذه الرقائق التى هى جمع «رَقّ» ومن ثم صار الكتاب مسطورا فى رق منشور.

فإذا ذكرنا أن العلماء والمهندسين تمكنوا من إنتاج الأقراص المبرمجة المعروفة باسطوانات الليزر والتى يمكن للقرص الواحد منها أن يحمل أكثر من خمسين مجلدا كبيرا من المصادر المعلوماتية حتى أن اسطوانة واحدة منها تستوعب العديد من كتب التفسير واللغة وأخرى كتب الحديث والرجال.

وحيث أن هذه الاسطوانة لايتعدى سمكها ملليمتر واحد ومن ثم يصح أن تسمى رقيقة وحيث أن لهـا وجهان كالصحيفة الواحـدة، فإن هذا يصدق على التأويل الذى فسر الكتاب المسطور في رق منشور بالصحيفة.

أما كونه منشورا أى موزعا ومعممـا فيكفى تفسيرا لهذه الكلمة أن تعلم أنه قد تم بيع أكثـر من ٤٠٠ مليون جهـاز لتشغـيل هذه الأقراص يُلحق بالكمبـيوتر و٦ بلايين قرص أو اسطوانة فى بضع سنوات بعد ظهور هذا التطوير فى الكمبيوتر.

أفليس هذا هو معنى قوله تعـالى الكتـاب المسطور فى الرق أنه منشور أى مـوزع ومعمم؟!

فهل بعـد هذا التفصـيل الذى أظهر المطابقـة التامة بين هذا القـسم الالهى الكريم وبين جهاز الكمبيوتر ووظيفته ومهامه وفوائده حسب استعمالاته المعاصرة اعتراض لاحد على تفسير الكتاب المسطور فى رق منشور بأنه الحاسوب (الكمبيوتر)؟!

أن استخدامـات هذا الجهاز فى شتى نشاطات الحياة الإنسـانية حتى أنهم بدونه لم يكن لهم أن يَتَقَدَّموا فى غزو الفضاء، هى جميعا بلاشك من المُسِّرات المتفاقمات التى هى من أحداث المرحلة الأولى ليوم القيامة الصغرى.

ولاشك أن مجيء القـسم به بعد القسم بالـطور يدل على إرتباطهمـا بزمن واحد وهى الحقب الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين الميلادى، إذ بدأت مشاكل البيئة تظهر من السبعينات مع بدء ظهور الكـمبيوتر، وتفاقما معا حتى إزداد فـساد البيئة مع زيادة تغلغل الكمبيوتر فى شتى مناحى الحياة.

٣٥ - التفسـير اللغوى (للبيت المعمور) يصدق علي الحـرم المكى الشـريف بعد توسعته وإستيعابه لأكثر من مليونى مصلى.

روى الحاكم فى المستدرك والبيهقي فى شعب الإيمان وغيرهما (عن النبى ﷺ قال: البيت المعـمور فى السمـاء السابعة يدخله كل يوم سـبعون الف ملك لايعـودون إليه حتى تقوم الساعة)(١).

(١) السيوطى / الدر المنثور جـ٤ ص١٢٩.

وأورد السيوطي في الدر المنثور أيضا ما رواه (ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقي فى الشعب عن خالد بن عرعرة أن رجلا قال لعلى رضى الله عنه: ما البيت المعمور قال: بيت فى السماء يقال له الضراع وهو بحيال مكة من فوقها، حرمته فى السماء كحرمته فى الأرض، يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لايعودون إليه أبدًا)(١) وفى رواية أخرى مرفوعة للنبى ﷺ قال (لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة)(٢).

وأورد السيوطى رحمه الله أيضا ما أخرجه ابن جرير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: لما عَرَجَ بى الملك إلى السماء السابعة إنتهيت إلى بناء فقلت للملك: ما هذا؟ قال: هذا بناء بناه الله للملائكة يدخله كل يوم سبعون الف ملك يسبحون الله ويقدسونه ولا يعودون إليه(٣).

فإذا علمنا أن الحرم المكى الذى فوقه البيت المعمور فى السماء السابعة الذى يخص الملائكة، قد صار فى عصرنا الراهن معمورا بأكثر من سبعين ألف مصلى وطائف وعاكف وناظر إليه كل يوم، وبأكثر من سبعمائة ألف مصلى يوم الجمعة، وأضعاف ذلك فى مواسم العبادات يأتون من كل فج عميق من قارات الدنيا القديمة والجديدة، وأنه قد حدث فيه من التوسعة ومن التعمير الانشائى والتحسينى والجمالى مالم يحدث فيه من قبل فى تاريخ البشرية المكتوب. وأنه صار مُضَاءا طول الليل بضوء كضوء النهار، وبلغت ساحات الصلاة فوق سطحه وخارجه شرقا وغربا ما يجعله يستوعب أكثر من مليونى مصلى فى آن واحد. إذا علمنا هذا وغيره عن الحرم المكي الشريف فى هذين العقدين الأول والثانى من القرن الخامس عشر وهما التاسع والعاشر من القرن العشرين، جاز لنا بمقتضى المنطوق اللغوي المطابق تماما للواقع التعميرى الإنشائى وبكثرة رواده أن نقول: إن القسم الإلهى الكريم بالبيت المعمور يصدق على الحرم المكى الشريف فى عصر القيامة الصغرى.

(١ , ٢) السيوطى / الدر المنثور جـ٤ ص١٢٩.

(٣) السيوطى الدر المنثور جـ٤ ص١٣٠.

يؤكد صحة هذه المطابقة ودقتها التزامن بين تعمير البيت بهذا الوصف المشهود للجميع وبين فساد البيئة وشيوع إستخدام الكمبيوتر.

وكذلك تزامن هذه الأقسام الثلاثة بالقسمين الباقيين من الخمسة، كما سنرى بعد بإذن الله تعالى.

٣٦ - قسم الله تعالى بالسقف المرفوع يصدق على المسجد النبوى الشريف بعد توسعته الأخيرة والنهائية.

أما ما ورد من آثار فى تفسير هذا القسم (فعن على ابن أبى طالب رضى الله عنه في قوله تعالى «والسقف المرفوع» قال: السماء. وعن الربيع بن أنس فى قوله والسقف المرفوع قال العرش. وعن مجاهد السقف المرفوع»: السماء)(١).

وبمحض اللغة كل مايعلو البناء الذى يتواجد فيه المخلوق فهو سقف، وإذا كان خارج أى بناء من إنشاء البشر فهو سماء، وكل سقف يعلو المخلوق، حتى ولو كان من إنشاء البشر فهو سماؤه أيضا قال تعالي ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ/١٥/ الحج﴾ ولاخلاف بين المفسرين فى تأويل قوله (فليمدد بسبب إلى السماء أى فليعلق حبلا فى سقف داره، ثم ليشنق نفسه، فالسماء فى هذه الآية هى السقف. وكذلك وصف الله تعالى السماء الدنيا بأنها سقف فقال ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [/ ٣٢/ الأنبياء]، وهذه هى سماء الدنيا التى هي الطبقة التى تعلو الغلاف الجوى وتحمى الأرض من الموجات الفوق بنفسجية، فهى سقف محفوظ من هذه الموجات لأنها تكف هذا الموج وترده عن الأرض، فهذه الآية تتضمن إعجازا علميا.

والسقف الذى أقسَمَ به الله عز وجل جاء مُعَرفًا بالالف واللام، مع أنه يكون

---

(١) السيوطى / الدر المنثور/ مجلد ٤/ ص١٣٠.

مرفوعا سواء أكان مرفوعا بعمد مرئية أم بعمد غير مرئية قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [١/٢/ الرعد].

والمفسِّرون بين قَوْلَيْن: أن الله تعالى رفع السماء بعمد لا نراها. والآخر: أن الله تعالى رفع السماء بغير عمد. وسواء صح هذا أو ذاك فالسماء مرفوعة فى كلا الحالَيْن، وكذلك السقف، لابد أن يكون مرفوعا حتى يعلو الرؤوس، ولامعنى لسقف غير مرفوع، لأن جوهر حقيقة السقف، ومكمن تحقيق وظيفته أو الهدف من وجوده هو فى أن يكون مرفوعا ولو لم يكن مرفوعا لما صار سقفا يُستظل به.

فما معنى أن يقسم الله عز وجل بالسقف المرفوع؟

فهل هو قسم بالسماء.؟

لوكان المراد القسم بالسماء لاقسم الله تعالى بها بلفظ السماء. كما أقسم بها فى سورة الشمس بقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [/٥/ الشمس].

ومن ثم نستبعد هذا التأويل، إذ يقتضى السياق أن يكون هذا القسم الرابع من الخمسة قسمٌ بشىء متزامن مع الأقسام الثلاثة السابقة ومن جنسها وأن يكون هذا التأويل مُتَضَمِّناً لعنصرين هامين لازمين بمقتضى المنطوق اللغوى لعبارة «السقف المرفوع»، هذان العنصران هما: كونه سقفا من ناحية، وكونه مرفوعا رفعا غير الرفع اللازم لجوهر حقيقة السقف من ناحية أخرى.

والالكان يكفى القسم بالسقف فقط، ومن ثم لو اعتبرنا الرفع الموصوف به السقف في القسم هو الرفع اللازم لكل سقف لصار اللفظ (المرفوع) زائد عن الحاجة أى يكون هذا إطنابا ولفظا بلا معنى زائدا وحاشا لله تعالى أن يكون فى كلامه مثل هذا وهو الكلام البليغ المعجز.

ولكن يتحقق لنا الكشف عن العنصرين اللازمين للمنطوق اللغوى، واهمهما الرفع الزائد والمغاير عن الرفع اللازم للسقف، نقول: إذا كان القسم الالهى بالبيت المعمور قسماً بالمسجد الحرام فى زمن التوسعة الحضارية المتزامنة لعصر فساد البيئة

والكمبيوتر، وتوسعة الحرم المكى حتى صار معمورا كالذى فى السماء ونظراً لحدوث نفس التوسعة الحضارية للمسجد النبوى الشريف وفى نفس الفترة الزمنية، أفلا يكون القسم بالسقف المرفوع قسما بالمسجد النبوى الشريف فى عهد هذه التوسعة؟!

لقد اقسم الله تعالى بالبلد الحرام فى زمن عيش حبيبه وخاتم رسله محمد ﷺ فيه فقال تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [١-٢/ البلد] فكان قسما بأحب البقاع إليه سبحانه حين كان أحب خلقه إليه حالا فيه. وأقسم سبحانه بأحب البقاع إليه فى زمن التوسعة والتعمير المعاصر كما أثبتنا.

فهل يتبع قَسَمَ الله تعالى بالمسجد الحرام فى هذا العصر الذى ليس فيه حبيبه ﷺ قَسَمُه سبحانه وتعالى بالمسجد النبوى الشريف الذى فيه مثوى حبيبه ﷺ؟ نعم والقسم بالسقف المرفوع هو قسم بالمسجد النبوى الشريف بعد توسعته الأخيرة بإعتبار هذا علامة على قرب وقوع عذاب القيامة الصغرى وهو المقسم عليه، وباعتبار أن الأقسم الخمسة فى سورة الطور ما هى إلا أقسام بأحداث حضارية وعلى رأسها فساد البيئة الذى جاء نتيجة مباشرة لما أنتجته هذه الحضارة من مصانع واستخدامات لمشتقات البترول المختلفة والتى لولاها كلها ما تمت توسعة الحرمين الشريفين وتعميرهما المعاصر: إنشاء وتَعْميرا بالمصلين، بل ولما وُجِدَ المال الذى تتم به هذه التوسعة، ومن ثم لابد أن يكون القسم بالسقف المرفوع قسماً بشىء حضارى أيضا ويدل فى نفس الوقت على تسوعه المسجد النبوى بعد أو مع توسعة المسجد الحرام.

إن المسجد النبوى الشريف بعد توسعته وتعميرة بالأساليب الحضارية المعاصرة يحتوى على ثمانية أسقف متحركة هى عبارة عن ثمان قباب قابلة للرفع تماما حتى أن الناظر من تحتها بعد رفعها يرى السماء مباشرة. ويتم رفعها بتحركها على مجارى (رولمان بلى) وبمحرك كهربائى.

هذه التقنية كانت مستحيلة من قبل، وقد ذكرت فى صيغة القسم للدلالة على حال المسجد النبوى الشريف فى العقد الثانى من القرن الخامس عشر الهجرى وهو العقد الأخير من القرن العشرين.

وهذا التفسير يتوفر فيه عنصرا المنطوق اللغوى وهو كون كل واحد من هذه القباب سقفا مرفوعا على جوانب أربعة مثل كل الأسقف، ثم هو يُرفع حسب الطلب رفعاً نهائياً فتنكشف السماء للناظر من تحته كأنه لايوجد ولم يكن يوجد سقف، وهذا معنى الرفع المعرَّف بالألف واللام، فهو سقف أحيانا، وهو مرفوع عن جوانبه أحيانا أخرى. وتلك هى الدلالة اللغوية لمنطوق هذا القسم، والعلاقة بين هذا القسم وبين ما سبقه واضحة من حيث أنهما حدث حضارى من ناحية، وتم ظهورهما خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين الميلادى الأول والثانى من القرن الخامس عشر الهجرى من ناحية أخرى، والمقسم عليه كما قلنا هو أحداث القيامة الصغرى المتضمنة للآيات الثلاث الأولى من آيات الساعة العشر: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وقد اثبتنا أن الآية الرابعة هى الخروج العلنى للمسيح الدجال الذى يُرى فيه بالأعين. ومن ثم وحسب الحديث الوارد عن المسيح الدجال عندما يأتى المدينة ويقف علي أبوابها ولايدخلها، فإن المسجد النبوى يكون قصرا أبيضا وهذا ماتم بالتوسعة والتعمير المعاصر حيث صار المسجد من الفخامة والاتساع والأبهة ماصار به قَصْرًا أبيضاً بحق.

ألا ترى أخى المسلم اذا كنت ممن مَنّ الله عليك بالحج أو العمرة وبزيارة رسول الله ﷺ أن منظر المسجد النبوى من مكان مرتفع على أبواب المدينة المنورة يبدو للناظر كالقصر الأبيض الزاهر نهاراً فى ضوء الشمس، وكذلك ليلا بالأضواء الساطعة المسلطة على سقفه وجوانبه؟!

هذا المنظر يدل على اقتراب يوم الخلاص، خلاص المدينة المنورة من المنافقين حين يأتى إليها الدجال ويقف خارجها تمنعه الملائكة من دخولها.

روى أحمد بن حنبل والحاكم فى المستدرك (عن محجن بن الادرع قال قال النبى ﷺ: «يوم الخلاص وما يوم الخلاص يوم الخلاص وما يوم الخلاص؟ قال: يجىء الدجال، فيصعد أُحداً فيطلع فينظر إلى المدينة ويقول لاصحابه: ألا ترون إلى هذا

القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتى المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها ملكا مُصْلتاً فيأتى سبخة الجرف فيضرب رواقة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلايبقى منافقٍ ولا منافقة ولافاسق ولافاسقة إلاَّ خرج إليه، فتخلص المدينة فذلك يوم الخلاص)(١).

حقا لقد صار المسجد النبوى قَصْرا أبيضًا وتم بناء القصر الملكى خارج المدينة بموضع يقال له اليوم سلطانة، وهو نفس الموضع المذكور فى الحديث باسم سَبْخَة الجرف، ومعلوم أن الدجال عندما يخرج سيزعم أنه رب العالمين، وأنه ملك الدنيا ومن ثم فلا يتصور أحد نزوله ومَبِيتَه فى أى موضع يمر به إلا بالقصور الملكية.

فهذا الخبر دليل جديد على صدق نُبُوته ﷺ إذ أخبر عن مسجده الذى كان مبنيا فى عهده بالطوب اللبنْ وسعف النخيل أَنه سيصير فى آخر الزمان قصرا أبيضًا وسيكون بسبخة الجرف (سلطانة) قصرا ينزل فيه الدجال؛ وكل هذا دليل على القرب الشديد لنزول العذاب وحدوث الخسوف وتسلسل الأحداث كما ذكرناها من قبل.

هذا القصر الأبيض أو المسجد النبوى فى صورته المعمارية المعاصرة لزمن الآيات أحداث القيامة الصغرى هو الذى أقسم الله تعالى بأسقفه الثمانية التى يمكن رفعها عند الحاجة باعتبار السقف المرفوع اسم جنس لهذه الاسقف وفى نفس الوقت علامة حضارية تدل على حالة مسجد حبيبة المصطفى ﷺ فى عصر القيامة الصغرى الزمن السابق مباشرة على خروج الرجال، والله تعالى أعلى وأعلم.

٣٧- البحر المسجور هو آبار البترول المشتعلة فى أماكن استخراجها(٢) أو أماكن تكريرها وفى مواضع استخدامها: -

لقد سبق أن تحدثنا عن هذا القسم مع بيان إحدى المُسِرَّات المتفاقمات وهى قوله

(١) عن كنز العمال للشيخ على المتقى الهندى جـ١٤ حديث ٣٨٨٣٣ ومعنى مصلتا اى مشهر اسلامه فى وجه الدجال.

(٢) نقصد بالاشعال فى أماكن التكرير والاستخراج اشعال الغازات المنبعثة من تحليل مكوناته فى صورة شعلات مرتفعة فى معامل التكرير

تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [/ ٦ / التكوير] وعقدنا بينهما مقارنة فالبحر المسجور المقسم به هنا هو بحر البترول وهذا ما يدل عليه التفسير بالأثر وإن كان السلف الذين وردت عنهم هذه الآثار لم يعلموا أنها بحار البترول، وإنما كان تفسيرهم لها تفسيرا لغويا أو بأخبار مأثورة مصدرها الوحى من غير أن يتصوروا أن هذا سيكون كائنا بالصورة التى تستخدم فيها البشرية هذا البحر الآن.

أورد السيوطى فى الدر المنثور (أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله تعالى: (والبحر المسجور) قال: المحبوس، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله: والبحر المسجور قال المرسل.. وعن مجاهد فى قوله: والبحر المسجور قال هو الموقد، وعن قتادة فى قوله والبحر المسجور قال المملوء.. وعن ذى الرمة عن ابن عباس فى قوله والبحر المسجور قال: الفارغ، خرجت أمة تستقى فرأت الحوض فارغا فقالت الحوض مسجور)(١).

فما هو البحر الذى يكون محبوسا ثم مرسلا ثم موقدا ثم فارغا؟!

وكأن هذا السؤال لغزا يعجز السابقون عن الاجابة عليه، بيد أن أى معاصر يقول على الفور أنه بحر البترول أو الغاز الطبيعى. ظل محبوسا عشرات أو مئات أو ملايين السنين ثم صار مرسلاً باستخراجه فى العصر الحديث، ثم إرساله إلى مواضع تكريره ثم استخدام مشتقاته فيكون مُوَقَدًا، ثم بعد ذلك يصبح فارغا.

وبسبب هذه الاستخدامات فسدت البيئة، وتلك هى علاقته بقسم الله تعالى الأول بالطور، ثم إن بحر النفط، هذا أحد أسباب التقدم العلمى والتقنى والصناعى وبه تتولد الكهرباء وبه وبغيره تقدمت الصناعات الالكترونية، ومنها صناعة الكمبيوتر، وبثمنه تم تعمير البيت الحرام ليس بسبب ثمنه الذى أغنى الله به أهل الجزيرة بعد غلائه فقط، ولكن أيضًا لأن التعمير الذى تم فى المسجد الحرام، تم بكل الانجازات الحضارية فى جميع المجالات: الإضاءة والصوتيات والانشاءات الحديثة، وكذلك ما

---

(١) السيوطى/ الدر المنثور ص٢ ص١٣١.

تم فى المسجد النبوى الشريف بما فيه السقف المرفوع، أى أن التعمير كان بكل المسرات المتفاقمات.

فكلها متصلة ببعضها، إذ لم يكن ليتم أحدها إلا بالأربعة الأخرى، وكلها فى نفس الزمن تقريباً فهى متعاصرة بل ومتزامنة، وجميعها مقدمات وإرهاصات على قرب وقوع العذاب الذى هو المقسم عليه، لأن المقسم به إذا وقع فلنرتقب وقوع المقسم عليه.

٣٨ - العذاب الذى اقسم رب العالمين بهذه الخمسة على وقوعه هو عذاب القيامة الصغرى المرتقب: -

والدليل على هذا أنه يقع فى الدنيا قبل حدوث القيامة الوسطى علاوة على الكبرى، وهذا، ما يدل عليه السياق.

(١) فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ يدل على أنه فى الدنيا لقوله تعالى عن العذاب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ فوقوعه لا يكون إلا على الأرض أما العذاب فى الآخرة فهو فى جهنم والعياذ بالله منها، ومن ثم فهو لا يقع على المعذبين وإنما يهوى الكافرون فيها ويقعون عليها ولا يقع عليهم العذاب وإنما هم الذين يقعون عليه.

(٢) قوله تعالى: ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ يدل على أن ثمة محاولة سيقوم بها الذين يظنون أنهم قادرون عليها بما أوتوا من قوة باطشة، وفى هذا اشارة لمحاولة الولايات المتحدة ومن سيتعاون معها من الدول النووية بمحاولة دفع النيازك الفخمة المحدثة للهدة باعتبارها أول حدث من أحداث الخسوف والزلزال ومسببة لهما. والنفى يدل على فشل المحاولة التى ستكون من الأمريكان واللذين معهم لمنع الهدة بقذفها قبل دخولها الغلاف الجوى بصواريخ محملة برءوس هيدروجينية، تلك النيازك المحدثة للهدة التى ستتسبب فى حدوث الخسوف والزلزال وقد سبق الحديث تفصيلا عنها فى الجزء الأول. وقوله تعالى ﴿مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ يدل على

حدوث المحاولة ثم فشلها وآخر ما نشرته أجهزة الإعلام عن هذه النيازك الضخمة المتجهة نحو الأرض، والتي تراقبها أجهزة ناسا أن الولايات المتحدة طلبت من الدول الفضائية التعاون معها لمراقبتها ومواجهتها إذا لزم الأمر.

(٣) قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ يدل على أنه فى الدنيا قبل القيامة الوسطى، لأن الوسطى ليس فيها أحداث هدم فى السماء أو الجبال أو الأرض، كما أن الجبال فى القيامة الكبري لن تكون إلا عهنا منفوشا كما وضحنا هذا من قبل.

(٤) قوله ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين سيكون لهم أعظم نصيب من هذا العذاب ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أى عندما يأتيهم العذاب يكونوا يومئذ فى خوضهم يلعبون، وهذا ليس من أحوال الحشر يوم البعث والحساب. فدل على أن يوم وقوع العذاب عليهم وهم يلعبون أى يكونون فى الدنيا فى عصر مُسرَّات يوم القيامة التى منها هذه الخمس التى أقسم الله بها، وتكون حياتهم لعبا ولهواً أى رياضةً وفنًا، وهم يخوضون بالالحاد حتى يسمحون بنشر ما أطلقوا عليه آيات شيطانية باسم حرية الفكر والعقيدة والنشر فى الوقت الذي يذبحون فيه المسلمين أطفالا وشيوخًا ونساء لا لشىء إلا لانهم مسلمون، ولم يقع هذا الذبح على المسلم الغريب عنهم بل وأدوا الجنين الذى ستلده أميرتهم المحبوبة لمجرد أنه سيولد مسلما، هذا هو خوضهم الذى فيه يلعبون والذي سيجلب عليهم عذاب يوم القيامة الرهيب.

الباب الثالث

الإمارات العلمية والتكنولوچية في المجالات المدنية والعسكرية في الكتاب والسنة

الفصل الأول

وسائل السفر والنقل المعاصرة

في الكتاب والسنة

(٣٩) التفسير اللغوى المحض للمرسلات عرفا وأخواتها يصدق على وسائل المواصلات المعاصرة: برية وجوية وبحرية أكثر من صدقه على أى شئ آخر:-

تشكل وسائل السفر والانتقال المعاصرة ظاهرة حضارية متقدمة، حتى أصبحت إحدى السمات المميزة لهذا العصر، وهى التى جعلت العالم أو الكرة الأرضية قرية صغيرة، ولم يكن هذا ليتم لولا التقدم الصناعى العلمى التقنى، ليس فى مجال الحركة (الميكانيكا) فحسب، بل فى مجالات الاكتشافات والاختراعات السمعية والبصرية والكيماوية والبيئية وغيرها.

إن هذه الوسائل تدخل فى حياة البشرية فى السلم والحرب، وأصبحت عاملا رئيسيا وحاسما فى تسارع الاحداث التاريخية بشكل لم تشهده الإنسانية فى تاريخها المكتوب.

وإذا قرأنا القرآن الكريم نجد أنَّ الخالق عزوجل قد مَنَّ على الانسان بخلق الخيل والبغال والحمير التى ينتقل بها ويحمل عليها أثقاله فى سفره وانتقاله الفردى.

وكذلك مَنَّ الله تعالى علينا بالأبل والسفن التى استخدمها الإنسان فى السفر الجماعى ونقل البضائع .

فقال تعالى عن وسائل السفر والنقل الجماعية: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾[يس] وقال عن الوسائل الفردية﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[النحل/٨].

أفلا يتضمن كتابه الحكيم سبحانه ذكرا لوسائل السفر والركوب الجماعية

المعاصـرة المنتظمـة المتتابعة وماوراءها من مؤسـسات وأجهزة ومهـندسين وسائـقين وفنييـن وإداريين وعلماء وبـاحثين؟! بغيْرهـم ماكان لها أن تنـتظم وتتابع فـي مواعيد محددة بشكل دورى حتى أصبح الانتقال مـن حى الى حى داخل المدينة ومن بلد إلى بلد داخـل القطر ومن دولـة إلى دولة داخل القـارة ومن ميناء إلـى ميناء داخل الـبحر الواحـد أو المحيط ومـن قارة إلى قـارة ومن محـيط إلى مـحيط أمـراً ميسـوراً بالليل والنهار وعلى مدار العام والشهر والأسبوع واليوم وبانتظام؟!

بلى والله، لقد تضمن القرآن الكريم هذا النبأ العظيم ليس تلميحا بل تصريحا.

فقال تـعالى ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [١-١٥/ المرسلات].

يقسم الله تبارك وتعالى بالمرسلات ومابعـدها والمقسم عليه وقوع وعيده بالعذاب، وتوقـيت وأمارة تحقـق الوعيد هـو طمس الـنجوم وفروج تحدث فـى السماء ونـسف الجبال.

فما هـى المرسلات التى اقسـم الله تعالى بها وبمـلحقاتهـا، والتى هى امـارة عـلـى قــرب وقوع العذاب الـذى سيحل إذا طُـمست الـنجوم وفرجت الـسماء ونـسـفت الجبال؟!.

المُرْسَلاَت جمع المُرْسَلَة وهو اسم مفعول مؤنث وعُرْفًا أصلها: عرف، قال عنه ابن فارس فى مـعجمه (العـين والراء والفاء أصلان صـحيحان يدل أحـدهما على تـتابع

الشئ متصلا بعضه ببعض والآخر على السكون والطمأنينة) ثم قال (ومن الأول عرف الفرس لتتابع الشعر عليه ويقال: جاءت القطا عرفا عرفا أى بعضها خلف بعض)(١).

وهذا هو الذى يفسر لنا(المرسلات عرفا) فالمرسلات ترسل من الجهة التى ترسلها عرفا أى متتابعة متصلة بعضها ببعض وبعضها خلف بعض فتصل ايضا إلى الجهة المرسلة إليها متتابعة متصلة بعضها خلف بعض.

هذه المرسلات المتتابعات التى يقسم بها رب العالمين سبحانه وتعالى ليست حدثا عاديا وإنما هى ظاهرة هامة فى حياة البشرية وحدثا عظيما فى تاريخها والمقسم عليه لابد أن يكون عظيما أيضا كما سنرى.

فما هى المرسلات المتتابعات بعضها خلف بعض؟! إنها جميع الرحلات المتتابعة فى جميع أنواع وسائل السفر والركوب الجماعى للبشر ولنقل البضائع، أولها حدوثا قطارات السكك الحديدية ثم الباسات وخطوط المترو الكهربائية داخل المدن ثم العبارات والسفن المنتظمة الرحلات بين الموانى والقارات.

وتبع هذا كله وسيلة أسرع، ومن ثم تُعْتَبر الجيل الثانى من المرسلات من حيث السرعة، وهى الطائرات، ولذلك جاء القسم بها بعد المرسلات بحرف العطف «الفاء»، لأن العاصفات ليست إضافة نوع جديد أو مغاير للمرسلات، إذ هى من المرسلات ولكنها جاءت بعد الأولى متطورة عنها ومتفوقة فى وظيفتها فأخذت حرف الفاء ولو عطفت بحرف الواو، لَدَلَّ هذا على أنها قَسَمٌ جديد بشئ جديد، لأن الواو للجمع والفاء للتعقيب، ولكنه قال (فالعاصفات عصفا) أى فالمرسلات التى تعصف عصفا فالفاء تفيد مجيئها بعد الأولى وتفيد ايضا أنها من نوعها، فهى مرسلات عرفا، ولكنها تختلف عن الأولى بأنها عاصفات عصفا فما الدليل على أنها الطائرات؟

الدليل يكمن فى جوهر معنى العصف الذى قال عنه ابن فارس(عصف أصل واحد صحيح يدل على خِفَّة وسرعة، فالأول من ذلك العصف، وهو ماعلى الحب

---

(١) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة مجلد ٤ صـ٢٨١.

من قشور التبن، وتقول عصفتُ الزرع إذا جززتُ أطرافه وأكلته، والريح العاصف الشديدة، لأنها تجز أطراف الأشياء وتذهب بها، وقوله تعالى: ﴿وجاءتها ريح عاصف﴾ أى أنها تستخف الأشياء فتذهب بها، أى تعصف بها.

فالعاصفات إذن ليست هى الريح، لكنها كل الحاملات للأشياء المعصوف بها بخفة وبسرعة وقول العامة عن الريح الشديدة(العاصفة) خطأ لغوى والصحيح هو «الريح العاصفة» وقولنا ريح عاصف أي ريح شديدة قوية مسرعة تعصف بالأشياء أى تحملها وتذهب بها.

ومن ثم يصح لغويا وصف أى شئ يحمل الأشياء والأحياء ويذهب بهم بسرعة وبخفة بأنه عاصف حتى ولو لم يكن ريحا، فتكون المرسلة السريعة عاصفة وجمعها عاصفات.

وعصفا مفعول مطلق يدل على شدة العصف، أى شدة السرعة فى الذهاب. فكأن الفاء للعطف جعلت القسم هكذا (والمرسلات العاصفات) ومن ثم ورد عن الخليل أن معنى ريح عاصف أى شديدة، فكل مايحمل الأشياء ويذهب بها بسرعة وبشدة فهو عاصف ومن ثم قالوا: الناقة العصوف أى التى تعصف براكبها لسرعتها، والحرب تعصف بالقوم تذهب بهم، ونَعامة عصوف: مسرعة)(١).

وعلى هذا فالعاصفات عصفا بعد المرسلات عرفا هى من جنسها ،ولكنها تذهب بما تحمله بسرعة وخفة أشد، وهذان الوصفان ينطبقان تماما على الطيران المدنى المستخدم فى السفر، الذى أهم مايميزهُ أنه رحلات متتابعة منتظمة يحمل الناس وحقائبهم بخفة وبسرعة وهذا هو المعنى اللغوى الدقيق لقوله تعالى (فالعاصفات عصفا) وكذا ليس أدق لغويا من القول عن (المرسلات عرفا) أنها الرحلات المتتابعة المنتظمة بعضها خلف بعض لوسائل السفر والنقل.

بل إن العاصفات عصفا هى نفس القطارات والباسات وجميع وسائل النقل مع الطائرات بعد أن تطورت من خلال أجيال متعددة حتى أصبحت جميعا شديدة السرعة بينما كانت الأجيال الأولى منها أقل سرعة.

(والناشرات نشرا) وأول مانلاحظه العطف بحرف الواو وليس الفاء مما يفيد إضافة جديدة، أي قسم بجديد غير المرسلات.

(والنشر فتح الشئ وتشعبه، والنشر أن تنشر الغنم بالليل فترعى) و«الناشرات» جمع مؤنث مفرده «الناشرة» وهو اسم فاعل بخلاف المرسلات جمع مرسلة اسم مفعول. كأن الناشرات هي التي ترسل المرسلابت وتعمل على نشرها وتشعبها في الأرض فتنتشر في جميع خطوطها وطرقها وتصل إلى جميع أرجائها.

والمعنى إما أن يكون إشارة إلى أن هذه المرسلات خلفها مؤسسات وشركات وإدارات تعمل على تعميم الخطوط والرحلات فتنتشر وتتشعب في الأرض، فإذا بالكرة الأرضية مليئة بآلاف بل بعشرات الآلوف من خطوط الكسك الحديدية والطرق البرية والبحرية والجوية تنقل الناس من حى إلى حى ومن قرية إلى قرية ومن دولة إلى دولة ومن قطر إلى قطر ومن قارة إلى قارة.

ويدخل في معنى الناشرات أيضا مراكز الأرصاد الجوية التي تمد الخطوط البرية والبحرية والجوية بما هو ضرورى لاقلاعها من النشرات الجوية وأحوال الطقس وتوقعات الرياح العواصف والأعاصير حتى تتجنب الخطر، والتي يعتمد عليها الطيارون والملاحون والربابنة في الاقلاع والهبوط.

(فالفارقات فرقا) ونلاحظ هنا العطف«بالفاء» وهي تعقيبية كمجئ النتيجة في عقب المقدمة وتحقق الهدف عقب العمل مباشرة فهى في النهاية الفارقات للأهل والأحباب عن بعضهم البعض، والفارقات بين المسافرين وبين أوطانهم وبلدانهم وكأن هذا القسم- والله أعلم- هو بمحطات السكك الحديدية والموانئ والمطارات التي عندها يكون الوداع بين المسافر وأهله وإخوانه وهى المنطلقات التي تنطلق منها المرسلات بإنتظام إلى محطات وموانئ ومطارات أخرى تنتهى إليها وتقف وترسو وتهبط عندها.

وجميعها الآن ذات خطوط فاصلة بين المسافرين الذين يحجزون خلف هذه الخطوط بعد تأشيره الخروج وبين أهليهم الذين يمنعون من إجتياز هذه الخطوط

فالفارقـات هو المعنى الجوهـرى المميز للموانـئ والمحطات والمطارات، حتى قبل بدء حركـة المرسلات، فالمحـطات والموانئ والمـطارات التى هـى أبواب المدن والعـواصم والدول هى الفارقات فرقا بمقتضى القوانيـن، والخطوط الفاصلة والوسائل الناقلة هي الفارقات بمقتضى العصف بالمعصوف عصفا، وبمقتضى المسافات البعيدة الشاسعة.

(فالملقيات ذكرا، عذرا أو نذرا) وهو قسم مَعْطوف على سابقه بالفاء وليس بالواو أى أنه أمر ملحق بما سبق وليس مغايراً له. وهـذا الذكر هو مايلقى على المسافرين فى المحطـات والمطـارات والموانـى ثم فـى السفـن والقـطارات والـطائـرات والبـاسات بمكبـرات الصوت من قيادة الـرحلة وهى عبـارة عن توجيهـات وبيانات وتعلـيمات: عذرا او نذرا، عذراً بالسماح لهم بممارسة النشاط المسموح به ونذرا ببيان الممنوع من هذا النشاط، والالتـزام بمقاعدهم وربط الاحزمة فى الطائـرات أو اللجوء إلى قوارب النجـاه التى فى السفـن ساعة الخطر التـى تتعرض لها هـذه الوسائل إما بالـغرق وأما بالاصطدام وإما بالإحتراق والسقوط وهذا متكرر كل يوم .

وكذلك تكون الناشرات نشرا التى هى مراكز الأرصاد الجوية ملقيات ذكراً عذرا أو نذرا من خلال أجهزة الإتصال الـلاسلكية للربابنة والملاحين والطـيارين والسائقين بحرا وجوا وبرا بالسماح لهم بالرحلة أو بانذارهم من تقلبات الطقس.

يؤكد هذا الذى نقـول قوله تعالى عن وسائل السـفر الجماعية بما يفيد أنـه سبحانه سيخلق للبشر الجديد فى هذا المجال ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤) ﴾ [يس] وقـد ورد عن إبـن عبـاس رضى الله عنهما﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ ﴾ يعنى الإبل خلقها الله تعالـى كما رأيت، فهى سفن البر يحملون عليها يركبونها)[1]. لكن على هذا التفسير تحفظين:

الأول: لقوله تعالى ﴿... أنَّا حملنا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾

(١) السيوطى/ الدرا المنثور مجلد/ ٥/ ص ٢٨٧.

الثاني: قوله تعالى﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ فالضمير فى «ذريتهم» كما يتبادر إلى الذهن يعود على الذين نزل عليهم القرآن الكريم المخاطبين به وهم العرب وسائر البشر إلى يوم القيامة، وقد فسر ابن كثير«ذريتهم» بمعنى آباءهم وهذا مخالف للغة لأن المعنى اللغوى يلزم أن يكون هذا الذى خلقه الله من مثله ليركبوه هو لذرية الذين نزل عليهم القرآن أى أنه سيحدث فى المستقبل.

والتحفظ الثانى حول تفسير ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ بالإبل لأن الأبل لايغرق راكبوها وقد قال تعالى عنهم﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ مما يجعل هذا الذى خلقه الله تعالى لذريتهم للركوب والسفر بديلا عن الفلك المشحون هو من مثله، وليس مثله أى ليس من نوعه، إذ يؤدى نفس الهدف، وهو النقل والسفر الجماعى، ولكن ليس هو أو ليس مثله، ولكن من مثله أى ليس نفس النوع، ولكن من نفس الصنف الذى يؤدى نفس الأهداف، إذ ثَمَّ فرق جوهرى بين قوله تعالى: ﴿مِّثْلِهِ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾.

كما أن تفسير ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ بالإبل لاينطبق على الذرية فقط، إذ كان الآباء والأجداد يركبونها، أما قصرها على الذرية، فيفيد أنها ستأتى للأجيال اللاحقة ولم تكن عند الأجيال السابقة.

وقد قارن الشيخ محمد صديق الغمارى رحمه الله تعالى بين القطارات والسفن العظيمة كالأعلام من ناحية وبين الإبل من ناحية أخرى من حيث السرعة والقوة والتفوق الهائل للوسائل الحديثة والمعاصرة فى الكم الذى يحمله من المسافرين ومن أمتعتهم وبضائعهم وانتهى إلى أن القطارات والسفن العملاقة عبارات المحيطات والشاحنات التى كالجبال هي(المرادة بالآية جزما)(١).

فلو كان الكلام عن سفينة نوح عليه السلام لما نوَّه السياق إلى أن الله تعالى خلق لهم ماسيركبونه من السفن أيضا لأن هذا أمر معلوم، لذلك قال من قال أنها الإبل لأن ﴿ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ تقتضى أنه وسيلة كالفلك وليست هى الفلك فقال: أنها الإبل باعتبار

---

(١) الشيخ الغمارى/ مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية صـ٦ مطبعة المكتبة الشعبية/ بيروت/ نشر دار الرشاد الحديثة/ الدار البيضاء بدون تاريخ.

أنها وسيلة السفر الجماعية البرية الوحيدة فى عصره غير السفن، لكن يمنع كونها الإبل أنهم مُعَرَّضُون للغرق كركاب السفن، كما أن الله تعالى منَّ على البشرية جميعا بحملها فى سفينة نوح عليه السلام، وليس فقط الذرية أو الاجداد فقط، فقال تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾(١١/ الحاقة).

ومن ثم دلَّ هذا كله على أنها وسيلة ركوب جماعية إذا أصابها العطب غالبا مايغرق ركابها فى البحر ولامنقذلهم، أى أنَّ إمكانية الانقاذ ضيئلة جدا، والأمر ينتهى بسرعة خاطفة حتى أنهم لايكادون يصرخون، وهذا لايكون إلا فى حوادث الطائرات التى غالبا ماتقع فى المحيطات والبحار لأن أكثر خطوط الطيران تكون فوقها، ولذلك يلاحظ المسافر بالطائرة تخصيص طوق للنجاة من الغرق لكل مسافر فى حالة سقوط الطائرة.

وفى هذا كله إشارة وتلميح بل وتصريح إلى أنها الطائرة بأكثر من لازم من لوازم السياق وهى:

١ - حمل الذرية وليس الآباء فى الفلك المشحون.

٢ - أنه سبحانه خلقها من مثل الفلك الشحون، وليس مثله فهى أمثال الفلك وليست فلكا.

٣ - أن المسافرين عليها معرضون للغرق السريع حتى إنهم لايتمكنون من الصريخ.

٤ - أن الله سبحانه وتعالى سمح لهم بهذه الوسيلة رحمه منه سبحانه ومتاعا إلى حين، أى فيها متاع بالرغم من أن السفر قديما كان قطعة من العذاب كما جاء فى الحديث الشريف، وهذا يشير إلى الرفاهية الموجودة على العبارات والقطارات والباسات والطائرات من غرفات للنوم ومطاعم ووسائل التسلية كالتليفزيون والفيديو وحمامات السباحة والملاعب والملاهى، مما أشار إليه السياق بقوله(.. ومتاعا إلى حين) أنه لا مصيبة ولا عذاب إلا بكثرة وغلبة المعاصى وطغيان الذنوب. وفى هذا إشارة إلى مايرتكب فى هذا العصر داخل وسائل السفر من معاصى وكبائر، إذ جهزوها وأمدوها بوسائل اللهو والمتاع الحرام ففى قوله: ﴿وإن

نُشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ إشارة إلى هذا، وفى قـوله تعالى: ﴿ إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إشارة إلى، صبره وحلمه وعفوه سبحانه وتعالى عن كثير.

فذكرُ المتاع فى السياق الذى يتحدث عـن السفر بحرا أو جوا، يدل على أن السفر أصبح أمراً سهلاً ميسوراً خالياً من العذاب والمشقـة بل يكتنفه المتعة والراحة، فالسفر بالطـائرة ألف ميل يسـتغرق تسعـين دقيقة، يـشرب المسافر فيـها المشروبات ويـتناول الطعام ويشـاهد فيلما ولايتعـرض المسافر حتى للأتربـة فهو سفر سهل ميـسور، حتى على الشيخ الكبير الـذى لم يكن من قـبل مستطيعا لقطـع هـذه المسـافات بالـوسائل القديمة، أى بالإبل والسفن القديمة، ومن ثم لم يكلف بالبريد فى الماضى إلاَّ الشباب الذين يستطيعـون توصيله وحماية الإبل والخيل، فكان الشيوخ قـدياً يرسلون الشباب بالبريد والبضائـع، أما اليوم فإن الشباب يرسلون الشيوخ بالـبريد، ولـم يكن هذا الحال ليتـم إلا بسهولة المواصلات ويسرها ومتعه السفر وخلوه من المشقة والخطر.

وقد أنبأ المصطفى الخاتم الصادق المصدوق ﷺ عن هذا كإمارة من إمارات الساعة فيـما رواه (عبدالله بـن مسعـود رضى الله تعـالى عنه قـال: قال رسول الله ﷺ: لاتـقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة، وحتـى تتخذ المساجد طرقا فلا يُسجد لله فيها، وحتى يبـعث الغلام الشيـخ بريداً بين الافقـين، وحتى يبلـغ التاجر الأفقيـن فلا يجد ربحا)(١) وبين الافقين كناية عن طول المسافة.

وفى روايـة للطبـرانى أيضا عـن ابن مسـعود رضى الله عنـه جاء فيه(.. وأن يُـبْرِد الصبىُّ الشيخَ)(٢) أى يرسل الصبى الـشيخ بالبريد وقضاء الحوائـج، أما التاجر الذى يسافر ببضاعته بين الأفقين فلايجد ربحا، فهذا كناية أيضا على أن هذا أمر متكرر كل يوم لسهولة المواصلات، الأمر الذى جعل البضائع الضرورية متوفرة فى كل مكان مما أدى إلى الكساد والخسارة أحيانا. وهو ماعبـر عنه المصطفى ﷺ فى أحاديث أخرى عن أمارات الساعة بقوله (وتتقارب الأسواق)(٣).

(١ , ٢) الطبرانى فى الكبير.

(٣) رواه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة.

يؤكد مانقول ماورد فى القرآن الكريم والسنة الشريفة عن امارات الساعة التى يستغنى بمقتضاها الإنسان عن الإبل فى السفر الجماعى والحمير والبغال للانتقال وحمل الاثقال فى السفر الفردى بقوله تعالى عن هذه الأمارة (وإذا العشار عطلت) اورد السيوطى بسنده عن مجاهد [إذا العشار، عشار الإبل، عطلت، لاراعى لها)(1) أى أهملت فلم تعد تُربَّى للركوب(وأخرج عبدبن حميد وابن المنذر وابن ابى حاتم(وإذا العشار عطلت) قال: هى الإبل] وقال ابن فارس(وناقة عشراء وهى التى أقربت سُمِّيت عشرآء لتمام عشرة أشهر لحملها، وجمعها عشار ويقال بل يقع اسم الجمع على النوق التى نتج بعضها وبعضها قد اقترب ينتظر نتاجها(2)) وعطلت أى أهملت وفى هذا إشارة واضحة إلى أن الناس سيهملونها كوسائل للسفر لوجود وسائل بديلة أسرع وأفضل راحة.

والإبل كانت وسيلة الإنتقال الجماعية والفردية، هى فردية للإنتقال من حى إلى حى، وجماعية للسفر من بلد إلى آخر فى شكل قوافل، فهى بحكم الوظيفة الفردية تشارك الخيل والبغال والحمير. لكن نظرا لأن اكثر ماكان الانتقال الفردى بالخيل والبغال والحمير، واكثر السفر الجماعى كان بالإبل لتحملها ولياقتها لهذه المهمة اشتهرت الإبل بأنها سفينة الصحراء.

أما هذه الثلاثة فقد ورد الإستغناء عنها بالتلميح الذى كاد أن يكون تصريحا بأن الله سبحانه سيخلق من وسائل الركوب الفردية مالايعلمه أهل الزمان الذى نزل فيه القرآن الكريم ومابعده حتى تم اختراع السيارة والدراجة العادية والدراجة الآلية وكلها وسائل ركوب وانتقال فردية، وهذا التلميح جاء فى قوله تعالى ذاكرا ومعدداً سبحانه النعم التى انعم بها على الإنسان سبحانه وتعالى ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (8/ النحل) أى أنه سبحانه سيخلق مالاتعلمونه انتم ايها الصحابة ومن بعدهم من وسائل الركوب الفردية التى ستأتى بعدكم وهى مما لايمكنكم تصوره أو إدراكه.

(1) السيوطى / الدر المنثور/ 6/ 354.

(2) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة 4/ صـ325.

فالآية تخص وسائل الركوب الفردية فقط بدليل عدم ذكر الإبل لأنها كانت كوسيلة السفر فى شكل قوافل جماعية، فكانت للركوب الجماعى.

يؤكد هذا قوله ﷺ عن نزول المسيح بن مريم عليهما السلام(والله لينزلنَّ ابن مريم حكما عدلا فليكسرنَّ الصليب وليقتلنَّ الخنزير وليضعنَّ الجزية ولتتركن القلاص فلا يُسعى عليها)(١) والقلاص جمع قُلُص والقُلُص جمع القلوص وهى النوق الشابة وهى بمنزلة الجارية من النساء(٢) فالقلاص جمع الجمع وهذا يعنى أنها جميعا ستُتْرك وتتوقف قوافل السفر بها لأن قوله (فلا يسعى عليها) أى فلايسافر الناس عليها، وكانت الإبل يُسعى عليها بين الصفاء والمروة، ويطاف عليها حول البيت فى حالة المرض والضعف والشيخوخة، وحتى هذه وتلك أيضا عطلت فيها الآن وصار للعجزة والشيوخ كراسى متحركة يطوفون ويسعون عليها.

والمعنى اللازم هو إستحداث البديل لها، وهى وسائل الركوب والسفر الجماعية والفردية التى تستَخدمها البشرية فى هذا العصر.

هذا كله يؤكد المعنى الذى استخلصناه من آية سورة «يس» وكذلك المعانى المستخلصة من آيات «المرسلات» كما أن التعبير «بترك القلاص فلا يُسعى عليها» يفسر لنا المعنى المستفاد باعتباره لازما من لوازم «تعطيل العشار» لأن العشار لم تهمل باعتبارها أنعاما يشرب لبنها ويؤكل لحمها وينتفع باوبارها، فدل ترك السعى عليها أن التعطيل للعشار بالنسبة للسفر عليها فقط. وذلك لأن النوق التى كانت تُقْتَنى للسفر من سلالات خاصة، كما هوالحال بالنسبة للخيل الأصيلة، لأن هذه النوق ذات مواصفات خاصة تجعلها صالحة للسفر بخلاف النوق التى تربى لالبانها ولحومها، وهذه النوق هى التى يسمونها «الهجن» ولم يعد لها من إستعمال إلاَّ فى سباق الهجن ، كذلك يجب أن ننوه إلى أن سبب إهمال الإبل أو الهجن وترك استخدامها

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ك/ .

(٢) مختار الصحاح صـ٢٢٩.

للسفر ليس هو إختراع وصناعة القطارات والباسات والطائرات فقط، بل السبب الحقيقي هو في تعميم هذه الوسائل في كل مكان في الأرض، ولجميع المستويات المالية بين البشر، حتى أصبح في مقدور الغني والفقير أن يسافر على وسيلة من هذه الوسائل تناسب مستواه المالي، ومن أي بلد إلى أي بلد، ومن أي مكان إلى أي مكان، ومن أي قارة إلى أي قارة، وهو ماجاءت إليه الإشارة في القَسَمْ بقوله تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ إذ بفضل الله تعالى تَـمَّ تعميم تصنيع هذه الوسائل وتوفير الطاقة الرخيصه لها وهي البترول ومشتقاته ثم تمكين البشر من ايجاد الشركات والانظمة والأجهزة الإدارية التي تدير هذا كله وتنشره وتعممه حتى تغطي به أرجاء الكرة الأرضية بخطوط السفر التي هي رحلات منتظمة متتابعة، فالاستغناء عن الإبل وغيرها صار بما أقسم الله تعالى عليه بقوله ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ لأن وراء هذا النشر مؤسسات ضخمة صناعية واقتصادية وتنظيمية وادارية.

يؤكد مانقول أنه ليس كل ماهو مُخْتَرعٌ ومَصْنُوعٌ منشورًا، ومعممًا على كل الناس، فالصواريخ الحاملة للمركبات الفضائية ومكوك الفضاء والغواصة وغيرها من المخترعات والمصنوعات لم تعمَّمْ للإستخدام البشرى العام مثل ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ① فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ②﴾.

فمحور القسم إذن يدور حول وسائل السفر العامة والخاصة المعاصرة، وهي من الإمارات لأنها من عجائب آخر الزمان وهي من الأمارات على قرب وقوع العذاب وحدوث الخسوف الثلاثة وزلزال الأرض العظيم، إن لم ترجع البشرية إلى ربها عزوجل، لأنه اقسم سبحانه بوسائل السفر المعاصرة على المقسم عليه وهو قوله(انما تُوعدون لواقع) وماتوعد به البشرية هو إما العذاب وإما الساعة، فالعلاقة واضحة بين القسم والمقسم عليه، وهو أن حضور ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ① فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ② وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ③ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ④ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ⑤ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ⑥﴾ دليل

علـى بـدء نهاية البشرية والقرب الشديد للساعة، وأن الدنيا آذنت بإنتهاء، وما وعدُوا به من عذاب واقع إذا لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى.

أليس التقدم العلمى التقنى فى وسائـل الركوب والسفر وتنوعها بين بريَّة وبحريَّة وجوية وانـتشارها هو مما جـعل أهل الأرضِ يظنون أنـهم قادروت عليهـا؟ بلى والله، اللهم ارحم عبادك يوم نزول عذابك؟.

(٤٠) مخترعات معاصرة متعددة مصاحبة للمرسلات أنبأت عنها الأحاديث النبوية

لقد ربـط رسول الله ﷺ فى حديـث مسلم بـينها وبـين نزول المسـيح من السـماء، ومعلوم أن خروج الدجال يـسبق نزول المسيح عليه السلام، ومـعلوم أن ظهور المهدى عليه الســلام يسبق خروج الدجال لعنـه الله، ومعلوم أن الزلزال يسبـق ظهور المهدى، فإذا كان ظـهور وسائل الـسفر المعاصـرة هذا الذى أدى إلى تـرك القلاص، وتعـطيل العشار، علامة علـى قرب نزُول مسيح الهدى عليه السلام، فـأولى أن يكون هذا كله علامـة على قرب الخسوف والزلزال، ومـن ثم أقسم الله بـها جميـعا على أن وعـيده للناس بالعذاب- إن لم يتوبوا إليه- لواقع.

وهذه الأمارات الـتى ذكرها الله تـعالى مقـسما بها وهـى وسائل الـسفر تصاحـبها امارات أخـرى حضـارية أيضـا من المخـترعات الـعلـمية والـتقـنية وهـى أيضـا من العجائب﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات٨-١٥].

وقد حـدثت هذه الأمارات أيـضا، لأن طمس الـنجوم ذهـاب ضوئها وقـد ذهب ضوؤها بسبب اضاءة المدن حتى أن الناظر إلى سماء المدينة فى ليلة صافية لايرى نجما واحدا بسـبب الأضواء المنبعـثة من المدينة بـينما ترى الـنجوم فى البادية وفـى الريف، وهى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ والطمـس أشد فى الاخفاء مـن الانكدار، وكلاهمـا يعنى إختـفاء المرئـى أو غياب معالمـه فى بصر الـرائى وقوله تـعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ قد حدث أيضا والفـرجة تطلق على الفتحة أو الشـقب فى السـقف إذا

فُتِحَ السقف من أسفل أو إذا نُظِرَ إليها من أسفل، والغلاف الجوى أو طبقة الأوزون التى هى بمثابة السقف، إذا كانت الفتحة فيه من أسفل وإنما يقال إنفرج السقف ويسمى هذه الفتحة التى تُرى من أسفل فرجة، ومن ثم فقوله تعالى(وإذا السماء فُرِجت) إى حدث مايخرقها من أسفل وهو ما تم ويتم بعروج سفن الفضاء والصواريخ ومكوك الفضاء منها. وكذلك قد ينطبق هذا الشرط على ثقب الأوزون لأنه انفراج بفعل غازات صاعدة من الأرض أى من أسفل السقف لكن هذا احتمال ضعيف، إذ لثقب الآوزون، آية أخرى اكثر مطابقة أما قوله تعالى(وإذا الجبال نسفت) فقد حدث ونسف الإنسان الجبال بالديناميت ثم حملها فى سيارات شحن ضخمة ثم نقلها إلى خارج المدن وشق الجبال لنقبها وشق الطرق فى بطونها بما نطلق عليه الانفاق. ومكة المكرمة وجبالها وماحدث لها خلال العشرين سنة الماضية خير شاهد على هذا كله.

(وإذا الرسل أُقِّتَتْ) أى جُعل لها وقتا لحساب أممهم واشهادهم عليهم وهو يوم الدين ﴿لأى يوم أجلت ليوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين﴾ أى للرسل بما جاءوا به من شرع الله تعالى ومن وعيد بالساعة وأماراتها.

إن أهم مايميز وسائل الانتقال والسفر الحديثة هو السرعة، وهذا ماأنبأ به رسول الله ﷺ بما يتوافق مع قسم الله عزوجل بالعاصفات عصفا بقوله ﷺ (لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزوى الأرض زيًا[(١)]) والزى هو الطى وهو مايشعر به راكب السيارة المسرعة أو القطار أو الطائرة ويزداد زى الأرض وطيها بزيادة السرعة وقال ﷺ فى هذا المعنى ايضا(لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار)[(٢)] أى كالسعفة المحترقة لايستغرق حرقها إلا ثوانى أو ثانية. وروى أحمد فى مسنده من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ(لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم واليوم كالساعة

(١) رواه الطبرانى فى الكبير.
(٢) جامع الترمذى / ح ٢٣٦٩.

والساعة كاحتراق السعفة)[1] وهى ورقة النخلة اليابسة تحترق فى ثانية أوإثنتين. والمعنى أن ما تقطعه الطائرة النفاثة فى ثانية تقطعه وسيلة أخرى فى ساعة ونفس المسافة تقطعها الوسائل القديمة فى يوم، وما تقطعة السيارة فى يوم تقطعه الإبل فى شهر وتقطعه الطائرة فى ساعة وهكذا.

وهذا معناه أن البلاد البعيدة أصبحت قريْبة أو قريبة جدا حسب سرعة الوسيلة التى يسافر بها المسافر فكما كان أهل مكة يصعدون الجبل إلى الطائف صيفا لجوها الصيفى البارد والمسافة بينهما قرابة أربعين أو خمسين ميلا أصبح أهل مكة والمدينة يقضون الصيف بالشام بدلا من الطائف، كأن الشام ضاحية من ضواحى مكة أو المدينة لأن الزمان الذى يستغرقونه فى السفر إلى « الشام بالسيارة يوم وبالطائرة ساعة فكأنه سفرٌ إلى الطائف أو أدنى من الطائف وقد نبأ النبىﷺ أن هذا سيكون، وأشار إلى سهولة الانتقال ويسره ،حتى بالنسبة للمريض بقوله (لاتقوم الساعة حتى يخرج الناس من المدينة إلى الشام يبتغون فيها الصحة) وقد علق الشيخ الغمارى رحمه الله على هذا الحديث الشريف بقوله أن فيه معجزه للنبىﷺ، لأنه يستحيل على الذى يريد السفر للاستشفاء- إذا كان مريضا- الذهاب من المدينة إلى الشام لمسافة ألف ميل وأكثر على الإبل، وإن كان غير مريض، فكيف يقطع على الإبل أكثر من شهر للذهاب وشهر للعودة لكى يستجم فى الشام بضع أيام ثم يعود بنفس المشقة، فمثل هذه المسافة لم تكن تقطع الا للتجارة. ولم يكن بين القدماء عاقل يسافر هذه المسافة البعيدة فى الحر للإستجمام والراحة أو للعلاج من المرض.

أما وقد حدث هذا فعلا، ولايزال، فإن هذا دليل على صدق نبوته ﷺ، خاصة فى عصر البترول إذ يملك أهل الجزيرة بعامة ومنهم أهل المدينة احدث السيارات والمال فيركبون الطائرات من المدينة إلى أى مكان فى العالم، علاوة على ذهابهم بسياراتهم.

وقد نبأ النبىﷺ عن السيارة بالوصف والتشبيه فذكرها ذكرا صريحا إذ شبَّهها بالرحال التى كانت توضع فوق الإبل، وهى مراكب الإبل عليها السروج ثم يوضع فوقها بالهودج الذى هو عبارة عن غرفة صغيرة مكعبة الشكل من الستائر لتجلس المرأة فوق الرحال فى داخل الهودج وكانت تستخدم فى زف العروس.

(١) مسند الإمام أحمد / ح ١٠٦٦٧.

ومعلوم أن السرج هو المقعد الجلد الذي يوضع فوق الإبل والخيل والحمير والبغال ويصنعه السروجي، والعجيب أن يُسمي الناس اليوم من يصنع كراس السيارات الحديثة بالسروجي أيضا وقد سَمَّى رسول الله ﷺ ماستقعد عليه الناس في آخر الزمان بالسروج وهذا فيما رواه احمد في مسنده عن عبدالله بن عمروبن العاص قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول(سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كاسنام البخت العجاف، إلعنوهن فإنهن ملعونات)(١).

ورواه الحاكم في مستدركه بلفظ المياثر بدلا من السروج والمياثر هي السروج العظام وهي ثياب حمر تكون في مراكب الاعاجم، والسرج في اللغة الرحل وقد أُسْرِجَتْ الدابة، والرحل هو رحل البعير، وهو مايوضع فوق القتب، والجمع الرحال.

والمفهوم من هذا كله أن المياثر مقاعد مريحه وثيرة كبيرة وهذا الحديث الصحيح الشريف يتضمن عدة حقائق هامة:

١ - الركوب على السروج العظام الوثيرة في مراكب كأشباه الرحال اى ليست رحالا وإنما تشبه الرحال، فهي ليست خيلا ولاإبلا فماذا تكون غير السيارات؟.

٢ - قوله ﷺ ينزلون على أبواب المساجد يمنع أنها خيل وإبل، لأنهم لم يكونوا يربطونها على أبواب المساجد، بل بعيدا عنها حتى لاتلوث مداخل المساجد بروثها فدل هذا على أنها السيارات.

٣ - قوله ﷺ: (نساؤهم كاسيات عاريات) يدل على ظاهرة التبرج المصاحبة في الزمان لانتشار السيارات أو مع ظهور السيارات لأن الحدثين: تعميم إستخدام السيارات وظهور التبرج، متعاصران تمامًا.

٤ - قوله ﷺ(سيكون في آخر أمتي) دليل صريح على أن السيارات أمارة من أمارات الساعة تدل على قربها، وأن الدنيا في آخر الزمان، لأن آخر الأمة هو آخر الدنيا باعتبار أنه ﷺ آخر الأنبيآء وأمته آخر الأمم.

٥ - الحديث دليل على أن داء التبرج سيصيب أكثر الأمة، لأن النساء الكاسيات

(١) ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشخين ولم يخرجاه.

العاريـات الملعونات يـنتظرن أزواجـهن وأهلهن فـى سياراتهم عـلى المياثـر حتى يؤدون الـصلاة داخل المسـجد، وقد عـلق الشيـخ الغمـارى رحمه الله علـى هذا الحديث بقوله (فهو من أصرح الأحاديث فى السيارات).

وحيث قـد ارتبط ترك القلاص فـلا يُسافر عليـها بنزول المسيـح بن مريم عليـهما السلام، فإنـه يكون من المتوقـع وجود نصوص تتحدث عن وسائل السفـر المعاصرة السريعة بأنواعها فى عصر المهدى والدجال أيضا، من هذه الأحاديث:

١ - روى أبو على عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال قام رسول اللهﷺ ذات يوم على المنبـر فقال: ياأيها الناس إنى أجمـعكم لخبر جاء من السمـاء، فذكر الحديث وفيه: هـو المسيح تُطـوىٰ له الأرض فى أربعيـن يوما، إلا ماكـان من طيبة، وطـيبة المدينـة مامن باب مـن أبوابها إلاَّ علـيه ملك مُـصلتٌ سـيفه يمـنعه وبمكـة مثل ذلك).

٢ - وفى صـحيح مسلم حديث طـويل عن الدجـال جاء فيه(قـلنا يارسـول الله: وما إسراعه فى الأرض؟ قـال: كالغيث إستدبـرته الريح) وهذا وصـف صـريح دقيق لطائراته النَّفَّاثة.

٣ - جاء مـن أخبار المهـدى أن الذين يبـايعونـه، وهم عدة أهل بـدر، كقزع الصـيف سيلاحقـونه من مكة إلى المـدينة ثم من المديـنة إلى مكة ثلاث مـرات، وذلك فى المدة من نهايـة موسم الحج حتى ليلـة عاشوراء، أى حوالى خمسة وعـشرين يوما ويبايع ليلة عاشوراء، وليس هذا ممكنا إلاَّ بالوسائل الحديثة فى السفر ولذلك إعتبر بعض الأقدمين هذه الأخبار منكرة، لأن هذه المسافة بين مكة والمدينة تحتاج بالابل إلى شهر ذهابا وإيابا فكيف يقطعونها ثلاث مرات ذهابا وإيابا فى أقل من شهر؟! ومن ثَمَّ يكون المهدى فى زمن هذه الوسائل السريعة.

٤ - ورد أن المسيح عليه السلام يدرك الدجال عند باب لد ويقتله عنده، واللد لم تكن بـابا فـى القـديم وهـى الآن مطـار فى شـرق تل أبـيب، وأبـواب المدن الآن هـى المطارات والموانئ ولاشك أنه سيحاول الإفلات مـن المسيح عليه السـلام بركوب طائرته الرابضة فى مطار اللد.

٥ - أَجْمَلَ رسول الله ﷺ ما سَيُحْمَلُ عليه الإنسان فى حديث فضاله بن عبيد الانصارى رضى عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك فجهد الظهر جهدا شديدا، فشكونا إلى رسول الله ﷺ مابظهرهم من الجهد فَتَحيَّن رسول الله ﷺ مضيقا سار الناس فيه وهو يقول: مروا باسم الله، فمر الناس عليه بظهرهم فجعل ينفخ بظهرهم وهو يقول:(اللهم احمل عليها فى سبيلك، فإنك تحمل على القوى والضعيف والرطب واليابس فى البر والبحر) قال فضالة: فما بلغنا المدينة حتى جعلت تنازعنا أزمتنا، فقلت: هذه دعوة رسول الله ﷺ فى القوى والضعيف، فما بال الرطب واليابس؟! فلما قدمنا الشام غزونا غزوة قبرص فى البحر فلما رأيت السفن فى البحر، ومايدخل فيها عرفت دعوة النبى ﷺ)(١).

ولنا أن نتساءل : إذا كان الرطب فى البر هو الخيل والبغال والحمير والإبل فما هو اليابس الذى يحمل الله تعالى عليه جنوده المجاهدين فى سبيله فى البر؟! وهى جميعا تقابل اليابس فى البحر أى السفن، إلا أن تكون المركبات الآلية بأنواعها؟! لأن دعوته ﷺ تضمنت أربع وسائل رطب ويابس فى البر ورطب ويابس فى البحر وكل واحد من هذه الأربعة منها ما هو قوى ومنها ما هو ضعيف.

فالضعيف الرطب فى البر والخيل والبغال والحمير ثم اليابس الدراجة العادية والدراجة الآلية والسيارة الفردية والقوى الرطب فى البر العشارأو القلوص أى الهجن.

والقوى اليابس فى البر القطار واليابس وفى البحر الضعيف اليابس السفن الشراعية والضعيف الرطب السفن البخارية والقوى اليابس السفن الحديثة والجوارى فى البحر كالأعلام بالوقود البترولى وبالذرة مثل حاملات الطائرات. وقوله فى البر والبحر يدخل فيه الطائرات التى تحمل المسافرين فوق البر والبحر كما سيأتى بيانه كما ثبت عنه ﷺ قوله: (... وضُيِّقتْ الطرقات ...) كناية عن كثرة السيارات وأزمة المرور.

٦ - روى الحاكم فى المستدرك عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه قال(الدجال يخرج فى بغض من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بَيْن فَيَرِدُ كل منهل فتطوى له

---

(١)مسند الإمام أحمد / ح ٢٣٤٩٥.

الأرض طى فروة الكبش...) وهـذا التعبير دليل على السـرعة الشديدة، لأن طى فروة الـكبش تـستغـرق جزءا من الـثانـية، فإذا كـان المقصـود بلفـظ الأرض فى الحديث المسافة من المـكان الذى فيه المسافر إلى نهاية الأفق المرئـى، فهذه قد تبلغ من أربعة إلى سبـعة أميال، فتكون السرعة عـلى الأقل ثمانية عشر ألف كـيلو متر فى الساعة، هذه سرعة الطبق الطائر التى لم تـبلغها سرعة النفاثات التى ورد فيها قوله ﷺ (كـالغيث إستدبـرته الريح) وهذا يـعنى أن عنده وسـائل سريعة للـسفر ووسائل أسرع وأسرع.

كل هذا يُثبت أن وسائل السفر المـعاصرة المتفاوتة فـى السرعة دليل علـى أننا فى آخر الزمان وفـى عصر الآيات العشـر وأن أول الآيات وهى الخسوف التـى تقع. بزلزال الأرض الـعظيم عـلى وشك الحدوث والله تعالى أعـلى وأعلم ونـسأله الرحمة والنجاة يوم نزول العذاب.

الفصل الثانى
الأساطيل البحرية الحربية
فى القرآن الكريم والسنة

(٤١) التفسير اللغوى المحض للنازعات غرقا وأخواتها يصدق على الأساطيل البحرية العسكرية المعاصرة أكثر من صدقه على أى شئ آخر.

قال تعالى مقسما: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات١-٧] مربنا أمر أمير المؤمنين عمربن الخطاب رضى الله عنه بجلد صبيغ بن عسل مائة جلدة لسؤاله عن أشياء منها المرسلات والنازعات، وتبيّن لنا أنّ النازعات من التى سكت عنها النبىﷺ لحكمة ذكرناها فى الفصل السابق، فإذا أردنا أن نعرف مافسر به الصحابة والتابعون هذه الآيات، لوجدنا أنهم فسروا المرسلات ومابعدها والنازعات ومابعدها بالملائكة تنفذ أمر الله تعالى فى حياة الناس.

وليس مايمنع أن يكون تفسيرهم صحيحا مع وجود تأويل لهذه الآيات فى آخر الزمان يكون مطابقا لغويا على هذه الآيات مثل مطابقته على تفسيرها بالملائكة وربما يكون أكثر مطابقة فيؤكد هذا صحة التأويل بالأمارات المعاصرة.

والذى يرجح التأويل بالأمارات المعاصرة على تأويل السابقين لهذه الآيات بالملائكة هو الصلة المعنوية بين القسم والمقسم عليه.

ففى المرسلات لمسنا أن الصلة بين وقوع الوعيد وهو المقسم عليه، وبين وجود المرسلات عرفا بمعنى أجهزة ووسائل السفر المعاصرة قائمة، وهو نزول العذاب.

كذلك نجد أن القسم بالنازعات ومابعدها على أمر يكون يوم ترجف الراجفة أى يوم يقع زلزال الأرض العظيم كما سبق وأن عرضنا تفسيره فى الجزء الأول، ولاشك

أن مطابقه الآيات على تفسيرين متباعدين هو من الأعجاز البيانى لكتاب الله عزوجل، وذلك لأن الصحابة والتابعين ومن بعدهم لابد أن يفهموا معانى مقبولة لهذه الآيات، فإذا ماتحقق التأويل المعاصر الذى هو أمارات على الساعة لايملك السامع أو القارئ حياله إلا التسليم به وقبوله، يؤكده ان المقسم عليه من أمارات الساعة. وعلى كل حال فما دام التفسير الذى نورده اكثر مطابقة حسب اللغة فهو أولى بإعتماده من غيره.

فما الصلة بين ماأقسم الله تعالى به وبين المقسم عليه وهو (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) وقد ثبت لنا أن الراجفة هى الزلزلة العظيمة وأن الرادفة هى الساعة هذا فى قول راجح.

ما الصلة بين النازعات وماأقسم المولى عزوجل به معها وبين أمارات الساعة؟

ربما يقول أصحاب تفسير النازعات بالملائكة أن يوم الراجفة أى الزلزال ثم الرادفة أى الساعة سيموت أكثر الناس ومن ثم ستقوم الملائكة بمهامها المتمثلة فى نزع نفوس الكفار نزعا ونشط نفوس المؤمنين نشطا وهذا تفسير مقبول.

ولكن إذا كانت ثمة أحداث سابقة للراجفة مباشرة ومعاصرة لها أو تصدق عليها هذه الأوصاف التى وردت فى القسم لصار هذا التفسير أكثر مطابقة.

يدل على هذا قوله تعالى بعد القسم«يوم» أى أن هذه النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات ستكون موجودة وكائنة يوم الرادفة أى فى عصرها، وزمانها، وتكون هذه جميعا أمارة على قرب وقوعها وارهاصة لها، بل إذا ثبت أنها جميعا من أسباب وقوع الراجفة فإن المطابقة تكون تامة.

فإذا تذكرنا أن اليوم الآخر يبدأ فى الدنيا، وهو بمعنى العصر، وإذا تذكرنا أن الساعة تسبقها أمارات أى عجائب، فإن آخر الزمان يكون هو زمن العجائب ويؤكد لنا هذا أن النازعات من الأمارات، ومن العجائب. وأن استخدامها فى الشر والاستعلاء والطغيان، وليس فى الخير من أفعال الانسان المغضبة للخالق عزوجل،

والتى تكون مع غيرها من الجرائم، أسبابا لنزول العذاب إذا لم يتوبوا ويرجعوا إلى الله تعالى.

فهل فى هـذا الموضوع الذى نحن بـصدده قول يصلح سنـدا لماسنقول من تـفسير للنازعات وأخواتها.؟

نعم، هو قول عطاء بن رباح عن النازعـات أنها القسى جمع قوس وهو آلة الحرب القاذفة للسهام فهو سلاح قاذف وقال عن الناشطات هى الأوهاق أى الحبال فى آخرها الانشوطة التـى تعلق فيها الخيل او الدابـة، أما السابقات عنده فهى الخـيل وهى أخطر سلاح فى الحرب القديمة.

وقال قتادة إن النازعات غرقا الكافر، ولم يقل الملائكة تنزع نفس الكافر، وإنما ربط بين الكفر وبين النازعات، ثم قال عن السابقات أنها النجوم.

أما الذى ورد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه بأن النازعات وآخواتها الملائكة فليس مايمنع أن يـكون حقا ، ولكن لايمنع أن تكون الآيات أكثر إنطباقا وصدقا على أسحلة الحرب، لأن الصلة التى بين هذا التـفسير- أى أسلحة الحرب- وبين الراجفة أوثق من الصلة التى بين هذا اليوم وبين الملائكة كما سنرى.

فالتفسير بالسلاح ارجح، ولكن ليـس بالسلاح القديم فقط، إذ تكون ارجح وأكثر مطابقة، حسـب اللغة، للسلاح البحرى المـعاصر، وليس القسم بالأسلـحة الفردية بل بالاسلحة الجماعية والبحرية بالذات، تلك التى تُكوّن جيشا عرمرما كاملا وقوة جبارة باطشة يمـكنها التدمير والغزو لأى بـحر أوبر فى الأرض. وهو قوة العلو الـكبير فى الأرض ليس لأمـريكا فحـسـب بل لبـنى اسرائيـل الذين سيـطروا عليـها وحكمـوها بالافساد فيـها، ثم بالأفساد بها فـى كل الأرض، إن أول ماتشير إليه الآيـة (والنازعات غرقـا) أننـا بازاء أمـر بحـرى، لأن البـحار والمحيـطات اكـثر مـن ثلاثـة أرباع الـكرة الأرضية، ومـن يسيطر عـليها يحكـم الأرض، وهذه الغاية تحـتاج إلى أسلحـة وقطع وأجهزة بـحريه خاصة ومـتنوعة. نعم، ولـكن هذا الأمر قديـم إذ قد عرفت البـشرية الاساطيل البحرية منذ القدم.

هذا صحيح، بيد أن هذه الأساطيل القديمة كانت مجرد سفن تحمل الجنود وعليها سلاح واحد فقط هو المنجنيق ثم المدفع، فكانت ذات شكل واحد وطراز واحد ومهمة واحدة ، أما الأسطول البحرى المعاصر، فقد تعددت قطع الاسطول من حيث الحجم والشكل والسرعة، ومن حيث الوظيفة القتالية لكل قطعة فى هذا الأسطول، حتى يمكن القول أن الأسطول الامريكي الواحد جيش بحرى وجوى وبرى كامل متكامل عائم فوق سطح الماء، تخرج قِطَعُهُ من الترسانة التى صنعته فى أمريكا، فلاتعود إلى شواطئها بعد ذلك إلا إذا أُحيلت الواحدة منه إلى التقاعد، وخرجت من الخدمة، أيْ تظل هذه الأساطيل أو بالأحرى الجيوش الأمريكية العائمة تجوب البحار والمحيطات، وهى على صلة وثيقة آنيَّة بقيادتها فى البنتاجون على بعد آلاف الأميال كأن حكومتها وقيادتها الموجودة فى واشنطن معها وإن لم تكن فيها.

صحيح أن القسم الإلهى بالنازعات وأخواتها لايخص أساطيل امريكا وحدها بل يعم ويضم جميع هذه النازعات وأخواتها فى كل بحار ومحيطات الدنيا، إلاَّ أنه يحق لنا بلاجدال أن نقول إنه قسم بالأسطول البحرى المعاصر بعامة وبالإساطيل الأمريكية بخاصة كما سنرى بعد بإذن الله تعالى.

أما القطع البحرية فى الأسطول البحرى بعامة وفى الأسطول الأمريكى بخاصة، والتى هى مختلفة فى الحجم والشكل والسعة، والمهام القتالية الموكولة بها، فهى كالتالى بحسب الأحدث فى الاختراع والصنع:-

أولا: الغواصات وهى النازعات غرقا. اقول، وبالله تعالى التوفيق والسداد وله الحمد والمنة، أنه سبحانه يقسم بالنازعات غرقا أى التى تدفع بنفسها مرتفعه من قاع البحر إلى سطح الماء منازِعة للغرق، أو تنزع نفسها لتطفو مع كونها غارقة فى الماء.

قال ابن فارس فى معجمه عن مادة: نزع: أصل صحيح يدل على قلع شئ، ونزعتُ الشئ من مكانه نزعا.. والنازع هو الذى ينزع فى القوس أى يجذب وتره بالسهم) ونزعت الماء من البئر أى رفعته،(وبئر نزوع قريبة القعر ينزع منها باليد)(١)

(١) ابن فارس / ٥/ ٤١٥.

فمعنى النزع الأخذ مع الشدة والرفع، والخلع والترك. والنازعات جمع نازعة اسم فاعل، وليس لها فى القسم مفعول مطلق كقوله(والناشطات نشطا) بل قال(غرقا) وهو فى معنى الحال أى أن نفس المنازِعة غارقة ، أى تنزع نفسها فى حال كونها غارقة، فهى تنازع الغرق.

والذى يسبح فوق الماء لاينازع الغرق أولا ينزع نفسه من الغرق وإنما هو يقاوم الغرق بأن يظل على سطح الماء بما يفعله من حركات تعرف بالسباحة، أما الذى ينزع نفسه وهو غارق، فلابد أن يكون تحت سطح الماء، فإذا نزل تحت السطح وتوغل فى الأعماق رغما عنه فهو الغرق، وإذا فعل ذلك بارادته فهو الغوص وهو غواص، بيد أن الغريق هالك ولايطفو إلى السطح إلاَّ جثة وبالنسبة للسفن تطفو بعد غرقها ألواحًا خشبية مبعثرة. أما الذى يغوص حتى القاع ثم إذا شاء إرتفع إلى السطح فهو الذى ينزع نفسه بالرغم من كونه غارقا تحت سطح الماء.

والغواصة آخر المخترعات البحرية صنعا واختراعا تغوص ثم تنازع الغرق فتطفو إلى السطح فالنازعات غرقا هى الغواصات. وقد أعطاها الذكر الحكيم بهذه التَّسَمية أخص مايميزها عن غيرها من قطع الأسطول الأخرى، وهى منازعة الغرق والتخلص منه، لأن الغوص وهو المعنى الذى اشتق منه اسمها عند البشر ليس هو الميزة التى تتميز بها لأنه ميسور لكل جسم فوق سطح الماء إذ هو ليس إلا الغرق، ولكن جوهر وكنه هذه القطعة هو منازعة الغرق، والاستطاعة على الصعود للسطح إرتفاعا من القاع، ومن ثم فتسمية الذكر الحكيم لما نطلق عليه نحن البشر الآن «البغواصات» «بالنازعات غرقا» أدق وأصح وأوضح.

ثانيا: (والناشطات نشطا) قال أبوعبيد هى النجوم تطلع ثم تغيب وقيل هى النجوم تنشط من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد، وقال ابن مسعود وابن عباس هى الملائكة).

وفى اللسان(نُشِّطَتْ الإبل تنشيطا إذا كانت ممنوعة من المرعى فأرسلتها ترعى وقالوا أصلها من الانشوطة إذا حلت) (ونشطت الناقة فى سيرها وذلك إذا شَدَّتْ)(١).

والذى يمكن استخلاصه من هذا كله أن المعنى اللغوى الدقيق للأصل: نشط هو الإنطلاق المفاجئ السريع القوى، إما بعد سكون وتوقف، وإما بعد حركة أبطأ من سرعة الإنطلاق. يؤكد هذا المعنى قوله فى اللسان(ورجل متنشط إذا كانت له دابة يركبها فإذا سئم الركوب نزل عنها، ورجل متنشط من الانتشاط، إذا نزل عن دابته من طول الركوب)(١) فالنشاط هو الحركة والإنطلاق بعد الركون والسكون والتوقف، أو هو الاسراع المفاجئ بعد الإبطاء، وهذه الصفات بالنسبة لقطع الأسطول تتوفر فى ذورق الصواريخ أو ذورق الطوربيد أو الطراد لأنها جميعا تتصف بالحركة المفاجئة السريعة، بينما سائر قطع الأسطول الأخرى تحتاج إلى التدرج فى السرعة فلاتستطيع المناورة كالناشطات نشطا لأن أهم مافى السلاح المناور هو القدرة على السرعة المباغته مع الإلتفاف وتغيير الاتجاه بخفة وسرعة.

فالنشاط بهذا المعنى هام جدا لوظيفة الذورق والطراد ومهامهما القتالية. وقوله تعالى(نشطا) هو مفعول مطلق لتأكيد هذا المعنى وبيان شدة النشاط وقوته.

ثالثا: (والسابحات سبحا) السابحات جمع سابحه اسم فاعل وسبحا مفعول مطلق يفيد التأكيد ، والسباحة العوم وهو الطفو فوق سطح الماء مع الحركة، إذا الفرق بين قولنا يطفو وقولنا يسبح هو حركة السابح وانتقاله فوق سطح الماء من موضع إلى موضع آخر. ومن هذا قوله تعالى: ﴿وكل فى فلك يسبحون﴾ لأن الأجرام والكواكب [illegible] فى فلك دائرى أو بيضاوى حول مركز، وتحافظ على مستوى البعد أو الارتفاع عن هذا المركز كما يحافظ السابح فوق الماء على بعد ثابت بينه وبين القاع فلا يغرق ولاينزل تحت مستوى سطح الماء، أى يظل دائما على سطح الماء أثناء انتقاله من موضع إلى موضع.

---

(١) لسان العرب لابن منظور.

وللسائل أن يسأل: أَلَيْسَتْ البشرية تركب السفن السابحة، منذ ابيها الثانى نوح؟ ففيم يكون القسم بالسفن السابحة بعد القسم بالغواصات وبالزوارق الناشطات؟

حقا إن الله تعالى عظيم ولايقسم إلا بعظيم من الخلق والأمر.

وجوهر معنى هذا القسم يكمن فى قوله تعالى(سبحا) التأكيدية والتى تدل على ضخامة وعظمة السباحة الحادثة ومن ثم ضخامة وعظمه السابحة من هذه السابحات وهذا يشير إلى أنها حاملات الطائرات.

أرأيت مدينة عائمة طافية فوق سطح الماء تتكون من عشرة طوابق إرتفاعا ومئات الامتار طولا وعشرات عرضا، بها كل مقومات وإمكانيات الحياة الرغدة المرفهة وغرف النوم التى تستوعب آلاف الجنود الذين يستقبلون بصفه دورية زوجاتهم أو صديقاتهم أو اللائى يأتين للترفية عن الجنود والضباط.

قرية من قرى امريكا أوقل مدينة صغيرة بمساكتها وأسواقها ومطاعمها وطرقاتها ومصادر طاقاتها النووية علاوة على اجهزتها العسكرية والطائرات التى عليها والمدرعات التى تحمل جنود مشاة البحرية للنزول على الشواطئ للقتال.

حتى وزارة المالية الأمريكية والبنك المركزى الذى يتولى طبع الدولار الأمريكى موجود له فرع فى هذه المدينة ليطبع المرتبات التى يتقاضاها الجنود، تلك هى السابحة سبحا.

إنك إذا نظرت لأول وهلة إلى هذه القطعة تظن أنك ترى اليابسة أو جزيرة فإذا نظرت للوهلة الثانية تتيقن أنك إمام جزيرة عائمة، وهى كذلك، مطار عائم، وهو كذلك. وتلك هى الجوارى فى البحر كالأعلام. التى يظن الأنسان الكافر واهما أَنَّهالَهُ وأنه يملكها ملكية حقيقية لكن عندما تأتى الريح العاصف والأعاصير وتعلو الأمواج كالجبال ويوشكون على الغرق يدركون أنها لله تعالى وأنه هو وحده المالك الحقيقى لكل شئ فى الأرض وفى السماء ويعلمون أنها لله تعالى ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[الرحمن ٢٤-٢٥] تلك هى السابحات

سبحا.جيش عظيم عائم بكامل معداته وجنوده حتى الطيران والمدرعات، تحاول أن تسيطر به الآن دولة واحدة على الأرض، هي عاد الثانية التى قال رئيسها بوش ومن بعده كلينتون ليس على وجه الأرض قوة أعظم من قوة الولايات المتحدة الأمريكية والقرن الواحد والعشرون هو قرن أمريكا. كأنهم ملكوا حتى الزمن وضمنوا مجيء القرن الواحد والعشرين؟!

كذلك استكبرت عاد وقالت من قبل ﴿من أشد منا قوة﴾ والسباحة هى العوم فوق الماء فلايشترط فيه سرعة الانتقال والحركة لأن حقيقة السباحة هى استمرار الطفو وعدم النزول تحت سطح الماء. فالسابحات اذاً ليست سريعة كالناشطات ولا تناور مثلها ولاتغوص تحت سطح الماء كالنازعات لأنها صنعت لكى تكون مدينة عائمة لها مطارها.

وربما تدخل فى السابحات أيضا مع حاملات الطائرات المدمرات وهى بوارج حربية عظيمة محمله بالمدافع الثقيلة والطور بيدات وسرعتها محدودة أيضا كحاملة الطائرات بالقياس إلى الناشطات.

وكذلك يدخل في معنى السابحات العبّارات ؟ المصممة والمصنوعة للسفر عبر المحيطات وهى كالمدن العائمة التى يصدق عليها قوله تعالى﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ﴾ أى كالجبال وهى منشآت أنشأها الإنسان كالعمارات السكنية ومن ثم تسبح فوق الماء سبحا، وقوله تعالى : (له) عن الجوارى المنشآت العظيمة كالأعلام التى لم يكن لها وجود بهذا الوصف إلا فى هذا العصر يدل على أنها الأساطيل البحرية الضخمة التى يظن أعداء الله تعالى أنهم يملكونها على الحقيقة وأنهم بها أقوى قوة في الأرض ولكنهم ومايملكون من قوة ملك لله تعالى وحده. فهى له وحده سبحانه ولا يـ...ـخدمونها الا بأمره وسيبطل الله تعالى كيدهم.

وكذلك يدخل فى السابحات سفن الشحن العملاقة التى منها ناقلات البترول العملاقة التى تحمل مئات الآلاف من الأطنان.

فالقسم اذن يشمل ماهو عسكرى بحرى وماهو مدنى للسفر فى البحر وماهو مدنى للتجارة والنقل البحرى.

خامساً: قوله تعالى(فالسابقات سبقا) يجعلنا نسأل لماذا العطف هنا بالفاء وقد كان قبل بالواو؟ الواو تفيد الإضافة والجمع أى أن قسمه سبحانه بالنازعات وبالناشطات وبالسابحات تفيد أن كل منها قطعة مستقلة عن الأخرى، وكل منها مكوّن رئيسي وعضو مستقل عن الآخر فى الأسطول، لاختلاف المهام القتالية لكل منها، وإن كانوا جميعا تابعين لقيادة الأسطول أو القيادة العامة كما سنرى هذا بعد.

أما قوله (فالسابقات سبقا) بالفاء التى لاتفيد الجمع، وإنما تفيد الترتيب والالحاق أو ذكر لازم الشئ للشئ فتكون السابقات غير مستقلة عما تسبقها وليست عضوات مستقلات عن الثلاثة المذكورات، بل هى ملحقات بها جميعا، وهى سابقة لها جميعا فى نفس الوقت. فماذا تكون هذه الملحقات بالنازعات والناشطات والسابحات وسابقة لها جميعا.؟ إنها الصواريخ والطور بيدات وقذائف المدفعية والطائرات أليست الغواصات حاملة للطوربيدات والصواريخ التى تنطلق منها إلى الأهداف المراد تدميرها بحرا وبرا وجواً؟ بلى.أليست زوارق الصواريخ والطرادات حاملة لكل ذلك؟ بلى. أليست حاملة الطائرات حاملة للطائرات التى تسبقها إلى الأهداف وتعود إليها؟ تلك اذن هى السابقات سبقا الملحقات بالاسطول فالفاء تفيد أنها- أى السابقات- ليست سوى لوازم ومكملات للثلاثة الرئيسية فى الأسطول البحرى، والتى بدونها لاتتحقق الأهداف الحربية، وهى سابقات لامهاتها اللائى يحملنها، وهو سبق أى سبق بدليل قوله تعالى(سبقا) لتأكيد السبق لشدة السرعة اذ تنطلق جميعا بقوة رد فعل النار المنفوثة من خلفها.

خامسا: قوله تعالى(فالمدبرات أمرا) والعطف هنا بالفاء أيضا، لأن هذا الأمر لازم لكل ماسبق وهو ومدبره وبدون المدبرات للأمر لاتنطلق السابقات من الاسطول، إذ المدبرات بمثابة الرأس لها جميعا، وهى قيادة الأسطول كله، واصدار الأوامر القتالية بناء على رؤيا شاملة فيكون التنسيق بين جميع قطعه من أمر المدبرات، ويجوز أن

يمتد امر المدبرات إلى قيادة الأساطيل فى العاصمة واشنطون فى مبنى البنتاجون أو الأخرى بموسكو أو بلندن، وربما كان الآمر الحقيقى ومدبر الموقعة هو قائد اليهود في افسادتهم الأخيرة وعلوهم الكبير فى الأرض، حيث ثبت أنهم يشعلون الحرب لتحقيق مصالحهم ولإمكان السيطرة على الأرض فيحاربون من عصاهم بمن أطاعهم.

(٤٢) العلاقة بين الأساطيل البحرية العسكرية المعاصرة بعامة والاساطيل الأمريكية بخاصة وبين رجفة الأرض

عندما تكون القوى العسكرية العظمى المتعادية والمتنافسة فى الأرض متوازنة تقوم سنة الدفع التى بها يحمى الله تعالى الضعفاء والمساجد والصوامع والبيع التى يذكر فيها اسمه تبارك وتعالى.

أما إذا انفردت قوة واحدة بهذه الأساطيل وسيطرت عليها هى وأنواع الأسلحة الأخرى وسخرتها لحسابها بطريقة خفية، ونعنى بهذه القوة الصهيونية بقيادة المسيح الدجال، فإن هذا الإنفراد بحكم الأرض هو إستثناء مؤقت لأنه مخالف لسنة الله تعالى الخاصة بالدفع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(البقرة٢٥١) وقوله تعالى أيضا: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ (الحج/ ٤٠) وهذا معناه أن البشرية قد عادت إلى أيام عاد الذين إنفردوا فى الأرض بالقوة وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾. فإذا جاء اليوم الذى تتوقف فيه سنة الدفع وبدأ الطاغوت المتفرد بالقوة فى الأرض كلها فى إستئصال المؤمنين، والقضاء على الإسلام وكثر هدم المساجد والصوامع والمذابح الجماعية والحروب غير المتكافئة ضد المسلمين التي لاتلبث أن تنطفئ هنا فتشتعل هناك، فإن هذا اليوم الذى يحدث فيه هذا يكون هو يوم الراجفة ويوم نزول العذاب، مالم ترجع البشرية إلى ربها، أى يكون هذا اليوم هو زمن الواقعة ولترتقب البشرية زلزلة الساعة.

فهذه الأساطيل البحرية العسكرية التى يمتلكها الغرب بعامة، والتى تمتلكها امريكا بخاصة، ليست مجرد امارات تقنية للساعة فحسب، بل هى أيضا معلم سياسى لهذا الزمن، إذ لأول مرة تنفرد قوة واحدة بحكم الأرض متعاونة مع قوى أقل بإتفاق ضد حزب الله أو أمة الأسلام، هذه القوى هى الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الأطلسى الذى يتوسع ويمتد شرقا،وتعلن هذه القوة الصليبية المتحالفة أن عدوهم الوحيد هو أمة الإسلام. وفي اواخر عام ١٩٩٧ صوّب البنتاجون ١٥٠٠ صاروخ تحمل رؤوس نووية إلى مدن العرب والإسلام واعلن بيل كلينتون ذلك بنفسه.

ولأول مرة فى تاريخ البشرية منذ الإعلان عن النظام العالمى الجديد تتولى سلطة عالمية تعاقب الدول المُستضعفة، وليست هذه السلطة الا الدول القوية وعلى رأسها جميعا إسرائيل وجميعها تستتر خلف مجلس الأمن، ولأول مرة تمتلك فئة واحدة أموال الناس كلهم، ويدار الاقتصاد العالمي في كل الدول بالربا لصالح هذه الفئة فيزدادون جمعا للمال ويزداد الناس جميعا فى كل بلاد الدنيا عوزا وغلاء ومرضا.

لأول مرة يبدأ حكم الدَّجَّال للعالم من وراء ستار إستعداداً للمرحلة الثانية لخروجه والإعلان عن نفسه، ومن أدوات حكمه، بل من أهمها وأخطرها هذه الأساطيل التى يسيطر عليها من خلال سيطرته على دولها وشعوبها وإقتصاد هذه الدول وإعلام هذه الشعوب.

هذا اليوم هو يوم الراجفة يوم زلزال الأرض العظيم الذى سيدمر به الله تعال مكر هؤلاء المفسدين فى الأرض ليتيح للمسلمين فرصة اعادة الخلافة الراشدة بالمهدى، بإذنه وعونه وتوفيقه ورحمته وبركته سبحانه وتعالى.

فالقسم به هو كالنازعات وأخواتها والمقسوم عليه هو العذاب الذى ينزل يوم ترجف الراجفة. فالنازعات علامة وأمارة ومقدمة للرجفة. إن لم يعودوا ويتوبوا إلى الله عز وجل. لذلك قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ الأولى هى القيامة الصغرى والثانية هي الساعة التى يموت بها كل حى.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك، وقنا عذابك يوم تبعث عبادك.

الفصل الثالث

القوات الجوية والصواريخ

المدمرة فى الكتاب والسنة

(٤٣) التفسير اللغوى المحض للعاديات ضبحا وأخواتها يصدق على الطيران الحربى والصواريخ اكثر من أى شئ آخر.

قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١)﴾ (١/ ١١/ العاديات)

وحسب قاعدة العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، نقول إن الآيات تنطبق على الخيل باعتبارها أسلحة مدرعة فى الحرب القديمة فإذا ثبت انها تنطبق وتصدق - بمقتضى اللغة - على اسلحة الاغارة الحديثة والمعاصرة اكثر وأشد انطباقا من الخيل باعتبارها سلاح الاغارة فى الحرب القديمة، كان تأويلها المعاصر أولى.

والأمر الثانى ان الآيات قَسَمٌ بهذا السلاح المغير بينما المُقْسَمْ عليه وهو (إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد) حدث لم يتم ولم يتحقق فى تاريخ البشرية إلا فى العصر الحديث، وسنوات القرن العشرين، كما سنرى بعد، ومن ثم يكون تأويلها بما نقول أولى.

والأمر الثالث هو أن رسول الله ﷺ سكت عنها، ومن ثم اجتهد الصحابة والتابعون وإختلفوا ،ورجحوا، وهذا يعطينا الحق فى التأويل المناسب لعصرنا بشرط المطابقة للمعنى اللغوى الخالص. لأن هذا الشرط هو العاصم الوحيد من القول فى كتاب الله تعالى بالرأى أو بالهوى، والتزام اللغة فى التأويل يلزم المؤمنين الأخذ بهذا التأويل اللغوى المحض.

ففي القديم فسرها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بالخيل وهي تضبح عندما تعدو، وتصطك سنابكها بالصخور والحجارة فيخرج منها شرر النار، وهذا معنى ﴿فالموريات قدحا﴾ أي كما يقدح الزند فيخرج منه الشرر، عند بعض المفسرين وهي ايضا المغيرات صبحا على العدو تفاجئة وتثير الغبار في الحي المغار عليه (فأثرن به نقعا) وتنتهي الاغارة بان تتوسط هذا الحي فتنزل به الهزيمة (فوسطن به جمعا).

وفسرها على بن ابي طالب رضي الله عنه بالابل وليس بالخيل. جاء في الدر المنثور للسيوطي (عن ابن عباس قال بينما انا في الحجر جالس اذ أتاني رجل فسأل عن ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾.

فقلت: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي الى الليل، فيصنعون طعامهم ويورون نارهم، فانفتل عني فذهب الى علي بن ابي طالب، وهو جالس تحت سقاية زمزم فسأله عن ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟.

قال: نعم، سألت عنها ابن عباس فقال: هي الخيل حين تغير في سبيل الله، فقال اذهب فادعه لي، فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك؟! والله ان أول غزوة في الاسلام لبدر، وما كان معنا الأ فرسان، فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف يكون العاديات ضبحاً؟! وإنما العاديات ضبحاً من عرفة الى المزدلفة، فإذا أدوا إلى المزدلفة أَوْ رَوْا إلى النيران، والمغيرات صبحا من المزدلفة إلى منى، فذلك جمع، وأما قوله: فاثرن به نقعًا، فهو نقع الأرض حين تطؤه بخفافها وحوافرها. قال ابن عباس: (فَنَزَعْتُ عن قولي ورجعت الى الذي قال علي)[1].

(وروى ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح في الموريات قدحًا قال هو الرجل إذا اورى زنده اي قدح زنده ليخرج منه الشرر الذي يوقد منه النار).

والخلاصة أن الذي اقسم به الرب تبارك وتعالى هو: إما أن يكون من وسائل الركوب للسفر في السلم وهي الابل قديما، وإما أن يكون من أسلحة الاغارة صبحا على العدو في القتال، وفي جميع الاحوال موريات النيران ليست شرراً بسيطا بل

(١، ٢) الدر المنثور جـ٦ صـ٤٢٩

نيرانًا مشتعلة مصاحبة للعاديات سفرا أو اغارة، والذى أقوله وبالله تعالى التوفيق والسداد، هو أن المقسم به يصدق على الطائرات وبالذات الحربية المغيرة اكثر من صدْقِهَا على تأويلها بالابل أو الخيل والله تعالى أعلم.

فالعاديات جمع عادية، والعَدْوُ هو الاسراع فى الحركة، وهو اسم فاعل وضَبْحًا حال والضبح هو الاصوات التى تخرج من أجواف هذه العاديات اثناء العدو وبفعله، وهذا ما ينطبق على الجيل الأول من الطائرات المروحية التى فى جوفها محركات قوية لها هدير خارج من أجوافها فهو ضبحها وهى عاديات ومغيرات صبحا إذ استخدمت هذه الطائرات المروحية عسكريا فى الحرب العالمية الثانية فى الاغارة على الاعداء، لكن القسم بالعاديات ضبحًا اعقبه قسم آخر هو (فالموريات قدحا) والعطف بحرف الفاء يفيد التعقيب والالحاق اكثر من الاضافة، فهو ليس قسما بشئ جديد مخالف ومغاير لما سبقه، وإنما هو من نوعه وجاء بعده، وهذا هو الجيل الثانى من الطائرات وهى الطائرات النفاثة التى تقوم على نظرية رد الفعل إذ تنطلق النيران من خلفها بقوة فتندفع الى الامام، أى فى الاتجاه المعاكس بنفس القوة، فتقلع الطائرة وتطير. فجوهر النفاثات، وايضا الصواريخ، هو اشعال النيران العظيمة ودفعها الى الخلف بقوة، وهذا هو المدلول اللغوى المحض للموريات قدحا ففى اللغة (ورَى الزَّنْد يُرِى وَرْيًا وَوَرًّاه: خرجت ناره)(١). (ووريتُ النار تورية إذا إستخرجْتُها)(٢) (قال الزجاج: وراء يكون لخلف وقدام ومعناه ما توارى عنك اى ما استرعنك)(٣) فالموريات إذن هى النفاثات لان نيرانها مخفية، وهى تخرج من خلف بقوة لتدفع الجسم الى الامام، فالموريات قدحًا هى التى تقدح نيرانها وتوريها، اى تشعلها مع اخفاء، اذ تجعلها وراءها، وهذا هو عمل المحرك النفاث الذى تقلع به الطائرة النفاثة والصاروخ أيضا.

---

(١)، (٢)، (٣) لسان العرب لابن منظور / حـ٦ ص ٤٨٢١.

يؤكد هذا، أنها هى المغيرات صبحًا للعطف بحرف الفاء، وليس بالواو، وهذا ما يصدق اكثر على الطائرات المغيرة فى الحرب، إذا تكون الاغارة عادة مع اول ضوء النهار، وأما الاغارات الليلية فهى أحدث اختراعا بعد اختراع أجهزة الإبصار الليلية ومع هذا، فلازالت المهام القتالية الرئيسية تتم بالنهار وفى الصباح الباكر مع اول ضوء بصفة خاصة.

وقوله (فالمغيرات.....) اشارة إلى الغارات الجوية، وهو نفس اللفظ المستخدم للتعبير عن هذه العمليات الجوية فى البيانات العسكرية لقيادة الجيوش المحاربة.

يؤكد هذا نتيجة هذه الغارات او ما يعقبها (فأثرن به نقعًا) ونون النسوة فى هذا الفعل عائد على العاديات الموريات اى النفاثات المغيرات فى الصباح الباكر فتثير بعد الاغارة النقع. فما هو النقع فى اللغة؟!

النقع هو الماء فى باطن الأرض، او فى مُسطَّحٍ فى شكل قيعان او منخفض ممتلىء بالماء فهو مستنقع، وكذلك الماء فى قاع البئر هو نقع، ففى الحديث (لا يُمنع نقع البئر ولا رَهْوُ الماء)[1] وفى الحديث ايضا (لا يقعد أحدكم فى طريق أو نقع ماء)[2] ينهى الرسول ﷺ فيهما عن منع الماء عن طالبه، كما ينهى عن قضاء الحاجة فى الطريق وفى نقع الماء حتى لايتنجس ويؤذى من يستخدمه للشرب.

قال صاحب اللسان (وكل مجتمع ماء: نقع، والجمع نقعان، والنقع القاع منه، وقيل هى الأرض الحرة الطين ليس فيها إرتفاع ولا إنهباط، ومنهم من خصَّص) وقال: التى يستنقع فيها الماء)[3] والناقع هو القاتل (ويقال: سم ناقع أى بالغ قاتل وقد نقعه اى قتله)[4] والعجيب أيضا فى معانى مادة: نقع الهدم والتدمير قال فى اللسان (وانقعتُ البيت اذ جعلتُ اعلاه أسفله)[5] والاعجب أن من معانيها ايضا الصراخ ورفع الصوت والعويل قال فى اللسان ايضا (والنقيع الصراخ، والنقع رفع الصوت)[6].

---

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦) اللسان لابن منظور ص٦ ص ٤٥٢٦.

أرأيتم لفظا واحدا فى لغة من اللغات يجمع فى معانيه كل آثار ونتائج نزول القنبلة من الطائرة على الأرض، أو نزول الصاروخ على موقع من الأرض مأهولاً بالناس وبمساكنهم او غير مأهول بهم مثل قوله تعالى (فأثرن به نقعا) باللسان العربى المبين؟! فما تثيره هذه الغارات ليس مجرد غبار كما ذكرت كتب التفسير التى فسرت العاديات بالإبل او الخيل او بهما معاً باعتبار أن هذه وتلك لاتملك من الاثارة فى الأرض إلا الغبار.

أما العاديات التى تثير غاراتها الماء من باطن الأرض أو الذى على سطحها وتهدم المساكن رأسا على عقب وتقتل الأحياء وتسبب الفزع والصراخ فليست الا الطائرات القاذفة للقنابل، وليست الا الصواريخ فتنفجر الأرض وينطلق من باطنها الماء وتهدم وتقتل وتحدث الفزع فيسمع الصراخ والعويل، وكل هذا فى لفظ واحد هو (نقعاً) فبمقتضى التعبير اللغوى المحض (فأثرن به نقعًا) ماذا يكون الذي يفجر الماء ويهدم ويقتل الا الصاروخ والقنبلة؟!

أما من قال إن معنى (فأثرن به نقعًا) يعنى التراب فإنه قد ترك المعنى الحقيقى للكملة ولجأ للمجاز، لأن الخيل أو الابل لاتحدث الحفر العميق الذى ينفجر منه الماء كما أنها لاتهدم المساكن والمبانى، ولاتقتل بمجرد عَدْوهَا وانما أقصى ما تحدثه هو إثارة الغبار، مع أن الغبارليس من معانى النقع المثار فى اللغة اذ هو الماء من البئر أو من المستنقع او من باطن الأرض، فإذا أضفنا الى هذا المعنى الاثارة للماء من باطن الأرض مع الهدم والقتل والصراخ، تأكد لنا أن هذه الآثار لا تجتمع الا بفعل القنابل المقذوفة والصواريخ.

يؤكد هذا التأويل اللغوى المحض ان القنابل والصواريخ تسقط وسط المدن والمجمعات السكنية، أو التجميعات العسكرية حسب الاهداف المحددة فهى التى تتوسط الجمع مباشرة من غير إجتياز أطراف المدينة ومداخلها، وكذلك بدون إجتياز المعسكرات من أبوابها أو أسوارها، ومن ثم قال تعالى (فوسطن به جمعا) اى النزول فى وسط الهدف المراد تدميره مباشرة، وهذا ما لايتم فعلا إلاً بالقنابل التى تسقطها الطائرات القاذفة وبالصواريخ بانواعها جو أرض وأرض أرض وبحر أرض.

وبهذا يكون تأويل العاديات بالطائرات القاذفة والصواريخ أولى من تأويلها بالخيل او الإبل، لأن هذه الأخيرة لايمكنها ان تتوسط الجمع مباشرة بل لابد لها ان تجتاز الى الوسط من الاطراف بخلاف ما توحى به الآية الكريمة.

(٤٤) عصر الطائرات والصواريخ هو عصر المجاهرة بالكفر والالحاد

ويؤكد هذا كله أخيرا ما يفترض من وجود علاقة بين المقسم به والمقسم عليه، وقد علمنا المقسم به وهو الطائرات والصواريخ التى تعتبر من الامارات المعاصرة، ومن ثم فلا بد ان يكون المقسم عليه هو أيضا حدث معاصر، لم يكن له وجود فى القديم، فما هو؟ المقسم عليه هو: (إن الانسان لربه لكنود) اى لجاحد منكر، وهذا إنكار لوجود الرب سبحانه وهو ظاهرة الإلحاد أى انكار وجود الإله الرب الخالق للكون وللانسان، ولكن قد يقول قائل: الإلحاد موجود منذ القدم، وليس ظاهرة حديثة وطارئة فى حياة البشر.

وللرد عليه نقول: هذا ليس صحيحا على إطلاق، اذ لم ينتشر الإلحاد على مستوى الشعوب فى تاريخ البشر المكتوب، وانما كان محصورا عند القلة النادرة من الفلاسفة.

وظلت اوربا خاضعة للكنيسة حتى بدء ما يسمونه بالعصر الحديث الذى تَخَلَّصتْ فيه الشعوب الأوربية من سلطان الكنيسة، ومن ثم لم تعد تطبق عقوبة التجديف او الالحاد أو الكفر العلنى، وكذا فى العالم الاسلامى، اذ كان الكافر يخفى كفره ولا يجرؤ على اعلانه، أما فى العصر الحديث وبعد اعلان العلمانية فقد إنتشر الإلحاد على نطاق أوسع شعوبيا واعلاميا وتربويا وبخاصة فى دول الاتحاد السوفيتى الشيوعى والصين وسائر البلاد الشيوعية، وأصبح الإلحاد هو العقيدة الشرعية لهذه البلاد وأصبح الالحاد علانية يشهد الملحد على نفسه بالالحاد مفتخرا به، وهذا ما يدل عليه السياق بقوله تعالى: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ اى معلنا الحاده وشاهد على نفسه، ونظراً لأن الالحاد لم يكن مذهبا رسميا إلا فى روسيا الشيوعية والبلاد التى إستعمرتها بما عُرف بالاتحاد السوفيتى ولا رتباط الالحاد بشيوعية المال حسب زعم

الماركسيين، بان مشاكل البشرية الاقتصادية لن تحل الا بالماركسية الشيوعية المؤسسة على الالحاد، فإن السياق تضمن تكذيب هؤلاء الشيوعيين الملاعين وفضحهم بأنهم أشد حبًا للمال وللإستئثار به من الرأسماليين فقال تعالى عن الملاحدة بعامة وعن الاشتراكيين والماركسين منهم بخاصة (وإنه لحب الخير لشديد) اى لحب المال لشديد فإذا ما حكموا الشعوب بالشيوعية واعدين إياهم بانها ستحقق لهم الرفاهية نهبوهم وعاش الحكام الشيوعيون فى رغد من العيش بينما يعانى البلوروتاريا أىْ الطبقه الكادحة شظف العيش وقسوته وإنتهت الدولة اللادينية بعد نيف وسبعين عاما بالافلاس فالقسم والمقسوم عليه حدثان متعاصران تماما إذ بدأت الدولة الشيوعية عام ١٩١٧ مع بدء تطور الطيران ليصبح بعد ذلك من أهم وسائل السفر مدنيا ومن أهم الاسلحة المغيرة المدمرة من ناحية أخرى. وكانت روسيا اكبر متسابق مع أمريكا فى هذا المضمار، وفى امريكا يعبدون الدولار صراحة وكذا كان الامر فى الاتحاد السوفيتى خفية.

ثم قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (العاديات / ٩ - ١١). فهذا القسم اذن يتناول السلاح الجوى والدمار الذى يلحقه بالمدن، والقتل الذى يسببه للانسان بالقنابل والصواريخ وبغيره من أسلحة الدمار الشامل كما يسمونها فى هذا العصر.

لقد تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ بأن بين يدىّ الساعة الهرج الهرج، وهو القتل الكثير بلغة الحبشة، ولا يكون القتل كثيرا إلا إذا كان جماعيا وليس فرديا، يدل على هذا حديث [حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (منْ إقتْراب الساعة إثنتان وسبعون خصلة)... ذكر منها (واستخفوا بالدماء)](١) وعن ابى موسى رضى الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا شاهد فقال (لايعلمها إلا الله ولا يجليها

(١) رواه ابو نعيم فى الحلية.

لوقتها إلا هو، ولكن سأحدثكم بمشاريطها وما بين يديها: ألا إن بين يديْها فتنة وهرجا، فقيل يارسول الله: اما الفتن فقد عرفناها، فما الهرج قال بلسان الحبشة: القتل)[1].

وروى أحمد (عن ابى هريرة عن النبى ﷺ انه قال: «ويل للعرب من شر قد إقترب، ينقص العلم ويكثر الهرج، قيل: يارسول الله، وما الهرج؟ قال: القتل») فكثرة القتل يفيد القتل الجماعى، وهو الحادث الآن بفعل القنابل والصواريخ وعلى رأسها أسلحة الدمار الشامل. بخلاف الحروب القديمة التى اكثر القتل فيها على مستوى الافراد بالسيوف والرماح والنبال اى كان غالبه فرديا. والآن القتل فى الحروب يغلب عليه أنه جماعي وهذا معنى كثرة الهرج اى القتل فى الحديث. فهذه الاسلحة جميعا هى من الامارات الدالة على ان الدنيا آذنت بانتهاء والبشرية الآن بين يدى الساعة.

وقد ورد ذكر الطائرات: مدنية وحربية فى حديث لعلى بن طالب رضى الله عنه أخرجه له نعيم قال (ويل للعرب بعد الخمس والعشرين والمائة، من شر قد اقترب، الاجنحة وما الاجنحة؟ الويل والطوبا فى الاجنحة، ريح تَقْفَاهَبُوا بُهَا، وريح تهيج هُبُوبُهَا، وريح تراخى هبوبها، ويل لهم من قتل ذريع، وموت سريع، وجوع فظيع، يُصب عليهم البلاء صبا، فيكفِّر صدورها ويغير سرورها ويهتك ستورها، ألا وبذنوبها يظهر مراقها... الخ الحديث)[2].

فقوله الويل والطوبا فى الاجنحة اى إما الدمار والموت وإما الخير والنفع والمتاع، وفى هذا اشارة إلى الطيران العسكرى المدمر اولا ثم الطيران المدنى. وبعد هذا ذكر درجات سرعة الاجنحة الطائرة فهى اما تسبق الريح واما تركبه وإما تتراخى عنه وإما تهيجه أى تصنعه بالمراوح فهذا ذكر لأجيال الطيران المروحي والطيران النفاث، وبعد هذا ذكر أنها تصب البلاء أى العسكرى منها، وهو موت سريع وقتل ذريع، وهذا ما يحدثه الطيران الحربى لأن (الموريات قدحا) هى المحركات النفاثة سواء كانت

(١) رواه الطبرانى.

(٢) رواه نعيم رقم ٥٥٧.

للطائرات النفاثة ام للصواريخ الحربية أرض أرض وأرض جو وجو أرض وبحر أرض وبحر بحر وهى صواريخ وطوربيرات، ونتائج استخدام هذا كله الموت السريع والقتل الذريع.

وبهذه الصواريخ يتناول المحاربون خصمهم ويصيبونه ويدمرونه ويقتلونه على بعد مئات الاميال بل وآلاف الأميال وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (سبأ/ ٥٢) والتناوش هو التناول، ومن مكان بعيد يفيد إصابة الخصم عن بعد من غير أن يلتقى الخصمان فى صعيد واحد ويرى كل منهما الآخر بالعين المجردة وهذا لايكون إلا بالمدفعية بعيدة المدى ثم بالصواريخ بعيدة المدى وعابرة القارات.

وسيأتى تأويل هذه الآية مع سياقها فى موضع لاحق بإذن الله تعالى بما يؤكد صدقها ومطابقتها للصواريخ وقذائف المدفعية بعيدة المدى.

الفصل الرابع

القنبلة الذرية وغزو الفضاء

في الكتاب والسنة

(٤٥) التفسير اللغوى المحض لقوله تعالى: (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) يصدق على القنبلة الذرية اكثر من أى شئ آخر

وأول ما يتبادر إلى أذهان أهل هذا الزمان عندما يذكر على سمعه السلاح النووى هو القنبلتان النوويتان اللتان أُلقيتا على هيروشيما وناجازاكى باليابان عام ١٩٤٥ فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا هى أن أهم وأخطر الاحداث والتغيرات البشرية التالية لهذه الحرب، يتمثل فى إنهيار القيم الخلقية وأخطرها جميعا على الإطلاق: بإباحة الزني في اوربا وأمريكا وتوابعهما وصار امرا مشروعا وعلانية بالغاء القوانين التى كانت تُجَرِّم هذا الفعل وإسقاط العقوبات عنه تماما، ثم تلى هذا إلغاء العقوبات عن الممارسات الجنسية الشاذة بين الرجال والرجال وبين النساء والنساء، واشترطوا لاسقاط العقوبة أن يتم الفعل بين بالغَيّن عاقلَيْن بإختيارهما، وهل تُرتكب هذه الجرائم إلاَّ بين إثنين بالغيْن؟!

ولا زالت هذه الفحشاء تزداد إنتشارا وإسفارا حتى صار لها نقابات وجمعيات ومحافل ومؤتمرات تطالب بتطبيعها اى بالنظر الى أصحابها على أنهم طبيعيون، وليسوا منحرفين او شواذا ويطالبون بتعديل القوانين لهذا الغرض.

والسؤال الذى يفرض نفسه علينا هو:

ما العلاقة بين القنبلة الذرية التى بطشت بها أمريكا عام ١٩٤٥ وبين أن تصبح الفحشاء من المعروف وليست من المنكر، فلا يحاسب مرتكبوها ولا يمنع الداعون اليها والمطالبون بالمجاهرة بها؟!

العلاقة بينهما وثيقة، فهما يحدثـان فى عصر واحد ويأتى إشاعة الفاحشة ونشرها والمجاهرة بها بعد إنفجار هاتين القنبلـتين، وخروج الناس من الحرب فرحين بنجاتهم مقبلين على الحيـاة ناسين ربهم راغبين فى المرح والإستمتاع مندفـعين لهذا كله بقوة، فأدى هـذا إلى سرعـة التـغير الاجـتماعـى والخلقـى، وان كان السبب الـرئيسـى هو مخططات الدجال واليهود الخبيثة.

والحدثان مـن أمارات الساعة، ويقـعان بين يدى الـساعة الصغرى، وقـد جاء ذكر هما فى القرآن الكريم لانهما حدثان عظيمـان فى تاريخ البشرية، ومتعاقبان أى يعقب أحدهما الآخر مباشرة.

قال تعـالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)﴾ (٣٣ - ٤٠/ الرحمن) فقوله تـعالى: مخاطبا الجن والانس ﴿ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا ﴾ يتضمن أمراً كـونيا وهـو قوله فى حـالة استـطاعتـكم (فانـفذوا) ويتـضمن أيضـا نبأ عـن امر سيحدث فى المستقبل بعد نزول القرآن الكـريم، والمعنى أنه سيكون منكما محاولات للنفاذ من أقطار السماوات والأرض، وهذه الاقطـار لاتحصى اذ هى ارتفاعات متتالية أو مستويات متتالية متعالية من الارتفاعات التى لا يعلم عددها إلا الله تعالى وحده أى أنكم ستحاولـون، وقد قضى الله تعالى قضاء كونـيا أنكم ستحصلون علـى الاستطاعة للنفـاذ من بعض هذه الاقطـار، بدليل قوله تـعالى: ﴿ لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ وهو سلطان الـعلم والتقنـية والصناعة الـتى هى من أمارات الـساعة، ولكن هذا الـسلطان محدود وستعجزون، مهـما تقدمتـم فيه، عن الـتعمق فى هـذه الاقطار، إذ يهلـككم شواظ من نار ونحـاس فلا تنتصران، وقد صرح علـماء الفضاء فى ناسا وغـيرها بانه من المستحيل السفـر إلى الفضاء الخارجى البعيد لامتلائه بما أطلـق عليه العلماء الابر النحاسية والشهب فلا يكون نجاحكم إلاَّ جـزئيا فيمكنكم ان تنفذوا من أقطار الأرض

والسماء الدنيا الى ارتفاع قريب، وهو الحادث الآن بما يعرف بالمكوك الفضائى ذهابا وإيابا ومحطة الفضاء الأرضية.

والنفاذ فى أقطار الأرض يكون بالغواصات، والدخول فى أعماقها بالآلات وإستخراج ما فيها من معادن ومياه وبترول وكله بسلطان العلم والتقنية والصناعة وقد بدأ النفاذ من أقطار السماوات بالطيران المروحى الذى تَطَوَّرَ جيلا بعد جيل ليصل فى كل تطور الى ارتفاعات أعلى فأعلى. ثم بالصواريخ التى خرجوا بها من جاذبية الأرض واتخذوا أقمارا صناعية للاتصالات والتجسس والارسال التليفزيونى.

وكذلك نفذوا ببيوت فضائية يعيشون فيها شهورا طويله للبحث العلمى فى الفلك والفيزياء وطب الفضاء وغيره.

وقد أشار رسول الله ﷺ الى رواد الفضاء الذين يخرجون من الأرض إلى أقطار السماء ويعيشون فى هذه المحطات فيأكلون بالسنتهم لان طعامهم عبارة عن معاجين فى أنابيب للتغلب على حالة انعدام الجاذبية، حتى الماء موضوع فى رضاعات الاطفال، لأنه ليس من سبيل للتغلب على انعدام الجاذبيه لادخال الطعام والماء الى أفواههم إلا بالضغط على الانابيب ورضّاعات الاطفال التى بها الماء، لكى يندفع هو والطعام إلى أجوافهم، وليس من طريقة لدفع الطعام إلى البلعوم إلا باستخدام اللسان من غير إستعمال الاسنان، لأن طعامهم معجون لايحتاج إلى مضغ، وإنما يحتاج إلى تلقى الطعام المعجون باللسان ثم دفعه الى البلعوم مع البلع بشدة لعدم وجود جاذبية وليس بالنسبة لهم فوق وتحت كما هو الحال بالنسبة لاهل الأرض، الذين يكون لهم تحت فى اتجاه الأرض التى تجذب اليها كل شئ فينزل، اما فى حالة انعدام الجاذبية فتتساوى جميع الجهات حول رائد الفضاء فالمعوَّل فى الاكل بالنسبة له هو اللسان والبلعْ، وهذه طريقة أكل البقر إذ تمد لسانها فتسحب به الطعام وتقذف به على الفور إلى جوفها بدون مضغ لانها بعد ذلك تجتره عجائن وتطحنه فى عملية الاجترار ثم تبلعه.

وهذا ما ذكره رسول الله ﷺ فقال: (لاتقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بالسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها)(١). فتأمل قوله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى) أى أنه

(١) رواه الامام احمد فى مسنده من حديث سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وبرقم.

حدث قريب جدا من الساعة ثم قوله (تخرج قوم) إشارة إلى خروجهم من الغلاف الجوى إلى منطقة إنعدام الجاذبية مما إضطرهم إلى أن يأكلوا بألسنتهم. فهؤلاء هُمْ رجال الفضاء فى المحطات الفضائية وفى المكوك الفضائى.

فالآيات آنفة الذكر من سورة الرحمن تتحدث عن ثلاثة أحداث متتابعة، بدأت الأولى منها مع مطلع القرن العشرين، وهى ما يطلقون عليه غزو الفضاء، إذ لم يبدأ غزو الفضاء برحلة جاجارين رائد الفضاء كما يفهم البعض خطأ، وإنما بدأ بصناعة أول طائرة ترتفع عن الأرض، لان النفاذ من أقطار السماوات تم تدريجيا بتطوير الطيران جيلا بعد جيل حتى الطيران النفاث الذى أدى إلى صناعة الصواريخ وتطورها ليخرجوا بها من منطقة جاذبية الأرض.

ومن ثم جاء قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا.....﴾ ثم جاء بعد ذكر الحدث الثانى الذى تم عام ١٩٤٥ اى بعد بدء الحدث الاول بنصف قرن تقريبا والذى تم بالحدث الأول وهو إلقاء القنبلة الذرية على اليابان لأن القاء هذه القنبلة كان بالطيران، ولولا الطيران ما حدث هذا الحدث الرهيب، وهو ما جاء ذكره فى القرآن الكريم والله تعالى أعلم ﴿فإذا إنشقت السماء فكانت وردة كالدِّهان﴾ وهو إنفجار القنبلة الذرية إما بغرض التجارب النووية التى أجرتها الدول النووية امريكا وروسيا وانجلترا وفرنسا وغيرها، وإما ما حدث من امريكا لإنزال الهزيمة والإستسلام باليابان فدمرت مدينتى هيروشيما وناجازاكى.

والسماء فى اللغة هى الفضاء ومستويات الارتفاعات فوق الرؤوس ابتداء من سقف المنزل وإنتهاء بطبقة الاوزون التى تعتبر سقفاً لسماء الدنيا وفوقها ينتهى الغلاف الجوى، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑨﴾ [ق] فالسحاب الممطر فى السماء بمعنى أنه فى مستوى من مستويات الارتفاعات المتسامية بعضها فوق بعض، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (آية ٣٢ الأنبياء) وجاء وصفه فى الحديث بأنه (الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف)[1] وهو ما ينطبق تماما على طبقة الاوزون سقف الغلاف

---

(١) الدر المنثور للسيوطى ص ٦ ص ١٨٩ وعزاه للترمذى واحمد عن ابى هريرة والى أبي الشيخ فى العظمة.

الجوى حسب وصف علماء الفيزياء والفلك وعلماء الفضاء، ويعتبر هذا الحديث من الاعجاز العلمى للنبى ﷺ.

وعلى هذا فالفضاء الذى تسير فيه السحب وتطير فيه الطائرات هو سماء او هو جزء من السماء، وليست السماء او الفضاء عدما او فراغاً وانما هى مبنية بناءاً قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾(آية ١٢ النبأ) لانه أى الفضاء، عبارة عن مادة غازية او بالاحرى مواد غازية معلومة وذرات ليس بينها فراغ، وإنما هى وسط غازى يسهل على العناصر المادية الكثيفة إختراقها كما يحدث لهذه العناصر مع الماء الا أن النفاذ من الغلاف الجوى بالنسبة للانسان والعناصر المادية أيسر وأسرع من النفاذ من الوسط المائى.

فإذا حدثت خلخلة فى هذا الفضاء الجوى باحتراق العناصر الغازية فى جزء منه فإنه يكون إنشقاقا ولو لثواني أو دقائق كما لو حدثت خلخلة او اختراق فى جدار، فانه يسمى إنشقاقا فيه والغلاف الجوى أو الفضاء القريب هو فى القرآن الكريم السماء، والانفجار الحادث فى الفضاء انشقاق فى سماء قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (آية ١ الأنشقاق) بالانفجار بعامة وبالانفجار الذرى بخاصة. وهذا من أمارات الساعة أى الاحداث العجيبة التى تحدث بين يدى الساعة وأرها صات تدل على ان الآيات العشر على وشك البدء بالزلزال والخسوف الثلاثة.

فأقطار السماء هى حسب المعنى اللغوى سماوات، اى أن مستويات الارتفاعات المتتالية فى العلو كل منها سماء، ألا ترى ان القرآن الكريم أطلق على سقف الحجرة أو المنزل سماء قال تعالى ﴿من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبنَّ كيده ما يغيظ﴾ [١٥/ الحج]. أى فليمدد بحبل إلى سقف داره ثم ليشنق نفسه ولينظر هل أذهب بكيده هذا ما يغيظه؟!

وأطلق على القطر الذى تسير فيه السحب سماءاً ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ (٩/ق) وأطلق على طبقه الاوزون الواقية للارض باذن ربها من الأشعة الكونية النوويه سماءاً ايضا ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (٣٢/ الانبياء). وهو الذي قال فيه النبى ﷺ (إنه الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف)[١].

(١) سبق تخريجه.

وأطلق على ما فوقها من الفضاء الذى تسبح فيه النيازك والأجسام الصغيرة التى تصبح شهبا عند دخولها الغلاف الجوى سماء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ (٥/ الملك) ومدارات الكواكب سماء ايضا. والمجرات المتلئة بالنجوم والشموس سماء أيضا. وهى السماوات العلا التى ورد ذكرها فى سورة طه ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ (٤/ طه).

والذى نخلص اليه من هذا كله هو أن المستوى الذى ارتقى اليه الاثر الاحتراقى الرهيب لانفجار القنبلة الذرية فوق مدينتى اليابان المنكوبتيْن هو سماء لانه مستوى سير السحب أو أعلى.

فماذا حدث نتيجة لهذا الانفجار الرهيب؟!.

قلنا ان الفضاء أو السماء ملئ بعناصر غازية منها الاكسوچين والإيدروچين وغيرهما من الغازات، وهى ذرات متراصةٌ بعضها بجوار بعض، فهذا الغلاف الجوى بناء قائم صحيح ، وان كان متحركا وليس جامداً ويسمح لغيره من الاجسام الاكثر كثافة بالنفاذ من خلاله، فإذا إنهدم جزء من هذا البناء فجأة فى أى مستوى من مستويات إرتفاعه وحدثت خلخلة فى هذا الجزء، فإنه يكون قد إنشق كما إنفلق الماء الذى سار فيه موسى عليه السلام وقومه، الا أن الشق فى الماء كان من الأرض إلى أعلى، فكان فلقا، اى ان الماء إنفلق، ولكن لان ما حدث بالقنبلة الذرية كان فى موضع داخل الغلاف اى لم يحدث من الأرض إلى نهاية السماء، وإنما من الأرض إلى أحد مستويات الإرتفاعات، ومن ثم فهو شق وليس فلقا، اذ لم ينفذ إلى نهاية الغلاف الجوى، لقد احترقت كل الغازات الموجودة فى هذا الجزء وصارت ناراً وتخلخل البناء الذرى لهذا الجزء فى اللحظات الأولى للانفجار فصعد الاثر من الاسفل متخذا شكل الوردة ولونها اذ يكون عنقها وهو الجزء السفلى رفيعا أسوداً، ويكون رأسها وهو الجزء العلوى كرويا ورديا متضخما، متخذا شكل القبة المتنامية الممتدة من بعض أطرافها فتصبح فى شكل الوردة ولونها أيضًا. وهذا هو بالضبط شكل انفجار

القنبلة الذرية الذى رأيناه كثيرا على شاشة التليفزيون وهذا ما قرره المفسرون قديما بمقتضى اللغة.

[أخرج إبن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿فإذا إنشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ يقول: حمراء كالدهان قال هو الأديم الأحمر][1].

وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن عطاء (فكانت وردة كالدهان) قال: لون السماء كلون دهن الورد فى الصفرة) فهى بين الصفرة والحمرة إذن، وهو نفس اللون الذى ظهرت به قبة الانفجار النووى وهذه القبة فى محيطها العلوى تعرجات تجعلها فى شكل الوردة.

والسياق يدل على أنه إذا حدث هذا الحدث (فإذا إنشقت....) وهذا فعل الشرط، أما جوابه فهو (فيومئذ لايسؤل عن ذنبه إنس ولاجان) وهذا هو الحدث الثالث الذى حدث بعد الحدث الثانى، وهو إنشقاق السماء بالقنبلة النووية إذ تحولت أوربا وأمريكا وبسرعة نحو الانحلال الجنسى وإباحة الزنا ورفع العقوبات مع بدء النصف الثانى من القرن العشرين. فأصبح المنكر معروفا معترفا به من المجتمع، وهذا معنى «لايسؤل» عن ذنبه أى عن نوع واحد من الذنوب وهو الفحشاء حتى أصبحت تمارس علنا فى النوادى والاماكن العامة والحدائق.

يدل على هذا قوله تعالى: ﴿عن ذنبه﴾ وليس ﴿عن ذنوبه﴾ إذ هو نوع واحد من الذنوب وهو ما يخص الشهوات الجنسية، وقوله ﴿إنس ولاجان﴾ يفيد التعميم أيضا فى عالم الجن وأنهم إستحلوا الزنا كما حدث فى عالم الانس، كما تدل على هذا الآية الكريمة. وفى يوم الدين والحساب يسؤل المجرمون عن أعظم ذنوبهم وهوالشرك كما نص على هذا القرآن الكريم فى أكثر من موضع قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ

---

(١) السيوطى/ الدر المنثور/٦/ ١٦٠.

يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴿٦٦﴾﴾ (٦٢ - ٦٦/ القصص) فهم يسؤلون عن أعظم ذنوبهم وهو الشرك، وموقفهم من دعوة الرسل وسبب رفضهم لها، فكيف لايسؤل عن ذنبه يوم الحساب اذن انس ولاجان؟ وهى صياغة تفيد النفي الكلي للحساب فهى اذن صياغة تتعارض مع كونْ هذا اليوم يوم الحساب ويوم الدين، فلزم ان تكون آية سورة الرحمن النافية بالكلية لحساب الانس والجن جميعا فى الدنيا وليس يوم الحساب، وعن ذنب واحد وليس عن كل الذنوب وفي هذا المعني يفهم البعض قوله تعالي: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨/ القصص) والنفى هنا جزئى اذ يخص المجرمين وليس كل الانس والجن ولكن عن كل الذوب، فهو ينفى سؤل المجرمين دون غيرهم، ولايسؤلون عن كل ذنوبهم، وقد فسرها البعض بانها في الآخرة إذ يكتفى باثبات الشرك عليهم ومن ثم يدخلون جهنم خالدين فيها دون أن يسؤلوا عن الذنوب التى دون الشرك.

أما سياق هذه الآيات فهو يتحدث عن المجرمين فى الدنيا وما ينزل عليهم من عذاب الاستئصال مثل قارون الذى قال (انما أوتيته على علم عندى) ذاهبا فى الكفر الى أبعد مدى ومن ثم خسف الله به وبداره الأرض، ومن ثم يمكن أن نفهم النفى الوارد عن سؤال المجرمين عن ذنوبهم فى الدنيا وليس فى الآخرة، إذ يفعل أكابر الناس الحكام والاغنياء وذوى الجاه ما يريدون من كبائر وآثام عظيمة: رشوه ونهب وسطو وقتل وزنى دون ان يحاسبهم أحد وفى هذا المعنى قال رسول الله ﷺ (انما اهلك الامم قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)(١). وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ لأنَّهم الطبقة العليا في المجتمع غَيْر الإسلامي لا تُطبق عليهم القوانين ولا تنفذ فيهم العقوبات إن ذنوا أو سرقوا أو اعتدوا على الضعفاء حتى بالقتل.

فإذا وصل المجتمع الجاهلي إلى الحد الذى لايسؤل فيه اهل الطبقة الحاكمة الغنية العليا وهم المجرمون عما يفعلون من ذنوب، ولايحاكمون، فيصبحوا فوق القانون، فإن هذه تكون علامة اجتماعية خلقية سياسية على قرب مجئ الهلاك.

---

(١) صحيح البخارى / ح ٣٣٣٧/ ك.

ومن ثم يكون معنى قوله تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ ﴾ (٣٩/ الرحمن) أي العصر أو الزمن الذرى الذي يفجر فيه الإنسان القنبلة الذرية للتجربة ويفجرها لتدمير مدينتي اليابان، وربما والله تعالى أعلم ستقذف غيرهما بالنووى ويقتل من فيهما، فإنه سيصبح المنكر الذى هو الزنى معروفا ومباحا ولايسؤل عن إرتكابه الناس من كل الطبقات من الانس والجن وهذا هو تخطيط خبثاء صهيون بقيادة الدجال للاكثار من أبناء الزنى لانهم أكثر أتباعه هم واليهود كما دلت على هذا الأخبار الصحيحة عن النبى ﷺ وهذا هو التاريخ القريب يثبت ذلك، اذ كان الزنى محرما وله عقوباته فى جميع بلدان اوربا وأمريكا ثم أصبح ابتداء من الخمسينات من القرن العشرين مباحا ومحميا بقوة القانون وهذا هو قول السيدة عائشة (.... فإذا استفحل الزنا) أى إنتشر وشاع وصار معروفا وليس منكرا فإن الله تعالى يغار فى سمائه ويأمر - إن لم يتوبوا ويرجعوا - بزلزال الأرض العظيم وأحداث القيامة الصغرى.

كذلك ﴿وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ على المستوى الدولى اذ جعلوا مجلسا يعاقب الدول الصغيرة الضعيفة ويتخذ ضدها القرارات ويحشد الجيوش الهائلة من كل صوب وحدب لتنفيذ هذه القرارات بينما عشرات القرارات ضد إسرائيل هى حبر على ورق لا قيمة لها، فالكيل بمكيالين ليس بالنسبة للأقوياء والضعفاء فى المجتمع الواحد، وانما هو على مستوى البشرية حسب النظام العالمى الجديد الذى صنعه الدجال لقومه اليهود الذين يحكم بهم الأرض ويحكمون الأرض هم ايضا بقيادته.

ومن ثم فقوله تعالى: ﴿وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ فى الدنيا عندما يصل الشر إلى اقصى مدى، ومن ثم يأتى بعد ذلك الخسف والقذف والرجفة والعذاب كما حدث لقارون اذ ورد قوله تعالى هذا تعقيبا على فعل قارون وكفره وتبجحه بالكفر.

والآن علا المتجبرون المجرمون فى الأرض وارتكبوا كل الجرائم، فإستحلال الزنا والربا والقتل الجماعى «الهرج» باسلحة الدمار الشامل، ومن ثم استحقوا عذاب الاستئصال بزلزال الأرض العظيم والقيامة الصغرى، إن لم يتوبوا ويرجعوا إلى خالقهم جلا وعلا.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك؟. آمين.

الفصل الخامس
أجهزة الاتصال الحديثة وأجهزة الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في الكتاب والسنة

(٤٦) توسيع دائرة السمع والبصر وعمل العقل بالأجهزة الحديثة

قد منّ الله تبارك وتعالى على الإنسان بنعم كثيرة لاتعد ولاتُحصَى، ومن أعظمها السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (٧ - ٩/ السجدة).

وليست المخترعات الحديثة الكثيرة المتنوعة التي ظهرت في العصر الحديث بفعل التقدم العلمي والتقني إلاّ مقويات وموسعات لمجال الاستطاعة البشرية. بمعنى أن هذه المخترعات لاتُضيف إستطاعة جديدة للانسان، ولاتُحدث له ملكة جديدة لم تكن عنده.

فأجهزة الإتصال السمعي الحديثة: الهاتف السلكي وأجهزة الاتصال اللاسلكية كالبرق والراديو وجهاز التسجيل والتلكس والفاكس وهاتف السيارة ثم المحمول ثم بعد ذلك الجيل المتوقع من أجهزة الإتصال وهو الهواتف المحمولة التي يمكن الاتصال بها من اى مكان إلى أي مكان في المعمورة عن طريق شبكة متكاملة من الاقمار الصناعية تغطى أرجاء الارض كلها. هذا كله ليس الا تقوية وتوسعة السمع البشرى.

فإذا أصبح بوسع أي إنسان أن يتصل بآخر في أي مكان ومن أي مكان فهل في هذا اضافة استطاعة أو ملكة أو قوة جديدة لم تكن عنده؟

بالقطع لا. وانما كل هذا توسيع متدرج جيلا بعد جيل فى السمع البشرى، إذ بعد أن كان يسمع الإنسان الاصوات التى حوله والصادرة على بعد امتار أو عشرات الامتار اصبح يسمع على بعد عشرات الكيلو مترات ثم المئات ثم الآلاف، وهكذا وليس هذا إلاّ توسيع دائرة السمع البشرى، ولو تصورنا الإنسان بدون سمع لما اقدم على اكتشاف واختراع هذه الاجهزة أصلا.

وكذلك الحال بالنسبة للأجهزة البصرية: السينما والتليفزيون والفيديو، والتى تجمع بين المخترعات البصريه والسمعية معا هى ايضا توسيع لدائرة الإبصار البشرى، ويضاف اليها التلسكوب والميكروسكوب وبطبيعة الحال آلات التصوير بجميع اجيالها المتطورة.

فلولا أن الله خلق الانسان بصيرا لما اكتشف ولما اخترع الانسان هذه الأجهزة البصرية.

ويكمل هذين النوعيّن من الاجهزة السمعية والبصرية أجهزة الكمبيوتر وهى توسيع لمجال عمل الذاكرة البشرية والملكة الحاسبة عنده.

وكما يأتى السمع ثم البصر ثم الفؤاد دائما بهذا الترتيب عند ذكر هذه النعم فى القرآن الكريم فإن اكتشاف الانسان لإجهزة السمع جاء قبل أجهزه البصر ثم أجهزة الحاسبات الآلية.

ثم وصل الإنسان الى دمج هذه الاجهزة مع بعضها البعض من ناحية والاستفادة بها فى مجالات وسائل النقل والسفر حتى فى مجال (غزو الفضاء) النفاذ من اقطار السماوات والأرض وفى مجالات التربية والتعليم والطب العلاجى وغيره من مجالات الحياة.

فأهم ما قدمته الأجهزة السمعية والبصرية والحاسبات الألكترونية هو توسيع دائرة الإبصار البشرى كما حدث فى مجال السمع بحيث يرى البعيد الغائب ويسمعه كما لو كان حاضراً أو ليس غائبا. والغائب عن الانسان ولو كان فى نفس الزمن فهو من الغيب.

وفى هذا العصر يرى الانسان الحادث وقت وقوعه أو بعده بقليل صوتا وصورة ومعنى فلم يصبح البعيد غيبا بل صار حاضرا.

فهل أخبر القرآن الكريم عن هذا الامر الخطير فى حياة البشر، وقد أخبرنا الله تعالى أنه ما فَرَّط فى الكتاب من شئ،وان به تبيانا لكل شئ؟ نعم:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ (٥٢ - ٥٣ سبأ) وستعرض لتأويل هذه الآيات الكريمة من خلال السياق بعد ذلك فى موضع آخر بإذن الله تعالى.

ولكنا هنا نَتَدَبّر قوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣/ سبأ) هؤلاء الكفار يقذفون بالغيب من مكان بعيد صوتًا أو صورةً أو بهما معا، أليس هذا هو ارسال الأخبار والأحداث بالصوت عن طريق الأجهزة السمعية التى آخرها المحمول؟ بلى.

وأليس هذا هو إرسال الأخبار والأنباء والاحداث صوتا وصورة عن طريق الاقمار الصناعية من اقصى الأرض إلى اقصى الأرض أى من مكان بعيد؟ بلى.

(٤٧) الاختراعات السمعية البصرية الحديثة حولت الغيب البعيد الى حاضر قريب:-

هذه الآية الكريمة هى الأساس اذن فى إثبات أجهزة الإتصال السمعية والبصرية والالكترونية (أى بالكمبيوتر وشبكة الانترنيت) ولرسول الله ﷺ أحاديث تخبر وتتحدث عن بعض هذه الأجهزة التى يتم بها قذف الغيب، اى ارساله من مكان بعيد، ذلك لأن الموجات الخارجة من أجهزة الارسال الاذاعية والتليفزيونية اقرب ان تكون مقذوفة من أن تكون مرسلة من أعلى، فى حين ان الذى يأتى من نفس المستوى فيكون بالرمى وليس بالقذف، قال تعالى عن استخدام السهام والحراب: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (١٧ / الانفال) وقال رسول الله ﷺ (الا إن القوة الرمْي) أما القذف فى الآية حسب اللغة فيشير إلى استخدام الاقمار الصناعية، وهى فى مكان بعيد يرسلون اليها الإنباء فتقذفها صوتا وصورة، لأن الارسال التليفزيونى الأرضى لايكون من مكان بعيد، وإنما يلزم لكل منطقة أو اقليم مركز إرسال لمسافة لا تَتَعدَّىَ

الأفاق المحيطة به كما هو معلوم، فمن القنوات الأرضية يكون ارسالا أو رميا ولكن من الاقمار الصناعية والمحطات الفضائية يكون قذفا. ومعلوم أن هذه التقنية تستخدم أساسا للتجسس العسكرى وللتصوير الجوى لاغراض شتى، وكل خبر غائب بسبب البعد المكانى فهو غيب وهذه الاختراعات جعلته حاضرا.

يُفَصِّل هذا ما ورد فى السنة من آثار أثبت العلماء صحتها، تصف هذه الاجهزة السمعية المنتشرة بين ايدى الناس على اختلاف مستوياتهم المعيشية والثقافية وعلى مستوى جميع الشعوب بلا استثناء، من هذه الآثار:

أولا: الهاتف والبرق والتلكس والفاكس والبريد الالكترونى بالكمبيوتر والانترنت:

١ - ما رواه النسائى من حديث عمرو بن تغلب قال: قال رسول الله ﷺ (ان من أشراط الساعة أن يفشوا المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر القلم ويبيع الرجل البيع فيقول: لا، حتى أستأمر تاجر بنى فلان)[1] وقد فسر الشيخ صديق الغمارى رحمه الله هذه العبارة الأخيرة فى الحديث بأنه اثناء عقد الصفقة يتوقف حتى يتشاور مع شريكة أو شخص آخر غير موجود معهم، لانه فى قبيلته أو فى مدينته التى يعيش فيها فى مكان بعيد عن مكان الصفقة ويلزم من هذا وجود وسيلة اتصال يستأذنه ويكلمه من خلالها. ففى الحديث إشارة إلى الهاتف. أو إلى الفاكس أو إلى التلكس.

وهذا تعبير نبوى كريم يتسم بالبلاغة اذ قال حتى (أستأمر تاجر بنى فلان) ولم يقل (أستأمر فلان) اذاً الحكمة النبوية اقتضت أن يخبر الرسول ﷺ أهل زمان هذا الحدث وهو زماننا بما عندهم من وسائل إتصال بتعبير يفهمه جيل الصحابة، فذكر هذا الاسلوب البيانى المعجز الذى يلزم منه بالضرورة وجود وسيلة اتصال عن بعد، يستأذن بها شريكه فى القبيلة او فى المدينة التى ليسوا متواجدين فيها أثناء

---

(١) عن مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البريه/ للشيخ محمد صديق الغمارى ص طبعة الدار البيضاء. بدون تاريخ.

عقد الصفقة، يؤكد هذا المعنى أنه لم يقل (لا: حتى أذهب لاستأذن تاجر بنى فلان) وانما قال (حتى استاذن) اى وهو فى نفس الجلسة دون ان يتحرك فدل هذا على وجود اتصال عن بعد فالتعبير على هذا النحو وبهذه الكلمات الدقيقة مقصود للنبى ﷺ ومراده الإشارة إلى أنه يستأذن فى الحال من رجل فى بلد آخر.

وهذا من تفصيل قوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٥٣ سبأ) ومن تطبيقاته.

٢ - ومن الأجهزة السمعية أيضا لاقط الصوت، وأجهزة التسجيل وقد أشار اليها رسول الله ﷺ باعتبارها من أمارات الساعة فيما رواه أحمد عن ابى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إنها أمارة من أمارات بين يدىْ الساعة قد أو شك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)(١).

فإذا تذكرنا قوله ﷺ (ان الله رفع لى الدنيا فأنا أنظر اليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفى هذه)(٢) علمنا أن قوله ﷺ عن الشىء الذى رآه يحدث الرجل ما أحدثه اهله من بعده وقد شبهه ﷺ بالنعلين والسوط هو الهاتف الذى يتكون من قطعتين توضع إحداهما فوق الأخرى كما يضع المصلى فى المسجد نعله فوق الآخر ويمتد من احداهما سلك شبيه بالسوط، وعندما يصل الرجل الى مكتبه أو إلى بلد آخر سافر إليه، فإنه يتصل باهله ليستعلم منهم أخبارهم من بعده، اى من بعد مفارقته لهم. فالصياغة تدل على أنه الهاتف لانه يعلم أخبار أهله قبل ان يرجع اليهم بدليل قوله: ﴿..... فلا يرجع حتى يحدثه...﴾.

وروى الترمذى ايضا قوله ﷺ (والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس، وحتى يكلم الرجل عزبة سوطه، وشراك نعله ويحدثه فخذه بما أحدث أهله من بعده)(٣).

وتكليم الرجل لعزبة السوط اشارة (للميكْ) لاقط الصوت الذى هو عادة ما يكون عبارة عن جسم معدنى شبه كروى يمتد منه سلك فهو أشبه ما يكون بعزبة

---

(١) مسند الإمام أحمد/ ح ٧٩٧٧.

(٢) رواه الطبرانى/ عن «إتحاق الجماعة» للشيخ التويجرى جـ١ ص٦، ص١٦.

(٣) رواه الأمام احمد والترمذى والحاكم فى المستدرك وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح عن اتحاف الجماعة للشيخ النويجرى جـ١ ص٢٢٢

السوط وهى كتلة الشعر المكثفة فى ذيل البقرة الذى يجعلونه سوطا بعد تجفيفه ودبغه، وشراك نعله اشارة إلى سماعة الهاتف، أما قوله: ﴿ويخبره فخذه بما أحدث اهله بعده﴾ فهو ايضا اشاره إلى الهاتف المحمول الموضوع فى جيب السروال (البنطلون) او المعلق فوق فخذه) وهذا ما توصى به الشركات المنتجة والاطباء ابعاداً لخطر الذبذبات الصادرة منه عن الجسم إذ ثبت أنها تسبب أمراضا خبيثة.

٣ - (الراديو) الإرسال الاذاعى بعامة واذاعة القرآن الكريم بخاصة دليل على قرب حدوث الآيات ونزول العذاب الزلزال والخسوف الثلاثة، ذلك أن الراديو فى اول اختراعه كان كبير الحجم وكان يوضع على رَفٍّ مرتفع فى المقاهى والناس يجلسون تحته يسمعون الاغانى والموسيقى المسجلة علَى اسطوانات (الجرامافون) وكانت الاذاعات فى البلاد الاسلامية تذيع الاغانى والأخبار والقرآن الكريم والأحاديث الدينية.

وفى اوائل الستينات تخصصت اذاعات مستقلة لاذاعة القرآن الكريم فى مصر ثم السعودية ثم الكويت وغيرها.

وتطورت بعد ذلك كما هو معلوم الأجهزة السمعية حتى انتشرت اجهزة التسجيل ذات السماعات المتعددة الفتحة (الاستريو) التى تستعمل فى الحفلات الراقصة الماجنة المختلطة وفيها روى الإمام احمد وغيره بسنده عن مالك الاشعرى قال:

قال رسول الله ﷺ (لَيَشْرَبَنَّ ناس من امتى الخمر يسمونها بغير اسمها يُضْرَبُ على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير)[١]. فضرب المعازف على الرؤوس لايكون إلا من سماعات معلقة فى الاسقف وعلى الجدران فى الملاهى الليلية والسينما والمسرح.

(٤٨) إذاعة القرآن الكريم دليل على أننا فى آخر الزمان حسب ما ورد فى السنة:

أما إذاعة القرآن الكريم فقد ورد فيها خبر صريح رواه ابو نعيم فى الحلية والدارمى مرفوعا (ان الله تعالى قال: ابث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والعبد والحر والصغير والكبير، فإذا فعلتُ ذلك بهم أخذتهم بحقى

---

(١) رواه الامام احمد وابن ماجة وابن ابى شيبة وإبن حبَّان فى صحيحة والطبرانى والبيهقى ورواه ابو داود فى سننه عن «اتحاف الجماعة للشيخ التويجرى جـ٢ ص ٢٤١.

عليهم)(١). ولفظ «أبث» هو الذى يستخدمه الاعلاميون للدلالة على عملهم الاذاعى والتليفزيونى لان أعمالهم تتحول إلى مبثوثات فى الهواء و«بث العلم» لاينطبق الا على اذاعات القرآن الكريم، وما يتخلل الاذاعات، الأخرى من برامج دينية، لماذا؟.

لأن العلم الذى يتلقاه الجميع بالبث: الصغير والكبير والحر والعبد والرجل والمرأة، هو إذاعة القرآن الكريم بالضرورة، إذ أن تعبير الصغير والكبير يفيد الفقير وضعيف الحال والغنى وذا الجاه والسلطان، ويدخل فى هذه الاصناف المتعلم وغير المتعلم والقارئ وغير القارئ، هذا العلم لايكون ولايتم لهؤلاء جميعا إلا بالإستماع، ويمنع ان يكون هذا فى مدرسة أو بالتلقى عن الكتب والكتابة وجود العبد معهم كالحر سواء بسواء والمرأة كالرجل فإذا ثبت ان التلقى يكون سمعاً وأن الالقاء يكون بثا، تأكد لنا أن الوسيلة هى الاذاعة بعامة وأن الحديث يخص اذاعات القرآن الكريم بخاصة. ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى: ﴿فإذا فعلتُ ذلك بهم أخذتهم بحقى عليهم﴾ أى إذا بثثتُ العلم حتى أصبح كالهواء فى متناول الجميع بلا إستثناء لم يعد لاحد بعد ذلك حجة على الله بالجهل وبحجب النور الالهى المنزل على رسول الله عز وجل قرآنا وسنة عنه، ومن ثم استحقوا العذاب فنزل عليهم بما لله تعالى من حق له عليهم.

وقوله تعالى: ﴿أبث﴾ أى أن هذا الأمر قدره سبحانه بارادته وانفذه لكى يقيم الحجة على الناس.

ومن ثم يدل إنتشار هذه الإذاعات الاسلامية على القرب الزمنى للقيامة الصغرى لأن الله تعالى أوعد الناس بحقه عليهم يأخذهم إن بالزلزال وإن بالساعة الصغرى.

كذلك يدل هذا على أننا بالقطع فى آخر الزمان لورود هذا بمتن الحديث بقوله سبحانه ﴿ابث العلم فى آخر الزمان﴾. وهذا لايكون فى جيل الأشرار الذين لايقال فى الأرض فى زمنهم الله ومن ثم لزم من هذا أن أخذه سبحانه للناس بعد بث العلم هو فى القيامة الصغرى بالنفخة الأولى أى بالعذاب الذى يقابل الساعة الوسطى.

---

(١) رواه الدارمى مرفوعا وابو نعيم فى الحلية.

يؤكد أن هذا الحديث القدسى يخص إذاعات القرآن الكريم حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: (إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن، حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر، فيوشك قائل ان يقول: ماللناس لا يتبعونى وقد قرأت القرآن ماهم بمتبعىَّ حتى ابتدع لهم غيره فاياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة)[1] وهذا الحديث الذى لم يرفعه معاذ رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ عند العلماء فى حكم المرفوع لانه ينّبىء عن غيب لامجال للرأى والإجتهاد فيه، والملاحظ عليه انه تحقق فى زماننا هذا بل إنه قد تحقق فى خلال ثلاثين عاما مضت، فهو يتضمن عدة احداث متعاصرة خلال هذه العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين الميلادى وهى:-

أ - كثرة المال وقد حدث بصفة خاصة بعد ارتفاع أسعار البترول عام ١٩٧٤م.

ب - انتشار إذاعات القرآن الكريم وزيادة إرسالها فى البلاد العربية والاسلامية وقد أشار حديث معاذ إليها بقوله ﴿ويفتح فيها القرآن﴾ وهو نفس التعبير المستخدم عند العرب عند تشغيل الراديو على اذاعة من الاذاعات حتى يقول القائل (افتح الراديو على القرآن) ولا يقول القائل (ويفتح فيها القرآن) بمعنى: ويفتح المصحف للقراءة، فهذا لا يكون حسب سياق الحديث لقوله (حتى يأخذه: المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والصبى والحر) وهذا الاخذ لايكون من الجميع مع إختلاف أعمارهم ومستوياتهم، لأن هذا التعبير يفيد القارئْ فيهم وغير القارئْ فهو أخذٌ بالاستماع وليس بالقراءة، يؤكد هذا ثانيا وبما لايدع مجالا للشك ليكون الحديث منزلا على إذاعة القرآن الكريم قطعا، أن هؤلاء جميعا يأخذون القرآن من المقرئْ وليس من المصحف بدليل قوله بعد هذا (ما للناس لايتبعونى وقد قرأت القرآن؟) إذن الناس يأخذونه من قارئْ يحرص على أن يستمع إليه أكبر عدد من الناس اكثر من غيره وفى هذا إشاره الى طلب بعض المقرئين للشهرة.

---

(١) رواه عبد الرزاق فى مصنفة وابو داود فى سننه والحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وهذا الحديث حكمه حكم المرفوع لأنه إنباء عن غيب.

جـ - قوله بعد هذا (ما هم بمتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره) وفى هذا إشارة واضحة إلى مغـالاة بعض المقرئين فى التغنى بالقـرآن طلبا لمديح المستـمعين وللشـهرة ولجلب إعجـابهم، فيـقع فى البدعـة الأمر الذى جعـل معاذ رضى الله عنه يـحذر من هذا بقوله (فإياكم ومـا أبتدع، فإن ما ابتدع ضـلالة) وهذا هو الكائن الآن من المقرئين طلبا للشـهرة، ومعنى البـدعة فى القراءة مـخالفة قـواعد التجـويد والتلاوة وترك الالتزام بأحكامهما ويلجـأ إلى الابتداع بتلحين الآيات والمغالاة فى التطريب. كأنه مطرب وليس مقرئا وهذا الحديث يؤكد صحة حديث البث وحديث البث يؤكده أى أن كل منهـما يقـوى الآخر سنداً. ويجـعل تفسيرهمـا باذاعة القـرآن الكريم قطعيا.

لقد أنفذ الله تعـالى مشيئته بإقامـة هذه الإذاعات القرآنية حسب سنتـه سبحانه فى الابتلاء اذ تقتضى هذه السنة أن يكون أمام الانسان لصـحة الاختيار النجدان: نجد الخير ونجـد الشر، وأن يكونا متمـاثلين واضحين فلما إستـولت الاغانى والمعازف ودعوات البـاطل على اكثر أجـهزه الاعلام المقروءة والمسـموعة والمرئيـة جعل الله تعالى - لتيسير القرآن للذكر - اذاعات القـرآن الكريم وبعضها يستمر ارساله بلا توقف ليـلا ونهاراً مـثل اذاعة القـرآن الكريم المصرية، فـيكون الحق مـيسرا بـقدر تيسـير الباطل. ولا يكون للشيطان منبراً للإغواء إلا ويكون لاهل الحق منْبـرا مثله يعادله وكـما يمكن للكبيـر والصغير والفـقير والغنى والمتـعلم والأمى ان يحصل على المعـازف والغناء واللهـو بسهـولة ويسر فـإن هؤلاء جـميعا يسـتطيعـون ان يحصلوا على الحكمة والخـبرو والنور والهدى المحمدى بنفس السهـوله واليسر، بل ومن نفس الجهاز، فقط ما عليه إلا ان يحرك مؤشر المحطات بضع سنتيمترات حتى ينتـقل من ذاك إلى هذا، وبهذا قـامت الحجة ومن ثم كـان هذا البث مقـدمة لنزول العذاب فى الحديث القدسى (... أخذتهم بحقى عليهم). أى أن الإذاعات بعامـة وإذاعة القـرآن الكريم بخاصـة أمارة من الأمارات الدالة عـلى قرب نزول العذاب.

د - ومن الاجهـزة السمـعية التـى دخلت حياة الناس حـديثا وإنتـشرت فى المسـاجد والمدارس والجامعات ودور اللهو والحفلات ووسائل المواصلات وحتى المعدات الحـربيـة مكبـرات الصـوت التى أتاحت تـوسيـع قاعـات الدرس وتـطويل المنابر وتوسيع المساجد بعامـة وتوسيع الحـرمين الشريفـين بصفـة خاصة حـتى يخطب الخطيب فى جمع يربو علـى مليونىْ مصلى ويسمـعونه جمـيعا سواء فى المسـجد النبوى أو فى المسجد الحرام ونظراً لأن استخـدام الميكرفون أصبح ظاهرة معاصرة نراها ونستـخدمـهـا على الدوام ومن ثم قـال ﷺ (.... وحـتى يكلم الرجل عَزَبَة سـوطه...) كمـا وضـحنا من قبـل تشبـيـه الميك أو لاقط الصوت بكـتلة الشعـر، فالحديث الشريف يتحدث عن ظاهرة شائعة فى عصر الزلزال والقيامة الصغرى.

(٤٩) التليفزيون والفيديو وإرسال الأقمار الصناعية واستخداماتها جميعا فى الفتن.

أخرج البخارى فى كتاب الحج باب أطام المدينة عن أسامة بن زيد «أشرف رسول الله ﷺ على أطم من أطام المدينة فـقال: هل تروّن ما أرى؟ إنى لأرى الـفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر»(١).

والأطم هو البناء المرتفع الذى يشـرف من يقف فوقه على ما حـوله وقد وقف ﷺ ونظر حـوله وقـال (هل ترون ما أرى؟) وهـذا سؤال تقـريرى يفـيـد النفى، أى أنهم لايرون مـا يراه ﷺ بدليل قـوله بعـد هذا (إنى أرى الفتن تقع خـلال بيـوتكم مـواقع القطر) والقطر هى رخات المطر تقع على البـيوت وخلالها من السـماء، اذن كان يرى رسـول الله ﷺ من هذا المكان المشـرف اسطح المنازل وأراه الله تعـالى وأجلى له الفتن النازلة من أعلى على الاسطح كنزول رخات المطر.

وهو اقرب تشبـيه للموجات الكهرومـغناطيسية النازلة من الارسـال الفضائى من الاقمـار الصناعية فى السـماء على المستـقبلات الهـوائية فوق الاسطح المعـروفة الآن (بالدِّش).

---

(١) صحيح البخارى ك الحج ب أحكام المدينة (٣/ ٢٨).

وروى ابن ابى شيبة عن حذيفة انه قال (ليوشكنّ أن يصب عليكم الشر من السماء حتى يبلغ الفيافى قيل: وما الفيافي يا أبا عبد الله؟. قال: الارض القفر).

وهذا هو حال الإرسال الفضائى يعم مساحات شاسعة من الأرض. ومن الممكن أن يعم الأرض كلها بنظام متعدد من الأقمار فيشمل الارسال البحار والمحيطات والقفار اذ يأتى الارسال من ارتفاع شاهق فيغطى مساحة ضخمة من الأرض سواء العامر منها والخراب. والملاحظ أيضا فى حديث حذيفة رضى الله عنه استخدام كلمة الشر بدلاً من الفتنة، لان الفتنة يمكن ان تكون بالشر كما يمكن ان تكون بالخير قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥ الانبياء) فتكون بمعنى الاختبار اما هذا الذى يأتى من هذه الاقمار فهو شر محض لاخير فيه، ذلك هو الارسال الفاضح الذى ترسله المحطات الدجّالية الصهيونية بأموال اليهود ومخططاتهم الخبيثة وعلى رأسها القناه الاسرائيلية وللاسف تركيا وفرنسا وامريكا وغيرهم من بلاد العالم المشرك الملحد والذين يعملون على تدمير فطرة الانسان والقضاء على كل خير فيها وإطفاء ما بقى فيها من بصيص من نور خافت وليس لهذا التعبير من تفسير إلاّ ارسال القنوات الفضائية الفاضح لانه لا معنى لارسال الشر على الفيافى القفار التى ليس بها بشر يستقبل هذا الشر الا أن يكون هذا بمقتضى طبيعة الإرسال والبث اذ لكى يُوصل الارسال إلى الاقاليم المأهولة بالناس حول الفيافى لابد ان ينزل الارسال على الفيافى التى فى وسطها، وهذا هو الواقع الآن الذى ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨/ القصص) وايضا ينطبق على هؤلاء قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (٣٩/ الرحمن).

وهذا الشر هو ادخال النساء العاريات على الرجال فى بيوتهم وإدخال الرجال العراة على النساء بيوتهن، قد يقول القائل: انها صور، مجرد صور قلنا: نعم ولكنها صور حية نابضة متحركة تمارس غواية الانسان بالفحشاء او الفحشاء نفسها، فهل ثم شئ أشر من هذا فى تاريخ البشر؟ هذا عن الدش، وقد يقول قائل: هذه الفتنة لم تعم

كل بيوت الامة، وهذا حتى ايامنا هذه صحيح، ولكن الم يدخل التليفزيون كل بيت من بيوت الامة؟ بلى، ولكن حتى القنوات الوطنية والمحلية لم يخل ارسالها من الفتنة والشر بالرغم من أنها لاترسل فضائح جنسية، ولكنها ترسل ايضا ما يخالف الشرع من صور لنساء متبرجات وراقصات نصْف عاريات وقبلات وغير ذلك هذا عدا الموضوعات الدرامية الهادمة لقيم الخيرَ والمدمرة لأركان الايمان فى النفوس والغارسة لقيم الشر، ولكن يظل شر هذه الفتنة البارز هو إدخال الحريم البيوت وقد صرح بهذا حديث رسول الله ﷺ عن أخطر الاحداث التى بيننا وبين الروم بعد موت النبى ﷺ وحتى قيام الساعة وواحدة منها هو التليفزيون باعتباره اختراع غربى أوربى اى رومى بلغة الحديث روى الامام احمد بسنده الى (معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ست من اشراط الساعة: موتى، وفتح بيت المقدس، وموت يأخذ فى الناس كقعاص الغنم، وفتنة يدخل حريمها بيت كل مسلم، وأن يعطى الرجل الف دينار فيسخطها، وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بنداً تحت كل بند إثنا عشر الفا)[1] وروى عن عوف بن مالك رضى الله عنه بنحوه. وما يخص موضوعنا من هذه الست الرابعة (وفتنة يدخل حريمها بيت كل مسلم) وهو تعبير عجز السابقون بلا شك عن فهمه، وقد أتى تاويله فى زمن الامارات والعجائب بالتليفزيون، وليس له معنى آخر، والتليفزيون الآن فى بيت كل مسلم بلا جدال. وملحقات التليفزيون كالفيديو. يُدخلون الحريم العرايا وشبه العرايا بيوت جميع المسلمين صَدَقْتَ وبَلّغْتَ يا سيدى يارسول الله بأبى أنت وأمى ونفسى.

(٥٠) اعمال الدراما فى المسرح والسينما والتليفزيون: تأليفا واخراجا وتمثيلا من أمارات الساعة ودليل على أننا فى آخر الزمان: -

ليست أجهزة الارسال والاستقبال المسموعة والمرئية فى حد ذاتها محرمة، بل إستيلاء حزب الشيطان على جميع أجهزة الاعلام وبخاصة اليهود فى افسادتهم الأخيرة وعلوهم الكبير فى الأرض هو الذى جعل اكثر برامج هذه الاجهزة وأغلب اوقاتها للافساد وليس للاصلاح، ومن أخطر أعمال الإفساد (الدراما الكوميدى منها

---

(١) رواه البخارى فى الصحيح وأحمد والطبرانى عن معاذ وأورده الشيخ الألبانى فى الصحيحة برقم ١٨٨٣.

والتراجيدى). إذ ترمى جميعا إلى هدم قيم الخير وغرس قيم الشر والاباحية بإسم الحرية والتنوير.

فهذه الاجهزة كالسلاح لابد من أن تمتلكه الامة لقتال عدوها، وقد يستخدمه البعض لقتل النفس التى حرم الله الا بالحق، ويستخدمه الصالحون للجهاد، ونظراً لان أغلب وأكثر ما تعرضه هذه الاجهزة يتعارض مع أصول الاسلام ومبادئه واهدافه وقيمه، اذ كل برامجها تدور حول محورى اللهو اللعب، اى ما يسمونه الفن والرياضة، حتى كاد الفن والرياضة أن يكونا دينا، بل أصبحاهما الدين الواقعى الفعلى الذى تدعو إليه أجهزة الاعلام بعامة والتليفزيون بخاصة، وفى امثالهم قال الله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا..﴾ [٧٠/ الانعام] أى دع الذين اتخذوا اللعب واللهو ديدنهم ومحور حياتهم حتى صار هو دينهم ومنهج حياتهم، وصار ما يسمونه بالرياضة والفن هما الغاية العليا فى حياتهم.

وقال تعالى أيضا: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ (٥٠ – ٥١/ الاعراف).

فالدين هو محور الحياة والغاية العليا والاهداف الاستراتيجية فى حياة الفرد وحياة الامة، لان هذه الغاية هى التى يتشكل بحسبها منهج الحياة وأسلوب العيش (والذين إتخذوا دينهم لهوا ولعبا) هم الذين جعلوا محور حياتهم وغايات أفعالهم وأهداف أعمالهم اللهو واللعب أو اللعب واللهو، اذ يجعل البعض عمله الرئيسى اللعب ويأتى إلى اللهو بعد ذلك للترويح وبالعكس يكون اللهو عمل البعض واللعب ثانوى بالنسبة لهم لصحة أبدانهم: الفئة الأولى هم الرياضيون ومن يعملون فى الرياضة وما حولها والفئة الثانية هم الفنانون ومن يعملون فى مجالات الفن المختلفة وما حولها.

لقد اقاموا قنوات متخصصة فى الرياضة وأخرى للدراما وأخرى للأغانى والرقص. وكلها للدنيا وللشيطان وليس فيها شئ لله عز وجل، وما جعلوه لله فى القنوات الرئيسية لايَتعدَّى ٢٪ من البرامج، ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم.

هذان الهدفان: اللهو واللعب هما دين العلمانية وغاية الانسان فى الحضارة الغربية المادية المعاصرة، دين كل من لايؤمن بالآخرة، لأن من يكفر بالآخرة لايجد لنفسه غاية تستحق السعى اليها وأهداف يعمل لتحقيقها سوى المتاع، ومن ثم ينتهى المتاع باعتباره الغاية العليا فى حياته إلى هدفين تَطْبِيقِيَّيْن هما اللهو واللعب؛ لأن المتاع لايعدو أن يكون بشهوة البطن وبشهوة الفرج وشهوة الفرج يخدمها اللهو وهو الفن بأنواعه، وشهوة البطن تحتاج للرياضة لصحة الأبدان وتحاشى أضرار الإسراف فى الطعام. فاللهو واللعب هما وسيلتا المتاع الحسى الذى هو الغاية العليا للعلمانى.

ويزعمون ان للفن رسالة، يدعون أنهم يصلحون ويُرَبُّون ويَغْرسون قيما ويقوِّمون خلقا وحضارة بهذا الفن، وكذبوا بل افتروا الكذب والإفك، ويزعمون أنهم يحفظون الأبدان ويعتنون بالصحة، وكذبوا لأن اللعب صار للرياضيّن خاصة وإستخدموا المنافسات المحلية والوطنية، وعلى مستوى القارات وعلى مستوى العالم استخداما سياسيا صهيونيا بعيدا تماما عن الرياضة وصحة الابدان.

اما عن الفن وأخطر أشكاله وهو التمثيل، فقد ورد من أحاديث الرسول الله ﷺ ما يشير إلى الرقص والتمثيل الذى يتضمن التأليف والسيناريو.

أما عن التأليف وكتابة السيناريو للأفلام والمسلسلات فقد قال رسول الله ﷺ (يأتى فى آخر الزمان أصحاب الالواح يزينون الحديث بالكذب تزيين الذهب بالجوهر)(١) ولا يكون هذا الا بالخيال وأصحاب الالواح هم أصحاب الافلام او ما يطلقون عليه (كلاكت اول مرة وتانى مرة وهكذا) حيث يكتب هذا فى لوح ليضم أول المشهد فى الفيلم ليتمكن بعد ذلك فنى المونتاج من ترتيب المشاهد حسب السيناريو المكتوب. هذا قول أما القول الثانى وهو الأرجح عندى هو أن المقصود باللوح الشاشة الكبيرة (السينما) ثم الشاشة الصغيرة التليفزيون وهذا يشمل كل أنواع التمثيل المسرحى والسينمائى وحتى الإعلانات علاوة على الدراما. وكل هذه الأعمال يراها الناس فى هذا اللوح الكبير (السينما) أو فى اللوح الصغير التليفزيون وتسمية الشاشة باللوح

---

(١) رواه نعيم بن حماد فى الفتن/ عن إتحاف الجماعة للشيخ التويجرى جـ٢ ص٢٠٥.

أصح وأدق لغويا. أما المسرح فهو ليس سوى ألواح الخشب أرضا وجدرانا، وخشبته أشهر خشبة واسم الألواح يصدق على المسرح كما يصدق على الشاشة.

وليس هذا من كـذب الحديث العادى الموجود فى كل زمان، ولـكنه كذب خاص يحدث فى آخر الزمان، ويتقاضى عليه أصحابه أجرا ويمدحهـم المادحون من النقاد ويوصفون بـأنهم مبدعون وفـنانون وأدباء، وصدق معـاذ بن جبل رضى الله عنـه فيما رُوِىَ عنه من أمـارات الساعة فى حديث جـاء فيه (.... ويعطى مال الله عـلى الكذب والبّهتان)(١).

وليس الكاتب فقط هو الذى يمارس بعـمله الكذب بل الممثل أيضا، بل ان كذب الممثل والممثلة أعظم من كذب الروائى، فالروائى يكذب على الورق، والممثل يكذب على الملأ ويستخدم ذاته وأحاسيسه وتعبيرات وجهه لكى يشخص الكذب ويجسمه بجسده، فهو لا يكذب بـلسانه فقط او بقلمه فقط وانما يكذب بـكل خلية من جسده، وكلما كان الـكذب بكيانه كله كلـما كان اقدر على التمثيل متقنا له حتى يـقولوا عنه الممثـل القدير، وصفة الـقدير لاتجُوز الا لله تعـالى وحده، وهو نوع من خـلق الافك، ويتعاطى عليه المال.

ولعل الحـديث الاكثر صراحـة عن الممثلـين والممثـلات هو ما رواه أبو نعـيم عن عائشة رضى الله عنـها ان رسول الله ﷺ قال (شرار أمتى الذين غذوا فى الـنعيم الذين يتقلبون فى الوان الطعام والثياب الثرثارون الشداقون بالكلام)(٢).

فقوله ﷺ عـن شرار الامة أنهم الذيـن (يتقلبون فـى الوان الطعام والثـياب) يؤكد أنهم الممثلون والممـثلات لان الثياب والمظهر والاناقة والشياكة، مـن أهم ما يعتنى به الممثل والممثلة، لان رأسمالها هو المظهر والشكل، وهم من أهل المتاعِ، ومن ثم يعتنون باطيب الطعام، هذا بالنـسبة لحياة الممثل الحقيقية، أما عمله فهـو يتضمن دائما مشاهد فيها ألوان الطعام حسـب القصةّ والسيناريو كما يتضمن ألوانـا من الثياب حسب هذا كله ومن ثم فهم يتـقلبون فى الوان الثياب: اذ يلبس الأزياء الريـفية مرة والبدوية مرة والإفرنجية مرة والعسكرية مرة حسب الدور المنوط به.

---

(١) عن إتحاف الجماعة جـ٢ ص٢٠٥. وقال (رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية/ عن إتحاف الجماعة للتويجرى ج٢ ص٥٦.

ثم إن قوله ﷺ: (الثرثارون الشداقون بالكلام) يؤكد أنهم اهل التمثيل، لان عمل الممثل ينحصر فى حفظ كلام الدور المنوط به، ويتمثل فى كلام مكتوب عليه أن يتحدث به بطريقة مخصوصة تناسب لهجة الشخصية التى يمثلها، وليس باللهجة التى يتحدث بها فى حياته العادية الحقيقية، ولكى يخرج الكلام باللهجة المطلوبة حسب الدور، عليه ان يتحكم فى عضلات فمه وجوانبه لكى يخرج الكلام حسب اللهجة الصعيدية او البدوية او الريفية او البورسعيدية وهكذا وحيث ان جانب الفم هو فى اللغة الشدق ومن ثم فهو يتشدق بالكلام، ان اكثر عملهم الكلام، فهم (الثرثارون الشداقون بالكلام) بدليل ان الانسان فى حياته العادية قد يمكث ساعات دون أن يتكلم مع أحد ولكن هذا لا يكون ابدا فى الافلام، اذ لايظهر الممثل الا متكلمًا ولو اقتضى الدور إظهاره صامتا يكون هذا لثوانى معدودة فقط.

فالشدّاق هو المتحكم فى جانبى فمه الموسع لهما او المضيق لهما حسب مقتضيات اللهجة المطلوبة.

يؤكد هذا التفسير للحديث روايه أخرى لاحمد فى الزهد مرسلا عن بكر بن سوادة ان رسول الله ﷺ قال (سيكون نشؤ من أمتى يولدون فى النعيم ويُغَذَّون به همتهم الوان الطعام والوان الثياب يتشدقون بالقول اولئك شرار أمتى)(١) وهؤلاء هم الممثلون والممثلات ابناء الممثلين والممثلات فهذا الحديث يتكلم عن أبنائهم الذين يحترفون مهنتهم.

وعن فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما وعليهما السلام ان رسول الله ﷺ قال (إن من شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم الذين يطلبون الوان الطعام والوان الثياب يتشادقون فى الكلام)(٢) قال ابن الاثير (المتشدقون هم المتوسعون فى الكلام من غير احتياط، وقيل: أراد بالمتشدق المستهزئ بالناس يلوى شدقه)، واكثر ما يظهر هذا عند تمثيل ادوار أهل الصعيد فيسخرون من لهجتهم أو عندما يمثلون ادوار الفقهاء والعلماء والمأذون ومدرسى اللغة العربية وكل رموز الاسلام سخر الله منهم.

اما بالنسبة للممثلات فالأمر أدهى وأمر لانها تصبح فى الفيلم زوجة لغير زوجها

---

(١) المصدر السابق جـ٢ ص٥٦. وقال (رواه أحمد فى الزهد، وهو مُرْسَلٌ).

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٥٦. وقال (رواه أحمد فى الزهد، وهو مُرْسَلٌ).

كذبا. وربما يحتم عليها الدور كزوجة ان تخلع ثيابها التى أتت بها من بيتها للاستوديو وتلبس ثياب زوجة فى البيت وربما ملابس النوم وكثيرا ما يأمرها المخرج ان تنام بجانب الممثل فى السرير تحت غطاء واحد بحجة اعطاء انطباع للمشاهد بعلاقة الزوجية بينهما وكل هذا حسب توقيعها على المشاهد فى العقد المبرم بينها وبين المنتج.

وحديث السيدة عائشة رضى الله عنها عن الزلزلة يشير إلى هذا، إذ تتحدث عن الاحداث التى هى مقدمات للزلزال وتحدث قبله مباشرة، منها خلع المرأة ثيابها فى غير بيت زوجها دون الزنا، (فعن انس بن مالك قال: دخلتُ على عائشة رضى الله عنها ورجل معى. فقال الرجل: يا أم المؤمنين حدثينا عن الزلزلة؟ فأعرضت عنه بوجهها.

قال: أنس: فقلت لها حدثينا يا أم المؤمنين عن الزلزلة.

فقالت: يا أنس، ان حدثتك عنها عشت حزينا ومت حزينا، وبعثت يوم تبعث وذلك الحزن فى قلبك. فقال: يا أمه حدثينا.

فقالت: إن المرأة اذ خلعت ثيابها فى غير بيت زوجها، هتكت ما بينها وبين الله من حجاب، فاذا تطيبت لغير زوجها كان عليها نار وشنار، فإذا إستفحا فى الزنا، وشربوا الخمور مع هذا، وضربوا المعازف، غار الله فى سمائه، فقال: تزلزلى بهم، فإن تابوا ونزعوا، وإلاَّ هدمها الله عليهم. فقال انس: عقوبة لهم ؟!

قالت: بل رحمه وبركة وموعظة للمؤمنين، ونكالا وسخطة وعذابا على الكافرين.

فقال انس: ما سمعت حديثا بعد رسول الله ﷺ أنا أشدُّ به فَرِحا منى بهذا الحديث بل أعيش فَرِحاً وأموت فَرِحًا وأبعث حين أبعث وذلك الفرح فى قلبى أو قال : فى نفسى)[1] فإذا لاحظنا كلامها عن خلع المرأة ثيابها فى بيت غير بيت زوجها وتطيبها لغير زوجها من غير نسبة الزنا لمن تفعل ذلك، ثم قولها بعد ذلك (فإذا استفحا فى

---

(١) أخرجه نعيم بن حمَّاد فى الفتن، والحاكم فى المستدرك حـ ٤ صـ ٥١٦ ك الفتن والملاحم.

الزنا) دل هذا على ان هذا الفعل المقدم من بعض النساء، ليس هو للزنا، وانما سيؤدى بعد ذلك إلى انتشار الزنا وشيوعه ومن ثَمَّ فهو باعتبار أثره أخطر وهذا هو المعلوم عن الممثلات اللاتى يخلعن ثيابهن فى الاستوديو لترتدى ملابس الدور، وفى كثير من المشاهد وتجلس المرأة أمام المرآة لتتطيب كأنها تفعل ذلك لزوجها فى الفيلم. هذه المشاهد التى تكررت كثيرا جدا فى الأفلام، ثم خلع المرأة ثيابها على الشواطئ، وظهورها عارية فى الافلام على الشاطئ كل هذا أدَّى إلى شيوع هذه العادات الرذيلة والسفور الفاضح والتدرج بالمجتمع حتى صارت الفاحشة معروفا والعفة منكرا. ولا شك أن الممثلات فى الافلام بصفة خاصة هن اللاتى قمن بتزيين التبرج للنساء وهن اللاتى شجعنهن على التفريط فى عفتهن حتى إستفحا فى الزنا إلاَّ من رحمها الله عز وجل.

وقولها رضى الله عنها (فإذا استفحا فى الزنا) بعد العبارة الاولى يدل على أن هذا جاء بعد الاول، ومن ثم يكون الاول هو العلة والثانى هو المعلول والنتيجة، وعلى هذا تنطبق عبارة السيدة عائشة على الممثلات بصفة خاصة وعلى النساء اللاتى يخلعن ثيابهن خارج بيت الزوجية مثل الشواطئ ونوادى الرياضة وحمامات السباحة وغير ذلك، فلو كان المقصود بخلع المرأة ثيابها حالات زنا فردية لما أدت إلى استحلال الزنا وانتشاره وانتشار المعازف وشرب الخمور، ولان الزنا موجود فى حياة البشر من قديم، وظل قرونا عديدة محرما وممنوعا حتى عند النصارى والبوذيين وغيرهم، ولم يتحول إلى عمل مباح ومعروف بعد أن كان منكرا، الا بعد انتشار التمثيل والافلام وظهور الممثلات اللاتى يسمونهن بطلات شبه عاريات مبتذلات محسنات للسلوك الساقط الامر الذى أدى إلى شيوع الفاحشة.

وليس مصادفة ان رواد التمثيل المسرحى والسينمائى فى مصر وفى بلاد العالم العربى أكثرهم من اليهود. ولم يتب منهم واحد ولاواحدة، أما المسلمون والمسلمات

فقد تاب كثير منهم ومنهن، ونهيب بالذين لم يتوبوا منهم واللائى لم يتبن أن يرجعوا إلى ربهم قبل فوات الآوان فإن القيامة الصغرى على الأبواب.

فهذا الحديث هو على الممثلات، وعلى التمثيل الذى ساعد على انتشار الزنا وسائر الجرائم الأخرى وهذا يؤكده حديث عبد الله بن مسعود الذى أخرجه الحاكم فى المستدرك قال (اذا كثر الكذب كثر الهرج) أى القتل نتيجة الروايات البوليسية والافلام التى تصور أعمال العصابات والمجرمين باعتبارها اعمال أبطال مثيرين لاعجاب المشاهدين فتنتشر الجريمة ولا تقل كما يزعم الفنانون. ولا شك أن التمثيل وتأليف الروايات الجنائية من الكذب، وهو مما يشيع الجريمة أكثر من أن يقلل من وقوعها بدليل إزدياد معدل الجرائم فى العالم بعامة وفى مصر أيضاً، مع إزدياد إنتشار السينما وتعميم الأفلام وبخاصة بعد إنتشار التليفزيون وبعد إزدهار صناعتها فى هيوليود وفى سائر العواصم بما فيها البوليسى منها، ونتحدَّى من ينكر هذه النتيجة بدراسة إحصائية.

وليعلم الذين يعملون فى مجالات إنتاج الأفلام أن الله تعالى سيُحَاسبهم على أعمالهم وعلى آثارها قال تَعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ / ١٢/ يس﴾ فليتأملوا فى آثار أفلامهم على المشاهدين رجالا ونساءاً، وكباراً وصغاراً.

ولعل سائلا يسأل: ولكن من أعمال الدراما ما هو مسلسلات إسلامية وأفلام دينية تقدم قيماً طيبة، فما بال الممثل الذى لايمثل إلا هذه الأعمال ذات الأثر الخلقى أو التعليمى الطيب؟ والإجابة أنه لابد أن يُثاب القائمون بمثل هذه الأعمال بالخير، فليس عند الله من جزاء للاحسان إلاَّ الإحسان. ولذلك ليس كل ممثل من شرار الخلق الذين هم أشد الناس عذابا يوم القيامة، بل ممثل من الممثلين أو ممثلة من الممثلات، هو أوهى من أشد الناس عذابا يوم القيامة فيما أخرجه الإمام أحمد بسنده عن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبى أو قتل نبيّاً، وإمام

ضلالة وممثل من الممثلين) (١)، يعني صنف منهم أشد الناس عذابا، وغير هذا الصنف أقل عذابا، وفيهم الذى لايشترك إلاً فى أعمال ذات القيم الطيبة أو الصبغات الدينية، وهؤلاء ربما ينجون من العذاب برحمة الله تعالى ومغفرته، لأن قوله ﷺ (وممثل من الممثلين) أشد الناس عذابا يفيد أن ممثلا آخر ليس كذلك، وهذ الصنف الآخر إما أن يكون أقل عذاباً وإماً أن يشمله الله عز وجل بمغفرته ورحمته.

ولاشك أن هذا الحديث الشريف من الأدلة على صدق نُبُوة سيدنا محمد ﷺ، لأن مهنة التمثيل التى أصبح مَنْ يزاولها إسمة «الممثل» لم تكن معروفة إلاً فى أوائل هذا القرن، وأطلقوا على اسم الممثل فى مصر أول الأمر إسم آخر هو «المشخَّصَاتى» ربما لأنه كان يقلد شخْصِّيات معروفة، ولكن على أى حال من المعلوم تاريخيا، أن هذه المهنة دخيلة على العرب ولم تعُرف فى تاريخهم كله، وأول من أتوا بها إلى مصر وإلى البلاد العربية الأخرى كانوا من اليهود والنصارى، وحتى عام ١٩٦٥ ميلادية لم يكن فى المملكة السعودية مسرح أو فريق تمثيل من أبنائها وإنما دخل عليهم هذا بعد الارسال التليفزيونى، ومع هذا كله فالحديث يتحدث عن الممثل والممثلين، وهل فى الدنيا كلها مهنة أخرى تحمل هذا الإسم ويحمل ممتهنها هذه التسمية إلاً الذيَنْ يقومون بتشخيص شخصيات الافلام والمسرحيات والمسلسلات؟! إذا كانت الإجابة بلا، وهى كذلك فإن الحديث يتناول هذه المهنة دون غَيْرِهَا. وهؤلاء الذين تَسُوقهم الشياطين إلى أشد العذاب يوم القيامة خادعين إياهم بوصفهم إعلاميا بالنجومية وأصحاب أدوار البطولة سواء دَرَوْا أم لما يَدْرَوْا أن اكثر ما يقدُمُونه هدم للشرع وأمر بالمنكر ونَهْى عن المعروف وإشاعة للفحشاء، وخِدْمة لمخططات صهيون، أقول: أَفَلاَ يستحقون أن يكونوا أشد الناس عذابا يوم القيامة ؟!.

لقد قرن الحديث الشريف بين هذه المهنة وبين إثنين آخريْن: الاول الذى قتل نبياً أو الذى قتله نبى وكلاهما من شرار الخلق لأن النبى لايقتل بيده إلاً أشد الناس ظلما وشراً، وإمام ضلالة، أى مبتدع متزندق متفلسف ليضل الناس بفكره وبدعته وصار

(١) أورده الألبانى فى الصحيحة برقم ٢٨١.

بما إبتدعه وبتفكيره المضل صاحب وزعيم ومُنَظِّر لأتْبَاعٍ يقودهم إلى جهنم يوم القيامة فهو أشدهم عذاباً.

ثم (ممثل من الممثلين) وهو يتساوى مع إمام الضلالة لأن الذى ينتج أو يمثل أفلاما يعلم أنها تَهدم فى شرع الله تعالى وقيم الإسلام، وتدعو إلى العرى والفحشاء والمنكر سواء أكانت الدعوة صريحة أم ضمنية وَخفِيَّةٌ مُسْتَتِرَةَ أم ظاهرة، فهو إمام ضلالة، وخاصة من يسمونهم أبطال الدراما.

وكلمة أخيرة بالنسبة لهذه المهنة: وهى أن من يصلى ويحج ويفعل الخير رياءاً وسمعة حتى يتحدث الناس عنه ويشيرون اليه قائلين: أنه من أهل الخير والصلاح والتقوى فهو فى النار، وإن كان من العلماء الذين وصلوا بعد إجتهاد إلى أعلى مراتب العلم والمراكز العلمية، لأنه إجتهد وحَصَّل العلم ليقال أنه عالم فهو معذب على الصراط، وهو جسر على النار يعبر عليه المسلمون إلى الجنة ويسقط المنافقون منه إلى النار ولايعبر هذا العالم مثل هؤلاء الذين تعلموا منه الإسلام والتزموا بتعاليمة إبتغاء مرضاة الله؛ وهو فى جهنم لانه ما تعلَّم وما علَّم إلاَّ طلبا للشهرة، بالرغم من أنه قد هدى الله بعلمه غيره.

وأنتم أيها الفنَّانُون عامة والممثلون خاصة: هل لكم من هدف أعلى ورأسمال تسعون إلى تحصيله وتحافظون عليه غير الشهرة، إن الشهرة هى طلب السمعة والرياء من الجمهور فأنتم تعبدون الجمهور وهذا شرك، فإذا كان العالم طالب الشهرة والمركز والمجد والمال فى جهنم رغم أنه يرشد الناس غالبا إلى الخير، فما بال الذين جعلوها غايتهم العليا، ثم هم لايرشدون فى أغلب أعمالهم إلى الخير، بل إلى الشر والمنكر والفحشاء؟!.

نسأل الله تعالى أن يتوب على أهل الخير منهم إنه هو التواب الرحيم.

إن هذا الحديث الشريف يقرر مصير صنف من الممثلين، بيد أن الأحاديث التى سبقته تَدُل على أن انتشار هذه المهنة وظهورها فى الأمة الاسلامية دليل على قرب نزول عذاب القيامة الصغرى ، نسأل الله تعالى النجاة والسلامة.

(٥١) أفلام الكرتون التى يكلم السباع فيها الانس دليل على أننا فى آخر الزمان

عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عزبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده ﴾ [١] ورواه ابن حبان بلفظ آخر: قال رسول الله ﷺ (الا إن من اشراط الساعة كلام السباع للانس، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الانس، ويكلم الرجل نعله وعزبة سوطه[*] ويخبره فخذه بما يحدث أهله من بعده).

وفى رواية لاحمد ان النبى ﷺ قال: (آيات تكون قبل الساعة والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله او سوطه او عصاه بما أحدث أهله من بعده).

وفى رواية أبى هريرة (قال : جاء ذئب إلى راعى الغنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه قال: فصعد الذئب على تل فأقعى وإستذفر فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته منى؟!

فقال الرجل : تا الله إن رأيت كاليوم ذئبا يتكلم قال الذئب: أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم، وكان الرجل يهوديا فجاء إلى النبى ﷺ فأسلم واخبره فصدقه النبى ﷺ ثم قال، النبى ﷺ (انها امارة من امارات بين يدى الساعة قد اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده)[٢].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده والترمذى والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ووافقة الذهبى.

(*) عَزَبَةُ السوط هى كتلة الشعر الموجودة فى نهاية ذيل البقرة وكانوا يجففُونه ويتخذونه سوطا يضربون ويجلدون به، وهذا تشبيه للميك أو لاقط الصوت الذى هو عبار عن سلك ممتد نهايته كتلة مستديرة هى الميك الذى يوضع أمام فم المتكلم أو الخطيب وكأنه يكلمه.

(٢) رواه الامام احمد وقال الهيثمى رجاله ثقات. وهو فى مسند أحمد برقم

والذى أقوله والله تعالى أعلم ان كلام السباع للإنس هو ما نشاهده من أفلام الكرتون بدليل ان هذا الخبر جاء ضمن عدد من الأخبار علمنا أنها جميعا من الاختراعات السمعية الحديثة وكلام السباع للانس فى افلام الكرتون مجرد تقنية تنتجها اجهزة سمعية دقيقه والآن يستخدمون الكمبيوتر حتى تكون حركات فم السبع متوافقة مع الصوت المنطوق المسموع فيبدو للمشاهد أن السبع يتكلم على الحقيقة.

وقد جمع رسول الله ﷺ الخبر عن كلام الرجل لعزبة سوطه (الميكرفون ومكبر الصوت) وكلام فخذه له (المحمول أو جهاز التسجيل) وغير ذلك من الاجهزة السمعية التى تستخدم كلها فى صناعة افلام الكرتون ومن ثم جمعها معا ودل على أنها تحدث فى آخر الزمان وقالها بمناسبة كلام الذئب للرجل وأقسم ﷺ على هذا لغرابته على سمع الصحابة باعتبارها من الامارات فى زمن العجائب التى تسبق الآيات وتدل على قرب وقوعها، والله تعالى أعلم.

ومن الاجهزة البصرية ذات الشأن الخطير فى حياة الإنسان اليوم هى الأجهزة العدسية ومنها الميكروسكوب المكبر أو المجهر، ثم التلسكوب المقرب وهو سبب التقدم فى علم الفلك إذ تمكنوا من رؤية الأجرام البعيدة كأنها قريبة، وفى هذا قال رسول ﷺ (... وأن يُرى الهلال قبلا أو الشىء القبل هو الذى بين يَدَىْ المتحدث ومعلوم أن الناظر فى التلسكوب إلى القمر) أو الشىء البعيد يخيل إليه أنه لومد يده من خلف المنظار لامسك بما يرى إذ يراه قريبا منه مع بعده الشاسع فهذه الأمارة تخص التلسكوب.

(٥٢) انتشار الصحف بظهور المطابع ومصانع الورق والتوسع فى نشر الكتب والمجلات وآخر هذا كله شبكة الانترنت

قال تعالى ـ .... ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ وهى الأمارة العاشرة من اثنتى عشرة إمارة اكثرها حدثت فى الدنيا كما سنرى.

ومعنى النشر لغة التشعب والبسط والتوسع والتصميم ومنه الانتشار بمعنى التعميم والذيوع وجاء فى حديث الفزع يوم الدين (.... وعن تطاير الكتب...) فهى تتطاير ليصل كل كتاب ليد صاحبه فالكتب يوم الدين تتطاير وتسلم لأصحابها ولا يعلم ما فى الكتاب إلا صاحبه، أما النشر فيتضمن اعلان ما فى الصحيفة للجميع حتى يعلموا جميعا ما فى الصحيفة الواحدة.

اما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ فهو يطابق لغويا انتشار الصحف فى زماننا

المعاصر وهو ما يطلقون عليه الاعلام المقروء الذى له دور خطير فى توجيه الناس: إما إلى هدى وإما إلى ضلال. ومن الواضح غَلَبة الضلال فى الصحف على الهدى.

فاذا تذكرنا أنهم كانوا يكتبون قديما على رقائق الجلد والعظام وشقفات من الفخار ثم بعد ذلك على صفحات من الورق المصنوع يدويا على نطاق ضيق ثم حدث التوسع حديثا فى طباعة الكتب والجرائد وبعد اختراع المطابع التى تطورت وأصبحت تتم بالكمبيوتر وبأساليب سريعة جدا تستوعب طباعة الملايين من الصفحات في ساعات قليلة وكثر الكتاب والادباء والقراء دل كل هذا على ان نشر الصحف هو من أشراط الساعة واماراتها. وأكد هذا قول رسول الله ﷺ، فى حديث طويل جاء فيه (وفُشُوُّ القلم...) وفى رواية لأحمد (وظهور القلم...)[1] أى تكثر الكتابة والصفحات المكتوبة والقراء وعن عمر بن تغلب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إن من أشراط الساعة أن يكثر التجار ويظهر القلم)[2] وكل هذا حدث فى عصر واحد إذ فاض المال بعد ان صار ورقا يطبع وكثرة التجارة وظهور القلم علامة النشر والطباعة ورفع العلم لان اكثر ما ينشر ويكتب ويقرأ ليس من الهدى بل من الضلال اما ذكر نشر الصحف فى آخر الإمارات الواردة فى سورة التكوير فهذا يدل على أحدث صورة معاصرة للصحف باعتبارها نشراً للملعومات، وحيث ان الانترنت اوسع قاعدة معلوماتية يمكن عن طريقها الإطلاع على علوم وصحف ومصادر معلوماتية وعلمية كالجرائد والمجلات والجامعات والمكتبات تعد بملايين المصادر من خلال جهاز صغير فى المنزل . وحيث ان هذه الشبكة تعتبر اعظم وأوسع وأحدث نشر للمعلومات فان تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (١٠/ التكوير) يصدق على شبكة الانترنت اكثر من أى مصدر اعلامى آخر وان لم يكن هذا التأويل مانعا لصدقه على غيره، ولكن نظراً لأن هذه الشبكة أحدث نشر

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن عبد الله بن مسعود والحاكم وصححه وهو فى مسند احمد برقم .

(٢) رواه ابو داود الطيالسى فى مسنده عن اتحاف الجماعة جـ٢ ص١٠٩.

للمعلوماتية، وهذا الشرط آخرها وروداً في سياق سورة التكوير، فإن التأويل بشبكة الانترنت أصدق وأكثر مطابقة من أى مصدر آخر للعلم والمعرفة والإعلام والنشر. وذلك تبعا للملاحظة أن هذه الأمارات مرتبة فى السورة حسب وقوعها فى الزمن.

ومن ثم يصح القول بأن تأويل قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت) خبر بامارة من الإمارات وهي نشر الصحف والمجلات بعامة والنشر عن طريق الانترنت بخاصة. وبعدها أمارة كشط السماء وهو ما يطلقون عليه ثقب الأوزون وهو مايزداد خطره يوما بعد يوم. وهى ظاهرة بيئية تعاصر فى الزمان التوسع فى نشر الصحف الذى أخذ أوسع مدى له فى شبكة الإنترنت. التى جعلت أهل هذه الحضارة المادية يظنون أنهم قادرون على العلم بكل شيء ومعرفة كل شيء، وهذا يدل على أنهم الجيل الذى تقوم عليهم القيامة الصغرى.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك؟ آمين.

الفصل السابع

التقدم فى علوم الحياة والطب والجراحة والهندسة الوراثية وإستنساخ الكائن الحى من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(٥٧) حكم الإسلام فى تغيير خلق الله تعالى:

قال تعالى ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢٠) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾(النساء١١٧-١٢١) عن الضحاك (قال المشركون إن الملائكة بنات الله وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى قال: اتخذوهن أربابا وصوروهن صور الجوارى فحلوهن وقلدوهن) وعن ابن عباس (وإن يدعون الاشيطانا مريدا قال: مع كل صنم شيطانة).

وعن مقاتل بن حيان (وإن يدعون من دون الله الاشيطانا) يعنى : إبليس. وعن سفيان(وإن يدعون من دونه الاشيطانا مريدا) قال: ليس من صنم إلاَّ فيه شيطان) وعن قتادة فى قوله(مريداً) قال تمرد على معاصى الله وأما قوله(لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا)قال: يقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة).

وعن عكرمة فى قوله تعالى(ولأضلنهم ولهأمنينهم ولآمرنهم فليتبكن آذان الانعام)، قال: دين شرعه لهم ابليس كهيئة البحائر والسوائب) وعن قتادة (قال التَّبْتِيك فى البحيرة والسائبة كانوا يُبَتِّكون آذانهم لطواغيتهم) وتبتيك الآذان، قطعها لتميزها عن غيرها أو يشقونها فيجعلونها بحيرة.

هذا فى التبتيك الذى كانوا يميزون به الأنعام التى ينذرونها لاصنامهم وطواغيتهم.

أما قوله تعالى: ﴿ولآمرنهم فليُغَيِّرن خلق الله﴾ فقد إختلفوا فيه، فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما (فليغيرون خلق الله قال: دين الله) يقصد الفطرة قال الضحاك («فليغيرن خلق الله» قال: دين الله وهو قوله: (فطرة الله التى فطر الناس عليها).

وفسر آخرون التغيير بالإخصاء الذى يحدثونه فى ذكور الانعام، فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كرهه ؟ وقال فيه نزلت(ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) وربط المفسرون بين الآية وبين تحريم النبىﷺ تغيير خلق الله فيما رواه عبدالله بن مسعود رضى الله عنه(قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله).

وكذلك مارواه البخارى ومسلم عن لعن الواصلة والمستوصلة فعن أسماء قالت: أتتْ النبىﷺ إمرأة فقالت: إن لى إبنة عروسا وأنه أصابتها حصبة فتمزق شعرها، أفأصله؟ فقال رسول اللهﷺ: لعن الله الواصلة والمستوصلة).

لكن تغيير خلق الله أخذ فى عصرنا هذا أبعاداً أعمق وأوسع وأخطر، حتى أن كل الأعمال التى دلت النصوص السابقة على أنها موجبة للعنة الله تعالى لأنها تدخل فى طاعة الشيطان لعنه الله بتغيير خلق الله تعالى، إنما هى لعنة لا توجب الخلود فى النار بالضرورة، أما فى عصرنا، فإن التغيير فى خلق الله تعالى الذى يتم بتأثير الإكتشافات العلمية والمخترعات الحديثة فى مجالات الطب وعلوم الحياة ليس موجبا للعنة الله تعالى فحسب، وإنما هى من موجبات اللعنة الأبدية التى لاتكو ن الا لمن يكفر كفرا بواحا مخلداً صاحبه فى النار.

فإستخدام الباروكة يلبسها الأصلع ليخفى صلعته وتلبسها المرأة تتجمل بشعر أشقر مرة وأسود مرة يتضمن اعتراضا على قدر الله تعالى، وهو كفر بالقدر، الامر الذى لعن الله من أجله الواصلة والمستوصلة والواشمات والمتنمصات والمتفلجات، فلعنة من يلبس الباروكة لاتوجب الخلود فى النار، أى لاتحكم عليه بالكفر، وتأخذ

وإذا كان الحكم بمعنى السلطة فمعناه الوصول إلى كراس البرلمانات والمجالس النيابية وآخر مثل لهذا هو شراء أحد السياسيين الاتراك ويدعى يلمظ سبع مقاعد باستقاله أصحابها من الأحزاب المنافسة لحزبه لكى تصبح حكومة يلمظ هذا مؤيدة من المجلس بأكثر من نصف الأصوات بصوت واحد حسب الدستور فتسقط حكومة حزب الرفاه وهى التى كانت تريد ان تطبق حكم الله تعالى، وكأن هذا التعبير فى الحديث خاص بهذه الحادثة وما يماثلها وهو كثير.. مع أن تجارة يلمظ هذا هى الدعارة والمخدرات والقمار والملاهى الليلية، والنتيجة ان هذه الاحداث تدل على أنه لم يبق للساعة كثير لبث كما نص الحديث. وهذا تعبير يدل على القرب الشديد للساعة والدخول فى عصر الآيات. فهذه الأمارات كلها حدثت متعاصرة مع علو البنيان.

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال(لاتقوم الساعة حتى يُجعل كتاب الله عارا ويكون الاسلام غريبا.. إلى أن قال... وحتى تُبنى الغرف فتتطاول؟)[1] أى تبنى مجموعة من الغرف، ثم يبنى فوقها مجموعة أخرى وهكذا حتى تصبح البناية مرتفعة او تصبح جبلا وهو ما نُسمِّيه هذه الأيام بالادوار التى بكل واحد منها مجموعة من الشقق وصدق رسول اللهﷺ الذى بيَّن فأحسن البيان وبلَّغ بأبلغ لسان.

ولولا المعدات الثقيلة والأجهزة الكهربائية الحديثة لما استطاع الإنسان أن يبنى الجبال الشاهقة التى يسميها عمارات متعددة الطوابق، إذ لولا المصاعد الكهربائية لما ارتفع البنيان، وكذلك لولا شبكات المياه والصرف الصحى. والتطاول فى البنيان لايعنى ارتفاعه فقط بل يعنى كذلك التنافس فى زخرفته وتجميله من الخارج، وكذلك من داخل الاكنان أى الشقق بما يعرف اليوم بالديكور، وهى أمور سبق أن وصلت إليها البشرية من قبل حتى غزو الفضاء وكل مظاهر الحضارة الكهرومغناطيسية كما ذكرنا هذا فى الجزء الأول عن عاد الأولى باعتبار أمريكا هى عاد الثانية.

---

(١) رواه ابن ابى الدنيا وأبو نصر السجزى فى الآبانة واورده المتقى الهندى بكنز العمال وقال لابأس بسنده عن انحاف الجماعة صـ٢ صـ٢٨ للتويجرى.

فعن التقدم التقنى العمرانى والعناية بالديكور قال تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣٣-٣٥/ الزخرف) فانظر إلى قوله تعالى: ﴿لبيوتهم سقفا من فضة﴾ وإلى قوله تعالى: ﴿وزخرفا)﴾ اليس هذا هو مايعرف الآن«بالديكور» وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا﴾ اليست المعارج فى اللغة هى ما يُعْرَجُ بها أى يُصعد بها إلى أعلى، ويظهرون أى يعتلون إلى الظهر أى سقف المبنى أو أعلاه، أليست هذه اذن المصاعد الكهربائية وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ولبيوتهم أبوابا﴾ وما الجديد أن يكون للبيوت التى بها معارج يظهرون عليها أبواب؟ المقصود إذن أن نكون لها أبواب مخصوصة هى أبواب كهربائية أو أبواب المصاعد أو أبواب مزخرفة غير عادية.

وأليس جوهر فن الديكور هو «حسن المنظر»؟ فإذا كان بداخل الشقة أو الفيلا أو المكتب، يكون ترتيب الأثاث وتناسق الوانه بحيث يرتاح النظر إليه، إذ يكون كل شئ متناغم مع سائر الأشياء الأخرى فى المكان، وبعض الناس يفتنهم ذلك حتى أنه ربما يلجأ إلى الكسب من الحرام لكى يعيش فى مثل هذه الأجواء، وتلك هى المساكن التى يرضاها الناس وتقعدهم عن الجهاد(.. ومساكن ترضونها...) والكفار يفتخرون دائما على المؤمنين ويعيرونهم بأنهم أقل فى مستوى المعيشة من حيث المسكن اولا ثم الملبس ثم المأكل ومن حيث عمارة المدن والتقدم المدنى ويقولون لهم لو كان دينكم الاسلام هو الحق لما كنتم أقل منا نجاحا فى الحياة ومن ثم رد الله تعالى عليهم فقال تعالى﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا (٧٤) قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾(٧٣-٧٥مريم) فقولهم: (أى الفريقين خير مقاما وأحسن نَدِيًّا) هو ذكر لتكبر ولتعالى الكفار على المسلمين بما عندهم من تقدم حضارى ومدنى ليس عند المسلمين، وقولهم لو كان الاسلام هو الحق والعلمانية هى الباطل ماكان هذا حالكم ولما كان هذا حالنا.

والرد عليهم: أن الله تعالى أهلك الذين من من قبلكم الذين كانوا أكثر منكم حضارة وتقدمًا وغنى ورفاهية وأثاثاً وديكورا وهذا معنى كلمة(رِءْيًا) لأن جوهر فن الديكور هو جمال الآثاث وتناسق الوانه واوضاعه مع الجدران حتى يروق للعين الناظرة. أى جمال المنظر فهو فن تحسين المنظور أى المرئى وتجميله، ومن ثم قال تعالى ردا عليهم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورءيا/ ٧٤/ مريم)

(٥٤) تخطيط المدن ونسف الجبال وعمل الانفاق من أمارات الساعة:

روى الطبرانى فى الكبير بسنده مرفوعا(قال رسول اللهﷺ: ثلاث إذا رأيتهن فعند ذلك تقوم الساعة: خراب العامر وعمار الخراب.. الى آخر الحديث)وقال رسول اللهﷺ(لاتقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة، وحتى تُتخذ المساجد طرقا فلا يُسجد لله فيها)(١) وهذا قد تحقق باعادة تخطيط المدن وهدم الأحياء القديمة لشق الطرق الواسعة فيها وبناء أحياء جديدة وبطبيعة الحال هدم المساجد التى فيها ليحل محلها الطرق وتعمير الخراب، وقد رأيت هذا فى مدينة الرياض وغيرها من مدن السعودية إذ هدمت جميع الأحياء المبنية بالطين ودفعوا للناس تعويضات وحلَّت محلها الطرق الحديثة الواسعة. وإعادوا التخطيط فخربوا العامر وعمروا الخرب، وهذا يحدث فى كل مكان فى الدنيا.

وفى حالة إعتراض الجبل للطريق ينسف «بالديناميت» ويُنقل رُفاته بالمعدات الثقيلة (البلدوزر والشاحنات الثقيلة الضخمة) إلى خارج المدينة ليصبح أكواما من الصخور وهذا مانبأ به الله تعالى فى القرآن الكريم بقول تعالى(وإذا الجبال نُسِفَتْ) وقوله تعالى(وإذا الجبال سُيِّرت) وهذا فى الدنيا وهو ماحدث فى كل المدن التى تتخللها الجبال فى جميع أنحاء العالم وبصفة خاصة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وجاء فى الحديث الذى تذاكر فيه سيدنا المسيح مع سيدنا موسى ومع سيدنا

---

(١) رواه الطبراى فى الكبير من حديث ابن مسعود.

ابراهيم عليهم الصلاة والسلام أخبار الساعة قول المسيح عليه السلام لهما(ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الاديم) أي مد البساط، وهذا مايحدث بعد نسف الجبل إذ يحل محله الطريق المرصوف الممتد مَدّ الأديم.. والاديم هو الجلد، والمعنى ان تبسط الأرض كبسط الجلد عند دبغه.

وينطبق هذا الوصف أيضا على عمل الأنفاق فى بطون الجبال لمد الطريق فيها أيضا مد الاديم لأنه يتم بنسف باطن الجبل، ولكن مع هذا ورد مايدل صراحة على مانطلق عليه الانفاق باسم «الانقاب» فى مكة والمدينة حيث النقب هو الكلمة الاكثر دقة وأصح من النفق لأن الإنسان هو الذى نقب الجبل، فتسميته بالنقب أولى. وتشتهر مكة المكرمة بالانقاب الكثيرة الآن التى تربط أحياءها بعضها ببعض عبر الجبال.

روى نعيم ابن حماد فى الفتن بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال (محرم على الدجال ان يدخل نقاب المدينة)(١) وروى نعيم أيضا بسنده عن أبى بكرة عن النبي (ليس من بلدة إلاَّ يبلغها رعب الدجال إلا المدينة، على كل نقب من نقابها ملكان يذّبان عنها رعب المسيح)(٢).

وروى نعيم كذلك بسند مرفوع قال(يأتى سباخ المدينة ومحرم عليه أن يدخل نقابها فيخرج إليه كل منافق ومنافقه ثم يولى الشام)(٣) وروى نعيم أيضا بسنده عن ابى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (الدجال لايبقى من الأرض شئ إلا وطئه، وغلب عليه الامكة والمدينة فإنه لايأتيها من نقب من أنقابها، إلا لقيه ملك مصلتا بسيفه حتى ينزل الظريب الأحمر...)(٤) إلى آخر الحديث.

هذه الأحاديث جميعا تثبت أنه عندما يأتى الدّجال ستكون مداخل مكة والمدينة أنقابا وهى لم تكن كذلك إلاَّ فى العشرين سنة الأخيرة بعد نسف الجبال ومد الطرق مكانها مد الاديم وكذلك نسف باطن الجبال فى مكة وعمل مانطلق عليه الانفاق التى ليست سوى النقاب التى نقبها الإنسان بنسفها بالديناميت ثم نقلها بالمعدات الثقيلة خارج المدينة فتحقق الشرطان (إذا الجبال نسفت) و(إذ الجبال سُيِّرت).

---

(١) نعيم بن حماد / الفتن/ حديث رقم ١٥٨٣.
(٢) نعيم بن حماد/ الفتن/ حديث رقم ١٥٨٤.
(٣) نعيم بن حماد/ الفتن/ حديث رقم ١٥٨٥.
(٤) نعيم بن حماد / الفتن/ حديث رقم ١٥٧٢.

(٥٥) شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحى فى مكة وارتفاع المبانى على الجبال من إمارات الساعة

ولولا تقنيات البناء الحديثة وتقنيات المياه والصرف الصحى لما أمكن أن ترتفع المبانى فوق جبال مكة.

أما عن شبكات المياه وشبكات الصرف الصحى الحديثة التى لولاها لما تمكن الإنسان من تخطيط المدن الكبيرة والارتفاع بالبنايات الى الطوابق المتعددة، هذه الشبكات جاء ذكرها باعتبار أنها من امارات الساعة فى المدن بعامة وفى مكة بخاصة، فيما أخرج ابن ابى شيبة فى مُصنَّفه. عن يعلى بن أبى عطاء عن أبيه قال (كنتُ آخذا بلجام دابة عبدالله بن عمرو فقال: إذا رأيت مكة قد بعُجتْ كظائم، ورأيت البناء يعلو رؤوس الجبال فاعلم أن الأمر قد أظلك)(١).

والبعج لغةً هو الشق والفتح،(قال الخليل: بَعَجَ بطنَه بالسكين أى شجَّهُ وشقه وخضخضه)(٢). وكظم: أصل واحد يدل على الإمساك والجمع للشئ والكظم تخرج النَّفس يقال أخذ بكظمه كأنه منع نَفَسَهُ أن يخرج. والكظائم خروق تحفر يجرى الماء فيها من بئر إلى بئر، فهى اذن قنوات مغطاة باطنيه فى الأرض وتصل من مكان إلى مكان فى باطن الأرض وهذا الوصف بنطبق على مانسميه الآن شبكات المياه النقية وشبكات الصرف الصحى إذ هى مواسير تنتقل فيها المياه من موضع الى موضع وهى مكظومة أى مدفونه فتمنع المياه من الخروج من هذه المجارى والمواسير، إلاَّ عند الطلب.

ومن ثم فإن معنى هذه العبارة الواردة فى الحديث عن مكة فى آخر الزمان(إذا رأيت مكة قد بُعجت كظائم) أى شُقَّت بطونها وشُجَّت وخُضْخِضْتَ أى نزع مافى هذه الشقوق من أتربة، وفرغت منها لتحل محلها مواسير المياه المضغوطة داخلها

(١) أخرجه بن أبى شيبة فى مصنفه. عن اتحاف الجماعة للشيخ التويجرى جـ٢ ص١٧٢.
(٢) لسان العرب لابن منظور.

فتكـون كظائم كما يـكتم الحى نفسـه داخل رئتيه لأن المـكظوم هو المضغـوط وكذلك بنطبق هذا الـوصف على الانفـاق فى باطن جبـال مكة، إذ تم شق باطن هذه الجبـال وفـتحـها وخـضخـضـتهـا بإخراج مـاتم نسفه فى باطنهـا من صـخور ثم وضـعت فيها«التوربينات» وهى المراوح الضخمه لتجديد الهواء فيها فأصبحت بأصواتها أشبه ماتكون بالنفس المكظوم، أى صارت كظائم لانفاسها بالمعنى الأول. ولامانع من القول أن هذا الوصف يصـدق على الاثنين أى على الشـبكات وعلى الانـفاق. ويؤكـد هذا قوله عن امارة مصـاحبة لهذا وهى علو البناء رؤوس جبال مكة وليس سفـوحها فقط. وهذا كله قد حدث فى زمن واحـد لإرتباطهما تقنيا، إذ لو لاشبكات المياه والصرف الصحى لما أمكن إرتفاع المبانى فوق رؤوس الجبال.

أما قوله : (فإعلم ان الامر قـد أظلك) فهى دليل على بدء عصر الآيات وان الدنيا آذنت بانتهاء. فهذا كله من إمارات الساعـة القريبة والمباشرة لها لان معنى أظلك: أى صار فوق رأسك.

ولم يكن ليتـم البناء على رؤوس الجبال الابهـذه التقنيـات الحديثة والمعـاصرة فى العمران حـتى قامت القُصور الملكية عمـارات عالية متعـدده الأدوار فوق رأس جبل أبى قبيس المطل على الحرم من نـاحـية الصفا، وقد نبأ الوحى بهذا الحـدث باعتباره من أمارات السـاعة القـريبه فـيما رواه ابو الوليـد الازرقى فى أخبـار مكة عن يوسف بن ماهك قـال كنتُ جالسـا مع عبدالله بن عـمرو بن العاص رضى الله عنـهما من نـاحـية المسجـد الحرام إذ نظر إلى بيت مشـرف على أبى قبيس فـقال: أبيتٌ ذاك؟ قلت:نعم، فقال: إذا رأيت بيوتهـا قد علت أخشبيْها وفجرت بطونهـا أنهارا فقد أزف الأمر)(١) والآن علت بيوتهـا الأخشبيْن وهما الجـبلان العظيمان اللذان يحـيطان بمكة، وتشرب مكة الآن من مياه التحلية المنقولة عبر مواسيـر طولها أكثر من خمسين ميلا من محطة تحلية على شاطئ البـحر الأحمر وهى أنهار تجـرى فى بطون مكة، وهذه الأنهار تدفع بفـعل الضـغط بالمضـخـات الكـهـربائيـة لتـرتفع إلى قـمم الجـبـال حـيث البـيـوت

(١) عن إتحاف الجماعة جـ٢ ص ١٧٢.

والعمارات. وهذاتأويل قوله: ﴿وفجرت بطونها أنهاراً﴾ أي ماءاً عذباً يجرى في بطونها داخل المواسير بفتح الصنابير. وقوله رضى الله عنه:(فقد أزف الأمر) أى قرب وبدأ امر الساعة أى اماراتها القريبة.

وروى الأمام احمد عن جابر رضى الله عنه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبره أنه سمع النبىﷺ يقول:(سيخرج أهل مكة منها ثم لايعمرونها (أو لاتعمر إلاَّ قليلا) ثم تعَمر وتمْتلئ وتبنى ثم يخرجون منها فلايعودون إليها ابداً)(١) .

وقد حدث هذا فى هذا العصر لان المقصود بأهل مكة فى الحديث هم قريش وقد خرجوا منها وانتقلوا الى الآحياء المنشأة حديثا حول مكة القديمة، اما الذين يعيشون فى مكة القديمة وفوق جبالها وبين شعابها، فهم الوافدون للحج والعمرة إذ أصبحت المنازل والبيوت والعمارات حول الحرم كلها فنادق للحجاج والمعتمرين، ويسكنها العمال وغير القرشيين بل غير العرب وغير اهل الجزيرة أى الذين وفدُوا وهاجروا من الهند والسند وجاوة وافريقيا وغيرهم ممن يعملون فى خدمة الحجاج وفى الأشغال اليدوية واكثرهم من الخزر ولايعيش من قريش بين شعاب مكة الا القليل النادر. بل إن توسعة الحرم الشريف شغلت اكثر أرجاء مكة فى العهد النبوى فلم يبق منها مسكونا مأهولا إلا قليلٌ. ولايسكن هذا القليل أهل مكة أى قريشى، وإنما اكثره فنادق الحجاج والمعتمرين والعاملين فيها وفى الحرم. أما قريش فتعيش الآن فى فلل فى أحياء حديثة مخططة خارج مساحة مكة القديمة، وفى مدينة جدة أيضاً.

(٥٦) رصف الطرق بالزفت الأسود امارة على قرب وقوع العذاب بأهل الأرض بزلزال الأرض العظيم وأحداث القيامة الصغرى

ومع هذه الأمارات أمارة تخص الطرق، وهى مع سائر الامارات من مقدمات وارهاصات الزلزال او العذاب الذى سينزل بأهل الأرض، هذه الإمارة هى رصف

(١) رواه الإمام احمد فى مسنده وأبو يعلى قال الشيخ النويجرى فيه (قال الهيثمى: وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح) جـ٢ ص ١٧١.

الطرق بالزفت الأسود المستخرج من البترول، يدل على هذا ما أورده المتقى الهندى فى كنز العمال(عن عائشة قالت: قال رسول اللهﷺ: إذا ظهر السواد فى الأرض انزل الله بأهل الأرض نائبة). قلت يارسول الله: وفيهم أهل طاعة الله؟! قال:نعم ، ثم يصيرون إلى رحمه الله)(١).

ماذا يكون السواد الذى يظهر فى الأرض إلا مايسمى بالزفت الذى يرصفون به الطرق. حتى أنك لاترى فى مدينة عظيمة المساحة مثل القاهرة إلا أرضا سوداء. وكذلك كل مدن الدنيا وكثير من قراها ومن ثم أصبح الظاهر فى أعين أكثر البشر هو السواد.

وماذا تكون النائبة التى تنزل بأهل الأرض كل أهل الأرض أى البشر بما فيهم أهل طاعة الله تعالى إلاَّ زلزال الأرض العظيم.؟! وعذاب يوم القيامة؟!.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك. آمين.

---

(١) كنز العمال للمتقى الهندى حديث ٣١٤٥ جـ١١ صحـ٢٥١.

الفصل السادس

التقدم فى التشييد والبناء وتخطيط المدن ورصف الطرق وشبكات المياه من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(٥٣) التصريح فى السنة بالتقدم العمرانى المعاصر

لقد جاءت الإشارة فى كتاب الله تعالى عن تخطيط المدن وتجميلها وزخرفتها وتزيينها باعتبار ذلك كله امارة على قرب مجيء العذاب ووقوع الزلزال والهدم، قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(يونس/ ٢٤) وجاء فى حديث الإيمان والإسلام والإحسان ذكر امارة من امارات الساعة وهى (وأن ترى الحفاه العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان)[١] وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال(لاتقوم الساعة حتى يفيض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن وحتى يتطاول الناس فى البنيان)[٢].

وروى الطبرانى فى الكبير عن ام المؤمنين ميمونة رضى الله عنها قالت قال نبى الله ﷺ ذات يوم(ماأنتم إذا مرج الدين وسُفِكَ الدماء وظهرت الزينة وشرف البنيان؟!)[٣].

وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

(١) صحيح مسلم ك/ الايمان، ب/ بيان الإيمان والإسلام والاحسان (١/ ١٥٨/ النووى).

(٢) رواه البخارى فى الصحيح ك/ الفتن.

(٣) رواه الطبرانى قال الهيثمى: ورجاله رجال الصحيح وقد رواه أحمد قال الشيخ التويجرى فى اتحاف الجماعة ورواته ثقات حـ٢ ص١٦٢.

تُسْلِمُون﴾(النحل/ ٨١) وقد اتم الله تعالى نعمته على الناس لعلهم يسلمون بأن جعل لهم فى هذا العصر من المبانى الشاهقة الارتفاع كالجبال أكناناً أى شققا لأن الشقة كن والشقق اكنان.

يدل على شيوع الجبال أسلوبا للاسكان فى المدن تلك التى يسمونها عمارات أحيانا أو بنايات أو ناطحات سحاب مارواه ابن أبى شيبة عن على رضى الله عنه أنهم سألوا رسول الله ﷺ: متى الساعة؟!

فقال: لقد سألتمونى عن امر مايعلمه جبريل ولا ميكائيل، ولكن إن شئتم أنبأتكم بأشياء إذا كانت لم يكن للساعة كثير ليث: إذا كانت الالسن لينة والقلوب جنادل، وظهر البناء على وجه الأرض واختلف الأَخَوَانْ، فصار هواهما شتى وبيع حكم الله بيعا)(١) والشاهد فى هذا الحديث ظهور البناء على وجه الأرض، ومعاصرة الأمارات الأخرى فيه لهذه الامارة.

وروى ابن إبى شيبة أيضاً عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: إن من إقتراب الساعة: أن يظهر البناء على وجه الأرض وأن تقطع الأرحام وأن يؤذى الجار جاره)(٢).

وظهور البناء على وجه الأرض يعنى كثرته وارتفاعه معا، وهذه الامارة العمرانية يصاحبها امارات سلوكية خلقية وسياسية واجتماعية هى لين الألسن مع موت القلوب وقسوتها وهى مايعبرون عنه فى العصر الحديث بأخلاق (الجنتل مان) المتشملة فى عبارات رقيقة تقال فى كل مناسبة مع أن الذى يقولها مجرم وسفاك للدماء معتد أثيم، والأَخَوَان من بيت واحد، لكل منهما طريق مختلف بل ومعاكس ومضاد للآخرٍ كان من أهالى مركز دكرنس محافظة الدقهلية رجل له إبنان معتقلان فى عهد جمال عبد الناصر: أحدهما لأنه من الأخوان المسلمين والآخر لأنه شيوعى.

(وبيع حكم الله بيعا) إن كان الحكم بمعنى الفتوى فمعناه ضلال علماء هذا الزمان إذ يفتون بمايروق للحكام مقابل المنصب، والمال.

---

(١)، (٢) رواهما ابن أبى شيبة. عن إتحاف الجماعة / جـ٢/ ص٢٦.

جراحة التجميل نفس الحكم وأكثر، فهذه التى تغير حجم أنفها بالتصغير أو التكبير تعترض إعتراضًا صريحا على أمر الله وقدره ومشيئته، وهو يكاد يكون كفرا بواحا، وهو طاعة صريحة للشيطان لتغيير خلق الله تبارك وتعالى، لأنه تغيير فى أعضاء رئيسية فى الوجه لتغيير الصورة التى خلقه الله تعالى عليها وقد قال تعالى للإنسان: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(الإنفطار/ ٨) وقال تعالى أيضا ﴿هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(آل عمران٦) فكيف يجرؤ مسلم على تغيير خلقته وصورته التى شاء الله تعالى أن يكون عليها معترضًا عليها معيبا لها محاولا اصلاحها وتعديلها ثم يزعم بعد هذا أنه أسلم وجهه لله تعالى؟ إنه يكون بذلك على حافة الكفر والعياذ بالله.

كذلك يمكن اعتبار نقل الأعضاء الآدميه من شخص إلى آخر نوعا من تغيير خلق الله تعالى. لأنه إذا كان نقل الشَّعْر من امرأة إلى أخرى تغييراً فى خلق الله تعالى إستحقت فاعلته اللعنة، والشعر عضو خارجى، فإن حكم اللعن ينسحب ايضا على من يستعير من غيره عضوا حيويا داخليا، إذ هو أيضا تعبير واضح صريح عن رفض قدر الله تعالى وعدم الصبر،والصبر كما هو معلوم نصف الإيمان.

فإذا كان التبرع من حى إلى حى باختيار المتبرع، فإن الضرر الذى يقع على المتبرع بعد ذلك يدخله فى مرتكب الأعمال الإنتحارية أو إلقاء النفس فى التهلكة وكلاهما منهى عنه، فهو رفض لقدر الله تعالى من الاثنين، وهو حرام من هذا الوجه.

أما نقل الأعضاء من الأموات إلى الأحياء فهو لايصلح من الناحية الطبية، إذ لابد من نقلها من جسد حَيٍّ به قلب ينبض ويضخ الدم فى الأعضاء، ومن ثم ابتدعوا بدعة موت الدماغ، مع بقاء الجسد حيا باستمرار نبض القلب، وينص القرآن الكريم على أن حقيقة الإنسانية وجوهرها فى القلب، والفؤاد فى القلب واللب في الفؤآد والفقه بالقلب والتعقل بالقلب فمن كان قلبه ينبض فهو حى ولايجوز قتله ولايجوز نقل أى عضو منه حتى لو كان دمَاغُه ميتًا.

وقد أدى هذا إلى تكوين تجارة محرمة تُديرها عصابات إجرامية تعمل على تنويم دماغ بعض المرضى مع بقاء قلوبهم حية نابضة لتستخدم هذه الأجساد قطعا للغيار تباع تجارة رابحة كتجارة المخدرات.

وقد جاء ذكر هذا بإعتباره أحد الأعمال الإجرامية التى تفشت فى أمريكا قبل هدمها بالزلزال عندما وصفها يوحنا اللاهوتى بقوله(ويبكى تجار الأرض وينوحون عليها لأن بضاعتهم لايشتريها أحد فيما بعد، بضائع من الذهب والفضة)، ثم يمضى فى ذكر البضائع حتى يقول (وأجسادًا ونفوس الناس)(١) إشارة إلى وجود عصابات فى امريكية تتاجر فى الأعضاء البشرية.

ولأنه نوع من تغير خلق الله تعالى الذى يخرق سنن التوازن والتناسق بين أعضاء الكائن الحى فإن الجسم يرفضه وما المحاولات المستميته من الأطباء لإبقاء العضو داخل الجسم إلا تأجيل موت المريض ثم تعود الحالة المرضية من جديد.

(٥٨) الهندسة الوراثية والتدخل لتغيير خصائص الخلية أخطر تغيير لخلق الله تعالى

وذلك لأن التغيير يحدث فى تكوينات الخلية فهو ليس تغييرا فى عضو ظاهرى أو عضو رئيسى، وإنما هو تغيير فى الوحدة البنائية الأساسية للعضو، ومن ثم للكائن الحى. فكأنه هدم للبناء ثم إعادة البناء بلبنات مغايرة للبناته. وهذا عبث بفطرة الخلق، فيغيرونها بافساد وليس بإصلاح كما يزعمون، لأن الله تعالى قد(أحسن كل شئ خلقه) وأحكمه، فكل خليه فى الكائن الحى متوازنة مع غيرها وكل عضو فيه متوازن ومتوافق مع سائر الأعضاء، وكل عنصر من عناصر تكوينه متوافق ايضا مع باقى العناصر ومتكامل، فالتوازن قائم فى الذات الواحدة، والتوازن أيضًا قائم بين أفراد النوع الواحد، ثم هو ايضا قائم بين جميع الأنواع الحية ثم إن التوازن والتوافق والتناسق علاقات قائمة بين كل ماهو حى وبين العناصر الأخرى غير الحية فى الأرض من الجمادات، والتوازن قائم بين الثوابت من العناصر والأشياء من ناحية

---

(١) رؤيايوحنا اللاهوتى ١٨/ ١-٢٤. وراجع الجزء الأول فصل دمار أمريكا بالخسف الغربى.

وبين المتغيرات كالرياح والامطار ودرجات الحرارة والفصول الأربعة والليل والنهار والبحار والأنهار والصحارى والجبال والاودية والعمار والقفار والارض والغلاف الجوى والسماء والكواكب والشمس والقمر والأرض والنجوم والمجرات، فالتوازن والتناسق والتوافق وايضا التكامل هى جميعا من السنن الربانية العامة الحاكمة للمخلوقات الأرضية والسماوية بأمر الله عزوجل، فإذا كانت السنن الكونية جميعها متناسقة فيما بينها، فإن السنن الحياتية متوافقة معها جميعا بالضرورة، لأنه سنَّةٌ داخل مجموعة متكاملة من السنن الكونية، فمن تدخل فيها أو فى واحدة منها بأدنى تغيير أدى هذا إلى خلل فى منظومة السنن، ولايمكن أن يؤدى هذا إلاّ إلى فساد، وربما لايظهر هذا الفساد مباشرة وبسرعة، ولكنه لابد أن يظهر بعد حين، ويكون تأثيره على كثير من الكائنات وليس على الكائن الذى أحدثوا فيه التغيير وحده، لأن الأحياء نبات وحيوان وإنسان، والبحرية منها والبرية والبرمائية، كلها منظومة واحدة متتابعة كتتابع حبات العقد فى سلكه، إذا هلكت أولها تتابع الهلاك على بقيتها.

أورد صاحب كنز العمال(عن جابر بن عبدالله قال: قلَّ الجراد فى سنة عمر التى وَلِىَ فيها فسأل عنه، فلم يُخبر بشئ فإغتم لذلك، فأرسل راكبا إلى اليمن وراَكباً إلى الشام وراكبا إلى العراق يسأل: هل رُؤِىَ شئ من الجراد أم لا، فأتاه الراكب الذى من قبل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه، فلما رآها كبَّر ثلاثا ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: خلق الله ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر، فأول شئ يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا هلكت تتابعت مثل النظام إذا انقطع سلكه)(١).

وقد ثبت انقراض بعض الأنواع مما حدا بالمهتمين بالبيئة بالعمل على حماية انقراض بعض الأنواع الأخرى بما ينشئونه من محميات طبيعية.

لقد ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايد ى البشر، بسبب الطمع وطلب الغنى السريع والربح بأى طريقة وبأى سبيل.

---

(١) رواه نعيم فى الفتن، وابوالشيخ في العظمه؟ في الكنز جـ١١ رقم ٣١٤٨٤.

فَعَلى سبيل المثال نجد أنَّ التغيير الذى أحدثوه فى بعض ثمار الفاكهة بالهرمونات التى تُضَخّمُها أدى إلى إصابة من يأكلها بأمراض خبيثة. كما ثبت أن الاسمدة الصناعية التى توضع فى التربة تؤدى إلى زيادة عناصر أكثر من المطلوبة فتفسدها، كما أدت محاولة تضخيم أحجام وأوزان الدجاج بالهرمونات إلى أمراض الفشل الكلوى والكبدى. وتسببت عقاقير منع الحمل إلى أمراض خبيثة للمرأة وتشوهات فى الأجنة وكثرة التوائم، وأدى استخدام انواع معينة من الغازات الصناعية إلى ثقب الأوزون وزيادة حرارة الأرض.

وأدى تلوث الأنهار والمياه بعوادم ومخلفات المصانع وعوادم السيارات الى امراض خطيرة أصابت البشر، وأدى استخدام المبيدات الحشرية إلى أضرار بالغة على صحة الانسان والحيوان.

وأدى تلوث البحار بمخلفات السفن وغرق حاملات النفط إلى موت كثير من الأحياء البحرية. وإنقرضت أنواع من الحيوانات والأحياء البحرية والبرية وهذا من امارات الساعة، لأن الأحياء سلسلة متصلة إذا إنقطعت بعض حلقاتها ادى هذا إلى هلاكها جميعا، كما ذكرنا من قبل .

وأخطر مايتم من تغيير فى خلق الله تعالى ويهدد بالفناء هو مايسمونه بالهندسة الوراثية. وهذا مايتوافق مع توصلوا إليه فى العشرين سنة المنصرمة فى مجال علم الأجنة وعلاج العقم حتى ظهرما يُعرف بمشاتل الأجنة فى الأرحام المستأجرة ووكالات تأجير الأرحام فى امريكا واوربا، وذلك حسب ما أعلنت عنه جريدة «المسلمون» عن هذا فى أحد أعدادها.

وقد بدأت هذه الابحاث منذ عام ١٩٧٨م عندما أعلنوا عن «طفل الأنابيب» إذ تمكنوا من تلقيح بويضة أنثى بحيوان منوى صناعيا، ثم تمكنوا من نقل الخلية الملقحة إلى رحم الأنثى وزرعها فيه ليأخذ بعد ذلك مراحل النمو والولادة حسب السنة الاعتيادية، وبالرغم من أن البويضة الملقحة لاتمكث فى الأنبوب اكثر من بضع ساعات إلاَّ أن أجهزة الأعلام الالحادية ضخمت من هذا الاكتشاف وأطلقوا على

المولود بهذه الطريقة «طفل الأنابيب» تضليلا للناس بالايهام أن العلماء توصلوا إلى تصنيع الأطفال والبشر بالرغم من أن هذه العملية لاتتعدى أن تكون علاجاً لحالة من حالات عقم المرأة وهى حالة انسداد قناة فالوب.

ومع أن هذه الابحاث بدأت عام ١٩٧٨م إلا أنها إستمرت حتى توصلوا بعد هذا إلى زراعة البويضة الملقحة من الزوج فى رحم مستأجر ليس هو رحم صاحبة البويضة.

لكن فى سنة ١٩٧٨، أيضا وقبلها بقليل زادت ثروة دول الخليج أضعافا مضاعفة وبخاصة أهل السعودية الذين كانت الغالبية منهم يعيشون فى الخيام فى البادية لممارسة الرعى والذين كانوا يعيشون فى المدن كانوا يسكنون أكشاكا يسمونها(صندوقة) من الخشب والصفيح، ولم تكن مدن السعودية مدنا ولاحتى قرى بمفهوم المدينة أو القرية كمجمعات سكنية مخططة تتمتع بالكهرباء وشبكات المياه أو الصرف الصحى والطرق وغير ذلك، وإنما كانت المدينة مجموعة من المبانى المبعثرة هنا وهناك وكذلك القرية وكان أكثرها من الطين.

وكان البدو فى شبة الجزيرة حفاة عراة، لايتمتعون بأى حقوق أو مزايا حضارية كالتعليم والعلاج ومياه الشرب النقية وغير ذلك.

فلما ارتفع سعر البترول بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ من خمسة دولارات للبرميل إلى اربعين دولارا وزاد ضخ البترول وتضاعف عليه الطلب تضاعف دخل دول الخليج البترولية عشرات المرات. وبدأ التخطيط لنهضة حضارية شاملة وبخاصة فى السعودية وبدأت القفزة الحضارية فى جميع المجالات بلا استثناء، ومن ثم رأيت بعينى هؤلاء البدو وسكان الأكشاك ينتقلون للعيش فى «فلل» من دورين مهيأة بجميع وسائل الحياة المدنية الحديثة من مياه شرب وصرف صحى وكهرباء ومكيفات وأجهزة الكترونية وأثاث جيد فخم.

بل تفشت بين السعوديِّين وغيرهم من أهالى دول الخليج التنافس على بناء القصور، لأن الناس على دين ملوكهم، وقد غالى الملوك والامراء والشيوخ فى بناء القصور وبدأت العمارات الشاهقة ترتفع فى أحياء الرياض الجديدة وجدة و«أبوظبى» و«دبى» «ومسقط» و«قطر» وسائر هذه البلاد.

لقد بدأت فعلا هذه النهضة العمرانية حوالى عام ١٩٧٨ وبدأت تتنامى ولازالت حتى الآن أى فى نفس سنة الاعلان عن ماأَسْمَوْهُ «بطفل الأنابيب» التى انتهت بعد سنوات إلى ظاهرة شتل الأجنة فى الأرحام المستأجرة.

مالعلاقة بين هذا وذاك؟ بينهما ارتباط زمنى كما رأينا، فالحدثان متعاصران بل متزامنان.

هذان الحدثان جمعهما رسول اللهﷺ باعتبارهما امارتين بارزتين على الساعة فى حديث الاسلام والايمان والاحسان المشهور، إذ سأل جبريل عليه السلام المصطفى ﷺ عن موعد الساعة فقال (ما المسئول عنها بأعلم من السائل)

فقال: فما أمارتها؟

قال: ان تلد الأمةُ ربّتَها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان)(١).

فما معنى أن تلد الأمةُ ربّتَهَا- وفى رواية ـ ربَّها، للإجابة على هذا السؤال نقول: كل ما قاله السابقون فى شرح هذه الإمارة غير صحيح، لماذا؟

أولا: لأن هذه الأمارة متعاصرة مع تطاول فقراء ورعاة الجزيرة فى البنيان، وليس افقر من الراعى الحافى العارى يسير خلف الغنم لقاء لقيمات يقمن اوده، وقد ظلوا كذلك حتى عام ١٩٧٨ وبدأوا فى البناء من بعد عام ١٩٧٦/ ١٩٧٧، نفس زمن ما أطلقوا عليه أطفال الأنابيب.

ثانياً: لأن الأمارة تعتبر علامة على قرب الساعة الشديد كما بيّنّا من قبل، وهذا واضح من سياق الحديث، إذ سأل جبريل عليه السلام عن موعد الساعة ومن ثم يكون معنى الامارات الاحداث التى تسبقها مباشرة، ولايبقى بعد حدوثها كثير لبث وكل ما فَسرُّوا به هذه الإمارة: مثل قولهم عقوق البنت لأمها أو إسترقاق البنت والابن لامهما، هو من الامور المعتادة منذ القدم حتى قبل الإسلام، ولما جاء الإسلام قلل من حدوثه بحثه على بر الوالديْن.

(١) صحيح مسلم/ ح ٥٩.

فالحدث لم يكن قد حدث قبل الإسلام ولابعده لأنه من أحداث آخر الزمان ويزامن حدوثه تطاول فقراء الجزيرة فى البنيان، وهو مالم يحدث منذ بعث النبىﷺ إلا فى السبعينات من هذا القرن أى بعد عام ١٩٧٤م ومن ثم فالتفسير الصحيح القطعى لهذه الإمارة هو ظاهرة إستئجار الأرحام، وهى ظاهرة لأنها أصبحت أمرا قائما معترفا به قانونا فى المجتمعات الغربية حيث تقوم الأسرة الثرية بالاتفاق القانونى المكتوب، من خلال وكالات مخصوصة، مع امرأة شابة لحمل بويضة الزوجة الملقحة من زوجها عن طريق زرعها فى رحمها نظير أجر معلوم، بعد أن توقع هذه المرأة الشابة على بنود فى العقد تنص على أنه ليس لصاحبة الرحم المستأجر الحق فى المولود وعلى إقرارها بأنه ابن للأسرة التى دفعت لها الأجر لزرع البويضة فى رحمها، وليس ابنا لها ولا تُقْدم على إستئجار رحم غيرها المرأة العاقر فقط، بل تفعل ذلك المرأة الولود الثرية هربا من آلام ومتاعب الحمل والولادة تفضيلا للراحة مع ارضاء دافع الأمومة عندها دون أن تحمل وتلد مادام الأمر لايكلف إلا بعض المال الذى تملك منه الكثير.

ومن ثم صارت هذه العملية ظاهرة من الظواهر الطبية التقنية البشرية المعاصرة ولامانع أن تتفق الأسرة مع الأجيرة لارضاع الطفل أو الطفلة بعد الولادة نظير أجر مقابل الارضاع أيضا، ونظير تربيته أيضا، لكن مع هذا كله ليس للمرأة الشابة التى أجرَّت رحمها أن تَدَّعى امومتها للطفل أو الطفلة، لابحكم الحمل ولابحكم الولادة ولا بحكم الإرضاع ولابحكم التربية لأنها فى جميع الأحوال أجيرة.

ولما كان الأجير اليوم هو البديل للعبد قديما، والأجيرة بديلة للأمة. فإن هذه المرأة الشابة التى رضيت أن تؤجر رحمها نظير مبلغ من المال تكون أمة عند اللذيْن دفعا لها الأجر أى الوالدين، ولما كان الوالدان صاحبا البويضة الملقحة قد أستاجرا هذه المرأة للجنين، فإنها تكون أمة له، وهو فى رحمها وتكون أمة له وهى تلده، وليست فى نفس الوقت أجيرة أو أمة عندهما، إذ ليس لهما الحق فى أن يكلفاها بأى عمل آخر. وهذا مانص عليه الحديث الشريف بدقه بياينة معجزة.

ألم يقل الصادق المصدوق ﷺ (أن تلد الأمةُ ربَّتَهَا)؟ أى أنها وهى تلدها هى أمتُها والمولودة ربتُّها لأن والديْها دفعا الأجر وإستأجراها لها، وفى رواية(أن تلد الأمة ربَّها) لأنه احيانا يكون أنثى وأحيانا يكون ذكرا، كالعادة.

أما التفسير بالعقوق للأم فيدل على استرقاق البنت لأمها بعد أن تصبح البنت شابة والام عجوزا. أما صياغة النبأ فى الحديث فتثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الوالدة تكون أمة للمولودة ساعة الولادة، وهذا يطابق بالقطع ظاهرة شتل الأجنة وإستئجار الأرحام وانتشار وكالاتها فى الحياة الغربية، وحتى وهى ترضعها وتربيها لاتستطيع أن تزعم أنها أمها، ولايحق لها ذلك لأنها فى جميع الأحوال أجيرة عندها وإن كانت قد ولدتها.

والعجيب أنه ليس فى تشريعات وقوانين الحياة الغربية العلمانية مايمنع بعد ذلك أن يتزوج المولود من هذه التى ولدته، لأنها ليست أمه قانونا بالرغم من حملها له وولادتها إياه. وهذا يظهر لنا عظمة التشريع الإسلامى وكماله وصلاحيته لكل زمان ومكان إذ حرَّم من الرضاعة مايحرم من النسب، وإذ جعل المرضعة أماً ثانية، ولاشك أن المولود الذى تكوَّن جسده من دم إمرأة فى رحمها هو إبنها بما هو أعظم وأقوى من الرضاعة، فهى أمه بالحمل وإن لم تكن له أما بالعصب.

وهذه الإمارة التى لم تحدث إلا بعد رحلة طويلة من التقدم العلمى والتقنى فى مجال علميْ الأحياء والأجنة هى من الأحداث التى تحدث قبل الساعة مباشرة بنص الحديث الذى رواه أحمد عن عامر رضى الله عنه وفيه (فقال: أن شئت حدثتك بعلامتين تكونان قبلها، فقال حدثنى.

فقال: إذا رأيت الأمة تلد ربَّها ويطول أهل البنيان بالبنيان، وعاد العالة الحفاة رؤوس الناس قال: ومن أولئك يارسول الله قال: العُرَيْب.) والعريب تصغير العرب الحفاة العراة أقل العرب شأنا صاروا رؤوس الناس أي ارتفع شأنهم بأموال بترول الخليج.

ففى قوله ﷺ (بعلامتين تكونان قبلها) دليل قطعى الدلالة على أننا الآن أى أواخر القرن العشرين الميلادى قبل القيامة الصغرى مباشرة.

(٥٩) من إمارات الساعة فى العلوم الطبيه وعلوم الحياة ما أطلقوا عليه إستنساخ الكائن الحى الذى حدث أوائل عام ١٩٩٧م

أما الأمارة التى تتصل بالأمارة السابقة الخاصة بشتل الأجنة وتأجير الأرحام، إذ تعتبر امتداداً لها، فهى تزويج النفس الحيَّة والتى جاء ذكرها فى قوله تبارك وتعالى فيما ذكره من أمارات للساعة(وإذا النفوس زُوِّجت) وهذه الأمارة هى ماعرف فى الإعلام فى أوائل عام ١٩٩٧ باستنساخ الكائن الحى متمثلا فى أول نجاح لهم فى هذا المجال فيما أطلقوا عليه(النعجة دوللى) وهو من نتائج أبحاث وتجارب الهندسة الوراثية مع الاستفادة من نتائج شتل الأجنة.

وبيان هذا أن الكائن الحى: سواء النبات أم الحيوان أم الإنسان يخلقه الله تعالى بسُنَّة واحدة وهىْ: تخليقهم من ذكر وأنثى أجنة فى الأرحام أطواراً حتى إكتمال النموْ ثم الولادة.

والخلق من ذكر وأنثى يستتبع أن يكون الجنين وارثا لنصف خصائصه الحيوية من أمه وللنصف الثانى من أبيه، وهذا يستتبع حتما أن يأتى المولود مختلفا عن الأم، وكذلك مختلفا عن الأب، أى لأنه يستحيل- حسب هذه السنة الحياتية التى هى وراثة المولود جميع خصائصه الحيوية من الأب ومن الأم معا، ولس من واحد منهما فقط، أقول: إنه يستحيل أن يأتى المولود صورة طبق الأصل من الأب، كما يستحيل أيضا أن يأتى صورة طبق الأصل من الأم. لأنه يأخذ نصف الخصائص من الأب والنصف من الأم.

ومن ثم يمكن القول بأن سنة الله تعالى فى الخلق هى الفردانية وبصفة خاصة بالنسبة للحيوانات الثدية التى تتجلى فيها قوانين الوراثة بوضوح، فلا يأتى مولود مثل أحد والديه وإنما لابد أن يكون فيه منهما معاً. وبالتالى يستحيل أن يأتى مولود من بنى آدم مثل الآخر، أو صورة طبق الأصل منه، لامِنَ الأب ولاَ مِنَ الأم ولاَ مِن شقيقه، ولو كان تَوْأَمَهُ.

وهذه الفرادنية تتجلى فى البشر أكثر من غيرهم من الأنواع الأخرى، أى يمكن ملاحظتها بسهولة فيهم، فلايوجد فرد من أفراد البشر يشترك مع غيره فى خاصية من

خصائصه الحيوية: لافى بصمات الأصابع، ولافى شكل القدم، ولا العينين ولاحتى فى ذبذبات الصوت، فالفرادانيه هى السنة الشاملة لكل الكائنات الحية ويكمن سر هذا فى أن المخلوق الفرد الحى يأتى من ذكر وأنثى أى يرث خصائصه من إثنين وليس من أصل واحد. لأنه لو ورث خصائصه من أصل واحد لجاءت جميع هذه الخصائص صورة طبق الأصل من الموروث منه، ومن ثم يكون المولود نسخة طبق الأصل من والدته شأنه فى هذا شأن الكائن الحى البسيط الذى هو الاميبا المكون من خليه واحدة ليس فيها ذكر وأنثى، وإنما تتكاثر بالانقسام، وعندما تنقسم تكون الخليتان الجديدتان المنبثقتان عن خلية واحدة كل منهما صورة طبق الأصل من الخلية الأصل، وذلك لأن كل واحدة منهما جاءت من أصل واحد.

فلو أمكن بإذن الله تعالى ومشيئته وقدره، وبسلطان العلم الذى يُمَكِّن الله تعالى به الإنسان من تغيير خلق الله تعالى إبتلاءً له، أن يعمل على إنتاج كائن من أنثى فقط وليس من الاثنيْن أى بخلاف السُّنَّة، فإن هذا الكائن الناتج من أصل واحد، لابد من أن يكون صورة طبق الأصل من أمه، أو من أصله الذى نتج عنه. وهذا ماحدث فى إنتاج النعجة دوللى، إذ أخذوا الخلية الأنثوية أى البويضة من أمها،ثم أخذوا خلية أخرى من ضرع هذه الأم وفرغوا هذه الأخيرة من عواملها الوراثية وأبقوا عليها حيث إستعملوها باعتبارها وعاءا للبويضة، ثم بوسائل علمية توصلوا إليها عن طريق التجارب زرعوا هذه الخلية فى رحم النعجة الأم فنما الجنين حتى أكتمل وولدت الأم الشاة دوللى، فإذا بها صورة طبق الأصل فى كل الخصائص الحيوية من أمها. حتى أنهم لاحظوا بعد بضعة أشهر أن النعجة المولودة سارعت في المشيب حتى ظهرت عليها أعراض عمر أمها.

ومن ثم اطلقوا على هذه العملية اسم الاستنساخ، وهو لفظ دقيق مطابق لما أُطلِقَ عليه. لأن الإستنساخ لغةً هو كتابة صحيفة مرة ثانية كما هى أو هو تصوير هذه الصحيفة لتكون نسخة طبق الأصل منها، والآن: نطرح سؤالا هاما! ماهى النفس الحية؟

الإجابة: هى الجوهر الحامل لجميع الخصائص الحيوية للكائن الحى، وهذه الخصائص هى التى تصاحب الكائن منذ بدء تكونه حتى إنتهاء حياته.

وعلى هذا فكل نفس حية لابد أن تكون فردانية، ليس لها مايطابقها فى جميع خصائصها الجسدية والعقلية والعاطفية والنفسية والخلقية لافى المكان ولا فى الزمان أى منذ بدء الخلق وحتى نهايته.، مادام كل حى يأتى من ذكر وأنثى.

أما هذه التى نتجت عن التغيير فى خلق الله تعالى، فقد جاءت مخالفة لسنة الفردانية فى الأحياء، إذ جاءت طبق الأصل لامها، نفس مستنسخة من نفس، فصارت هذه النفس زوجا بعد أن كانت الأم نَفْسًا فردانية كسائر الأحياء.

ولما لم يكن من المتصور أن تكون نفس الكائن الحى زوجا حسب سنة الفردانية فى الأحياء العليا، فإن حدوث هذا التغيير فى الخلق وإن كان قد تم باذن الله وقدره ومشيئته الكونية، إلاّ أنه يعتبر خرقا للفرادنية باعتباره تغييراً فى خلق الله تعالى، ومن ثم فهو إستجابة لأمر الشيطان، وبهذا تم تزويج نفس النعجة بانتاج نفس أخرى مطابقة لها وهذه إمارة من الامارات التى أنبأبها الله تعالى فى كتابه بقوله(وإذا النفوس زُوِّجَتْ). إن النعجة دوللى كانت نفسا فردانية ولما أنتجوا نفسا مثلها طبق الأصل صارت زوجا وتتوالى التجارب فهى نفوس ستُصبح أزواجا بعد أن كانت أفراداً.

وكل ماجاء بعد«إذا» فى سورة التكوير من الامارات هو مما يحدث فى الدنيا قبل قيام الساعة كما ذكر المفسرون، بل هى دليل على القرب الشديد للقيامة.

وتزويج النفوس هو إستجابة البشر لإبليس بتغيير خلق الله، إذ تمكنوا بقدر الله وبإذنه من إستنساخ النعجة من أمها وصارت هذه النفس زوجا بعد أن كانت فردانية وهى إمارة من إمارات زمن العجائب فى مجال العلوم الطبية. وبعض الشياطين من العلماء يصرحون أنهم سيحاولون ذلك فى الجنس البشرى، وهذا من أظهر الأعمال الموجبة لنزول العذاب لتدمير معاملهم قبل أن يعبثوا بذرية آدم خليفته فى الأرض.

(٦٠) التقدم فى مجال الجراحة بعامة والولادة بالقيصرية بخاصة من امارات الساعة

ومن امارات الساعة الطبية التقدم فى مجال الجراحة، فقد أخرج ابن أبى شيبة

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: لتؤخذن المرأة فليبقرن بطنها ثم ليؤخذن مافى الرحم فلينبذن مخافة الولد)[1] قال ابن منظور فى اللسان (وأصل البَقْر: الشق والفتح والتوسعة) فالمعنى اللازم من صياغة الحديث على هذا الوجه هو العملية الجراحية المعروفة بالقيصرية حيث يتم فتح بطن المرأة واستخراج الجنين من رحمها مع المحافظة على حياتها، وإلاَّ لوكان مقصد أبى هريرة بقربطنها لقتلها وقتل جنينها لما كان ثمة ضرورة لبقر بطنها واستخراج الجنين مخافة الولد، ولقال«لَتَقْتَلَنَّ المرأة مخافة الولد»، وحيث أن مجئ الفعل بصيغة المضارع مع لام ونون التأكيد يفيد تكرار الفعل والاعتياد عليه، وآخر الحديث يدل على أن مافُعل بها ليس لقتلها ولكن للتخلص من الجنين فقط، فإن تأويل الحديث القاطع لايكون إلاَّ بالعمليات الجراحية التى يتم فيها شق بطن المرأة وإستخراج الجنين مع بقاء المرأة حية بعد ذلك بسبب التقدم فى مجال الجراحة ولم يكن هذا مُتَصوراً فى عهد الصحابة إذ كان يموت حتما الذى تبقر بطنه، وتموت حتما التى يُبَقَرُ بطنها.

وعلى هذا فالحديث يدل على التقدم الجراحى الطبى باعتباره إمارة من أمارات الساعة. وهو يحمل أيضا امارة خلقية لأن المرأة التى تريد أن تتخلص من جنينها غالبا مايكون حملها سفاحا وصياغة الحديث الشريف تفيد شيوع هذا الفعل، ودلالته شيوع الفاحشة وشيوع الإستهانة بالقتل.

لقد ظن الأشرار أنهم قادرون علي صناعة الحياة ، وتجرأوا على تغيير خلق الله إستجابة للجبت والطاغوت، وإن لم يقلعوا ويرجعوا لـلخالق جل وعلا، فسيأتيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك؟ آمين.

الفصل الثامن

آبار البترول وحقول الغاز الطبيعى واستخداماتهما من أمارات الساعة فى الكتاب والسنة

(٦١) التفسير اللغوى المحض للبحر المسجور يصدق على آبار البترول وحقول الغاز الطبيعى أكثر من أى شئ آخر

كل ماذكرناه فى المخترعات الحديثة يعمل بمشتقات البترول، حتى الكهرباء: التى هى الطاقة الرئيسية لكثير من الأجهزة مصدرها البترول. ومن غير البترول ومشتقاته ماكانت هذه الحضارة، ولاشك أن البشرية ستنتكس حضاريا إذا نضب النفط فى بحاره الباطنية وجفت آباره، إن لم يجدوا البديل الذى يحل محله فى القوة وفى قلة التكلفة. فهل ورد عنه ذكر فى القرآن الكريم والسنة باعتبار أهميته القصوى لحياة الإنسان المعاصر؟!

لقد سبق ذكر آثار البترول ومشتقاته فى اكثر من موضع:

أولا: الاشارة إلى النفط فى قوله تعالى ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (٩-١٠/ فصلت) وفى هذا إشارة إلى أن الله تعالى قدَّر أقوات الأحياء جميعا الذين سيعيشون على ظهر الأرض أجيالا بعد أجيال منذ بدء الحياة إلى قيام الساعة. وقد ثبت لنا أن الله تعالى وتبارك يرزق الناس والأحياء طعامهم بتوسع الإنسان فى الزراعة بالآلات التى لولاها لما زرع الإنسان هذه المساحات الشاسعة من القمح والحبوب وغيرها من الاغذية للإنسان وللأنعام.

ولما كان البترول هو الطاقة الرئيسية بل ويكاد يكون الطاقة الوحيدة لتشغيل هذه الآلات الزراعية والصناعية ووسائل المواصلات والنقل عبر القارات والمحيطات، فإن البترول يدخل فى قوله تعالى: ﴿وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين﴾.

لقد خلق الله تبارك وتعالى الأرض فى يومين وقدر فيها اقواتها ايضا فى هذين اليومين وفى يومين آخرين، أى أن تقدير اقوات الخلق بدأ منذ اللحظة الأولى لخلق الأرض، ومن ثم استغرق تقدير أقوات الاحياء فى الأرض أربعة أيام، لان من تقدير الأقوات تهيئة الأرض بكيفية محددة تضاريسا وطقسا وسننا حاكمة لهذا وذاك، ومن ثم بدأت التهيئة منذ بدء الخلق. ومن تقدير الاقوات توفير النفط فى باطن الأرض ثم تمكين الانسان من استخراجه وتكريره وإستخدامه عندما يكون عدد البشرية فى حاجة إليه.

ويفسر العلماء وجود بحار البترول فى باطن الأرض بأنه عصارات زيتية لاشجار عملاقة سادت الأرض ملايين السنين عاشت بها وعليها كائنات عملاقة مثل الدنياصورات ثم حدثت أحداث جيولوجية جعلت كل هذه النباتات والحيوانات العملاقة فى باطن الأرض وبفعل الضغط والزمن تحللت وأصبحت هذا السائل الزيتى. وهذا من تقدير الله تعالى لاقوات الأحياء فى الأرض وتؤكده نصوص أخرى تأتى لاحقا.

ثانيا: قوله تبارك وتعالى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ (١-٥/ الاعلى) (أخرج عبد بن حميد وابن ابى حاتم عن إبراهيم فى قوله (والذى اخرج المرعى) قال: النبات. وأخرج ابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس فى قوله : فجعله غثاء أحوى، قال غثاء السيل، وأحوى قال: أسود)(١).

وهذا ماينطبق تماما على صفات البترول وخصائصه، لانه إذا اختلط بالماء صار فوقه وعلى سطحه وهو الغثاء، ويرجح هذا أنه غثاءأسود لأن غثاء السيول العادية لايكون أسوداً لأنه قش ؟ وتبن ونفاقيع بينما البترول هو الذى إذا إنساب على المياه يطفو فيكون غثاءا ولكن أسود.

كما أن أصله- كما نصت الآيات- النبات، حسب ماقرر العلماء فهو سبحانه

---

(١) السيوطى / الدرالمنثور جـ١ صـ٣٧٨.

(الذى قدَّر فـهدى والذى أخرج المرعـى فجعلـه غثاء أحوى) أى قدر أقـوات الناس وأخرج الأشجار العملاقة ثـم جعلها زيتا أسوداً يطفو فيكون غـثاء أسوداً على سطح الماء. وحيث أهم طرق إستخراج البترول وأكثرهـا استخداما هى ضخ البئر بماء البحر حتى يطفو البتـرول داخل البئر على سطح الماء لأن كثافته أقل ثم بـعد ذلك يتم سحبه بالمضـخة، والفائدة مـن هذه الطريقـة التخلص مـن الأتربة المختلـطة بالبتـرول والتى أحيانـا يشكل معهـا قوام شبيه بالـطين. والخلاصة أنه لابـد من أن يصبح البـترول فى باطن أرض عـائما فوق الميـاه حتى يتم سـحبه بدون طين لأن مـياه البحر تـذيب هذا الطين. ومن ثم يكون غثاءاً أحوى أى أسوداً.

ثالثاً: قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِرَتْ﴾.

عن السُّدِّى قال: فُتحتْ وَسُجِّرَتْ وهذا لايتطابق إلا مع كون هذه البحار فى باطن الأرض تستخرج ثم تَسُجَّر.

وعن ابن عـباس رضى الله عنـهما (وإذا البحـار سُجِرت) قال تُسَجَّر حتى تـصير نارا، وهـذا هو الذى يتـم بأكثر وأهـم مشتـقات بحار الـبترول، فى بـاطن الأرض إذ تسجر في وسائل المواصلات والمولِّدات الكهربائية وخلافه. وعن شمِّر بن عطية قال: (تُسَجَّر كما يُسجَّر التنور)(٢) ومن استخدامات المازوت إشعـال افران الخبز وغيرها والتنور هـو الفرن، هذه التأويـلات يتطابق تمامـا على آبار البتـرول فى باطن الأرض، ومثل هذه الآية قوله تعالى مقسما بـهذا البحر فى باطن الأرض بقوله تعالى ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (٦/ الطور) كما سنرى التفسير اللغوى المحض.

رابعاً: قولـه تعالى ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (الطور/ ١-٦)(٢).

أما أقوال المفسرين فى قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾ فقد أخرج ابن جرير وابن

---

(١) سنعود لتفسير الامارات الـواردة فى القَسَمْ الإلهى بالطور ومابعده ونكتفى هنا بالـقسم بالبحر المسجور لصلته بموضوع الفصل ودلالته على البترول والغاز الطبيعى.

(٢) السيوطى/ الدر المنثور / ٦ ص٣٥٥.

أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: المحبوس. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾ . قال: المرسل. وأخرج ابن جرير عن مجاهد فى قوله:﴿والبحر المسجور﴾ قال: الموقَدُ، وأخرج أبو الشيخ عن كعب فى قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: البحر يُسجر فيصير جهنم. وأخرج ابن جرير عن قتادة فى قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: المملوء وايضا عن ابن عباس فى قوله: ﴿والبحر المسجور﴾ قال: الفارغ ،خرجت أَمَةٌ تستسقى فرأت الحوض فارغا فقالت: الحوض مسجور.

فما هو البحر الذى تجتمع فيه الصفات والأحوال الآتية: محبوس ومرسل، مملوء وفارغ، ويوقد فيصير جهنم أو مثل جهنم.؟ ويُسجر مثل التنور، وهو محبوس حتى يُفتح ثم يُسَيَّر حتى يصير فارغا.

أليس هو بحر البترول؟ وأليس هو بصفة أخص حقل الغاز؟ لأن المحبوس هو المضغوط، والمرسل هو الذى يجرى فى أنابيب من حقله إلى موضع تكريره وتوزيعه وإستعماله وهو مملوء يوم اكتشافه وهو فارغ بعد استخراج كل مافيه. وهو فوق هذا وذاك مصيره الاشتعال. وهل من مصدر لهذه التأويلات التى تحققت فى عصرنا إلا الوحى؟!

وأول القسم فى السورة بالطور وكتاب مسطور وأخره بالبحر المسجور والمقسم عليه هو(أن عذاب ربك لواقع ماله من دافع).

فالمقسم به مقدمات الزلزال والعذاب، والمقسم عليه هو الزلزال العظيم والخسوف الرهيبة وأحداث القيامة.

ومن ثم فَعَصْرُ البترول والغاز الطبيعى هو عصر الزلزال ونزول العذاب قبل الساعة أى عصر القيامة الصغرى.

ويؤكد هذا قوله تعالى(وإذا البحار سُجِّرت) «وإذا» الشرطية تدل على أن تسجير البحار حدث من إمارات الساعة وقد حدث فى نهاية الحرب العالمية الثالثة. ضد

العراق التى يسمونها حرب تحرير الكويت إشتعال أكثر من ثمانمائة بئر بترول كويتية ظلت شهورا عديدة لأول مرة فى تاريخ البشرية وصعدت سحابة كثيفه سوداء من هذا الحريق غطت سماء الكويت وحجبت ضوء الشمس فأضاءوا المصابيح نهارا وأمطرت السحب مطرا أسودًا.

وهو بحر مسجور أى مشتعل فى مواضع إستخدام مشتقاته إذ يرسل من مَحْبسه الذى ظل فيه ملايين السنين إلى معامل تكريره ثم إلى المواقد والمواتير والمولدات والسيارات والطائرات والسفن وغير ذلك من المواضع التى يستخدم فيها مشتقات البترول وايضا الغاز الطبيعى.

خامسا: فى حديث البخارى عن أول أشراط الساعة قال ﷺ (أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب)[1]. وقد فسرها العلماء بأنها فتنة حرب والنار نار حرب، وقد صدق هذا الوصف على أحداث العراق والكويت والحرب العالمية الثالثة. ولكن ورد من العلامات التى تدل على قرب مجئ المهدى (نار عظيمة من المشرق تطلع ليالى)[2]. وورد فى سفر دانيال قوله عن قديم الأيام أى المهدى المنتظر(نهر نار خرج وجرى قدامة)[3] إشارة إلى جريان البترول بالضخ فى أنابيب وارساله من الابار الى المعامل ثم إلى الاستخدام. وهل يتصورا أحد نهرًا من النار الاَّ أن يكون سائلا شديد الاشتعال؟. وهل من سائل شديد الاشتعال إلا من البترول؟!

سادسا: ورد ذكر صريح ايضا للبترول واستخراجه من بلاد العرب واستخدامه فيما رواه الأمام أحمد عن زيد بن أسلم عن رجل من بنى سليم عن جده رضى الله عنه قال قال رسول اللهﷺ(ستكون معادن يُحضرُّها شرار الناس)[4] وشرار الناس هم الروم كما دلت على هذا الوصف لهم آثار كثيرة، وهم الذين ستقوم عليهم الساعة،

(١) صحيح البخارى / ك الفتن/ ب ٢٤، وكذا أخرجه احمد والنسائى.

(٢) عقد الدرر فى أخبار المهدى المنتظر / للمقدسى/ ح رقم ١٧٠.

(٣) سفر دانيال / إصحاح ٧/ عدد ١٠.

(٤) رواه أحمد فى مسنده/ عن اتحاف الجماعة للتويجرى جـ٢ ص ١٨٣.

وهم الذين يُحَضِّرون البترول: اكتشافا وإستخراجا وتكريرا ونقلا، اذ أنهم أصحاب هذه التقنيات واكثر المنتفعين به.

١ - وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال أُتِيَ النبيﷺ بقطعة من ذهب كانت أول صدقة جاءته من معدن لنا فقال إنها ستكون معادن وسيكون فيها شرار الخلق)(١) فقال معادن ولم يقل ذهب، ولم يقل معدن بالافراد، وذكر فيها شرار الخلق، ولم يرد على الجزيرة العربية مشركون الا الانجليز ثم الأمريكان فى نهاية الحملة الصليبية الاستعمارية الأخيره التى تم اكتشاف البترول فى آخرها.

٢ - وعن ابى غطفان قال سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول (تخرج معادن مختلفة معدن منها قريب من الحجاز يأتيه شرار الناس يقال له: فرعون، فبينما هم يعملون فيه إذ حسر عن الذهب، فأعجبهم معتمله إذ خسف به وبهم)(٢) والخسف- والله أعلم- غالبا فى الزلزال، وربما يكون هو خسف جزيرة العرب، وقوله: (فبيناهم يعملون فيه) أى خلال سنوات كثيرة، وقوله (فأعجبهم مُعْتَمَلهُ) أى أنهم أعجبوا بما أخرجته المعامل وأثره على حياتهم فأحبوه واعتمدوا عليه فى حياتهم وترفهوا بسببه وقوله (إذ خسف به وبهم) يؤيده ورود آثار عن خسف بجزيرة العرب، وآثار أخرى عن خسف بشرق الجزيرة وهو مكان الآبار فى الخليج.

والحديث يشير إلى استمرار البترول حتى يتم الكشف عن الذهب، ربما - والله أعلم- هو جبل الذهب الذى سينحسر عنه الفرات.

٤ - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال سمعتُ رسول اللهﷺ يقول:(يظهر معادن فى أرض بنى سليم يقال له: فرعون وفرعان «وذلك بلسان أبى جهم قريب من

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير والاوسط. قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح. انظر اتحاف الجماعة جـ ٢ ص ١٨٣.

(٢) رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبى وأبده فى صحته. ورواه نعيم فى الفتن أيضاً انظر اتحاف الجماعة جـ ١٢ ص ١٨٤.

السوء» يخرج إليه شرار الخلق" أو (يحشر إليه شرار الناس)(١).

ومما يؤكد أن المقصود بالمعادن النفط وليس غيره أنه حدَّد موعداً لخروجه وهو آخر الزمان، وأنه من امارات الساعة، (فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن لايسكنها إلا أراذل الناس)(٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا أنه قال(لتظهرن معادن فى آخر الزمان يخرج إليها شرار الخلق)(٣) فهذه الرواية فيها تأكيد وفيها إشارة إلى زمن ظهور هذه المعادن وهو آخر الزمان، وان الذين يخرجون للعمل فيها هم شرار الخلق، وفى حديث الطبرانى جاء ذكر الذين يعملون فيها بتعبير (لايسكنها إلا أراذل الناس) يشير إلى اقامة المدن والمساكن الخاصة حول مناطق الآبار والمعامل لسكنى العاملين فيها مثل مدينة(الخفجى) وغيرها وهذا يدل على إستمرار العمل فى هذه المعادن اكتشافا وإستخراجا وتكريرا زمنا طويلا. وهذا لاينطبق الاعلى معدن البترول. كما أن قوله معادن بصيغة الجمع يدل على هذا لأن النفط ليس عنصراً واحداً فقط، وإنما هو عناصر متعددة وكلها مستخرجة من باطن الأرض فهو معادن.

حقا: إننا فى آخر الزمان، وهو عصر علو الأشرار الذى تعمقوا فيه فى البحار واستخرجوا من باطن الأرض كنوزها: البترول الذى زينوها وزخرفوها به، ونفذوا به من أقطار السماوات والأرض فتوهموا خادعين لأنفسهم أنهم قادرون عليها .

توبوا وارجعوا إلى خالقكم أيها الناس، وإلا فسيأتيكم بأس الله ليلا أو نهاراً فيجعلها حصيداً كأن لم تَغْنَ من قبل.

اللهم قنا عذابك يوم ينزل بعبادك. آمين.

---

(١) رواه أبو يعلى، قال الهيثمى رجاله ثقات / عن اتحاف الجماعة جـ٢ ص ١٨٣.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط / عن اتحاف الجماعة جـ ٢ ص ١٨٢.

(٣) رواه عبد الرزاق فى مصنفه / عن اتحاف الجماعة جـ٢ ص ١٨٣.

الفهرس

الباب الثاني

الباب الثالث

كتب المؤلف

١ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الأول:- في الكتاب والسنة . ثلاث طبعات
٢ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثاني:- عند السلف والمتكلمين. ثلاث طبعات
٣ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثالث :- عند الفلاسفة. ثلاث طبعات
٤ - القضاء والقدر في الإسلام الجزء الرابع:- عند الصوفية. تحت الطبع

* وهو الكتاب الذى حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٥ - الأصول الإعتقادية للمعرفة في الإسلام. طبعة واحدة
٦ - الإسلام والعلم التجريبي. طبعة واحدة
٧ - استخلاف الإنسان في الأرض. ثلاث طبعات
٨ - قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة طبعتان
٩ - الإنسان والشيطان ثلاث طبعات
١٠ - مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ثلاث طبعات
١١ - محاضرات في العقيدة الإسلامية ثلاث طبعات
١٢ - توفيق الحكيم لِمنْ أستمع وإلى من تحدث طبعة واحدة
١٣ - مقومات المجتمع المسلم ثلاث طبعات
١٤ - البيان النبوي بدمار إسرائيل الوشيك وتحرير الأقصى طبعة واحدة
١٥ - الخلافة الإسلامية:- حقيقتها وأصولها الإعتقادية وحتمية عودتها طبعة واحدة
١٦ - التوحيد :- معرفة الله والعلم به تحت الطبع
١٧ - المدخل إلى العقيدة الإسلامية تحت الطبع
١٨ - حكم الإسلام في استخدام العنف في الدعوة والإصلاح تحت الطبع

«موسوعة أشراط الساعة»

١٩ - القيامة الصغرى علي الأبواب الجزء الأول :- وهو الإصدار الثاني لكتاب زلزال الأرض العظيم. طبعتان
٢٠ - القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثانى:- «المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة». طبعة واحده

٢١- القيامة الصغري على الأبواب الجزء الثالث: «الأمارات العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة» طبعة واحده

٢٢- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع:«الأمارات الخلقية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية» طبعة واحده

٢٣- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس : «أحداث ماقبل المهدى عليه السلام» تحت الطبع

٢٤- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس : «المسيح الدجال» تحت الطبع

٢٥- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السابع: «المهدى عليه السلام» تحت الطبع

٢٦- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن:«الملحمة العظمى وفتح أوروبا». تحت الطبع

٢٧ ـ القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع: «يأجوج ومأجوج» تحت الطبع

٢٨- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر:«نزول المسيح عليه السلام» تحت الطبع

٢٩- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادي عشر «ما بعد المسيح عليه السلام إلى قيام الساعة» تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

بإسم عبد الرحمن فاروق الدسوقي ت/ ٥٥٧٢٦٦٠/ ٠٣- الأسكندرية تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية:

١- مكتبة مدبولي - ٦ ميدان طلعت حرب/ ت:- ٥٧٥٦٤٢١.
- طريق النصر - مدينة نصر /ت :- ٤٠١٥٦٠٢ - القاهرة.

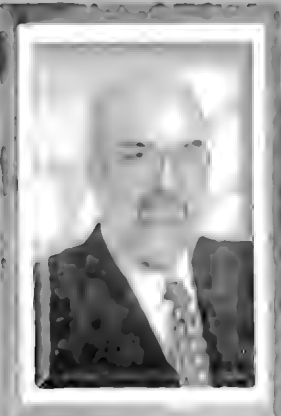
٢- مكتبة حميدو - ٢٦ ش النبي دانيال /ت: ٤٩٠١٤٩٤ - ٤٩٣٣٨٧٤ - الاسكندرية.

٣- مكتبة دار العقيدة للتراث - ١٠١ ش الفتح - باكوس أمام محطة الترام /ت: ٥٧٠٧٣٢١ - الأسكندرية.

٤- معرض لونابارك - ش لاجيتيه - الإبراهيمية - الأسكندرية.

٥ ـ دار الدعوة ـ ١ ش منشا محرم بك/ ت :ـ ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ الاسكندرية

ولدى باعة الجرائد في جميع المحافظات



المؤلف

الأستاذ الدكتور / فاروق أحمد حسن الدسوقي

ولد بالإسكندرية عام ١٩٤٨ م

حصل على ماجستير الفلسفة الإسلامية من جامعة الإسكندرية بتقدير ممتاز مع التوصية بالطبع وتبادل الرسالة مع جامعات العالم

حصل على دكتوراه العلوم الإسلامية قسم الفلسفة الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى

فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

عمل أستاذاً للعقيدة والثقافة الإسلامية بجامعتي الملك سعود وأم القرى من عام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٦ م حتى عام ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

الكتـــاب

أخي القارئ، هل قرأت في القرآن الكريم ما جاء عن وسائل السفر الحديثة بما في ذلك الطائرات وهل قرأت ما جاء فيه عن سلاح الجو ابتداء من المروحيـــة وانتهاء بالنفاثة.

وهل قرأت فيه عن الأساطيل البحرية بقطعها المتنوعة ابتداء من الغواصـــة حتى حاملة الطائرات؟ وهل تعلم أن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد أخبرا بكل مظاهر الحضارة المعاصرة مثل الكهرباء والبترول وجميع الأجهزة البصرية والقنوات التليفزيونية الفضائيـــة وهل قرأت ما نزل في ... الأخير للبشرية عن التقدم الطبي والجراحي والهندسة الوراثية واستنســاخ الكائن الحي؟!

وغير هذا كثير كثير من مظاهر التقدم العلمي والصناعي والعمراني ومع هـــذا كله. فأنت أخي القارئ تتلو هذه الآيات المخبرات بكل هذا. وتستمع إليها صباح مساء دون أن تعلم أنها تتحدث وتصف واقعنا الحضاري المعاصر فإذا قرأت هـــذا الكتاب الذي بين يديك وتيقنت أن الكتاب والسنة قد تضمنـــا كل ما تعيشـــه البشرية من مخترعات وصناعات قبل حدوثه بأربعة عشر قرنا كمل إيمانـــك بصحتهما وترسخ يقينك بهما.

فإن لم يكن لهذا الكتاب من فائدة أو نفع إلا استكمال الإيمان ورسوخ اليقين بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وهذا أعظم ما يمكن أن يجنيه إنســان من فائدة مرجوة من أي كتاب بخطه بشر بيده فإذا علمت أخي القــارئ أن كل هذا المخترعات ما هي إلا حجج بالغة وبراهين ساطعة على أن القيامة الصغرى على الأبواب فلك أن تتصور مدى الفائدة المرجوة منه.

موسوعة أشراط الساعة
٥

القيامة الصغرى على الأبواب

الجزء الرابع

أمارات القيامة الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية

الأستاذ الدكتور
فاروق أحمد الدسوقي
حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع ١١٦٦٨ / ٩٨

الترقيم الدولى I.S.B.N

977 - 19 - 6866 - 1



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وعلى من اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد؛

فإن قوله تعالى عن بنى إسرائيل فى سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا/٤/ الإسراء﴾ هو بالقطع إخبارٌ بما تعيشه البشرية فى عصرنا الراهن من فساد عظيم، نتيجته التى صارت واضحة صريحة هى علو اليهود فى الأرض علواً كبيراً.

صحيح أن إفسادهم العظيم يُدَبِّرونه بليل وينفذونه بأيد بعيدة عنهم بتحريك الخيوط من خلف الكواليس، بيد أن علوهم الكبير فى شتى مناحى الحياة المالية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والإعلامية فضح أسرارهم وهتك أستارهم، كما هو معلوم بداهةً ومُسَلَّمٌ به عند خبراء مكافحة الجريمة، بأن المستفيد منها هو المخطط لها، والمرتكب لجرمها، حتى ولو كان بعيدا عن مسرحها وقت وقوعها.

والذى يجعلنا نقطع بأن هذا العصر هو عصر إفسادة اليهود الثانية والأخيرة المقترنة بالعلو الكبير، هو حتمية مطابقة آيات القرآن الكريم للواقع التاريخى الحديث والمعاصر، لأنه الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من العزيز الحكيم سبحانه وتعالى رب العالمين.

كما أن ورود الإفساد فى الآية قبل العلو يفيد أن الإفساد هو الوسيلة التى يحققون بها العلو الكبير، من حيث أن الإفساد يكون السبب والعلو نتيجته، والسبب يسبق النتيجة بالضرورة، وحيث إن قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا/٤/ الإسراء﴾ إنما هو إخبار من الله لبنى إسرائيل بأنه سيكون منهم إفسادتان إحداهما مع العلو الكبير، فى حين نص لنا عن الأولى بأنها قد تمت، وتحقق وعدها بدخول العباد أولى البأس الشديد عليهم وَجَيسَانهم خلال الديار بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا/٥/ الإسراء﴾ ومعنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أى قد تم قبل نزول القرآن، وحيث أن علوّهم المعاصر مقترن بفساد فى الأرض لم يسبق له مثيل فى

تاريخ البشرية المكتوب، فإن المعنى اللازم من هذا كله هو أنهم قد أفسدوا مرة من قبل نزول القرآن ولم يتمكنوا بها من العلو فى كل الأرض مثل ما هو حادث الآن، أى أن الأولى كانت إفساداً بلا علو فى كل الأرض أما المرة الأخيرة والمعاصرة فقد نجحوا وحققوا بها العلو فى الأرض الذى تمكنوا به من العودة من الشتات إلى فلسطين وإقامة دول مستقلة ذات سيادة وجعلوا عاصمتها القدس. ومن ثم تطابق هذا الواقع التاريخى مع النص فى الآية على أن الإفساد مرتان فى حين أن العلو الكبير واحد فقط هو العلو المعاصر الناجم عن الإفسادة المعاصرة أما قوله تعالى عن هذه الإفسادة الثانية: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً/٧/ الإسراء﴾ فهو يدل على أن أهل بابل الذين دخلوا عليهم المسجد أول مرة هم الذين سيتحقق بهم وعد هذه المرة المعاصرة فيدخلون عليهم من زمن علوهم الكبير الذي يكون فى كل الأرض حيث يدل قوله عزوجل: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً﴾ على أن العلو يكون فى كل الأرض وهذا لم يكن ليتحقق لهم إلا بإفساد عظيم فى كل الأرض أيضًا وفى كل مناحى ونشاطات الحياة الإنسانية:

إفساد فى مجال الدين والعقيدة بالعمل الدؤوب على إخراج الناس وبخاصة الأطفال من النور الفطرى الذى جَبَلَهم الله تعالى عليه إلى ظلمات الشرك والكفر والالحاد.

وإفساد فى مجال العلاقة بين الذكور والنساء باسلوب خطوات الشيطان التدريجية لتعريتهم والقضاء على عفتهم وحيائهم وصولا إلى ما وصلوا إليه من المجاهرة بالزنا والإباحية والعلاقات الجنسية المنحرفة.

وإفساد بالتخطيط الخبيث طويل المدى الذى تحقق به استيلاؤهم على رصائد الدول الذهبية، ثم فوائض الشعوب المالية من خلال النظام البنكوى الربوى والعملات الورقية، كما استولَوْا ويستولون على ثرواتهم العقارية من خلال البورصات المفتوحة، التى تتحول بنظامها ملكية المصانع والعقارات حسب نظامها إلى أسهم وسندات هى فى النهاية أوراق يتحكمون فى قيمتها، حتى لم يعد فى الأرض أحدٌ إلا أصابه الربا ولم يوجد شعب إلا استَوْلوا على عرقه وفوائضه، ولم تعد فى الأرض دولة إلا خطفوا رصيدها الذهبى وأعطوهم دولارات عوّموها ثم خفضوا من

قيمتها إلى العشر، فَعزَّ فى الأرض الدرهم الحلال، ولم يعد له وجود فى دنيا الناس.

وباستغلال ما يسمونه الفن بمساعدة السينما والتليفزيون وسائر الأجهزة الحديثة نشروا الزنا والمخدرات والخمور والجريمة، وكل ما يثير غرائز الجنس والغضب والحقد والنزاع بين الأجيال (الآباء والأبناء) والأزواج والطوائف والقوميات والأديان وكل أنواع الاختلافات بين الناس، فكثرت الحروب والمذابح هنا وهناك وبخاصة فى المسلمين المُسْتَضْعَفِين.

وبالنظر فى نتائج هذه الحروب العالمية والمحلّية والمذابح الإرهابية نجد أن اليهود هم دائما الذين يَجْنُون ثمارها متمثلة دائما فى مكاسب لهم تخدم مخططاتهم على حساب دماء وأموال ومستقبل الشّعوب، هذه المكاسب التى تقربهم إلى القمة فى كل مجال من مجالات الحياة، وهذا هو العلو الكبير. فى كل الأرض.

إن مؤسسات النظام العالمى الجديد فى عصر العولمة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية - أكبر مستعمرة يهودية دجّالية - تُلهب ظهور الدول والشعوب الرافضة للإذعان لهم والمقاومة لهذا العلو والتسليم أو الاستسلام المطلق له، تلهبها بسياط من نار صواريخها وتقتل أبناءها بالحصار القاسى بحجة مخالفة قرار من المؤسسات الدجّالية لحكم الأرض، ومنها مجلس الأمن بينما تَتَدَلّل إسرائيل فتضرب بعشرات القرارات عرض الحائط، ولا يصيبها حتى كلمة لوم أو عتاب أى ما يسمونه إدانة.

فمن يكون وراء هذه المؤسسات والمنظمات وكل ما يرمى إلى العولمة إلا الصهيونية وإسرائيل واليهود بقيادة الدجّال؟!

أليس هذا هو العلو الكبير الذى تم لبنى إسرائيل بالإفسادة الثانية، إفسادة الآخرة؟!

بلى والله، لقد عَلَوْا بالربا والزنا وتقطيع الأرحام، والظلم بالقوة الغاشمة الباطشة، والتخطيط بعيد المدى لحكم الأرض كلها بمكر خطير تَزُول منه الجبال، أهم أهدافه فى هذه المرحلة الراهنة استئصال حزب الله من الأرض، ولو طال العهدُ بهذا النظام سنوات لتحقق لهم مخطط تجفيف الإسلام من المنابع لقد استفتحوا لاستئصال الإسلامَ من الأرض ضماناً لدوام العلو، وما فعلوا هذا إلا لجهلهم بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ/١٥/إبراهيم﴾.

عجيب أمر هؤلاء المجرمين، إنهم يتصرفون فى مصائر البشر باعتبار أنه ليس للكون رب عليم سميع بصير قدير، يقُول للشيء كن فيكون، وهو مقتدر على أن يدمر مكرهم ذا الرؤوس النووية فى لحظات يزلزل فيها الأرض بنفخة الفزع فيهدمها عليهم ويزيل منظماتهم وبنوكهم وبورصاتهم وصواريخهم ويجعلها حصيدا كأن لم تغن بالأمس، وهذا هو الذى سيكون رحمة وموعظة وبركة للمؤمنين، لأنه إنقاذ لهم من الاستئصال وتخييب وإبطال لمخططات أعدائهم بتدميرهم وإهلاكهم بزلزال الأرض العظيم الذى لابد منه لتطهير الأرض من رجاسات ونجاسات إفسادة الآخرة لبنى إسرائيل، وليتحطم علوهم الكبير فى الأرض فتقوم الخلافة الإسلامية الراشدة بالمهدى عليه السلام لكن قبل هذا، أى قبل زلزلة الساعة وأحداث القيامة الصغرى سيتحقق فى إسرائيل وعد الآخرة بدخول أولى البأس الشديد عليهم المسجد بقيادة نبوخذ نصر المعاصر ذى الشامتين كما دخلوه عليهم من قبل بوعد الإفسادة الأولى بقيادة نَبُوخذ نصر البابلى عام ٥٦٨ قبل الميلاد.

صحيح أن بين تَحَقُّق وعد أولاهما وتَحَقُّق وعد الآخرة أكثر من خمسة وعشرين قَرنا، إلا أن وعْدَ الله تعالى فى القرآن، كما فى كتابهم، بأن الذين سيدخلون المسجد عليهم فى وعد الآخرة هم الذين سبق وأن دخلوه عليهم فى المرة الأولى بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا/٧/ الإسراء﴾.

كيف يكون الداخلون عليهم المسجد بوعد الآخرة هم الذين قد دخلوا عليهم فى الأولى وبين أولئك وهؤلاء أكثر من خمسة وعشرين قرنا؟

إذا انعدمت وحدة الجيل بين الجيشيْن الداخليْن رغم ثبوت وحدة الهوية بقوله تعالى: ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلا مجال إلا أن تكون وحدة الهوية متمثلة فى القومية أو الوطنية التى أساسها وحدة المكان، أى أن وحدة هوية الداخلين قائمة فى المكان وليست فى الزمان، ويفسر هذا الذى نقول ويوضحه قول حزقيال عليه السلام: «وأنت يا ابن آدم عيِّن لنفسك طريقين لمجىء سيف ملك بابل: من أرض واحدة تخرج الاثنتان الإصحاح / ٢١/ عدد ـ ١٩» والاثنتان هما وعدا الإفسادتين، والمعنى أنه سيخرج جيشا أولى البأس الشديد المتوجهان إلى إسرائيل والقدس للقتل والتدمير تحقيقًا للوعدين من بابل عبورا بالفرات ليدخلوا المسجد فى كل مرة من المرتين ﴿كَمَا

دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بيد أنهم يجوسوا خلال الديار فى الأولى ويُتَبروا ما علوا بصواريخهم وطائراتهم فى المرة الثانية، التى هى إفسادة الآخرة.

فإفسَادة الآخرة اليهودية الدجّالية المعاصرة هى الموضوع الرئيسى لهذا الجزء من القيامة الصغرى على الأبواب، أعرضها تَفْصيلا كما جاءت أخبارها فى الكتاب والسنّة والوحى القديم مع مطابقة هذه النُّصوص السماوية الشريفة على أحوال الناس الدينيّة والخلقية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة.

إن هذه النُّصوص السماوية الشريفة تكشف أسرار هذه الإفسادة وتهتك أستارها كما أن هذا الواقع الفاسد يُؤَوِّل ويُفَسِّر لنا هذه النُّصوص على نحو لم يستطع أن يُدركه المفسِّرون القدماء، ولا حتى المحدثون منهم.

وسيجد القارىء الكريم المتابع لأجزاء موسوعة أشراط الساعة أن تفصيلات الإفسادة اليهودية الدجالية العظمى كلها أدلة دامغة وحجج بالغة على أن الدنيا على وشك الانتهاء. وأن القيامة الصغرى على الأبواب.

والله تعالى أسأل ان ينفعنى وقرائى الأحباب: إخوانا فى الله، وأهلا وأصدقاءاً وزملاءاً وتلاميذ بما أكتب وأن ينجينا جميعا من فتن هذه الإفسادة العظمى كما أسأله سبحانه وتعالى أن يُثقِّل به ميزانى وميزان مَنْ يُعينني على نشره يوم نصب الموازين وعرض الأعمال.

وصلَّى اللهم وسَلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من اتبعهم بإحسان، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. فاروق أحمد الدسوقي

الإسكندرية صباح الأحد

١٥ من جمادي الأولى ١٤١٩هـ

٦ من سبتمبر ١٩٩٨م.

الباب الأول

ظهور معالم الفساد وانتشاره فى كل الأرض وفى جميع مناحى الحياة البشرية أقوى دليل على أن القيامة الصغرى على الأبواب

(١) ـ شيوع المنكر والفساد فى جميع مناحى الحياه الفردية والإجتماعية.

(٢) ـ معالم الامارات التقنية والصناعية.

(٣) ـ معالم الفساد الدينى.

(٤) ـ معالم الفساد الخلقى.

(٥) ـ معالم الفساد السياسى

(٦) ـ معالم الفساد الإقتصادى.

(٧) ـ معالم الفساد الإجتماعى والاسرى.

(٨)- الحكمة من ورود الاثنتيْن وسبعين أمارة وعلامة مختلطة بدون تصنيف.

(١). شيوع المنكر والفساد فى جميع مناحى الحياة الفردية والاجتماعية.

سبق التمييز بين الامارات والآيات بالقول بأن الآيات هى امارات معينة محصورة فى عشر وسمّاها رسول الله ﷺ وهى:

(١) خسف بالمشرق. (٢) وخسف بالمغرب.

(٣) وخسف بجزيرة العرب. (٤) خروج الدجال.

(٥) نزول المسيح عليه السلام من السماء وقتل الدجال.

(٦) خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم.

(٧) خروج الشمس من مغربها. (٨) الدابة. (٩) الدخان.

(١٠) نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس.

هذه العشرة تتميز عن سائر الامارات الأخرى بخصائص، ومن ثم أطلق عليها الرسول ﷺ الآيات، هذه الخصائص هى:

(١) أنها من خوارق السنن الحياتية والفلكية والتاريخية.

(٢) انها متسلسلة متوالية متتابعة إذا حدثت واحدة منها تعاقبت الأخرى من غير طول زمن بينها، مثل تعاقب حبات العقد فى السقوط إذا إنقطع خيطه أو سلكه.

(٣) وأنها تقع بين يدىْ الساعة مباشرة ، وليس من حدث بعد الأخيرة منها، وهى نار قعر عدن، من حدث ذى بال إلا قيام الساعة بغتة على الأشرار الذين لا يؤمنون.

أمّا ما أطلقنا عليه امارات الساعة فهى التى تحدُث بين يدىْ الآيات العشر، وحدوثها مؤذن بحدوث أوائل الآيات ودليل على أن عصر الآيات قد بدأ، وليعلم المؤمنون أن أوائل الآيات، اذا امتد بهم الأجل، سوف يحدثن فى حياتهم وجيلهم .

ودليل هذا قول رسول الله ﷺ بعد ذكر الامارات الخلقية الاثنين والسبعين (فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا وآيات) والإثنتين والسبعين

إمارة أكثرها من قبيل الخصال الخلقية والعادات والتقاليد الاجتماعية والأنظمة الادارية، وأكثرها يدل على ضعف الايمان فى نفوس أهل هذا الزمان ، وتفشى المحرمات وإنحطاط الأخلاق وشيوع الفساد فى شتى مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والأسرية والخلقية. وحديث الاثنتين والسبعين خصلة يجمع هذه المناحى جميعا، ونذكره لبيان ذلك.

أورد الشيخ على بن المتقى الهندى في كنز العمال (عن زيد بن واقد عن مكحول عن على قال: قال رسول الله ﷺ) من إقتراب الساعة:

١ ـ إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة.
٢ ـ وأضاعوا الأمانة.
٣ ـ وإستحلوا الكبائر.
٤ ـ وأكلوا الربا.
٥ ـ وأخذوا الرشى.
٦ ـ وشيَّدوا البناء.
٧ ـ وإتبعوا الهوى.
٨ ـ وباعوا الدين بالدنيا.
٩ ـ وإتخذوا القرآن مزامير.
١٠ ـ واتخذوا جلود السباع صفاقا.
١١ ـ والمساجد طرقا.
١٢ ـ والحرير لباسا.
١٣ ـ وكثر الجور.
١٤ ـ وفشا الزنا.
١٥ ـ وتهاونوا بالطلاق.
١٦ ـ وأُتمن الخائن.
١٧ ـ وخوِّن الأمين.
١٨ ـ وصار المطر قيظا.
١٩ ـ والولد غيظا.
٢٠ ـ وأمراء فجرة.
٢١ ـ ووزراء كذبة.
٢٢ ـ وأمناء خونة.
٢٣ ـ وعرفاء ظلمة.
٢٤ ـ وقلَّت العلماء.
٢٥ ـ وكثرت القراء.
٢٦ ـ وقلت الفقهاء.
٢٧ ـ حلِّيت المصاحف.
٢٨ ـ وزُخْرِفت المساجد.
٢٩ ـ وطُوِّلت المنابر.
٣٠ ـ وفسدتْ القلوب.
٣١ ـ وأُتخذت القينات.
٣٢ ـ واستحلت المعازف.

٣٣ ـ وشربت الخمور.

٣٤ ـ وعُطلت الحدود.

٣٥ ـ ونقضت العهود.

٣٦ ـ ونقضت المواثيق.

٣٧ ـ وشاركت المرأة زوجها فى التجارة.

٣٨ ـ وركب النساء البرازين.

٣٩ ـ وتشبهت النساء بالرجال.

٤٠ ـ ويُحلف بغير الله.

٤١ ـ ويشهد الرجل من غير أن يُستشهد.

٤٢ ـ وكانت الزكاة مغرمًا.

٤٣ ـ والأمانة مغنما.

٤٤ ـ وأطاع الرجل إمرأته.

٤٥ ـ وعق أمه.

٤٦ ـ وأقصى أباه.

٤٧ ـ وصارت الامارات مواريث.

٤٨ ـ وَسبَّ آخر هذه الأمة أولها.

٤٩ ـ وأُكرم الرجل اتقاء شرَّه.

٥٠ ـ وكثرت الشرط.

٥١ ـ وصعد الجهال المنابر.

٥٢ ـ ولبس الرجال التيجان.

٥٣ ـ وضُيقت الطرقات.

٥٤ ـ وشُيِّد البناء.

٥٥ ـ وإستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء.

٥٦ ـ وكثرت خطباء منابركم.

٥٧ ـ وركن علماؤكم الى ولاتكم.

٥٨ ـ فأحلوا لهم الحرام وحرَّموا عليهم الحلال وافتوهم بما يشتهون.

٥٩ ـ وتعلم علماؤكم العلم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم.

٦٠ ـ وضيَّعتم حق الله فى أموالكم.

٦١ ـ وصارت أموالكم عند شراركم.

٦٢ ـ وقطعتم أرحامكم.

٦٣ ـ وشربتم الخمور فى ناديكم.

٦٤ ـ ولعبتم الميسر.

٦٥ ـ ولعبتم بالكُبَر[1] والمعزفة والمزامير.

٦٦ ـ ومنعتم محاويجكم زكاتكم.

٦٧ ـ ورأيتموها مغرما.

٦٨ ـ وقتل البرىء ليغيظ العامة بقتله.

٦٩ ـ وإختلفت أهواؤكم.

٧٠ ـ وصار العطاء فى العبيد والسقاط.

٧١ ـ وطفف المكاييل والموازين.

٧٢ ـ وَوَلِّيتْ أموركم السفهاء.

---

(١) وهو الطبلة المزدوجة ذات الرأسين، وذكرها فى الحديث ليس لذاتها وانما هو للدلاله على أنه سيأتى الوقت الذى يستعير فيه المسلمون كل ما هو غربى حتى الموسيقى، وهو من الامارات القريبة جداً من أحداث القيامة.

ولا يستطيع أحد أن يزعم بأن خصلة واحدة لم تحدث فى واقع الحياة البشرية المعاصرة بعامة وفى مجتمعات الامة الإسلامية أيضاً.

كما سنعرض هذا مفصلاً بعد ذلك.

وروى القرطبى (خرج نعيم من حديث حذيفة بنُ اليمان قال:

قال رسول الله ﷺ: من إقتراب الساعة إثنتان وسبعون خصلة:

١ ـ إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة.
٢ ـ وأضاعوا الأمانة.
٣ ـ وأكلوا الربا.
٤ ـ واستحلوا الكذب.
٥ ـ واستخفوا بالدماء.
٦ ـ واستعلوا بالبناء.
٧ ـ وباعوا الدين بالدنيا.
٨ ـ وتقطعتْ الأرحام.
٩ ـ ويكون الحكم مغنما.
١٠ ـ والكذب صدقا.
١١ ـ والحرير لباسا.
١٢ ـ وظهر الجور.
١٣ ـ وكثر الطلاق.
١٤ ـ وموت الفجاة.
١٥ ـ وأُتمنَ الخائن.
١٦ ـ وصُدِّق الكاذب.
١٧ ـ وكذِّب الصادق.
١٨ ـ وكثر القذف.
١٩ ـ وكان المطر قيظاً.
٢٠ ـ والولد غيظاً.
٢١ ـ وفاض اللئام فَيْضاً.
٢٢ ـ وغاض الكرام غيضا.
٢٣ ـ وكان الأمراء فجرة.
٢٤ ـ والوزراء كذبة.
٢٥ ـ والأمناء خونة.
٢٦ ـ والعرفاء ظلمة.
٢٧ ـ والقراء فسقة.
٢٨ ـ وإذا لبسوا مسوح الضأن وقلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر.
٢٩ ـ يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة.
٣٠ ـ وتظهر الصفراء «يعنى الدنانير».

٣١ ـ وتطلب البيضاء «يعنى الدراهم».

٣٢ ـ وتكثر الخطايا.

٣٣ ـ وتغلُّ الأمراء.

٣٤ ـ وحُليت المصاحف.

٣٥ ـ وصورت المساجد.

٣٦ ـ وطُوِّلت المنابر.

٣٧ ـ وخرِّبت القلوب.

٣٨ ـ وشُربت الخمور.

٣٩ ـ وعطلتْ الحدود.

٤٠ ـ وولدتْ الأمةُ ربتها.

٤١ ـ وتَـرى الحُـفـاة العـراة قـد صـاروا ملوكا.

٤٢ـ وشاركت المرأة زوجها فى التجارة.

٤٣ ـ وتَشـبَّه الـرجال بـالنـساء والـنسـاء بالرجال.

٤٤ ـ وحلف بغير الله.

٤٥ ـ وسُلِّم للمعرفة.

٤٦ ـ وتفقه لغير الدين.

٤٧ ـ وطُلبتْ الدنيا بعمل الآخرة.

٤٨ ـ وإتخذ المغنم دولا.

٤٩ ـ والأمانة مغنما.

٥٠ ـ والزكاة مغرما.

٥١ ـ وكان زعيم القوم أرذلهم.

٥٢ ـ وعق الرجل أباه.

٥٣ ـ وجفا أمه.

٥٤ ـ وبر صديقه.

٥٥ ـ وأطاع زوجته.

٥٦ ـ وعلت أصوات الفسقة فى المساجد.

٥٧ ـ واتخذت القينات

٥٨ ـ والمعازف.

٥٩ ـ وشربت الخمور فى الطرق.

٦٠ ـ واتخذ الظلم فخرا.

٦١- وبيع الحكم.

٦٢ ـ وكثر الشرط.

٦٣ ـ وأُتخذ القرآن مزامير.

٦٤ ـ وجلود السباع صفاقا.

٦٥- والمساجد طرقا.

٦٧ـ ولعن آخر هذه الأمة أولها*.

(*) لا جدال بين عقلاء المعاصرين أن جميع هذه الخصال قد حدثت، ولعل الريح الحمراء وهى رقم ٦٩ فى الأحداث هى الريح الذرية للقنبلة النووية أو الانفجار النووى المتمثل فى القبة الحمراء فى السماء أو كما وصفها القرآن الكريم وصفا محددا الشكل واللون. كما سبق بيانه بالجزء الثالث.

٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢ ـ فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا وآيات)

فالريح الحمراء والخسف والمسخ والقذف أربع أمارات وأحداث خطيرة تأتى بعد إكتمال الخصال السابقة عليها ومن ثم تصبح اثنتين وسبعين إمارة.

وقوله ﷺ «فليرتقبوا عند ذلك» أى فلينتظروا ويَتَوَقَّعُوا بعد إكتمالها حدوث الريح الحمراء والخسف والمسخ والقذف وبعدها الآيات، ومعلوم أن الآيات التى تسبق الساعة هى عشر أولها الخسوف الثلاثة، فإن كان هذا الخسف الذى جاء من ضمن هذه الأربع الأخيرة هو من الخسوف الثلاثة الأولى من الآيات العشر فإنه ينتظر بعد هذا حدوث بقية الآيات السبع والخسف المذكور هنا هو خسف جزيرة العرب.

ومن ثم فليست هذه الخصال من العلامات المباشرة للساعة، بل هى من الامارات أى العلامات التى تدل على أن الآيات على وشك الحدوث، وهى الآيات العشر التى منها الخسوف والتى هى العلامات المباشرة بين يدىْ الساعة.

وحيث من الملاحظ للمتدبر فى الروايتين: رواية حذيفة ورواية على بن أبى طالب رضى الله عنهما لحديث الاثنتينْ وسبعين خصلة، ان الاختلافات بينهما لفظية ومن حيث الترتيب، فإن الملاحظ أيضاً أن هذه الخصال أو الأحوال منها ما هو خلقى ومنها ما هو اجتماعى ومنها ما هو سياسى ومنها ما هو إقتصادي ومنها ما يخص الاحوال الدينية للأمة، وأيضاً منها ما يخص الجوانب المدنية والحضارية الدالة على إقتراب الساعة الصغرى والاحداث الرهيبة ليوم القيامة الصغرى. وهى جميعا من الأمارات التى تسبق الآيات بدليل قوله ﷺ فى نهاية الحديث (فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا وآيات). والآيات هى العشر التى تشكل الخسوف الثلاثة أولياتها وسنشرح الإثنتين وسبعين أمارة من خلال تصنيف كل مجموعة منها فى صنف واحد، وسيكون كل صنف إجمالا لما سيأتى تفصيله بعد فى ثنايا هذا الجزء وسنبدأ بأذن الله تعالى بالامارات العلمية والتقنية أى المدنية وما سنذكره إكمال لما سبق فى الجزء الثالث وتوضيح له واستدراك لما فاتنا منه والله تعالى المستعان.

(٢) - معالم الامارات التقنية والصناعية:

ونعينها من بين الإثنتيْن وسبعين وهن قوله ﷺ.

(١) وشُيِّد البناء. (٢) وشيَّدو البناء.

(٣) وإتخذوا جلود السباع صفاقا. (٤) والمساجد طرقا.

(٥) وحُلِّيت المصاحف. (٦) وزُخْرِفَتْ المساجد.

(٧) وطُوِّلَتْ المنابر. (٨) وشاركت المرأة زوجها فى التجارة.

(٩) وركب النساء البرازين. (١٠) وضُيِّقت الطرقات.

(١١) وموت الفجأة. (١٢) وكثُر القذف.

(١٣) وصُوِّرت المساجد.

أما قول ﷺ (وشُيد البناء) فهو ليس تكرارا لقوله ﷺ (وشيدوا البناء) وحاشا لله أن يكون فى بيان بيانه ﷺ تكرار أو لغو، وإنما المقصود بالفعل الاول المبنى للمجهول هو حدوث التقدم المعمارى فى أساليب وتقنيات البناء الحديث المواكب للتقدم العلمى التقنى والصناعى المدنى الحضارى فى القرون الأخيره أو فى القرنين الأخيرين من تاريخ البشرية، والاكتشاف الرئيسى الذى احدث طفرة معمارية فى أساليب البناء هو اكتشاف صناعة الإسمنت بأنواعه المختلفة الاستخدامات وكذلك استخدام حديد التسليح والتقدم فى صناعة الحديد والصلب مما تمكن به الإنشائيون من العلو بالبناء طبقات متعددة بالخرسانة المسلحة حتى وصلت العمارات إلى مناطحة السحاب، وظهرت البنايات كالجبال وكان هذا كله مع مطلع القرن العشرين، ولم يكن ليتم هذا إلا بعد التقدم فى هندسة الصرف الصحى والمياه والكهرباء وصناعة المولدات والمحركات الكهربائية ومن ثم المصاعد والاوناش والمعدات الثقيلة ومواكبة كل لوزام البناء فى التقدم الصناعى والمدنى لهذا كله، وبحسب سنة الله عز وجل فى تطاير الحضارات التى يدل عليها قوله تعالى: ﴿ .... فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد/ ١٧] إنتشرت أساليب

البناء والمعمار الغربية الحديثة فى كل الأرض، ولكنها لم تبدأ فى جزيرة العرب إلا مع بدء العقد السادس ثم السابع من القرن العشرين الميلادى علـى إستحياء حتى أن الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى عاش آخر سنوات عـمره فى قصر المربع بالرياض وهو الذى إتخذه أبناؤه من بعده متحفا تاريخيا، وهذا القصر كائن الآن كما هو فى حى المربع وهو بكامله من الطين اللبن وسقفه من الخشب وكانت وفاته رحمه الله فى آواخر العقد الخامس من القرن العشرين الميلادى، أما تعميم[1] البناء الحديث فى جزيرة العرب قاطبة شرقـها وغربها وشمـالها وجنوبهـا فلم يبدأ إلاَّ بعـد إرتفاع أسعار البترول عام ١٩٧٤ الذى حدث بعد حـرب العاشر من رمضـان السادس من اكتوبر عـام ١٩٧٣ فتضاعفت دخـول دول الخليج والجزيرة أضـعافا مضاعفـة فأقاموا وشيدوا البناء ونهـضتهم المعـمارية الشـاملة العـظيمة الهـائلة إبتـداء من ١٩٧٥ إلى ١٩٨٥ ثم إستمرت فى خطة خـمسيَّة ثالثة حـتى ١٩٩٠ إستكمالاً لما لم يكـن قد إستكمل وتتميما لما بدأ.

والراجح عندى والله تعالـى أعلم أن قوله ﷺ (وشَـيَّدُوا البناء) المبنـى للمعلوم هو إشارة إلى هذه النهضة الحضارية بجزيرة العـرب وأهلها الذين يَخُصُّهُمْ النبى ﷺ فى أشراط الساعة بـالذكر اكثر من غـيرهم كمـا سنرى هـذا تباعـا، ومن ثمَّ تـكون واو الجماعة الفاعل فى هذا الفعل عـائدة إلى عرب الجزيرة ولا تكون هذه الأمارة تكرارا للمـذكورة بالبنـاء للمجهـول كما يتـوهم البعض لأول مـرة، بإعتبار أن الأولـى عامة وهذه خـاصة بالعـرب، وهذا النـص يفصـله قوله ﷺ فـى حديث الإيمـان (وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاه يتطاولون فى البنيان) وقد سبق بيان هذه الأمارة فى الامارات التقنية والصـناعية فى الجزء الثالث وبيان أنهـا موقوته بمنتصف السبعيـنات وما بعدها من سنوات حتى منتصف التسعينات او آخر القرن العشرين.

وسنرى ان اكثر هذه الامارات موقوته بالعقـود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين

---

(١) المقصـد من التعـميم أن العـقد السادس والسـابع شـهد ابنية حديثة فى الجزيـرة لكنهـا كانت للـملوك والأمراء والشيوخ والأغنيـاء، اما بعد غلاء البترول فلـم يبق أحدٌ من العرب فى الجزيرة يـعيش فى بيت من الطين.

وبصفة خاصة ما كان منها متعلقا بالعرب والامة الاسلامية بعامة وبعرب الجزيرة ودول الخليج، فى عهد الترف البترولى، بخاصة.

ويلحق بامارة العمران والنهضة المدنية الشاملة قوله ﷺ (والمساجد طرقا) حيث تحولت اكثر المساجد القديمة المبنية بالطين اللبن فى الرياض وقطر وأبو ظبى ودبى ومسقط وسائر المدن إلى طرق لما هدموا القرى والمدن والأحياء القديمة المبنية بالطين اللبن وأعادوا تخطيطها فخرجت أكثر هذه الأحياء بما فيها من مساجد ومساكن ضمن الطرق الرئيسية والفرعية لهذه المدن وصارت طرقا، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ.

ومن هذه الامارات الحضارية أيضاً قوله ﷺ (وَضُيِّقَتْ الطرقات) تضييق الطرقات ليس المقصود به الطرقات المنشأة أو المخططة حديثا، لأنه من المعلوم ان كل ما هو حديث منها واسع جداً، وإنما المقصود به أن الطرقات القديمة التى فى أواسط المدن والتى تم تخطيطها وإنشاؤها فى الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين والتى هى عادة فى وسط كل مدينة كالقاهرة ودمشق وبغداد وحتى وسط الرياض كلها صارت ضيقة بسبب كثرة السيارات المارة بها، حتى تمّ إنشاء إدارات للمرور تابعة لوزارات الداخلية وتعتبر من أعظم إدارات هذه الوزارات واكثرها عدداً فى الجنود والضباط وذلك لتنظيم مرور السيارات، وبخاصة فى أواسط المدن وفى ساعات الذروة، التى هى مع بدء الأعمال وانتهائها، فتكون الطرق على سعتها النسبية أضيق ما تكون فَتَضْيِيق الطرقات فيه إشارة صريحة لكثرة السيارات فى العقود الثلاثة الأخيره من القرن العشرين فى حين أن عدد السيارات فى مدينة كالإسكندرية فى الثلاثينات لم تتعد أصابع اليد الواحدة، فكانت الطرقات واسعة بمعنى أنها كانت مناسبة لمرور المشاة وعربات الحنطور بكل سهولة ويسر ثم ضُيِّقَتْ بازدحام آلاف السيارات العابره فيها بصعوبة وعسر.

أما قوله ﷺ (وشاركت المرأة زوجها فى التجارة)، فهو يتضمن تصريحا بأمارة إجتماعية خلقية سيأتى ذكرها فى موضعها وهى خروج المرأة من بيتها وتشبهها

بالرجال ومزاولة أعمالهم، ولكنها تتضمن إشارة أيضاً إلى أمارة أو أمارات حضارية مدنية تكنولوجية سبق أن ذكرناها فى الجزء الثالث وهى وسائل الإتصال والإنتقال الحديثة والمعاصرة التى صارت التجارة بها تزاول من خلال مكاتب مكيفة وخطوط هاتفية وفاكس وسفريات بالطائرة والنزول فى الفنادق السياحية الممتعة، ومن ثم صارت التجارة عملا غير شاق، ولا يحتاج كما كان فى الماضى إلى السفر بالقوافل عبر الصحارى وبالسفن القديمة مع البضاعة عبر المحيطات مما كان يمنع أن تشارك المرأة زوجها التاجر هذا العمل الشاق الذى لا يناسب أنوثتها وحملها وإرضاعها، بخلاف الجلوس فى مكتب مكيف للاستيراد والتصدير فقط لإتخاذ القرارات ومخاطبة الجهات ذات العلاقة وتوقيع الشيكات وإبرام الصفقات، وهذا كله ميسور سهل يمكن للمرأة ان تقوم به، ومن ثم سمعنا ولازلنا نسمع عن رجال أعمال من النساء، إنْ صح هذا التعبير، ومثلها قوله ﷺ (وركب النساء البرازين) وهى المركبات، وهى السيارات الحديثة وقد حدث هذا كما هو معلوم والمقصود أنهن ركبن البرازين وحدهن يقدنها بأنفسهن، وهذه أيضاً أمارة حضارية إذ تشير إلى السيارة.

ومن هذا قوله ﷺ (واتخذوا جلود السباع صفاقا) وجلودا السباع هى فروة الثعالب والنمور ومعنى إتخاذها صفاقا يوضحها لنا قول ابن فارس فى معجم مقاييس اللغة فى أصل صفق، (فيقال لجانبيْ العنق صفقان ولكل ناحية صَفْقٌ وصُفُقٌ، فيكون معنى صُفَاقاً أى أتخذوها مغطية لجانبى العنق وهو ما يكون من النساء المسبلات لجلود الثعالب أو النمور على أكتافهن وهذه امارة لها دلالة على تقنيات العصر المتقدمة فى أساليب الصيد الحديثة فى الغابات.

أما قوله ﷺ (وحُليت المصاحف) فهو إشارة إلى التقدم فى مجال الطباعة بالالوان وتحلية المصاحف وإن كانت قد حدثت منذ قُرون إلاَّ أنها كانت قاصره على بعض المصاحف التى كانت تنسخ يدويا للأغنياء فقط، أما هذا النص فهو يفيد كل المصاحف، وهذا هو الواقع فى هذا العصر وبخاصة فى العقود الأخيرة التى حدثت فيها طفرات هائلة فى فنون وتكنولوجيا الطباعة بالألوان مما كان له أثره فى طباعة المصاحف جميعها مُحَلاَّة بالزخرفة الملونة على جوانب الصفحات والغلاف وحول

أسماء السور. وكذا أغلفتها الخارجية مما هو معروف للكافة، حتى لاتكاد تجد مصحفا غير محلى فى حين كانت اكثر المصاحف من قبل غير محلاة.

أما قوله ﷺ (وزُخْرِفَتْ المساجد) فهو مما حدث من عهود وقرون سابقه، لكنها أخذت فى هذا العصر والعقود الأخيرة من القرن العشرين أشكالا جديدة فى الزخرفة لم تكن من قبل، وأكثرُها بفعل الآلات بخلاف الزخارف الاثرية القديمة حيث تداخلت فنون الديكور الحديث مع بقايا من الفنون الزخرفية الاسلامية القديمة، فأصبح للمساجد المعاصرة طابعا جديدا فى الزخرفة لم يكُن من قبل.

أما تطويل المنابر الوارد بقوله ﷺ (وطُوِّلَتْ المنابر) فهو قديم إذا فهمنا تطويلها بمعنى زيادة عدد درجاتها، ولكن هذا لايمنع أن تكون هذه الجملة متعدية للطول المادى للمنبر الى الطول المعنوى، إذ ان مفهوم المنبر هو ما يخاطب الخطيب من خلاله الجموع الغفيرة، وهذا يقتضى لكى يصل صوت وصورة الخطيب إلى كل الحاضرين أن يكون المنبر مرتفعا ارتفاعا يتناسب مع سعة المسجد أو الجامع حتى يشاهد المصلون الخطيب ويسمعونه، فإذا أصبحت المساجد متَّسعة لعشرات الألوف من المصلين، إقتضى هذا الارتفاع بالمنبر وتطويله إلى الحد الذى يكون فيه الخطيب بارزاً للمصلين جميعاً فإذا صار مع المنبر وسيلة توصل صوت الخطيب إلى جميع ارجاء المسجد، وإلى ساحاته الخارجية مثل مكبر الصوت والميكرفون والسماعات التى تصل بالصوت إلى أماكن بعيدة فإن هذا يعتبر تطويلا للمنبر لان التطويل هنا منصب على جوهر معنى المنبر وهو الموقع المرتفع الذى يتمكن فيه الخطيب من البروز بشخصه وصوته لجميع الحاضرين، فلم يكن الارتفاع بالمنبر الا بعد اتساع الجوامع، لتحقيق هذا الهدف فإذا حدث هذا الهدف بأمر آخر فهو يأخذ نفس التعبير ونفس المعنى والتطويل يفيد الامتداد أفقيا اكثر من الارتفاع رأسيا، وهذا ما تمَّ بفعل الميكرفون او مكبر الصوت الذى لَوْلاه ما استمع الناس الى الخطبة فى المساجد الكبيرة الجامعة وفى الطرقات التى حولها.

ان خطيب المسجد الحرام او المسجد النبوى أو مسجد نمرة فى يوم عرفة أو أى

جامع كبير متسع آخر فى الأرض يخاطب الواحد منهم مئات الالوف من المصلين، والجميع يسمعون فأى منبر طويل هذا الذى يصل منه صوت الخطيب اليهم جميعاً، كأنهم فى الصف الأول. وإذا علمنا أن هذا المنبر يوم عرفة أو فى مناسبات مثل ليلة القدر وليلة ختم القرآن يشاهد الخطيب ويسمعه عشرات بل مئات الملايين فى جميع أرجاء الأرض، فأى تطويل للمنابر هذا الذى حدث بفعل الوسائل السمعية والبصرية الحديثة السلكية منها واللاسلكية؟!

فهذه الامارة إشارة إلى هذه التكنولوچيات الحديثة والمعاصرة فى السمعيات والصوتيات والمرئيات وهى تخص هذه العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين وبخاصة العقدين الأخيرين اللذين بلغ طول المنابر اقصى مدى له عبر أقطار الأرض كلها بعد إنتشار الاقمار الصناعية وتعميم إرسالها لكل الدول.

أما طول المنبر بمعنى كثرة درجاته وإرتفاع قامته فقد كان منذ القرن الهجرى الاول او الثانى بعد بناء المساجد الواسعة كالمسجد الاموى فى دمشق ومسجد عمرو بن العاص فى الفسطاط بمصر وغيرها لذلك أرجع أن المقصود من طولها هو المعنى المذكور، فهو إذن امارة تكنولوچية، وقد سبق فى الجزء الثالث ان تَحَدَّثنا عن مكبر الصوت كما ورد الخبر عنه فى الحديث بقوله ﷺ (والرجل يكلم عزبة سوطه) وشرحناها بالميك الذى يكون فى شكل كرة صغيرة فى نهاية سلك والرجل يتكلم فيه او يكلمه كما لو كان هو سوطه، ويمسك به ويكلم العزبة وهى خصلة العشر الموجودة فى آخر ذيل البقرة الذى كانوا يجففونه ويستخدونه سوطا يضربون به ويُنَفِّذُون به الحدود، وهى تقابل فى التشبيه الميك.

لكن هذه الأمارة هنا تتحدث عن ظاهرة نقل خطب الخطباء عبر الميكروفونات فى المساجد ونقل شعائر صلاة الجمعة عبر الاذاعة والتليفزيون إلى الحد الذى يصل إلى نقل خطبة يوم عرفة وختم القرآن الكريم وسائر المناسبات الدينية والسياسية والمؤتمرات العلمية عبر الاقمار الصناعية، حقا لقد طالت المنابر، ووصلت خطب

الخطباء وبيانات القادة وتصريحات الرؤساء إلى آذان كل من يريد ان يسمع فى كل قارات وبلاد النيا.

وصدقت يا حبيبى وياسيدى يارسول الله ﷺ بأبى أنت وأمى.

وذلك لان المنبر فى اللغة هو ما ارتفع عن محيطه ليرفُع الصوت عليه قال ابن فارس فى معجمه (النون والباء والراء: «نبر» اصل صحيح يدل على رَفْعٍ وعُلُوٍّ)(١). فكل (من رفع شيئاً فقد نبره)(٢) وللكلمة دلالة خاصة على رفع الصوت (ونبر الغلام: صاح أول ما يترعرع، ورجل نَبَّار: فصيح جهير)(٣) وبناء على هذا فكل ما يخاطب الخطيب الناس من فوقه بقصد رفع صوته وتوصيله لاكبر عدد ممكن من المستمعين فهو منبر، ومن ثم «فالميكروفون» منبر والاذاعة منبر والتليفزيون منبر وشريط الفيديو منبر ومحطة الإرسال والبث الفضائية منبر وكل منها اما ان يكون منبرا للخير والحق والهدى، وإما أن يكون منبراً للشر والباطل والضلال. وبهذا المعنى يكون تطويل المنابر، وهو تطويل قد وصل إلى آخر مداه وهو وصول صوت الخطيب او المتحدث إلى كل مكان على ظهر المعمورة او المسكونة كما يقولون.

(وصُوِّرت المساجد) وفى هذا اشارة واضحة إلى إختراع آلة التصوير (الكاميرا) وتطورها عبر أجيال حتى الكاميرا الألكترونية الخاصة بالتليفزيون والفيديو والسينما وكاميرا الاعماق تحت الماء والكاميرات الفضائية فى الاقمار الصناعية وفى المحطات الفضائة والكاميرات الطبية الدقيقة وكلها أو جلها بعدسات مجمعة للضوء. فالكاميرا تصور على ورقة أو أفلام اى لوحات من مواد خاصة ومن خلالها تشكلت الحياة المعاصرة شكلا جديداً لم تعرفه البشرية من قبلها بخاصة ومن قبل سائر المخترعات الأخرى بعامة، وسبق أن ذكرنا أن الكاميرا مذكورة ضمنا فى قوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [١/ التكوير] إشارة للعدسة التى تجمع شعاع الشمس.

ومما صورته الكاميراً وشاع وانتشر وملأ بيوت المسلمين مرفوعه على جدران منازلهم حبا وكرامة صورة المسجد الحرام وصورة المسجد النبوى الشريف.

وكذلك صُوِّرت المساجد بعامة والمساجد الحرام الثلاثة بخاصة فى الحرام المكى

---

(١)، (٢)، (٣) ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة/ ـ ٥/ ص ٣٨٠.

والحرم النبوى وحرم القدس من خلال كاميرات التليفزيون فى المناسبات والاعياد الاسلامية فتصوير المساجد مذكور هنا باعتباره اشارة الى آلة التصوير، وإلى دخول صور المساجد الحرام كل بيوت المسلمين على شاشة التليفزيون وكذلك غير المسلمين لتكون تذكيراً ومتعة للمؤمنين ودعوة وإقامةً للحجة على الكافرين.

(٣) معالم الفساد فى الإحوال الدينية:

يتوهم بعض المسلمين ان كل ما ورد فى القرآن والسنة من أشراط أو أمارات أو آيات للساعة، كله من قبيل المعاصى والآثام، وهذا ليس صحيحا، وإن غلب على هذه الاشراط أنها من معالم الفساد والإفساد. وقد يفهم البعض كثيراً من هذه المعالم بأعتبارها نهياً وتحريما من الشارع الحكيم لها. فيحرم هذه الافعال مثل تحلية المصحف أو تطويل المنبر حتى أن بعض السطحيِّين والظاهريِّين ضيقى الافق يرفضون تطويل المنبر أو زيادة عدد درجاته عن الثلاث التى كان عليها منبر الرسول الله ﷺ فى حياته.

وهذا خطأ منهم لان نصوص أشراط الساعة تتحدث عما سيكون سواء كان هذا الحدث فى مجال المعصية او الطاعة أو فى المجال المحايد وتعنى به ما يخص الامور والأشياء التى يمكن استخدامها فى الطاعة، كما يمكن استخدامها فى المعصية، مثل السلاح ورباط الخيل الذى أمرنا الله تعالى أن نُعُدِّه لـلكافرين، هى نفسها موجودة عند الكافرين وهى بالنسبة لاستخدامهم لها ضد المسلمين عدوانا وظلما كفر منهم، اما إذا استخدمها المسلمون للدفاع عن انفسهم ولنشر دين الله بغير اعتداء على أحد فهى جهاد فى سبيل الله يثابون عليه.

لقد علمنا المعنى الواسع لتطويل المنابر، فهل فى هذا الاستخدام للميكرفون والارسال اللاسلكى بدعه او ذنبا أو معصية؟!.

وحيث لم يرد ما يحرم تحلية المصحف أو زخرفة المسجد أو تطويل المنبر او تصوير المساجد وجميعها من اشراط الساعة وأماراتها الدالة على القرب الزَّمنى لوقوع عذابها، أعاذنى الله تعالى منه وكل المسلمين المؤمنين واهلنا وأصحابنا جميعاً، فإنها

تكون مذكـورة في هذين الحديثين وغـيرهما باعتبـارها مجرد امارات وأعلام للـقيامة الصغرى، وليس وجه الدلالة على القرب الزمنى لـها هو الناحية الدينية فيها، بل وجه الدلالة هو في الناحية التقنية فيها، وبالرغم من ان كثيراً منها يدور حول المسجد والمنبر والمصحف إلا ان هذه الـثلاثة الرئيسية لم تـذكر لذاتها وانما ذكرت لما طرأ عـليها من تقدم تقني معماري وزخرفي وفي فنون الطـباعة ووسائل الاعلام السلكي واللاسلكي المسموع والمرئي.

لذا فقـد صنَّفْتُها ضـمن الأمارات التقنـية والصناعيـة، اما الامارات الدينيـة فهي تنطوي عـلي كل ما حدث من أبنـاء الامة الاسلامية من تـفريط في عبادتهـم لله تعالى ومن إفراطهم في المعاصي والفسق، وكذلك ما أصاب بعض فئات من ابناء الامة من المجاهرة بالكفر المخرج عن الملة وإعلانه ذلك دون مواربة.

وافتخار الـبعض بانسلاخه مـن ثقافته الاسلاميـة، وانتمائه، الى الحضـارة الرومية الصليبـية المادية المعاصرة، بحـجة التنوير والعقـلانية والانتماء إلى العـلم وهؤلاء هم المستـغربون الذين يتـكلمون بألـستنا، ومن بنـي جلدتنا، ولـكن قلوبهم قـلوب الروم وعقولهم عقُول السـوفيت البائدين وأحلامهم أحلام الانعام: شهـوتي البطن والفرج، ودينهم دين المسيح الدجال:اللعب (الرياضة) واللهو (الفن).

أما سائر أبناء الامة من الكادحين، فهم جاهلون حائرون، إذ ليس أمامهم إلا علماء مقصرون، ومُفْتُون مضلون، وشباب متهوِّرون، ومخلصون عاجزون، من ذلك قوله ﷺ علـى رأس الإثنتين وسـبعين خصْـلة حسب روايـة حذيفة بـن اليمان (إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة) وإماتتها أي إهمالها تماما، حتى ترك الجمعات، هذا بالنسبة للامة الإسـلاميـة، وقولـه ﷺ «النـاس» أي أكثـرهم فـي الامة الاسـلاميه وفي غـير الامـة الاسلاميـة وهـذا هو الواقـع المعاصر لكـثير بل أكثـر شعُوب الامة الإسـلامية والامم الأخرى، وهـو أمر طـارئ لم يـكن في الـبشـرية مـن قبل، وهـو من أثـر المخطـطات الصليبـية الإستعمارية للانجليـز والفرنسيِّين وغيـرهم الذين لم يستطيـعوا أن يُدخلوا المسـلمين النـصرانيـة، فاكتـفوا بأن يُخْـرجوهم مـن عبادات الاسـلام وإماتة شعـائره

وشرائعة سواء أكـانت الشرائع التى على مستوى الافراد، أم تلك التى عـلى مستوى الشعوب وعلـى مستوى الحكومات. فإماته الصلاة لم يكن فى الأمـة إلا بعد سقوط الخلافة وبالتدريج، وكانت أشد ما تكون حتى عام ١٩٦٧ عام النكسة والهزيمة الكبرى ثم بـعدها بـدأ المصريون وغـيرهم فـى العودة إلـى ربهم، وأظـهرت ما أطلـقوا عليـه الصحوة الإسلامية، وبدأت المساجد تعمر بالمصلين وبخاصة الشباب، وهذه الصحوة هى مقـدمة لعودة الخـلافة، ففتـرة إماتة الصـلاة بلغت ذروتـها حتى عـام ١٩٦٧ عام الهزيمة الكبرى، التى بدأ على أثرها عودة الناس بعامة والشـباب بخاصة إلى الإسلام كافـرين بـدعوات الـقومـية والإشتـراكيـة واليـسارية ومـنظـمات الـشبـاب والإتحاد الاشتراكى مدركين ضلالات هذه الدعوات وصلتها بالصهيونية.

وعلى هذا فإمـاته الصلاة بدأ منذ الثلاثيـنات وبلغت ذورتها فى أواخر الـستينات ومن ثم جاءت هذه الأمارة على رأس كل الأمارات لسبقها جميعا فى الحدوث، وفى رواية على بن أبى طالـب (اذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة) وإضاعتهـا هى إماتتها من حيث الـنتيجة والآثـار السلوكـية، سواء الفرديـة منها والإجتـماعية، لان الـصلاة فى الاسلام تنهـى عن الفحشاء والمنكر، فإذا ضاعت أو ماتـت شاعت الفحشـاء وتفشى المنكر، ولذلك جـعلها الـصادق المصـدوق ، على رأس الأمارات الاثـنتين وسبـعين كلها، لأن أكثر ما سيأتى من أمارات بعد ذلك، وبخاصة الخلقية والإجتماعية، انما هو بسبب إضاعة أو اماتـه الصـلاة، كما أن الامارات التقنية والصنـاعية تزامن وتعاصر إماتة الـصـلاة.

لكن الـذى أود أن أنبه إليـه، وهو هام جداً، هو أن أمـارة تضييـع الصلاة وإماتـتها لاتخـص الامة الإسـلاميـة وحدهـا، حيـث سبـقت الأممُ الأخـرى نصـارى ويهـود وبوذيون وهنـدوك أمةَ الاسلام فى اضاعة الـصلاة وإماتتها فـخلت المعابد والـكنائس والبيـع من روادها عن كل الأمم كـما حدث عند المسـلمين، بل إنهـم جميعا سـبقوا المسلـمين فى ذلك، وبخـاصة الروم الأشرار، أو أوربا العـلمانية المـلحدة منذ مـطلع القرن الثامن عشر.

والدليل علي هـذا قوله ﷺ (اذا رأيتم الناس أمَاتُوا الصـلاة) وفى الرواية الأخرى (إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة) لأن ورود لفظ (الـناس) فى الروايتين يدل على أنه مقصود ومراد للشارع، وهو ليس بديلا عن المسلمين، بل هو مراد لذاته للدلالة على أن البشريـة سيأتى عليـها عصر تُعطـى ظهرها للإيمان بـالله سواء على سبيـل الشرك أم علي سبيل التوحيد قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعرف/ ٣١] روى إبن كثير والسيوطى فى الدر المنثور عن تـفسير هذه الآية قول العـوفى عن ابن عباس رضى الله عنـهما (كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهـم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يوارى السوأة وما سوى ذلك جيد البز والمتاع) وإن كانت هذه الرواية تتضمن سبب نزول هذه الآية، إلاَّ أنه حسب القاعدة التفسيرية القائلة أن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، فإن النداء فى الآية من رب العالمين سبحانه (لبنى آدم) أى للبشر جميعاً، ومعلوم أن لكل أمة مسجدا يـعبدون الخالق فيه حسب تـصورهم وعقيدتهم، ومن سـنن الله تعالى فى إستمرار حياة البشـر والمد فى أجل البشرية أن يكونوا على ديانـة، أى ديانة يقرون بها للخالق بـالنِّعم والربوبية، ويـعبدونه سواء علي سبـيل الشرك أو على سبيـل التوحيد، لأن هذا أدعى لـقمع الشرور والآثام والمـظالم وسفك الدمـاء والتخريب قال تـعالى: ﴿ .... وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج/ ٤] قال ابن كثير فى تفسيرها (أى لولا أنه يدفـع بِقَومٍ عن قوم ويكف شرور أناس عن غيرهم بما يـخلـقه ويـقدره من الأسـباب، لـفسدت الأرض، ولأهلك الـقوى الـضعـيف، ولَهُدِّمت صوامع» وهى المعـابد الصغار للرهبان قاله ابن عباس ومـجاهد وابو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهـم، وقال قتادة: هى مـعابد الصابئين، وفى رواية عنه صوامع المجوس، وقال مقاتل بن حـبان هى البيوت التى على الطرق «وبـيع» وهى أوسع منها وأكثر عابديـن فيها وهى للناصرى أيضـاً.... وحكى ابن جبير عن مجاهـد وغيره أنها كنـائس اليهـود، ...... وقوله «وصـلوات» قال العـوفى عن ابـن عباس «الصـلوات»

الكنائس وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة أنها كنائس اليهود، وهم يسمونها صلوات، وعن السُّدِّي عمَّن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس النصارى، وقال ابو العالية وغيره «الصلوات» معابد الصائبين وقال إبن أبى نجيح عن مجاهد الصلوات مساجد لأهل الكتاب ولأهل الاسلام بالطرق.

وقوله «وويذكر فيها اسم الله كثيرا» فقد قيل الضمير فى قوله: «يذكر فيها عائد إلى المساجد لأنها أقرب المذكورات وقال الضحاك: الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرا..... وقال بعض العلماء: هذا ترق من الأقل الى الاكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهى اكثر عماراً وأكثر عباداً وهم ذوو القصد الصحيح)(١) والذى أرجحه هو قول الضحاك وهذا القول الأخير لبعض العلماء وهو يتوافق مع نداء الله سبحانه لبنى آدم جميعا بأخذ الزينة عند كل مسجد، وليس كل معبد وكل بيعه وكل صومعة وكل كنيسة إلا مسجدا يعبد فيه الله ويذكر فيه الخالق عز وجل بدرجات متفاوته وإن لم تصح الاعبادة الموحدين المسلمين فحسب وهذا يتوافق مع قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [٢٥/ لقمان] فالكل يقرون بخالق لهم وللكون والكل يعبدونه ولكن بعضهم على سبيل الشرك وبعضهم على سبيل التوحيد، ولعل النداء لبنى آدم يأخذ الزينة عند كل مسجد هو من لوازم الفطرة التى يتمثل تحققها فى الأرض فى ذهاب كل أمة إلى معبدها فى عيدها الاسبوعى مرتدين أحلى ما عندهم من ملابس.

والنداء يدل على أن البشرية، عندما تكون كذلك، فهى فى حال خير من حال الإلحاد، وهجر المعابد وترك الكنائس والمساجد خَرِبَةً لأن ترك الصلوات والعبادة حتى التى تكون على سبيل الشرك إيغالٌ فى الضلال وبعد فى الكفر، وتعميم للشرور والمظالم. ومن ثم يكون هذا هو الفساد العميم الذى يسبق القيامة الصغرى، ثم لما تنتهى المساجد والمعابد كلها من الأرض فى جيل الاشرار يكون هذا إيذاناً بالقيامة الوسطي او بانتهاء الحياة.

---

(١) ابن كثير/ التفسير / جـ٣ ص ٢٢٦.

وذلك لأن نداء الله عز وجل لبنى آدم جميعا ان يأخذوا زينتهم عند كل مسجد يقتضى حتما أن يشمل مفهوم المسجد جميع معابد وكنائس وبيع وصلوات اهل الملل والنحل جميعاً، لأن النداء لبنى آدم جميعاً: مسلمين ونصارى ويهود ومجوس وهندوك وبوذيِّين وصابئة، فكانت الشعوب كلها ذات اديان ولها عبادات للخالق سبحانه.

أما فى القرن العشرين الميلادى المتقدم فهو قرن الالحاد والجحود بانتشار العلمانية والشيوعية والمذاهب المادية التى انتشرت من أوربا إلى قارات العالم وبخاصة فى شرق أسيا البوذية الصين وكوريا وفيتنام وغيرها. فهجرت الناس المعابد وكفروا بالخالق وبالعذاب الأخروى وساءت الحياة وكثر الفساد والشر نتيجة لاضاعة الصلاة وإماتتها وهذا المتحقق على مستوى البشرية، هو من أمارات قرب نزول العذاب على مستوى البشرية ايضاً وهو عذاب القيامة الصغرى.

وتبع إماته الصلاة أمارات دينية أخرى هى كما جاءت فى حديث حذيفة رضى الله عنه.

(والقراء فسقة) وهو وصف لعلماء آخر الزمان الذين يقرأون نصوص الوحى ويتعلمونها بعقولهم دون قلوبهم، ويعلمونها لتلاميذهم ويظلون على جهلهم بدينهم يحفظون متونا ونصوصا لا أثر لها على قلوبهم وسلوكهم. وهذا يكون فى زمن (عطلت الحدود) فيه فلا يقام لله تعالى حداً للزنا أو للحرابة أو للخمر أو للسرقة، ومعلوم أن هذا قائم فى مصر، وفى غيرها منذ أحل الاستعمار الصليبى القوانين الفرنسية، وغيرها محل الشريعة الإسلامية.

وهو الزمن الذى تُدرس فيه العلوم الدينية فى المعاهد والجامعات الإسلامية فى أكثر أوطان وأمصار الشعوب الإسلامية للحصول على المؤهل أو ما يطلقون عليه «الشهادة» التى يحصل بها حاملها على الوظيفة ذات الراتب، ومن ثم ورد من هذه الأمارات الدينية (وتُفُقِّه لغير الدين) ويفسرها قوله: ﴿وطلبت الدنيا بعمل الآخرة)

ويومها يعم الفسق حتى(علت أصوات الفسقة فى المساجد) وهذا يعنى طغيان الفسق فى الشوارع والبيوت حتى ضاقت به الشوارع والبيوت فطفح فى المساجد ليس هذا فقط، بل إن الفسقة صاروا اصحاب الكلمة فى المساجد حتى تعلو اصواتهم فيها.

ومن الأمارات الدينية السابقة على القيامة الصغرى مباشرة ما جاء فى الحديث بتعبير (وأتخذ القرآن مزامير) وهو ما تمثل اليوم فى رتل هائل من الأشرطة لقراء شبان يتنافسون فى اظهار حسن الاصوات تنافس المطربين، بينما يكون سلوكهم بعيداً عن تعاليم القرآن والسنة.

ومن هذه الامارات قوله: ﴿ولعن آخرُ هـذه الأمة أولّها﴾ وهو ما حدث ويحدث من العلمانيين الذين يحملون أسماءاسلامية وينتسبون إلى الاسلام بحكم الميلاد والأسرة، ولكنهم غربيون قلبا وإعتقاد وسلوكا، وهؤلاء يصفون الصحابة والتابعين وسلف الأمة بالرجعية والجهل والتخلف وغيرها مما يُعتبر سبّاً.

أما تفسير البعض بأن هذا ينطبق على بعض الشيعة الذين يتطاولون على كثير من الصحابة، فهو مما حدث فى عهد مبكر من تاريخ الإسلام فى أول الدولة الأموية، وليس من أمارات الساعة التى هى بين يديْها، والإمارة تقول (ولعن آخر هذه الأمة أولها) أى أنهم صنف جديد من المارقين لا إخالهم إلا العلمانيِّين والماركسيين ودعاة التغريب وأتباع الروم شرار الخلق.

أما الأمارات الدينية فى حديث على بن إلى طالب رضى الله عنه مما لم يرد فى حديث حذيفة السابق، فمنها ما جاء تفْصيلا لما أجمله حديث حذيفة وهو قوله (وقَلَّتْ العلماء، وكثرت القراء، وقلت الفقهاء)، وهو الحادث الآن بأنظمة التعليم بما فيها التعليم الدينى فى الأزهر وغيره، إذ كثر عدد القراء بهذه الأنظمة من غير أن يعلم هؤلاء القراء شيئا من دينهم، فلا تجد إلاَّ عددا قليلا من الفقهاء من بين الآلاف المؤلفة من حملة المؤهلات العليا وعددا قليلا من حملة المؤهلات الاعلى (الماجستير والدكتوراة) حتى أن الأزهر أطلق على هاتين الشهادتين (العالمية) فاعتبر ما دونهما

ليس بعالما وإنما هو قارئ وبالتالى لاتجد من أصحاب الدكتوراة إلاّ عدداً قليلا من الفقهاء، فانظر إلى ترتيب هذه الامارات القراء أولا وهم كثير، ومنهم قليل من العلماء، ومن هذه القلة العالمة قلَّة يمكن أن يوصفوا بالفقهاء، لان العالم هو الذى يحصل العلم من مصادره أما الفقِية فهو المجتهد المستنبط، وهو الاقدر على الفتوى، فإذا علمنا أن الامام النووى على سبيل المثال أفتى أفتى دون العشرين بقليل وتوفاه الله ابن اربعين، وقد ترك تراثا علميا عظيما، ظهر لنا معنى هذه الامارات المعاصرة. ومع هذا كله تفاجئنا الأمارة التى تقول (وكثرت خطباء منابركم) وهذا أمر آخر خطط له المستعمر ونفذه بكل الأساليب السياسية والإقتصادية والفنيّة (الكوميدية والدرامية) من خلال المسرح والسينما والتليفزيون.

وبيان هذا أن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، ومن ثم يلزم لكل مجموعة من الأزقة أو الحوارى أو البيوت مسجدا يقيمون فيه الصلاة ويلزم لكل ناحيه فى حى من الأحياء مسجدا جامعا للجمعات، وهذا يعنى حاجة الامة إلى أئمة للمساجد وللجوامع يخطبون الجمعات وهؤلاء يحتاجون إلى تأهيل واعداد منذ الطفولة ليكونوا صالحين بهذا. فلما قام المخطط الخبيث بتبغيض النشء فى هذه الاعمال بالسخرية منها فى اجهزه الاعلام من خلال مايسمونه الفن التمثيلى رغب الشباب عن أن يكونوا أئمة وخطباء في المساجد، مع ما اطلقو عليه تطوير الأزهر، وغير ذلك من أساليب هدم الدين، ومع تضاعف أعداد المسلمين فى اوطانهم أضعافاً، ومع إنشاء أحياء ومدن جديدة، وكثرة الزاويا والمساجد والجوا مع حدث عجز فى عدد الأئمة والخطباء. فتطوع المتطوعون من غير المتحصصين فى العلوم الدينية والذين ليس عندهم من المؤهلات الا انهم يقرأون، واعتلوا المنابر (وكثرت خطباء منابركم) و(صعد الجهال المنابر) فهى كثرة من حيث أنها أصبحت عملا مفتوحا للجميع، لإقامة الجمعات، ولم يكن بد من صعود الجهال المنابر، وهما أمارتان تعيشهما الامة هذا العصر.

وأما بالنسبة للعلماء فقد خصهم الحديث بأمارتين أو ثلاثة. وهى (وركن علماؤكم إلى ولاتكم) وهذا وإن كان حدث فى القديم قد حدث فى القديم نسبيا إلاّ

أن نسبة هؤلاء طغت على نسبة المخلصين، وبخاصة بعد الغاء هيئة كبار العلماء التى كانت تختار شيخ الأزهر من بينها، فكان إختياره من هيئة علمية مستقلة عن السلطة، فلما أُلغيت فى عهد الثورة غير المباركة صار منصب شيخ الأزهر بالتعيين، وطبيعى أن يعين الحاكم من العلماء من يطمئن إلى أنه سيركن إليه الا من رحم الله تعالى، وليس هذا فى مصر بلد الأزهر الشريف وحدها، وإنما هو عام فى الامة، حتى أن العلماء الذين كانوا يَعْتبرون أنفسهم حماة التوحيد في مواجهة أضرحة الموتى، وقَّعُوا بأسمائهم بالموافقه على الإستعانة بالطاغوت الاكبر أمريكا ومن معها لمواجهة التهديد العراقى فى فتنة إحتلال الكويت، وهم لايشعرون ولا يعلمون ولا يدرون أنهم اتخذوا من دون الله أولياء، بل إتخذوا اليهود والنصارى أولياء من دون الله عزوجل، فأى ركون هذا من العلماء إلى الولاة والملوك والرؤساء؟! ومن ثم وَضَّحَ الحديثُ أن الركون لهم يكون بإحلال الحرام وتحريم الحلال حسب اهواء ومصالح الولاة والملوك فقال (فأحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال وأفتوهم بما يشتهون)... أوَلَوْ كانت الفتوى شركاً؟! وما هذا منهم إلاَّ حرصا على الدنيا (وتعلم علماؤكم العلم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم).

(٤) معالم الفساد الخلقى:

هى مما يتبع الخصال الدينية السابقة بالضرورة، وهى كثيرة، وسيأتى الحديث عنّها تفصيلا فى باب الأمارات الخلقية، وانما نكتفى بانتقائها وإبرازها من بين الاثنتين وسبعين خصلة مع شرح مختصر، وهى في حديث حذيفة رضى الله عنه كمايلى:

(وأضاعوا الامانة، وإستحلوا الكذب، وإستخفوا بالدماء ويكون الكذب صدقا، وأُتمن الخائن وصُدِّق الكاذب، وكُذِّب الصادق، وفاض اللئام فيضا وغاض الكرام غيضا، وإذا لبسوا مسوح الضأن وقلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر، وتكثر الخطايا، والأمانة مغنما، وأُتخذ الظلم فخراً) وتزيد وتزيد فى عن رواية على بن أبى

طالب رضى الله عنه (وخُوِّن الأمين، وأُمناء خونـة) والاولى غير الثانية، وغير اضاعة الأمانة وغير الأمانة مغنما، فليس بينها تكرار، لأن كل واحدة تعبر عن سلوك مختلف عن الآخر، أو ظاهرة غير الظاهرة الأخرى، فإضاعـة الأمانة هى عين الفساد في جميع شئون الحياة، لأن الامانة هنا هى الغاية أو الهدف من كل عمل وكل وظيفة وكل إنشاء وكل مشـروع وكل مهمـة، إذ يكون القـائمون بهـذه الاعمال والمهـام أمناء علـى هذه الاهداف: الاطبـاء اهدافهم الـعلاج الصحـيح، كما تعـلَّم وكما يُـعلَّم، والمهـندسون الإنشاء بحسب قواعد الانشاء، مع مراعاة قـواعد الصحة والسلامة، والمدرس مهمته تربيـة النشء على الـقيم الخلقـية الفاضلة والـتعليم الـقويم، والشرطى حـفظ الامن، وهكذا، وكلهم راع وكلـهم مسئول عن رعيته، حتى الأبناء أمـانة في أعناق الآباء، ثم يكبروا فيصيروا هـم أمانة فى ضعفهم وشيخوختهم فـى اعناق الأبناء... وهكذا فإذا صار الربح هدف الـطبيب فيصف الدواء وهو يـعلم أنه لن يفيد المريـض أو سيسكن عنده الالـم أو وهو غير واثق مـن التشخيـص، فقد ضيـع الأمانة، واذا قبل المـهندس الرشوة لـيتغاضى عـن تنفيذ الـلوائح والقوانين المـوضوعه للسـلامة وللصالـح العام وحفظ نـفوس الناس، فقـد ضيع الامانة، واذا أهمـل المدرس فى تعلـيم الاولاد ولم يعط الشرح حـقه بقصد إجبار التلامـيذ على الدرس الخصوصى، فقـد ضيع الامانة. وإذا تحوَّل الشرطى إلى طـاغية يعذب من يشتبه فـيه بقصد الحصول على التـرقية فقد ضيع الامانة، وتحول من حافظ للأمن إلى معتـد ظالم مُضَـيِّع للأمن، وكم من ضابط للمباحث اعتدوا بالضرب والأذى حتى الموت على بعض مَنْ يقع تحت أيديهم، ومن ثم تحقـقت الخصلة القـائلة (وإستخفـوا بالدماء) وما ذلـك الا بسبب تضيـيع الحدود والقصاص، وإذا نـسبنا هذه الخصله لـلناس جميعا فإنـها تشمل مذابح المسـلمين فى فلسـطين والبوسنـة والجزائر وكل مكان. أمـا قوله ﷺ (والأمانة مـغنما) فهـى الأمانة المالية أيًّا كان شكل المال عقاراً أو غنما أو مواشى أو زراعة أو مال سائل إذا ائتمن أحدٌ أحداً علـى شئ من هذا وإسـتطاع أن يسـتولى عليـه فإنه يعـتبر غنـيمة أو مغـنما أى يستـحلها كمـا يستحل المحـارب المنتصر غـنائم الحرب، ومن ثـم فهذه الخصلـة غير

تضييع الامانة بالمعنى السابق، أما قوله ﷺ (وأتمن الخائن) فهو من إسناد الولاية أو الوظيفة أو المهمة إلى غير أهلها، الذين ينهبون المال العام، ويرتشون فيؤتمنون عليها مع العلم بأنهم غير أمناء، ولكن توليتهم لمجرد أنهم من حزب الحاكم، ومن أو ليائه، وهو مايعرف الآن بتولية أهل الثقة للحاكم، وهو غير ثقة لأهل الحق والعدل. فهذه الخصلة ربما تكون مشتركة بين الخصال الادارية والسياسية، وبين الخصال الخلقية، ولكنها للخلقية أقرب.

أما قوله ﷺ (وأتخذ الظلم فخراً) فهو الكائن من القَوِىّ الآن على مستوى الدول أى أنه صار نظاما عالميا يعبر عنه بيل كلينتون فى خطاب توليه كرسى الحكم لحساب اليهود بقوله (سنحاول أن نحقق مصالح أمريكا بالتفاهم والاساليب الدبلوماسية أولا فإذا لم تتحقق بها فسنحققها بالقوة) هل هناك ظلم عالمى غاشم أشد من ذلك.

وتتزل من العالمية إلى المحلية حتى «يتَفَرْعَن» ضابط المباحث فى قسم البوليس فيعذب حتى الموت، ثم يخرج مفتخرا بذلك أنه حقق أعلى نسبة من القَبض علىَ المجرمين ومن ثم فهو يستحق الترقية وجدير بها.

هذا هو الزمن أو العصر الذى فيها (صُدِّق الكاذب)، (وكُذِّب الصادق) وبالتالى كثر اللئام وقَلَّ بل ندر الكرام (وفاض اللئام فيضا) والفيضان أكثر من الزيادة، إنما الزيادة الطاغية، (وغاض الكرام غيضا) والغيض هو النقص إلى حد الندرة النادرة وبالتالى (تكثر الخطايا) والمخادعون منَ هؤلاء اللئام يلبسون رداء أهل الاخلاق العالية والقلوب الرحيمة (وإن لبسوا مسوح الظأن وقلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر) أليست هذه هى أخلاق (الجنتل مان) عند الأوربى الصربى وغير الصربى من الروم الأشرار الذين تجد منهم لينا فى الكلام وتهذيبا فى المعاملة ورقة فى الحديث، حتى يخيل إليك أنك تتعامل مع ملائكة (من فضلك، ولو سَمحت وشكرا أو مرسيه وثانك يو، وتفضل، وأنا شديد الأسف، وغير ذلك من الكلمات....) وهو ينحنى لك كلما تحدث ويقدمك على نفسه فى كل شىء، ثم إذا تمكنوا من المسلمين لا يَرْقُبُون فيهم إلاًّ ولاذمة، فيذبحونهم ذبح الشياه ويغتَصبون الفتيات حتى الصغيرات منهن

ويقطعون رقبة الطفل ويفصلون الرأس عن الجسد أمام أمه ثم يلعبون بها الكرة ويتركوا الام وقد فقدت عقلها بعد عِرْضِها، ومجازر جماعية وجثث متراكمة بعضها فوق بعض فى قبور جماعية.

هؤلاء هم الذين يلبسون مسوح الضأن، وقُلوبهم أنتن من الجيفة، وأقسى حتى من قلوب الذئاب. ذلك أن الحديث يتنَاول أحوال الناس كلهم قيل القيامة الصغرى وليس أحوال الأمة فقط كما ورد فى أوله.

أما قوله ﷺ (وأمناء خونة) فهو إشارة إلى وظائف باسم امين العهدة وأمين المخزن وامين الخزنة وأمين المؤتمر وأمين المكتبه وأمين الشرطة ثم هم جميعا خونة كما سيأتى شرح هذا بعد.

وهكذا يتبين لنا أن هذه الخصال لاتكرار بينها كما توهم البعض، وربما ضَعَّفُوا الحديث من أجله، وحاشا لله ولرسوله أن يكون فى نصوص الكتاب والسنة تكراراً، وإنما هى خصال مختلفة وأحوال مختلفة اقتضت تعبيرات مختلفة، وإن دارت كلها حول محور واحد هو الامانة. وصدق الصادق المصدوق ﷺ اذ قال للسائل عن الساعة (إذا ضُيِّعَتْ الامانة فانتظر الساعة، قال: كيف اضاعتها يا رسول الله؟ قال: اذا أسند الامر الى غير اهله، فانتظر الساعة) (١).

أيها المسلمون لقد ضاعت الامانة على جميع مستويات الحياة البشرية: عالميا وسياسيا وإقتصاديا وتربويا وعلاجيا وهندسياً وتقنياً وغير ذلك ألا فانتظروا الساعة، فإنها على الابواب، وهل يقول رسول الله ﷺ وآله لسائلة: فانتظر الساعة إذا ضاعت الأمانة، إلا إذا كانت على الأبواب.؟!

فليسأل كل منا نفسه: هل ضاعت ألأمانة بتوسيد الأمور إلى غير أهلها.؟ أى الأمانة فى كل أمر وكل شئ؟ فاذا كانت الاجابة بالإيجاب، فإن الساعة حقا تكون على الأبواب.

---

(١) صحيح البخارى كتاب الرقاق/ باب رفع الامانة .وفتح البارى (١١/ ٣٣٣).

(٥) معالم الفساد السياسى.

أول هذه الخصال فى الأحوال السياسية هى إضاعة الأمانة بمعنى توسيد الامر إلى غير أهله إبتداء من الوزير وما فَوْقه إلى الخفير وما تحته.

ويكفى هذا الحال من الفساد العام المنتشر، لذلك جاء الخبر عن (إضاعة الأمانة) رقم إثنيْن في ترتيب أحوال إقتراب الساعة بعد إضاعة الصلاة مباشرة، لان من نتائج إضاعة الصلاة إضاعة حق الله تعالى، وإضاعة الامة، ونتيجة اضاعة الامانة، اضاعة حقوق العباد.

ومن ثم فهى من الأصول الافسادية المشتركة فى كل المجالات الدينية والخلقية والسياسية والاقتصادية والتربوية والإجتماعية وغيرها. فلزم هنا التنوية لهذه الصلة التى بينها وبين الأحوال السياسية.

وبعدها فى الإثنَتين وسبعين الواردة فى حديث حذيفة رضى الله عنه مما يخص السياسية قوله صلى الله عليه وسلم (وكان الأمراء فجرة، والوزراء كذبة والامناء خونة والعرفاء ظلمة) ثم بعدها (وتغل الأمراء، وعطلت الحدود وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكا، وكان زعيم القوم أرذلهم، وبيع الحكم وكثر الشرط وفى حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه (وكثر الجور، وأمراء فجرة ووزراء كذبة، وأمناء خونة، وعرفاء ظلمة وعطلت الحدود، ونقضت العهود، ونقضت المواثيق، وصارت الأمارات مواريث، وكثرت الشرط، ووليت أموركم السفهاء) والمشترك بين الروايتين ما يخص الامراء والوزراء والامناء والعرفاء وعندما يكون الامير فاجرا ووزيرة كاذبا مخادعاً له ولسائر الناس، وكبار الموظفين أو رجال الدولة خونة، وهذا هو المعنى السياسى من عبارة (وأمناء خونة) بالاضافة إلى المعنى الخلقى الذى ذكرناه آنفا، فالأمناء فى النظام الإدارى السياسى هم الموظفون من درجة وزير فما دون ذلك بقليل، أما (العرفاء الظلمة) فهم صغار الموظفين سواء في الشرطة أو غيرهم، وهم أيضا ظلمة. متى يكون هؤلاء جميعا؟ الاجابة فى زمن تعطيل الحدود

(وعطلت الحدود) وزمن نقص العهود على المستوى العالمى وعلى المستوى المحلى، أمريكا وإسرائيل ينقضون العهود والمعاهدات والمواثيق ويخونون ما وقّعُوا عليه أمام البشر جميعا على الهواء، ويرقصون بكل بجاحة تنفيذه ويطلقون على هذه الخيانة (فقد المصداقية) وكذا الحال بالنسبة لو عود الحكام والوزراء وعهودهم مع شعوبهم.

وقوله (وبيع الحكم) اشاره إلى الوصول إلى الحكم بالانتخابات فمن يملك المال الخاص بالدعاية يحصل على الكرسى أو يوصل من يريد إليه.

والأمارات أو الوظائف السيادية صارت مواريث الآبناء بعد الآباء، حتى الدرجات العلمية فى الجامعات صارت أيضا مواريث.

ومن ثم تولى السفهاء أمور الناس (ووليت أموركم السفهاء) وهذا عجيب لأنه موجه للأمة دون سائر الناس، وهو الحادث فعلا والواقع عند كثير من الامصار العربية، وليس الدول الاوربية، أما (كثرة الشرط) فهو حال وأمارة وثيقة بأنظمة الحكم الإستبدادية التى تنشىء جيوشا مُجَيَّشة مسلحة بالاسلحة الثقيلة تابعه لوزارات الداخلية مع تدريبها على قتال الشعب باسم القضاء على حوادث الشغب وليس العدو، حتى صارت قوة الشرطة عند بعض الدول العربية الاستبدادية أعظم من قوة الجيش الموكول به قتَال الأعداء.

تلك هى معالم الأحوال السياسية لعصرما بين يدىْ الساعة.

(٦) معالم الفساد الإقتصادى:

الاقتصاد مثل السياسة كلاهما فرع من نظام الحكم، ولكنهما مثل سائر الانظمة الأخرى فى البناءالاجتماعى لصيقان أكثر من غير همامن الأنظمة فلا ينفصلان ولايفترقان. ومن ثم فإن فساد احدهما يتم متزامنا مع فَسَاد الآخر، وصلاحه بصلاح الآخر أيضا وكما ذكرنا من الخصال الإثنتين وسبعين، ما هو عناوين للفَساد السياسى نذكر فيها أيضا ما هو عناوين للفساد الإقتصادى.

ففى حـديث حذيفة رضى الـله تعالى عنـه قول النبى ﷺ (وأضاعـوا الأمانة) لان لهذه الخصلة جـانبها الاقتصادى مع جانبـيْهما الخلقى والسياسـى، ومن ثم لزم ذكرها هنا أيضـا (دونما تكرار) وجاء بعـدها مباشرة (وأكلـوا الربا) والربا هو عـنوان وأصل وأساس كل فساد إقتصادى وهو فوائد البنوك بـلاشك وهؤ النظام الذى صنعه اليهود بقيادة الدجال للاستيلاء على أموال البشر، وقَدْتم لهم ذلك بوضوح وجلاء.

ومن ينكر أن فوائد البنوك من الربا فهو كـمن ينكر أن النظام المالى الورقى الربوى العالمى وأنـظمة البنك العالمية والبنك الدولى وصـندوق النقد الدولى والنـظام المالى الدولى من صنع اليهود فى عصر الإفساد الصهيونى، بالرغم من أنه يعلم تماما أن هذا الانكار غـير صحيح، وبـخاصة بعدمـا أصبح الغطـاء للعملات المحـلية هى ماتمـلكه الدولة من دولارات، وكأن المالك الحـقيقى للمال هو البنك الدولـى وصندوق النقد الدولى والبنـك المركزى الأمريكى الذى يصدر أوراق الدولارات، ويـرفع ويخفض من قيمتها حسب مصالحهْم.

إن الربـا فى الـعصر الـذى تعيش البـشرية الآن قَـدْ عَمَّ وإنـتشر وأحـاط بالـناس إحاطةالهواء بهم فلا ينجو منه أحد، فعـن إبن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال (بين يدىْ الساعـة يظهرالـربا)(١) والظـهور يعـنى سيـادة هذا النـظام وإنتـشاره، والواقع المعاصر يقول أن انتشاره على مستـوى البشرية وليس على المستوى المحلى أو على مستوى الامة، وهذا معنى ظهوره، فمن أنكر إن الـفوائد البنكية ربا فليقل لنا أين الربـا؟! أم أن البشريـة أو الامة الاسلامـية تعيـش عصر الـعدل والإنصاف وظـهور الزكاة والإحسان والـبر وتطبيق أحكام الـشريعة وإقامة الحدود؟! وإذا لم تـكن فوائد البنـوك ربا فهل سـيطر اليـهود فى افسـادتهم المعـاصرة على امـوال البشريـة بالحلال الخالص؟! روى الامام أحمد وابو داود والنسائـى وإبن ماجة والحاكم عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لَيَـأْتِيَنَّ على الناس زمان لايبقى منهم أحد إلاَّ أكَلَ الربا، فمن لم يأكله أصابه غباره) (٢).

(١) رواه الطبرانى والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣١/٩ وقال رواته رواة الصحيح.
(٢) قال الحاكم: صحـيح إن صح سماع الحسن عن أبى هريـرة وقال الذهبى مُعَقِّباً وسمـاع الحسن عن ابى هريرة ثابت، فالحديث بهذا صحيح.

وعن إبن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: بين يديْ الساعة يظهر الربا والزنى والخمر) (١) ألم تظهر هذه الثلاثة وتنتشر وتُسْتَحل بالقوانين الوضعية في بلاد الروم الأشرار أولا، ثم في أمصار الامة الاسلامية وفي بقية بلاد ودول العالم؟! فأين الربا إذن المتزامن في ظهوره مع الزنى والخمر، إذا لم تكن فوائد البنوك هي الربا؟! (ويكون الحكم مغنما) أي أن تؤدي السياسة والحكم للغنى والثروة، والغنى والثروة الطائلة توصل أيضا للحكم، فكل منهما يوصل للآخر في علاقة جدلية متبادلة، (وكانت الزكاة مغرما) وذلك بعد أن أصبحت نظاما اقتصاديا معطلا حلت محلها الضرائب بأنواعها، ودافعو الضرائب لايستطيعون أن يفلتوا من دفعها، وإلاَّ تعرضوا للعقوبة التي تصل إلى السجن ومصادرة الأموال، ولكنه يستطيع أن يترك الزكاة بدون عقوبة ومن ثم يرى دفعها مغرما.

(وضيَّعتم حق الله في أموالكم) وهذه الامارة غير سابقتها لأن تَضْييع حق الله في المال هو رفض دفع الزكاة، ورفض الإنفاق ثم أخذه وتضييعه اسرافاً وبداراً وبذخا في المحرمات أو صرفه في غير مصارفه الشرعية سفهاً وطيشا، أما الذي يرى أن الزكاة مغرم فهو إلى الكفر أقرب، لانه لايسلم صراحة بشرعيتها أو ربما يضمر هذا في نفسه، كما أن هذه النظرة للزكاة هي نظرة الكافر بهذا التشريع الاقتصادي الاساسي في الاسلام، أما تضيع حق الله في الاموال فهو ينطبق على من يحجب حق الله وهو الزكاة في المال، ثم هو ينفقه سفها وطيشا واسرافا وبداراً ومن ثم تكون هذه الامارة خاصة بالدول الغنية الاسلامية أكثر من اختصاصها بالافراد، والدليل على هذا أنها جاءت بصيغة الجمع والمخاطب والبناء للمعلوم بخلاف صياغة الامارات الأخرى. ويدل ضمير المخاطب الجمع في العبارة (وضيَّعتم حق الله في أموالكم) أن المخاطب هنا على الأغلب هم عرب الجزيرة، في عصر البترول والغنى الفاحش، وحق الله في اموالهم المستخرجة من باطن الأرض هو زكاة الركاز وهي الخمس، فهل دفعوا لبقية الأمة الإسلامية هذه الزكاة؟! وهل سلحوا جيش البوسنة والهرسك من هذه الاموال؟ أم أن حكومة ماليزيا هي التي فعلت، وهي ليست دولة بترولية؟! فكان جزاؤها من الصهيونية الخبيثة أن إنخفضت عملتها بمقدار الثلث، كما إنهار اقتصادها بعداستيلاء الصهيونية على أرباحهم التي جنوها من كد وعرق

---

(١) رواه الطبراني وقال المنذري في الترغيب والترهيب رواته رواه الصحيح.

وعمل عشرين عاما.؟! خطفوه منهم ومن أندونسيا وغيرها من بلاد شرق آسيا فى ساعات. ومن خلال النظام الربوى البنكنوتى البورصوى الذى أقاموه وعمموه فى كل الدنيا، ومع هذا يخرج علينا من ينكر ربوية البنوك.

عندما سمعت : قول القائل:فوائد البنوك ليست من الربا، بحثت عن المرابى اليهودى «الرهناتى» الذى كان يقرض «بالفايظ» أى بالزائد أصحاب الحاجة الماسة، ويأخذ ضمانا لحقه اسورة ذهب أو عقدا أو وثيقة ملكية عقار، فلم أجده، لقد إختفى من الدنيا كلها. إذن لقد تطهرت الأرض من الربا، بمقتضى هذه الفتوى. لكن لم أجد فى اشراط الساعة خبرا عن الصادق المصدوق ﷺ بانتهاء الربا من الأرض، بل أخباراً وأخباراً كثيرة صحيحة عن إزدياد الشر فى الأرض يوما بعد يوم، وفى كتاب الله تعالى فى سورة الاسراء إخبارٌ بعلو اليهود الكبير بالافساد العظيم، وتحول المرابى اليهودى الرهناتى إلى بنكمثل تنين عظيم إلتهم كل الحيات والثعابين وصار وحشا عظيما له سبعة رؤوس وإبتلع كل مال البشر من خلال تحويل الذهب إلى ورق والربا إلى فوائد من قبيل إعطاء الأشياء والمفاسد الصهيونية غير أسمائها.

صدقت ياحبيبى وياسيدى يارسول الله، بأبى أنت وأمى، لقد أكل الناس الربا ومن كتب الله تعالى له النجاة من أكله فقد أصابه غباره. وظهرت وعمت ثلاثية الافسادة اليهودية الكبرى: الربا والزنى والخمر (المخدرات) فهل ينكر هذا عاقل؟!!

ومن خصائص هذه الافسادة الاقتصادية قوله ﷺ (وتظهر الصفراء) يعنى الدنانير وايضا (وتطلب البيضاء) يعنى الدراهم وهذا يدل على كثرة المال وكثرته تدل على الغلاء فى الاسعار والتضخم المتعاظم سنة بعد أخرى، بلا توقف بسبب فساد النظام المالى البنكنوتى وربويته.

وكذلك تصبح الامارة سبيلا للنهب والغنى وبخاصة من المال العام فقال (وتغل الامراء) وهو مايعرف بالفساد حتى تقرأ عن رئيس جمهورية كوريا الجنوبية الذى حصل على ملايين الدولارات عمولات من صفقات حكومتة مع شركات عالمية كبرى وينتهى به الامر إلى السجن وأيضا قوله (ويكون الحكم مغنما) من هذا الوجه، لأن الحكام يعلمون أنهم يحكمون لمدة محدودة هى خمس أو أربع سنوات وقد

تتكرر مرة واحدة ومن ثم فهو ينتهز الفرصة قبل انتهاء المدة ليغتنم من المال والمصالح بقدر ما يستطيع.

ومن الخَصائص أو الأحوال الاقتصادية قولـه ﷺ (وأُتخذ المغنم دولا) أى تصبح الثروة القومية ملك نسبه ضئيلة جدا من الناس هم الحكام واعوانهم ومن حولهم وإذا انتهى عهد إفتقر رجال هذا العهد وظهر الغنى على رجال العهد الجديد وهكذا.

(٧) معالم الفساد الإجتماعى والإسرى

وأولها (وتَـقَطَّعَتْ الأرحام) وهـذا من الفساد الـذى ليس بعـده فساد لان التعبير بالتقطـيع بالطاء المشددة يدل عـلى كثرة المواليد غيـر الشرعيين أى مواليد الـزنا الذين لايعرفون آباءهم وربما أيضا أمهاتهم فصـارت الأرحام مقطعه غير مقطوعة والأرحام المقَطـوعة هى من قبـيل عقوق الوالـدين وإهمال الاخوه والأخـوات والاقارب. وقد تحقق هذا بـالاولى، أما الخصلة الاولى فـهى من تفشى الـزنا (وفشا الزنا) تفـشى الزنا يعنى انتـشاره وظهوره وتحوله من منـكر إلى امر معروف وهذا هو حـال أهل الغرب فى هذا العصر.

ويصاحب هذه الخصال الإجتماعية الفاسدة العقوق (وعق الرجال أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع زوجـته) واتخذت القيان والمعازف) وهما مرتَـبطتان لان الرقص لايكون الا مع المعازف أى الموسيقى ومعهما الخمر (وشربت الخمور فى الطرق) أى على المقاهى والكازينوهات وبيوت اللهو وعلى البلاجات وغيرها وهذا يصاحبه أيضا الانحرافـات الجنسية والـشذوذ (واستغنى الـرجال بالرجال والـنساء بالنـساء) أى فى قضاء شهواتـهم وكل هذا جرَّه عليهم الاخلاق والخـصال الاجتماعية التى عـبر عنها الحديـث بقوله ﷺ (وتـشبه الـرجال بالـنساء والنساء بالـرجال) فى الـعمل والملـبس والعادات وصـار (الحرير لبـاسا) واصبح المجـتمع مفـككا والاسرة الـتى هى الخلـية الأولى فى بـناء المجتمع منـهدمة (وكثر الـطلاق) فى هذه المجتـمعات الغربيـة وحتى الاسلاميـة ومن ثم أدى هذا أن تـكثر الخطـايا حتى أصـبح المنكـر معروفا والمـعروف منكراً كما سنرى هـذا فى الامارات الخلقية تفصيلا فى ابواب لاحقـه باذن الله تعالى وعونه وتوفيقه.

(٨) الحكمة من ورود الاثنتين وسبعين أمارة وعلامة مختلطة بدون تصنيف: .

لاشك أن أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ كلها وحى من الله تعالى فهو صلى الله عليه وسلم لاينطق عن الهوى، ومن ثم فكلها حكمة ومن الحكمة التى تنطوى عليها الاحاديث صياغة عباراتها وترتيب جملها.

وكما رأينا فى حديثى الاثنتين وسبعين جاءت الامارات والعلامات مختلطة أى غير مصنفة وانما قمت بتصنيفها ليسهل شرحها وبيانها واثبات مطابقتها مع الواقع البشرى المعاصر، أما الحكمة من اختلاطها وورودها غير مصنفة فهى متمثلة فى مطابقتها للواقع الحياتى المعاصر للبشرية بعامة وللأمة الإسلامية بخاصة. هذه المطابقة هى التى تقتضى ورودها مختلطة وليست مصنفة، كما فعلت فى شرحها. لانها في الواقع الحياتى المعاش مختلطة مؤثرة ومتأثره فاعلة ومتفاعلة كالعناصر الكيماوية المتعددة فى التركيب الكيماوى الواحد، أو كالعناصر المتعددة في التركيب الدوائى الواحد. كذلك هذه الاحوال والخصال والاشياء والمخترعات كلها متفاعلة ومختلطة وممتزجة وليست متفرقة أو منعزلة بعضها عن بعض. والاحاديث الخاصة بالاشراط وغير التى تخص الاشراط أيضا مادامت قد صدرت عن الفم الطاهر المطهر للصادق المصدوق أبى القاسم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلابد ان تكون مطابقة للواقع الذى تتحدث عنه.

ولما كانت هذه الامارات جميعا مختلطة وممتزجة فى الواقع، ذكرها النبى ﷺ ايضا مختلطة ممتزجة غير مُصنَّفة ولم يكن تصنيفها الا بقصد الشرح والبيان، وحيث أن ماورد عن رسول الله ﷺ فى السنة الشريفة فيما يخص أشراط الساعة كثير يملا مجلدات بأكملها لانه جاء مفصلا، ومصنفا بحيث يتناول الحديث الواحد أمارة بعينها تنتمى إلى الناحية الدينية، وأخرى تنتمى لناحية الإقتصادية وثالثة للناحية التَّقَنِيَّة والصناعية والمدنية وهكذا، ومن ثم فانه يكون من الأوفق والأنسب أن نَنْتَقى من السُّنَّة ما يخص كل ناحية من نواحى الحياة من الامارات ونجمعها فى باب خَاص، وهذا ما سيقرأه القارئ فى الابواب التالية بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه.

لكن لَمَّا كانت السُّنَّة الشريفة قد تضمنت هذين الحديثَيْن الشريفين الجامعيْن لكل الأمارات والعلامات مختلطة، لحكمة المطابقة مع الواقع، حيث تكون في الواقع ممتزجة ومتفاعلة، فقد أوجبت علينا الامانة العلمية، وبخاصة أمانة التبليغ أن نبدأ بهذا الباب الأول الجامع لهذه الامارات، وبالرغم من أن هذا قد يجعل القارئ متوقعا للتكرار فإن الذى توخَّيتُه بحرص هو تجنب التكرار لأن ما هو في هذا الباب مجملا مضمرا مختصرا سيجده القارئ باذن الله تعالى وعونه وفضله وفضله مُفَصَّلا بأحاديث ونُصوص صريحة باسطة، تماما كما فَصَّلتْ السنة الأمارات التقنية والصناعية كما عَرَضْتُهُ وعَرَضْتُهُ فى الجزء الثالث الذى سبق هذا الجزء بعون الله تعالى وحوله وقوته وحده، فى حين عرضتُ نفس هذه الأمارات عرضاً إجماليا مختصراً من خلال شرح بعضها الذى ورد إجمالاً ضمن الاثنتيْن والسبعين أمارة كما مَرَّ بنا آنفا. ولايمنعنا تَوخِّي عدم التكرار إعادة ذكر أسماء الأمارات التى نكون بصدد شرحها وبيان مطابقتها.

ولاشك أن أعظم فائدة نخرج بها من هذا الباب هو الشعور والاحساس العميق بأن ماتعيشه البشرية بعامة وما نحن عليه أمة الاسلام بخاصة من أحوال هى أننا يجب أن نرتقب الخسف والقذف والمسخ والزلزلة العظمى، ومن يرفض هذا العلم اليقينى فليعلم أنه من الغافلين وليراجع نفسه.

الباب الثانى

الإمارات الخلقية والدينية بين يدى عصر الآيات وهى من ارهاصات القيامة الصغرى

(٩) شيوع الخصال والعادات السلوكية المنكرة بعض نتائج مخططات الإفسادة الأخيرة لليهود فى الأرض بقيادة الدجال.

(١٠) الامارات الخلقية فى السنة الشريفة أدلة صريحة على أن القيامة الصغرى على الابواب.

(١١) متى تكون مرحلة دعاة الضلالة، ومَنْ هم الذين مِنْ ورائهم؟!

(١٢) من دعاة الضلالة من يلبسون ثياب علماء الدين.

(١٣) التغير فى أخلاق الأمة الإسلامية من ارهاصات القيامة الصغرى

(١٤) الفساد الدينى والتغير النفسى فى أبناء الأمة من أمارات القيامة الصغرى.

(١٥) آفتان نفسيتان لاهل آخر الزمان فى عهد الجبابرة.

(١٦) الفساد والنفاق بطول حتى بعض العلماء والفقهاء والقراء

(١٧) أخلاق المنفعة والمصلحة وما يترتب عليها.

(١٨) انهيار القيم الخلقية فى سنوات ماقبل نزول عذاب القيامة الصُغّرى.

(٩) شيوع الخصال والعادات والسلوكيات المنكرة بعض نتائج مخططات الافسادة الأخيرة لليهود فى الأرض بقيادة الدجال:

جاء فى البروتوكول الرابع من بروتوكولات صهيون (والحرية فى الموطن الذى ذكرناه الآن، لا تكون ضارة، ويمكن أن تجد لها محلا فى إقتصاد الدولة، دون أن يسبب ذلك أى أذى للناس فى رفاهيتهم، وذلك الموطن هو أن تقوم الحرية على أساس الايمان بالله (تعالى) وأخوة الانسانية، غير متعلقة بعقيدة المساواة، وهى العقيدة التى تنفيها نواميس الكون، وهذه النواميس أوجبت وقوع التباين فى المخلوقات بالخضوع والإتباع، فإذا ساد الايمان بالله (تعالى)، فيمكن أن يحكم الشعب بأن تقسم الأرض الى أقاليم، وعلى كل اقليم راعيه الوصى، فيسير الشعب راضيا قنوعا، تحت ارشاد الراعى الروحى، إلى مافيه مشيئة الله على الأرض(*).

وهذا هو السبب فى أنه من المحتم علينا أن ننسف الدين كله لنمزق من أذهان الغوييم(**) المبدأ القائل بأن هناك إلها ربا، وروحا ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية، ولكى لا نعطى للجوييم وَقْتًا من التفكير والرؤية، فيجب تحويل أذهانهم إلى الصناعة والتجارة، وبهذا تُبتلع جميع الأمم، وهى مشغولة بالإنسياق وراء الكسب والغنم، فتلهو بما فى أيديها ويلهيها ويصرفها ذلك عن الإلتفات الى ماهو فى نظرها العدو المشترك.

ونقول مرة أخرى، إنه من أجل أن نرى الحرية قد سببت ملاشاة الغوييم الى آخر أثر، يجب أن نضع الصناعة على قواعد التنافس والمزاحمة، ونتيجة ذلك أن ما يسحب من البلاد بالصناعة ينزلق ويتسرب الى الأيدى، ويمضى إلى المضاربة ونهايته بعد ذلك الينا، فيستقر فى حيزٍ طبقاتنا نحن.

(*) أغلب الظن أن الذى ألقى هذه البروتوكولات على خبثاء صهيون هو المسيح الدجال، وهو يبين لهم فى هذه السطور كيف تقوم خلافة الله تعالى فى الأرض، ثم يذكر فى السطور التى ستليها كيف يحول هذه الخلافة من أن تكون نيابة لله تعالى بالحياة وفق مشيئته سبحانه المتمثلة فى الشريعة الاسلامية الى أن تكون نيابة للشيطان بفتح باب التنافس على الدنيا والمال والرفاهية فلا يكون لهم من هدف أعلى سوى الرخاء والتقدم والتنمية وقد نبهنا رسول الله ﷺ الى أنها أعظم الفتن المهلكة بقوله (لا الفقر أخشى عليكم وانما أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها بينكم فتهلككم كما أهلكتهم).

(**) الغوييم وبعضهم يترجمها الجوييم بالعبرية تعنى الكافرين، ويطلقها الصهاينة واليهود على كل من ليس يهوديا. كما أن المسلمين يطلقون على كل الذين ليسوا مسلمين كافرين، بيد أن اليهودية صارت دينا عصبيا قبليًا اذ قصروه على كل من هو من بنى إسرائيل، أما فى الاسلام فيكفى النطق بالشهادتين لانتقال الانسان الناطق بهما من فئة الكافرين إلى فئة المسلمين.

والصراع العنيف في طلب التفوق والغلبة، والهزات التي تصيب الحياة الاقتصادية، كل ذلك سيخلق، بل خلق الآن، جماعات وطوائف من الناس ذاهلة تعروها البرودة، وكأن أفئدتها قد تهاوت وفرغت، وهذه الجماعات سيطر عليها ما يُنمي في نفسها المقت للجو السياسي الذي فوقها والدين، فلا يبقى لها سلوى إلاَّ أن تغتبط بجمع المال والكسب، أعني الذهب الذي ستعبده، وتفنى في سبيله من أجل أن تنال به ما تبتغيه من حاجات محسوسة.

ثم تدق الساعة، فإذا بالطبقات السفلى من الغوييم تنضوي إلى قيادتنا في الزحف لتحطم خصومنا المشرئبين الى السلطة، وهم أهل الفكر في الغوييم فيرون في هذا الدور النهاية.

والدافع لتلك الطبقات السفلى في الاستجابة لنا، لا إحراز المغانم، ولا جمع المال، بل للثأر من تلك الطبقة الفكرية التي حانت الآن ساعتها لتلقى المصير الذي ينتظرها)(١).

يعترف زعيم خبثاء صهيون في هذا البروتوكول بأن الحرية اذا كانت مؤسسة على عقيدة الايمان بالله تعالى وحده فانها تكون ذات فاعلية ايجابية خيِّرة في الناس، ويمكن أن يتأسس ويقوم عليها نظام سياسي لا مركزي ينبني على ثقة الناس في الولاة الذين يقومون عليهم ويقيمون فيهم حكم الله تعالى، ولاشك أن هذا النموذج الذي تحدّث هذا الخبيث عنه هو الخلافة الاسلامية بل لم يكن هذا سوى وصف لمجتمعات الأمة الاسلامية والولاة الذين كان يوليهم الخليفة في المدينة ثم دمشق ثم بغداد ثم استنبول.

ومن ثم قرر الخبثاء ـ بناء على وعيهم بهذه الحقيقة السياسية التاريخية ـ القضاء على الايمان بالله تعالى في نفوس الناس جميعا بعامة وفي نفوس أبناء الاسلام بخاصة، فنشروا الالحاد وانكار وجود الخالق سبحانه، وإحلال الايمان بالمادة وحب المادة وعبادة الذهب محل الايمان الفطري بالله تعالى .

وفي نفس الوقت لا يهدمون الإيمان بالله في نفوس اليهود حتى يستخدموا عقيدة شعب الله المختار لتحقيق مخططاتهم وأولها طبعا عودتهم الى فلسطين وبناء الهيكل، ولكن لأن هدف زعيمهم الدجال على المدى البعيد ادعاء الربوبية وفرض ألوهيته

(١) الأستاذ عجاج نويهض/ بروتوكولات حكماء صهيون، نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية، دار الاستقلال للنشر/ بيروت ص ٢٠٠.

على كل البشر عمد الى تحريف مفهوم الربوبية عند الناس بعامة وعند اليهود بخاصة فهو الذى وراء نشر فكرة بنوة المسيح لله تعالى عند النصارى ومن قبلها بنوة بوذا عند البوذيين وبنوة عزير عند اليهود حتى إذا أعلن أنه ابن الاله الذى جاء متمثلا فى العزير أو بوذا أو المسيح، وأنه هو الاله الرب تجسّد ونزل أميراً للسلام، كما نزل من قبل متجسداً فى هؤلاء الثلاثة حسب هذه العقائد الشركية الباطلة، ومن ثم يصدّقه أتباع هذه الأديان عندما يخرج فى خرجته العلنية الأخيرة ويتبعونه ويعبدونه، تلك هى خطته طويلة الأمد، وأما مخططاته بعد ذلك: الفكرية والمالية والسياسية والعسكرية، فليست إلاّ خطوات تنفيذية لهذا الهدف الاستراتيجى الدجالى يقول واضع البروتوكولات للخبثاء الحاضرين فى هذا المؤتمر (وإيّاكم أن تعتقدوا، ولو للحظة واحدة، أن ما أقول هو الكلام القليل الجدوى، فما عليكم الا أن تتفكروا فى ما صنعنا لانجاح النظريات الداروينية(*) والماركسية(**) والنيتشية(***). أما نحن اليهود فما علينا إلاّ أن نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من أثر خطير فى التلبيس على أفهام الغوييم فى هذا المجال)(١).

ذلك أن هؤلاء الثلاثة الذين أعلن عنهم هذا الدجال فى هذا المؤتمر هم تطبيق لمقررات ومخططات خبيثة للصهاينة فى مؤتمرات سابقة وجميع مخططاتهم ماهى إلاّ عمل مشترك بين إبليس الجنى وبين هذا الشيطان الأول فى الانس وهو الدجال لاتخاذ ابليس نصيبه المفروض من العباد وأول من اتخذه من الناس جنديا وصوتا له يضلل به العباد هو هذا الدجال والذين اتخذهم الدجال فئة له وجنوداً يضلل بهم سائر البشر هم اليهود أى الكفرة من بنى إسرائيل.

وتكفير الناس يكون باخراج الناس من النور الى الظلمات، وهو الجبت وأتباعه المقربون هم الطاغوت وهدفهم تفريغ أفئدة الناس من النور الفطرى وتفريغ عقولهم وصدورهم من النور المنزل أى هدىْ القرآن والسنة حتى تصبح أفئدتهم هواء أى فارغة من الايمان بالله تعالى.

(*) الذى قال ان الانسان حيوان متطور عن القرد وحاول أن يدلل على كلامه بنظرية التطور التى حاول أن يكسوها ثوبا علميا ثم اثبتت سائر علوم الحياة بطلان النظرية فى تفسير خلق الانسان.

(**) ماركس قال (لا إله والحياة مادة) وهو يهودى خبيث ضلع من أضلاع المخطط الصهيونى وأصبحت نظريته باطلة من الناحية التطبيقية وهراء من الناحية الفكرية.

(***) نيتشه فيلسوف مادى ملحد تجرأ على خالقه كما لم يتجرأ أحد من قبل وقال (أعلن موت الاله) سبحان الحليم الصبور على أعدائه، ونيتشه من اليهود وفكره ضلع من أضلاع المخطط الصهيونى ونضيف الى هؤلاء سيجموند فرويد الذى دعا الى الاباحية الجنسية ودور كايم فى علم الاجتماع اليهودى المؤسس على الالحاد أيضا وغيرهم تلاميذ لهم.

(١) (المصدر السابق/ البروتوكول الثانى ص ١٩٠.

قال تعالى ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ ٤٢ ـ ٤٣) ابراهيم) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿وأفئدتهم هواء﴾ ليس فيها شيء من الخير فهى كالخربة[١]. فانظر الى قوله تعالى (لا يرتدّ اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) ثم انظر الى قول الخبيث الدجال فى البروتوكول الثانى أنهم تمكنوا (من خلق جماعات من الناس ذاهلة تعروها البرودة كأن أفئدتهم قد تهاوت وفرغت) ليدلل بهذا التعبير عن الفراغ الاعتقادى والدينى الذى آل إليه حال قلوبهم، ويقول أيضا هذا الخبيث في البروتوكول الثالث عشر (ولكى تبقى الجماهير فى ضلال لا تدرى ما ور اءها وما أمامها، ولا ما يراد بها ، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بانشاء وسائل المباهج والمسليات والألعاب الفكهية وضروب أشكال الرياضة واللهو وما به الغذاء للذاتها وشهواتها...... والإكثار من القصور المزوّقة والمبانى المزركشة، ثم لجعل الصحف تدعو الى مباريات فنية ورياضية ومن كل جنس، فتتوجه أذهانها الى هذه الأمور وتنصرف عمّا هيّأناه، فنمضى بها الى حيث نريد، فيسلم موقفنا، وهو الموقف الذى ـ لو أعلناه بارزا مكشوفا بغير اصطناع هذه الوسائل الملهية ـ لوقعنا فى التناقض أمام الجماهير)[٢].

وهذا هو ما أخبرنا به ربنا عز وجل عن الكافرين بقوله ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(٧٠ـ الانعام) لأن الدين هو محور حياة المنتمين له، ومن الناس من يجعل محور حياته اللهو واللعب أى الفن بما فيه من عرى ودعوة للزنا والاباحيات الجنسية، ثم الرياضة بما فيها من منافسات تثير العصبية القبلية أو الاقليمية ثم الوطنية ثم القومية كل هذا مع الوسائل الأخرى المذكورة فى المخطط الصهيونى الخبيث هو دين الكافرين الذين أمرنا ربنا عز وجل من خلال أمر رسوله ﷺ بتركهم والابتعاد عنهم وعرفنا بأنهم الذين أصبح اللهو الذى يسمونه الفن واللعب الذى يسمونه الرياضة هو دينهم، أى غايتهم العليا فى الحياة تخطيطا وإعلاما وتنفيذا وإنفاقا.

كما جاء فى هذا المخطط الخبيث بالبروتوكول السابع عشر (وقد سبق لنا فيما مضى من الوقت ان بذلنا جهدا لاسقاط هيبة رجال الدين عند الغوييم، وقصدنا

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) بروتوكولات/ صـ٢٤١

بذلك أن نُفْسِدْ عليهم رسالتهم فى الأرض، وهى الرسالة التى يحتمل أنها لا تزال بنفوذها عقبة كؤوداً فى طريقنا.

ولا نرى هذا النفوذ فى الوقت الحاضر إلاَّ فى تناقص يوما بعد يوم، أما حرية الضمير فقد انتشرت وعَمَّت فى كل مكان، وبتنا الآن لا يفصلنا عن رؤية الدين المسيحى قد إنهار إنهيارا تاما سوى بضع سنين، أما ما يتعلق بالأديان الأخرى، فالصعوبة التى سنلاقيها فى تعاملنا معها تكون أقل، ولكن من السابق لأوانه أن نتكلم عن هذه الحركة الآن)(١).

حتى يقول مُبيناً الهدف النهائى من هدم الأديان جميعا كما فعلوا فى المسيحية (ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقى للمسكونة كلها وبطريرك كنيسة دولة عالمية)(٢).

ويصف هذا المخطط فى (البروتوكول الثانى والعشرون) سلطة هذا الملك اليهودى للمسكونة كلها أى للكرة الأرضية بمن عليها من البشر، وكيف أن الجميع سيخشعون له خشوع العبادة هذا الخشوع الذى لن يكون للخالق على حد تعبيره (وستكون سلطتنا رائعة لتحليها بصفة القدرة الكاملة الشاملة، وتبسط كل حكمها وترشد الناس ولا تشايع زعماء وخطباء يتراقصون على العبارات الفارغة، وما به يتشدقون مما كله فى نظرهم المبادىء السامية، وماهو بالحقيقة الراهنة إلاَّ الطوباوية الخيالية.

سلطتنا ستكون تاج النظام، وفى هذا تندرج سعادة الانسان كلها. **والشعار الوهاج لهذه السلطة تنبعث منه عوامل السجود الروحى له، وخشية الإجلال بين يديه من الخلق أجمعين.** إن القدرة الحقيقية لا تُسالم حقا من الحقوق حتى ولو كان حق الله، ولا يستطيع أحد أن يدنو منها بسوء ولو بمقدار شعرة)(٣).

أى أن المخطط الخبيث هو تكفير الناس بالله عز وجل ثم إحلال الذهب والمتع والملذات والشهوات الحرام لهوا ولعبا فنا ورياضة تمهيدا لإحلال ملك اليهود إلها

---

(١)، (٢) بروتوكولات/ صـ٢٦٢

(٣) بروتوكولات/ صـ٢٨٧

بديلا فـى نفوس النـاس عن ألوهية الخـالق عز وجل، وذلـك بعد أن إمتـلك الأموال والأمن فـى يده، فيصـير بذلـك ربهم الذى اسـتحق بنـاء على هـذا أن يكون إلهـهم (وتنـبعث مـنه عـوامل السـجود الروحـى له، وخـشية الإجـلال بين يديـه من الخـلق أجمعين)[1].

أليس هذا هو المسيـح الدجال الذى أخبرنا عنه المصطفـى الخاتم ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى، أنه أعظم الفتن فى تاريخ الإنسانية وأنه سيزعم أنه رب العالمين؟!

(١٠) الأمـارات الخـلقية فـى الـسنـة الـشـريـفـة أدلـة صـريـحـة علـى أن القيامة الصغرى على الأبواب

لما كانت الأخـلاق منبثقة من الايمان بـالله واليوم الآخر، فإن هـدم الدين الذى تم بنجاح مخططات خـبثاء صهيون إلى حد كبير جدا وعظيم فـى الحضارة الغربية والى حد ما فى المجتمعات الإسلامية أدى الى هـدم الأخلاق ، ليس بمخططات هدم الدين أو العقيدة فقط بل بمخـططات خبيثة لهدم الأخلاق أيضا، حققت نتـائجها هدم القيم الخلقية الواحدة بعد الأخرى.

لقد لجأوا الى اسلوب الخطوات المدروسة المتدرجة للقضاء على الاسلام والايمان فى نفـوس المسلمـين عروة عروة، كما تحـل عرى الثوب عـروة عروة فعن أبـى أمامة الباهـلى رضى الله عنـه عن رسول الله ﷺ قال: لـتنقضن عرى الاسـلام عروة عروة، وكلـما انقضـت عروة تشبـث الناس بالـتى تليـها. فأولـهن نقضًـا الحكم، وآخـرهن الصلاة)[2] وهى جميعا عرى اجتماعية تخص الأمة من حيث كونها جماعة، فيفترق نظام الحكـم عن الشرع أى عن حكـم الله ثم تبدأ بـعد ذلك الافتراقات فـى الأحكام الأخرى حتـى يكون آخر عروة تـفك من عرى الاسلام الـصلاة. أى يترك المسـلمون الصلاة وبخاصة صلاة الجماعة حتى نجد المسـجد الجامع الكبير لايصل عدد المصلين فيه الـى نصف الصـف الواحد، فالصـلاة فى هذا الحديث هـى صلاة الجماعـة، لأنها الظاهرة الاجتماعية.

---

(١) المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٢) رواه أحمد والطبرانى والحاكم فى المستدرك وقال صحيح ولم يخرجاه.

أما بالـنسبة للـعُرَى النفسـية فيدل علـيها ما رواه حذيـفة قال (أول ما تفـقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقـدون من دينكم الصـلاة، ولَتُنْقَضَنَّ عُـرى الاسلام عروة عروة ولَيُصَلِّين الـنساء وهنَّ حُيَّض)(٢) وهذه عرى نفـسية حيث يفقـد الناس أول ما يفقدون الخشوع فى صلاتهم وتتوالى العرى النفسية والعرى الاجتماعية.

وسيبقى الاسلام، وسيذهب الاسلام؟ كيف يبقى ويذهب فى نفس الوقت؟

تكمن الإجابة فى معرفة ماذا يبقى وماذا يذهب؟

ذلك أن لـكل شىء حـقيقـة وجوهر وروح فـى مقـابل الرسـم والشكـل والاسم والظاهر، فـإذا ذهبت حقيقـته وجوهره وروحه وبقى الـشىء برسمه وشكـله وظاهره وإسمه فإن وجوده يكون قريبا جدا من عدمه، فيكون كالموجود وغير الموجود، موجود برسمـه واسمه وغائب بـحقيقتـه وروحه، وقوله أول مـا يذهب الخشوع مـن الصلاة معناه أنـه لن يبقى من الصلاة الـى رسمها، أى حركاتهـا وقيامها وقعودها فـتكون بلا حقيقة وبلا أثر على النفس الانسانية الفردية وعلى الحياة الاجتماعية.

ومن ثم يتـوالى نقض عرى الاسلام حتـى تنتهى القيـم الخلقية والحقائـق الإيمانية سواء النفـسية أو الاجتماعـية مع بقاء الصلاة. لأنـها صلاة لا روح لها ولا صلـة فيها بينهم وبـين ربهم، يدل على هذا أيضا مـا أخرجه أبو يعلى (عن أبـى هريرة قال: قال رسول اللـه ﷺ «أول ما يرفع من هـذه الأمة الحياء والأمانـة، وآخر ما يبقـى الصلاة ـ (يخيَّلُ إلىَّ أنه قال:) يصلى قوم لا خلاق لهم»).

وذلك لأن مكارم الأخلاق لا تنفصل عن حقيـقة الصلاة التى اذا كانت صحيحة، نهت عن الفحشاء والمنكر والبغى .

يؤكد هذا الحديث السابق ويقويه ما أخـرجه الطبرانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (أول ما يُرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة،

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وهو فى حكم المرفوع لأنه إخْبارٌ عن غيب.

ورُبَّ مُصلٍّ لا خير فيه)[1] وأيضا عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال (أول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة، وليصلّين قوم لا دين لهم).

أى أن الصلاة الباقية بلا روح وبلا حقيقة وانما هى حركات جسدية أشبه ما تكون بالتمارين الرياضية تؤدى بفعل العادة وقلب صاحبها لاه وغافل، وبيان هذا كله ما رواه الامام على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (يوشك أن يأتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه، ولا يبقى من القرآن الا رسمه، مساجدهم يومئذ عامرة وهى خراب من الهدى، علماؤهم شر مَنْ تحت أديم السماء، مِنْ عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود)[٣].

ومعنى انعدام حقيقة الأخلاق انهيار القيم، وذلك لأنه لا أخلاق بدون سيادة القيم الخلقية التى هى روح السلوك الخلقى وأعلى القيم الخلقية الحق والخير والعدل. ذلك أن من أهم مظاهر سيادة القيم الخلقية وشيوع السلوك الخلقى الفاضل وغلبته على الرذائل بين الناس وغلبة الخير وإنحسار الشر، فإذا إنهدمت القيم الخلقية وشاعت الرذيلة وانتشر الحرام غلب الشر على الخير.

ومعنى هذا أن الخير والشر يتصارعان فى الحياة الانسانية حتى يظهر أحدهما ويختفى الآخر أو يكاد، بانتشار الظاهر وشيوعه وقلة الآخر وندرته.

فيغلب الخير بانتشار الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، وبالعكس يغلب الشر بانتشار الكفر بالله تعالى وباليوم الآخر. (عن أبى إدريس الخولانى قال سمعتُ حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى.

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير ويقوية الحديث الصحيح السابق لانه فى معناه.
(٢) رواه البيهقى فى شعب الايمان.

قلت: يا رسول الله، إنا كـنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهـذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟

قال: نعم.

فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: نعم وفيه دخن.

قلت: وما دخنه؟

قال: قوم يستنون بغير سنتى، ويهدون بغير هديى، تعرف منهم وتنكر.

فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم اليها قذفوه فيها.

قلت: يارسول الله، صفهم لنا؟

قال : نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتا.

قلت: يارسول الله، فما ترى إن أدركنى ذلك؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: فـاعتزل تلـك الفرق كلـها ولو أن تعـض على أصل شـجرة حتى يـدركك الموت، وأنت على ذلك)(١).

يتـضمن هـذا الحديث الشـريف ثلاث مـراحل للـتغيـير تُصيـب الأمة فى تـاريخ صراعها ضد الكفر والشر.

المرحلة الأولى: هى مرحلة الاسلام التام والدين الكامل والخير الشامل فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين من بعده.

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم. / ك / ب

المرحلة الثانية: شر وفتنة مؤقتة لا يلبث أن يزول وتعود الأمة للخير، ولكن ليس الخالص الذى فى المرحلة الأولى.

المرحلة الثالثة: مرحلة الخير الذى يشوبه شوائب، وفيه دخن، أى بدع وافتراقات عن الكتاب والسنة فى أنظمة اجتماعية وسياسية واقتصادية وخلقية فرعية وليست رئيسية، وكثرة من تعرف منهم وتنكر أى أنهم على خير وعلى معاصى لا تقدح فى دينهم ولا تخرجهم من الملة. فهى مرحلة هدى الاسلام الذى تشوبه ضلالات البدع.

المرحلة الرابعة: مرحلة الشر الغالب ويعمل على نشره (دعاة على أبواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها) وهذا معناه. ان هذه المرحلة يُجَاهَرُ فيها بالكفر ويظهر دعاتُه، وهؤلاء فى تاريخ الأمة هم دعاة التغريب ورسل الثقافة الأوربية الملحدة، الذين يسمون أنفسهم «أهل التنوير» عكس ما يفعلون تماما لأنهم أهل التظليم والتشريك والتكفير وهم أهل التجهيل ويسمون أنفسهم أهل العلمانية. وهم من العرب عصبا ولسانا، وهم وأتباعهم ومن يستجيب لهم أهل جهنم.

المرحلة الخامسة: الدعوة إلى هدم الخلافة الاسلامية، وهم دعاة هدم لوحدة الأمة ودعاة تفريق لجماعة الاسلام، وهم الذين دعوا الى هدم الخلافة تلك الدعوة التى ظهر لها دعاة فى تركيا وجميع أمصار العالم الاسلامى فى وقت واحد.

وتكون نجاة المسلم من هذا الشر بالتزام جماعة المسلمين وبالنهى عن الخروج على الخليفة وبالنهى عن أى دعوة للاستقلال والانفصال عن الخلافة. كما حدث فى آخر عهد الخلافة العثمانية التركية وارتفعت دعوات الانفصال باسم الاستقلال باعلان دعوات القوميات العربية والطورانية والفارسية والهندية وغيرها. ثم دعوات الوطنيات المصرية والسوريانية والأشورية والبابلية والسبأية وغيرها فالنجاة فى هذه المرحلة بأن تلزم جماعة المسلمين وأمامهم.

المرحلة السادسة: ما بعد هدم الخلافة وغلبة الشر وغربة الاسلام والمسلمين حيث لايكون لهم جماعة ولا إمام وظهور الفرق والمذاهب الالحادية والأحزاب

العلمانية، والنجاة من هذا كله يكون (باعتزال تلك الفرق كلها، ولو أن تَعُضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) وهذا التعبير فيه تحريض شديد على العزلة فى حالة اذا لم يجد المسلم جماعة المسلمين وإمامهم الذى يجب أن يلزمه لأن العض على أصل شجرة معناه الارتباط الوثيق بمكانها، وفى هذا أمر بالعزلة الشديدة وعدم الانخراط فى المناهج الحياتية للفرق الضالة. وفى هذا الزمن تكون كلها ضالة.

وفى رواية ابن عساكر للحديث زيادة تتضمن وصفا لدعاة الضلالة بقوله ﷺ (وسيكون فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس).

وفى رواية ابن ماجة ورواية الحاكم فى المستدرك التى وافقه عليها الذهبى وصححها وصفٌ لهم بقوله ﷺ (تكون فتنة على أبوابها دعاة الى النار، فأنْ تموت وأنت عاض على جذل شجرة خير لك من أن تتبع أحداً منهم).

وفى رواية لأحمد وأبوداود الطيالسى وأبو نعيم فى الحِلْيَة وغيرهم زيادة بقوله ﷺ (ثم تكون فتنة عمياء صماء، دعاة الضلالة.. «أو قال دعاة النار» فلأن تعض على جذل شجرة خير لك من أن تتبع أحداً منهم).

(١١) متى تكون مرحلة دعاة الضلالة، ومَنْ هم الذين مِنْ ورائهم ؟:.

ثبت لنا أننا فى عصر غربة الاسلام، وتفكك المسلمين فيكونوا بلا خلافة تجمعهم.

لقد ظل المسلمون فى الأرض أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان يعيشون فى ظل سلطان واحد هو الخليفة الذى لم يكن لأى سلطة مهما كانت قوتها أن تحكم شعبا من شعوب الأمة الاسلامية إلا بأخذ الشرعية منه. ففى عصور ضعف الخلافة العباسية التى ساد فيها الأمراء الأتراك والمماليك، وقامت الدول القوية التى كان الخليفة ضعيفا بإزائها سواء فى الشام أو فى العراق أو فى مصر أو فى بلاد ما وراء النهرين حتى كان

الخليفة يُسجن أحيانا لم يكن حكام هذه الدول الأقوياء ينالون شرعيتهم للحكم إلاّ بعد موافقة الخليفة. هذا كان فى أواخر عهد الخلافة العباسية.

أما فى عهود السلاطين العثمانيين فقد ظلت زهاء خمسة قرون تجمع كلمة المسلمين وتدافع عن حدودهم وتحمى بيضتهم حتى آخرهم السلطان عبدالحميد الذى بعزله وباسقاط نظامه لم يعد للمسلمين خليفة وذلك عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤ م.

والحديث يتضمن أنه سيأتى الزمن الذى لن يكون فيه للمسلمين إمام يجمعهم تحت لوائه، أى أنه تضمن الإنباء عن سقوط الخلافة الذى أشرنا اليه من قبل.

فقوله ﷺ عن هذه المرحلة ناصحا حذيفة ثم سائر الأمة الذين يعاصرون هذه المرحلة (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) يتضمن تحذيرا ونهيا شديداً فى الانسياق وراء دعوات انفصال الامصار عن الخلافة والخروج على الخليفة والمشاركة فى اسقاطها وهدمها بالاستجابة لدعاة الضلالة، أما اذا حدث وسقطت فنصح عليه الصلاة والسلام أفراد الأمة باعتزال الفرق كلها، إلا أن تكون جماعة اسلامية على نهج الكتاب والسنة ولها امام داعية مجدد فليتبعها، فإذا تفرّق أمر هذه الجماعة وجاء على اتباعها بعد موت الامام المجدِد الخلاف والفرقة والبعد عن الكتاب، والجمود على أساليب الامام المجدد، التى لم تعد تصلح لمواجهة متغيرات العصر، مما يبرز حاجة الأمة الى مجدد آخر على رأس القرن الجديد، حسب سنة الله تعالى فى بعث المجدد على رأس المائة، ففى هذه الفترة بَيْن المجَدِّدَيْن يحق للمسلم أن يعتزل الفرق كلها كما جاء فى الحديث، فإما يدركه الموت وإما أن يدركه المجدد الجديد، ويرى فى جماعته الجماعة الاسلامية وفى قيادته الامامة الاسلامية الخالصة فيتبعه.

ومن ثم تكون هذه الفترة التى بين المجددِّيْن هى الفترة التى يظهر فيها دعاة الضلالة وينشطون، بل هم قد ظهروا قبيل سقوط الخلافة وكانوا من عوامل سقوطها، ولازالُوا مستمرين فى نشر ضلالاتهم وشرهم بعد سقوطها لتضليل المسلمين، وهذا هو الكائن فى أمة الاسلام الآن، ودعاة الضلالة متواجدون ونشطون فى هيئات

التـدريس بـالجامـعات وفى رجـال الاعلام وبـين الأدباء والمفـكريـن، وهـم مـن أهل العروبة ومن أبناء المسلمين وقلوبهم قلوب الأعداء.

وحيث أن دعوات الضلالة الالحادية والكفرية الطاغوتية قامت خلال القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر فى أوروبا ضد الـكنيسة بتخطيط من الطاغوت الذى استغل سـلبيات الكنـيسة واستبدادها، فشككوا الناس فـى الدين بصفة عـامة، ثم فى وجود الله عز وجل، ثم انـتقلوا بعد ذلك خطوة أخرى نحو الالحـاد والكفر الصريح بالخالـق أشهرها الداروينية والماركسيـة والنيتشية متسترين بستار العـلم والعلمـانية والعقـلانية وبدعوى محـاربة التخلـف والتفكيـر الاسطورى، طلبا لـلتقدم العـلمى وتخلصا مـن البدائية والعقلـية الخرافية الاسطورية، وهـى عندهم عقلية المؤمن بالله واليوم الآخر حسب زعمـهم ، وحيث قد ثبت أن هذه المذاهب من صنـع الصهيونية الساعية الى السيطرة على العالم سياسيا واقتصاديا بقيادة المسيح الدجال، وإدراكا منهم أن الانسان لا يـقاد الا من قلـبه وعقله وفـؤاده، فقد بدأوا بإفـساد العقـائد والأخلاق المؤسسة عليها وأولها وأهمها عقيدة الايمان بالله وباليوم الآخر بهذه المذاهب الالحادية وبهؤلاء الأئمة الثلاثة لدعاة الضلالة الذين قلوبهم قلوب الشياطين فى أجساد آدمية.

جاء فى البروتوكول الثالث الذى ألقاه المسيح الدجال على أعوانه المقربين اليه من خبثاء صهيـون (من المحتم علينا أن ننسـف الدين كله لنخرج من أذهان الـغوييم المبدأ القـائل بأن هـنـاك إلهـا وربا وروحـا....)[1] وقـوله أيـضـا فى البـروتوكـول الثانى (... وعلـيكـم أن تتفـكروا فيـما صنـعنـا لإنجاح النـظريات الـداروينيـة والماركسـية والنيتشية...) (٢).

لقد حاول شارلس داروين بـنظريته فى النشوء والارتقاء فـى كتابه «أصل الأنواع» تفسيـر خلق الأحياء جميـعا على الأرض بدون خالق، فقـال بتكوّن الحياة تلـقائيا، أى بوجود خلية حـية بطريقة تلقائية نتيجة لاكتمال عوامل الحياة، وتفـسير خلق الأنواع بالتطور مـن خلال نظرية الإنتقاء الـطبيعى والبقاء للأصـلح، فأعطى اليهود الـصهاينة كلامه هذا، الـذى لم تثبت صحـته علميا، بـل ثبت بعد ذلك بـطلانه بالعلـم، أعْطَوْهُ

(١) البروتوكولات/ صـ١٩٢
(٢) البروتوكولات/ صـ١٩٠

صبغة علمية بالباطل ليجعلوا الالحاد موافقا للعلم، والحقيقة أن جميع المكتشفات العلمية تدعو الى الايمان بالله تعالى الواحد القادر خالقا لكل شيء، وحاول ماركس أن يخدع الطبقات الكادحة بانكار وجود الاله وإحلال المادة والايمان بها محل الايمان بالله تعالى قائلا لهم: «الدين أفيُون الشعوب»، ولا سبيل لاسترجاع حقوقكم المالية المسلوبة من سالبيها ويعنى بهم الإقطاعيين والسياسيين والرأسماليين الا بالكفر بالله تعالى أولا، وبالايمان بالمادة ، ثم بالقضاء بالثورة على هذه الطبقة لتعيشوا بعد ذلك فى جنة النعيم المسلوبة منكم. فلما حكموا روسيا بالشيوعية صار العمال والفلاحون الروس أشقى البشر على وجه الأرض، وأفقرهم وأعوزهم، بل صاروا أشقى الطبقات الكادحة فى تاريخ البشرية، وسارع حكام الاتحاد السوفيتى الصهاينة بتفكيكه، وبالقضاء على الشيوعية الماركسية من قبيل «بيدى لا بيد عمرو» حتى لايخرج الأمر من أيديهم وابتدعوا لذلك ما أسموه بالاصلاح الاقتصادى، وما هذا كله إلاَّ محاولة إعادة البناء الاجتماعى سياسيا واقتصاديا الى ما كان عليه قبل الشيوعية والاشتراكية مع ابقائه عقديا وخلقيا على ماهو عليه.

أما نيتشه الذى بالغ فى كفره والحاده وصرح بأنه يعلن موت الاله ، فقد كان هذا منه امعانا فى محاربة الخالق عز وجل وتجريئا لمن فى قلوبهم مرض على الخوض مع الخائضين.

هؤلاء الثلاثة وغيرهم سيجموند وفرويدو وأوجست كونت ودوركايم وغيرهم ممن يسيطر فكرهم الالحادى على الدراسات الانسانية فى جامعات العالم الاسلامى نقلا عن جامعات الغرب العلمانيِ الذين هم جميعا صنائع الصهيونية بقيادة الدجال، لهم صدى فى بنى جلدتنا ممَّنْ يتكلمون بألسنتنا، ونعنى بهم دعاة التغريب والعلمانية وعلى رأسهم طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد وزكى نجيب محمود ولويس عوض وغيرهم من الجيل أو الأجيال التى تتلمذت عليهم.

فهل توجد علاقة وصلة بين هؤلاء جميعا: الأساتذة الغربيِّين وتلاميذهم من أبناء جلدتنا وبين الصهيونيَّة بقيادة الدجال؟!

وبمعنى آخر هل ثبت لنا بالنصوص الشرعية صلة زمنية بين عصر دعاة الضلالة وهو عصر ما بعد سقوط الخلافة وبين عصر الدجال؟

فيصير دعاةُ الضلالة: أُوربيون وأمريكيون وعرب على السواء من تلاميذه وأعوانه سواء علموا أم جهلوا؟

يجيب على هذا حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه التالى، وهو غير الحديث السابق.

قال رضى الله عنه (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وأسأله عن الشر، فقلت: يارسول الله هل بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟

قال: نعم

قلت: فما العصمة يارسول الله؟

قال: السيف.

قلت: هل للسيف من بقية؟ فما يكون بعده؟

قال: يكون هدنة على دخن

قلت: فما يكون بعد الهدنة؟

قال: دعاة الضلالة، فإن رأيت يومئذ لله عز وجل فى الأرض خليفة، فإلزمه، وان ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فان لم تر خليفة، فإهرب حتى يدركك الموت وانت عاض على جذل شجرة.

قلت: يارسول الله، فما يكون بعد ذلك؟

قال: الدجَّال)(١).

قوله ﷺ فى هذا الحديث (فإن رأيت يومئذ لله عز وجل فى الأرض خليفة) غير قوله فى الحديث السابق (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) لأنه من المعلوم، بنصوص أخرى صحيحة، سترد بعد ذلك بإذن الله تعالى وتوفيقه، ان بعد سقوط الخلافة

(١) رواه أبو داود الطيالسى والإمام أحمد والحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى. وهذا معناه عند المحدثين أن الحديث فى قوة أحاديث الصحيحين.

الإسلامية يكون عهد الجبابرة أو عهد الجبرية ثم ستعود خلافة على عهد النبوة أي خلافة راشدة، وهي خلافة المهدى عليه السلام، وهو الذى يستحق وصف خليفة الله فى الأرض. ومن ثم فان الأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم غير الأمر بلزوم خليفة الله فى الأرض الذى من حقه أن يقيم الحدود ويعاقب تعزيرا فقال له (وان ضرب ظهرك وأخذ مالك) أى بالظلم فلا يجوز لك الخروج عليه (أما جماعة المسلمين وإمامهم) فهو أمر يلزم الجماعة الاسلامية التى تجاهد فى عهد الجبابرة لاعادة الخلافة وطاعة امامهم المجدد الداعية الذى ليس له حق إقامة الحدود لأنه ليس خليفة لله فى الأرض وانما هو إمام دعوة.

فالحديث الأول تنصب نصيحة الرسول ﷺ فيه على الفترة التى بين سقوط الخلافة وبين قيامها بالمهدى، لذلك قال جماعة المسلمين وإمامهم أى مرشدهم ومعلمهم ومجدد لهم دينهم ومن ثم قال (فإن لم تر خليفة فاهرب حتى يدركك الموت وانت عاض على جذل شجرة) يعنى حتى يخرج المهدى الذى دلت النصوص على أنه هو خليفة الله بعد عهد الجبرية ، أو الجبابرة، وليس غيره.

كما دلت النصوص المتواترة المعنى على أن الدجال يخرج ويظهر للعيان فى آخر العهد المهدوى ومن ثم لما سأل حذيفة (يارسول الله: فما يكون بعد ذلك؟ قال : الدجال)

ومن ثم فعهد الجبابرة هو عهد الدجال وعهد الضلالة هو عهد الدجال وعهد البروتوكولات الصهيونية هو عهد الدجال أيضا وهم من صنعته ليهيىء بهم جميعا الأرض لحكمه، ثم لادعاء الربوبية والألوهية، كما جاء فى عبارات البروتوكولات السابق ذكرها وذلك لان له عهوداً يحكم فيها حكومات الدول من وراء ستار إلاً عهد المهدى الذى يكون حكمه تحديًا له ولسلطانه، ومن قبله السفياني.

(٢ ١) من دعاة الضلالة من يلبسون ثياب علماء الدين ويدعون إلى الباطل باسم الدين:

اذ ليس دعاة الضلالة هم الذين يدعون الى العلمانية والمادية والالحاد فقط، لأن منهم الذين يتلوّنون فيدعون الى الدين ولكن بالدجل والغش والتزوير ليضللوا عامة المسلمين باسم الدين لعلمهم أنهم لن يستجيبوا إلا لما يعتقدون أنه من الدين

ووسيلتهم الى التضليل باسم الدين نشر ما لم يقله المصطفى ﷺ على أنه أحاديث نبوية، وقراءة القرآن وتفسيره للتضليل وليس للهدى. وهذا من امارات آخر الزمان، وهذا ما يدل عليه الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه (يكون فى آخر الزمان دجّالون كذّابون يأتوكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلوكم ولا يفتنوكم)[1] ويمكن فهم الأحاديث بمعنى المذاهب وتحتمل العبارة الاثنين فيكون المعنى المقصود هو بيان أن دعاة الضلالة موجودون فى صورة صريحة مثل دعاة التغريب والمادية والعلمانية. وفى نفس الوقت وجود دعاة ضلالة كذابون دجالون يلبسون ثياب علماء الاسلام يُدرّسون علوما تنتسب الى الاسلام والاسلام المنزل على المصطفى الخاتم ﷺ منها براء، يبتعدون فيما يقولون من ضلالات عن محكم الكتاب، ويلجأون الى مُتَشَابِهِه ليضلوا بتأويلاتهم الباطلة المسلمين، ويتركون الأحاديث الصحيحة ويبرزون للناس ولطلبتهم الموضوعة والمكذوبة ليطفئوا نور الله تعالى بأفواههم.

حتى الشياطين التى أوثقها سليمان عليه السلام فى البحر ستخرج أو خرجت فى زماننا الذى هو آخر الزمان لتضل الناس بالقرآن الكريم، يدل على هذا ما رواه عبدالرزاق بسنده فى مصنفه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما (أنه قال: ان فى البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا)[2] ورواه الدارمى فى سننه بلفظ مختلف قال (يوشك أن تظهر شياطين قد أوثقها سليمان يفقهون الناس فى الدين)[3].

هؤلاء الشياطين الذين أوثقهم سليمان عليه السلام لابد أن تكون جنية وليست إنسية ولا معنى للحديث إلاّ فى آخر الزمان تتمثل للناس فى صور آدمية وفى زى علماء ودعاة إسلاميين يتحدثون بالقرآن والسنة للتضليل.

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) رواه عبدالرزاق فى مصنفه من حديث عبدالله بن عمرو وكذا رواه مسلم فى مقدمة صحيحه.

(٣) اتحاف الجماعة/ للشيخ التويجرى جـ ٢ ص ٥٠.

يؤكد هذه النتيجة ما رواه محمد بن وضاح من حديث عمرو بن العاص أيضا رضى الله عنهما بقوله (يوشك أن تظهر شياطين يجالسونكم فى مجالسكم ويفقهونكم فى دينكم ويحدثونكم وإنهم لشياطين.)(١).

وقال ابن وضاح أيضا بسنده (أنه قيل لسفيان: «أن إبن منبه يقول: سيأتى على الناس زمان يجلس فى مساجدهم شياطين كان سليمان بن داود قد أوثقهم فى البحر، يخرجون يعلمون الناس أمر دينهم»، قال سفيان: «بقيت أمور عظام». قال محمد بن وضاح قال زهير بن عباد: يعنى سفيان: يعلمون الناس فيدخلون فى خلال ذلك الأهواء المحدثة، فيحلون لهم الحرام، ويشككونهم فى الفضل والصبر والسنة، ويبطلون فضل الزهد فى الدنيا، ويأمرونهم بالإقبال على طلب الدنيا، وهى رأس كل خطيئة)(٢).

اما ما قصده سفيان رحمه الله تعالى من عبارة (بقيت أمور عظام) فلعله يقصد ان هذه الظاهرة تأتى مع الأمور العظام التى يتفاقم شأنها فى نفوس المسلمين، فى آخر الزمان، وهو ما ذكرناه من الامارات فى مجالات التقدم العلمى والتقنى والصناعى حسب ما ذكرناه فى الباب الأول، وبحسب عبارة حديث رسول الله ﷺ عن هذه الأمور بقوله (لا تقوم الساعة حتى تروْا أمورا عظاما، لم تكونوا ترونها، ولا تحدثون بها أنفسكم)(٣).

وفى رواية الطبرانى فى الكبير بسنده عن سمرة بن جندب أن النبى ﷺ قال (سترَوْن قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاما، تقولون: هل كنا حُدِّثنا بهذا، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى وأعلموا أنها أوائل الساعة)(٤).

فاذا كان مقصد سفيان من «الأمور العظام» هى هذه الواردة فى هذا الحديث وقد فسرناها من قبل بأنها المخترعات الحديثة حسب ما أولها الشيخ محمد صديق الغمارى رحمه الله تعالى(٥) وهو حق. فإن زمن خروج الشياطين التى تعلم الناس

---

(١) نفس المصدر والصفحة.
(٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣) الفتن/ لنعيم بن حماد
(٤) الطبرانى فى الكبير
(٥) عن مطابقة المخترعات العصرية لما أخبر به سيد البرية ص ٣، ٤.

القرآن والسنة ليضلونهم بتأويلاتهم الفاسدة وليحلوا لهم الحرام هو هذا الزمان، ومن ثم فهم بين شعوب الأمة الآن.

وإن كان مقصده فى الأمور العظام الباقية: السفيانى والمهدى والدجال ونزول المسيح ويأجوج ومأجوج ، فإن هذا أيضا هو زمانهم، وهذه الامارات كلها مقدمات لهم، ومن ثم فهم موجودون فى هذا الزمان، لأن وجودهم فى عصر الجبابرة الذى تعيشه الأمة الآن أولى من وجودهم فى عصر الخلافة المهدوية الراشدة الذى سيلى بعد عهد الجبرية، فإبطال فضل الزهد رالأمر بالاقبال على الدنيا والعمل من أجلها كَأنّ الانسان يعيش فيها أبدا قد دخل على الأمة من باب تجريم تحريم ما أحَلّ الله تعالى من المال والغنى والمتعة المباحة نفيا للزهد الذى أصبح علامة على التصوف وملتصقا بالصوفية*، وهو ماساد فى بلاد الخليج البترولية فى السنوات الأخيرة فوقع فى فتنة الترف أكثر الناس إذ اعتبروا الدعوة الى الزهد من دعوات الباطل، ومن قبيل تحريم ما أحل الله تعالى وبالتالى فتحوا أبواب التنافس على الدنيا على مصاريعها وهذا هو ما صار فتنة عظمى لأهل الجزيرة لما فتح الله تعالى عليهم أبواب كل شىء فى عصر البترول، فسقط فى فتنة الترف وفسق أهل الغنى الكثيرون وقل الناجون. وصاروا الى الزمان الذى أنبأ به الحديث الذى أخبر به على بن أبى طالب رضى الله عنه بقوله (يأتى على الناس زمان: همتهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم، أولئك شرار الخلق لا خلاق لهم عند الله)(١).

وما ذلك إلا لفساد العقيدة وترك التوحيد وجعل اللهو واللعب هو دينهم الذى تدور حوله حياتهم أليس هذا هو ما عليه أكثر الناس فى العالم أجمع ومنهم المسلمون الآن؟!

أَلَمْ يُعَيِّر الصهاينة فى اذاعة اسرائيل بهزيمة عام ١٩٦٧ المنكرة بقول قائلهم: كيف كنتم تنتظرون النصر أيها المصريون، وأنتم الذين أصبح غذاؤكم كرة القدم وعشاؤ الاستماع الى أم كلثوم؟!

(١) رواه الديلمى/ عن اتحاف الجماعة

(*) ليس معنى هذا أن كل ما ينتمى الى التصوف والصوفية هو اسلامى خالص

ترى هل تعلمت الأمة من هذا الدرس وتركت اللهو واللعب؟!

لقد امتلأت المسارح ودور السينما بالناس وكذا المنازل بشاشات قنوات التليفزيون والفيديو، واحتشد الجماهير فى ملاعب كرة القدم والصالات المغلقة للألعاب الأخرى وخربت المساجد من عمارها بالتالى كما وكيفًا.

أمًّا كمًّا وعددا فهو معلوم لكل معاصر للأجيال المتعاقبة بعد سقوط الخلافة. فقد أتى زمان على كثير من بيوت الله لا يكتمل فيها صفٌ واحد فى الصلوات الخمس.

أما كيفًا فهى خربة حتى بوجود رواد فيها، إذ أن أكثرهم لا يؤدى من الصلاة إلا حركاتها وسكناتها. روى الحاكم فى المستدرك عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال (يأتى على الناس زمان يجتمعون ويصلون فى المساجد وليس فيهم مؤمن)(١). وروى أبو الشيخ فى كتاب الفتن عن ابن مسعود رضى الله عنه (إن من اقتراب الساعة أن يصلى خمسون نفسا لا تقبل لأحدهم صلاة).

وهذا الزمان يضل فيه حتى العلماء. روى البيهقى فى شعب الايمان عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ (يوشك أن يأتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا إسمه، ولا يبقى من القرآن الا رسمه، مساجدهم يومئذ عامرة وهى خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود) ورواه الحاكم فى تاريخ نيسابور عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (سيأتى على الناس زمان لا يبقى من القرآن الا رسمه ولا من الاسلام الا إسمه يتّسمَّوْنَ به وهم أبعد الناس منه مساجدهم عامرة، وهى خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة واليهم تعود)(٢). فانظر إلى قوله (يَتَسمَّوْن به) وانتشار اسم إسلام وإسم إيمان وهى

(١) قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، والحديث فى حكم المرفوع لأنه يخبر بالغيب ولا محل لاجتهاد الصحابة فيه..

(٢) عن إتحاف الجماعة للتويجرى انظر الى قوله ﷺ عن الاسلام (يتسمَّون) وهو الحادث الآن اذ سموا الذكر اسلام والبنت ايمان، وهذا من الإعجاز النبوى ومن الأدلة على صدق النبوة وهو دليل على أننا فى آخر الزمان اذ انك تجد اسلام هذا غير ملتزم وايمان ممثلة أو مطربة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

من الأسماء المستحدثة وفي هذا دليل على أن الحديث يخبر عن علماء زماننا إلاَّ من رحم الله تعالى.

وروى أبو نعيم فى الحلية عن بَهْزَ بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (يأتى على الناس: زمان علماؤها فتنة، وحكماؤها فتنة، تكثر المساجد والقراء، لا يجدون عالما الا الرجل بعد الرجل)(١) وقد تحقق هذا كله فى عصرنا، وهو ما يقطع بأننا فى آخر الزمان.

(١٣) التغير فى أخلاق الأمة الاسلامية من إرهاصات القيامة الصغرى

لقد تم هذا التغير من خلال خطوات متدرجة متتابعة فى شتى مناحى الحياة، ولم يكن هذا التغيير طبيعى أو تلقائى أو حتمى بمقتضى طبيعة حتمية أو بحسب قوانين التغير الاجتماعى الحتمية التى لا يكون للارادة الانسانية الفردية والجماعية أى دور فيها حسب زعم وأباطيل علم الاجتماع الصهيونى الغربى الذى يدرسونه فى أقسام الإجتماع فى جامعاتنا العربية، اذ حسب عقيدة الاسلام ومبادئه لا يتم التغير الاجتماعى بغير الارادة الجماعية الإنسانية للمجتمع من خلال صراع حزب الله تعالى ضد حزب الشيطان.

وما تم فى إخلاق الأمة من تغيرات خطيرة انما كان نتيجة لاستجابة أبنائها لمخططات شيطانية خبيثة يخفونها وراء نظريات باطلة لما يسمونه علم الاجتماع عند أوجست كونت ودوركايم وهربرت سبنسر وكارل ماركس وغيرهم باعتبار خضوع الانسان لجبريات طبيعية وتاريخية واجتماعية ومادية. وكلها من أباطيل الدجال الهادمة للأديان وللأبنية الاجتماعية الاسلامية بترسيخ عقيدة الجبرية والحتميات الطبيعية والمادية والاجتماعية التى أدت الى شيوع السلبية والتواكل بين شعوب الأمة الاسلامية واستسلامها لما تُحدثه فيها مخططات صهيون الخبيثة من تغير، ومن ثم

يتصرف اليهود الملاعين فى مقدرات الشعوب حسب أهدافهم بلا أدنى مقاومة منهم.

لقد حدث، نتيجة لهذه المخططات الخبيثة، تغيرٌ فى الأخلاق ليصبح سلوك الناس السائد بينهم رذائل بعد أن كان فضائل وشراً بعد أن كان خيرا. بل وصلوا بخطوات نهائية فى المخطط إلى رؤية الرذيلة فضيلة والفضيلة رذيلة، ورؤية الشر خيرا والخير شرا.

وهذا ما أخبر أشعياء عليه السلام فى سفره عن هذا المخطط الخبيث الذى تحقق فى عصرنا هذا بقوله (ويل للقائلين للشر خيراً، وللخير شرا، الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما، الجاعلين المر حلواً والحلوَ مُراً. ويل للحكماء فى أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم......)[1] فالذين خططوا ليجعلوا فى نفوس الناس الشر خيرا والخير شرا والظلام أى الكفر والشرك نورا والنور (أى الايمان) ظلاما. هم الحكماء فى أعين أنفسهم الذين أطلقوا على مخططاتهم الخبيثة الافسادية (بروتوكولات حكماء صهيون) وزعموا أنهم يفهمون مالا يفهمه غيرهم. أما ما نجده فى البروتوكولات لهدم الأخلاق فمنه:

(١) (فالسياسة مدارها غير مدار الأخلاق ولا شىء متروك بينهما، والحاكم الذى يخضع لمنهج الأخلاق، لا يكون سائسا حاذقا، فيبقى ما يبقى على عرشه مهزوزا متداعيا، .... وأما تلك الصفات التى يقال انها من الشمائل القومية العالية، كالصراحة فى اخلاص والأمانة فى شرف، فهذا كله يعد فى باب السياسة من النقائص لا الفضائل....)[2].

(٢) ومنه فى البروتوكول السابع (وفى أوروبا كلها، كما فى غير بلاد أيضا، علينا أن نخلق الهزات العنيفة، والانشقاقات واثارة الضغائن والأحقاد)[3]

---

(١) أشعيا/ ٥/ ٢٠ - ٢٣.

(٢) عجاج نويهض/ بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٨٢.

(٣) نفس المصدر/ ٢١٢.

ولقد صور الصهاينة فى افسادتهم الأخيرة فى الأرض الرذيلة والشر على أنهما حق لكل انسان اسمه (الليبرالية) وماهى على مستوى السلوك الفردى الا الاباحية وعلى مستوى الأمة الا الدستور الذى تتستر خلفه السلطة المستبدة يقول الدجال مخاطبا أعوانه من خبثاء صهيون (إن الليبرالية انتجت الدول الدستورية التى حلت محل الشيء الوحيد الذى كان يقى الغوييم السلطة المستبدة. والدستور كما تعلمون جيدا ماهو الا مدرسة لتعليم فنون الانشقاق، والشغب وسوء الفهم والمنابذة وتنازع الرأى بالرد والمخالفة، والمشاركة الحزبية العقيمة والتباهى باظهار النزوات)[1].

(٣) وبالنسبة لاعلاء اللهو واللعب حتى يصبحا دينا للشعوب يقول البروتوكول الثالث عشر (ولكى تبقى الجماهير فى ضلال، لا تدرى ما وراءها وما أمامها، ولا ما يراد بها فاننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بانشاء وسائل المباهج والمسليات والألعاب الفكهة وضروب أشكال الرياضة واللهو، وما به الغذاء لملذاتها وشهواتها.... والإكثار من القصور المزوقه والمبانى المزركشة، ثم لنجعل الصحف تدعو الى مباريات فنية رياضية ومن كل جنس فتتوجه أذهانها الى هذه الأمور وتنصرف عما هيأناه لها، فنمضى به الى حيث نريد)[2].

(٤) ولإستخدام طغيان الشهوة الجنسية للافساد يجعلون الاباحية الجنسية من مميزات ومكاسب التنوير والتقدم وهذا ما صرح به البروتوكول الثالث عشر بقوله (وفى خلال القرون التى تُنعتُ* بقرون النور والتقدم، وضعنا فى أيدى الناس ضروبا من مادة الآداب المنشورة المطبوعة هى غاية فى التفاهة والقذارة والغثاثة) ومن ثم جعلوا الزنا والانحرافات الجنسية والدعوة للانحلال والفحش والمنكر نورا وتقدما. كما نص على هذا سفر أشعياء عليه السلام.

---

(١) نفس المصدر ص ٢٢٥.

(٢) نفس المصدر ص ٢٤١

(*) أى التى ينعتنها اعلام اليهود بهذا الوصف بينما هى غاية فى القذارة كما يعترف هو بعد ذلك ثم لاحظ أنه قال هذا منذ مائة سنة حيث لم يكن من وسائل الاعلام الا المقروء، وغنى عن البيان انهم استخدموا الآن المسموع والمشاهد حتى صارت الفتن ومناظر الفضائح الجنسية تنزل على البيوت نزول المطر من السماء أى من الأقمار الصناعية كما أخبر بهذا الصادق المصدوق ﷺ.

هذا ما خطط له اليهود من فساد خلقي فى المرة الأخيرة لهم ليتم لهم العلو الكبير فى الأرض، وهو الذى أنبأ عن وقوعه المصطفى الخاتم ﷺ كما أنبأ عنه سفر اشعياء عليه السلام من قبل.

جاء فى حديث الاثنتين وسبعين خصلة وأكثرها فى التغيرات الخلقية قوله ﷺ (ويقل الأمر بالمعروف).

وهذه هى الخطوة الأولى فى تغيير السلوك الخلقى فى الأمة حتى صار الأمر بالمعروف سلوكا مستغربا من فاعله، بعد أن كان مألوفا معروفا لشيوعه بين الناس ومن ثم صار الأمر بالمعروف فعلا شاذا وإستثناء يقال لفاعله: لا تتدخل فى شئون غيرك وعبارة أخرى رددّها المفسدون الروائيون من كتاب الحوار والسيناريو فى الأفلام والمسلسلات وهى: «أنت لن تصلح الكون».

ومن ثم يصبح الأمر بالمعروف من الأفعال الصعبة الشاقة المكلفة، ويتبع هذا أيضا النهى عن المنكر كما جاء فى الحديث الذى رواه أبو بكرة رضى الله عنه قال (والله ما من نفس تخرج أحب اليَّ من نفس أبى بكرة، ففزع القوم، فقالوا: لم؟

قال: إنى أخشى أن أدرك زمانا لا أستطيع أن آمر بالمعروف ولا أنهى عن منكر، ولا خير يومئذ)(١). وما قوله هذا الا لأنه رضى الله عنه قد شعر بأن تغيُّراً يحدث فى الأمة على عهده حتى توقع أن يأتى قريبا الزمان الذى يصعب عليه فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى أنه تمنى الموت قبل أن يدركه هذا الزمان، وما ذلك الا للحديث الذى رواه رضى الله عنه من رسول الله ﷺ اذ قال (سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتى على الناس زمان لا يأمرون فيه بمعروف ولا ينهون عن منكر)(٢).

عندما يأتى هذا الزمان سيبدأ الفسق فى الانتشار وتكثر المعاصى وتعم الكبائر ويسوء خلق الناس، لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هما المناعة الذاتية

(١) رواه الطبرانى وقال الهيثمى رجال ثقات على اتحاف الجماعة حـ ٢ ص ٨١.
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن اتحاف الجماعة حـ ٢ ص ٨١.

للـمجتمـع المسلم ضـد الفساد، فـاذا ضعفـت المناعة أو إنـعدمت إنهـارت الأخلاق إنهياراً

بيد أن الأمة الاسلامية لـم تتوقف عن الأمر بالمعروف وعن النهى عـن المنكر كلية الا بعد سقوط الخلافة حيث تعطلت والغيت أنظمة الحسبة التى كانت سائدة فى كثير من البـلاد الاسلامية خـلال العصور والـعهود الاسلامـية كلهـا، ولـم تستـمر الا فى الجزيرة وفـى المملكة الـعربية الـسعودية وان كانـت قد صارت الآن ظاهرا بـلا باطن ونظاما بلا روح ورسما بـلا حقيقة أو جوهر. وبذلك انتقلـت الأمة خطوة أخرى فى طريق التغير الخلقى. هذه الخطوة هى سيادة المنكر واعتياد الناس عليه وغياب المعروف وانكار النـاس له. حتى يرى النـاس المعروف منكراً ويـروْن المنكر معروفـا ، (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كـيف بكم أيها الناس اذا طغى نساؤكم وفسق فتيانكم؟

قالوا: يارسول الله ان هذا الكائن؟!

قال: نعم، وأشد منه، كيف بكم اذا تركتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟!

قالوا: يارسول الله ان هذا الكائن؟!

قال: نعم، وأشد منه، كيف بكم اذا رأيتم المنكر معروفا، والمعروف منكراً؟!)

فتـرك الأمر بالمـعروف وترك الـنهى عـن المنكـر من أخطـر الخطوات فـى التغـير الخلقى. اذا انها أخطر من طغيان النساء وفـسق الفتيان، لماذا؟ لأن الفساد مهما كانت درجة إنـتشاره لابـد أن ينحـسر لو ظـل الأمر بالمعـروف والنهـى عن المنـكر قائـمين مستمريْن، وان لـم ينحسر، فتقل سرعة انتشاره.

أما اذا انعدم الأمـر بالمعروف والنهـى عن المنكر فان إنتـشار الفساد يكـون بسرعة انتشار النار فى الهشيم فى يوم عاصف.

أما الخطوة التى تلى هذه أن يأتى الجيل الذى ينشأ فى الفساد فيرى الشر أمرا عاديا ويرى المعاصى والآثام والمنكرات فيعتقد أنهما ما يجب أن يكون ولا يدرك أنها منكرات ومعاصى ومن المحرمات، ومن ثم تكون الطاعة والمعروف والعبادة أمراً غريبا منكرا.

ومن ثم يلى هذا الخطوة التالية وهى النهى عن المعروف، وذلك بعد أن صار أمرا غريبا، وهى الأمر بالمنكر بعد أن صار هو المعروف الطبيعى حتى صار المنكر نظاما وسنة وناموسا اجتماعيا.

وهذا ما نبأ به النبى ﷺ فيما رواه رزين (عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كيف بكم إذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم؟!

قالوا: يارسول الله وإن ذلك لكائن؟!

قال: نعم وأشد، كيف أنتم اذا لم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوْا عن المنكر؟!

قالوا: يارسول الله، وان ذلك لكائن؟

قال: نعم وأشد، كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟

قالوا: يارسول الله، وان ذلك لكائن؟

قال: نعم وأشد، كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفا؟

قالوا: يارسول الله، وإن ذلك لكائن.

قال: نعم)[1].

لأنه عندما يصل التغير الى هذا الحد، فانه لا يكون تغيّراً بل يكون إنهياراً للقيم الخلقية، لأن رؤية المعروف منكرا والمنكر معروفا يعنى غلبة الشر وطغيانه، وهذا من إمارات الساعة وعلامات آخر الزمان، فعن ابن مسعود رضى الله عنه: أنه قال: يأتى على الناس زمان تكون السنّة فيه بدعة والبدعة سنّة والمعروف منكرا والمنكر

(١) عن انحاف الجماعة/ جـ ٢ صـ ٨٠.

معـروفا، وذلـك اذا اتبعـوا واقتـدوا بالملـوك والسـلاطـين فـى دنيـاهـم)(١).

ويصاحب هذه التغيرات الخلقية تغيرات سياسية واقتصادية وتربوية وأسرية مصاحبة له بدليل الحديث الذى رواه حذيفة رضى الله عنه (قال قلت للنبى ﷺ

يارسول الله: متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما سيداً أعمال أهل البر؟

قال: اذا أصابكم ما أصاب بنى اسرائيل.

قلت: يارسول الله ما أصاب بنى اسرائيل؟!

قال: اذا داهن خيارُكم فجاركم، وصار الفقه فى شراركم، وصار الملك فى صغاركم، فعند ذلك تلبسكم فتنة تكرون ويكَرُّ عليكم).

فَمُدَاهَنَة الأخيارُ الفجارَ هو السكوت على فجرهم خوفا منهم، ليس هذا فقط، بل وابداء الاحترام لهم، وتلك امارة سياسية ان يكون الحكم للفجار أى أن يكون الأمراء فجرة، وان يكون العلماء أشراراً لأنهم أصحاب الفقه، ويكون الملك والحكم فى الرويبضة، وهم الحثالة، لأن الصغر ليس مقصوداً به العمر بل المكانة.

أما الفتنة التى يُكرُّ على الأمة فيها فهى غزوهم فى بلادهم من الصليبيِّين ثم من أبناء القردة والخنازير. يؤكد هذا رواية (أنس بن مالك رضى الله عنه لهذا الحديث قال: قيل يارسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

قال: اذا ظهر فيكم ما ظهر فى الأمم من قبلكم.

قلنا: يارسول الله: وما ظهر فى الأمم قبلنا؟

قال: الملك فى صغاركم، والفاحشة فى كباركم والعلم فى رذالتكم)(٢) أى فى فساقكم. وفى رواية لأبى نعيم (اذا ظهرا الإدهان فى خياركم والفاحشة فى شراركم

(١) رواه ابن وضاح عن اتحاف الجماعة جـ ٢ ص ٨١.
(٢) رواه ابن ماجه واسناده صحيح ورجاله ثقات

وتحول الفقه في صغاركم ورذالكم). وهذا لا يكون الا عندما يصبح العلم وظيفة منفصلة عن السلوك ولا يستحيي الذين يشتغلون بتحصيل العلم وتدريسه من ارتكاب الرذائل لأنها صارت المعروف المألوف، ولا يجد من ينكر عليه ذلك.

(١٤) الفساد الديني والتغير النفسي في أبناء الامة من أمارات القيامة الصغرى.

تنتهي التغيرات الخلقية السلوكية الى أحداث تغيرات جذرية نفسية في نفوس المسلمين وفي موقفهم من القرآن الكريم. (فعن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يخلق القرآن في صدور أقوام من هذه الأمة كما تخلق الثياب، ويكون ما سواه أعجب اليهم، ويكون أمرهم طمعا كله لايخالطه خوف، ان قصَّر عن حق الله منَّته نفسه الأماني، وإن تجاوز الى ما نهى الله عنه، قال: أرجو أن يتجاوز الله عني، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أفضلهم في أنفسهم المداهن. قيل: ومن المداهن؟ قال: الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر)[١] وروى الامام أحمد في الزهد ماهو قريب منه (عن أبي العاليه قال: يأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن ولا يجدون له حلاوة ولا لذاذة. إن قصروا عما أمروا به قالوا: إنه الله غفور رحيم وان عملوا بما نهوا عنه قالوا: سيغفر لنا، إنا لم نشرك بالله شيئا أمرهم كله طمع، ليس معه صدق، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أفضلهم في دينهم المداهن[٢]. وهذا ما تحقق في زماننا اذ أكثر المسلمين ذوي صدور خَرِبَة من القرآن الكريم، وكثير من حفظته في صدورهم كالثوب الخلق أي البالي القديم اذ أنها مملوءة بما سواه من الشعر والأغاني وهم بهذا السوى أكثر اعجابا به من القرآن الكريم.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية.

(٢) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل

فالأفلام واعلانات التليفزيون التافهة والداعية الى التفاهة والسَّفاهة وكل ما يتعلق بكرة القدم من مباريات وأسماء اللاعبين والتعليقات والتحليلات والتعليلات والدراسات والمخططات والتوقعات وقضاء الأوقات تملأ صدورهم طازجة طرية متجددة فليس فى صدورهم ميلا وحبا جديدا إلاَّ إلى اللعب واللهو.

أى الرياضة والفن.

وأما أحوالهم النفسية مع هذا فهى كما يلى: -

١ ـ يطمعون فى مغفرة الله تعالى.

٢ ـ لا يخافون من عذابه وحسابه عز وجل.

٣ ـ لا يفكرون فى طاعته ولا ينوون ذلك.

ومن ثم اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، فهل هؤلاء مؤمنون؟

ان الايمان خوف وخشية مع رجاء، وليس مع طمع، والرجاء غير الطمع لأن الراجى عفو ربه يعمل لهذا العفو، لأنه طمع فى رحمته مع خوف وخشية، أما الذى يطمع فى رحمته تعالى دون خوف من عذابه فهو متواكل وهذا لا يغنيه من الله شيئا، لأنه بهذا الطمع يقصر فى أمر الله تعالى ويتجرأ على نواهيه، ومن ثم يتجرأ الطماعون على المعاصى، والفرق بين الرجاء فى الله والطمع هو أن الأول طلب للرحمة مع خوف العذاب، ومن ثم يصحبه إمتناع عن الكبائر والمعاصى بقدر ما يستطيع العبد، أما الثانى فهو توقع الرحمة من غير خوف العذاب وتوقى المعصية.

وأمثال هؤلاء ينتهى بهم الحال النفسى الى أن يكونوا مسلمين فى الظاهر وقلوبهم قلوب الذئاب فى الباطل وأفضلهم المداهن الذى لا يفعل أفعالهم ولكن يخالطهم ولا ينكر عليهم منكرا .

روى الدَّيْلَمى (عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يأتى على الناس زمان: لا يُتبع فيه العالم، ولا يُستحى فيه من الحليم، ولا يُوَقَّرُ فيه الكبير، ولا يُرحم فيه الصغير، يقتل بعضهم بعضا على الدنيا، قلوبهم قلوب

الأعاجم، وألسنتهم السنة العرب، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، يمشى الصالح فيهم مستخفيا أولئك شرار خلق الله، ولا ينظر الله اليهم يوم القيامة)(١).

فقوله عن استخفاء الصالح أو تظاهره بعدم الصلاح حتى لا يسخرون منه أو حتى لا يقبضون عليه ويعتقلونه ويعذبونه بتهمة التطرف أو يأخذونه بشبهة الإرهاب أمر واقع فى كثير من مجتمعات المسلمين.

وهذا يعنى أنَّ من امارات الساعة ظهور أهل المنكر وغلبتهم وسطوتهم ويكونوا هم أصحاب السلطان (عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: للساعة أشراط.

قيل: وما أشراطها؟!

قال: علو أهل الفسق فى المساجد، وظهور أهل المنكر على أهل المعروف.

قال: أعرابى: فما تأمرنى يارسول الله.

قال: دع وكن حلساً من أحلاس بيتك(٢).

أى الزم بيتك ولا تغادره، ودع الناس فى فسقهم ولا تشاركهم فيه.

اذ سيصل الأمر بأن يكون المؤمن ذليلا بين الناس وان كانوا أهله (فعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: يأتى على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من شاته)(٢).

وفى نفس المعنى (عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يا ابن مسعود: إن من أعلام الساعة وأشراطها ان يكون المؤمن فى القبيلة أذل من النقد)(٣) والنقد صغار الغنم، وقوله فى القبيلة أى فى قومه وليس فى الغربة بين الكافرين.

(١) رواه الديلمى عن الحاف الجماعة جـ ٢ ص ٨٥.
(٢) رواه ابن عساكر فى تاريخه.
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط.

وروى نعيم فى الفتن عن ابن مسعود رضى الله عنه (يأتى على الناس زمان المؤمن فيه أذل من الأمة، أكيسهم الذى يروغ روغان الثعلب)(١).

ولهذا الخبر دلالة على اتجاه الرأى العام فى المجتمعات الاسلامية فى هذا الزمان حيال الدين، فعن (أبى امامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: أنه قال: «ان لكل شىء إقبالا وإدباراً، وان من اقبال هذا الدين ماكنتم عليه من العمى والجهالة، وما بعثنى الله به، وان من إقبال هذا الدين أن تفقه القبيلة بأسرها حتى لا يوجد فيها الا الفاسق والفاسقان، فهما مقهوران ذليلان، ان تكلما قمعا وقهرا وإضطهدا.

وان من أدبار هذا الدين: أن تجفو القبيلة بأسرها حتى لا يُرى فيها الا الفقيه والفقيهان، فهما مغموران ذليلان، ان تكلما فأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر قمعا وقهرا واضطهدا، فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعوانا ولا أنصاراً) (٢).

فهذا هو الحال الذى يعيشه المؤمن غريبا فى قومه وأهله، وهذا هو الذى أخبر عنه النبى ﷺ بقوله (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء)(٣).

وهذا يدل على غلبة الشر والفسق على مجتمعات الأمة الاسلامية فهو انقلاب فى حال الأمة يصبح المؤمن فيه غريبا بين أهله لأن أكثرهم ليسوا على الايمان والخير (روى ابن السنى والديلمى عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يأتى على الناس زمان يستخفى المؤمن فيهم كما يستخفى المنافق فيكم اليوم) أى إنقلاب الحال رأسا على عقب وذلك لأن المنافقين الحقيقيين سيكونون أغلبية الناس ومنهم بطبيعة الحال أصحاب السلطة والجاه والأمراء والشيوخ ومن ثم لا يطيقون مؤمنا فيضطر المؤمن للاستخفاء باخفاء ايمانه والتظاهر بأنه مثل الناس فى أعمالهم.

ونقل المتقى الهندى فى كنز العمال ما رواه أبو موسى المدينى فى كتاب «دولة الأشرار» (عن طارق بن شهاب قال: قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: إنكم فى

---

(١) رواه نعيم ابن حماد فى الفتن.

(٢) رواه الطبرانى.

(٣) رواه مسلم وابن ماجة والامام أحمد فى مسنده

زمان: القائل فيه بالحق خير من الصامت، والقائم فيه خير من القاعد. وإن بعدكم زماناً: الصامت فيه خير من الناطق، والقاعد فيه خير من القائم.

قال: فقال رجل: يا ؟أبا عبدالرحمن، كيف يكون أمرٌ مَنْ أخذ به اليوم، كان هدياً، ومَنْ أخذ به بعد اليوم، كان ضلالة؟

قال: قد فعلتموها؟! اعتبروا ذلك برجليْن مراً بقوم يعملون بالمعاصى، فانكر كلاهما، وصمت أحدهما فسلم، وتكلم الآخر فقال: (انكم تَفَعّلون وتفعلون فأخذوه، وذهبوا به الى ذى سلطانهم فلم يزل (أو لم يزالوا به حتى أخذ بأخذه وعمل بعمله)(١).

لاشك أن هذا يحدث فى عهد الجبابرة، وهو العهد الذى يسبق نزول العذاب وزلزال القيامة، وهو هذا الزمان المعاصر الذى أصبح الساكت فيه عن الحق خير من الناطق به، اذا لم يكن يصبر على تبعات كلمة الحق.

ولقد تعجب التابعون لمَّا سمعوا هذا من الصحابى الجليل عبدالله بن مسعود وهو أحد علماء الصحابة السبعة، تعجبوا أشد العجب، فلم يتمالك قائلهم الا أن يعترض على ما سمع:

إذ كيف يكون العمل الصالح مثل الأمر بالمعروف والحض على الحق والنهى عن المنكر والظلم هَدْياً فى زمن، وهو ليس كذلك فى زمن آخر؟! حتى أن القاعد فى بيته سيكون فى هذا الزمان خير من القائم للحق الناطق بالحق وفى سبيل نصرة الحق؟! فقال السائل (كيف يكون أمرٌ من أخذ به اليوم هدياً، ومن أخذ به بعد اليوم كان ضلالة؟!)

فكان على الصحابى الجليل رضى الله عنه تعالى أن يوضح هذا الحال الغريب على السامعين.

فضرب لهم مثلا باثنيْن من أهل آخر الزمان:

---

(١) رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخيْن ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

الأول: رأى المنكر والباطل والكفر والالحاد والطغيان والكذب والدجل يعلو ويظهر وينتشر والفسق والفجور والمنكر ينتشر ويعم، فأنكر بقلبه، وسكت، وكان جليس بيته يعبد ربه حتى يأتيه اليقين، فسلم.

أما الثاني: رأى ما رآه الأول فأنكر بقلبه، ولم يكتف بهذا لأنه ظن فى نفسه القوة والجلد والصبر فتجرأ وأنكر بلسانه، وقام معارضا مبيِّناً الحق والعدل والخير مطالبا ومجاهدا فاضحا لما يحدث مخالفا لشرع الله تعالى، فقبضوا عليه وعذبوه وظلوا به ترهيبا وترغيبا لكي يتحول عن دينه وجهاده ولما لم يكن ايمانه من القوة بما يكفى لكى يصمد امام الترهيب والترغيب، خسر فى هذا الابتلاء، وتحول عما كان عليه من الحق الى ماهم عليه من الباطل.

قالوا: أنت لن تصلح الكون، كن عاقلا، وربى أبناءك والاسلام علاقة بينك وبين ربك، فلتعبده فى بيتك، وعليك أن تعيش كما يعيش الناس (ومَشى حالك) فاستحاب لهم، وانتهى به الحال ان صار مثلهم وتعاون معهم (فلم يزالوا به حتى أخذ بأخذه وعمل بعمله) أى أخذ مأخذ السلطان وعاش بنهجه ورضى عنه.

فهذا الرجل الثانى الذى ظن فى نفسه قوة الإيمان وزكى نفسه، ولم يكن كذلك، وقع فى الفتنة، وخير منه الذى عرف قدر نفسه، وأنكر بقلبه لم يعرض نفسه للابتلاء والفتنة.

لكن بلا شك أن ثالثهما أفضل منهما معا، وهو الذى لم يسكت وقال الحق وعارض الباطل وجاهد فلما عذبوه صمد، وظل على ماهو عليه، فانه إن قُتل وبذل نفسه ثمنا لاعلان الحق عند السلطان الجبار الجائر، فانه يكون شهيدا بل سيد الشهداء، وإن ابتلى فصبر فطوبى له.

أمَّا إن قتل فهو كما وصفه رسول الله ﷺ (سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام فى وجه حاكم جائر فقال كلمة حق فقتله)(١).

وهذا هو الكائن فى هذا الزمان الذى نجد الصابر على دينه فيه المتمسك بشرع الله تعالى فى نفسه وأهله كالقابض على الجمر. (فعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (يأتى على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر).

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث غريب.

أليس هذا الزمان بما عمَّ فيه من مغريات ومفتنات والصارفات عن الطاعة والدين والايمان بأنواع اللهو واللعب التى لم تعرفها البشرية من قبل هو الذى يكون فيه الصابر عن هذه المعاصى الممتنع عنها كالقابض على الجمر، وأَلَيْسَ هو الزمان الذى يجد المؤمن فيه المجاهد من العذاب والسخرية من السلطة ومن الأهل والجيران ما يجعل حياته كالقبض على الجمر.

ان كل المخترعات البصرية والسمعية الحديثة والمعاصرة قد سارع الشياطين المفسدون فى الأرض باستغلالها لتصبح عونا على المعصية مناهضة للبر والطاعة حتى أن كثيرا من الناس لَيَصِلُ بهم الاستغراق فى الذنوب الى حد الكفر، روى الامام أحمد (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ويل للعرب من شر قد إقترب، فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر)[(١)].

فهذا القابض على الجمر هو الساكت عن الحق الذى لايجاهد ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، ولا يدعو الى الله، ولا يتكلم الحق، ولا يُعارض الباطل، وهذا ليس له الا أجر واحد على عمله.

ومثل هذا فى دولة الأشرار وزمن الجبابرة الذى تعيشه الأمة الآن هو من الناجين باذن الله تعالى.

لكن العامل فى هذا الزمان الداعى الى الله تعالى المتكلم بالحق المعارض للباطل وأهله المتصدى فى وجه السلطان الجائر الذى لابد أن يصيبه بسبب هذا كله الأذى فى نفسه وبدنه وحريته وأهله وماله، ثم هو يصبر ويثبت على اسلامه وجهاده فان أجره مثل أجر خمسين عاملا مجاهدا من الصحابة.

فى زماننا هذا الذى تحققت فيه كل ما ورد عن امارات الساعة السياسية والخلقية والاقتصادية ـ على ما سنرى بإذن الله تعالى ـ ينصح رسول الله ﷺ المؤمن فى هذا الزمان بالاكتفاء بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لخاصة نفسه وأهله.

(١) رواه أحمد عن أبى هريرة.

روى الحاكم فى المستدرك (عـن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيـد رضى الله تعالى عنه أنه قال: أنا لغير الدجال أخوف عليَّ وعليكم؟ قال: فقلنا: ماهو أبا سريحة؟

قال: فتن كقطع الليل المظلم.

قال: فقلنا أى الناس فيها شر؟

قال: كل خطيب مُصْقِعٌ وكل راكب موضع.

قال: فقلنا أى الناس خير؟

قال: كل غنى خفى.

قال: فقلت ما أنا بالغنى ولا بالخفى.

قال: فكن كابن اللبون، لا ظهـر فيركب، ولا ضرع فيحلب)[(١)] والغنى الخفى هو الذي كفـاه الله تعـالى رزقه الحلال ووقـاه شر الشهـرة وبخاصة الـشهرة بالـعلم لأن الأشرار هم الذين يعملـون على اشهاره وتلميعه، والاغداق عليه نـظير الاستفادة من شهرتـه كعالـم وإمام باضـفاء الشرعيـة على أعمالـهم ولتأييدهـم على قراراتهـم التى تخالف الشرع والتى توافقه على حد سواء.

ومن ثم فهم يأخذون من آخرته أكثر مما يأخذه هو منهم لدنياه.

فإذا كان غنـيا غير خفى فيجـب ألا يوغل فى الغنى والـشهرة وليبقى مقـتصدا فى هذا بعيـدا عن الأعين والأسماع حتى لا يـركبونه لمآربهم وحـتى لا يحلبونه لـدنياهم ويلزمونه بدفع ماله لترسيخ باطلهم.

ومن ثـم يتعين عـلى المؤمـن الحصين أن يكـون خفيا، حـتى لا يصـبح ظهرا لـهم يركبونه أو ضرعا لهم يحلبونه.

وابن اللبون الناقة التى لم تكتمل مـدة الرضاعة ولم تقو عظامها فلا لا تُركب ولم تبلغ عمر العشار فلا تحلب.

---

(١) الحاكم فى مستدركه وقال صحح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

أما أصحاب العزائم العالية والهمم الراقية والدرجات الرفيعة ونعنى بهم المجاهدون مثل جهاد الصحابة فى زماننا وعهد حكم الجبابرة ودول الأشرار فلكل منهم أجر خمسين من الصحابة.

عن أبى أميَّة الشَّعيانى قال: أتيتُ أبا ثعلبة الخشنى رضى الله تعالى عنه فقلت له: كيف تصنع فى هذه الآية؟

قال: أية آية؟

قلت: قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا أهتديتم)؟!

قال: أما والله لقد سألتَ عنها خبيرا، سألتُ عنها رسول الله ﷺ؟

قال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر. للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم.

قيل: يارسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم؟

قال: بل أجر خمسين رجلا منكم)[1].

وفى رواية للطبرانى فى الكبير والأوسط: ان النبى ﷺ قال (من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بمثل ما أنتم عليه له كأجر خمسين منكم قالوا: يانبى الله أو منهم؟

قال: بل منكم ثلاث مرات أو أربع)[2].

---

(١) رواه أبوداود والترمذى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط.

أي من يكون في هذا الزمان عمله مثل عمل الصحابة في العبادة والتقوى والجهاد فله مثل أجر خمسين منهم لأنهم كانوا يجدون عونا على الطاعة وفيهم رسول الله ﷺ هدى ونور لهم، أما أهل زمان الامارات فلا يجدون الا أعوانا على المعاصي والفسق ودعاة للضلالة والكفر.

وأمثال هؤلاء قلة نادرة في زمان الامارات حتى يكاد يكون في القبيلة أو في الحي أو في المدينة واحدا أو اثنين فعن (عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء.

قال: قيل: ومن الغرباء؟

قال: النزاع من القبائل) (١).

وفي رواية أخرى (قيل: من الغرباء يارسول الله؟

قال: الذين يصلحون اذا فسد الناس)(٢).

فالغرباء هم الصالحون المصلحون

وفي رواية لأحمد والطبراني (قال: ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)(٣) فهم اذن المجاهدون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المعارضون للباطل الذي يعصيهم أكثر الناس ومع هذا يستمرون في الدعوة لله تعالى وفي الجهاد.

(١٥) آفتان نفسيتان لأهل آخر الزمان في عهد الجبابرة ودولة الأشرار:-

هما في الواقع الذي تعيشه الأمة الآن داءان كلاهما أشبه بالسكرة.

الأولى: سكرة حب العيش.

والثانية: سكرة الجهل.

فالمسلمون يجهلون دينهم، على أن أكثرهم لا يعلم من دينه الا القليل النادر، وهم في غفلة وبعد تام عن الاسلام ومع هذا فهم يحسبون أنهم على علم بدينهم ويساعد على بعدهم عن دينهم السكرة الأخرى بحب العيش، لأن زمان الامارات التقنية

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب ورواه ابن ماجة والدارمي.

(٢) رواه الطبراني وقال التويجري وللحديث شواهد تقوية حـ٢ صـ٦٥.

(٣) رواه أحمد والطبراني وقال المنذري رواته رواه الصحيح عن إتحاف الجماعة حـ٢ صـ٦٧.

مملوء بالأجهزة التقنية السمعية والبصرية التى تمكن من اللهو واللعب وكذلك بسبب سهولة العيش لما وفرته لهم الآلات والأجهزة والأدوات فى جميع أعمال الانسان مما جعل الحياة سهلة ميسورة فوقعوا فى حب العيش فسكروا بحب العيش والجهل معا. فلما اجتمعت على المسلمين السكرتان ألبستهم الفتنة.

روى أبو نعيم فى الحلية (عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: غشيتكم السكرتان: سكرة حب العيش وسكرة الجهل فعند ذلك لا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر. والقائمون بالكتاب والسنة كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار)(١).

ومن ثم تتحول العبادات بالنسبة لمن أصابتهم السكرتان. الى رسوم ظاهرية بالأعضاء من غير مشاركة القلوب والأفئدة بدليل قول عبدالله بن عمرو بن العاص (يأتى على الناس زمان يحجون ويصلون ويصومون وما فيهم مؤمن)(٢) ويقوى هذا الحديث مارواه الحاكم في نفس المعنى ولفظه (يأتى على الناس زمان يجتمعون ويصلون فى المساجد وليس فيهم مؤمن)(٣).

ويبدو أن الغفلة بداء بالسكرتين تزداد يوما بعد يوم فى زمن العجائب حتى تصل نسبة الايمان بين المصلين إلى أقل من واحد من كل ألف، فقد (روى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: سيأتى على الناس زمان يصلى فى المسجد منهم ألف رجل أو زيادة لا يكون فيهم مؤمن)(٤).

بيد أن أهل هذا الزمان الذى تقل فيه نسبة المؤمنين بين المصلين فى المسجد عن واحد فى الألف أفضل من أهل زمان يليه اذ يجتمعون فى المساجد ولا يصلون. يدل على هذا ما رواه عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: يأتى على الناس زمان يجتمعون فى مساجدهم لا يصلون)(٥).

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية.
(٢) رواه أبو شعيب الحرانى فى فوائده انظر اتحاف الجماعة جـ ٢ ص ٦٨.
(٣) رواه الحاكم وقال صحيح الاسنادولم يخرجاه ووافقه الذهبى.
(٤) رواه الديلمى عن اتحاف الجماعة حـ ٢ ص ٦٨.
(٥) رواه ابن عساكر فى تاريخه.

وليس هذا قاصراً على الصلاة فقط، وإنما يتعدَّاه إلى الحج، وقد يكون من الميسور أن نفهم صلاة غير المؤمن التى تكون بدافع الرياء أو على سبيل العادة أو لأى مصلحة أو سبب دنيوى آخر، فكيف نفسر حج الرجل غير المؤمن، ولم يحج؟!

قد يكون الحج رياء حتى يقال له: ياحج فيضفى على نفسه الصبغه الايمانية، ولكن هذا لم يكن فى الزمان الماضى أى حتى سبعين سنة مضت، لأن الحج كان مغامرة بالحياة والمال لمشقته وصعوبة السفر ووجود قطاع الطرق بالجزيرة وغيرها وخطر حرارة الجو فى الجزيرة، ومن ثم لم يكن يقدم المرائى على الحج.

ولكن اذا أصبح السفر بلا مشقة وبلا خطر، بل قد يكون فيه أنواع من المتعة فى الطائرات والفنادق الراقية، فإن الحج يكون أشبه بالسياحة للمتعة وتغيير الجو كما يقولون.

واذا علمنا أن تكاليف الانتقال قليلة حتى أصبحت فى استطاعة المتسولين، فان الحج ومواسم العمرة تصبح مناسبات جيدة للتسول، كما يكون مناسبة جيدة أيضا للتجارة فيذهب كثيرون فى كل موسم اما للتسول واما للتجارة.

وهذا هو ما يحدث الآن ومعلوم لكل مَنْ حج أو إعتمر.

فقد جاء فى حديث طويل عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قوله ﷺ (... أى والذى نفسى بيده يحج أمراء الناس لهوا وتنزها، وأوساط الناس للتجارة وفقراء الناس للمسألة وقراء الناس للرياء والسمعة)[1] فكل واحد يحج بدافع دنيوى بالرغم من إختلاف مستوياتهم ومهنهم وأحوالهم، وهذا واقع فى مواسم الحج يشهد به الكثير، ولا يمنع أن يكون فى الأمة من يحج ويعتمر لله تعالى وليس بنية أخرى من نوايا هذه الأصناف الأربعة المذكورة فى الحديث.

(١٦) الفساد والنفاق يطول حتى بعض العلماء والفقهاء والقراء:

عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (يوشك أن يأتى على الناس زمان

---

(١) رواه أبو القاضى المحامى فى كتابه (الجليس والأنيس) عن إتحاف الجماعة جـ ٢ ص ٢٢ والحديث صحيح المتن لتحققه فى هذا الزمان المعاصر.

لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا يبقى من القرآن الا رسمة مساجدهم يومئذ عامرة وهى خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود)(١) وهذا أعظم ما يصيب الأمة من الفساد ، لأن العلماء والفقهاء والقضاة هم كالملح الذى تحفظ الأطعمة من التغير والتحول والفساد فكيف بالملح اذا أصابه الغير وطاله الفساد.؟!

ولا يمارى عاقل عالم بأحوال العصر بأن هذا حادث فى العلماء والفقهاء والقضاء والقراء، فنحن نعيش أسوأ حالات الأمة تدهورا فى الدين والأخلاق. عن أم الفضل وهى أم عبدالله بن عباس رضى الله عنهم جميعا أن رسول الله ﷺ قال (ليظهرن الاسلام حتى يَردَّ الكفر الى مواطنه، وليخوضنَّ رجالٌ البحار بالإسلام، وليأتينَّ على الناس زمان يتعلمون القرآن ويقرءون ثم يقولون: قرأنا وعلمنا، فمن هذا الذى هو خير منا؟ فهل فى أولئك من خير؟

قالوا: يارسول الله، فمن أولئك؟

قال: أولئك منكم، وهم وقود النار)(٢)

وليس هذا الحال قاصراً على قراء القرآن فقط، بل هو حال الفقهاء والعلماء والقضاة أيضا. (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يكون فى آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة فمن أدرك ذلك الزمان منكم: فلا يكونَنَّ لهم جابيا، ولا عريفا، ولا شرطيا)(٣).

وليس الفساد فى هؤلاء الموظفين فقط، بل فيمن يريد أن يعبد الله تعالى أيضا (فعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال يكون فى آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة)(٤) وعن هؤلاء العلماء والفقهاء والقراء قال رسول الله ﷺ (يخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم

(١)رواه البيهقى فى شعب الايمان.

(٢) رواه ابن أبى حاتم وابن مردويه عن اتحاف الجماعة جـ ١١ ص ٢.

(٣) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط.

(٤) رواه أبو نعيم فى الحلية والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان.

أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله: «أَبِي يَغتَرُّون؟ أم عليَّ يجترئون؟ فبي حلفتُ لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيرانا)[١].

وفي رواية ابن عمر رضى الله عنهما قال قال النبي ﷺ (ان الله تبارك وتعالى قال: لقد خلقتُ خلقا ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرٌ من الصبر فبي حلفت لأتيحنهم فتنة تدع الحليم حيراناً فبي يغترون؟ أم عليَّ يجترئون؟)[٢].

فهؤلاء يغطى عسل لسانهم مرارة نفاقهم التي في قلوبهم، ولأنهم يعملون في مجال العلم والفقه والدعوة والارشاد، فهم يختلون الدنيا بالدين، أي يطلبون الدنيا بأعمال الآخرة، لأن العلم والفقه والدعوة والتلاوة لكتاب الله هي من العبادات التي يُتَقرب بها الى الله تعالى وهم يفعلون هذا كله لكسب الدنيا.

(١٧) أخلاق المنفعة والمصلحة وما يترتب عليها من قطيعة الأرحام وانقطاع المودة وشيوع سوء الجوار والبغض في العلاقات الانسانية:-

قال تعالى عن اليهود والنصارى وسائر المشركين ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾(١٤ - الحشر)

وذلك لأن الكفر بالله تعالى وباليوم الآخر، وكذلك العقائد الشركية، تحصر آمال الانسان وطموحاته وتقصرها على الحياة الدنيا فقط، كما تحصر الحياة الدنيا بالنسبة للكافرين في المتاع، ومن ثم يتنافسون بينهم، مما يورث الحسد والتباغض ويقطع الأرحام، وقد نبأ النبي ﷺ بأن هذا كله سيكون في الأمة بين يدىْ الساعة وكذلك هو من ارهاصات العذاب المنتظر بالزلزال والخسوف وأحوال القيامة الصغرى التي تحدث في الدنيا بين يدى الساعة بقوله ﷺ (ان من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه الا للمعرفة)[٣] وفي رواية (ان من أشراط الساعة اذا كانت التحية على المعرفة)[٤] وهذا معناه أن الخطوة الأولى في طريق أخلاق المنفعة والمصلحة التي هي أخلاق الماديين العلمانيين هي قلة الود بين الناس وانعدام الألفة

(١) رواه الترمذى
(٢) رواه الترمذى
(٣) رواه الطبرانى
(٤) رواه أحمد

وقلة إفشاء السلام بينهم. ولم يكن هذا كله من عادات المسلمين حتى أول النصف الثاني من هذا القرن اذ كان الناس يلقون السلام عند اللقاء أو عند التقابل سواء على من يعرفونهم أو على من لا يعرفونهم عملا بنصيحة الرسول ﷺ (.... ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم)[1].

أما اليوم فلا يسلم أحد على أحد الا للمعرفة، بل قد يكون المتلاقيان يسكنان بناية واحدة أحدهما صاعد والآخر نازل على الدرج فلا يسلم أحدهما على الآخر. وهذا من أشراط الساعة كما دلت على هذا الآثار السابقة. بل هي أيضا من الامارات بدليل ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ (بين يديْ الساعة تسليم الخاصة) وذلك لارتفاع الألفة وغيابها عن العلاقات الانسانية كما جاء في رواية البخاري في الأدب المفرد عن عمير بن اسحق قال (كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس الألفة)[2] وقد حدث هذا منذ زمن، فهو من الأشراط، لكنه استتبع بعد ذلك الخطوات التي تليه والتي انتهت بالناس الى أخلاق المنفعة والمصلحة التي هي من الامارات التي بين يدي نزول العذاب كما سنرى.

ومن الأخلاق المادية الهابطة الاستهانة باللعن والسب بالرغم من أنه أي اللعن دعوة بالطرد من رحمة الله تعالى، حتى أن الرجل يلعن صديقه وخليله، بل هما يتلاعنان ويعتبران هذا من مظاهر قوة العلاقة بينهما، وهذا كائن الآن في الأمة.

كما أنبأ به الصادق المصدوق ﷺ فيما رواه عنه معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لاتزال الأمة على الشريعة مالم يظهر فيهم ثلاث: مالم يقبض منهم العلم، ويكثر فيهم ولد الخنث ويظهر فيهم الصَّقَّارون قالوا وما الصقارون يارسول الله؟ قال: نشء يكونون في آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم اذا تلاقوا التلاعن)[3] قال ابن منظور الصقار: اللعان لمن لا يستحق اللعن، وهو من الصاقور أي المعول الذي تحطم به الصخور.

---

(١) رواه أحمد في المسند والحاكم في المستدرك وصححه.

(٢) البخاري في الأدب المفرد عن الحاف الجماعة / جـ٢/ ص٢٠٢.

(٣) رواه أحمد والطبراني والحاكم.

وهذا المسلك شائع ويتطاول اللعن إلى الآباء دون أن يغضب أحدهما من الآخر.

وقد حدثت الأولى والثانية ايضا لأن قبض العلم انما يكون بموت العلماء المخلصين الذين يقل من يقوم بمهامهم ويكثر بالتالى أراذل العلماء الذين يتاجرون بدينهم وآخرتهم ويفتون بما يرضى الحكام ويضلون الناس ويغضبون ربهم عليهم.

وقد سبق الكلام عن كثرة ولد الحنث أى ولد النكاح أو الفراش غير الشرعى وهذا كائن فى الأمة اليوم لأن كثرتهم تعنى زيادة نسبتهم عن الأزمان السابقة وهو كثيرا جدا فى بلاد أوربا وأمريكا.

ولاشك أن اجتماع هذه الثلاثة وتعَاصُرُها فى زمن واحد يدل على أنَّ الأمة فى هذا الزمان لا تقيم شرع الله تعالى ولا تطبق أحكام الإسلام، وهذا هو الكائن الآن فى بلاد الإسلام، فى عهد الجبابرة الذى هو أمارة من الإمارات الخلقية التى تسبق نزول العذاب الذى يسبق بيعة المهدى عليه السلام.

وتظهر أخلاق وعادات هذا العصر فى أفلام ومسلسلات التليفزيون والمسرحيات المليئة بألفاظ الفحش وصيغ اللعنات للآباء والأمهات والسخرية حتى من الموت والأموات، ولاشك أن وراء هذا كله من يعملون بقصد أو بغير قصد وبعلم وبغير علم لحساب مخططات خبثاء صهيون لترسيخ وتعميم إفسادتهم الأخيرة بتعويد الناس على هذه العادات السيئة والألفاظ البذيئة والأخلاق الشركية.

لقد نبأ حديث أبى الدرداء رضى الله عنه بما هو كائن الآن بقوله لمحدثه (فكيف اذا تباغضت قلوبهم وتلاعنت ألسنتهم وظهرت عداوتهم وفسدت ذات بينهم وضرب بعضهم رقاب بعض)(١).

لقد حدث على مستوى الأفراد والجيران والأرحام وعلى مستوى الأسر وعلى مستوى الأقاليم والمحافظات وعلى مستوى القبائل والدول والشعوب وعلى مستوى القوميات داخل الأمة الاسلامية

---

(١) رواه الحاكم فى مستدركه وصححه ووافقه الذهبى على تصحيحه.

ولقد تباغضت قلوب رؤساء وملوك وأمراء الدول العربية فى فتنة الكويت وتلاعنوا فى اجتماعاتهم وأظهروا عدواتهم وبصق بعضهم فى وجوه بعض. وفسدت العلاقة وأصبحت قطيعة سيئة نهائية وانتهت بذلك ولازالت القطيعة بعد أن ضرب بعضهم رقاب بعض فى الحرب العالمية الثالثة ضد العراق التى لم تنته بعد.

ويرتد فى هذا الزمن كثير من الناس عن الاسلام ويعلنون ذلك على المنابر دون خشية وهم دعاة الضلالة، والمنابر هى الصحف والاذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما (فعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أنه قال: اذا رأيتم الدم يسفك بغير حقه والمال يعطى على الكذب وظهر الشك والتلاعن وكانت الردة فمن استطاع أن يموت فليمت)[1] ويقوى هذا الحديث ما رواه الحاكم وصححه عن معاذ بن جبل أيضا انه قال: خمس أظلتكم من أدرك منهن شيئا ثم استطاع أن يموت فليمت

١ - أن يظهر التلاعن على المنابر.

٢ - ويعطى مال الله على الكذب والبهتان.

٣ - وسفك الدماء بغير حق.

٤ - وتقطع الأرحام.

٥ - ويصبح العبد لا يدرى أضال هو أم مهتد)[2] هل بقيت منهن واحدة لم تحدث؟!

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (اذا عملت أمتى خمسا فعليهم الدمار:

١ - اذا ظهر فيهم التلاعن.

٢ - وشربوا الخمور.

٣ - ولبسوا الحرير.

---

(١) رواه نعيم بن حماد فى الفتن.

(٢) رواه الحاكم وصحّحه وقال: على شرط الشيخيْن ووافقه الذهبى على هذا.

٤ ـ واتخذوا القيان.

٥ ـ واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء)(١).

والدمار هو العذاب المرتقب بالزلزال والخسف والقذف. لأن هذه الخمسة قد تحققت في الأمة.

والتعامل والتعاون لا ينقطع بين الناس فى المجتمع لأنه من ضروريات الحياة البشرية، ومن ثم لابد من الاخوة والصداقة والجيرة، ولكن بعد أن كان كل هذا مبنى على الايمان بالله تعالى وباليوم الآخر فيحب الرجل أخاه لا يحبه الا فى الله ويبغض الرجل الرجل لايبغضه الا فى الله، ومن ثم يكون التعامل والتعاون والاخوة والصداقة خالصة لله فيسود العدل والخير بينهم، فاذا انهارت الأخلاق فى زمن العذاب المرتقب استبدلت هذه الدوافع الايمانية الخالصة للأخلاق بأخلاق المنفعة فتكون أخوة العلانية عداوة السريرة فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (يكون فى آخر الزمان أقوام: اخوان العلانية أعداء السريرة، فقيل: يارسول الله وكيف يكون ذلك؟ قال: ذلك برغبة بعضهم الى بعض، ورهبة بعضهم من بعض) والرغبة الحرص على المصلحة والمنفعة والربح المادى والرهبة الخشية من المرهوب خشية على النفس والمال، فاذا لاحظنا قوله ﷺ (يكون فى آخر الزمان) وتحققنا بلا ريب من أن هذه هى أخلاق أهل هذه الأجيال الكائنة ثبت لنا أننا فى آخر الزمان.

يؤكد هذا ما رواه الطبرانى عن محمد بن سوقة قال (أتيتُ نعيم بن أبى هند فأخرج الى صحيفة، فاذا فيها من أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل الى عمر بن الخطاب: سلام عليك..... حتى قال.. وإنا كنا نتحدث أن أمر هذه الأمة فى آخر زمانها سيرجع الى أن يكونوا أخوان العلانية أعداء السريرة...)(٢).

وكان رد عمر بن الخطاب رضى الله عنه.. وكَتَبْتُمَا تحذرانى أن أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها الى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذلك، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة تكون رغبة بعض الناس الى بعض لصلاح دنياهم)(٢).

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط، ورواه البيهقى وابو نعيم فى الحليه عن اتحاف الجماعة / جـ٢/ ص ٢٠٥.

(٢) رواه الطبرانى وابو نعيم فى الحلية/ عن إتحاف الجماعة / جـ٢/ ص ٢٠٣.

هذا أفضل وأبلغ وصف لأخلاق المنفعة والمصلحة الوافدة للأمة من الغرب المادى العلمانى.

وهى من أوسع أبواب الفساد فى الأرض لأنها تؤدى إلى قمة الفساد وتستوعبه ونعنى بهذه القمة تقطيع الأرحام وقطعها حيث يكون الحاكم والضابط للتعامل بين الأشقاء وأبناء الأسرة الواحدة والعلاقات الأسرية هو الحرص على المصلحة الذاتية الفردية. فإذا اختلفت مصالحهم وتضاربت تصارعوا وتباعدوا وتباغضوا وربما أدى الى اقتتالهم.

عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قال (اذا ظهر العلم «وفى رواية القول» وخزن العمل وإئتلفت الألسنة واختلفت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمي أبصارهم)(١)ذلك أن قطع الأرحام فرع من أخلاق المنفعة وسياسة المصلحة فيعق الولد أباه وأمه حيث تنتهى علاقته بهما أو بأحدهما إلى أن يكونا هما بحاجة اليه، ولا نفع منهما له. فيبتعد عنهما وتمر السنون لا يزورهما ويكون فى نفس الوقت ودودا لصديقته بارا بزوجته ولذلك ورد فى حديث الاثنين وسبعين خصلة قوله ﷺ (وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأقصى أباه) وفى رواية حذيفة (وعق الرجل أباه وجفا أمه وبر صديقه وأطاع امرأته) أى أنه يعامل الوالد بالسوء ويعامل صديقه فى المقابل بالحسنى كما أنه يجفو أمه ويقطع رحمها ويعصيها ويغضبها فى حين يجعل طاعته ووده وإحسانه لزوجته فالجمع بين هذين المتقابلين فى الحديث لحكمة وهى بيان أن التعامل بين الناس قائم على المنفعة والمصلحة لتحقيق المتاع المتمثل فى الشهوات والأهواء ولا يستثنى من هذا السلوك معاملة الوالدين.

وهذه هى أخلاق الناس اليوم تدور مع المصلحة والمنفعة ومن ثم يستخدمون الكلام اللين الدال على المودة لمن عنده منفعه فإذا قضى حاجته عنده فهو لا يعرفه بعد ذلك لأن العلاقة كانت على أطراف اللسان ولم تكن فى القلب وللدنيا وليست لله عز وجل، فالقلوب متناكرة متنافرة متباغضة، ولولا المنفعة ما قام بين الناس تعاون أو تعامل.

---

(١) رواه أبو الشيخ فى الفتن والديلمى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

روى الحسن مرسلا أن رسول الله ﷺ قال (إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الأرحام، لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم)(١) وليس من تفسير للمحبة بالألسن مع التباغض بالقلوب إلاّ التعامل للمنفعة فقط وللحرص على المصلحة.

ولم يستثن من أخلاق المنفعة الزواج والتعامل بين الزوجين، حتى أن الرجل يختار المرأة التى تحقق له دخلا ماليا زائدا فهو يتزوجها لمالها ولعملها ولمهنتها ولمرتبها لتشاركه فى النفقه، ومن ثم أنبأ النبى ﷺ بأن الرجل يعزف عن ابنة عمه ليتزوج التى تجيد الزراعة لتساعده فى أعمالها فقال (لا تقوم الساعة حتى ترجعوا حرّاثين، وحتى يعمد الرجل الى النبطية فيتزوجها على معيشته ويترك بنت عمه لا ينظر اليها)(١) والأنباط هم الذين يستنبطون الزرع من الأرض، وأطلق هذا الاسم على أهل الرافدين العراقيين والمعنى أن الرجل فى آخر الزمان سيتزوج المرأة على أساس المنفعة والمصلحة، فإن كان حرّاثا يختار التى يمكنها أن تساعده على فلاحة الأرض، والموظف يختار موظفة مثله وتحمل مؤهلا يناظر مؤهله ومهنتها مثل مهنته. والتاجر يشركها فى تجارته فتقف فى الدكان بدلا منه. وهكذا.

وكل هذا حادث اليوم كما عبر عنه الحديث الشريف وهو لم يكن متصوراً من قبل لاستقرار المرأة فى البيت وهذا يدل على أنه قد غلب على الناس اختيار الزوجة على أساس المنفعة وليس الدين والخلق.

بل ظهر في بدع الزواج الجاهلى نوعاً من الزواج على الورق دون المعاشرة الزوجية لتحقيق منفعة للزوج والزوجة أو بالأحرى للمتعاقديْن.

وبعد تحقيق المصلحة للزوج وتنتهى المدة المتفق عليها فى العقد يتم الطلاق أو بالأحرى انهاء العقد.

وهذا ما يحدث فى أمريكا وربما فى بلاد أوربية أخرى بين المهاجرين من بلدان العالم الفقير، وأكثرهم من المسلمين الذين يدخلون هذه البلاد بتأشيره سياحية ثم لكى يستطيع أن يستمر فى الاقامة ويعمل ويكسب يلزمه الحصول على مايسمونه

---

(١) رواه الطبرانى عن أبى أمامة/ عن اتحاف الجماعة / جـ٢/ ص ١٤٠.

البطاقة الخضراء التى تسمح له بذلك وهو مالا يستطيع الحصول عليه الا بالزواج من أمريكية. ومن ثم نشأت مكاتب ووكالات لتزويج أمثال هؤلاء المهاجرين من أمريكيات نظير دفع مبلغ من المال لها، وغالبا ما يكون الزواج صوريا على الورق فقط ليحصل على السند القانونى للاقامة ثم للجنسية الأمريكية فيما بعد ثم بعد هذا يتم انهاء العقد.

وهذا معناه أن الحياة والعلاقات الانسانيّة حتى أهم وأقدس العلاقات وهى الأسرية ومنها علاقة الزوجين التى هى عهد وميثاق غليظ وتقوم على المودة والرحمة، فاذا بها تجارة ومصلحة ومنفعة متبادلة بين الزوجين.

وهذه صورة من صور زواج المسلم من الأجنبية على المعيشة مع ترك ابنة عمه المسلمة، أى بنت القبيلة والوطن.

(١٨) إنهيار القيم الخلقية فى سنوات ماقبل نزول عذاب القيامة الصغرى:

سبق بيان هذا الانهيار أثناء الكلام عن خطوات التغير الخلقى وثبت اثبات دور الصهيونية فى هذا المجال كما نبأ أشعياء عليه السلام فى سفره عن دور من يطلقون على أنفسهم حكماء صهيونى بقوله (ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شرا، الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما، الجاعلين المرحلواً والحلو مرا، ويل للحكماء فى أعين أنفسهم، والفهماء عند ذواتهم، ويل للأبطال على شرب الخمر، ولذوى القدرة على مزج المسكر الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة، وأما حق الصدّيقين فينزعونه منهم/ أشعياء/ ص ٥/ ع ٢٠ ـ ٢٣).

لقد عمد الصهاينة بمخططاتهم الخبيثة الى قلب كل مقومات الحياة الخلقية والسياسية والاقتصادية رأساً على عقب، فجعلوا كل خير شرا وكل فضيلة رذيلة وكل بر والتزام بطاعة الله وجهاد فى سبيله ارهابا وعدوانا وإثما وكل معروف منكراً وكل منكر معروفا، والنص ينسب هذا كله (للحكماء فى أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم لأنهم أطلقوا على مخططات الافساد الخبيثة (بروتوكولات حكماء صهيون) فالمقصود بهذا النص واضعو هذه البروتوكولات قطعا ويقينا الذين يظنون أنهم أذكى من الشعوب الأخرى (الجوييم) بل انهم يعتبرون أهل الأديان من غير اليهودية

والشعوب غير بنى اسرائيـل حميرا لهم يركبونهم لتحقيق أهدافهـم المتمثلة فى العلو بالافـساد وفى كل الأرض. والـتعبيـر فى النص يـفيد أنـهم هم الذيـن أطلقوا عـلى أنفسهم حكماء بينما هم أبعد ما يكونـون عن الحكمة لأن الحكمة مرتبطة دائما بالخير على عكس ماهم عليه من افساد وشر وتدمير.

وهم الذين جعلـوا الشر خيرا بقولهم أن الغـاية تبرر الوسيلة وللحـاكم أن يسلك أى مسلـك شرير وظالم لتحقيق أهدافـه داخليا وخارجـيا، لأن من يلتزم مـن الحكام بالحق والخير والعدل حاكـم ضعيف فاشل فهدموا هذه القيم الثـلاث وأقاموا محلها الباطل والشر والظلـم.

وأحلـوا الحرام وحـرموا الحلال وجـعلوا الـنور وهـو الايمان بالـله تعـالى ظـلاما وجعلوا الظلام وهو الالحاد والكفر نورا.

وقلبوا حقائق الحياة الاجتماعية لما جعـلوا الحلو مرا أى الطيب خبيثا والمر حلوا أى الخبيـث طيـبا، فعمـلوا علـى التبـغيض فـى الزواج والحيـاة الأسرية، والتـحبيـب فى العزوف عن الزواج والاقبال على الزنا.

وأفسدوا الذوق الانسانـى الفطرى بتغيير مقـاييس الجمال الفطرية المرتـبطة بالخير والحق والعـدل وهدموا قيمـة العفة بـالقضاء علـى الحياء الفطـرى بالدعوة الـى اتباع خطوات الـشيطان خطوة خـطوة بالعمل عـلى التبرج والسـفور والاختلاط مع تغـيير الشريعة وتعطيل الحـدود مستغلين المخترعات الحديثة كالسينـما والمسرح والتليفزون والفيديو والأقمار الـصناعية أبشع استغلال ولازالوا. فوسعـوا دائرة الافساد فى فترة قصيرة جدا من عمر الزمن.

كما هدموا قيـمة الأمانة التى يستتبع هـدمها وضياعها هدم الدين، ثـم عملوا على نشر المخدرات والمسكرات وبرعوا فى صنـع المخدرات بما يُعرف «بالبـدرة» فكانوا أبطالا فى مزج المسكر كـما جاء فى النص وترويجه بشكل لم تعرفـه البشرية من قبل فظهـرت عصابات لصـناعته وتـرويجه فى حجـم الدول وبامكانـيات الدول العـالمية واستتبع هـذا جعل الشرير باراً والبار شريـرا إرهابيا متطرفا، فاتهـموا البرىء وبرءوا

المجرم بسبب انتشار الرشوة حتى صارت معروفا حلالا وعمت الجميع حتى فى بعض الأوساط القضائية، فضاعت الحقوق من أصحابها واستولى عليهم غيرهم بالباطل وهذا كله ما نبأ به حديث الاثنتين وسبعين خصلة وهذا يدل على أنها جميعا اكتملت فى الأمة ولم تبق واحدة لم تحدث ومن ثم فلم يبق الا الخسف والقذف والمسخ.

من هذه الخصال: «إضاعة الأمانة» وإستحلال الكذب» و«يظهر الجور» أى يغلب على العدل ويصبح هو القاعدة والعدل استثناء ومنها أيضا «ويؤتمن الخائن ويخوّن الأمين» أى تعطى المناصب لمن لا يستحقها ويستبعد المخلصون عنها.

ومنها «ويصدق الكاذب ويكذب الصادق» لأنه عصر الدجل من صناعة الدجال.

ومنها «ويفيض اللئام فيضا، ويغيض الكرام غيضا» أى يكثر اللئام ويصيروا ألاكثرية ويقل الكرماء ويصيروا أقلية.

وفى حديث أبى هريرة (..... ويكثر ولد البغى وتفشو الغيبة ويظهر المنكر ويظهر البناء) أى أن ظهور البناء وعلوه وكثرته متزامن مع هذه الخصال السيئة التى منها ماهو خلقى ومنها ما هو اجتماعى).

وأيضا فى حديث آخر عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (ومن أشراط الساعة، سوء الجوار وقطيعة الأرحام، وان يعطل السيف فى الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين) وهذه علامة تاريخية متزامنة مع هذه الامارات الخلقية، وتعطيل السيف عن الجهاد هو معاهدة السلام مع اسرائيل لأنها الموقف الرسمى العربى من الجهاد المصاحب لهذه الامارات الخلقية وقد تزامنت مع ظهور البناء فى جزيرة العرب اى فى العقد الثامن والتاسع من القرن العشرين بعد علاء البترول.

وروى ابن أبى شيبة عن ابن مسعود قال (ان من أشراط الساعة أن يظهر الفحش والتفحش وسوء الخلق وسوء الجوار) وكل هذا حدث حتى فى المسرحيات والأفلام وروى الحاكم فى مستدركه والطبرانى فى الأوسط بسنده (عن أبي ذر الغفارى رضى

الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال. اذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة وكثرت التجارة... الى أن قال... «ولا يوقر كبير ولا يرحم صغير» وفيه «ويلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أمثلهم فى ذلك الزمان المداهن»)[١] .

وروى الطبرانى (عن ابى موسى رضى الله عنه قال: سُئل النبى ﷺ عن الساعة وأنا شاهد، فقال: لا يعلمها الا الله ولايجليها لوقتها الا هو، ولكن سأحدثكم بمشاريطها وما بين يديها»... حتى قال.... «وان يُلقى بين الناس التناكر فلا يعرف أحدٌ أحداً، وتجف قلوب الناس، ولا يبقى الا رجراجة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا)[٢].

وروى الطبرانى (عن أبى موسى أيضا عن النبى ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يكون القرآن عارا ويتقارب الزمان.... الى أن قال «ويظهر البغى والحسد والشح وتختلف الأمور بين الناس ويتّبع الهوى ويقضى بالظن ويقبض العلم ويظهر الجهل)[٣] الى آخر الحديث.

ومن الاثنتين وسبعين خصلة أن يكون (الأمراء فجرة والوزراء كذبة) لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة حسب الميكافيلية التى أصبحت دستور السياسيين وهى من مخططات خبثاء اليهود.

ومنها أيضا (.. والأمناء خونة...) وهذا يستلزم منا سؤالا: كيف وهم الأمناء؟ أليس هذا قولا متناقضاً؟! حاشا أن يكون فى كلامه ﷺ أدنى اختلاف أو تعارض، وذلك لأن «الأمناء» مبتدأ فهو ليس صفة ولاخبر ولا حالا وانما هو إسم لوظيفة تطلق فى زمان الامارات الذى تعيشه البشرية والأمة الآن ويسمى بها من يعمل فى وظيفة أمين المخزن وأمين الصندوق وأمين العهدة وأمين الخزنة وأمين العمل وأمين الشرطة هؤلاء يأتى عليهم زمان يكونوا خونة فلا يرعى كثير منهم الأمانة الموكولة اليه سواء كانت مالا أو مصالح أو أمن العباد.

---

(١) رواه الطبرانى فى الاوسط والحاكم فى المستدرك.
(٢) عن اتحاف الجماعة / جـ٢/ ص ٢١٣.
(٣) رواه الطبرانى وقال عنه الهيثمى رجاله ثقات

وهم خونة بما يقومون به من اختلاسات وتزوير وسرقه ورشوة ثم قبل الجرد السنوى تقوم الحرائق المصطنعة بسبب الماس الكهربائى حتى يخفوا العجز فى عهداتهم وتظهر براءتهم ويتهم الماس الكهربائى (فالأمناء خونة) جملة إخبارية للصادق المصدوق دليل من آلاف الأدلة على صدق نبوته لأن هذه الوظائف المذكورة لم تكن معلومة ولا مذكورة من قبل حيث كان يسمى أمين الصندوق أو أمين الخزنة وغيره خازن بيت المال... والإمناء إسم مبتدأ وهو إسم الوظيفة وليس صفة اما خونة فهو خبر للمبتدأ وهو فى معنى الوصف للمبتدأ، أما لفظ الامناء فليس وصفاً ومن ثم يزول إلتناقض المتوهم بين كونهم امناء وكونهم خونة والمعنى أن من أمناء الصندوق وأمناء العهدة وأمناء الخزنة وأمناء الشرطة خونة.

ومن هذه الخصال أيضا أن (يتخذ المغنم دولا) أى كل ما تغنمه الأمة يصير لفئة الحكام ومن حولهم ويحرم منها سائر أبناء الأمة أى الغالبية التى تعيش تحت خط الفقر فى مقابل أصحاب المغنم الذين لا يزيدون عن نصف فى كل مائة أو خمسة من كل ألف ومنها قوله ﷺ: (أن تُصْبح الأمانة مغنما) يعنى عندما يتسلم أحدهم أمانة عن من غيره ليردها فإنه يأخذها فرحا بها كأنه حصل على غنيمة من عدو ويتعامل مع هذا الشيء على أنه ملكه ولا يتصور أن يأتى صاحبه يوما ويطلبه منه فإذا حدث أن طلبه لا يرده له.

ومن هذه الخصال أيضا (وإتخذ الظلم فخرا) وهذا ما يحدث من أصحاب السلطان وظلمه الشرطة. وهذا لا يكون الا اذا كان الظلم شائعا وهو القاعدة ويكون العدل استثناءا ونادرا، ولا يتحقق العدل الا مع القوى. فقد روى ابن أبى الدنيا عن أبى موسى رضى الله عنه عن الأشراط ومنه (ويؤتمن التهماء ويتهم الأمناء ويصدق الكاذب ويكذب الصادق، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى تبنى الغرف فتطاول، وحتى تحزن ذوات الأولاد، وتفرح العواقر ويظهر البغى والحسد والشح ويهلك الناس ويكثر الكذب ويقل الصدق وحتى تختلف الأمور بين الناس ويتبع الهوى ويقضى بالظن)[1] وكل هذا كائن ومتحقق فى الأمة، ولعل فرح العاقر لما تراه من شقاء الآباء والأمهات بالأبناء بنين وبنات، ولأنهن أيضا معفيات من استخدام وسائل الحمل الضارة، فيكون فرح العواقر لنجاتهن من شقاء الأبناء وشقاء وأمراض وسائل منع الحمل.

(١) رواه ابن ابى الدنيا وابن عساكر وابو نصر السجزى فى الا بانة عن اتحاف الجماعة / جـ٢/ ص٢٨.

وروى الطبراني بسنده عن عطية السعدى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (ثلاث اذا رأيتهن فعندك عندك: إخراب العامر وإعمار الخراب وأن يكون الغزو رفدا وأن يتمرس الرجل بأمانته تمرس البعير بالشجرة)(١).

فالتخريت والتعمير هو من الامارات الصناعية والتشيدية لأنه عند تخطيط المدن والقرى لابد من هدم القديم والبناء بأساليب البناء الحديثة. (والغزو رفدا) إشارة الى جيوش مرتزقة وقتال وعسكرية للمال وليس بسبب الرغبة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى أو للدفاع عن الوطن. أما التمرس بالأمانة تمرس البعير بالشجرة بالأكل منها على قدر مايصل فمه الى أوراقها لايبقى منها الا ما لا يقدر عليه.

كل هذا يدل على إنهيار القيم وازدياد هذه الخصال الخلقية وغير الخلقية فى الأمة عاما بعد عام حتى اكتملت تماما كما أخبر بها سيد البرية ﷺ(*)، روى ابن المنادى بسنده عن على رضى الله عنه أنه قال (ليأتين على الناس زمان يُطرى فيه الفاجر ويقرب فيه الماجن ويعجز فيه المنصف فى ذلك الزمان تكون الأمانة فيه مغنما والزكاة فيه مغرما والصلاة تطاولا والصدقة منًّا، وفى ذلك الزمان استشارة الإماء، وسلطان النساء، وإمارة السفهاء)(٢) ومعنى تقريب الماجن أى المكايد الذى يعمل بالمكر السىء.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (سيجىء أقوام فى آخر الزمان تكون وجوههم وجوه الآدميِّن وقلوبهم قلوب الشياطين أفعالهم افعال الذئاب الضوارى ليس فى قلوبهم شىء من الرحمة، سفاكون للدماء، لا يرعوون عن قبيح، أن تابعتهم واربوك، وإن تواريت عنهم أغتابوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن إئتمنتهم خانوك ، صبيهم عارم وشابهم شاطر وشيخهم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، الاعتزاز بهم ذل، وطلب مافى أيديهم فقر،الحليم فيهم غاو، والآمر فيهم بالمعروف متهم، والمؤمن فيهم مُستضعف والفاسق منهم مشرف، السنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، فعند ذلك يسلط عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير.

(٢) رواه ابن المنادى عن اتحاف الجماعة / جـ٢/ ص ٣٨.

(*) لأن الحديث وان كان موقوفاً على علىٍّ رضى الله عنه الا أنه عند العلماء فى حكم المرفوع للنبى ﷺ لانه إخبار بالغيب.

يُستجاب لهم)(١) والشاطر هو الذى أعيا أهله خبثا لتباعده عن الاستواء فى خلقه.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: يأتى على الناس زمان هم ذئاب فإن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب).

فهل ورد فيما سبق فى هذين الحديثين من أخلاق السوء والخصال الرذيلة ماليس موجوداً بين الناس فى هذا العصر؟!

واذا كانت الاجابة بالنفى، حتى يمكن القول ان هذه الخصال جميعا أصبحت شائعة ومنتشرة حتى أصبح الكرام الذين يحاولون ان يتباعدوا عنها ويحافظوا على دينهم وقيمهم نزاع شعوب وغرباء مجتمعات وقلة نادرة.

ان هذا بلا شك كائن بين المسلمين الآن، وبين غير المسلمين أكثر وأعم.

ومن ثم فقد تحققت كل إمارات الساعة الخلقية، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم.

أليست هذه هى الأخلاق فى أكثر أمصار العالم الاسلامى؟! وأسوأ منها فى شعوب الأرض قاطبة فى هذا العصر. سنوات ماقبل زلزال الأرض العظيم؟! ألم يتحقق كل ما أخبر نبينا ﷺ من الامارات الدينية والخلقية؟! بلى والله الذى لا اله الا هو؟!

أيها الناس توبوا الى الله واتركوا الشر وقاوموا الأشرار، أيها المسلمون توبوا الى الله وأقيموا مكارم الأخلاق فى حياتكم كما أقامها أسلافكم الصالحون.

وإلا فارتقبوا جميعا عذابا من فوقكم ومن تحت أرجلكم بالخسف والقذف وزلزال الأرض العظيم، وبقية أحداث القيامة الرهيبة.

---

(١) رواه الطبرانى فى الصغير والاوسط وفيه ضعف ولكن مطابقته لاحوال وأخلاق المعاصرين يقوِّى هذا الضعف.

الباب الثالث

الإمارات الاجتماعية فيما يخص علاقة الذكور بالإناث على مستوى البشرية وعلى مستوى الأمة الإسلامية

(١٩) فتنة النساء بالتبرج والاختلاط عن طريق التدرج من خلال خطوات الشيطان للوصول إلى مرحلة استحلال الزنا، وأول الخطوات دعوى المساواة بين المرأة والرجل.

(٢٠) الترخيص بالفحشاء فى الاماكن الخاصة.

(٢١) المجاهرة بالزنى فى الاماكن العامة.

(٢٢) شيوع الإنحرافات الجنسية فى أمم الحضارة الغربية المعاصرة مع المجاهرة بها علانية.

(٢٣) إستحلال الخمر والمعازف والرقص والزنى ونتائجه المتمثلة فى كثرة أبناء الزنى وإختلاط الأنساب وتقطيع الأرحام من أقوى وأصرح أمارات القيامة الصغرى.

(٢٤) الكنيسة الانجيلية تبيح الشذوذ الجنسى وتبارك الارتباط بين شخصين من نفس الجنس.

(١٩) فتنة النساء بالتبرج و الاختلاط، عن طريق التدرج من خلال خطوات الشيطان للوصول إلى مرحلة استحلال الزنى، واول الخطوات دعوى المساواه بين المرأة والرجل:-

النساء شقائق الرجال وهن نصف المجتمع، خلق الله تعالى النساء من الرجال والنساء، كما خلق الرجال منهما معا كذلك. أزواجا لهن، والعكس صحيح اذ جعل الرجال آباء وأخوة وأبناء الإناث وجعل العلاقة بينهما قائمة على المودة والرحمة والتعاطف والحنان والتعاون سواء فى الأسرة أو فى خارجها، أى فى جنبات الحياة الاجتماعية الأخرى.

وخلق الله تعالى الرجل للإبتلاء فيبتليه بزينة الحياة الدنيا وبالضراء ومن هذا كله ابتلاؤه بالمرأة زوجة وأما وأختا وابنة وخلق الله تعالى المرأة للابتلاء أيضا سواء بسواء فيبتليها بما يبتلى به الرجال، ومن ذلك ابتلاؤها به زوجا وأبا وأخا وابنا.

وخلق الله تعالى الرجل وجعله خليفة فى الأرض، وكذلك المرأة، وجعل لها دوراً متساويا لدور الرجل فى الخلافة من حيث الأهمية وإن كان دور كل منهما مختلفا ومتميزا عن دور الآخر، فالمرأة قسيمة الرجل فى الهدف من الحياة وهو تحقيق الخلافة فى الأرض سواء كانت خلافه لله تعالى أم كانت خلافة للشيطان.

والرجل مكلف من قبل الله تعالى بالعبادة واقامة شرعه، والجهاد لتحقيق ذلك كله، وكذلك المرأة سواء بسواء بيد أن جهاد المرأة متميز عن جهاد الرجل بسبب ارتباط هذا الجهاد بدورها الرئيسى فى تحقيق الخلافة، ألا وهو الحمل والولادة والإرضاع والتربية، وهذا أيضا مرتبط بالتميز والاختلاف البيولوجى والفسيولوجى الذى خص المرأة بهذه المهام الثلاث بحكم الجبلة والفطرة والفسيولوجية التى ستستمر إلى نهاية الحياة الدنيا.

والمرأة فى الاسلام ذات ارادة حرة مختارة وذات ذكاء وفهم وقدرة على تحصيل العلم والمعرفة كالرجل سواء بسواء، وعندها من الفاعلية ما تتمكن به من عبادة الله تعالى وحده أو الشرك وعبادة غيره، ومن الطاعة أو المعصية كالرجل سواء بسواء.

ومن ثم فهى مسئولة مسئولية كاملة عن أعمالها ومحاسبة عليها يوم الدين كالرجل

سواء بسواء. ولها كتابها الخاص كما للرجل كتابه، وتوزن أعمالها كما توزن أعماله ومن ثم فهى إما إلى الجنة وإما إلى جهنم والعياذ بالله منها كالرجل سواء بسواء.

فمصير المرأة فى الإسلام مرتبط بعملها سواء فى الدنيا أو فى الاخرة.

وعلى هذا فمشاركة المرأة الفعالية فى الحياة الإنسانية بعامة وفى الحياة الأسرية بخاصة يستتبع أن يكون صلاح النساء بصلاح الرجال، وصلاح الرجال بصلاح النساء.

ومن ثم لايحدث التغير فى اخلاق النساء إلاَّ بحدوثه موازيا فى أخلاق الرجال، والعكس فى هذا صحيح تماما.

ومن ثم فأخطر التغيرات الاجتماعية التى تنتشر وتعم بسرعة انتشار النار فى الهشيم فى اليوم العاصف هو تغير العلاقة بين الذكور والإناث من الحالة الصالحة التى أساسها نظام الحجاب الأسلامى بأركانه الثلاثة إلى الحالة الفاسدة المفسدة وهى نظام التبرج، أما الأركان الثلاثة لنظام الحجاب الاسلامى فهى:-

(١) الاستقرار فى البيت للقيام بمهمة المرأة الرئيسية: الحمل والولادة والتربية.

(٢) ثم الزى الساتر الفضفاض المغطى لعورة المرأة، وكل جسمها عورة ما عدا الوجه والكفين عند جمهور العلماء.

(٣) ثم تحريم اختلاط النساء بغير المحارم لها من الرجال.

نقول: إن التغير إلى الحالة الفاسدة المفسدة أى إلى نظام التبرج الجاهلى الذى تخرج فيه المرأة للعمل المختلط مع غير المحارم متبرجة عارية كاسية. الأمر الذى تكون نتيجته الحتمية وقوع الزنا ثم انتشاره ثم إباحته ليصبح مباحا ومعروفا بعد أن كان حراما منكرا.

وهذا هو الهدف الإفسادى الشيطانى الدَّجَّالى الخبيث الذى تحقق كما خطط له اليهود فى مجتمعات الحضارة الغربية المعاصرة[١]، وقد تم بالتدرج خلال خطوات محددة معلومة للشيطان وأعوانه: شيطان الجن الأكبر ابليس وجنوده وشيطان الأنس الأكبر الدجال وأعوانه لعنهم الله جميعا.

---

(١) لقد ظلت المرأة فى الغرب مُحْتَشِمة حتى الحرب العالمية الاولى وما بعدها وظلت قوانين الغرب تحرم الزنا والشذوذ وتعاقب عليه حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الثالثة وبدأت البرلمانات فى الغاء هذه العقوبات بعد انتهاء الحرب ومع بدء العقد الخامس أى بعد إحكام قبضه اليهود على الانظمة السياسية، والاقتصادية فى الغرب وكذا بعد تمام سيطرتهم على الإعلام.

والتدرج معناه دعوتهم للخطوة التى تبدو أنها ذنب صغير أو مخالفة هينة ربما تبدأ بأن تتهاون المـرأة فى ظهور خصلات من شعرهـا فى مقدمه الرأس، ثم تتبـعها خطوة هينة أخرى بـعد خطوة حتى تصبح راضـية هى وزوجها وأخوها وأبوهـا عن ظهورها على الشواطىء شبه عارية. ثم ينتهى الأمـر إلى الرضا على المجاهرة بالزنا فى الأماكن العامة، ولـم يكتف الشياطين بهذا الحضيض، فدعوهم الى ما هو أسفل من الحضيض، إلى زنا المحارم وهـو «مودة» أوروبا وأمريكا فى الثـمانينات ومن ثمّ حذرنـا الله تعالى من خطـوات الشيطان بقـصد التشديد لمنع الخطوة الأولى والنـهى عن الإستهانـة بها فقال سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١ ـ النور).

والتاريـخ يقول أن الداعـى لعرى المرأة لم يـطلب منهـا السفور مـرة واحدة، وإنما دعاها إلى الخروج من منزلها أولا للعلم والعمـل والمشاركة فى التنمية، ثم ما تبع هذا مما أطلقوا عليه معاناة المرأة بعد خروجـها من الحجاب، فكان العرى خطوة خطوة ولو كانت بمقدار ضئيل جدا. ومما لاشك فيه أن حجاب المرأة الاسلامية بأركانه الثلاثة هو الفارق الجوهرى الرئيسى والحاسم بين المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلى.

وأول ما حـدث من فـساد فى هـذا الجانب الحـيوى الـرئيسـى من جوانـب البـناء الاجتماعى الاسلامى هو دعوة النساء إلى التشبه بالرجال تحت اسم دعوى المساواة بين المرأة والرجل بزعم تحريـرها من عبودية الرجل وزعم الافراج عنهـا من سجن البيت (الحرملك) للـتعليم، ثم للعـمل مع الرجل يدا بيد وكـتفا بكتف فى جمـيع الأعمال، تحقيقا، حسب زعمـهم، للمساوة التى هى دعوى استعادة حقـوق المرأة المسلوبة ورفع ظلم الرجل عنها.

ويقصـد أصحاب هذه الدعـوة التى هى الخطـوة الشيطـانية الدَّجالـية الصهيـونية الخبيـثة الأولى للافـساد من لفـظ المساواة التـكافؤ المطـلق، والتعـادل التام بيـن الذكر والأنثى فى كل شىء متجاهلين – مع علمهم – للاختلاف بينهما، من حيـث التكوين الفسـيولوجى، وبـين دو ر كل منـهما فــى الحياة بما يمـنع المقــارنة بينـهـما لانـعـدام التماثل.

وسنة الله تـعالى فى خلـقه الفردانيـة والتبايـن والاختلاف بين الأنـواع والأجناس والأصناف وحتـى بين الأفراد، كل ذلك قائم بـين الذكر والأنثى وبين أفـراد النساء، وبين أفـراد الرجال، إذ جعـل بعضهـم فوق بعض درجات، لـيتخذ بـعضهم بـعضا سخريا، فتجد التمايز بينهم وبينـهن فى الصورة والصحة والقوة والذكاء والغنى، فلم يخلق الله تعالـى رجلين متساويين مسـاواة مطلقة فى كل شىء حتى ولـو كانا توأمين متشـابهين إذ لابد أن يكـون بينهـما اختلاف ولو فـى خصائص نفـسية أو عصـبية أو عقلية، ومن ثم يختلفان بعد الكبر فى الميول والاخلاق والرغبات.

وهكذا الحال أيضا على مستوى الجماعات والقبائل والشعوب، وقد شاء الله تعالى هذا التمايز والإختلاف للابتلاء.

والعجب أن خبثاء صهيون بقيادة الدَّجَّال هم الذين رفعوا دعوات المساواة فى كل مجال للافساد كمـا سنرى، ومنها دعوة المساواة بين المرأة والرجـل. من غير أن يُمَيِّزُوا بين المجالات التى يجب أن تكون فيها المساواة بين البشر، وبين المجالات الأخرى التى ليـس فيهـا مساواة، فالمساواة قائـمة فى أصـل الخلق والحـقوق الانسانـية والإختـيار والمصير لأن البشر كلهم لآدم وآدم من تراب، تلك المساواة الحقة الضحيحة التى دعى إليها الاسلام من غير التحريف فى الطبائـع والوظائف والدرجات التى لا سبيل للبشر لالغائها لضرورتـها للحياة، وكذلك الحال بين الذكـور والاناث، لقد ساوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق الانسانية الأساسية:

١ – فى أصل الخلق فكل منهما مخـلوق من ذكر وأنثى، ومن نفخة من روح الله ومن الأصل الطينى.

٢ – وفى الحكمة من الخلق وهى الإبتلاء والاختبار والامتحان.

٣ – وفى الهدف من الوجود فـى الحياة الدنيا وهو عبادة الله تعالى وتحـقيق خلافته فى الأرض.

٤ – وفى المسئولية، حيث تكـتمل مقومات المسئولية الثـلاثة عند المرأة كمـا هى عند الرجل: الإرادة المختارة والاستطاعة والعلم.

٥ – وفى المساواة التامة فى الجزاء على الأعمال فى الدنيا وفى الآخرة.

٦ – وفى الحقوق الانسانية فى الدنيا، وفى ارتباط المصير الأخروى بالعمل فى الآخرة، فالمساواة بينهما مطلقة فى الحقوق والواجبات الإنسانية، وليس بين الذكر والأنثى مساواة مطلقة فى دور كل منهما فى الحياة، ولا فى عمل كل منهما فيها، لأن لكل مهما دوراً مختلفاً عن الآخر خصه به الخالق عز وجل ويستحيل تغييره، لأن الإختلاف الخَلْقِى قائم بينهما فى بعض الخصائص والأعضاء، لاختلاف وظيفة كل منهما التناسلية والتربوية والمعيشية جسديا ونفسيا وعقليا. فالأبوة غير الأمومة، وكلاهما ضرورى لتربية الأبناء وإستمرار الحياة، فهو إختلاف تكامل وليس اختلاف تمايز.

ومن ثم فدعوى المساواة بين المرأة والرجل فى كل شىء هى فى حقيقتها دعوى للتشبه وليست دعوى مساواة، إذ يطلبون من المرأة أن تتشبه بالرجل وتتخلى عن طبيعتها الانثوية الفطرية التى خلقها الله تعالى بها مؤهلة للحمل والولادة والتربية لتكون أما.

ومن أخطر مخططات خبثاء صهيون الافسادية بقيادة الدجال حسب ما جاء على لسانه فى البروتوكول الرابع (وذلك الموطن هو ان تقوم الحرية على أساس الإيمان بالله وأخوة الإنسانية غير متعلقة بعقيدة المساواة، وهى العقيدة التى تنفيها نواميس الكون، وهذه النواميس أوجبت وقوع التباين فى المخلوقات)(١) وهذا النص يتضمن ذكر المساواة مرتين: قصد بالأولى المساواة فى الإنسانية أما فى الثانية فهو يقصد بها ما يدعو إليه هؤلاء الخبثاء من مساواة تتجاهل التباين والاختلاف بين الذكر والأنثى وبين سائر الأنواع وبين الأفراد الذى هو أمر جِبِلّى خِلقِى أرادة الله تعالى لصلاح الحياة وتكامل الأدوار.

فدعوى المساواة، التى هى فى حقيقتها دعوى تشبه المرأة بالرجل والعكس، دعوى افسادية دجالية صهيونية خبيثة وقعت فيها البشرية بعامه وطالت الأمة الإسلامية أيضا باسم مساواة المرأة بالرجل. لأنهم يقصدون بما يسمونه مساواة فى هذا المجال خروجها من بيتها ثم اشتراكها فى جميع مهن الرجل وارتدائها من الأزياء ما يصلح

---

(١) عجاج نويهض ربروتوكولات صـ١٠٢

لهذه المهـن وما يكشف عورتها فـهى دعوى للتشبـه بالذكور والتخلى عـن خصائص الأنوثة.

وهذا ما نبأ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باللفظ الدقيق المعبر بدقه عن هذه الدعوة الإفسادية التى اطلـقوا عليها تـضليلا للنـاس مساواة المرأة بالرجـل، لفظ التشبه وذلك فيما رواه حذيفة رضى الله تعالى عنه فى حديث الإثنتين وسبعين خصلة اذ جاء فيـه قوله :(.. وتشبـه الرجال بالـنساء والنسـاء بالرجال) وهذا الـتَّشَبُّه المـتباد ل بينهما بدأ بتشبه النساء بالرجال بالخروج من بيوتهن مخالفات بذلك الركن الأول من نظام الحجاب الإسـلامى كما جاء فى حديث مـحكول عن على رضى الله تعـالى عنه (من اقتراب الساعة.. (وفيه) وتشبهت النساء بـالرجال والرجال بالنساء) فتشبه النساء بالرجال هو الذى بدأ فـى هذه الرواية قبل تشبه الرجال بالنـساء، وإن كانت الروايتان تثبتان أن التغير يتم فى نصفى المجتمع متاوزيا.

وقد تم هذا حتى صار مـن الصعب أحيانا أن يفرق المرء بين الـذكر والأنثى لشدة التـشابه بـينهمـا فى الملـبس والمسـلك وكل شـىء لأن كل مهـنة من المهـن الدجالـية تستـوجب سلوكا بـدنيا وذهنيـا ونفسيا خاصـاً بها، فالادارى أو القيادى مثلا يتـطلـب عمله خصائص تسلطيـة تنظيمية مخالفة للخصائص التى تتطلـبها مهنة المرأة التربوية الامومية من أحوال نفسية إنقيادية عاطفية.

ومزاولة المرأة للمهن الإدارية الإشرافية يؤثر تأثيـراً سلبيا على خصائصها الأمومية بسبب تشبهها بالـرجال نفسيا لاستعارتها الخصائص التسلطية لمـقتضيات العمل على سبيل التشبه، أولا، ومع المزاولة ينتهى بـها الحال النفسى أن تكون مثل الرجال فى هذه الناحية.

وهذا المثل يوضح لنا أن دعوى المساواة ليست مجرد دعوة لتشبه المرأة فى السلوك الظاهرى فقط، إذ ينتـهى بها الحال إلى التشبه النَّفسى الـوجدانى، وهذا معناه أن دعوة المساواة بين المـرأة والرجل تدخل فى نطاق تغـيير خلق الله عز وجل، وهذا يـفسر لنا:

لماذا لعن رسول الله ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء، لقد صارت المرأة فى الحضارة الغربية المادية رقيقا أبيض يباع بالساعة لمن يدفع ولكنهم أخفوا هذه الوحشية والإهدار الشديد لكرامة المرأة بعد اخراجها من بيتها وتعريتها، بما أطلقوا عليه أخلاق «الجنتل مان» إذ يقدم الرجل المرأة أمامه فى السير ويقبل يدها ويفتح لها باب السيارة، وهى بالنسبة له كالشاة التى يسوقها الذئب لمصيرها المحتوم. وقد حدث هذا أيضا فى الأمة كما نبأ رسول الله ﷺ بهذا فيما رواه (ابن عباس رضى الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قال: إن من أشراط الساعة».. وجاء فيه «وتكون المخاطبة للنساء») وهذا الذى يفعلونه للمرأة من تقديمها واحترامها مظهريا مع إسترقاقها فى الحقيقة.

وعن مزاولة مهن الرجال التى هى من إمارات الساعة قوله ﷺ (... وشاركت المرأة زوجها فى التجارة) وكذلك ما رواه الإمام أحمد والحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (بين يديْ الساعة: تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة..).

ثم تأتى الخطوة الواسعة نحو فساد العلاقة بين الجنسين فى المجتمع نتيجة خروج المرأة وهى التبرج والسفور بتقصير ملابسهن جزءاً بعد جزء، وإظهار رائدات السفور فى صورة المتعلمة المثقفة المتقدمة المستنيرة وإظهار المحتشمات فى صورة المتخلفة الجاهلة الرجعية مما أدى إلى شيوع التبرج والسفور.

روى الإمام أحمد ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (صفتان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساءكاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)(١)

ومعنى كاسيات عاريات أى ساترات أجزاء كاشفات لأجزاء من عوراتهم أو مرتديات ملابس ضيقة تبرز انحناءات أجسادهن كأنها عارية وهى كاسية، أو لأن

(١) رواه أحمد من حديث أبى هريرة ومسلم أيضاً.

أرديتهن شفافة تسفر عن لون جلدها فهى بذلك كاسية عارية فى آن واحد. ومن ثم اشترط الفقهاء فى زى المرأة أن يغطى كل جسدها ما عدا الوجه والكفين وأن يكون فضفاضا صفيقا فلا يصف ولا يشف.

وقوله ﷺ مميلات مائلات أى متهتكات فى مشيتهن كأنهن يرقصن فى مشيتهن أو فى وقوفهن، أما قوله ﷺ (رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة) وهن خارجات من محل (الكوافير) بعد أن يعمل لها مايسمونه بالفورمة ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام (لايدخلن الجنة) يقرب من الحكم عليهن بالكفر ما لم يتبن إلى الله تعالى، أو يرحمهن الله عز وجل ومعنى اسنمة البخت أى أسنمه الإبل.

وروى الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه (عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سروج، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فهن ملعونات، لو كان وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤكم نساءهم كما يخدمنكم نساء الأمم قبلكم).

ومعنى خدمة نساء الأمم السابقة نساء الأمة الإسلامية كنايه عن سيادة الامة الأمية وغلبتها وكثرة الإماء الاسيرات من الامم المهزومة، وهو ما حدث فى تاريخ الخلفاء الراشدين والأموية والعباسية.

وهذا الحديث يتضمن سنة الله تعالى بين أمة الحق والاسلام وأمم الباطل، وأن أمة الإسلام لن تهزم هزيمة نهائية وشاملة وكلية فلا ينتهى الأمر إلى إسترقاق المسلمات كما حدث للأمم الأخرى.

ونتيجة التبرج والاختلاط يزداد الفسق وينتشر الزنا، وقد حدث هذا كما أخبر به النبى ﷺ فيما رواه رزين (عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: كيف بكم إذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم؟ قالوا: يا رسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: نعم وأشد)(١)

(١) رواه أحمد عن رزين.

وروى الطبرانى (عن أبى هريرة رضى الله عـنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف بكم أيها الناس إذا طغى نـساؤكم وفسق فتيانكم؟ قالوا: يـا رسول الله إن هذا لَكَائِنٌ؟ قال: نعم وأشد منه)(١)

وروى ابن عساكر فى تاريخه عن رجل من الصحابة قال سمعتُ النبى ﷺ يقول: ليت شعرى كيف أمتى تتبختر رجالهم وتمرح نساؤهم؟)(٢)

والخطوة التى تلى ذلك كله شيوع الفاحـشة، وظهور الزنى أى إنتشاره، وهذا ما نبأ به الرسول ﷺ أنه سيكون (فعـن أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنى)(٣)

وفى روايـة مسلـم (ويفشـو الزنا) بدلا مـن (ويظهـر الزنا) وفـى رواية البـخارى (ويكثر الزنا).

وفى رواية للـحاكم عن أبى هريرة رضـى الله عنه قال قال رسول ﷺ (سيـأتى على الناس سنوات خَدَّاعات.. الحديث وفيه وتشيع الفاحشة)(٤)

وأخطر نتائج شـيوع الزنى كثرة أبناء الزنى واخـتلاط الأنساب، قال رسول الله ﷺ (.. يا ابن سعود إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكثر أولاد الزنى)(٥) والملاحظ أنه ﷺ قد أطلـق على هذه الأمـارة «علم» وجعلـها من الأشراط أيضـا لأنها ستـكون فى الروم قـبل بدء عصـر الآيات كإرهاصـة من إرهاصاتـه، ثم تكون فـيهم بعـد خروج الشمس من مغربـها فى زمن الأشرار الذين تقوم عليهم السـاعة وهم من الروم أيضا حيث ورد (تقوم السـاعـة والروم أكثر الناس)(٦) وهـم من دون الكـافرين فى الأرض كلهـا الذين أشاعـوا الزنى وكثر فـيهم أبنـاء الزنى ، ولكن لـيس معنـى هذا أن الأمة الاسلامية لن تصاب بهـذا التصدع فى بنـيانها الاجتمـاعى بقله الزواج وكـثره الزنى وابناء الزنى.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط. (٣) رواه ابن عساكر فى تاريخه.
(٤) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والبخارى ومسلم.
(٥) قال الحاكم حديث صحيح ووافقه الذهبى. (٦) رواه الامام أحمد فى مسنده

عن أم المؤمنين ميمونة رضى الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول (لاتزال امتى بخير ما لم يَتَفَشَّى فيهم ولد الزنى، فإذا فشا فيهم ولد الزنى فيوشك أن يعمهم الله عز وجل بعقاب)[1] وفى رواية للطبرانى (... لاتزال أمتى بخير متماسك أمرها ما لم يظهر فيهم ولد الزنا)[2]

فما هو العقاب الذى يوشك أن يعمهم اذا ظهر فيهم ولد الزنى؟!

ليس من عقاب يعم الأمة قاطبة تنتظره البشرية كلها إلاً الزلزال العظيم، لأن من أسبابه المباشرة كما جاء فى حديث السيدة عائشة رضى الله عنها عن استحلال الزنى الذى قالت فيه (.. «إن المرأة إذا خلعت ثيابها فى غير بيت زوجها».. إلى أن قالت»: «فإذا استفحا فى الزنى» وفى لفظ آخر «فإذا استحلوالزنا وشربوا الخمور مع هذا وضربوا المعازف غارالله فى سمائه فقال: تزلزلى بهم، فإن تابوا ونزعوا وإلاً هدمها الله عليهم»...)[3] إلى آخر الحديث فاستحلال الزنا مرحلة أخيرة فى الفساد وخطوة يدل حدوثها على قرب وقوع العذاب الذى يعم البشر بزلزال الأرض العظيم، وأحداث القيامة الصغرى وهو ما انتشر وعمَّ بظاهرة الأغنية المصورة.

عن أبى عبيده بن الجراج ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: أن الله عز وجل بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة، وكائنا خلافة ورحمة، وكائنا ملكا عضوضا، وكائنا عتوا وجبرية وفساداً فى الأرض، يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويُرْزَقُونَ أبداً حتى يلقوا ربهم)[4].

وتعيش الأمة الإسلامية الآن مرحلة الجبرية التى بدأت بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م، ودخلت من ثم فى مخططات خبثاء صهيون ودعاة الضلالة ومنها دعوتى تحرير المرأة التى ليست سوى دعوة لتعريتها وإختلاطها مما أدى إلى شيوع الفاحشة ثم استحلال الزنى على الأقل بين هؤلاء الجبابرة والمترفين من الأمراء والحكام والسلاطين واصحاب القناطير المقنطرة من الذهب.

---

(١) رواه احمد وابو يعلى والطبرانى عن اتحاف الجماعة مجلد٢، ص ١٥٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك جـ٤، ص ٥١٦ وصحَّحه وابن ابى الدنياك العقوبات.

(٤) رواه ابو داود الطيالسى والطبرانى عن اتحاف الجماعة مجلد ١، ص ٢١٠.

(*) الفيديو كليب.

إن هذه الدعوة الخبيثة هي دعوة لتعرية المرأة مرتين: مرة من ملابسها ومرة من فطرتها وأنوثتها وحيائها، ونحمد الله تعالى، لأنه لم تصبح الفاحشة شائعة بين سواد الشعوب الاسلامية، كما حدث في بلدان ودول أوروبا والحضارة الغربية.

روى الطبراني وابن حبان والبيهقي والبخاري بسنده مرفوعا (ليوكنن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف.. الخ الحديث) الحر هو الفرج والمعنى استحلال الزنا، وكذلك روى ابن المبارك في الزهد عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال يوشك أن تستحل أمتي فروج النساء والحرير).

ونحمد الله تعالى أن قال (يوشك) وهذا معناه أنه لن يتم في الأمة حتى يُصبح مجاهراً به كما حدث في الحضارة الغربية الجاهلية المنحطة النجسة.

(٢٠) الترخيص بالفحشاء في الأماكن الخاصة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال سول الله ﷺ (يكون في آخر الزمان ديدان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وهم الانتنون، ثم تظهر قلانس البرد فلا يُستحى يومئذ من الزني والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر، والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين قالوا: منا أو منهم؟ قال: بل منكم)(١)

قال الشيخ الغماري رحمه الله في كتابه «مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية» تعليقا على هذا الحديث الشريف (فقلانس البرد هي الطرابيش المخططة بالاسود والأبيض كالبرد ولم تكن معروفة من قبل، وأيد كونها المراد من قلانس البرد في هذا الحديث إقتران ظهورها بظهور الزنا الذي لا يستحى منه فقد اتفق بعد ظهور هذه الطرابيش بأعوام قليلة لاتتجاوز الخمس ولاتبلغها قامت الحرب العالمية الأخيرة (الثانية) فدخلت أسبانيا مدينة طنجة بجيشها المؤلف من الأسبان والمغاربة الخونة الكفرة.

---

(١) رواه البخاري تعليقا ووصله الطبراني وابن حبان والبيهقي.

(٢) رواه الحاكم والترمذي في نوادر الأصول.

فأنتشر بهم الزنا انتشاراً لم يحدث من قبل في بلد من بلاد الإسلام، فكانت العساكر الأسبان والمغاربة يوجدون مع النساء يزنون بهن بأطراف المدينة تحت الأشجار وعند جدران البساتين نهارا والناس يشاهدون ذلك وأنا أحد من شاهده أمام منزلي ودام ذلك بطنجة نحو ثلاث سنين، ثم خرج الأسبان لعنهم الله، فخف الحال نوعا، وإن كان لايزال موجوداً اكثره)[1].

قلتُ وكانت بيوت الدعارة المرخصة من الدولة موجودة بمدن مصر أيام الاستعمار الانجليزي حتى ألغت هذه التراخيص وزارة عبدالهادي باشا قبل انقلاب يوليو سنة ١٩٥٢ بعامين أو ثلاثة.

ولازال هذا موجوداً في تركيا بعامة واسطنبول بخاصة التي كانت عاصمة الخلافة الإسلامية منذ ثلاثة أرباع القرن، ويوجد هذا النظام في بلاد المغرب وتونس ويوجد مستترا في مصر في الملاهي الليلية وكل هذا بسبب تعطيل الحدود وضعف عقوبة الزنا حتى تكاد تكون العقوبة معدومة أو شبه معدومة، مع وضع شروط صعبة لتوقيعها وتنفيذها.

كما أنني لا أوافق الشيخ الغماري رحمه الله على تفسيره لقلانس الرد بالطرابيش المخططة بالأحمر والابيض، لأنه قد تكون قديمة أما الجديد الذي ينطبق عليه هذا الوصف فهو العلم الأمريكي المخطط بالأبيض والأحمر الأرجواني وقد أصبح من المودة أن يضعه الشبان كعصابة عل رؤوسهم، والعلاقة بين إرتدائه والانحلال وثيقة لأنه لايلبسه إلاّكل مؤمن بالحضارة الغربية وما فيها من انحلال وإباحة كل أنواع الإنحرافات الجنسية.

لذلك عاد الشيخ الغماري بعد ذلك يقول على أن قوله ﷺ (فلا يُستحي يومئذ من الزنا) صادق بما هو اعم من الذي حدث بطنجة متمثلا في محلات الزنا الرسمية في سائر أنحاء العالم، فإن داخل هذه الأماكن النجسة لا يستحي من الزنا ولا يستحي من دخول هذه الأماكن ولا من الإعلان الرسمي من الدولة، والخلاصة أن المجاهرة بالزنى في الامة الاسلامية كاد أن يكون، ولكنه لن يكون مثل الروم بفضل الله عز وجل.

---

(١) مطابقة الاختراعات / للشيخ صديق الغماري .

(٢١) المجاهرة بالزنا فى الأماكن العامة:

حدث هذا فى بلاد الغرب: الروم أو بنى الأصفر وأمريكا وأوروبا وملحقاتها استراليا، أمريكا الجنوبية نيوزلندا وجنوب أفريقيا. والتخطيط سارى لكى يتم بنفس الخطوات فى أوطان الأمة الإسلامية كما حدثت هذه الخطوات فى الغرب حتى تسفلوا بالإنسان إلى أسفل سافلين فصاروا كالأنعام بل أضل، وهذا مايريده الشيطان بالأمة الإسلامية.

ولكن لئن ظهر فى بعض مجتمعات الأمة الإسلامية ظاهرة عدم الحياء من الزنا، إلا أنه لم يتتشر فيها بالمجاهرة كما فى المجتمعات الغربية. كما لم يتتشر الزنا، فيها بنسب كبيرة تهدد النظام الأسرى.

والظاهرة التى تَحَدَّث عنها الشيخ الغمارى رحمه الله فى طنجة خلال وجود الأسبان ليست شائعة والحمد لله فى بلاد الاسلام وقد مر على هذا العهد أكثر من خمسين عاما.

فليس هذا الحديث خاصا بأمة الاسلام التى هى ولله الحمد والمنة لازالت أعف الأمم حيث لم يظهر فيهم مزاولة علنية للزنى فى الحدائق العامة والأماكن العامة كما هو الحال فى الغرب وما هو كائن من هذا فى بلاد المسلمين قليل جدا بالنسبة لبلاد الحضارة الغربية ولازالت الأسرة والزواج هما النظام الغالب والحاكم للعلاقة بين الذكور والإناث بخلاف البلاد الغربية العلمانية.

ولكن الخبثاء يخططون لهدم الأسرة بالكلية، وإباحة الزنا والوصول بالمجتمعات الإسلامية إلى شيوعية النساء، أى إلى الإباحية الكاملة الشاملة، وهذا ما تدعو إليه مؤتمرات السكان المشبوهة التى تحركها الصهيونية تنفيذا لمخططات خبثاء صهيون بَيْدَ أن الرسول ﷺ أنبأ بأن المجاهرة بالزنا فى الأماكن العامة سيكون فى الأمة، ولكن لن يكون هذا الا بعد عصر المهدى وسيد نا عيسى وبعد خروج الشمس من مغربها وموت المؤمنين بالريح أى فى جيل الأشرار. باذن الله تعالى والله أعلم.

والدليل على هـذا الحديث الذى رواه ابو هريره رضى الله عنه عـن النبى ﷺ قال: والذى نفسى بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها فى الطرق فيكون خيارهم يومئذ من يقول: لو وَاريْتَهَا وراء هذا الحائط)[١] وعنه ايضا رضى الله عنه (عن النبى ﷺ أنـه قال: لاتقوم الساعة حتى لا يبقى عـلى وجه الأرض أحد لله فيه حاجة، وحتى توجد المرأة نهاراً جهارا تنكح وسط الطريق، لا ينكر ذلـك أحد، ولايغيره، فيكون أمثلهم يومئذ الذى يقول: لو نحيتـها عن الطريق قليـلا فذاك فيهم مثل أبى بكر وعمر فيكم)[٢].

وقد يفهم البعـض أن هذا قد حدث، ولكنه فى الحقيقة لـم يحدث، ففى الحديث الأول قال ﷺ (لاتفنى هذه الأمة حتى..) فهو يخص الأمة. أما الحديث الثانى فهو عام بكل البشر فى جيل الأشرار قبل قيام الساعة مباشرة وسيكـون هذا الفعـل فى كل شعوب البشر.

ومن ثم فلن يحدث هذا فى الأمة الا بعد أن تحدث أكثر الآيات أو خروج يأجوج ومأجوج على الأقل، فالنص فى الحديث الأول يدل عل أن المجاهرة بالفحشاء ستكون فى نهاية عمر الأمة وهو كما ذكرنا فى آخر عهد الآيات وقبل جيل الأشرار مباشرة. يؤكد هذا الحديث الثانى الذى نَصَّ على أنه عندما تشيع الفاحشة علـى هذا الشكل يكون وقت الأشرار، حيث لايكون على الأرض مؤمن يقول الله.

أما أن هـذا موجـود فى الـغرب الآن فهـذا صحيح دلت عـليـه الأخبـار وأقوال القادمين من هذه البلاد بلا خلاف بينهم حولها.

بيد أن الحديثين يثبتان هذا السلوك الحـيوانى للأمة وهو ليس فيها الآن، ولن يكون بإذن الله تعالى الا فى آخر الـزمان بعد عصر المهديين والمسيح عليهم السلام أى بعد إنتهاء جيل الأخيار الذى يسبق جيل الأشرار.

---

(١) رواه ابو يعلى قال الهيثمى رجاله رجال الصحيح عن الحاف الجماعة مجلد٢، ص ١٤٧.
(٢) رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ولم يوافقه الذهبى لكن للحديث شوا هد صحيحة... عن الحاف الجماعة مجلد ٢، ص١٤٧.

والأمة الآن كما هو معلوم تعيش جيل الجبابرة الذى يسبق عصر المهدى، الذى هو عصر الخلافة الراشدة المرتقب، ولو حدث هذا فى الأمة وكثر فيها أبناء الزنا كما هو الحال فى الغرب الآن لما أمكن قيام الخلافة الراشدة بقيادة المهدى بحول الله تعالى وعونه ونصره.

يؤكد هذه الحقيقة التى توصلنا إليها ما رواه الحاكم فى مستدركه (عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: لاتقوم الساعة حتى يبعث الله ريحا لاتدع أحداً فى قلبه مثقال ذرة من تُقى أو نهى الا قبضته ويُحَلَّق كل قوم بماكان يعبد آباؤهم فى الجاهلية، ويبقى عجاج من الناس لا يأمرون بمعروف ولاينهون عن منكر يتناكحون فى الطرق كما تتناكح البهائم فإذا كان ذلك إشتد غضب الله على أهل الأرض فأقام الساعة)[1].

وعنه أيضا رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ (لاتقوم الساعة حتى يتسافدوا فى الطرق تسافد الحمير)[2] وهذا كله بعد الريح التى تقبض روح كل مؤمن ففى حديث النواس بين سمعان الكلابى رضى الله عنه الطويل الذى رواه عن رسول الله ﷺ وذكر فيه الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج ثم قا ل(فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة)[3].

كل هذا يدل على أن ممارسة الزنى فى الأماكن العامة لن يكون ياذن الله تعالى فى أمة الإسلام أو فى بلاد المسلمين قبل زمان الأشرار الذين لن يكونوا وقتئذ مسلمين بعد موت كل المسلمين، وكأن الحديث يذكر أن هذا سيكون فى بلاد العرب والاسلام فى جيل الاشرار فقط.

وأن الأرتداد أسفل سافلين وإلى أضل من الأنعام سيكون فى الروم الذين تقوم الساعة وهم أكثر الناس. والذى يدل عليه واقعهم المعاصر كما أنبأ عنهم المعصوم ﷺ، وتُعتبر هذه الأخبار أدلة ناصعة على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك.

(٢) رواه مسلم، والإمام أحمد وأصحاب السنن وقال الترمذى حسن صحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجة وقال الترمذى: حيث غريب حسن صحيح.

(٢٢) شيوع الانحرافات الجنسية فى أمم الحضارة الغربية المعاصرة مع المجاهرة بها علانية من اقوى أمارات القيامة الصغرى:

أخبر المصطفى الصادق المصدوق ﷺ بحدوث هذا بصيغة المبنى للمجهول ولم بنسبه صراحه للأمة الإسلامية، وجعل هذا من أعلام الساعة وأشراطها (فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء)[١] وقوله "من أعلام" يشير إلى معاصرة هذا السلوك المنحرف للرجال والنساء وهما الشذوذ الجنسى والسحاق للقيامة الصغرى وحيث أنه ﷺ وصف خروج الدجال ونزول سيدنا عيسى بأنهما عَلَمَيْن من أعلام الساعة بجعلهما فى الآيات العشر، ويقول الله عز وجل عن عيسى عليه السلام (... وإنه لَعَلَمٌ للساعة) فإن وصف إكتفاء الرجال بالرجال لقضاء الشهوة وكذا النساء بانه من اعلام الساعة وأشراطها يدل على القرب الشديد فى الزمان بين حدوث هذين الانحرافين ووقع الساعة.

ومن مخططات خبثاء صهيون ومن خطوات الشيطان الافسادية التدريجية النهائية ليس نشر الزنا مع المجاهرة به فحسب، بل نشر الانحرافات الجنسية فى الطبيعة البشرية تدميرا لها حتى يكتفى الرجال بالرجال جنسيا ويكتفى النساء بالنساء أيضا فى هذا المجال.

وقد تحقق هذا فى أعداد هائلة من أهل أمريكا، وفى كثير من بلاد الحضارة الغربية، حيث تنتشر النوادى العلنية لهذه الانحرافات وكوّن المنحرفون جمعيات ونقابات تمثلهم وتطالب بمعاملتهم معاملة الأسوياء المحترمين.

وقد أصبحوا من الكثرة بحيث يمكنهم التأثير فى الحياة السياسية والعمليات الانتخابية للمقاعد النيابية ومراكز المحافظين والرئاسة الأمريكية، مما جعل المرشحون يحرصون على ارضائهم لكسب أصواتهم ويعدونهم بتحقيق مطالبهم. ومن هذه المطالب اضفاء الشرعية على شذوذهم، وذلك بسن القوانين التى تعطى لهم الحق فى عقود زواج بين الذكور والذكور والإناث والإناث.

وقد نفذ الرئيس كليتون لهؤلاء الشواذ بعض مطالبهم ومنها السماح بدخولهم الجيش ومعاملتهم معاملة الأسوياء فى كثير من الأمور.

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم والبزار واسناده ضعيف ولكن تقويه الأحاديث التى بعده التى تتفق معه فى المعنى.

ويعتبر هـذا الانحراف وشيوعه فى المجتمع مع المجاهرة به من حضـيض الفساد، وأسفـل سافليـن الذى ليس تحـته مستـوى آخر من التـسفل والحيـوانية بل أضـل من الأنعام.

وهو إحدى ظواهر خمس خـلقية واجتماعية، إذا إكتلمـت وقع العذاب بالزلزال والخسف والمسخ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: والذى بعثنى بالحق لا تنقضى هذه الدنيا حتى يقع بهم الخسف والمسخ والقذف.

قالوا: ومتى ذلك يا نَبِىَّ الله؟

قال: إذا رأيت الـنساء مدركيـن السروج وكثرت القـينات وفشت شـهادة الزور، وشرب المسـلمون فى آنيـه أهل الشرك الذهـب والفضة، وإستـغنى الرجال بـالرجال والنساء بالنساء).

ويقوى ضعف هـذا الحديث ما رواه أنس بن مالك رضى الله عـنه قال قال رسول الله ﷺ (إذا عملت امتى خمسا فعليها الـدمار: إذا ظهر فيهم التلاعن، وشربوا الخمر، ولبسوا الحرير، واتخذوا القينات واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء).

وروى الدَّيـلمى عـن أنس بن مـالك رضى الله عنـه مرفوعـا (إذا استغـنى النسـاء بالنساء والرجال بالرجال فبشرهم بريح حمراء تخرج من قبل المشرق فَيُمْسَخُ بعضُهم ويُخْسَفُ ببـعض، ذلك بما عصوا وكانوا يـعتدون) ويحتمل - والله تعـالى أعلم - أن تكون الريح الحمراء هى الاشعاع الذرى لانفجارات نووية(*).

وروى ابن أبى الـدنيا (عن أشرس بـن شيبان الهـزلى قال: قلـتُ لفرقد السـبخى: أخبرنى يا أبا يعقوب عن تلك الغرائب التى قرأت فى التوراة.

فقال: يا أبا شيبان، والله ما أكذب على ربـى (مرتين أو ثلاثا) لقد قرأت فى التوراة «ليكونن مسخ وخسف وقذف فى أمة محمد ﷺ فى أهل القبلة.

قال، قلت: يا أبا يعقوب، ما أعمالهم؟

قال: بإتخاذهم القينات، وضربهم بالدفو ولباسهم الحرير والذهب.

(*) أنظر تأويـل قولـه تعـالى: ﴿فـكانـت وردة كالـدهان﴾ فـى الجزء الـثالـث عن «الامـارات العـلمية والتكنولوچية».

ولئن بقيت حتى ترى أعمالا ثلاثة، فاستيقن وإستعد وإحذر؟!

قال: قلتُ: ما هى؟

قال: إذا إكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء ورغبت العرب فى آنية العجم، فعند ذلك.

قلت له: العرب خاصة؟

قال: لا بل أهل القبلة.

ثم قال: والله، لَيُقْذَفَنَّ رجالٌ من السماء بحجارة يُشدخون بها فى طرقهم وقبائلهم، كما فعل بقوم لوط ولَيُمْسَخَنَّ بقوم قردة وخنازير، كما فعل ببنى إسرائيل، وليخسفن بقوم كما خسف بقارون)(١).

فإتخاذ القينات (أى الراقصات والمغنيات) والضرب بالدفوف ولبس الحرير أقول: عادات ثلاث تكون فى الأمة زمنا قد يصل إلى مئات السنين فهى من الأشراط، وإنما تصبح من الأمارات إذا شاعت وصارت ظاهرة غالبة على الحياة، وهذا ما حدث مع اختراع الأجهزة الصوتية والبصرية المعاصرة، بما جعل فى كل بيت فرق موسيقية وغنائية وراقصات بدليل قوله بعد هذا مباشرة (ولئن بقيت حتى ترى ثلاثة...) أى أنه قد يدرك أول هذه الثلاثة، لكنه لن يبقى حتى تنتشر وتعم وتلحق بها وبسببها الثلاثة الأخيرة:

(١) اكتفاء الرجال بالرجال. وهو فعل قوم لوط.

(٢) اكتفاء النساء بالنساء.

(٣) واتخاذ العرب آنية العجم.

وهذه الأخيرة آتية إلينا من الحضارة الغربية كسابقتيها وهى دلالة على الأساليب الغذائية الغربية المعاصرة التى إتخذوا فيها آنية من المواد المخترعة حديثا مثل الألومونيوم والبلاستيك وعلب العصير وغيرها، فهذه الثالثة علامة معيارية، والثلاثة قد تحققت وهذا بموجب الإستيقان بقرب وقوع العذاب بزلزال الأرض والخسف والمسخ والقذف بالحصباء من السماء.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا عن إتحاف الجماعة جـ٢ صـ١٥٤.

ولا شك أن هذه الثلاثة قد حدثت بين المسلمين، والحمد لله تعالى هى ليست شائعة مثل شيوعها فى بلاد الحضارة الغربية، والحديث لم يشترط شيوعها عند الأمة وإنما اشترط لوقوع العذاب حدوثها ولو بنسب ضعيفة، وهؤلاء سيعذبهم الله تعالى بعذاب قوم لوط فى أيام نزول العذاب حسب ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا (لاتقوم الساعة حتى ترضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط)(١).

ففى هذا اليوم سينال كل مجرم عذابه المعجل له فى الدنيا بحسب عمله، وذلك أنه لكل جريمة عند الله عز وجل جزاءها عند نزول العذاب بالزلزال والخسف والمسخ والغرق.

فالمنحرفون من الرجال سيقذفون باحجارة من السماء تنتقيهم دون غيرهم.

وأصحاب البلايين وأرباب المال الذين جمعوه من الحرام بأكل أموال اناس بالباطل وإحتكاراً وربا ونهبا وسلبا ومن تجارة المخدرات والخمور والدخان وغيرها من المهلكات سيخسف بهم كماخسف بقارون.

وجبابرة الحكام وذوى السلطان وقادة الجند الذين يسلكون مسلك فرعون وهامان سيغرقون.

هكذا روى ابن ابى شيبة (عن حذيفة رضى الله تعالى عنه أنه قال لا يكون فى بنى اسرائيل شىء الا كان فيكم مثله.

فقال رجل: يكون فينا مثل قوم لوط؟

قال: نعم)(٢)

كذلك ورد أن الساعة لا تقوم حتى تنحرف طبيعة البشر وتصبح غَيْرة الرجل على الغلام كغَيْرة الرجل على زوجته (فعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

---

(١) رواه الديلمي عن اتحاف الجماعة حـ٢ صـ١٥٤.

(٢) رواه ابن ابى شيبة عن اتحاف الجماعة مجلد ٢ ص ٢٤.

لاتقوم الساعة حتى يتغايروا على الغلام كما يتغايرون على المرأة)[1]

ويقويه ما رواه ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال (من أشراط الساعة)[1] ... وذكر الحديث وفيه (ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية البكر)[2] وفى رواية أبى الفرج المعافى (.. ويخطب الغلام كما تخطب المرأة ويهيأ كما تهيأ المرأة)[3].

وهذا لايفيد أنه سيكون ظاهرة منتشرة فى الأمة الإسلامية إذ ليس بالنص تخصيص، وهو واقع فى الحضارة الرومية الغربية المعاصرة كما هو معلوم بكثرة ظاهرة. ولئن كان فى الأمة فهو قليل مستتر ولم تحدث المجاهرة والمطالبة فى العالم العربى الإسلامى إلى فى مجلة بالكويت قبل غزو العراق لها بقليل.

عن حذيفة رضى الله تعا لى عنه أنه قال(لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة حتى لايقول عبد: مه مه، ولَتَرْكَبُنَّ سنن الأمم قبلكم حذو النعل بالنعْل، لا يخطئون طريقهم ولا تخطئهم، حتى لو أنه كان فيمن كان قبلكم من الأمم يأكلون العذرة رطبة أو يابسة لأكلتموها وستفضلونهم بثلاث خصال لم تكن فيمن كان قبلكم من الأمم:

بنش القبور، وسمنة النساء، تسمن الجارية حتى تموت شَحْماً، وحتى يكتفى الرجال بالرجال دون النساء ويكتفى النساء بالنساء دون الرجال، وأيم الله إنها لكائنة ولو قد كانت، خسف بهم، ورجموا، كما فعل بقوم لوط، والله ما هو بالرأى ولكنه الحق اليقين)[4].

فى هذا الحديث الشريف قرن وجود الإنحراف الجنسى بنبش القبور وسمن النساء، أما نبش القبور فهى كائنة فى الأمة ولم تكن من قبل وكذلك سمنة الجارية

---

(١) رواه أبو الفرج المعافي في كتابه/ الجليس والأنيس عن اتحاف الجماعة حـ٢ صـ٢٤.
(٢) (٣) رواه ابن مردويه انظر إتحاف الجماعة مجلد٢ ص ٢٤.
(٤) بحكم ابن وضاح عن إتحاف الجماعة ص٢ ص١٥٣، ولاحظ أن حذيفة رضى الله لم يرفعه للنبى ولكنه بحكم المرفوع بدليل أنه من أخبار الغيب وبدليل قسمه لأنه ليس بالرأى وإنما هو حق يقين ولايكون هذا إلا لا ستماعه من النبى ﷺ.

حتى الموت ولم تكن من قبل حتى فى الأمم السابقة. لأنهما من الأمارات الحضارية المعاصرة.

فنبش القبور يحدث فى حالة محاولة معرفة سبب موت المدفون، إذا وصل إلى الجهات القضائية ما يفيد قتله إذ يقوم الطبيب الشرعى بتشريح الجثة أو ببعض عظامها للتحقق من ذلك، وهو أيضا حادث فى بلاد المسلمين الفقيرة لكى يتدرب طلبة الطب على الجثة فى دراستهم لعلم الأعضاء البشرية. وهذا مع كونه مخالفا للقانون، إلا أنه حادث ومتكرر، وهو أمر لم يكن من قبل.

أما سمنة الجارية فبسبب استخدام السكريات والنشويات وهو فى النساء أكثر من الرجال لقلة حركتهن ولم تكن هذه الظاهرة كائنة من قبل أيضاً.

وهذا لم يكن من قبل بخلاف جاريات البدو ونساء الريف غير المنعمات اللائى يعملن فى الرعى والزراعة فتقل فيهن السمنة بسبب الحركة ولقلة النشويات والسكريات والدهنيات فى غذائهن.

هذه الثلاثة حدثن فى الأمة الآن زيادة على كل ما فعته الأمم السابقة ومن ثم قرب نزول العذاب بالزلزال والخسف والحصباء كما أقسم على هذا حذيفة رضى الله تعالى عنه، وروى الدار قطنى (عن أُبَىّ رضى الله عنه قال: قيل لنا أشياء تكون فى آخر هذه الأمة، عند اقتراب الساعة فمنها نكاح الرجل امرأته فى دبرها، وذاك مما حرم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله. ومنها نكاح الرجل الرجل، وذلك مما حرم الله رسوله ويمقت الله عليه ورسوله، ومنها نكاح المرأة المرأة، وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ولا يُقْبَلُ لهؤلاء صلاة ما أقاموا على ذلك، حتى يتوبوا الى الله توبة نصوحا.

قيل لأُبَىّ: وما التوبة النصوح

قال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ؟

قال هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك ثم لا تعود إليه أبدا)[1].

---

(١) رواه الدارقطنى فى الأفراد والبيهقى وابن النجار.

ونتيجة للانحرافات الجنسية واستحلال الزنى وانتشاره أن الأمة سيصيبها على هذا كله نزول العذاب بالريح الحمراء والخسف والقذف والمسخ، وما حدث هذا كله الا بسبب تعطيل الحدود الشرعية لمرتكبي هذه الجرائم فصارت هذه الانحرافات والجرائم شبه مباحة وإزدادت بسبب ذلك نسبة أبناء الزنا في الأمة وظهرت الانحرافات الجنسية بين الجنسين، ولكن لم يصل هذا كله في الأمة إلى حد المجاهرة به في الأماكن العامة، والمطالبة بتقنينه في أجهزة الأعلام كما هو حادث في الغرب المتسفل البهيمي حاليا.

ومن ثم فهذ الجانب السلوكي الاجتماعي الخطير قد تحقق وفق مانبأ به رسول الله ﷺ في الأمة وفي غير الأمة وبالذات في الروم باعتبار ان هذا كله من المقدمات المباشرة لنزول العذاب، وليس أوضح ولا أقوى من قول الصحابي الجليل إذا حدثت هذه الامارات: فإستيقن واستعد واحذر.

وقول حذيفة رضي الله عنه:والله ما هو بالرأي ولكنه الحق اليقين.

فهل من مصدق بقرب نزول العذاب إن لم تتب البشرية؟

وهل من متعظ؟ وهل من مستعد؟ وهل من مستجير بالله تعالى بالتوبة والطاعة؟

٢٣) إستحلال الخمر والمعازف والرقص والزنى، ونتائج شيوع هذا كله، المتمثلة في كثرة أبناء الزنى وإختلاط الأنساب وتقطيع الأرحام من أقوى وأصرح أمارات القيامة الصغرى الدالة على قرب وقوعها:

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾/ ٢٢ ـ ٢٣ محمد).

فذكر سبحانه وتعالى الإفساد في الأرض بعامة ثم ذكر تقطيع الأرحام بخاصة هذا يدل على أنه قمة الفساد في الأرض.

وقطع الأرحام أو قطع الرحم غير تقطيع الأرحام، فقوله تعالى (وتُقطِّعوا أرحامكم) بالطاء المشددة يفيد زيادة المبنى فى الكلمة الذى يستتبع حسب قواعد العربية زيادة المعنى والمبالغة فيه: فالذين يقْطَعون أرحامهم هم الذين لايصلون أقاربهم، أما الذين يُقَطِّعُون أرحامهم بتشديد الطاء فهم الذين إتخذوا الفاحشة سبيلا لقضاء شهوتهم فاستحلوا الزنا وأشاعوا إستحلالها فكثر أولاد السفاح والذين لم يبالوا أين يضعون نطفتهم ولا يهمهم ماتكون ثمرتها. ومن ثم يحدث اختلاط الانساب وتفقد أجيال كاملة من المواليد أنسابهم، فلا يعرفون آباءهم على وجه الاطمئنان واليقين، وربما لا يعرفون أمهاتهم أيضا، إذ كثيرا ما يُلْقَى المولود سفاحاً على الأرصفة أو يباع لاغنياء للتبنى، أو تُرَبِّيه أُمُّه، لكن إذا شب وسألها عن أبيه لاتستطيع تحديده، لانه قد يكون فلان، أو فلان أو فلان واحد من ثلاثة أو اثنين أو أكثر. أما أبناء البغايا فمن المستحيل تحديده على الاطلاق.

ذلك هو تقطيع الارحام، قمة الفساد فى الأرض، بل وليست هذه الثمرة المرة قاصرة على أبناء الزنا فحسب، بل هى تتعدى الى المولودين من زوجين، وذلك لشيوع ظاهرة تبادل الزوجات فى بلدان الغرب حيث يتحدث القادمون منها عن وجود هذه الظاهرة منتشرة بين الأسر، وهى التزاور لتبادل الزوجات والأزواج وقد ورد فى السنة ما نبأ عن هذه الإمارة أيضا، فعن على رضى الله تعالى عنه أن رجلاً قال للنبى ﷺ : متى الساعة؟

فقال: ذاك عند حيف الأئمة، وتصديق بالنجوم وتكذيب بالقدر، وحتى تتخذ الأمانة مغنما والصدقة مغرما والفاحشة زيارة فعند ذلك هلاك قومك). قال الشيخ التويجرى فى إتحاف الجماعة تعليقا على هذا الحديث (رواه ابن ابى الدنيا فى ذم الملاهى بنحوه وزاد: فسألته عن الفاحشة زيارة؟

فقال: الرجلان من أهل الفسق يصنع أحدهما طعاماً وشرابا ويأتيه بالمرأة فيقول: اصنع لى كما صنعت، فيتزاورون على ذلك قال: فعند ذلك هلكت امتى)[1] وهذه الزيادة تدل على حدوث هذه الظاهرة فى الأمة، وإن كانت مُسْتَتِرة غيرمعلنة وهى من أمارات الساعة الصغرى القريبة جدا.

(١) رواه البزار عن إتحاف الجماعة للتويجري مجلد ٢ صـ١٤٤.

وهـذا متـزامن مـع استـحلال الخـمر وفـشـو المعـازف والقـينـات أى المغـنيـات والراقصات، ولئـن كان هذا كله قديما لكنـه كان محصورا فى قصور فسـقة المترفين والأغنياء، أما فى هذا العـصر التكنولوجى، فقد دخلت الفرق المـوسيقية والراقصات والمغنيات بيوت كـل المسلمـين من خلال الأجهـزة البصريـة: التليـفزيون والفـيديو والأقمار الصناعية، وأكثر من ذلك مما لم يكن يخطر عل بال أحد فى الماضى.

ومن ثمَّ وردت الأخـبار باقتران إسـتحلال الخمر والقـينات والمعازف مـع شيوع الزنى والانحرافات الجنسية حيث من الثابت تـفشى الزنى بهده الثلاثة مجتمعه ومع بعضها، ويـلحق بالخمر المخدرات، فإذا أبـاح المشرعون الخمر والموسيـقى والرقص، فقد دعوا دعوة صريحـة قوية للزنى، واستحلال بعض هذه أدى إلـى استحلال الزنى حتى ولـو كان هذا الاستحـلال غير صريح وغـير معلن كـما هو الحال فى أكـثر بلاد المسلمين، وما هذا الا لارتباط هذه المحرمات كلها بعضها ببعض.

وقد نبـأ النبى ﷺ بخـطوات استحلال الخـمر المتزامنـة مع خطوات التـدرج نحو استحلال الزنى (فعن أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: لَيَشْرَبَـنَّ ناسٌ من أمتى الخمر يـسمونها بغيـر إسمها)[1] وعن أبى أمـامة الباهـلى رضى الله تعالى عنـه قال: قال رسول لله ﷺ: لاتذهب الليالى والأيام حتـى تشرب فيها طائفة من أمتى الخمر يسـمونها بغير اسمها)[2] وكذلك (عن عائشـة رضى الله عنها قالت سـمعت رسول الله ﷺ يقـول: إن ناساً من أمتى يـشربون الخمر يـسمونها بـغير إسمها)[3] وما ذلك إلا ليبرروا لأنفسهم استحلالها وقد تحقق هذا حين أطلقوا عليها المشروبات الروحية أو المشروبات الكحولية ولكـل نوع منها اسما كالبيرة وكالويسكى والشمانيا والنبيذ دون أن يذكروا أنها خمر.

وقد مرت بنا الأحاديث الدالة على وصول الأمـة أو بعض أبنائها من الفساق إلى مرحلة استحلال الخـمر والزنا، وليس كل الأمة والحمد لله تعالـى، وقد تحقق هذا فى زماننا، بل هو ما تحقق من عشرات السنين ويزداد ظهورا مع مرور الأيام.

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده وأبو داود..

(٢) وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والطبرانى والبيهقى.

(٣) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقد مرت بنا الأحاديث الدالة على هذا، والتى تربط بين الأربعة وإستحلالها ومنها ما رواه البخارى (ليوكنن من أمتى أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف...)(١).

وأيضا فى حديث مراحل الحكم والنظام السياسى الذى تمر به الأمة حتى تصل إلى مرحلة الجبرية وهى المرحلة السابقة على عودة الخلافة الراشدة (... وكانتا عتوا وجبرية وفساداً فى الأرض يستحلون الفروج والخمور والحرير...)(٢).

والجبرية هى التى ينتهى عهدها بنزول العذاب وزلزال الأرض مما يتيح قيام الخلافة الراشدة بالمهدى عليه السلام، ويهيئ لها وهذا كله من أمارات القيامة الصغرى التى تدل على قربها.

وفى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه المرفوع والمتضمن لـلاثنتيْن وسبعين خصلة جاءت هذه الخصال الاجتماعية فى آخرها (... وإتخذت القينات والمعازف وشربت الخمور فى الطرق) (٣) وفى رواية أخرى لابى هريرة مرفوعا أيضا جاء فى آخره (.... وظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقدفا وآيات تَتَابع كنظام بالٍ قطع سلكه فَتَتَابع)(٤).

وفى آخر حديث على بن أبي طالب رضى الله عنه المرفوع (......... وشربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القيان (أى الإماء الجميلات التى تقتنى(*) للامتاع بالرقص والغناء، وتُجمع قينات وهن الآن المطربات والراقصات فى الافلام ودور الملاهى، وان خدعوهُنَّ وأطلقوا على الواحدة منهن فنانة أو نجمة أو مطربة أو ممثلة، وإن أعطوهن الجوائز وعلموهن فى معاهد وأعطوهن الشهادات، فهن أولا وأخيرا القيان والقينات) والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحا

---

(١) صحيح البخارى (٢) رواه أبو داود الطيالسى

(٣) رواه أبونعيم فى الحلية باسناد ضعيف ولكن الشيخ التويجرى قال (وله شواهد من حديث على وأبى هريرة وغيرهما عن اتحاد الجماعة مجلد ٢صـ١٥)

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب.

(*) لأن القنّ هو العبد والامة قَيْنَة أو قَنَّة وتُطلق على التي يُحرَصُ على إقتنائها فلا يُفرِّط فيها مالكها بالبيع او الاهداء لما تتمتع بـه من جمال وَذكاء وجمال الصوت ولقدرتها على الرقص. لأن كل هذه الأعمال التي يطلقون عليها فن لم تكن إلا للإماء، أي القيان.

حمراء او خسفا او مسخا) وجاء في روايه لابن ابى الدنيا (........ فليرتقبوا ريحا حمراء وخسفا ومسخا)(١).

وفي آخر حديث ابن مسعود للسعدى المرفوع أيضاً جاء قوله ﷺ (يا ابن مسعود، إن من أعلام الساعة وأشراطها: أن تظهر المعازف والكَبَر وشرب الخمور. يا إبن مسعود، ان من أعلام الساعة وأشراطها أن يكثر أولاد الزنى. قلت: أبا عبد الرحمن وهم مسلمون؟! قال: نعم. قلت: أبا عبد الرحمن وأنى ذلك؟! قال: يأتى على الناس زمان يطلق الرجل المرأة طلاقها، فتقيم على طلاقها، فهما زانيان ما أقاما)(٢).

وأبو عبد الرحمن هو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه والذى يسأله في آخر الحديث هو التابعى عُتَىٌّ السعدى ، والشاهد في هذا الحديث أيضاً إقتران ظهور المعازف والكَبَرَ وهو الطبلة ذات الرأسيْن مع شرب الخمور مع كثرة أبناء الزنى، والحديث طويل ويتضمن أعلاما متعددة للساعة ولكن هذه الاعلام أو الامارات جاءت في آخرها كما في الاحاديث السابقة مما يدل على أن هذه الامارات الإجتماعية التى هى أشد انواع الفساد وأخطر أشكاله يَسبق ظهورها وشيوعها نزول العذاب وأحداث القيامة الصغرى، ويتضمن حديث ابن مسعود رضى الله عنه أيضاً تفسيرا لكثرة أولاد الزنى بين المسلمين بالرغم من إعتماد اكثر الامة لاسلوب الزواج واستمرار النظام الاسرى في مجتمعات الامة الاسلامية بخلاف المجتمعات الغربية، معللا هذه الكثرة بسوء استخدام تشريع الطلاق من بعض الازواج فيطلق الزوجة ثم يستمران في الحياة الزوجية، ومن ثم يكون أبناؤهما من بعد الطلاق (ولعله الطلقة الثالثة) أبناء زنى، وهذا الا يكون الاّ ممن يستهينون بالدين ويحرصون على شهواتهم ودنياهم ويهملون ويغفلون عن آخرتهم، وهذا هو ما يغلب على كثير من المسلمين في زمن القيامة الصغرى.

---

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب.
(٢) وكذا رواه ابن ابى الدنيا.
(٣) رواه الطبرانى في الاوسط.

(٢٤) - الكنيسة الإنجيلية تبيح الشذوذ الجنسى وتبارك الإرتباط بَيْنَ شخصين من نفس الجنس:-

لم يعد إعتبار الزنى والشذوذ الجنسى مباحا من قبل السياسيِّن (أعضاء البرلمانات) فى الغرب فحسب، بل صار حلالا مباركا من قبل رجال الدين فى بعض الكنائس الصليبيَّة الغربية.

ولَمَّا نجح بعض أساقفه الكنيسة الإنجيلية من الافارقة والأسيويين في الحصول على قرار فى أحد المؤتمرات الكنسية برفض الشذوذ الجنسى أى عدم مباركته فقط، إتهم اسقف أدنبرة هؤلاء الاساقفة بأنهم متأسلمون، أى متأثرون بالاسلام لانهم يعيشون فى بلادهم ذات الحضارة الاسلامية أو المجاورة لها. أى أنه يلمح بهذا إلى أنهم يحاولون تغيير المسيحية او تحريفها بقبول تأثير إسلامى فى الكنيسة الإنجيلية، وباضفاء طابع إسلامى على المسيحية واستدل هذا الاسقف بهذا الموقف للاساقفة الاسويِّين والأفارقة على أن معارضة الشذوذ الجنسى من هؤلاء تدل على أن تعاليم الاسلام بدأت تشق طريقها إلى داخل الكنيسة.

لقد شَنَّ أسقف أدنبرة الشيطانى اللعين هذا الهجوم على أساقفة على دينه ومذهبه لانهم استقذروا العلاقات الجنسية الشاذة حتى كاد يحكم عليهم بالكفر بدينهم، لَمَّا أتهمهم بمحاولة أَسْلَمة كنيستهم. ونحمد الله تعالى على أن الاسلام لازال هو العنوان الوحيد الباقى للطهر والعفة، وهذا اللعين حفيد قوم لوط عليه السلام يكرر عبارة أجداده ﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم أنهم أناس يتطهرون﴾.

إذًا ليس لهجومه على أساقفة آسيا وأفريقيا أى معنى سوى محاولة إخراجهم من الكنيسة لأنهم أناس يتطهرون أو كما عبر هو عن الطهر بقوله «يتأسلمون» لقد نشرت جريدة الاسبوع المصرية تقرير مؤتمر الكنيسة الانجيلية تحت عنوان (أسقف أدنبرة يتهم معارضى الشذوذ بالتأسلم).

وهذا نصه (تزايدت حدة الجدل داخل الكنيسة الانجيلية بشأن المناقشات التى دارت حول الشذوذ الجنسى بمؤتمر لاميث والذى عقد بالعاصمة البريطانية «لندن»

مؤخرا حيث وصف «ريتشارد هولوواى» اسقف ادنبرة – قرار المؤتمر برفض الشذوذ الجنسى وتحريمه بـأنه يوضح تأثر الكنيسـة الإنجيلية بالإسلام، وإن تعاليـمه بدأت تشق طريقها إلى داخل الكنيسة!!.

ووصف ريتشارد تأييد اساقفة إفريقيا وآسيا لقرار تحريم الشذوذ بأنه يعبر عن انهم يعيشون فى بلاد إسلاميـة وانهم اضافوا طـابعا اسلاميا عـلى المسيحـية يجعلهـا اكثر صرامة وتعقيدا!.

وأضاف ريـتشارد بأن الـشخص المتـعصب يعـرف بأنه الرافـض للتفـاوض وهو مالمسه الاساقفـة الاوربيون فـى اساقفـة آسيا وافريـقيا فـى اثناء مـؤتمر لاميث حـيث تملكتهم العصبية وروح التطرف!!.

ووصف ريتشارد قرار المؤتمـر بأنه حكـم بالاعدام صدر دون مـحاكمة ويـعكس هيمنة الاصولية عـلى فكر الاساقفة الانجيليين ممن رفضوا الاقتـناع بأن اساقفة الغرب يعيشون فى مجتمـعات مفتوحة تطالبهم بالكشف عن اسـباب اتخاذ أى قرار حتى لو كان بسيطاً!

كما هاجم الأسقف ريتشارد ما طالـب به الاسقف البريطانى «جارى» من ضرورة اضافة عبـارة تصف الشذوذ الجنـسى بأنه يتعارض مـع ما جاء بالكتـاب المقدس وهى الفكرة التى ايدها جميع الاساقـفة الاسيويين والافارقة. ووصف خطاب جارى الذى جاء فيـه أنه لم يجد مـوضعًا في الكـتاب المقدس لأي ممارسـات جنسية خـارج نطاق العلاقة الزوجية بأنه لا يزيد على كونه مجرد كلمات كان الصمت افضل منها!!.

وعبر ريـتشارد عن أسفـه الشديد لعـدم اجابة المؤتمـر عن سؤال اساسى هـو كيف يجب تفسير الكتاب المقدس؟

وهل يتم التعامـل مع الانجيل على أنه كلام حرفى من عند الله أم يعـاد تفسيره وفقا لكل جيل؟

وأضاف قائلا: من الواجب علينا استـخدام الموضوعات الاساسية التى ورد ذكرها بالكتاب المقدس للحكم على الموضوعات الفرعية!!

يذكر ان الأسقف «ريتشارد» احد الاساقفة الـذين اصدروا بيانات عبروا فيها عن عدم رضاهم عن قرار المؤتمر بتحريم الشذوذ واوضحوا ان الارتباط بين شخصين من نفس الجنس سيظل مباركاً!!)[1].

وبعد أخي المسلم: فَمْن لايستشعر قرب نزول عذاب الاستئصال العام على المجرمين حسب سنن الله عز وجل التى استأصل بحسبها قوم لوط وقوم عاد وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم، وأن نزول هذا العذاب قريب قريب قريب. فهو ممن لايقرأون القرآن الكريم ولايعلمون حقائق الاسلام، وأولئك هم الغافلون الذين ستَفْجَأُهُمْ أحداث القيامة الصغرى، وهم لاعبون لاهون فلا يستطيعون توصية ولايتوبون. فاحذر أخي المسلم أن تكون منْهم.

---

(١) جريدة الاسبوع، العدد التاسع والسبعون بتاريخ ٢٤ من ربيع الآخر ١٤١٩هـ الموافق ١٧ من أغسطس ١٩٩٨م الصفحة السابعة بتوقيع أنغام مسعد/ الاندبندت.

الباب الرابع

الأمارات الاقتصادية

(٢٥) الأمارات الاقتصادية عجائب تاريخية.

(٢٦) الشاب الاسرائيلى الذى يجمع اموال البشر بين يديه.

(٢٧) كيف استولى المسيح الدجال واليهود على أموال البشر.

(٢٨) حكومة العالم الخفية اليهودية والاقتصاد السياسى.

(٢٩) الاستيلاء على ذهب البشر بالنظام المالى الورقى.

(٣٠) القروض الربوية الداخلية والخارجية من وسائل إستيلاء اليهود على أموال الشعوب.

(٣١) السندات الحكومية الربوية أخذ من أقوات الفقراء للأغنياء.

(٣٢) إستيلاء ملك اليهود على ذهب الدول بتعويم العملات الورقية والدولار بخاصة.

(٣٣) مطابقة المغزى الاقتصادى السياسى لقصة الشاب الإسرائيلى مع الاحوال الاقتصادية السياسية المعاصرة.

(٣٤) إخبار السنة الشريفة بالفساد الاقتصادى والمالى المعاصر.

(٢٥) الأمارات الاقتصادية عجائب تاريخية:-

الامارات عجائب لم يكن يتصورها السابقون حتى أنهم اذا قيل لهم سيكون وسيكون لفتحوا أفواههم تعجباً ولأنكر البعض قائلا: هل هذا معقول؟! غير معقول؟!

والنظم الاجتماعية تشكل فيما بينها بناءً كاملاً هو البناء الاجتماعي ووحدة البناء متوقفة على تناسق وتوازن وتناغم قائمين بين الأنظمة الاجتماعية سياسية واقتصادية وخلقية وتربوية، وأساس هذه الوحدة هو العقيدة التى تبنى عليها الأنظمة جميعا، وهذا البناء الاجتماعى المتكامل هو الدين الذى عليه المجتمع

فالدين الاسلامى الواقعى أى الكائن فى الحياة هو البناء الاجتماعى الاسلامى المتحقق فى حياة الأمة الاسلامية لأن مفهوم الدين يصدق على دين الأمة الذى تحيا به، كما يصدق على الكتاب والسنة الذى هو دين الله عز وجل، أى أن معنى الدين اذا نسب للبشر يختلف عن معنى الدين اذا نسب لله عز وجل، وهدم البناء الاجتماعى لمجتمع ما يستلزم هدم أنظمته، وهدم نظام اجتماعى واحد فى البناء يستتبع بالضرورة هدم بقية الأنظمة واحداً تلو الآخر، وهذا ما حدث فى البلاد العربية الاسلامية بعامة ومصر بخاصة، لما غيروا الحدود التى هى قوانين العقوبات فى الشريعة، وصاحب هذا فى الزمان إخراج المرأة من منزلها، ودعوتها للتشبه بالرجال فى الحياة والعمل والإختلاط، وواكب هذا تغيير أنظمة التعليم، ومن ثم أدى هذا الى التغيير الإجتماعى أى هدم البناء الاجتماعى الإسلامى، وليس فى نظام المرأة فقط وانما فى سائر الأنظمة الخلقية والسياسية والاقتصادية حتى إنهدم البناء كله أو جله ولم يَبْقَ منه إلا نظام الزواج والطلاق، وهم يحاولون تغييره أيضاً.

وتتكون الحضارة الانسانية من دين ينبنى عليه ثقافة وقوانين وأخلاق وعادات وتقاليد أى البناء الاجتماعى، ومن ثم تتباين الحضارات بتباين الأديان. ولم يكن يتصور أحد فى يوم من الأيام أن الدنيا ستصير بفعل الاتصالات ووسائل الانتقال، وما تم من المخترعات الحديثة دولة واحدة، وأن الدول ستصبح مقاطعات فى

هذه الدولة، أو حتى مدينة من مدنها وربما اذا كانت دولة صغيرة تصبح قرية صغيرة من القرى.

ولم يتصور أحد أن مخططات اليهود بقيادة الدجال بعد أن تستغل المخترعات الحديثة (سينما ـ تليفزيون ـ تسجيل ـ فيديو ـ أقمار صناعية والمواصلات الحديثة وغيرها) لخدمة المخطط الذى يرمى الى جعل البشرية جمعاء تحت حكم رجل واحد.

ومن المخططات الفرعية المبكرة فى هذا المخطط الافسادى الذى علا به بنو اسرائيل فى الأرض علواً كبيرا، كما أخبرنا ربنا بما سيكون منهم، هو المخطط الاقتصادى الذى سار بخطوات بدأت وئيدة لكنها كانت محسوبة ومرتبة لتنتهى الى نهاية حتمية يتملك بها هؤلاء الخبثاء أموال البشر جميعا ويسيطرون على المصادر المائية ومصادر الطاقة وبالتالى يسيطرون على الغذاء ليستعبدوا الناس من خلال أرزاقهم وحينئذ يَسْجُدُونَ لهذا الخبيث الدجال متوهمين أنه يملك رزقهم ويملك حياتهم وموتهم ولا يرزق ولا يميت ولا يحيى الا الله عز وجل.

وبالتالى يكون هو المستحق فى نظرهم للعبادة من دون الله عز وجل .

فإذا قيل إن فرداً واحداً يملك ذهب الدول بعد أن حوَّل المال إلى ورق مطبوع يحكم هو ومؤسساته النقدية فى قيمته، ويملك النسبة الكبرى من شركات ومصانع الدنيا بعد حصر ملكيتها فى صورة سندات وأسهم فى البورصات التى يسيطر عليها هو أعوانه يتحكم فى أسعارها، وسيملك أو يسعى ماليا للسيطرة على مصادر ومنابع المياة العذبة، وكذلك مصادر الطاقة فى العالم كله سعيا للسيطرة على الغذاء ومياه الشرب لتكون بيره أرزاق العبا بعد أن يملك المال والعتاد والاعلام أو غنت له الحكومات الغربية القوية الغنيئة، إذا قبل هذا، فسيقال عند سماعه: هل هذا معقول؟! غير معقول! مع أنه الواقع الاقتصادى العالمى المعاصر.

إن أخطر المخططات الفرعية داخل المخطط الجامع الرئيسى هو المخطط الاقتصادى أو البنود الخاصة بالخطوات التى تؤول بها أحوال البشر جميعاً الى أيدى اليهود، ولا يكون للناس من أموال الا ما يأكلون فيفنون وما يلبسون فيبلون ولا ينال الواحد

الأكل واللبس منـهم الا اذا خضع وأطاع وآمن بالطاغوت اليـهودى وصار من الذين يكفرون بالله واليوم الآخر، ويسجدون للأعور الكاذب الذى يقود هذا الافساد الذى ليس له نظير فى تاريخ البشرية منذ آدم الى آخر الدنيا.

وقد سلك الـيهود بزعامة الـدجال فى سبيل هـذه الغاية سبيـلين ينبعان سـوياً عن عقيدة واحدة، هى العقيدة المادية الإلحادية المنـكره للألوهية وللغيب، أما السبيل الأول فهو: الرأسمالية الطاغية المتسترة خلف الديمقراطية الخادعة، وبالممارسة من خلال هذا النظـام إبتكر اليهـود من الوسائل الـشيطانية مـا تمكنوا به مـن السيطرة علـى مقدرات الشعب الأمريكى حتى صار الشعب الأمريكى والشعوب الأوروبية الرأسمالية ليس لهم مما يملكون الاما يـاكلون وما يلبسون وما يستهلكون، أمـا ما فاض عندهم من مال فهو فـى بنوك اليهـود، وابتدعوا من الـوسائل السيـاسية ما استـطاعوا به أن يحـكموا شعباً مثل الشعـب الأمريكى، فهو يحارب من أجلهم، ويبنـى من أجلهم، ويهدم من أجلهم، ويقاطع ويـخاصم من أجلهم، ويصادق من أجلهم ويـعادى من أجلهم وكذا الحال فى بلاد أوروبا بدرجات متفاوتة.

أما السبيل الثانى: فهو الشيوعيـة وقد حاول فيها المخطط أن يجرد الناس من كل ما يملكون بضربة وخطوة واحدة باسم التأميم وجعل الملكية بأيدى رجال الدولة زاعمين للناس أنها ملك لـلشعب كذباً، ولما أدرك الشعب أن الملكية للدولـة وليست للشعب وأن الدولة رجال سـيطر عليهم اليـهود، ونتيجة لنشـر الإلحاد وتربية النشأ عـليه، قاوم الشعب الروسى وشعوب الاتحـاد السوفيتى مقاومة سلبية بالاهـمال، فانهار الاقتصاد وأوشكت هـذه الدول على الافلاس، وعـبثاً حاولوا اصـلاح الاقتصاد فانـهار الاتحاد السوفيتى، وسارع اليـهود بالقضاء عليه، حتى لا تفلت أزمـة الأمور من أيديهم وقالوا لهم الى اقتصـاد السوق، وهذا ما يحدث الآن أى العودة الى الرأسمـالية ولكن تحت مصطلح جـديد هو إقتصاد السوق، وبحسـب خبرة اليهود فى المجمعات الرأسمالية يبـادرون بالسيـطرة على المـقدرات الاقتصـادية فى المجتـمعات المسـتقلة عـن الاتحاد السوفيتى، لكنها وبالضرورة لليهود حسب المخططات الصهيونية الخبيثة.

أى أن الأمر انتهى فى أيدى اليهود إلى نجاح أحد السبيلين وهو الرأسمالية، وتمكنوا من خلاله من السيطرة على الشعوب ونهب ثرواتها وجمعها تحت أيديهم فى بنوك الدول الرأسمالية ثم صنعوا البنك الدولى ومؤسسة النقد الدولى توجه اقتصاد هذه البلاد ليس لما يحقق مصالح الشعوب، ولكن لما يحقق استيلاء اليهود على أموالهم، وهذا هو المكر الاقتصادى العظيم، ولكن الله سبحانه سيبطل مكرهم العظيم الذى تكاد أن تزول منه الجبال.

(٢٦) الشاب الاسرائيلى الذى يجمع اموال البشر بين يديه:-

لقد جاء الخبر عن هذا الرجل الذى يجمع ويستحوذ على الصامت من أموال الناس جميعاً ثم هو يطلب المزيد، ولكنه لا يستمتع بما جمع وما يعمل من أجله خلال آلاف السنين، ووصل اليه من العلو الكبير، لا يستمتع به أكثر من أربعين يوما بعدها يحال بينه وبين ما يشتهون بقتله هو وأشياعه كما جاء فى تفسير قوله تعالى:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ......﴾ [سبأ/ ٥٤].

أورد السيوطى فى الدر المنثور قال (أخرج إبن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله (وحيل بينهم وبين مايشتهون) قال (كان رجل من بنى اسرائيل فاتحاً أى فتح الله له مالاً فورثه إبن له تافه أى فاسد، فكان يعمل فى مال أبيه بالمعاصى، فلما رأى ذلك إخوان أبيه أتَوْا الفتى، فباع عقاره بصامت[1]، ثم رحل، فأتى عيْناً ثجّاجة[2]، فسرَّح[3] فيها ماله، وإبتنى قصرا، فبينما هو ذات يوم جالس، إذ شملت عليه[4] ريح بأمرأة من أحسن النساء وَجْهًا وأطيبهم ريحاً، فقالت: من أنت ياعبد الله؟ قال: أنا أمرؤٌ من بنى إسرائيل. قالت: فلك هذا القصر، وهذا المال؟ قال: نعم. قالت: فهل لم من زوجة؟ قال: لا قالت: فكيف يُهْنيك[5] العيشُ ولا زوجة لك؟. قال: قد كان ذاك[6]، فهل لَكِ من بَعْل[7]؟ قالت: لا. قال: فهل لَكِ أن أتزوجك؟ قالت: إنى

---

(١) بمال نقدى ذهب أو فضة او كلاهما. (٢) اى غزيرة الماء (٣) اى أنفق فيها ماله
(٤) هَفْهَفَتْ عليه. (٥) كيف تستمع بعيش. (٦) هذا هو الحاصل
(٧) هل لك من زوج.

إمرأة منك على مسيرة ميل، فإذا كان غَدٌ، فتزوَّد زاد يوم وإثنين، وإن رأيتَ في طريقك هَوْلاً[1] . فلا يُهُولَنَّك[2]، فإنه لا بأس عليك[3] . قال: نعم. فلمّا كان من الغد، تزوَّد زاد يوم، وانطلق إلى قصر فَقَرَعَ بابه فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال: من أنت يا عبدَ الله؟ قال: أنا الإسرائيلي. قال: فما حاجتك؟ قال: دعتني صاحبة هذا القصر إلى نفسها. قال: صدقتَ، فهل رأيت في طريقك هوْلاً.؟ قال: نعم، ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس عليَّ لهالني الذي رأيتُ:-

أقبلتُ حتى إذا إنفرج بيَ السبيل، إذا أنا بكلبة فاتحة فاها[4] ففزعتُ، فوثبتْ، فإذا أنا من ورائها، وإذا جروها ينحر على صدرها!.

قال: لستَ تدرك هذا؟! هذا يكون في آخر الزمان يقاعد الغلام المشيخة فيغلبهم على مجلسهم ويأسرهم حديثهم.

ثم أقبلتُ حتى إذا انفرج بيَ السبيل، وإذا بمائة أعنز حُفُّل[6]، وإذا فيها جدي يَمُصُّهَا، فإذا أتى عليها، فظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه[7] يلتمسُ الزيادة.

قال: لستَ تدركُ هذا؟ هذا يكون في آخر الزمان: ملك يجمع صامت[8] الناس كلهم، حتي إذا ظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلتمس الزيادة. قال: ثم أقبلتُ حتى إذا انفرج بي السبيل، إذا أنا بشجر فأعجبني غُصْنٌ من شجرة منها ناضر، فأردتُ قطعه فنادتني شجرة أخرى، يا عبدَالله: مني فخذ؟! حتي ناداني الشجر، يا عبدَالله: منا فخذ؟!

قال: لستَ تدرك هذا؟! هذا يكون آخر الزمان، يقل الرجال ويكثر النساء، حتي إن الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشرة والعشرون إلى أنفسهن.

قال: ثم أقبلتُ حتى إذا إنفرج بي السبيل، فإذا أنا برجل قائم على عيْن يغرف لكل

---

(١) أموراً مفزعة.
(٢) فلا تفزع.
(٣) فلن يصيبك منها ضرراً أو أذى.
(٤) فمها.
(٥) ينبح.
(٦) ضروعها مملوءة باللبن.
(٧) فمه كناية على أنه لم يشبع.
(٨) أموال الناس النقدية الذهب والفضة.

إنسان من الماء، فـإذا تصدَّعوا[(١)] عنه، صب الماء فـى جَرَّته، فلم تعلق جَـرَّتُه من الماء بشىء. قال: لستَ تدركُ هـذا؟! هذا يكون فى آخر الزمان: العالم يعـلِّم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصى الله.

قال: ثم أقبلتُ حتى إذا انفرج بى السبيل، فإذا أنا برجل يميح[(٢)] على قليب[(٣)]، كلما أخـرج دلوه صبَّه في الحوض، فانسـاب الماء راجعا إلى القليـب، قال: هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله.

قال: ثم أقبلتُ حتى إذا انفرج بِيَ السبيـل، إذا أنا برجل يبذر بذرا فَيَسْتَحْصِد، فإذا حنطة طيبة.

قال: هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له.

قال: ثـم أقبـلتُ حـتى إذا انـفرج بـيَ السـبيـل، إذا أنا بـعنـز، وإذا قوم قـد أخذوا بقوائمها، وإذا رجـل آخذ بقرنيْها، وإذا رجل آخذ بذنبهـا، وإذا رجل قد ركبها، وإذا رجل يحلبها.

فقال: أما العنز، فهى الدنيا، والذين أخذوا بقوائـمها فهم يتساقطون من عليتها[(٤)]، وأما الذى قد أخذ بذنبهـا فقد أدبرت عنه، وأما الذي قد أخذ بقرنيْهـا فهو يعالج من عيشها ضيقا وأما الذى ركبها فقد تركها، وأما الذى يتحلبها، فبخ بخ، ذهب ذاك بها.

قال: ثم أقبـلتُ حتي اذا انفرج بيَ السبيل،، إذا برجل مُـسْتَلْق على قفـاه، فقال: يا عبدالله أُدن منى فـخذ بيدى وأقعدنى، فوالله مـا قَعَدْتُ منذ خلقنـى الله، فأخذتُ بيده فقام يسعى، حتى ما أراه.

فقال له الفتى: هـذا عمرك فُقِدَ، وأنا مَلَكُ الموت، وأنا المرأة التـى أتيتُك، أمرنى الله بقبض روحك فـى هذا المكان، ثم أصيِّرك إلى جـهنم) قال[(٥)]: ففيه نـزلت هذه الآية ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ .....﴾ [سبأ/ ٥٤][(٦)]).

---

(١) أى رحلوا عنه بعد أخذ حاجتهم من الماء. (٢) ماح يميح: انحدر فى الركن فملأ الدلو.

(٣) القليب: البئر قبل أن تُطوى وإنما سميت قليبا لأنها كالشىء يقلب من جهـة إلى جهة وكانت أرضا فلما حفرت صار ترابها كأنه قُلِبَ. فكل تراب خارج من باطن الأرض فهو قليب.

(٤) يعنى أنهم سفلة الناس. (٥) القائل هو عبدالله بن عباس رضى الله عنهما.

(٦) السيوطى/ الدر المنثور مجد ٥ ص ٢٦٣.

فهذه القصة الرمزية تكاد تكون صريحة بعد أن تحقق أكثر ما جاء فيها من رموز فى عصرنا الذى هو آخر الزمان، لأن أكثر ما شاهده الشاب الإسرائيلى هو من أحداث وأحوال آخر الزمان، وذلك بتصريح النص: أما الشاب الإسرائيلى فهو المسيح الدجال الذى ثبت بالقرآن والسنة صلته بافسادة اليهود فى آخر الزمان بقوله تعالى ﴿..... فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ.....﴾ أى فإذا جاء وعد الله بتدمير إفسادة اليهود وعلوهم الكبير اللذين سيحدثان فى العصر الأخير للدنيا أو فى أيام الدنيا الأخيرة وكما جاء فى سفر حزقيال تعبير (زمان إثم النهاية) أى إفسادة النهاية، تلك التى تكون اعظم أمارة على بدء اليوم الآخر، وقد سبق أن وضَّحْتُ بالتفصيل فى الجزء الأول العلاقة بين علو اليهود المعاصر بالافساد فى الأرض وبين التمهيد لخروج المسيح الدجال، وثبت بالنصوص علاقة الدجال باليهود، كما ثبت بأن الرسول ﷺ ذكر عن الدجال أنه شاب أى عندما سيخرج ويراه الناس سيرَوْه شابا رغم أن عمره مئات بل آلاف السنين لأنه من المنظرين الأشرار، روى أحمد ومسلم والترْمذى وابن ماجة واللفظ لأحمد عن النواس بن سمعان الكلابى رضى الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة..... فذكر الحديث بطوله وفيه: إنه شاب جعد قطط عينه طافية ولفظ مسلم: إنه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبّهُه بعبد العزى بن قطن).

وعلى هذا فوصف بطل القصة بأنه شاب إسرائيلى يصدق على المسيح الدجال، يؤكده أنه يكون فى آخر الزمان، كما تؤكده الأحداث التى سيراها فى مسيرته إلى قصر المرأة وأهمها لدينا الآن الحادث ذو المغزى الإقتصادى والخلقى لأنها من أحداث إفسادة بنى إسرائيل فى آخر الزمان.

والشاب الإسرائيلى التافه الفاسد الذى تعلق قلبه بملذات الدنيا وشهواتها حتى عنَّفهُ أعمامه المسلمون الطيبون، فباع ما ورثه من أبيه، هو رمز لكفرة بنى إسرائيل الذين باعوا ما ورثوه من الكتاب والحكمة التوراتية بعرض الدنيا الزائل بحثا عن الملذات والشهوات المحرمة، وهؤلاء الذين كفروا من بنى إسرائيل ما كفروا إلاَّ إستجابة للمسيح الدجال حتى عبدوا الجبت والطاغوت لقول الله تعالى فيهم ﴿قُلْ يَا

أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[٥٩-٦٠/ المائدة].

وقال تعالى أيضا فى كفرة بنى إسرائيل بخاصة وكفرة أهل الكتاب بعامة ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً (٥١) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [٥٠ - ٥٢/ النساء] فوصفهم بأن منهم عبد الطاغوت، وهو الهيئة المشتركة أو المتحدة من ابليس شيطان الجن الأول، والدجال شيطان الإنس الأول، ثم وصفهم بانهم يؤمنون بالجبت وهو الدجال الذى هو حلقة وسطى بين عالم الجن والانس وعن طريق تعلم الناس السحر وتَفَشِّى الاعتماد عليه، كما ظهر هذا تاريخيا فى الحضارة الفرعونية أقدم الحضارات المكتوبة والتى افسدها الدجال بالسحر.

ولم تكن إستجابة كفرة بنى إسرائيل للدجال إلا لتحقيق أمنيتهم التاريخية المتمثلة فى عودتهم إلى دولتهم حول القدس والعلو الكبير فى الأرض حسب ما يظنون أو يتوهمون أنه وعد التوراة لهم، وهو فى الحقيقة وعيد الله لهم بالدمار عندما يحدث منهم ما أخبرهم الله أنه سيكون منهم من إفساد مع العلو الكبير فى آخر الزمان، فإذا ما كانوا قاب قوسين أو أدنى من إعلان هذا المُلك الكبير والاستمتاع به، وإذا ما ظن ملكهم وإلههم الذى يطيعونه أنه على وشك أن يتوج ملكا وربا للعالم كله أخذهم الموت الزؤام(وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل) لأن للدجال فى كل عصر من عصور التاريخ فئة من الناس مثل بنى إسرائيل يستخدمهم لتحقيق هدفه، وهو حكم الأرض وإعلان نفسه ربا على كل البشر، حتى إذا قرب من هدفه، حسب وهمه، أخذ الله هذه الفئة ودمرها وحيل بينهما وبين ما تشتهى من حكم الشعوب، ويبقى هو لكى يحاول مع فئة أخرى كافرة من جديد، والفئة الأخيرة هى من بنى إسرائيل ومن يتبعهم ويطيعهم من أعضاء المنظمات السرية الصهيونية.

والمغزى العام للقصة هى أن هذا الذى يصبح تحقيق حلمه وسعادة دنياه الموهومة على بعد ميل واحد من حيث المكان، وعلى مدى يوم واحد من حيث الزمان، بعد أن سعى له حثيثا ومليًا وضحى من أجله بأصوله وتراثه، بل وبآخرته، لن يصل إلى ما تمنى إذْ يأخذه الموت فى نفس اللحظة التى ظن أن حلمه سيتحقق فيها، بل إن حلمه ودنياه وسعادته هى دماره وموته وذلك لأن المرأة التي إشتهاها ودعته إلى نفسها هى ملك الموت الذى سيقبض روحه ويصيره إلى جهنم، فهو الذى تَمَثَّل له فى صورة المرأة الحسناء ودعته إلى الإنتقال من حديقته وقصره بجوار العين الثَّجَّاجة، وهجرته ومروره بالأهوال ثم طرقه الباب على قصرها ليتم الاستمتاع بها، فإذا به يفاجأ برجل هو ملك الموت، وهذا المشهد من القصة يتطابق تماما على واقعة مجيء بنى إسرائيل وهجرتهم لفيفا إلى عاصمة ملكهم الموهوم للعالم: القدس وما حولها، ليذوقوا الموت الزؤام بدخول أولى البأس الشديد عليهم المسجد كما دخلوه أول مرة، وليجعلوهم (مدوسين كطين الأزقة) فلولا مجيء الشاب الإسرائيلى وهجرته من قصره إلى قصر المرأة الجميلة ليهنأ بها، لما مات وصار إلى جهنم، لأن الله تعالى كتب له الموت فى هذا المكان، وكذلك كتب الله تعالى الموت على بنى إسرائيل فى فلسطين حول المسجد فجاء بهم لفيفا قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [١٠٤/ الإسراء] أى من أرض الشتات إلى فلسطين التى صارت دولة إسرائيل وعاصمتها أورشليم القدس حسب تسميتهم لها، والذى استدرجهم الله تعالى به للعودة هو علوهم فى الأرض ورغبتهم العارمة فى استعادة ملك داود عليه السلام، حسب زعمهم، بالرغم من أن داود عليه السلام قد لعنهم وتبرأ منهم ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [٧٨ ـ ٨٠/ المائدة].

أليست هذه الآيات الكريمات وصفا دقيقا لأحوال بنى إسرائيل المعاصرين فهم لم

يعودوا إلى فلسطين إلا بسفك دماء الأبرياء ومذابح النساء والأطفال وبقربطون الحوامل بزعم استعادة ملك داود عليه السلام الذى تبرأ منهم ولعنهم لاتخاذ الدجال وأعوانه وليالهم.

فهذا الحلم بحكم الأرض من خلال عاصمتهم القدس إنما هو من صناعة الدجال لهم عبر أكثر من خمسة وعشرين قرنا من الزمان، ليتمكن من استغلالهم لتحقيق حلمه القديم، وهو حكم الأرض كلها، ثم ادعاء الربوبية والألوهية، كما أخبرت عنه النصوص. وهذا الحلم يقابل فى القصة قول المرأة للشاب (فكيف يهنيك العيش ولا زوجة لك؟) فصارت له حلما، فحكم العالم إذاً والعلو الكبير وإستعادة ملك داود وجعل عاصمته القدس أو أورشليم كما يسمونها هو الحلم الذى غرسه الدجال في نفوس كفرة بنى إسرائيل لكى يحركهم كما يشاء حسب مخططاته التى يهدف بها حكم البشرية واعلان نفسه ربا للعالمين كذبا وزوراً، لأن الشاب ما خرج من قصره الا لتحقيق حلم الزواج من المرأة الجميلة وبنوا إسرائيل بالحركة الصهيونية المعاصرة ما جاءوا لفيفا إلا لاستعادة ما زعموا أنه ملك داود وعلامة هذا نجمة داود على علمهم وفى محافلهم.

ومعنى انقلاب المرأة إلى ملك الموت أن موتهم ودمارهم لحظة أن يظنوا أنهم وصلوا إلى تحقيق الحلم، ومعنى الموت قبل إتمام الزواج هو حصول دمارهم قبل إعلان دولتهم وقبل هدم المسجد وبناء الهيكل محله، فلن يهنأوا بالثمرة، وان كانت على بعد سنتيمترات من أيديهم.

أما عن مغزى الأهوال التى رآها، فهى أحداث ذات دلالات على الإفساد الخلقى والدينى والاقتصادى والسياسى الذى صنعه الإسرائيلى واعوانه من اليهود فى الأرض لإجتياز العقبات التى فى طريقهم للوصول إلى قصر المرأة الجميلة أو حكم العالم.

والملاحظ أن كل ما كان يقابله الإسرائيلى إنما هو من أفعاله أو من اقداره هو بدليل أن الرجل الذى وجده مستلقيا على قفاه وطلب منه أن يأخذ بيده لما اقامه قال له ما

قمت منذ خلقني الله ومضى فى سبيله هذا الرجل هو أجل الإسرائيلى وقام ومضى أى انتهى، ومن ثم فنهاية اليهود تأتى بأفعالهم وتتحقق بأيديهم كما أقام الشاب الإسرائيلى الرجل الذى هو اجله بيده، أى أن الله تعالى جعل تدميرهم بتدبيرهم وهو ما فعلوه خلال القرن العشرين بعامة وما يفعلونه الآن من تعطيل للسلام والاستعداد لحرب جديدة بخاصة فتكون نهايتهم علي يد العراقيين باذن الله تعالى(١).

أما الإفساد الأول فهو الإفساد الخلقى وهدم الأسرة وإثارة سخرية الاجيال بعضها من بعض حتى يتطاول الأبناء والأحفاد على الآباء والأجداد ورمزها الكلبة التى أبت أن تنبح، وقفزت خلفه حتى لا تخيفه فإذا بكلبها على صدرها ينبح فيه. وقد فسر الرجل هذا الرمز بأنه يكون فى آخر الزمان (يقاعد الغلام المشيخة فيتغلبهم على مجلسهم ويأسرهم حديثهم) بينما كان جيل الأبناء والأحفاد يحترمون الآباء والأجداد ويستحي الأبن أو الحفيد أن يتكلم فى حضرة آبائه ولو كان رأيه الصواب ورأيهم الخطأ تأدُّباً وإحتراما. فأمّا ما يحدث الآن هو أن الغلام يغلب الكبار على مجلسهم ويأسرهم حديثهم ويُخطِّىء قولهم بلا حياء فهذا من سوء الخلق فى آخر الزمان(٢)، ومثله مثل الكلبة التى قفزت خلف الشاب حتى تتيح له الفرصة فى الامن والمرور وإذا بإبنها ينبحه على صدرها.

ويدل على هذا الحديث الشريف الذى رواه الإمام أحمد والبزار والطبرانى عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال (ضاف ضيف رجلا من بنى إسرائيل، وفى داره كلبة مُجِحٌ، فقالت الكلبة: والله لا أنبح ضيف أهلى، قال: فعوى جراؤها في بطنها. قال: قيل ما هذا قال: فأوحى الله عز وجل إلى رجل منهم: هذا مثل أمة تكون من بعدكم يقهر سفهاؤها علماءها) وفى رواية الطبرانى (فأوحى إلى رجل منهم: ان

---

(١) كما وضحنا هذا تفصيلا فى كتاب البيان النبوى بدمار إسرائيل.

(٢) لقد قام الذين يطلقون على أنفسهم فنانين بالدور الأكبر فى افساد علاقة الأبناء بالآباء بالأفلام والمسرحيات بعامة وبمسرحية مدرسة المشاغبين بخاصة والذى يتأمل فى أهداف هذه الأعمال الدرامية يتأكد أنه ليس من هدف لكل عمل إلا إفساد علاقة من العلاقات الإنسانية: علاقة الزوجة بالزوج، وعلاقة الأبناء بالآباء وعلاقة النساء بالرجال وعلاقة الجيران وهكذا والإفساد يكون بإخراج هذه العلاقات عن الاطار الإسلامى لها إلى الإطار الغربى الإلحادى الماجن، هذا من إفسادة اليهود الكبرى.

مثل هذه الكلبة مثل أمة يأتون من بعدكم يستعلى سفهاؤها على علمائها، وفى رواية يغلب سفهاؤها علماءها) والكلبة المُجِحٌ هى الحامل التى دنا موعد ولادتها. والمغزى من هذا الحديث أن الأوضاع فى آخر الزمان تكون مقلوبة بين الناس حتى يعلو السفلة ويتحكم الصغار فى الكبار ويربى الأبناء الآباء ويستعلى الجهال على العلماء.. وهكذا.

يدل على هذا الفهم ما رواه ابن وضاح بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال (لكل شىء دولة تصيبه، فللأشراف على الصعاليك دولة، ثم للصعاليك وسفلة الناس فى آخر الزمان حتى يُدال لهم من أشراف الناس، فإذا كان ذلك، فرويدك الدجال، ثم الساعة والساعة أدهى وأمر)[1] وهذا هو الذى حدث إذ يقوم بتربية الصغار والكبار من كانوا قبل ذلك سفلة المجتمعات من المشخصاتية والطبالين والراقصات كما تمت بالإنقلابات العسكرية تحقيق ما عبر عنه أشعياء عليه السلام بقوله (ارفع الوضيع وضع الشريف) بقلب الأوضاع الإجتماعية وجعل أهل الدرجات السفلى فى العلو والعكس صحيح. والخلاصة إفساد جميع الأنظمة الإجتماعية والسياسية والخلقية والأسرية وهذا كله يكون فى آخر الزمان، وقد حدث، أفلسنا فى آخر الزمام؟! واليس قوله رضى الله عنه (فرويدك الدجال) دليل على قرب خروجه العلنى؟!. بلى والله.

أما الجدىْ الذى امتص الضروع الممتلئة لمائة عنزة ثم هو يطلب المزيد فهو المسيح الدجال الذى جمع أموال الناس بما خططه لليهود وهو ما قاله الرجل الشاب الإسرائيلى (لست تُدرك هذا؟! هذا يكون فى آخر الزمان: ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى اذا ظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلتمس الزيادة) وليس من رجل إسرائيلى شاب جمع نقد الناس الذهبى سوى ملك اليهود المسيح الدجال وقد تم له ذلك فعلا كما سنرى هذا بعد. وكأن الرجل الذى هو ملك الموت يقول له (لست تدرك هذا؟ وكأنه يقول هو من جنسك سيكون فى آخر الزمان ويستولى على أموال

---

(١) عن اتحاف الجماعة للتويجرى مجلد ٢ ص ٥٩.

البشر. وهذا هو الفساد والإفساد الاقتصادي الذي خطط له الدجال ونفذه أتباعه من الصهاينة.

أما الشجر الذي يناديه: «منا فخذ» فهو كثرة نسبة النساء إلى الرجال في آخر الزمان، ونحن في آخر الزمان وحدثت الامارة الإقتصادية السابقة، كما سنرى هذا بعد.

أما زيادة عدد الناس فقد وردت فيه أخبار في السنة من ذلك ما رواه الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ليأتين علي الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء)، وروى الإمام أحمد وأبو داود الطيالسي والشيخان والترمذي وابن ماجة عن قتادة (عن أنس رضي الله عنه، قال: لأحدثنكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ يقول: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنى ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. أما لفظ مسلم وابن ماجة وأحمد في بعض الروايات عنده: (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشوا الزنى ويشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين إمراة قيم واحد) وروى الطبراني (عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يدبر الرجل أمر خمسين امرأة).

وروى الحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله، وحتى تمر المرأة بقطعة النعل، فتقول قد كان لهذه رجل مرة، وحتى يكون الرجل قيم خمسين إمرأة وحتى تمطر السماء ولا تنبت الأرض) قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي على هذا.

وروى الإمام أحمد في مسنده (عن أنس رضي الله عنه قال: كنا نتحدث أنه لاتقوم الساعة حتى تمطر السماء ولا تنبت الأرض، وحتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد، وحتى أن المرأة لتمر بالنعل فتنظر اليها فتقول: لقد كان لهذه مرة رجل).

وتدل هذه النصوص على عدة أحداث متعاصرة لكثرة النساء بالنسبة للرجال وهي: -

(١) كثرة المال وقلة الفقراء الذين يأخذون الصدقة أو أختفاؤهم تماما.

(٢) رفع العلم.

(٣) كثرة الجهل.

(٤) كثرة الزنى.

(٥) كثرة شرب الخمر، والكثرة فى هذه الكبائر تعنى الشيوع.

(٦) نزول المطر مع توقف خروج النبات من الأرض أى من أماكن كثيرة منها.

(٧) لايقال فى الأرض الله الله. وهذا لايكون إلا فى جيل الأشرار الذين ستقوم عليهم القيامة الوسطى أى الساعة.

ومعنى قول المرأة لنعل الرجل قد كان لهذه رجل مرة، أى المرأة ستشتهى رؤية الرجل. والمعنى المستنبط الأهم هو أن الرجال سيقلون خلال جيل واحد وربما في سنوات حروب بحيث يذهبون وملابسهم وأحذيتهم موجودة في الأرض.

ومن ثم فلن يحدث هذا إلاَّ بعد ذهاب الرجال، فيحتمل أنه سيكون بعد الدمار الذى سيتم بوقائع القيامة الصغرى فتكون الخسائر فى الرجال أكثر، ثم فى الملاحم والحروب المتعددة وآخرها الملحمة العظمي وملحمة الدجال وملحمة يأجوج ومأجوج، ومن ثم تكون الخسائر فى الرجال عظيمة جداً فتزيد النساء، بالإضافة إلى هذا السبب، يتطاول الناس فى جيل الأشرار فيلجأون إلى إستنساخ النساء. والله تعالى أعلم، وعلى أى حال نقول أن هذا لم يحدث بعد ولن يحدث فى جيل منظور أو مرتقب، والراجح حدوثه بعد يأجوج ومأجوج وفى جيل الاشرار بدلالة النصوص السابقة.

أما الرجل القائم على العيْن يغرف منها للناس، أما هو فجرته لاتحتفظ بالماء، فهو العالم الذى ينتفع الناس بعلمه بينما هو لا يعمل بهذا العلم، فهو علامة علي الفساد الدينى الذى يطول حتى بعض العلماء والقراء والقضاة. بدليل قوله: ﴿هذا يكون فى آخر الزمان القاضى (العالم) يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصى الله﴾ وهذا كائن الآن وربما سيزداد بعد ذلك.

أما الرجل الذى يميح على قليب، أى يملأ دلوه من البئر وهو على القليب ألذى هو كومة التراب المستخرج من البئر بعد حفره، ثم يصب الماء فى حوض ولكنه مع هذا العناء ينساب ما يصبيه مرة ثانية إلى البئر لوجود فتحة فى الحوض، فهو رمز لمن يعمل العمل لغير الله تعالى فلا يقبله الله تعالى: إما لسوء نيته وعدم إبتغاء وجه الله تعالى، وإما لمخالفة العمل لشرعه عز وجل.

وهو بخلاف الرجل الذى يبذر البذر فيجمع حنطة طيبة على الفور فهو علامة على الرجل الذى يقبل الله منه صالح العمل ويضاعف له الثواب.

أما العنز التي أحاط بها جمع من الناس: أحدهم ممسك بقرنيْها، والآخر بذيلها وجماعة بقوائمها وأحدهم يركبها والأخير يحلبها فهى الدنيا الفائز فيها وبها واحد فقط هو الذى يحلبها والحليب علامة الفطرة فهو المسلم الذى يستخدم دنياه لآخرته ويستغل عمره فى عبادة الله تعالى، لذلك قيل له: بخ بخ يعنى هنيئا هنيئا. أما راكبها فهو مالكها وتاركها، وأما الآخذ بقرنيها فهو الذى يعانى شظف العيش، والماسك بذيلها فهو الذى أدبرت عنه أى الشيخ فى آخر عمره، وربما يكون راكبها تاركها بمعنى الزاهد فيها المستعلى عليها، ويكون حالبها الذى يستفيد من دنياه لآخرته وهو خير ممن أهملها زُهداً، فنجى من شرها لكنه لم ينتفع من دنياه لآخرته بشىء. فيكون حالبها أفضل من هذا الوجه.

ثم بعد ذلك رأى الرجل المستلقى على قفاه فأقعده فمضى فعلم أنه أجله إنتهى وأخذه ملك الموت ثم صيَّرهُ إلى جهنم.

فاذا طابقنا بين القصة وبين بنى إسرائيل فدمارهم فى فلسطين حول المسجد الاقصى فى اللحظة التى يتأهبون فيها لإعلان إسرائيل الكبرى وإقامة الهيكل.

وإذا ما طابقناها على المسيح الدجال، فإنه سيذهب بعد دمار اليهود ليعود إلى فلسطين وبعد احداث القيامة الصغري ليخرج من اصفهان بعد فتح المسلمين لأوربا وهدم الكنيسة الشركية بروما ليعلن نفسه ملكا للعالم وربا للعالمين لمدة أربعين يوما وهى مدة وجيزة جدا بالنسبة إلى حلم عمل له مئات أو آلاف السنين، بعدها لن يهنأ

بهذا الملك الزائف والربوبية الكاذبة وسينزل الله تعالى المسيح بن مريم عليهما الصلاة والسلام فيقتله فالقصة تتطابق مع ما جاء عن أخبار الدجال في السنة، إذ أن أجله يكون في نفس اللحظة التي يظن أنه سيحقق فيها حلمه لأنه عندما يصل إلى القدس ويحاصر المؤمنين بقيادة المهدى ليقضى عليهم ويتم له حكم الأرض ويحقق تفرده بالربوبية ينزل المسيح بن مريم عليه السلام، ويقتله عند مطار اللد شمال شرق تل أبيب فهو إذن لن يحقق حلمه ولن يتمه، بل سيذوق الموت الزؤام فى اللحظة التى كان يأمل فيها بذلك.

ويصير إلى جهنم فى الدرك الأسفل.

وأورد السيوطى أيضًا أثرا يتضمن ما هو قريب من هذه القصة بيد أن دلالته على إفساده اليهود للبشرية أصرح وأقوى في حين أن دلالة القصة السابقة على افسادة الدجال أصرح، وكلاهما يصدق على الآخر، فقال (وأخرج الزبير بن بكار في الموفقيات بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لاتهتكوا سترا، فإنه كان رجل فى بنى إسرائيل، وكانت له إمرأة، وكانت إذا قَدَّمت إليه الطعام، قامت على رأسه، ثم تقول: هتك الله ستر إمرأة تخون زوجها بالغيب. فبعث إليها يوما بسمكة، ثم قامت على رأسه فقالت: هتك الله ستر إمرأة تخون زوجها بالغيب، فقهقهت السمكة حتى سقطت من القصعة. ثم قال لها: أعيدى مقالتك فعادت، فقهقهت حتى سقطت من القصعة، فعل ذلك ثلاث مرات، كل ذلك تقهقه السمكة وتضطرب حتى تسقط من الخوان.

فأتى عَالمَ بنى إسرائيل فأخبره، فقال: انطلق فاذكر ربك، وكل طعامك، وإخسأ الشيطان عنك، فقال له أخَفّ الناس: إنطلق إلى ابنه، فإنه أعلمُ منه، فانطلق فأخبره، فقال: إئتنى بكل من فى دارك ممن لم تَرَعَوْرَتَهُ، فأتاه فنظر فى وجوههم ثم قال: إكشف عن هذه الحبشية، فكشف عنها، فإذا مثل ذراع البكر[1]. فقال: مِنْ هذا أُوتيتَ. فمات

(١) أي أن الحبشية هذه التي كان يظنها أمة كانت رجلا متخفيا في هيئة أمرأة، ومن ثم فهو يعيش مع الحريم ومع زوجته ومعنى عبارة (فإذا مثل ذراع البكر) أي إذ بعضو التناسل عند هذا الحبشي مثل ذراع الفتاة البكر، أي أن هذه الزوجة كانت تخون زوجها مع هذا الحبشي ثم تكرر هذه الدعوة بهتك ستر من تخون زوجها إمعانا في خداع الزوج وتضليله وتظاهرا منها بحفظ عرضه. وهذه الحالة تنطبق تماما على الإفسادة اليهودية المعاصرة الكبرى ثم يخططون للإفساد والمذابح في السر ويتظاهرون بالإصلاح وصيانة حقوق الإنسان في العلن، ومن ثم فسيفضحهم الله تعالى.

أبو الفتى العالم وهتك بهتكه ذلك الستر. وإحتاج اليه الناس، فأتاه بنو إسرائيل فقالوا: ويحك أنت كَنتَ أعلمنا وأمينُنَا، فلما أن أكثروا عليه هرب منهم إلى أن بلغ أقصى موضع لبنى إسرائيل من أرضَ البلقاء، فأتيح لـه امرأة جميلة تستفتيه، فقال لها: هل لَك أن تمكنينى من نفسك، وأهب لك مائة دينار؟ قالت: أوْ خير من ذلك، تجىء إلى أهلى وتتزوجنى، وأكون لك حلالاً أبداً. قال: فأين منزلك، فوصفت له، فطابت عليه تلك الليلة.

فمضى فإذا هو بكلبة تَنْبَحُ فى بطنها جراؤها.

قال: ما أعجب هذا؟!.

قيل له امضه لا تكونن مكلفا، فسوف يأتيك خبر هذا.

فمضى، فإذا برجل يحمل حجارة كلما ثقلت عليه وسقطت منه زاد عليها.

فقال له: أنت لا تستطيع أن تحمل هذا، وتزيد عليه؟!

قال: امض لا تكونن مكلفا سوف يأتيك خبر هذا.

فإذا هو برجل يستقي من بئر ويصبه فى حوض إلى جنب البئر، وفى الحوض ثقب، فالماء يرجع إلى البئر.

قال له: لو سددت الثقب إستمسك لك الماء.

قال: امض لا تكونَنَّ مكلفا سوف يأتيك خبر هذا،

فمضى فإذا هو بظبية، ورجل راكب عليها وآخر يحلبها وآخر يمسك بقرنيْها وآخرون يمسكون بقوائمها قال: ما أعجب هذا.

قال له: امض لا تكوننَّ مكلفا سوف يأتيك خبر هذا.

فمضى فإذا هو برجل يبذر بذرا، فلا يقع على الأرض حتى ينبت.

ثم مضى فإذا هو برجل معه منجل يحصد ما بلغ وما لم يبلغ.

قال له: لو حصدت ما بلغ وتركت ما لم يبلغ.

قال له: إمض لا تكوننَّ مكلفا سوف يأتيك خبر هذا.

فمضى فإذا هو بالقصر الذى وَعَدَتْهُ، وإذا دونه نهر وإذا رجل جالس على سرير.

فقال: له: كيف الطريق إلى هذا القصر؟ وقد رأيتُ في ليلتي أعاجيب.

قال: ما هي؟

قال: فذكر الكلبة.

قال: يأتي على الناس زمان يثب ا لصغير على الكبير والوضيع على الشريف والسفيه على الحليم.

وذكر له الذى يحمل الحجارة.

قال: يأتي على الناس زمان يكون عند الرجل الأمانة فلا يقدر أن يؤديها ويزيد عليها.

وذكر له الذي يستقى.

قال: يأتي على الناس زمان يتزوج الرجل المرأة لايتزوجها لدين ولا حسب ولاجمال، إنما يريد مالها، وتكون لاتلد فيكون كل شيء منه يرجع فيها.

وذكر له الظبية.

قال: هي الدنيا، أما الراكب عليها فالملك، وأما الذى يحلبها فهو أطيب الناس عيشا، وأما الذى يمسك بقرنيْها فمن أيبس الناس عيشا، وأما الذى يمسك بذنبها فالذى لا يأتيه رزقه إلا قوتا، والذين يمسكون بقوائمها فسفلة الناس.

وذكر له البذر.

قال: يأتي على الناس زمان لايدرى متى يتزوج الرجل ومتى يولد المولود ومتى قد بلغ.

وذكر له الذى يحصد.

قال: ذاك ملك الموت يحصد الصغير والكبير، وأنا هو بعثني الله اليك لاقبض روحك على أسوأ أحوالك(١)).

فالاختلاف بين القصتيْن فى صَدْرَيْهما. وهذه الأخيرة التى كانت تدعو الله أن يهتك ستر المرأة الخائنة لزوجها وهى تخون زوجها حتى فضحها الله تعالى عن طريق قهقة السمكة متعجبة من الإيغال في الفساد من هذه المرأة، التى أظن والله تعالى أعلم،

---

(١) السيوطي/ الدر المنثور/ مجلد ٥/ صـ٢٦٤.

أنها رمز لافسادة بني إسرائيل المعاصرة حيث يدبرون الإفساد ويشعلون الحروب وعمليات الإرهاب والمذابح للمسلمين ويدمرون اقتصاد الدول في السر ثم يتظاهرون في العلن بالإصلاح ورعاية الحقوق الإنسانية والسعي للسلام، وعلى هذا يكون فعل هذه الزوجة الخائنة المدعية للشرف والصلاح رمزا أيضًا للمنظمات السرية الصهيونية التى تقوم بتنفيذ مخططات صهيون فى بلادها مع الإدعاء بأنها وطنية وأنها تعمل لصالح شعبها وأهلها وتشهد الله على هذا وهى تعلم أنه غير صحيح وترمى الأشراف المخلصين من الوطنيين بالخيانة والفساد وتستمطر اللعنات عليهم وتدعو إلى كشفهم ومن ثم، إذا صح هذا التفسير، فسيفضحهم الله تعالى بأمر خارق للعادة بدلالة قهقهة السمكة بعد طهيها.

ونظنه يكون فى عهد المهدى بعد أنتهاء عهد الجبابرة والله تعالى أعلم.

أما العالم الابن فهو رمز للجيل الذى كفر من بنى إسرائيل ورمز لهم النص بالعلماء لأنهم أهل كتاب لكنه علم مع كفر مع عناد ومن ثم فهو الذى عمل على هتك السر، فهو إذا ممن يعرفه أو يشارك فيه، أو هو كان من هذه المنظمات وهتكه خيانة لأبيه الذى كان هو أيضا خائنا لامته لانه أخفى السر، ثم مات كمدا، لما ظهرت خيانته، أما هذا العالم الابن فلم يكن خيرا من أبيه لكنه أراد الشهرة وهو فاسق، ولم يطق حياة العلماء التى تقيده وتمنعه من فسقه، فرحل فَعَرَضَتْ له هذه المرأة الجميلة، ولما ذهب إليها ليقضى معها شهوته، إذا هو بملك الموت. الذى فسر له ما رأى من أهوال وهى تقريبا نفس الأهوال التى فى القصة الأولى ماعدا قصة الرجل الذي امتلك أموال البشر، مما يدل على أن هذه القصة تخص بنى إسرائيل أكثر مما تخص الدجال، ولأن هذا العالم لم يصل إلى قصر المرأة حيث اعترضه النهر ورأى الرجل فى الشاطىء الآخر على سرير، ففسر له ما رأى، وأخبره أنه ملك الموت فقبضه فى موضعه من الشاطىء الآخر فالنهر هنا هو الفرات وهو الموضع المتبقى أمام اليهود اليوم ليتم لهم حكم المنطقة وإعلان دولة إسرائيل الكبرى وهدم المسجد وبناء الهيكل مكانه، لانهم اليوم ونحن فى منتصف عام ١٩٩٨م لا يمكنهم أن يقدموا على هذه الخطوة الأخيرة وهم يشكون وربما يعلمون أن العراق يملك من الصواريخ، ما لو اقدموا على ذلك، لضربهم بها، وربما وضع فى رؤوسها دماراً شاملا لهم، لذلك هم يفرغون القدس الآن وما حولها من الفلسطينيين استعدادا لهدم الأقصى وبناء

الهيكل، ولكن بشرط أن يعبروا الفرات، ويحتلوا العـراق ويدمروا قوته ليس بالجيش الإسرائيلي، ولكن بالجيش الأمريكي والبريطاني والتركي، وجميعها الآن موجودة في المنطقة ومتأهبة وتنتظر الأمر.

ولكن هيهات هيهات فسيضربهم تيار النهر، ويأتيهـم الموت الزؤام، ويعبر جيش العراق البطل اليهم ،ولن يعبروا هم إليه أبدا، هذا ما يدل عليه القرآن والسنة وهما ما نفسر بهما هاتين القصتين الرمزيتين(١). من أجل ذلك يصرون على استمرار الحصار على العراق.

فالـقصة الأولى تـدل على قـتل الدجال عـلى باب قـصر المرأة، أي القـدس، لأنه سيصـل إلى هناك ويحاصـر المهدي والمؤمنين مـعه. أما القصة الـثانية فهي تـدل على محاولة بني إسـائيل عبور نهر الفرات ليتـم لهم حلم دولة إسرائيل الكـبرى من النيل إلى الفرات ومن البحر إلـى البحر، بيد أن هذه العشرات القليلـة من الامتار التي هي عرض الفرات ستردهم وتقضي عليهم بـإذن الله تعالى وتوفيقه وسيدخل أولوا البأس الشديـد عليهم كمـا دخلوه أول مرة وسيـتبروا ما علـوْا تتبيرا وسيـجعلوا اليـهود في إسرائيل مدوسين كطين الأزقة.

وسيقبضهم ملائكة الموت قبل أن يعبروا النهر وسيحال بيهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل.

وبعد أن يختفي الـدجال ثم يخرج من أصفهان بعد فتح المـسلمين لاوربا، ويصل إلى القدس محاصرا المؤمـنين القليلين يومئذ بسبب كثرة المـعارك والشهداء، ثم ينزل المسيح الحق عيسى بن مـريم عليهما الصلاة والسلام فيقتله سيصـدق عليه وعلى بقية اليهود معه قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ...﴾.

وعنـدما يـخرج عشـرات الملايـين أو أكثر مـن جنـود (الصين) يـأجوج ومـأجوج لإحتلال الـشرق الأوسط أو قلب الـدنيا، حالمين بـحكم العالـم بسبب كثـرة عددهم وعتَادهم بعد أن تضعف الملاحم المسلمين والأوربيين معا، وبعد أن يصلوا إلى بحيرة طبريـة ويكونوا عـلى مقربـة من القدس، سـيبيتـون ليلتـهم فلايقـومون من رقدتـهم النهائيـة، ويصدق عليهم أيضًا قـوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ

(١) سبق بيان هذا الحدث بادلته من السنة في كتاب البيان النبوي بدمار إسرائيل للمؤلف.

بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ فالأشياع من قبل الذين سيدمرهم الله تعالى وهم على مقربة مما يشتهون فلا ينالونه، هم بنى إسرائيل على يد جيش العراق أولا، ثم أمريكا بأحداث القيامة الصغرى ثانياً، ثم الروم بهزيمتهم فى الملحمة العظمى ثالثاً، ثم الدجال وبقية اليهود معه حتى يقول الحجر والشجر يامسلم ياعبدالله ورائي يهودي تعالى فاقتله رابعاً، وتكون القيادة يومئذ لسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم يحال بين يأجوج ومأجوج (الصين وأتباعها) وبما يشتهون من حكم العالم بقتل الله لجميع جنودهم خامساً، وتلك آخر الملاحم وهم آخر الذين سيشتهون حكم العالم. ومن ثم تضع الحرب أوزارها ولايبقى من بنى آدم رجل أو امرأة أو طفل إلا وسيشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتعيش البشرية المسلمة أسعد أيامها بالشريعة الغراء وبقيادة المسيح عليه السلام إلى أن يقضى الله تعالى بعد ذلك أمرا كان مفعولا.

والخلاصة أن هاتين القِصَّتَّين تدلان على افسادة اليهود الكبرى بهدف العلو الكبير فى الأرض بقيادة المسيح الدجال الذى يتميز فى آخر الزمان بأنه الملك الذى يجمع ذهب الدول وأموال أكثر البشر. وأن كل ما رآه الشاب فى مسيرته لتحقيق حلمه ليس سوى أنواع الفساد التى خطط لها الدجال للوصول إلى الحلم الذى لن يتحقق لهم، ثم لن يتحقق له، وسيكون بدلا منه فى اللحظة التى يظنون أنهم سيقطفون الثمرة أن يحصدهم الموت حصداً

والذى يخص الامارات الاقتصادية فى آخر الزمان هو قوله (ثم أقبلت حتى اذا انفرج بى السبيل إذا أنا بمائة عنز حُفَّل واذا فيها جدى يمصها فإذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئاً، فتح فاه يلتمس الزيادة فقال لست تدرك هذا؟، هذا يكون فى آخر الزمان، ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى اذا ظن انه لم يترك شيئا فتح فاه يلتمس الزيادة....) ولعل الدول التي استولى اليهود على أرصدتهم الذهبية مقابل الدولار الذي عَوَّموه بعد ذلك كان عددهم مائة، وتلك قصة أعظم عملية خطف وسرقة في تاريخ البشرية كله.

(٢٧) كيف استولى المسيح الدجال واليهود على أموال البشر:

فمن هو الملك الذى يأتى فى آخر الزمان فيجمع أموال الناس كلهم، ليس على مستوى شعبه، ولكن على مستوى البشرية كلها فى جميع قارات الكرة الأرضية، ثم هو بعد ذلك لا يشبع ويريد المزيد، سوى المسيح الدجال الذى يقود اليهود فى افسادتهم الكبرى؟!.

أو بتعبير أدق هو الذى يستخدم اليهود لاتمام فتنته الكبرى فى الأرض، وقد وصل فى هذه المرحلة من تاريخ البشرية فى نهاية القرن العشرين الى أن صنع مؤسسات سياسية (مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة) واقتصادية (صندوق النقد الدولى) واجتماعية (مؤتمرات المرأة) وسيطروا على أكبر الأجهزة والمؤسسات الاعلامية مقروءة ومسموعة ومرئية واحتكر أعظم المؤسسات والشركات والمصانع الاقتصادية للأسلحة والغذاء والكساء وكل الضرورات البشرية.

يتحدث كتاب حكومة العالم الخفية عن عائلة روتشيلد التى سيطرت على اقتصاد أوروبا ثم اقتصاد أمريكا فيما بعد فجاء فيه (بدأ عصر الروتشيلدين سنة ١٨٢٠ وفى منتصف القرن أصبح معروفاً أن قوة الروتشيلدين هى الوحيدة فى أوروبا)[١].

ويقول (ولما حضرت ميشيل الوفاة دعا جميع أبنائه الى فرانكفورت وبعد ما قرأ تلمود الشيطان قال لهم (تذكروا يا أبنائى أن الأرض جميعها ينبغى أن تكون ملكاً لنا نحن اليهود، وأن غير اليهود حشرات يجب أن لا يملكوا شيئا)[٢] وشرح لهم فكرته وجعلهم يقسمون أمامه على أن لا ينفرد أحدهم بعمل دون الأخر، وعلى أن يعملوا مترابطين مجتمعين، وقد أعادوا القسم ذاته بعد أربعة وعشرين عاماً، لما وافق أحدهم لأسباب مادية على اعتناق المسيحية.

---

(١) حكومة العالم الخفية/ ص٤٧ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر ص٢٥١.

(توفى أشيل سنة ١٨١٢ وقد قسم العالم بين أبنائه الخمسة اشيليم وسالوموت وناتان وكارل وجيمز على التالى: ألمانيا والنمسا وبريطانيا وايطاليا وفرنسا. وفيما بعد أعطى أحد أحفاده سونسبرغ الولايات المتحدة واتخذ بلمونت..) ثم يقول عن ميشيل روتشيلد أنه (كون امبراطورية للربا وتجارة الذهب استمرت أكثر من امبراطوريات تشارلمان ونابليون الأول والرومانوفيين) ثم يذكر الكاتب أنه بيَّنَ (لأبنائه الخمسة وبناته الخمس شهوة القتل وكيف يكسبون الأموال بنهب الناس وسلبهم وبما أنه يتعلم فى المدرسة الخاصة كل البرامج الشيطانية التى تعرف ـ (ببرتوكولات حكماء صهيون) فقد كان على علم مسبق بالهجوم على صفاء الجنس البشرى واستبداله بصفاء الذهب وكذلك فقد علم ميشيل أطفاله جميع الحيل الشيطانية ..) [1].

بعد ذلك نقرأ فى كتاب حكومة العالم الخفية عناوين تدل على الخطوات الأساسية التى وصل الروتشيلديون من خلالها الى السيطرة على أوروبا اقتصاديا وسياسيا واعلاميا(*)؛ وبعد ذلك على أمريكا.

العنوان الأول هو: (الجيل الثانى من الروتشيلدين) وهم الأبناء الخمسة وتوزيعهم على أهم مراكز أوروبا الاقتصادية والسياسية وعملهم فى الخفاء للتأثير على القرارات السياسية واشعال الحروب والعمل على هزيمة من تكون هزيمتهم فى صالحهم فكانوا من وراء هزيمة نابليون فى واترلوا فتقرأ عنوانى: (سر واترلوا، وناتان روتشيلد الثانى فى واترلو ١٨١٥ ثم موضوع بعنوان (ناتان ينهى بورصة لندن) ثم عنوان (ناتان يخضع مصرف انجلترا) ثم عنوان (الروتشيلديون يمكنون الشيطان من ألمانيا) حتى انتهى الى عنوان (الروتشيلديون والسيطرة العالمية)[2].

(٨ ٢) حكومة العالم الخفية والاقتصاد السياسي :-

وغنى عن البيان أن مخططات السيطرة التى بدأت بأوروبا لتمتد لتصبح عالمية لم تكن اقتصادية فقط كما لم تكن سياسية فقط، دائما هى مخططات اقتصادية سياسية أى القرار الواحد والخطوة الواحدة تكون اقتصادية سياسية عسكرية اجتماعية فى آن واحد.

---

(١) نفس المصدر ص٢٥١.

(*) مع ملاحظة أن هذه عائلة واحدة من عائلات اليهود فعلت كل هذا وغيرها من العائلات والأسماء ذات الإمبراطوريات المالية والشركات العالمية كثير وكثير.

(٢) نفس المصدر ص٤٢، ٤٣.

أما بالنسبة للجانب السياسى من المخطط والذى ليس مستقلاً أو منفصلا عن الجانب الاقتصادي والخلقي، فقد قال المؤلف تحت عنوان (الحكومة العالمية الخفية: ولكى أثبت للقارىء الكريم أهمية هذا الكتاب وضرورته ولأوضح له بصورة جلية وجود الحكومة العالمية الخفية المعروفة باليد الخفية سأذكر أهم تصريحات القادة السياسيين الكبار... »كتب دزرائيلى سنة ١٨٤٤: يُحكم العالم بأشخاص مختلفين اختلافاً شديداً عمن يتخيلهم الناس الذين لا يعلمون بواطن الأمور»(١)...

وتصور بسمارك المستشار الحديدي وجود قوى غير مرئية ولكنه لم يشخصها وسماها (مالاُيسبرغَوره) .... وقرر لاماتين وجود (اليد الخفية)(٢).

وقال ماريتي للدكتور بريد نستبن (أننا نرغب فى قهر كل خطر بيد أن هنالك خطراً غَيْرَ مرئىٍ لنا وهو علينا جميعاً ولاندرى من أين يأتى؟ وأين هو؟ لا أحد يعلم أو على الأقل لا أحد يفصح عنه(٣).

إنها مجموعة سرية منظمة تخفى حتى علينا نحن العريقين فى أعمال الجمعيات السرية)(٤) .

ويقول جورج دلون «منْ وراء الماسونيين العاديين ومنْ غير معرفتهم يُعقد اجتماع سرى مغلق هو الذى يوجّه الماسونيين لتخريب العالَم وأنفسهم» فمن هو رئيس الاجتماع ومن هم أعضاؤه؟ إنهم اليد الخفية.

ويعلق دزرائيلى على ثورة سنة ١٨٤٨ قائلا: (إن هذه الثورة المجيدة التى تخطط الآن فى ألمانيا والتى لم يعرف الكثير عنها بعد، تتطور برعاية اليهود الذين يحتكرون كراسى الاستاذية فى الجامعات الألمانية)(٥).

وهكذا تثبت الفقرة الأخيرة من هذه النصوص أن المخططات الاقتصادية والسياسية اليهودية ذات جذور فكرية وأيديولوجية واعتقادية قام بغرسها أساتذة جامعات يهود أو يعملوا فى منظمات تأتمر بأمر اليهود. فنشر الالحاد والعلمانية يعطى لليهود التمهيد المطلوب فى نفوس وعقول غير اليهود لقبول التأثير المطلوب لقيادتهم الى حيث يريدون، ومن ثم تثمر المخططات اليهودية الخبيثة فى الجانبين السياسى والإقتصادى ثماراً مزدوجة، أى ثماراً تبادلية فخطوة ناجحة فى الاقتصاد تؤدى الى ثمرة سياسية، وهذا النجاح فى الجانب السياسى يمكّن بالتالى من تحقيق قرارات

من (١) إلى (٥) نفس المصدر ص٤٢، ٤٣.

عسكرية وحربية تؤدى الى نجاحات اقتصادية وهكذا دواليك، حتى قررت ذى برتس جارديان اللندنية (وهذا ما فعله اليهود تماما فى أوربا... وسهلت لهم حروب.. وضع أيديهم على المورد الرئيسى للذهب العالمى ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وكانت الثورة البلشفية فى روسيا ثالثة الاسافى فتبع ذلك سيطرتهم على هينجاريا ... وهكذا استمرت إنقلاباتهم وإثارة الثورات للسيطرة على الحكم ثم الاقتصاد أو الاقتصاد ثم الحكم باشعال الثورات الداخلية والحروب مع الدول حتى الحربين العالميتين الأولى والثانية كانتا بتدبيرهم وهم الذين خرجوا منهما بمكاسب سياسية واقتصادية تزيد كل منهما إحكام سيطرتهم على العالم.

جاء فى المخطط السادس من مخططات حكماء صهيون.

(سوف نبدأ قريبا بتنظيم احتكارات واسعة تكون مستودعات لثروات ضخمة وتكون أكثر ثروات الجوييم تابعة لها الى حد أن تتلاشى فيها وتجر وراثها زوال الثقة بالحكومات إلى نكبة سياسية)(١) فانظر كيف انتقل المخطط من خطوات اقتصادية الى سياسية تؤدى الى اقتصادية غداة حدوث النكبة السياسية التى ستكون من فعلهم فى الخفاء بما لديهم من المنظمات السرية الماسونية وخطوات أخرى كثيرة فى المجال الاقتصادى، منها ما عبروا عنه فى نفس المخطط السادس (لقد ماتت أرستقراطية الجوييم بوصفها قوة سياسية، فلا يهتم بها، ولكن هؤلاء الارستقراطيين هم خطر علينا على اعتبار أنهم أصحاب عقارات، إذ أنهم يستطيعون أن يعيشوا مستقلين عنا بمواردهم الخاصة، ولذا وجب علينا أن نحرمهم من عقاراتهم بأى ثمن كان، وللوصول الى هذه النتيجة فإن أفضل طريقة هى زيادة الضرائب، وأن نثقل العقار بالدين لنجعل أصحابه خاضعين لنا، وبما أن الجوييم الذين يرثون الأرستقراطية عن أبائهم لايستطعون أن يعيشوا حياة قناعة واعتدال فانهم لا يلبثون أن يفتقروا..)(٢).

هذا بالنسبة للأغنياء غير اليهود والموسرين وأصحاب العقارات والأموال فما بال الفقراء فيهم أى العمال والفلاحين أو الاجراء الذين لا يحصلوا على ضرورات الحياة إلا بعرقهم.

هؤلاء أيضاً لم يتركهم الخبثاء وشأنهم، ولكن وضعوا لهم من الخطط ما يسلب أموالهم ويخدعهم، يقول المخطط (وسوف نرفع الأجور ولكننا لن نترك الأرباح للعمال ولهذه الثانية نرفع أيضا أثمان الحاجات الضرورية بحجة تدنى الحالة الزراعية

---

(١)، (٢) بروتوكولات حكماء صهيون.

وتربية الحيوانات وسوف نقوض بصورة مصطنعة ولكن بعمق مصادر الانتاج بتعليمنا العمال على الفوضى واستعمال الكحول...)(١).

أى أنهم يرفعون الأجور مع التضخم الناتج من الربا ورفع الفوائد فترتفع الأسعار فلا يتبقى للفقراء من أجورهم شيء بل إنها لا تكاد تكفيهم ويظل الحال هكذا يدور فى حلقة مفرغة ترتفع الفائدة فترتفع الأسعار.. فترتفع الأجور فترتفع الفائدة والأسعار وهكذا، والفوائض المالية تذهب دائما الى خزائن اليهود. يقول واضع البروتوكولات فى البروتوكول العشرين لخبثاء صهيون الذين كان يحاضرهم وهو يحدثهم عن المراحل الأخيرة من المخطط بعد أن يصلوا الى حكم العالم بحكومة واحدة ودولة تسيطر على الحكومات المحلية للشعوب.

(فى نظامنا الحكومى يعتبر الملك المالك.. للمال والمتاع والعقار فهو يستطيع اذن أن يلجأ الى المصادرات القانونية لكل الثروات لتنظيم تداولها فى البلاد، لذا فإن خير طريقة لفرض الضرائب هى طريقة الضريبة التصاعدية على الأملاك)(٢).

ويقول (سنفرض ضرائب تصاعدية على البيع والربح والإرث وحينما تنتقل ملكية عقارية أو غيرها من شخص الى آخر دون دفع ضريبة فإن الضريبة تؤخذ من المالك الأول اعتباراً من تاريخ انتقال الملكية الى يوم اكتشاف أمرها)(٣). وفى حساب هؤلاء الخبثاء لجمع ثروة البشرية أن يعلموا كل الممتلكات العقارية ومالكيها وعناوينهم فيقول فى نفس المخطط (إن سندات التمليك يجب أن تقدم كل اسبوع الى مكتب الخزينة المحلى مع ذكر اسم ولقب وعنوان المالك القديم والمالك الجديد)(٤).

(٢٩) الاستيلاء على ذهب البشر وأموالهم بالنظام المالى الورقى: -

وفى السياسة المالية للحكومات الخاصة لهم يقول (ولا يجوز الاحتفاظ فى صناديق الدولة بأى مبلغ مهما كان ضئيلاً زيادة على الاحتياطى المحسوب حساباً دقيقا لأن الدراهم إنما خلقت لكى توضع موضع التداول وكل عائق يحول دون تداولها يزعج سير الآلة الحكومية لأنه كالزيت للآلة واحلال الأوراق المالية محل النقد قد أضعف الثقة العامة كما ترون النتائج)(٥).

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون.
(٢) عجاج نُوَيْهِض./ بروتوكولات/ ص١١٠.
(٣)، (٤) نفس المصدر ص١١٢. (٥) نفس المصدر والصفحة.

وفى هذا إشارة الى ما أصاب الناس نتيجة لسحب العملات الذهبية وإحلال الورقية محلها ولكن مع ضعف ثقة الناس فى الحكومات، وفى هذا النظام الورقى إلا أنهم مضطرون اذ لا بديل أمامهم، فإذا تذكرنا أن هذا الكلام قيل سنة ١٨٩٨ حيث كانت البشرية حديثة عهد بالنقد الورقى، فإن الناس الآن قد نسوا أن أصل العملة هو الذهب والفضة وجهلوا أن العملة الورقية أمر طارىء ومكر خبيث وخطير جدا من اليهود استولوا به على ذهب البشرية وأعطوهم ورقاً لا ضمان لقيمته، أو لما هو مكتوب عليه من قيمة، إذ تتضاءل قيمة العملات الورقية يوماً بعد يوم، كما هو معلوم (كذلك تستخدم هذا النظام النقدى الورقى استخداماً سياسيا اذ (يكفى أن يسحب النقد من التداول لكى يصاب الجوييم بأزمة إقتصادية)(١).

ويمكن أن تؤدى هذه الأزمة الى أزمة سياسية الى الحد الذى يتم فيها تغيير الحكام أو حتى نظام الحكم بما يعرف بالثورة، وإما أن تضطر الحكومية المحلية لمعالجة الأزمة الاقتصادية أن تقترض، ولن تجد الا بنوك اليهود وخزائنهم. يقول شيطان المخططات الصهيونية الخبيثة (لقد بقيت رؤوس أموال معطلة واختلست من الأمم التى اضطرت أن تتجه الينا للحصول على قروض وفوائد هذه القروض تنهك مالية الدولة فأصبحت الدولة مستعبدة للمال، وكان من نتيجة حصر الصناعة فى المركز أن أنتقل الإنتاج من أيدى الصناع الى أيدى أصحاب رؤوس الأموال وبذلك أضاع الشعب والدولة قوتهما) (٢).

وهم يطبعون من الأموال الورقية بالقدر المطلوب للتداول بصرف النظر عن غطائه الذهبى، ومن ثم يتضاعف التضخم.

ويفتخر بالنجاح الذى حققوه بسحب الأرصدة الذهبية وإستبدالها بالورق النقدى فيقول (إن كمية النقد الموضوعة الآن للتداول لاتتناسب مع رقم الاستهلاك الشخصى لكل فرد وبالتالى فإن هذه الكمية لا تكفى لسد كل حاجات الطبقة العاملة ولذا يجب أن يتناسب سمك النقد مع زيادة عدد السكان ويجب أن يعتبر الأطفال مستهلكين منذ يومهم الأول) (٣).

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) المصرد السابق ص١١٢.

(٣) المصدر السابق ص١١٤.

أى أنه يجب زيادة كمية أوراق النقد الورقية بزيادة عدد السكان بصرف النظر عن السند الحقيقى للنقود، أو الغطاء الحقيقى الذى يحفظ لها قيمتها، وهذا هو ما يتم بالفعل الآن، والنتيجة هى الزيادة المطردة فى الأسعار، ولكن هذه الزيادة فى الأسعار لابد أن تكون بمعدل زيادة السكان فيما لو التزمت الحكومة بزيادة النقود الورقية بنفس معدل زيادة السكان، ومن ثم تكون زيادة الأسعار بنفس المعدل، ولما كانت زيادة عدد السكان فى البلاد النامية فى المواليد لا تتعدى ٥ , ٢٪ سنويا فإن زيادة الأسعار يجب أن لا تزيد سنوياً عن هذه النسبة فمن أين يحدث التضخم الذى يصل الى ١٠٪ سنوياً و١٥٪ سنويا؟! الإجابة تكمن فى عوامل أخرى منها: النظام الربوى والفوائد التى تصل الى ١٨٪ ومنها: زيادة الانفاق الحكومى المتمثل فى اهدار المال العام بسبب فساد الذمم وضياع الأمانة وانتشار السرقة والإختلاس والاستغلال والرشوة.

وهكذا يرجع التضخم أو الغلاء الى عوامل خلقية ذكرناها فى الامارات الخلقية، ثم يرجع الى النظام النقدى الورقى الذى سهل لأصحاب الذمم الخربة والأمناء الخونة والأمراء الفسقة النهب والسطو، ولو كانت الأموال ذهباً وفضة كما هو المفروض، وكما كان هذا النظام النقدى سائداً منذ فجر البشرية حتى هذا العصر اليهودى الدجالى لما حدث هذا التضخم السنوى العالمى الذى لا يتوقف ولن يتوقف، يقول محاضر خبثاء صهيون (إن اعادة النظر بقضية سك العملة أمر مهم للعالم كله، إنكم تعلمون أن استعمال الذهب كان وبالاً على الحكومات التى استعملته لأنها لم تكن قادرة على ابقاء حاجات الصرف منذ أن سحبنا من التداول ما قدرنا عليه من ذهب) (١).

لقد كان تقريره هذا سنة ١٨٩٨ والآن يمكننا أن نقرر أنهم قد سحبوا من التداول كل ما لدى الحكومات من الذهب وكذلك كل مالدى أغنياء الناس فى كل الشعوب واستبدلوا به العملة الورقية ومن ثم استولوا على ذهب العالم.

وهذا هو الذى نص عليه حديث الرجل الاسرائيلى إذ فسر لنا الجدى الذى يمتص مائة عنزه ثم هو يبحث عن مزيد يملك فى آخر الزمان يجمع صامت الناس كلهم أى ذهب الناس كله وفضتهم ثم هو يريد بعد ذلك المزيد فما المزيد؟

---

(١) المصدر السابق ص١١٤.

(٣٠) القروض الربوية الداخلية والخارجية من وسائل استيلاء اليهود على أموال الشعوب: -

المزيد هو العقار وماليس بصامت من الأموال أى الأموال المستثمرة أراضى زراعية ومصانع وشركات ومؤسسات تجارية ولابد أن يكون لخبثاء صهيون مخططات جديدة وحديثة للاستيلاء على هذا كله لم تصل الى أيدينا.

يقول بعد ذلك مقرراً أساس العملة الجديدة وهو الواقع المالى والنقدى لكل الدول الآن سوف تصدر عملة على أساس قيمة العمل لا يهم أن تكون هذه العملة ورقية أو خشبية وسنضعها فى التداول حسب حاجة كل فرد)(١).

هذا سوف يؤدى بالضرورة الى عجز فى ميزانيات الحكومات وهذا هو الواقع الآن حتى إننا لا نكاد نجد دولة ليس عندها عجز فيما يسمونه ميزان المدفوعات حتى الدول البترولية الغنية، صنعوا لها حروباً لتصبح مدينة، وعندها عجز فى ميزان مدفوعاتها، بعد أن كان لديها فائض على عكس حكومات الدنيا بما فى ذلك أمريكا.

وهم الذين يعملون على ذلك بما أحدثوه من نظام نقدى ورقى وانفردوا هم بملكية المال الحقيقى وهو الذهب، يقول المخطط المالى الخبيث وسوف تثبت اجراء هذه الاصطلاحات بنشر الفوضى الناشئة عن سوء نظام مالية الجوييم وسوف نريهم أن السبب الرئيسى لهذه الفوضى يكمن فى كونهم قد إعتادوا أن يقدروا تقديراً تقريبيًا أرقام الميزانية التى تزداد سنه بعد سنة فالميزانية توضع على هذه الصورة ويستمرون بها بصعوبة حتى النصف الأول من السنة فنقترح عليهم ميزانية أخرى تدوم ثلاثة أشهر أخر ثم تقرر ميزانية اضافية أخرى وكلها تنتهى بميزانية تصفية، وبما أن ميزانية السنة التالية تقوم على النفقات السابقة العامة فان العجز يبلغ ٥٠٪ سنويا بصورة تجعل الميزانية السنوية تتضاعف ثلاث مرات كل عشر سنوات)(٢).

ومن هذه العمليات.. تنتهى حكومات الجوييم إلى أن تفرغ خزانة الدولة وحينذاك تبدأ فترة الأقتراض الذى يؤدى الى افراغ الخزينة ويسرع بقذف دول الجوييم فى مهاوى الإفلاس حتى يقول (... إذا أنها بدل أن تقترض ضرائب مؤقتة على قدر حاجتها تمد يدها الى مصارفنا تطلب الإحسان.

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) نفس المصدر ص١١٥.

إن هذا الدين هو القيد الذي لا يمكن نزعه عن عنق الدولة، ولا يمكن تركه حتى يسقط من نفسه أو أن ينتزع انتزاعا بشدة .

ومع ذلك فبدل أن تجرى حكومات الكوييم نزعه فإنها على الضد تزيده* فتموت مختارة بسبب نزف دمها وفى الواقع ليس القرض وخاصة القرض الأجنبى الا علقا** وينطوى القرض على اهدار سندات بقيمة تعادله فإذا كانت الفائدة ٥٠٪ فانه يسدد فى عشرين سنة ويسدد ضعفين فى أربعين سنة ويظل رأس المال كما هو غير مدفوع.

وبناء على هذا الحساب يتضح أن نظام الضرائب الحاضر يستنزف آخر درهم من المكلفين. ليدفع الى أصحاب رؤوس الأموال الأجانب بينما يكون بالإمكان الحصول على المبلغ ذاته من الشعب من غير فائدة.

(٣١) السندات الحكومية الربوية أخذ من أقوات الفقراء للاغنياء: -

... ولكن منذ اللحظة الأولى التى افترضنا فيها على الوزراء اللجوء الى الاقتراض من الأجانب أخذت الثروة الوطنية تنصب فى أيدينا وغدا جميع الجوييم رعايا لنا وصاروا يدفعون لنا خراجا)(١) ولكن يوجد القرض الداخلى وهو اقتراض الدولة من الشعب بسندات بفوائد. يقول المخطط الخبيث أنه فى هذه الحالة فإن عملية السندات هى أخذ أموال الفقراء ووضعها فى جيوب الأغنياء وهذا نص قوله (ومادامت القروض وطنية محضة فإن الكوييم يقنعون بأخذ الأموال من جيوب الفقراء لكى يضعوها فى جيوب الأغنياء)(٢).

لماذا؟

لأن الذين يشترون السندات ذات العائد السنوى أو النصف سنوى أو الربع سنوى

---

(١) بروتوكولات ص ١١٦.   (٢) بروتوكولات ص ١١٦.

(*) يقابل هذا في القصة الرمزية للشاب الإسرائيلي الرجل الذي يثقل عليه حمل الأحجار ثم هو يضع عليها المزيد.

(**) العلق نوع من الدود يلتصق بجلد الإنسان أو الحيوان عن طريق غرس أرجل كثيرة ذات أطراف حادة تمتص الدم ولا يمكن التخلص منه إلا بنزعه انتزاعا مع الجلد.

هم الأغنياء الذين عندهم مال فائض عن الحاجة وليس من مصدر لهذه العوائد على أموالهم إلا التضخم وزيادة الأسعار التى لا يتضرر بها الا الفقراء ومن ثم تكون هذه العوائد التى هى ليست إلا نسبة الغلاء فى الأسعار مأخوذه من الفقراء وبالذات من قوتهم الضرورى.

ومن هنا كانت هذه العوائد المالية المحددة سلفاً على الأموال المودعة أيّاً كان إسمها سندات أو ودائع أو أى إسم آخر ربا محرماً حرمه الله تعالى فى كتابه، لأنه بشهادة ملك اليهود الخبيث أخذ من قوت الفقراء لجيوب الأغنياء ولكن هل يأخذ الأغنياء «رِبْحاً حقيقيا» بما يسمونه الفوائد أو العائد؟ بالقطع لا؟

لأن التضخم أو انخفاض قيمة العملة سنة بعد أخرى ينتهى بأن يجد صاحب السند قيمة سنده فحسب، وربما أقل، فى قوته الشرائية لأنه بعد سنوات يصبح أقل من قيمته الحقيقية.

بل إن الحساب الواقعى لقيمة السند مضافاً اليه الفائدة ليدل بكل تأكيد على أنه أقل قوة شرائية سواءً للذهب أو للعقار أو للمواد الإستهلاكية من قيمته الأصلية وقت شرائه.

فيقول البروتوكول بعد ذلك (إن جهل ملوك الجوييم بأمور الدولة وفساد وزرائهم وجهل باقى المواطنين بالقضايا المالية جعلهم مدينين لمصارفنا الى حد أنهم لن يستطيعوا أن يتحرروا منا أبداً ولابد لنا من الإعتراف بأننا لم نستطع أن نوصلهم الى هذه المرحلة إلا بعد عناء كبير)(١).

ويقول أيضا (كم هى ضعيفة عقول هؤلاء الحيوانات الكوييم إذ لم يخطر على بالهم حينما أقرضناهم بفائدة بأن هذه المبالغ أى رأس المال والفائدة ستؤخذ من مصادر البلاد ثم يعود الينا.

ألم يكن من الأسهل أن يحصلوا على هذه المبالغ مباشرة من المكلفين؟ وانظروا الى عبقريتنا الفكرية، وهى أننا استطعنا أن نقرض عليهم القرض وكأنه فى صالحهم.)(٢).

---

(١) المصدر السابق ص١١٦.   (٢) المصدر السابق ص١١٧.

ويقول أيضا عن الانفاق الحكومى المسرف على مظاهر .. بذخية غير نافعة الذى هو أحد الأسباب الرئيسة لعجز الميزانية والمؤدى بالتالى الى القروض الداخلية والخارجية من اليهود (إن حكومات الكوييم التى علمناها أن تهمل واجبات الدولة لتنفق الأموال فى الاستقبالات الفخمة الرسمية فإنها لم تخدم إلا حكومتنا الخفية)(١) وجاء فى المخطط الحادى والعشرين (ولن أتكلم عن القروض الأجنبية التى ملأت صناديقنا الحديدية بأموال الكوييم الوطنية)(٢).

أما عن القروض الداخلية أى إصدار السندات فيقول هذا الخبيث (حينما تعلن الحكومة عن قرض تفتح اكتتاباً لشراء سنداتها ولكى تجعل شراءها مستطاباً للجميع فإنها تجعل السندات تتراوح بين ١٠٠، ١٠٠٠ وتسمح للمكتتبين الأولين بأن يشتروا السندات بأقل من ثمنها الحقيقى، وفى اليوم التالى ترتفع قيمة الشراء بصورة مصطنعة بحجة أن الطلب يزيد على العرض وبعد بضعة أيام تعلن الحكومة أن القرض قد تغطى وأنها لاتدرى ماذا تفعل بالمكتتبين الزائدين لأن المبالغ المكتتبة تزيد كثيراً على قيمة القرض وبذلك تبلغ الحكومة الهدف الذى تريده معللة ثقة الشعب بسندات الدولة. وبعد أن تتم هذه المهزلة يبقى الدين وغالباً مايكون ثقيلاً ولدفع فوائده يُعلن عن قرض جديد ولكنه لا يغطى الدين بل على الضد يزيده وبالتالى حينما تعجز الحكومة يصبح من اللازم أن تفرض ضرائب جديدة ولكن ليست لدفع الدين بل لدفع الفوائد فقط فتكون هذه الضرائب ديونا فوق ديون..)(٣) وهكذا حتى يتفاقم الحال وتزداد الأسعار وتنخفض العملة وتفقد قوتها الشرائية ومن ثم تضطر الحكومة الى الإقتراض الخارجى من اليهود وتبدأ رحلة سداد الفوائد أو ضريبة الدين الذى تتضاعف فوائده، ويظل هو كما هو، ومن ثم تقع الحكومات والدول فى شرك الصهيونية وتخضع لها. وقد تلجأ الحكومة لتشجيع المواطنين على الإدخار وفى صناديق خاصة فى البنوك أو البريد، وهى ما تسمى بالديون غير الثابتة لأن إبقاءها له آماد بعيدة .

(١) المصدر السابق ص١١٧. (٢) المصدر السابق ص١١٨.
(٣) المصدر السابق ص١١٩.

وهذه الأموال لا تودع صناديق الإدخار وكأنها تحت تصرف الحكومة وتتلاشى بدفع فوائد الديون الأجنبية ويستعاض عنها بمبالغ مساوية لها بسندات وهذه السندات تغطى عجز ميزانية الحكومة الكويتية)(١) وهكذا تذهب أموال الناس الى الحكومة وتذهب أموال الحكومة الى صندوق النقد والبنك الدولى وبنوك اليهود.

يقول هذا الخبيث الدجال فى المخطط الأول (وفى أيامنا هذه حلت قوة الذهب محل السلطات الليبرالية وقد مضى الوقت الذى كان فيه القانون حاكماً...)(٢) فما بال أيامنا هذه التى أتت بعد قرن كامل من الزمان من قوله ذلك.

انه بلاشك يستعد الآن لإعلان نفسه ملكاً متوجاً لليهود فى اسرائيل وبالتالى فى العالم كله، وقد ملك الذهب كله.

(٣٢) استيلاء ملك اليهود على ذهب الدول بتعويم العملات الورقية وبخاصة الدولار: -

وقصة إمتلاكه للذهب الذى كان يشكل أغطية الدول فيما تصدره من أوراق بنكنوت غريبة جداً، وتكاد لا تصدق، لكنها حدثت.

لقد كانت معظم دول العالم الثالث المستعمرة ومنها مصر ذات ميزانيات مستقلة عن البلاد التى تستعمرها مثل بريطانيا وفرنسا وغيرها وكان لمصر عملتها (الجنيه المصرى) وكان أكثر قيمة من الجنيه الاسترالينى الانجليزى وكانت انجلترا تقترض من مصر، ولم تكن مصر تطبع من أوراق البنكنوت إلا بحسب قيمة الذهب الذى فى خزينتها ثم جاءت الثورة، وأُرسِلَ ذهب مصر، وكذلك ذهب جميع البلاد الى أمريكا كأمانة عندها وأخذت مصر فى مقابله أو ما يعادله من أوراق النقد الأمريكية (الدولار) وكان مكتوباً على الدولار تعهد بقيمته من الذهب.

وكذلك كان مكتوبا على الجنيه المصرى تعهدٌ بدفع قيمته ذهباً من البنك المركزى. فإذا بالثورة تجمع هذه الأوراق من التداول وتستبدل بها أوراقا جديدة ليس عليها التعهد بدفع القيمة الذهبية عند الطلب، كما هو الحال فى الدولار.

---

(١) المصدر السابق ص١٢٠. (٢) المصدر السابق ص١٢٢.

وبعد ذلك ظلت الأوراق تطبع بلا غطاء ذهبي وبدأت قيمة الجنيه المصرى الذى كان يقدر بأكثر من ثلاثة دولارات فى النزول حتى تقاربت القيمتان. ثم حدثت حرب اكتوبر وارتفع سعر البترول وأقدم رئيس أمريكا نيكسون على الخطوة الأخيرة فى اللعبة، وهى تعويم الدولار أى الغاء قيمته الذهبية بالغاء التعهد بدفع هذه القيمة عند الطلب، وأصبح الدولار بعد ذلك هابطا حتى صارت قيمته الذهبية الآن عُشر ماكان عليه من قبل التعويم، وكذلك الحال فى كل العملات الأخرى الوطنية دائما فى النزول الدولار ينزل بإزاء الذهب والعملات الوطنية تنزل بإزاء الدولار، حتى صارت أوقية الذهب تساوى قرابة ٣٠٠ دولار وهذا هو عشر السعر الذى أخذت به أمريكا أو اليهود أرصدة الدول من الذهب.

وظلت العملات المحلية أو الوطنية تهبط بإزاء الدولار حتى صار الجنيه فى مصر أقل من ثلث دولار بعد أن كان الدولار لما كان ثمنه $\frac{١}{٣٥}$ من أوقية الذهب ثلث الجنيه فبكم صار الجنيه المصرى الآن؟ بإزاء الذهب بعد أن كانت قيمته جرامات من الذهب صارت $\frac{١}{٣٥}$ من جرام الذهب.

أين فوائض هذا كله؟ فى جيوب اليهود!

الغريب أن روسيا أعطت أرصدتها الذهبية لأمريكا (اليهود) خلال فترة الحرب الباردة المزعومة، وهذا يؤكد أن سيطرة اليهود على أمريكا وروسيا معاً وإن كانت سيطرتها على أمريكا علنية وروسيا خفية وكانتا تختلفان فى كل شىء اجتماعياً واقتصاديا وسياسياً ودولياً وتتصادمان فى كل شىء وتتعاديان فى كل شىء إلا فيما يخص مصلحة اسرائيل فتتفقان تماماً. ومنها الذهاب بأرصدة روسيا الذهبية وكذا دول الإتحاد السوفيتى إلى أمريكا وأخذ دولارات مطبوعة ذات قيمة ذهبية مضمونة علما لم يبق من ذهب الدول شىء عوّمت أمريكا الدولار وإنخفض الى عشر قيمته أو أقل وبذلك استولى اليهود على تسعة أعشار ذهب العالم.

جاء فى سفر حزقيال هذا القول منسوبا لله عز وجل مخاطباً بنى اسرائيل فى أورشليم الإفسادة الأخيرة.

(فها أنذا قد صفقت بكفى بسب خطفك الذى خطفت وبسب دمك الذى فى وسطك] والتصفيق بالكف عادة الملوك قديماً عند إصدار الأمر بالتنفيذ وهو هنا كناية عن اصدار الله تعالى أمره بنزول العذاب باليهود ومجيء وعد الآخرة ودخول القوم أولى البأس الشديد عليهم ليسوؤا وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ويدمروا كل ما سيطروا عليه تدميرا ويقتلوا من كل سبعة رجال ستة كما جاء فى نصوص أخرى، فمجيء وعد الآخرة ونزول العذاب بسبب الخطف الذى خطفه اليهود من البشرية وهو ذهب الأرصدة وفوائض عرق الشعوب عن طريق الخطط التى رسموها ونفذوها بنجاح فحدث التضخم والغلاء ولقد استولوا على ذهب البشرية ثم هم يأكلون كل عام أكثر من ١٨٪ من عرق الشعوب نتيجة الفوائد والنظام الربوى المحلى العالمى الذى يسيطرون عليه والسبب الآخر هو اراقة الدماء فى اسرائيل ووسط أورشليم أى فى الحرم الخليلى وحرم الأقصى.

(٣٢) مطابقة المغزى الاقتصادى السياسى لقصة الشاب الإسرائيلى مع الأحوال الاقتصادية والسياسية المعاصرة : -

إن مغزى قصة الإسرائيلى الذى ورث من أبيه المال الكثير ثم انتهى أجله فى اللحظة التى ظن فيها أنه سيستمتع بحياته بزواج المرأة الجميلة هى نفس قصة بنى اسرائيل فى آخر الزمان بقيادة الدجال والملك الذى إمتص مائة عنزة ثم يطلب المزيد هو الدجال الذى أسس صندوق النقد الدولى والبنك الدولى وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وغير ذلك من مؤسسات الأمم المتحدة التى يحكم بها البشرية من خلال سبعة رؤوس وعشرة قرون أى وحش تلبسته الصهيونية تلبس الشيطان أو الجن بالجسد الآدمى. ومن يدرى؟ لعل الدول التى أرسلت أرصدتها الى أمريكا مائة دولة، وطلبهم المزيد هو نظام الإقراض الربوى الذى يجعل كل كفاح الشعوب من أجل التنمية فى خزائن اليهود الحديدية سنة بعد سنة.

ولكن القصة ذات مغزى سياسى عميق بجانب هذا المغزى الاقتصادى الصادق والذى يكاد يكون صريحا والمغزى السياسى هو أن اليهود بقيادة الصهيونية التى يقودها الدجال سيأتيهم الموت الزؤام فى اللحظة التى يتهيأوا فيها لإقامة عرس دولة إسرائيل العظمى بقيادة ملكهم الخفى الأعور الكذاب وستأتيهم الضربة الأولى

بالآشورى البابلى الصخرى السفيانى حفيد بختنصر صاحب الجيش الموصوف فى القرآن بأنهم أولوا البأس الشديد، وإسرائيل الآن تتهيأ وبدأت فى إعداد مراسيم هذا العرس الذى انتظروه طويلا أى منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة. لكنه سيكون مراسيم جنازتها إذ سيجعلهم بختنصر الجديد (مدوسين كطين الأزقة) كما نص على ذلك أشعياء عليه السلام.

إن مجىء الشاب الاسرائيلى إلى قصر المرأة ليتزوجها وينعم بها يقابله فى تاريخ بنى اسرائيل الحديث والمعاصر مجيئهم لفيفاً من أرض الشتات الى فلسطين وأخذهم القدس التى تقابل قصر المرأة فى القصة، والرجل الذى فسر له كل ما شاهده هو الموت الذى ينتظرهم فى القدس وفلسطين فى اللحظة التى يرجون فيها الزفاف، والزفاف هو إعلان اسرائيل الكبرى والاحتفال بمرور خمسين سنة على إنشائها ومائة سنة على البروتوكولات التى قرروا فيها قيامها.

فالمغزى اقتصادى سياسى واليهود هم الذين أنشأوا علم الاقتصاد السياسى الذى لا تنفصل فيه السياسة عن الإقتصاد ولا ينفصل الاقتصاد عن السياسة كما وضحنا هذا من قبل.

إن البنوك الربوية وشركات التأمين والاحتكارات الوطنية التى تقابلها احتكارات عالمية لليهود وأنظمة القروض الداخلية والخارجية وأنظمة البورصة والأوراق المالية التى تحولت فيها العقارات والشركات الضخمة الى أوراق ستكون فى النهاية فى أيديهم ونظام (الفيزا كارت) وما ساند هذا كله من أنظمة سياسية تطبق أوامر البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وتعليماته كل هذا هو الواقع الاقتصادى السياسى للبشرية فى نهاية القرن العشرين الذى ليس له من دون الله مخلص والخلاص يكون بصدمة الآشورى البابلى الصخرى السفيانى وتدمير نصف إسرائيل وقتل أكبر عدد ممكن من الرجال فى معركة قريبة ليس فيها أسرى.

ثم بالعذاب الذى يدمر الله تعالى به الافسادة الأخيرة الكبرى التى عمت الأرض كلها وهو زلزال الأرض العظيم، وأحداث القيامة الصغرى.

ثم مجىء المهدى الذى يستولى على بقية اسرائيل ويقيم عاصمة بلاده فى القدس.

وتخرج لـه الارض فلذات أكبادها من اصطـرانات الذهب والـفضة ويخـرج له جبل الـذهـب الذى سَيَنْـحَسِرُ عنه الـفرات مما يمكـنه من أن يقيـم للخلافة الاسـلامية نظامها المال الاقـتصادى المستقل عن النظام الـعالمى الربوى ويقيم نظامه الـنقدى بعيداً عن النظام النقــدى الورقــى الذى صنعـة اليهــود، وهــذا ما تخبر به النصوص فى السنـة النبوية فـإذا توفرت لدى الخـليفة الراشـد محمد بن الله المـهدي عليـه السلام كميـات الذهب، التي يـتمكن بـها من إصدار الديـنار الإسلامى الذهـبى، فستـقضى عملـة الخلافة الإسلامية الـذهبية على جـميع العملات الـورقية، لأن العملـة الجيدة تطرد العملة الرديئة من الأسواق، ومن ثمَّ يعودالمال فى الأرض ذهبا وفضة، كما كان دائما ذهبا وفضة، وكما جاء ذكره فى القرآن الكـريم باعتباره المال الحقيقى أى العملة الصادقة فى تقييم حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وليس الورق النقدى، الذى هو مـال مزيف متـغير القـيمة، والـذي يعتبـر نظامـه ـ بلا مراء ـ أعظـم عملة نـصب وإحتيال وسلب لحقوق الناس فى تاريخ البشرية كله.

(٣٤) إخبار السنة النبوية الشريفة بالفساد الإقتصادى والمالى المعاصر: -

عن حذيفة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال (سيأتى عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعزمن ثلاثة: درهم حلال، أو أخ يستأنس به، أو سـنة يعمل فيها، رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية ورواه النسفى بلفظ (لا تقوم الساعة حتى يعز الله عز وجل ثلاثة: درهماً حلالاً، وعلماً مستفاداً، وأخاً فى الله عز وجل، والعلم المستفاد هو المستنبط، والدرهم الحلال الذى لم يأت من البنك الربوى.

وعن عبدالله بن عـمر رضى الله عنهما قال قال رسول الـله ﷺ (أقل ما يوجد فى آخر الزمان: درهم من حلال أو أخ يوثق به، رواه أبو نعيم فى الحلية).

وعن الأوزاعـى: (أنه قال: يأتـى على الـناس زمان أقـل شيء فى ذلك الـزمان أخ مستأنس أو درهـم حلال أو عمل فى سنة)، رواه أحمد فى الزهد.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: والذي بعثنى بالحق لتكونن بعدى فترة فى أمتى يبتغى فيها المال من غير حله، وتسفك فيها الدماء ويستبدل فيها الشعر بالقرآن). رواه الديلمى

(وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: بين يدى الساعة يظهر الربا والزنا والخمر)، رواه الطبرانى قال المنذر رواته رواة الصحيح.

وعن على رضى الله عنه أنه قال (يأتى على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما فى يده قال ولم يؤمر بذلك قال الله عز وجل (ولا تنسوا الفضل بينكم) وينهد الأشرار ويستذل الأخيار ويبايع المضطرون قال وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين وعن بيع الغرر وعن بيع الثمرة قبل أن تدرك). رواه أحمد وأبو داود.

وكل هذا كائن الآن فى عالمنا الإسلامى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الباب الخامس
الأمـــارات السياسيـــة

(٣٥) تمهيد.

(٣٦) مجتمع الخلافة.

(٣٧) مرحلة سقوط الخلافة وتفكك الامة.

(٣٨) مراحل التغيير فى النظام السياسى حتى سقوط الخلافة.

(٣٩) الرابعة من صناعة الدجال من خلف ستار.

(٤٠) – مخططات اليهود الخبيثة لاسقاط الخلافة العثمانية.

الإمارات السياسية

٣٥ - تمهيد

النظام السياسى أحد أنظمة البناء الاجتماعى وهو ليس نظاما رئيسيا كما قد يتوقع البعض، وانما هو نظام فرعى ينتمى الى نظام الحكم ويتفرع منه.

ذلك أن البناء الإجتماعى يتكون من ثلاثة أنظمة رئيسية هى[١]:

(١) النظام الاجتماعى.

(٢) والنظام الخلقى.

(٣) ونظام الحكم.

أولا- النظام الاجتماعى: ويقوم الأول على العلاقة بين الذكور والإناث فى المجتمع. ومن ثم ينبثق عنه نظام الأسرة والزواج والطلاق والمحارم وتربية الأولاد والميراث ويوجد فى حياة البشر نوعان:

(١) النظام الاجتماعى الاسلامى وأساسه الحجاب الذى يحكم العلاقة بين الذكور والإناث ويقوم عليه نظام المحارم وسائر الأنظمة الأخرى .

(٢) النظام الاجتماعى الجاهلى أو غير الاسلامى وأساسه التبرج والإختلاط وفلسفته الحرية الشخصية الأمر الذى إنتهى بالغربيين الى إباحة الزنا والمجاهرة به فى كل الأماكن العامة وقلت عدد الزيجات والأسرة وارتفعت نسبة الطلاق والإنفصال وطغت نسبة أبناء الزنا والأطفال مجهولى النسب وتقطعت بذلك الأرحام وظهر الفساد.

ثانياً - النظام الخلقى: أما النظام الخلقى فيقوم على العلاقة بين الأفراد بعضهم ببعض أى العلاقات الثنائية وبين الجماعات وبين الفئات فى المجتمع ويحكمه نظام للقيم المتضمن للفضائل التى هى منظومه من الأعمال والسلوكيات التى يفرضها المجتمع ويتلقاها الأبناء من أبائهم وأسلافهم جيلاً بعد جيل وتسمى فى النظام الخلقى الاسلامى «بالمعروف» وحماية الأخلاق منوطة فى المجتمع بأن يأمر كل رجل أفراده

---

(١) أنظر كتاب «مقومات المجتمع المسلم» للمؤلف.

بالمعروف حسبة وتطوعاً ابتغاء مرضاة الله وطلباً للثواب، وكذلك هو بيان للرذائل أو المحرمات التي هي منظومة من الأعمال والسلوكيات المنكرة التي يمنعها المجتمع ويندب الاسلام المؤمنين لمنع المنكر، بزجر فاعليه أو ردعهم بقوة السلطان أو القوة الشخصية، إذا اقتضى الأمر، وذلك على سبيل الحسبة ابتغاء مرضاة الله تعالى وحماية للمجتمع المسلم من الانهيار عن طريق التغير الذى يمكن أن يحوله من مجتمع اسلامى الى مجتمع جاهلى، وهذا هو مبدأ النهى عن المنكر الذى يؤدى اهماله الى الهدم ـ ليس هدم النظام الخلقى فقط ـ بل يؤدى الى هدم سائر الأنظمة الاجتماعية أى البناء الإجتماعى كله، وليس معنى هدم البناء الاجتماعى الاسلامى فى مجتمع ما بالتغير الاجتماعى أن يظل الناس فى هذا المجتمع بلا بناء اجتماعى بعد هدمه، اذ يحل محله على الفور البناء الجاهلى، فهو استبدال البناء الجاهلى بالبناء الاسلامى أى احلال الجاهلى محل الاسلامى.

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو التشريع الاسلامى الرئيسى لحماية المجتمع الاسلامى من الهدم والتغير .

ثالثاً: نظام الحكم: أما نظام الحكم وهو أساس موضوعنا: الامارات السياسية فهو يقوم على العلاقة بين الدولة والشعب، أى السلطة والجمهور، وهو نوعان.

الأول: اسلامى وهو حكم الله تعالى.

والثانى: جاهلى وهو حكم غير الله عز وجل.

ونظام الحكم – سواء الاسلامي ام الجاهلى– يتكون من عدة أنظمة فرعية مثل:

١ ـ النظام السياسى وموضوعه كيفية تولية الحاكم وعزله ومراقبته ومحاسبته وهو يختلف من مجتمع الى مجتمع حتى فى الأنظمة الجاهلية، أما فى الاسلامى فأساس إختيار الخليفة أو أمير المؤمنين أو السلطان هو بيعة المؤمنين له والشورى وحتى لو كان النظام السياسى ملكياً فإن أساس شرعية حكم الملك هو بيعة الناس له وليست شرعية حكمه من أسلافه الذين ورث عنهم الحكم.

والأساس الفكرى لأنظمة الحكم الجاهلية يتمثل فى اعتبار الناس هم مصدر الحكم والتشريع وليس الوحى السماوى. فهو إما حكم الأكثرية (الديمقراطية) وإما حكم الأقلية وإما حكم الاستبدادية الفردية.

ب ـ النظام القضائى وهو مستقل عن النظام السياسى كما هو فى الإسلامى إذ لايحق للخليفة أو الحاكم أن يتدخل فى عمل القضاء.

جـ ـ نظام الحدود وأحكام الشريعة وهو المنزل من عند الله وليس للقاضى إلاَّ أن يُنَزِّل الحكم الإلهى على الحالة المعروضة عليه وينحصر اجتهاده فى إثبات أن الحالة التى يحكم فيها هى التى نزل فيها حد الله أو التعزيز الذى يعزره به.

ويقابل هذا النظام والتشريع القضائى فى الاسلام نظام القانون الجنائى الوضعى والحلال والحرام فيه ليس من عند الله، وانما هو من وضع الذين يسمونهم مشرعين، وهم أعضاء المجالس النيابية المنتخبة، أو السلطان والملوك فى البلاد الملكية أو الاستبدادية، وجميع القوانين تتبدل وتتغير حسب مصلحة الحكام، سواء كانوا أجانب أم وطنيين فما يكون حراما يصبح حلالا بعد سنوات والعكس صحيح.

(٤) ونظام السياسة الخارجية الذى يحدد علاقة الدولة الاسلامية والمجتمع الاسلامى بالدول الأخرى والمعاهدات والاتفاقات الدولية وكل هذا موجود فى الشريعة.

(٥) النظام الاقتصادى والمالى للدولة وهو فرع من نظام الحكم وقد سبق الكلام عنه، والاسلامى أساسه الزكاة والجاهلى أساسه الربا.

أى أن كلا من النظامين: السياسى والاقتصادى فرعان منبثان من نظام الحكم وليس أىٌ منهما مستقلاً عنه من ناحية كما أن كلا منهما ليس مستقلا عن الآخر من ناحية أخرى.

٣٦ - مجتمع الخلافة الإسلامية : -

فى مجتمع الخلافة الاسلامية الذى أسسه رسول الله ﷺ فى المدينة بعد الهجرة، ثم توسع بغزوات جهاده ﷺ هو والصحابة حتى كاد يغطى جزيرة العرب أقام فيه رسول الله ﷺ جميع الأنظمة الاجتماعية متوازنة متكاتفة حتى قام البناء الاجتماعى لأول مرة بعد أقل قليلا من ألف سنة (أى منذ ان هدم بختنصر الخلافة الاسلامية فى

القدس) بعد أن فسد بنو اسرائيل افسادتهم الأولى وهدم لهم البناء الاجتماعى الاسلامى الذى أسسه من قبل داود وسليمان عليهما السلام ثم انهدم بعد ذلك بإفساد اليهود وأزال بقاياه بختنصر البابلى .

ومن ثم فالبناء الاجتماعى الاسلامى هو الذى تتحقق به ومن خلاله خلافة الانسان لله تعالى فى الأرض ويقابله البناء الاجتماعى الجاهلى الذى هو فى الحقيقة خلافة الانسان للشيطان فى الأرض، ومن ثم فهو بناء شيطانى مؤسس على الشرك والكفر والالحاد وتبرج الجاهلية الأولى والإباحية الجنسية وتقطيع الأرحام والظلم وسفك الدماء والربا والخمر وكل المعاصى والآثام. والصراع بين البناءين منذ فجر التاريخ بل قبل نزول الانسان الى الأرض قائم ومتمثل فى الصراع بين حزب الله تعالى وحزب الشيطان.

والبناء الاجتماعى الاسلامى لا يقوم الا بتنحية وهدم البناء الجاهلى الشيطانى فى موضع ما أو فى شعب ما وهذه هى الغاية التى سعى اليها الرسول ﷺ بدعوته وجهاده منذ اللحظة الأولى من تاريخ الدعوة وحتى التحاقه بالرفيق الأعلى فهدم الجاهلية فى المدينة ثم فيما حولها ثم فى جزيرة العرب وخرج لقتال الروم فى غزوة تبوك محدداً بوضوح لصحابته وللأجيال المسلمة من بعده ما يجب عمله مع الأبنية الشركية والجاهلية حول الجزيرة ، وأرسل لجميع الملوك والأباطرة والقبائل حول جزيرة العرب يدعوهم الى الله والى الاسلام بالانسلاخ من خلافه الشيطان للدخول مع شعوبهم ودولهم فى مجتمع خلافة الله تعالى، فلم يستجب له أحد منهم. فجاهد صحابته واتباعه من بعده وهدموا بجهادهم وغزوهم المستمر الدءوب جميع الأبنية الاجتماعية الشيطانية فى معظم أرجاء الأرض من حدود الصين الى المحيط الأطلسى ومن جنوب فرنسا الى أواسط أفريقيا وجنوب آسيا ومن ثم خرج الإسلام من غربته وصار الشيطان غريباً فى هذه البلاد مذموما مدحورا.

ولكن الغربة عادت الى الاسلام مرة أخرى وإن كانت هذه العودة قد تمت بالتدرج البطيء خلال قرون عديدة فالبناء الإجتماعى الاسلامى، المتمثل فى مجتمعات الأمة الاسلامية الكثيرة والمتعددة، قد إنهدمت أكثر أركانه وأعمدته وسقط سقفه وكان سقوط السقف على المسلمين من فوقهم عام ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ م بسقوط الخلافة الاسلامية العثمانية.

وهو أسوأ حدث تاريخى فى حياة الأمة بعد موت الرسول ﷺ ولم يكن سقوط الخلافة الدولة، المتمثلة فى السلطان العثمانى أول حدث من نوعه فى تاريخ الأمة، فقد سقطت الخلافة الدولة من قبل متمثلة فى الأموية، ثم سقطت بعد ذلك متمثلة فى العباسية، لكن كانت الخلافة تعود يوم سقوط الخلافة السابقة، ولم يمر يوم على الأمة بدون خليفة الذى هو رمز وأساس لوحدتها.

لماذا كانت تقوم خلافة بعد سقوط السابقة؟

لأن البناء الاجتماعى الاسلامى ظل قائما بأنظمته المختلفة فى شعوب الأمة، أما عند سقوط العثمانية فقد كان التغير الاجتماعى قد هدم هذا البناء فى أكثر شعوب الأمة الاسلامية، ومن ثم لما سقطت الخلافة الدولة لم تقم غيرها وعبثا حاول المخلصون أن يقيموها.

وذلك لأن سقوط الدولة الأموية كان سقوطاً للنظام السياسى القائم فى البناء الاجتماعى مع بقاء بقية البناء قائمًا أى النظام الاجتماعى والنظام الخلقى والاقتصادى والقضائى والتربوى ونظام العلاقات الخارجية، ثم سقطت الدولة العباسية، ولكن كان البناء الإسلامى قائماً بعدها كما كان قبلها إلا الدولة، فجاءت العثمانية وحافظت على البناء واستمر، أما عندما سقطت العثمانية فقد كان البناء شبه متداعى فلم تسقط الدولة الحاكمة فقط، بل سقطت أركان البناء مع سقوطها، وبعد سقوطها الواحد تلو الواحد، فلم يتمكن المخلصون من إقامته حتى الآن، بل العجب أن كثيرا من أبناء الأمة ومِمَّنْ ينتمون الى الاسلام، شاركوا فى اسقاط الخلافة من خلال دعوات للاستقلال عن الدولة الاسلامية باعتبارها مستعمراً للشعوب الاسلامية، فى الوقت الذى كانت فيه فرنسا وانجلترا وايطاليا تحتل هذه البلاد فى فترة ضعف الخلافة، فبدلاً

من تقويتها وشد أزرها عمد هؤلاء الى الهجوم عليها، والعمل على الانسلاخ عنها، وأقام الصهاينة الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، لإسقاط الخلافة ولتحقيق أهداف أخرى، وتم لها ذلك بعد عشر سنوات من هذه الحرب، والآن نتساءل:

هل سقوط الخلافة الإسلامية كان بسبب ضعفها وشيخوختها وانتهاء أجلها حسب سنن الله تعالى فى تاريخ الأمم والشعوب؟

أم أن ما حدث كان بتخطيط وتدبير من أعداء الله عز وجل؟

للإجابة على هذا نقول: تم هذا حسب سنن الله تعالى فى التاريخ، وأهم هذه السنن هو عامل الصراع بين حزب الله عز وجل، وهم المسلمون بقيادة الخليفة العثمانى آخر الخلفاء، وبين حزب الشيطان وخلافته وهم الملاحدة والكفار والمشركون بزعامة اليهود بعامة وملكهم الخفى الخبيث بخاصة.

من سنن الله تعالى أن يفتن الناس بعضهم ببعض، فهو يبتلى المظلوم بالظالم ثم يسلط على هذا الظالم أقوى منه وأظلم منه، هذه السنة الإلهية قائمة على مستوى سلوك الفرد وعلى مستوى القبيلة وعلى مستوى الدولة وعلى مستوى الأمم.

حكم الله فى الخلافة الاسلامية.. هو أن العرب هم شعب الله المختار للرسالة وقريش هى القبيلة المصطفاة من العرب، فالامامة فى قريش والخلافة فى قريش كما قال رسول الله ﷺ، مادام خلفاؤها وأمراؤها يعدلون ويطبقون شرع الله ويتمسكون بالكتاب والسنة، فإذا فرطوا فيهما زالت منهم الخلافة والإمارة والملك.

فعن سيدنا معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله فى النار على وجهه ما أقاموا الدين)[(١)].

قال الامام البيهقى: أى أقاموا معالمه وإن قصروا هم فى أعمال أنفسهم)[(٢)].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ فى ثمانين رجلا من قريش.... فذكر الحديث وفيه أن رسول الله ﷺ تشهد ثم قال: أما

---

(١) رواه أحمد البخارى .

٢) رواه البيهقى عن اتحاف الجماعة فى أشراط الساعة للشيخ التويجرى جـ ١ ص٢٥٦.

بعد يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر مالم تعصوا الله، فإذا عصيتموه بعث اليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب (لـقضيب فى يده) ثم لحى قضيبه فإذا هو أبيض يصلد)[1] ولحى القضيب أى أزال اللحاء الذى عليه وهو قشر فرع الشجرة فلما نزع هذا اللحاء البنى صار أبيضاً ويبرق.

أى أن الخلافة أو الملك سيظل فى قريش ما أطاعوا وعدلوا وتمسكوا بحكم الله تعالى فإذا خالفوا وعصوا وجعلوها وراء ظهورهم خرج هذا الأمر من يدهم وصارت الخلافة لغيرهم من المسلمين، فقريش هى القبيلة المختارة من الله تعالى، بدليل اصطفاء نبيه الخاتم ﷺ منها، فإذا فرطت فى الكتاب عزلت قريش وآل الأمر الى غيرها من العرب، فإذا فسد العرب كلهم ولم يعد العرب صالحين للخلافة، انتقلت الى غيرهم من القوميات الاسلامية الأخرى التى يعلم الله تعالى صلاحيتهم للقيام بتكاليفها وأعبائها.

وقد حدث هذا بسقوط العباسية وقيام العثمانية، وتوسعت حتى أصبحت مظلة الخلافة على أكثر أرجاء الأمة الاسلامية بما فيهم العرب، فالأمر لم يخرج من قريش فقط بل خرج من العرب قاطبة. يؤكد هذا ما رواه عطاء بن يسار مرسلاً أن رسول الله ﷺ قال لقريش : أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم مع الحق الا أن تعدلوا عنه، فَلَتُلْحَوْنَ كما تُلحى هذه الجريدة)[2] يشير الى جريدة فى يده

ومعنى هذا أن سقوط دولة من دول الخلافة القرشية لا يعنى بالضرورة خروج الخلافة من أيديهم الى غيرهم، مادام فيهم الصالحون لها والمؤهلون لتطبيق شرع الله عز وجل، ومن ثم لما سقطت الأموية بعد أن أهلكهم النعيم والترف والظلم والمعاصى، قامت الخلافة بالعباسيين الذين حكم منهم سبعة وثلاثون خليفة، ولكن لما ضعفوا وفسدوا ولم يعودوا صالحين لها، ولم يكن فى قريش من هو صالح لتطبيق شرع الله خرجت الخلافة من قريش قاطبة بل ومن العرب وصارت الى العثمانيين.

(١) رواه احمد من حديث ابن مسعود رضى الله عنه.

(٢) رواه الشافعى فى مسنده وهو مرسل صحيح الاسناد

يؤكد الذى نقول ما رواه حذيفة رضى الله عنه بقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن هذا الحى من مضر لايدع عبداً لله فى الأرض صالحاً إلا فتنه وأهلكه حتى يدركهم الله بعد بجنود من عنده أو من السماء فيذلها حتى لا تمنع ذنب تلعة)(١).

وهذا الحدث من أشراط الساعة التى نبأ بها رسول الله ﷺ وهو التغير الذى يصيب قريش و هى من مضر لأن مضر هى العرب العاربة بحيث يعم فيهم الفساد فلا تصبح فى قريش على كثرة عشائرها عشيرة واحدة للخلافة.

ففى رواية أخرى عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال: (لا تدع مضر عبداً لله مؤمن الا فتنوه أو قتلوه أو يعذبهم الله والملائكة والمؤمنون حتى لا يمنعوا ذنب تلعة(*).

فقال رجل: يا أبا عبدالله تقول هذا وأنت رجل من مضر؟! قال الا أقول ماقال رسول الله ﷺ؟!)

ولَـمَّا تحقق من الأمويين والعباسيين كل هذا الظلم، خرج الأمر من أيديهم، ولم يعد للعرب، لأنه كان من الممكن أن يخرج الى قبيلة أخرى من قبائل العرب أو حي آخر من أحيائهم، ولكن اذا كان الفساد قد دب فى العرب جميعا خالصين وموالى أى عرب عاربة ومستعربة باللغة، وهم من يطلقون عليهم أهل القومية العربية التى تعيش من المحيط الى الخليج، حينئذ ينتقل الأمر من أيديهم الى قوميات الأمة الاسلامية حسب سنة الله تعالى التى عبر عنها قوله سبحانه للعرب﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد/ ٣٨] أى قومية أخرى غير القومية العربية تحمل الرسالة الاسلامية وترفع راية الجهاد وتتسلم القيادة وتتولى الخلافة على الأمة .

---

(١) رواه الامام أحمد وأبو داود والطيالسي واسناده على شرط مسلم.

(*) ومعنى لا يمنع ذنب تلعة أي لم يترك أحداً إلاظلمه.

وهذا ما حدث إذ إستبدل الله العثمانيين الأتراك بالعرب فحملوا لواء الخلافة قرابة الخمسة قرون، وقد كان هذا تحقيقاً لما أخبر عنه الصادق المصدوق ﷺ حين حذّر العرب من عزلهم من كرسى الخلافة وذهابه منهم لغير العرب.

ولكن ماذا يحدث اذا لم تعد فى قوميات الأمة الاسلامية قومية جديرة بحمل الرسالة والقيام بأعباء الخلافة، بما فى ذلك القومية العثمانية التى حكمت أكثر من خمسمائة عام؟!.

الاجابة: عزل جميع قوميات الأمة عن الخلافة وبقاؤها بلا خلافة وبلا جماعة وبلا رابطة تجمعهم، وتسلط شرار الخلق عليهم حسب سنة الله تعالى وتسقط الخلافة الدولة فإذا لم يكن فى قوميات الأمة من يتمسكون بالكتاب والشريعة أى الذين يكون بناؤهم الاجتماعى الاسلامى قائما فى حياتهم، فإن الأمة تظل بلا خلافة، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً، حسب سنته فى تاريخ البشر، وحينئذ يكون البلاء، وتسلط عليهم الأمم ويتكالبون عليهم، من كل جنس ولون كما تتكالب الأكلة على قصعتها، وهذا ما نبَّأبه رسول الله ﷺ بقوله (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تتداعى الأكلة على قصعتها:

قيل يارسول الله ﷺ: أفمن قلة بنا يومئذ؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ويجعل الوهن فى قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهتكم الموت)(١).

أخبر رسول الله ﷺ عن المسلمين قاطبة، بأنهم اذا فسدوا جميعا، ولم تعد فيهم قومية واحدة صالحة لحمل لواء الخلافة، بعد فساد الخلافة الأخيرة ، فإن الأمر سينتزع من أيديهم ويقعوا فى فتنة عظيمة، وهى انحلال عروتهم وتفككهم وسقوط الخلافة ويؤمئذ يصبحون بلا خلافة وبلا وحدة وبلا رابطة ومن ثم يتسلط عليهم الروم.

(١) رواه أحمد فى مسنده عن ثوبان وأبوداود عن الكنز برقم ٣٠٩١٦ حـ ١١ ص ١٣٢

(فعن ابن مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال هذا الأمر فيكم وأنتم ولاته مالم تحدثوا أعمالاً تنتزعه منكم فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شرار خلقه فالتحوكم كما يلتحى القضيب)[1].

فالمخاطب هنا فى هذا الحديث هو الأمة الاسلامية قاطبة وليس قريش فقط، وليس العرب فقط، ولقد أحدثت الأمة هذه الأعمال، فانتزع الله تعالى الأمر والحكم منهم، وسلط عليهم شرار خلقه، والتحوا شعوب الأمة كما يُلتحى القضيب، فشرار الخلق مُتَسَلِّطُون على الأمة الاسلامية بعامة وعلى العرب منهم بخاصة منذ سقوط الخلافة العثمانية حتى الآن، وسيظل حتى يأتى أمر الله تعالى الذى نرجو أن يكون قريبا، والشاهد فى هذا الحديث الشريف أنه يتحدث عن امارة من امارات الساعة السياسية الرئيسية وهى سقوط المسلمين تحت حكم شرار الخلق، يلتحوهم كما يلتحى القضيب، وهو تعبير يدل على مايقرب من السلخ، لأن إلتحاء القضيب يعنى سلخه، فتسليط شرار الخلق على الأمة هو من سنن الله تعالى من ابتلاء الظالمين المفرطين بمن هم أظلم منهم.

وقد بدأ هذا مع ضعف الخلافة العثمانية، واستمر بسقوطها وبعد سقوطها، ولا زال مستمراً فى الأمة.

روى نعيم بن حماد بسنده عن الوليد بن يزيد قوله: (الملاحم بينكم حتى تأتيكم الرايات السود، ثم يخرج عليكم الترك فيقتلونهم ثم لاتجف برادع دوابكم حتى يخرج أهل المغرب)[2]

فقوله الملاحم بينكم خبر عن الملاحم بين المسلمين العرب بل هى ملاحم كائنة بين قريش مثل ما كان من فتنة مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم ما كان بين الخليفة الرابع على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه، ثم ما كان من مواقع بين الإمام على رضى الله عنه وبين الزبير وطلحة

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٢) نعيم بن حماد. حديث ٦٠٧

رضى الله عنهمـا، ثم ماكان من معارك بين الامام على رضى الـله عنه وبين الخوارج ثم الموقعة التى استـشهد فيها الحسين رضى الله عنه، ثم مـا كان من اراقة الدماء على يد الحـجاج وما كان مـن عبدالـله بن الزبـير رضى الـله عنه ومـقتلـه على يد جيش الحجاج، ثم ما كان من الدماء التى سالت علـى يد الحجاج بحجة قمع الفتن والقضاء على الخارجين، ثم ما كـان من الرايات السود الأولى بقيادة أبومسـلم الخراسانى التى قضت على الخلافة الأموية وأقامت الخلافة العباسية.

وبعدها سكنت المـلاحم بين المسلمين ومن ثم عبر عن هذا الخبر السابق (الملاحم بينكم حتى تأتيـكم الرايات السود) يعنى حتى مايكون من الدمـاء التى تسيل بالرايات السود، وسقوط الأموية، وإسـتباب الأمر للعباسية فلا تكون من مـلاحم بين المسلمين وانما تكـون فتوحات... ويظل الأمـر حتى الخليـفة السابع والـثلاثين من بنى الـعباس بالرغم من الضعف الشديد فى مركز الخليفة.

ثم سقـوط العباسـية وقيام الـعثمانـية التركيـة فقال (ثم تـخرج الترك فـيقاتلـونهم فيقتـلونهم أى يقاتـلون الحكام من ممالـيك ودول محلية أخـرى كانت تستقـل بالحكم بسبب ضعف الخليفة العباسى ويقاتلـون الخراسانيين أنصار العباسيين فيبسط الأتراك أيديهم على أكثـر أرجاء العروبة والاسلام حتى الهند والسند وظـلت هكذا أكثر من أربعمائـة عام وظلت راية الجهاد مرفـوعة تحت رايتهم فلا تجف بـرادع الدواب حتى يخرج أهل المغرب، وهو تعبير عن الحملات الصليـبية الحديثة انجلترا وفرنسا وايطاليا وسائر البلاد الأوروبية الاستعمارية.

هذه الفترة الـتى استعمر فيها الروم المحـدثون (الانجليز والفرنسيـون والايطاليون والأسبان والبـلجيك وغيرهـم) العالم الاسلامى منـذ أكثر من قرنين مـن الزمان هى التى بدأ فيها الاعداد لاسـقاط الخلافة الاسلامية الرابعة أى الخلافة التركـية العثمانية التى لـم تستطـع فى أواخر أيامـها حمايـة أوطان الأمة الاسلامـية من حمـلات الروم الحديثة.

إن خلافة الله تعالى فى الأرض صارت فى قوتها الى المدى التى خضعت لها جميع مجتمعات الدنيا: فكانت الصين تدفع للخليفة العباسى الجزية وكذا الروم وكل من جاور دار الأسلام من ديار الكفر.

إن عبارة هارون الرشيد رحمه الله للسحابة المارة عليه (أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك) لتدل على أن خلافة الله تعالى فى عصره أظلت بعدلها أكثر أرجاء المعمورة، ولكن بعد ضعف الخلافة بعد ذلك تجرأ المشركون المجاورون عليها ومنعوا الزكاة، وقد نبأ النبى ﷺ على هذه المرحلة بقوله (كيف أنتم اذا لم تَجْتَبِئوا ديناراً ولا درهماً، تنهك ذمةُ الله وذمةُ رسوله فيشد الله قلوب أهل الذمة فيمنعون مافى أيديهم)[1].

والاجتباء إفتعال من الجباية، ويفيد الحديث نقض أهل الذمة أى الروم وغيرهم لعهودهم فيمنعون الجزية بعد ضعف الخلافة، وإزدياد قوتهم، وأيضاً تجرؤ أهل الذمة من أهل الكتاب على المسلمين فى أوطانهم الذين يعيشون فى ديار الاسلام، وهذا يدل على ترك أحكام الشريعة حتى فيما يخص أهل الذمة. حتى شد الله قلوبهم وقواها فتجرأوا على المسلمين واستضعفوهم ومنعوا عنهم الجزية.

وقد صار هذا كما أخبر الصادق المصدوق وهو يعبر عن مرحلة من مراحل ضعف الأمة.

بل إن العلاقات بين العرب والموالى ومسلمة الأرضين سيصيبها الخلل كما عبر عن هذا كعب الأحبار باعتبار هذا الخلل امارة من امارات الساعة فقال:

(إذا رأيت العرب تهاونت بأمر قريش، ثم رأيت الموالى تهاونت بأمر العرب، ثم رأيت مسلمة الأرضين، تهاونت بأمر الموالى فقد غشيتك أشراط الساعة)[2].

والموالى: العرب المتعربة باللغة العربية بعد الاسلام ومسلمة الأرضين هم القوميات المختلفة غير الناطقين باللغة العربية من أمة الاسلام.

(١) أخرجه أحمد عن أبى هريرة ورواه البخارى بلفظ مختلف وأورده صاحب الكنز برقم ٣٠٩١٢ حـ ١١ ص ١٣١

(٢) رواه نعيم بن حماد فى الفتن ح رقم.

وقد كان لعرب الجزيرة ولقريش بصفة خاصة ولآل بيت النبى بصفة أخص المكانة العالية فى نفوس المسلمين جميعاً. وفى نفوس العرب الموالى الذين يتكلمون العربية وهم من أصول مصرية وسورية وعراقية وهكذا.

أما مسلمة الأرضين فكانوا يجلون كل عربى لقراءته القرآن ونشره العلوم الإسلامية.

فإذا كان آخر الزمان إستهان مسلمة الأرضين بالموالى واستهان الموالى بالعرب واستهانت العرب بقريش وهذا دليل على تفكك نسيج الأمة ولحاها وإنفراط عقدها وهو ما ماتعيشه الأمة الآن:

لقد عاد المصريون الى فرعونيتهم واليمنيون الى سبأيتهم وأهل الشام الى سوريانيتهم والعراقيون الى بابليتهم وهكذا فصار خوفو وخفرع ورمسيس وتحتمس أجل فى نفوس المصريين من الصحابة وصارت الفرعونية أجل عندهم من العروبة وصار نبوخذ نصر عند العراقيين بطلا أعظم فى نفوسهم من التابعين وخلفاء بغداد وهكذا. وهذا من امارات الساعة فى آخر الزمان وهو فى مرحلة سقوط الخلافة وظهرت دعوات الوطنية والقومية قبيل سقوطها وكانت من الدعوات التى أدت الى السقوط.

٣٧ - مرحلة سقوط الخلافة وتفكك الأمة

كانت مجتمعات الأمة الاسلامية قبل الاسلام أمماً متناحرة متحاربة فأهل الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر كانوا طيلة قرون طويلة فى حروب متوالية مستمرة منذ عهد الفراعنة والنمرود ونبوخذ نصر والذين مِنْ بعدهم، فلما جاء الإسلام وضعت الحرب أوزارهاَ بين هذه الشعوب، فلم تقع بينهم حروب الا ما كان من فتن داخلية لأسباب مذهبية، ولم تقم بينهم حروب شعوبية أو قبلية أو عصبية، بل ظلوا جميعاً تحت خلافة واحدة، يتحدون ويتعاونون ويتكاتفون ضد الغزاة الكفرة على أى بلد من بلدانهم، وذلك منذ قيام الخلافة الراشدة وحتى سقوط الخلافة العثمانية، أى أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان، وكان ولاة الأمصار والأقاليم يرسلون خراج

بلادهم الى الخلفاء الراشدين بالمدينة، ثم الى الخليفة الأموى فى دمشق ثم العباسى فى بغداد، ثم العثمانى فى إسطنبول، ويعتبر توحد هذه المناطق وما يسكنها من شعوب طيلة هذه القرون إعجازا تاريخياً لأهل هذه المنطقة التى إتسعت وامتدت حتى شملت أقصى غرب أفريقيا وشمالها ووسطها وأكثر أجزاء آسيا، وقد عبر عن هذه الحال السياسية ونبأ عنها نبيان من انبياء بنى اسرائيل فى سِفْرَيهما.

الأول: جاء فى سفر ميخا فى الإصحاح الرابع مايلى (ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً فى رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجرى اليه شعوب[1]. وتسير إليه أمم كثيرة، ويقولون هلم نصعد الى جبل بيت الرب، وإلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب فيقضى بين شعوب كثيرين ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته، لأن فم رب الجنود تكلم، لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم الهه ونحن نسلك باسم الرب الهنا إلى الدهر والأبد) [٢].

وتفسير هذا النص أن جبل بيت الرب فى آخر الأيام هو جبل الكعبة، وهذا هو الاسم الذى يطلق على الشارع المؤدى الى الكعبة فى مكة (ش جبل الكعبة) وهو ثابت فوق الجبال لأنه فى منطقة مرتفعة عن المناطق المحيطة به فى الجنوب والشمال والغرب، وقوله: (وتجرى اليه شعوب) هى الشعوب العربية المسلمة فى الحج والعمرة، وتسير أمم كثيرة: اشارة الى القوميات الاسلامية المختلفة وهى كثيرة: أتراك وفرس، وهنود، وزنوج وخزر واهل جاوة وروم (قوله بيت إله يعقوب) ربما كانت

---

(١) يغلب على الظن أن أهل الكتاب إستبدلوا اسم يعقوب باسم ابراهيم عليهما السلام لأن النص يتحدث عن بيت الرب الذى يكون ثابتا فى رأس الجبال وهو الكعبة التى بناها أبو الانبياء وأبو المسلمين إبراهيم عليه وعلى نبينا وجميع الانبياء الصلاة والسلام وتَغييرهم اللفظ من اسم ابراهيم الى اسم يعقوب حتى يكون البيت خاصا بهم وكذبوا فلم يكن لهم بيت للرب ولن يكون وإنما كانت قبلتهم هيكلاً.
(٢) ميخا/ اصحاح ٤/ عدد ١ ـ ٥.

تحريفاً من اليهود والأصل أن تكون بيت إله ابراهيم أو محمد صلى الله عليهما وسلم، والمعنى واحد.

قوله (لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب) هي محرفة بلا شك لأن الشريعة المنزلة في آخر الأيام ليست شريعة موسى، والنص يتحدث عن آخر الأيام، كما جاء في أوله، بل هي شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وقد خرجت من مكة ومن المدينة، وليس من صهيون ولا أورشليم ولم تنزل شريعة على المسيح، إذ لم ينسخ الانجيلُ التوراةَ، بل هي شريعته فأين الشريعة التي خرجت من فلسطين في آخر الأيام؟ وقد نزلت التوراة على موسى في سيناء قبل أن يدخل بنو إسرائيل فلسطين.

وكان نتيجة الفتوحات الاسلامية لكل البلاد المحيطة بأم القرى والمدينة المنورة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً أن أسلموا جميعاً ونعموا بعدل الشريعة وسلامها ولم تقم بينهم حروب كما كانت قبل الاسلام، وتحولت فعلاً سيوفهم الى نقود مسكوكة ورماحهم مناجل للزراعة، ولم تغز أمةٌ أمة أخرى أو شعب شعباً آخر لأنهم صاروا جميعاً بقيادة خليفة واحد وستكون هذه عقيدة الشعوب الى آخر الزمان أي الى أن يبدأ اليوم الآخر وهذا معنى عبارة (ونحن نسلك باسم الرب الهنا الى الدهر وإلى الأبد). أي جميع الشعوب تعبد ربا واحدا، وينطبق هذا المدلول على قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ /٩٢/ الأنبياء﴾

وجاء في سفر أشعياء:

(ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري اليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد الى جبل بيت الرب الى بيت اله يعقوب، فيعلمنا من طرقه، ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب...)، أشعياء وهو نفس النص الذي جاء في سفر ميخا تقريباً.

---

(١) أشعياء / اصحاح ٢/ عدد ٢ ـ ٥.

والحوادث التاريخية تثبت كما قلنا أن الشريعة قد خرجت من مكة فى آخر الزمان، وهى بيت الرب الذى فى رأس الجبال، ولم تخرج شريعة من صهيون اللهم الا الانجيل وهو توحيد بلا شريعة.

فهذان النصان يتحدثان عن الخلافة الاسلامية التى دامت ثلاثة عشر قرنا... عاشت الشعوب خلالها فى سلام فيما بينها، وتتحد وتحارب ضد الغازى تحت راية واحدة هى راية الخلافة، لما كان الوالى فى كل مصر من أمصار العالم الاسلامى يعينه الخليفة، وكان الوالى يرسل مافاض عنده من خراج الأرض الى الخليفة ليوزعه على الأمصار الفقيرة أو الجائعة.

ومن ثم يكون امتناع الوالى عن ارسال الخراج لعاصمة الخلافة خروجاً عليه، بل يكون بمثابة عدم اعترافه بالخليفة باعتباره رأس النظام السياسى الذى تعيشه الأمة. ومن ثم يكون هذا هدما لوحدة الأمة الاسلامية، وإن كانوا قد عبّروا عن هذا العمل باستقلال مصر وسوريا والعراق عن تركيا، وهذا ما أخبرنا به رسول الله ﷺ باعتباره أمارة من امارات آخر الزمان، وهو تسمية الأشياء والأعمال بغير اسمها، فسموا الخروج على السلطان الشرعى استقلالا، وقد عبّر رسول الله ﷺ عن سقوط الخلافة وانفراط عقد الأمة بقوله (منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُدْيَها ودينارها ومنعت مصر أردبّها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم)(١) أى عدتم يا أهل الجزيرة العربية كما كنتم قبل الإسلام قبائل متفرقة ودويلات وعادت الامصار الاسلامية دولاً مختلفة متناحرة، متحاربة كما كانت قبل الخلافة الإسلامية الراشدة.

فمنع الخراج والعودة من حيث بدأنا أى سقوط الخلافة واستمرار أحوال الأمة أمصارا ودولاً (ملوكا ورؤساءاً وأمراءاً وشيوخاً) متفرقين كما كانوا قبل الاسلام سياسيا، شعوبا متفرقين يتسلط عليهم الروم. والآن صاروا شعوباً متفرقين يتسلط عليهم الأشرار الروم واليهود، وتلك هى مرحلة الغربة والقصعة فى الجانب السياسى.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه الفتن باب لا تقوم الساعة رقم ٢٨٩٦ وأخرجه الامام احمد عن أبى هريرة وأخرجه أبو داود.

٣٨ - مراحل التغيير في النظام السياسي حتى سقوط الخلافة

أخبر الصادق المصدوق ﷺ بالمراحل التي يستمر بها النظام السياسي في تاريخ الأمة حتى سقوط الخلافة، وذلك في بضع أحاديث شريفة تعتبر جميعها دلائل على صدق نبوته ﷺ لأنها حدثت خلال الأربعة عشر قرنا الماضية كما أخبر ففي التغير السياسي والاقتصادي حدد معالم سياسية رئيسية للتغير ومعها معلماً إقتصاديا بقوله ﷺ (ما كانت نبوة قط الا تبعتها خلافة ولا كانت خلافة قط إلاتبعها ملك ولا كانت صدقة قط الا تبعتها مكساً)(١).

وذلك لأن النظام السياسي الاسلامي يقوم على البيعة والشورى، والملك يخالف هذا لأنه وراثي واستبدادي في أكثر الأحوال، وكذا النظام الاقتصادي الاسلامي محوره الزكاة والصدقة والملكية الفردية ونقيضه الجاهلي محوره الضرائب (المكس والربا).

ويعتبر جمع التغير في النظام السياسي مع التغير في النظام الاقتصادي في حديث واحد، دليل على ارتباطهما وعلى أن التغير في أحدهما يؤدي الى التغير في الآخر، وإن دراسة أحد النظامين مستقلاً عن الآخر من ناحية، ودراستهما مستقلين عن البناء الاجتماعي، أي الدين القائم في حياة الناس من ناحية أخرى خطأ منهجي وموضوعي في آن واحد، ولذلك قام علم الاقتصاد السياسي على أيدي اليهود الذين تمرسوا على هدم أديان المجتمعات، فأدركوا هذه الحقائق فلم يفصلوا عند تخطيطهم لإحداث التغييرين هذه الأنظمة. وظهر ـ كما ذكرنا من قبل ـ علم الاقتصاد السياسي.

وفي حديث آخر أنبأ رسول الله ﷺ عن إمارة سياسية أخرى من امارات الساعة وعن التحول اليها بالتدريج خلال القرون الهجرية الماضية، فقال عليه الصلاة والسلام (إن الله تعالى بدأ هذا الأمر بنبوة ورحمة، وكائنا خلافة ورحمة، وكائنا ملكاً عضوضاً وكائناً عتواً وجبرية وفساداً في الأمة، يستحلون الفروج والخمور والحرير

(١) رواه ابن منده عن كنز العمال برقم ٣٤٤٧ ح ١١ ص ٢٥٩.

وينصرون ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله عز وجل)[1].

وقد كان كما أخبر الصادق المصدوق خلال تاريخ الاسلام فقد مر النظام السياسى ونظام الحكم عبر المراحل التالية:

١ ـ نبوة ورحمة انتهى بتلبية رسول الله ﷺ نداء ربه ولحوقه بالرفيق الأعلى.

٢ ـ خلافة ورحمة بدأت ببيعة الصديق الأكبر أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه وانتهت ببيعة الحسن بن على عليهما السلام لمعاوية عام الجماعة.

٣ ـ ملكاً وتضمن مرحلتين ملكاً ورحمة للخلفاء الذين حكموا بالشريعة وعدلوا مثل معاوية وعمر بن عبدالعزيز وهارون الرشيد وغيرهم كثير، وملكاً عضوضاً وهم أكثر ملوك الأموية والعباسية والعثمانية حيث حافظوا على الملك بما هو مشروع وغير مشروع.

٤ ـ عصر الجبابرة والمفسدين والعتاة فهؤلاء استحلوا الحرام من الزنا والقتل والاستيلاء على أموال الناس والكذب والتزوير وكل الوسائل التى يحافظون بها على الكرسى، وهؤلاء ليسوا ملوكاً وليسوا من الذين يطبقون الشريعة الاسلامية، ولا يعاقبهم الله تعالى على عتوهم وجبروتهم فى الدنيا، ويؤجل عقوبتهم للآخرة وعلى هذا فالجور والظلم زاد فى تاريخ الأمة بالتدرج البطيء من خلال هذه المراحل السياسية التى حكم بها المسلمون طيلة القرون الثلاثة عشرة.

روى الامام أحمد عن معقل بن يسار رفعه (لا يلبث الجور بعدى إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد فى الجور من لا يعرف غيره. ثم يأتى الله بالعدل فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله حتى يولد فى العدل من لا يعرف غيره)[2].

---

(١) رواه ابو داود الطيالسى ورواه الطبرانى.

(٢) رواه الامام أحمد.

وهذا يدل على أن مرحلة الملك تتضمن فى داخلها عدة مراحل يتدرج بها الحكم الملكى من الرحمة الى أن يغلب عليه الجور، فإذا أوشك الجور أن يكتمل ظهر عهد الجبابرة العتاة المفسدين فى الأرض فيكون الجور ظاهراً يملأ الدنيا.

وقد روى حذيفة حديثاً عن النبى ﷺ يتضمن هذه المراحل التفصيلية للملك الذى يأتى بعد الخلافة الراشدة ويستمر قرابة ثلاثة عشر قرنا من الأربعة عشر قرناً الاسلامية يقول الحديث:

سيكون بعدى خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ثم يؤمر بعده القحطانى فالذى بعثنى بالحق ماهو بدونه).

والحديث ينص على مجىء العدل باذن الله تعالى بعد تمام الجور أى بعودة الخلافة الاسلامية بعد سقوطها وهو ما يتمثل فى عودة الخلافة الراشدة بزعامة المهدى عليه السلام، يوضح هذا ويبين علاقته بسقوط الخلافة وعودتها الحديث الذى رواه نعيم ابن حماد في الفتن عن حذيفة قال (تكون فتنة ثم تكون جماعة وتوبة، ثم جماعة وتوبة حتى ذكر الرابعة) (٢).

الأولى: ماحدث بين الصحابة وصارت الى جماعة وتوبة ببيعة الحسن بن على رضى الله عنهما لمعاوية عام الجماعة فكانت توبة وجماعة.

الثانية: ما كانت من العباسيين وأبى مسلم الخراسانى وانقضاضهم على الأمويين وانتزاع الحكم منهم فكانت توبة وجماعة يوم بايعت الأمة الخليفة العباسى الأول.

الثالثة: يوم أن سقطت العباسية تماما وكانت العثمانية باخضاع الأمصار الاسلامية لها وبايعوا السلطان العثمانى فكانت توبة وجماعة.

الرابعة: عام ١٩٢٤ يوم إعلان سقوط الخلافة الإسلامية وإلغاء الحكم الاسلامى فى تركيا وقيام دولة تركيا العلمانية وتفكك العالم الاسلامى.

---

(١) رواه الطبرانى فى كنز العمال ٣٨٦٦٦٧ حـ ١ ص ١١

(٢) الفتن نعيم بن حماد حـ ١ ص ٥٣ حديث ٧٩.

٣٩ - الرابعة من صناعة الدجال من خلف ستار.

ولم تكن توبة من الأمة حتى الآن ولم تكن جماعة، فالأمة كلها آثمة منذ قرابة خمسة وسبعين عاماً

وروى نعيم عن حذيفة أيضاً بسند آخر قال: قال رسول الله ﷺ: (تكون فتنة ثم تكون جماعة ثم تكون فتنة ثم تكون جماعة ثم فتنة تعوج فيها عقول الرجال)[١].

وروى نعيم أيضا عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: (تكون فى أمتى أربع فتن يكون فى الرابعة الفناء) والفناء ليس فناء الأمة ولكن الفناء العام وهو العذاب المنتظر بالخسف والقذف والصدوع أى زلزال الأرض العظيم، واحداث القيامة الصغرى.

أما قوله ﷺ فى الحديث الأسبق (تعوج فيها عقول الرجال) فهو اشارة الى ما سبق أن ذكرناه من الامارات الخلفية اذ يرون المعروف منكراً والمنكر معروفاً وهذا معناه فساد العقول وإعوجاجها.

وهذا طبعا فى الفتنة الرابعة التى لم تعد بعدها الأمة فى جماعة ولم تتب الى الله تعالى حتى الآن.

وهو عهد الجبابرة العتاة المفسدين فى الأرض، إذ ليس من تجبر وعلو وإفساد أشد من جعل الشر خيراً والخير شراً والطيب خبيثاً والخبيث طيباً والمنكر معروفا والمعروف منكراً.

ويتضح لنا من هذه الأخيرة أنها من صنع الصهاينة الذين خططوا للإفسادة الأخيرة فوصلوا الى حد أن جعلوا عقول المسلمين معوجة كما أنبأنا بذلك رسول الله ﷺ.

فالفتنة الرابعة التى ليست لها توبة، أى المستمرة حتى الآن، هى التى صنعها الدجال من وراء ستار وهى التى تؤدى الى فتنته الظاهرة حين يعلن عن نفسه زاعما أنه رب الناس.

---

(١) الفتن/ نعيم بن حماد. جـ ١ ص ٥٣ ح ٨١.

روى نعيم فى الفتن عـمن سمع حذيفة بن اليمان رضى الـله عنه وقال له رجل: خرج الدجال فقال حذيفة: أما ما كان فيكم أصحاب محمد ﷺ فلا.

والله لا يخرج حتـى يتمنى قوم خروجه ولا يخرج حتى يـكون خروجه أحب الى أقوام مـن شرب الماء البارد فى اليـوم الحار، وليكونن فـيكم أيتـها الأمة أربـع فتن! الرقطاء والمظلمة وفلانة وفلانة، ولتسلمنكـم الرابعة الى الدجال وليقتتلنَّ بهذا الغائط فتتان ما أبالى فى أيهما رميت بسهم كنانتى)(١).

فالرابعـة التى هى سقوط الخـلافة الاسلامية بلا عودة حـتى الآن، هى التى تسـلمنا للدجال، أى لحكمه وان كان خافيا، وهى التى تصبـح الأمة الاسلامية فيها كالثريد فى القصعة، وهى التى سلط الله تعالى على المـسلمين بأعمالهم شرار الخلق وهم اليهود، بعـد أن علوا عـلواً كبيـراً بالافسـادة الثانـية، التـى يقودهـا الدجال وهى الـتى سيظل المسلـمون فيها مستـسلمين للـيهود بزعامـة الدجال يفرضون عـليهم مايريـدون حتى مناهج التعليم حتى يأتى أمر الله تعالى بالفناء ثم بعودة الخلافة الراشدة.

فالرقطاء فى هذا الحديث ذات اللونين هى الفتنة التى كانت بين الإمام على بن أبى طالـب رضى الله عنه وبين معاوية ثم بينه وبين طلحة والزبير.

والمظلمة هى التى كانت بين الرايات السود وبين الأمويين.

ثم فلانة التى سقـطت فيها العباسية ثم فلانـه التى سقطت فيها العثمـانية وبسقوط العثمانية وهى الرابعة آل أمر الأمة الى الدجال.

أما قولـه رضى الله عنه (ولـيقتتلـن فى هذا الغائـط) إشارة الى حفر البـاطن وهو وادى منخـفض ومن ثم فهـو غائط وقد اقتتـلت فيه الأمة، الـعراق فى جانب وبـقية الأمة تحت لواء أمريكا فى الجانب الآخر فى حـرب الأربعين يوما بسبب غزو العراق للكويت، ثم قرار مجلس الأمن ومجىء جيوش سبعة وثلاثين دولة ما كانت تتحرك هذه الجيوش لولا أنها حسـب طلب الصهيونية ولمصلحة اليـهود واسرائيل وقوله (ما

(١) أورده المندي في كنز العمال بقرم ٣١٢٨٦ وعزاه إلى نعيم في الفتن.

أبالي في أيها رميت بسهم كنانتي) كناية عن أنه رضي الله عنه لا يرضى عن الفريقين ويذمهما حتى أن كلاً منهما يستحق ما يحدث له في هذه الحرب من القتل والعذاب وأخرج نعيم ابن حماد أيضا بسنده (حدثنا أبو الطفيل قال سمعت حذيفة يقول: الفتن ثلاث تسوقهم الرابعة الى الدجال، التي ترمى بالرضف والتي ترمى بالنشف والسوداء المظلمة والرابعة هى التى تموج موج البحر).

وأخرج نعيم أيضا عن أرطأة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: تكون في أمتى أربع فتن يصيب أمتى فى آخرها فتن مترادفة.

فالأولى: يصيبهم فيها بلاء حتى يقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف.

والثانية: حتى يقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف.

والثالثة: كلما قيل: انقضت تمادت.

والفتنة الرابعة: يصيرون فيها الى الكفر اذا كانت الإمَّعة، مع هذا مرة ومع هذا مرة بلا إمام ولا جماعة ثم المسيح ثم طلوع الشمس من مغربها ودون الساعة اثنان وسبعون دجالاً منهم من لا يتبعه الا رجل واحد)[1].

والذى يهمنا هو الرابعة التى صار فيها جمهور المسلمين وعامتهم إمَّعة يصيرون مع هذا مرة ومع ذلك مرة فى عهد دعاة الضلالة والجبابرة العتاة المفسدين فى الأرض، ومن ثم يصيرون الى الكفر، كما جاء فى الحديث، فالرابعة هى المكفرة وفى الزمن الذى تكون فيه الأمة بلا إمام ولا جماعة، وهذا يدل على أنه بعد سقوط الخلافة، تعيش الأمة بلا إمام أى بلا خليفة ومن ثم بلا جماعة.

وهو عصر الدجال الذى يسبق المسيح بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها.

وهى فتنة الأحلاس التى يصير المسلمون فيها الى معسكرين معسكر ايمان لا نفاق فيه، لأن المؤمن غريب يضطهد ويعذب، فمن الذى ينافق اذاً.ولِمَ يُظهر الايمان ويبطن

(١) نعيم بن حماد فى الفتن جـ ١ ص ٥٦ حديث رقم ٩١.

الكفر؟ اذ يحدث العكس فيُظهر المؤمن البعد عن الايمان ويبطن الايمان بسبب الغربة وما يتعرض له المؤمنون من عذاب ونِكال. ومن ثم يصبح معسكر الايمان بلانفاق.

ويُفَصِّلُ الرسول ﷺ هذه الفتنة الرابعة فيما أخرجه نعيم بسنده عن عمير بن هانيء قال قال رسول الله ﷺ (فتنة الأحلاس فيها حرب وهرب، وفتنة السراء يخرج دخنها من تحت قدميْ رجل يزعم أنه منى وليس منى، انما أوليائى المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل، ثم تكون فتنة الدهماء، كلما قيل إنقطعت تمادت حتى لا يبقى بيت فى العرب الا دخلته يقاتل فيها لا يُدرى على حق يقاتل أم على باطل؟ فلا يزالون كذلك حتى يصيروا الى فسطاطين: فسطاط ايمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا ايمان فيه، فإذا هما اجتمعا فأبصر الدجال اليوم أو غدا)(١).

فتنة الاحلاس هى الفتنة الرابعة ومعنى الأحلاس(٢) الإستمرار والدوام والمكوث طويلاً، والحرب التى لازمها الهرب هي حرب فلسطين عامى ٤٧، ١٩٤٨ وقد هرب أهل فلسطين من المذابح وظلوا فى مخيمات طيلة خمسين عاماً كاملة،فأى فتنة مستمرة هذه؟(٣).

وفتنة السراء هى فتنة البترول وما سببه البترول من حرب بين العرب لأول مرة منذ سقوط الخلافة، وقد خرجت من تحت قدم الرئيس صدام حسين وقد زعم أنه من نسل جعفر بن أبى طالب أى أنه هاشمى من أبناء عبدالمطلب، وخروج دخنها هو الظلمة التى أظلت الكويت نتيجة حرق الآبار.

ثم ستحدث الملاحم فى فتنة الدهيماء بعد ذلك، لا يدرى المقاتل على أى شيء يقاتل، وعندما يخرج المهدى سيصير الناس الى معسكرين: الذين معه وهم المؤمنون، والذين عليه وهم المنافقون، حتى ينصره الله عليهم، فيجتمعون جميعاً تحت لواء

---

(١) وأخرجه أحمد ابن حنبل من حديث ابن عمرو أبوداود والحاكم وصححه وأقره الذهبى.

(٢) الاحلاس جمع حلس وهو القماش الذى يوضع على ظهر البعير ويلازمه حتى يبلى فصارت الكلمة كناية على الدوام والاستمرار.

(٣) أخبرنى أحد الاخوة الفلسطينين الذى تركوا ديارهم أمام الهجمات الصهيونية الشرسة، أنه كان يسمع من يقول لهم: اتركوا كل شيء، فكلها يومين ونعود، حتى أن كثيرا من أهل قريته تركوا حتى المال وذهب الزينة وما كان هذا القول إلا ثقة فى الجيوش العربي التى ستهب لنجدتهم فإذا باليومين يصيرا أحلاما بلغت خمسين عاما حتى الآن.

خلافة واحدة، وسيُظهر حينئذ الكافرون الايمان ويبطنون الكفر، فإذا انتصر المهدى ووحد العالم الاسلامى تحت خلافة راشدة (فأبصر الدجال اليوم أو غدا)يعنى أنه سيخرج ويعلن عن نفسه حتى يراه الناس ويدعى الربوبية، بينما هو قبل ذلك موجود، وهو صانع الفتن التى قبله ولكن من وراء ستار، لذلك قال «فأبصر» للدلالة على خروجه العلنى الأخير.

ويأتى تفصيل هذه الدهيماء الرابعة وما تحدثه بالأمصار الاسلامية فى الحديث الذى أخرجه نعيم أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ (تأتيكم بعدى أربع فتن: الأولى: يُستحل فيها الدماء، والثانية: يُستحل فيها الدماء والأموال، والثالثة: يستحل فيها الدماء والأموال والفروج، والرابعة: صماء عمياء مطبقة تمور مور الموج فى البحر، حتى لايجد أحد من الناس منها ملجأ. تطيف بالشام وتغشى العراق وتخبط الجزيرة بيدها ورجلها، وتعرك الأمة فيها بالبلاء عرك الأديم، ثم لا يستطيع أحد من الناس يقول فيها: مه مه ثم لا يرفعونها من ناحية إلا انفتقت من ناحية أخرى)(١).

فهذه الرابعة هى التى تنتشر حتى لا يبقى بيت من العرب الا دخلته وهى الصماء العمياء المطبقة تبدأ بسقوط الخلافة التى أدت الى حروب فلسطين ١٩٤٨ثم ١٩٥٦ ثم ١٩٦٧ ثم ١٩٧٣ ثم غزو لبنان ١٩٨١ ثم حرب الكويت ١٩٩١ وهى أول أشراط الساعة الكبرى وينتظر بعد ذلك حروب بين الروم والترك واسرائيل من ناحية والعراق وسوريا من ناحية أخرى وليبيا ومصر حتى يخسف بجيش السفيانى بعد بيعة المهدى، ثم موقعة كلب بين الرايات السود الآتية من أفغانستان وخراسان وتكون الموقعة بقيادة المهدى، ثم يوحد العالم الاسلامى وتنعم الأمة فى عهده نعمة لم تنعمها قط، ثم موقعة الملحمة العظمى بين أوروبا والمهدى، ثم يخرج الدجال سافراً ويبصره الناس، ثم ينزل المسيح بن مريم عليهما السلام، فيقتل الدجال واليهود، ثم يأجوج ومأجوج ويقتلهم الله تعالى ومن ثم تضع الحرب أوزارها.

---

(١) رواه نعيم بن حماد فى الفتن وأورده فى كنز العمال الشيخ الهندى برقم ٣١٠٤٧ وقال رجاله ثقات ولكن فيه انقطاع.

هذه الفتنة الرابعة بدأت منذ سقوط الخلافة العثمانية ولازالت مستمرة لم تنته بعد، وهي تنتهي بقيام الخلافة الراشدة، وتكون فتنة الملحمة والدجال الخامسة، وهي من أكبر امارات الساعة بل هي أول عصر الامارات، وقد أشار اليها سفر دانيال باعتبار أنها العلامة على بدء زمن العجائب وامارات الساعة في جميع الجوانب، يقول دانيال عليه السلام في نهاية سفره. (فنظرت أنا دانيال واذا باثنين آخرين قد وقفا، واحد من هنا على شاطىء النهر، وآخر من هناك على شاطىء النهر. وقال للرجل اللابس الكتان الذى من فوق مياه النهر: الى متى انتهاء العجائب؟ فسمعتُ الرجل اللابس الكتان الذى من فوق مياه النهر إذ رفع يمناه ويسراه نحو السموات وحلف بالحي الى الأبد!: أنه الى زمان وزمانين ونصف، فإذا تم تفريق ايدى الشعب المقدس تتم كل هذه.

وأنا سمعت وما فهمت، فقلت: ياسيدى ماهي آخر هذه؟

فقال: اذهب يادانيال، لأن الكلمات مخفية ومختومة الى وقت النهاية كثيرون يتطهرون ويبيضون ويمضون، أما الأشرار فيفعلون شراً، ولا يفهم أحد الأشرار لكن الفاهمون يفهمون)[١].

الذين يقول عنهم دانيال عليه السلام: رجالا لابسين كتان فوق المياه وعلى الشاطئين هم ثلاثة ملائكة يسأل أحدهم ويجيب الآخر.

والسؤال الأول هو: الى متى انتهاء العجائب؟ والعجائب هي خوارق الدجال التى ورد عنها عندنا في السنة بالاحاديث الصحيحة التى تثبت أنه سيجرى على يديه إنزال المطر وانبات الزرع وامتلاكه جنة ونـاراً واخراجه الكنوز من الأماكن الخربة أي أماكن الآثار واحياء والدى الرجل[٢] فيقولان له آمن به واتبعه فإنه ربك وشق مؤمن المدينة نصفين ثم إعادته وغير ذلك.

(١) دانيال/ اصحاح ١٢/ ع ٥ - ١٠.
(٢) ليس إحياءاً حقيقيا ولكنهما شيطانان يتمثلان للرجل في صورة أبيه وأمه لانه لا يحى ولا يميت الا الله تعالى والدجال أهون على الله تعالى من أنه يجرى على يديه مثل هذه الخوارق ولكنها خدع شيطانية اذ تتعاون معه الشياطين بامر ابليس لهم لاضلال الناس.

والسؤال عن انتهاء العجائب معناه السؤال عن انتهاء مدة الدجال في الأرض فكانت الاجابة: زمان وزمانين ونصف.

والزمان الأول الوتر هو الوحدة الزمنية الأولى وهى السنة، والزمان الثانى الشفع هو الوحدة الزمانية الثانية وهو الشهر، وقوله بعد ذلك نصف أى نصف الوحدة الزمانية الأخيرة أى نصف شهر وذلك لأنه لم يقل ونصف زمان ولو قال لكان نصف اسبوع لأنه الوحدة الزمانية الثالثة لكنه قال (زمانين ونصف) فدل على أن النصف هو نصف الزمان الشفع ومن ثم يكون مكث الدجال حسب هذا التفسير بعد خروجه علناً وعمل مخاريقه وعجائبه كالتالى:

١ ـ زمان سنة أى ١٢ شهر.

٢ ـ زمانان ونصف أى ٥ , ٢ شهر.

فتكون مدته فى الأرض ٥ , ١٤ شهر.

وهى كما أخبرنا نبينا المصطفى ﷺ عن مدة مكثه فى الأرض بعد خروجه المعلن فيما رواه مسلم فى صحيحه عن النواس بن سمعان الكلابى رضى الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداه من الحديث وفيه: قلنا يارسول الله وما لبثه فى الأرض؟ قال أربعون يوماً. يوم كسنه ويوم كشهر ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم.

قلنا يارسول الله فذلك الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، أقدروا له قدره)

فاليوم كالسنة ١٢ شهر

واليوم كالشهر ١ شهر

واليوم كالجمعة ١ اسبوع

والباقى من الأربعين يوم ٣٧ يوم.

أي شهر واسبوع فيكون المجموع ٥ , ١٤ شهر وهى نفس المدة التى جاءت فى سفر دانيال بتعبير زمان وزمانين ونصف حسب تفسيرنا له، وهى بحساب السنة القمرية ٥ , ٤٢٨ يوم تزيد ١٣ يوما بحساب السنة الشمسية ولكن لما كانت شريعة التوراة تعتمد التقويم القمرى كالشريعة الاسلامية فإنها تكون بالقمرية.

والشاهد الذى يهمنا فى هذا النص كله هو قوله (فإذا تم تفريق أيدى الشعب المقدس تتم كل هذه).

فإذا ثبت لنا أن العجائب هى عجائب الدجال وأن مدته أربعون يوما تساوى أربعة عشر شهراً ونصف كما هو فى السُّنّة، فإن هذا يكون فى آخر الزمان الذى يكون العرب فيه هم شعب الله المختار، وهم الشعب المقدس، وبالتالى يكون المقصود بتفريق يد الشعب المقدس هو تفريق يد المسلمين والقضاء على وحدتهم بسقوط الخلافة العثمانية.

وقد ربط بذلك الملاك بين العجائب والمخاريق أى زمن الدجال وبين سقوط الخلافة، يدل على هذا قول الملاك لدنيال بعد ذلك: (إذهب يادانيال لأن الكلمات مخفية ومختومة الى وقت النهاية). أى أن هذه الأحداث ستكون فى نهاية الدنيا، ومع بدأ اليوم الآخر وزمن حدوث الآيات، حيث سيتطهر كثيرون ويمحصون ويبيضون، الابتلاءات والمذابح التى يعانى منها المسلمون فى هذا العصر (فلسطين ـ أفغانستان. البوسنة، الشيشان. الهند، كشمير. العراق حيث قضى الحصار على ملايين منهم مليون طفل) وغيرهم وكل هذا تطهير وتبْيِيض لهم ثم قوله بعد ذلك (أما الأشرار فيفعلون شراً وهم اليهود فى افسادتهم الكبرى الأخيرة ومن شايعهم من النصارى فى أوروبا وأمريكا والماسون ثم قوله بعد ذلك (ولا يفهم أحد الأشرار ولكن الفاهمون يفهمون) العبارة الأخيرة تعنى أنه لا يفهم هذه النصوص على حقيقتها الا المسلمون الذين عندهم الحكمة السماوية وهى السُّنّة النبوية الشريفة، أما

الأشرار فلا يمكن للواحد منهم أن يفهم هذه النصوص(*) والخلاصة أن سقوط الخلافة امارة من امارات الساعة ترتبط بإفسادة اليهود الأخيرة وعلوهم الكبير فى الأرض لأنهم هم الذين خططوا لاسقاطها بقيادة قائدهم الدجال الاعور.

أما ما الذى خططوه لاسقاط الخلافة وكيف تم لهم هذا؟! ففى الصفحات التالية.

٤٠ - مخططات اليهود الخبيثة لإسقاط الخلافة العثمانية وتفريق المسلمين

لقد كان اليهود الصهاينة أشبه ما يكونوا بالنفس الخبيثة أو بالشيطان الذى يتقمص الإمبراطورية البريطانية الشاسعة التى كانت تستعمر ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تقريباً.

ولعلمهم بذلك تغلغلوا فيها وتقمصوها إقتصاديا وسياسياً، وفعلوا هذا مع أمريكا وروسيا من بعد، ومن ثم استخدم الصهاينة إمكانيات بريطانيا العظمى للاستيلاء على فلسطين وإقامة اسرائيل بالافسادة الأخيرة والعلو الكبير، وليس معنى هذا أنهم لم يسيطروا على فرنسا مثلاً وسائر دول أوربا ولكن كانت سيطرتهم ولا زالت على بريطانيا أشد.

ولما حاولوا مع السلطان عبدالحميد رحمه الله لكى يسمح لهم بالهجرة وامتلاك الأراضى فى فلسطين والقدس فرفض، وفشلوا فشلاً ذريعا كما سترى فقد غيروا المخطط لكى يتضمن الإسراع بإسقاط الخلافة، ومن ثم ينفرط عقد البلاد الاسلامية وتصبح حماية بريطانية على فلسطين وسيطرتها عليها كاملة، ويسهل بذلك توريثهم فلسطين.

ومن الشخصيات الهامة الرئيسية التى لعبت دوراً فى القضاء على الخلافة باسم بريطانيا فى الظاهر ولصالح التاج البريطانى فى الظاهر، بينما هو فى الخفاء من

* وهذه هى الحقيقة اذ يجد القارىء شروح هذه الأسفار عندهم ضلالاً بعيداً ومتاهات واختلافات جذرية.

الصهايـنة، ويعمل لصـالح نجمة داود فى الحقـيقة والخفاء هو تـوماس إدوارد لورنس الشهير بلورنس العرب والمولود فى ١٨٨٨ م والمتوفى ١٩٣٥ م.

يقول زهـدى الفاتح فى كـتابه لورنس الـعرب (قبيـل أن يرى لورنس نـور الحياة تنـبه البـاب العالـى فى الامبـراطورية الـعثمـانية الـى المرامى الـبعيـدة الكامنة وراء المخططات الصهيونية الظاهرة ففصل السلطان عبدالحميد (سنجق القدس) عن ولاية سوريا سنة ١٨٨٧ وأخضعه لادارته المباشرة.

وقبل سنـة من هذا الاجراء أعلنـت السلطات العـثمانية عن عـدم سماحها مطـلقاً بانشاء مستعمرات يـهودية فى فلسطين موكدة عزمها على تطبـيق القوانين بشدة بحق الأجانب (ويقصد اليهـود) الذين استملكوا بوسائل غير مشـروعة أرضا فى فلسطين بعدما دخلوا اليهـا متذرعين بالزيارة والحج، لكنهم أقاموا فـيها بصورة دائمة وراحوا يسعون الى استملاك الأراضى الفلسطينية.

بل إن الامبراطورية العثمانية وعت فى وقت مبكر جداً أخطار استيطان اليهود فى فلسـطين ففرضـت منع الاستـيطان اليـهودى فى الأرض المقـدسة، وذلك فى فـرمان اصدرته فى شـهر نيسان سنـة ١٨٨٢م، لكن اليهودية الـعالمية لم تيـأس وراحت تبذل كل ما فـى وسعها لـلحصول علـى فرمان من الـباب العالـى يقضى للـسماح للـيهود بالهجرة الى فلسطين أو الى البلدان المجاورة مغـتنمة فرصة بدء تفكيك الإمبراطورية العثمانية وتكالب جميع القوى الكبرى على تفتيتها واقتسامها.

ومن ضمن مخطط الصهـيونية العالمية للتحريض على الامبـراطورية العثمانية أن الامبراطـورية العثـمانية لا تـعرف شيئا اسـمه فلسـطين فقد جـرى اذابتها طـوعا فى ولايتين وسنجق».

تيودور هرتـزل وحده شرع يفكر جدياً بمـقابلة السلطـان العثمانى منذ الـسابع من حزيـران ١٨٩٥ متلـمساً مختـلف الـوسائل والـطرق ليـسترعـى إنتباه الـباب العـالى ليستدعيه لمقابلته، حتى أنه سعى لدى بسمـارك حيث كانت المانيا حليفة لتركيا ليتوسط له مع السلطان بعد ست سنوات كاملة من الجهد الدؤوب المتواصل والرجاء المتوسل

الملحاح والمتخاذل تمكن هرتزل من مقابلة السلطان فى ١٨ أيار سنة ١٩٠١ على ما يذكر في يومياته)[١].

ثم يسرد الكتاب الحوار الذى كان بينه وبين السلطان، والذى أداره ببراعة محاولاً به أن يمهد للحصول من السلطان على تصريح لصالح اليهود وعرض المساعدة المالية فى صورة قرض لسداد الدين، وفى صورة إنشاء شركة للاستثمار فى تركيا، حتى قال له وزير السلطان (إذا كنت ستبقى هنا مدة كافية، فإن جلالته يود أن تلقى نظرة على المناطق التى تمتد فيها سكك حديد الأناضول فالأرض على السكة مثل جنة، وهناك أيضا حديد خام ومناجم ذهب وفضة)[٢] هكذا أبدى السلطان عبدالحميد لليهودى هرتزل رغبته فى استثمار اليهود فى مناجم الذهب والفضة والحديد وزراعة الأرض فى الأناضول، رغبة منه فى التخلص من الديون وتحسين الأحوال الاقتصادية للدولة والخبيث اليهودى يعرض عليه ويوضح له امكانيات اليهود فى المجال الاقتصادى، لكنه مع هذا لم يتجرأ أن يطلب من السلطان السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين وامتلاكهم الأرض فيها، فقد أخفى هذا الهدف تماما لعلمه انه مستحيل، قال هرتزل فى مذكراته (ثم انتقل السيد الى مشروع تصفية الدين العام المعلق وقد شرح لى المشروع، تألفت التصفية من عقد دين جديد بدل القديم مما يوفر مليونا ونصف المليون جنيه لمواجهة عجز السنة الماضية)[٣].

ثم عرض هرتزل على السلطان مشروعات لاحتكار الكهرباء فى المدن التركية وعمل جسر حديد فى اسطامبول وغير ذلك وكان هرتزل فى هذا الوقت حائر ومتردد بالنسبة للموضع الذى يكون وطناً قومياً للدولة اليهودية وقد تأزم الوضع فى تركيا بفعل الحصار الأوروبى فكتب بعد شهر من مقابلة السلطان (إن الأمور تتأزم فى تركيا إذ ازداد هذا التأزم بخصوص المسألة الشرقية، وانتهى الى حد يقضى بتقسيم

---

(١) زهدى الفاتح/ لورنس العرب ص ٤٠، ٤١.
(٢) نفس المصدر ص ٤٥.
(٣) نفس المصدر ص ٤٦.

تركيا في المؤتمر الأوروبي فقد نَتَمكَّن من أخذ قطعة أرض محايدة لأنفسنا)[1] لأنه لايمكن أن يتجرأ وقتذاك على تعيين فلسطين كمطلب لليهود.

ويصف هرتزل أحوال الدولة اليهودية التي تحيط بالسلطان بعد أن مدحه ووصفه بأنه طيب القلب، ولكن حوله مجموعة من الثعابين القاتلة فقال (إن عبدالحميد الثاني اسم جماعي لمجموعة من أحط الخبائث تمكنت من حرمان بلادْ من أمنها وسعادتها ولم أكن أتصور أنه من المعقول وجود مثل هذه العصابة من اللصوص، فكل شيء تجارة وكل موظف لص، هذا هو على الأقل ما سمعته من كل النواحي، وما رأيته يثبت أن ما سمعته ليس بهتانا استطيع فقط أن أقارن هذه العصابة من الأفاكين الى سرب أفاعي سامة)[2]... حتى يقول إن هؤلاء المجرمين يرتكبون هذه الفظائع ولكنها في النهاية تعلق باسم السلطان.

لقد كان تغلغل النفوذ اليهودي في الدولة العثمانية على أشده في هذا الحين، وكان هرتزل قمة هذا التغلغل، إذ لم يكن هذا الملأ من الأفاعي السامة سوى اليهود وأتباعهم وأشياعهم. حتى إن وفدا برلمانيا عثمانيا في زيارة للندن كان يتكون من أربعة أعضاء كلهم يهود وذلك عام ١٩٠١ بعد ذلك حاول هرتزل أن يحقق الاتفاق على مشروع الإصلاح الاقتصادي، وسداد الدين الذي عرضه على السلطان فراسله مرات لتحقيق ذلك.

ثم ذهب الى تركيا ثانية لمقابلة السلطان، لكن رحلته فشلت هذه المرة أيضاً ولم يستطع أن يقنع السلطان بل لم يستطع أن يقابل السلطان أساسا، ولكن سمح بحديث معه بواسطة أفراد الحاشية. فرجع هرتزل خائبا وكتب عن السلطان (... كل شيء يسير معه بشكل مختلف عما يتوقع، ولعلني أحصل يوماً ما على الميثاق في لحظة غير متوقعة أبداً، اذا كنت سأحصل عليه أي بشرط أن لا نحصل عليه الا بعد تقسيم تركيا) [1].

---

(١) نفس المصدر ص٤٩.
(٢) نفس المصدر ص٥٠.
(٣) نفس المصدر ص٥٨.

لكن هرتزل لم ييأس فأرسل الى السلطان يقترح عليه برنامج خدمات مالية يقدمه اليهود للدولة العثمانية مقابل برنامج امتيازات الهجرة اليهودية.

ثم كتب له مقترحاً انشاء جامعة فى تركيا تغنى شباب تركيا من الإضطرار للسفر لأوروبا للتعليم حتى يقول (والجامعة اليهودية تقوم بتقديم أفضل ما تقدمه أحسن الجامعات، ومدارس التدريب المهنى ومدارس الزراعة ولن تقدم مثل هذه المؤسسة الا ماهو الأفضل وعندها تقوم بدورها فى خدمة العلم والطلاب والبلاد... ويطمئن السلطان الى أن اليهود هم عنصر جدى ومخلص يجمعهم مع المسلمين صلة جنس وعلاقة دين)[١].

ثم يقول زهدى الفاتح (وعاد هرتزل يسطر عشرات الرسائل الى السلطان كلها تنضح بالذل والعبودية والرجاء المتوسل ليحدد لـه موعداً جديداً للمقابلة، لكنه عندما يئس من السلطان تماما كتب الى السلطـان مهدداً (اذا لم أستطع أن أحنى القوى العليا سأحرك العالم الأدنى، سأبدأ فى أواسط كانون الثانى رحلة لبعض أصدقائى من رجال المال لأقنعهم بحرمان الحكومة العثمانية من جميع الموارد المالية، لعل ذلك يبرهن لهم على أننى لست كمية مهملة)[٢] وكانت المخططات لاسقاط الخلافة تسير كما رسمها الصهاينة ولكن هرتزل كان يريد تغيير الفرمان حتى تبدأ الهجرة الى فلسطين فى وقت مبكر كسباً للوقت.

لقد كان لورنس العرب يعمل من جانبه ممثلاً لبريطانيا لاسقاط الخلافة، وكانت خطة لورنس ترتكز الى اثارة النعرة القومية عند العرب، وتصوير الحكم العثمانى باعتباره مستعمرا غاصباً يجب التحرر منه.

لقد كان ولاء المسلمين الأساسى للاسلام ثم للدولة التى تجسد واقع الاسلام السياسى وللخلافة التى اكتسبت الصفة الشرعية على مرور الزمن، والتى كانت تسوس أمور الناس. وكان المعارضون والمتمردون والثائرون يسعون لتغيير الوزراء

(١) نفس المصدرص٦٠، ٦١.

(٢) نفس المصدر ص ٦٢.

والحكام أو حتى الخلافة الحاكمة كلها ولكنهم لم يسعوا أبداً لتغيير أساس الولاء لدولة الاسلام والوحدة هويته)(١) ـلأن من يفعل ذلك يكون كافرا خارجا من الملة. لقد لعب لورنس العرب الدور الرئيسى فى ثورة العرب القومية تخطيطا وتنفيذا وهو يحدد فى تقريره السرى سنة ١٩١٦ بعنوان «سياسات مكة الأهداف الرئيسية لبريطانيا وللغرب عامة» فيقول: أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الاسلامية ودحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها واذا عرفنا كيف نعامل العرب وهم الأقل وعيا للاستقرار من الأتراك فسيبقون فى دوامة من الفوضى السياسية داخل دويلات صغيرة حاقدة ومتنافرة غير قابلة للتماسك، إلا انها على استعداد دائم لتشكيل قوة موحدة ضد أية قوة خارجية)(٢).

فى نفس الشهر ونفس السنة أى كانون ثان ١٩١٦ التى أرسل فيها لورانس هذه الرسالة السرية كان الكولونيل جليبر كليتون يؤسس المكتب العربى البريطانى فى القاهرة ويعكف مع عدد من ضباط الإستخبارات البريطانية هناك على اعداد مخطط عملى لتطويع حركة القومية العربية فى خدمة الأهداف الحربية اليربطانية.

كما سبق لماكس نوردو المفكر الصهيونى ان أشار أوائل هذا القرن الى امكان استغلال حركة القومية العربية لضرب العرب أنفسهم بحكام الامبراطورية العثمانية والقضاء على الاثنين معا فى فلسطين خاصة فيدخلها اليهود فارغة من السكان.

وخطته لم تكن تتم الا بسيطرتهم على الحكومة العثمانية من الداخل دون علم السلطان فهو يسلط حاشية الثعابين والحيات بزيادة الظلم وتعميمه على الشعوب العربية، ومن ثم يعطى للعرب المبرر الذى ينخلعوا به عن الخلافة.

لقد كتب لورنس فى وثيقته السرية (أهدافنا الرئيسية: تفتيت الوحدة الاسلامية ودحر الامبراطورية العثمانية وتدميرها).

---

(١) نفس المصدر ص ٦٣.

(٢) (وثيقة سرية ص ٥٢ - ٥٣ من كتاب الوقائع السرية من حياة لورنس العرب) عن كتاب لورنس العبر ص٦٤.

لذلك كانت مخططات التفتيت والتفريق على مستوى الشعوب وليس على مستوى الحكومات فقط.

ومن ثم لازلنا نسمع من يقول ان الحكم العثمانى كان إستعمارا ظالما؟!

لقد توحد حقد اليهود وحقد أوربا النصرانية ضد الاسلام والمسلمين فإتحدا للعمل معا لإسقاط الخلافة.

كتب جوستاف لويون (الحق أن أتباع محمد (ﷺ) ظلوا أشد من عرفته أوربا من الأعداء ارهابا لعدة قرون، وهم عندما كانوا لايرعدوننا بأسلحتهم كما فى زمن شارل مارتل والحروب الصليبية أو يهددون أوروبا بعد فتح القسطنطينية، كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة والحقيقة أننا لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس) من كتاب حضارة العرب[1] وجاء فى مقال فى التايم الأمريكية (أزاح الغرب مع مضى الوقت عن كيانه خطر المسلمين إلاَّ أنه لم يتخلص تماما من ذكرى الخوف الذى عانى منه ألف سنة)[2].

هذا هو موقف الغرب الأوربى الأمريكى من الاسلام اما موقف اليهود فيعبر عنه ابن جوريون مؤسس دولة اسرائيل وأول رئيس لوزرائها فى كتابه بعث ومصير إسرائيل بقوله (لا تكمن خطورة الأمن بالنسبة لاسرائيل فى قضية خلاف على الحدود انما هى تنبع من تغيرات بعيدة المدى حدثت بالقرب من أرض اسرائيل بعد «باركوحبَا» وبفعل الزلزلة الروحية التى بدَّلت معالم الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وبلدان شمال أفريقيا كافة)[3] وحركة باركو حبا ثائر يهودى ضد الرومان قبل الفتح الاسلامى الفلسطينى وفشلت فهو لا يحب ذكر اسم الاسلام ويصفه بالزلزلة الروحية، وهو يدرك ان الاسلام هو العقبة الكؤود أمام اسرائيل .

---

(١) من كتاب حضارة العرب لجوستاف لوبون عن كتاب زهدى الفاتح لورنس العرب ص٣٧.
(٢) نفس المصدر والصفحة.

وصدق الله تعالى ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ /١٢٠/ لبقرة﴾ وفى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ /٥١/ المائدة﴾.

فهم يتعادون فيما بينهم وبأسهم بينهم شديد الا أنهم يتحدون ضد الاسلام ويرى كل فريق منهما أن الاسلام هو الخطر الأكبر على وجوده كخطر النور على الظلام.

لذلك كانت مخططات لورنس للقضاء على الخلافة العثمانية مخططات يهودية صهيونية وصليبية فى آن واحد هى لحساب الصهيونية فى النهاية بأموال وجهود ورجال بريطانيين فى البداية.

لقد أرهق السلطان اليهود والأوربيين فلم يكن سقوطه بالأمر السهل السريع حتى أنهم فكروا فى أن يجعلوا للمسلمين خلافة بديلة تكون شكلية، بجعل الخلافة الاسلامية وقفا على شخص ينحدر من الرسول العربى الكريم، وتحويل مكة الى كرسى بابوى على غرار روما.

وربما كان يعنى بذلك حركة الجامعة الاسلامية أو الدعوة الى استرجاع الخلافة من أيدى الأتراك فخطر لهرتزل أن يُوحِّد بين هذه الحركة من جهة وحركة اليقظة العربية التى عبر عنها نجيب عازورى من جهة ثانية....)

فهو يهدف إذن الى هدم الاسلام وحصره فى خليفة يكون دوره مثل دور بابا روما أى رمزى وليس له أى دور ايجابى فى حياة المسلمين بحيث تكون عقيدة العرب عصبية جاهلية هى القومية العربية.

فلما صار لهم ما أرادوا رفضوا أن يكون للمسلمين حتى الرمز البابوى، ثم لما رضى العرب بالوحدة العربية دون الاسلامية، وتطلعوا لها ضن الصليبيون والصهاينة عليهم بها، وعملوا على تفريقهم وتفتيتهم كتفتيت الثريد فى القصعة، حتى قال ابا ايبان (أن التنوع والاختلاف أكثر ملاءمة لاسرائيل من التوحد والانسجام فى الشرق الأوسط. وعلى هذا فإن تمكنت كل دولة فى المنطقة حيث تجد

عدد غير العرب مساويا لعدد العرب من ممارسة شئونها الخاصة بسلام عندئذ لا يقلق أحد من وجودنا فضمن فسيفساء من الدول فقط نستطيع أن نعيش ونندمج دون أية صعوبة لكننا نشكل شوكة فى جسم كتلة متجانسة) عن مجلة ريالنيه الفرنسية كانون ١٩٦٦ العدد ٢٥١.

لقد كانت أهم نتائج الحرب العالمية الأولى هزيمة ألمانيا الحليف لتركيا حتى يتمكنوا بالمخطط الخارجى وبالمخطط الداخلى لليهود فى تركيا أن يقضوا على الخلافة ولقد تدخل اليهود فى الحرب حتى كادت ان تكون الهزيمة لبريطانيا مع أن بريطانيا كانت ساعدهم الأيمن فى المخطط ولكنهم أوصلوها الى أن صارت على حافة الهزيمة حتى ينتزعوا منها وعدا باعطائهم فلسطين فكان وعد بلفور.

يقول صاحب كتاب الحكومة الخفية (ولما كانت إنجلترا على وشك أن تخسر الحرب قدم لها اليهود مساعدة أمريكا بشرط أن تهبهم فلسطين.

ولقد نجحوا فى ذلك فلم يعد للعرب المسلمين حولهم وحدة لا اسلامية ولا عربية. حتى أنهم استطاعوا ان يجعلوهم متحاربين بالسلاح بعد أن كانوا متحدين ضد اسرائيل فى الحرب والسلم.

والآن يسعون الى تحقيق منطقة الشرق الأوسط منطقة فسيفساء بتفتيت الكيانات الكبيرة مصر وسوريا والعراق والسودان وغيرها إلى دويلات.

وقد نجحوا حتى الآن مع العراق وجعلوه أربع دويلات بحسب الجهات الأصلية الأربع وإن لم يأخذ التقسيم شكله الرسمى بعد ويحاولون مع السودان وعندهم مخطط لمصر والجزيرة أى السعودية.

لقد حاز لورنس عند أهله على لقب ملك العرب غير المتوج ولقب (أمير مكة) وما ذلك الا لأنه قال (أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الاسلامية) وقد فعل.

ومنذ ذلك اليوم التى سقطت فيه الخلافة والأمة مفتتة، وهى آثمة حتى تسعيد خلافتها، التى لن تعود – بحسب شواهد كثيرة وعلامات – إلا بالمهدى عليه السلام. وهذا موضوع جزء تالى من أجزاء هذه الموسوعة. نسأل الله تعالى عونه وتوفيقه.

الفهرس

الباب الثالث

الأمارات الاجتماعية فيما يخص علاقة الذكور بالإناث على مستوى البشرية وعلى مستوى الأمة الإسلامية

الباب الرابع

كتب المؤلف

١- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الأول:- في الكتاب والسنة . ثلاث طبعات

٢- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثاني:- عند السلف والمتكلمين. ثلاث طبعات

٣- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الثالث :- عند الفلاسفة. ثلاث طبعات

٤- القضاء والقدر في الإسلام الجزء الرابع:- عند الصوفية. تحت الطبع

* وهو الكتاب الذى حاز به المؤلف على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٥- الأصول الإعتقادية للمعرفة في الإسلام. طبعة واحدة

٦- الإسلام والعلم التجريبي. طبعة واحدة

٧- استخلاف الإنسان في الأرض. ثلاث طبعات

٨- قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة طبعتان

٩- الإنسان والشيطان ثلاث طبعات

١٠- مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان ثلاث طبعات

١١- محاضرات في العقيدة الإسلامية ثلاث طبعات

١٢- توفيق الحكيم لِمنْ أستمع وإلى من تحدث طبعة واحدة

١٣- مقومات المجتمع المسلم ثلاث طبعات

١٤- البيان النبوي بدمار إسرائيل الوشيك وتحرير الأقصى طبعة واحدة

١٥- الخلافة الإسلامية:- حقيقتها وأصولها الإعتقادية وحتمية عودتها طبعة واحدة

١٦- التوحيد :- معرفة الله والعلم به تحت الطبع

١٧- المدخل إلى العقيدة الإسلامية تحت الطبع

١٨- حكم الإسلام في استخدام العنف في الدعوة والإصلاح تحت الطبع

«موسوعة أشراط الساعة»

١٩- القيامة الصغرى علي الأبواب الجزء الأول :- وهو الإصدار الثاني لكتاب زلزال الأرض العظيم. طبعتان

٢٠- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثانى:- «المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة». طبعة واحده

٢١- القيامة الصغري على الأبواب الجزء الثالث: «الأمارات العلمية والتكنولوجية في الكتاب والسنة» طبعة واحده

٢٢- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الرابع:«الأمارات الخلقية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية» طبعة واحده

٢٣- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الخامس : «أحداث ماقبل المهدى عليه السلام» تحت الطبع

٢٤- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السادس : «المسيح الدجال» تحت الطبع

٢٥- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء السابع: «المهدى عليه السلام» تحت الطبع

٢٦- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الثامن:«الملحمة العظمى وفتح أوروبا». تحت الطبع

٢٧ـ القيامة الصغرى على الأبواب الجزء التاسع: «يأجوج ومأجوج» تحت الطبع

٢٨- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء العاشر:«نزول المسيح عليه السلام» تحت الطبع

٢٩- القيامة الصغرى على الأبواب الجزء الحادي عشر «ما بعد المسيح عليه السلام إلى قيام الساعة» تحت الطبع

جميع المراسلات وطلبات التوزيع

بإسم عبد الرحمن فاروق الدسوقي ت/ ٥٥٧٢٦٦٠/ ٠٣- الأسكندرية تطلب مطبوعاتنا من المكتبات الآتية:

١- مكتبة مدبولي - ٦ ميدان طلعت حرب/ ت:- ٥٧٥٦٤٢١.
 - طريق النصر - مدينة نصر / ت :- ٤٠١٥٦٠٢ - القاهرة.

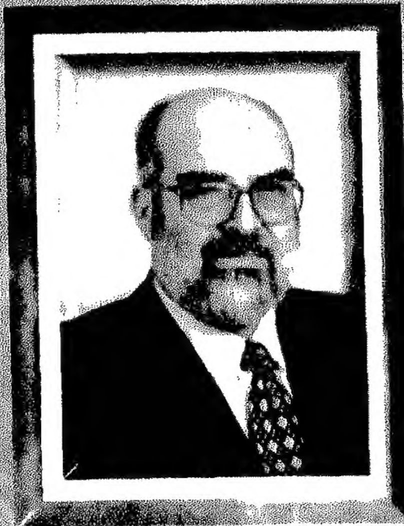
٢- مكتبة حميدو - ٢٦ ش النبي دانيال / ت: ٤٩٠١٤٩٤ - ٤٩٣٣٨٧٤ - الاسكندرية.

٣- مكتبة دار العقيدة للتراث - ١٠١ ش الفتح - باكوس أمام محطة الترام / ت: ٥٧٠٧٣٢١ - الأسكندرية.

٤- معرض لونابارك - ش لاجيتيه - الإبراهيمية - الأسكندرية.

٥ ـ دار الدعوة ـ ا ش منشا محرم بك/ ت : ـ ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ الاسكندرية

ولدى باعة الجرائد في جميع المحافظات



المؤلف

الاستاذ الدكتور / فاروق احمد حسن الدسوقــى

ولد بالاسكندرية عام ١٩٢٨ م

حصل على ماجستير الفلسفة الاسلامية من جامعة الاسكندرية بتقدير ممتاز مع التوصية بالطبع وتبادل الرسائل مع جامعــات العالم.

حصل على دكتوراه العلوم الاسلامية قسم الفلسفة الاسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهره بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الاولى.

فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية عام ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

عمل استاذ للعقيدة والثقافة الاسلامية بجامعتي الملك سعود وام القرى من عام ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م حتى عام ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

الكتــــاب

إنها أعظم إفس [illegible] مية اجتماعية اقتصادية سياسية في التاريخ المكتوب تلك التي علا بها [illegible] في الارض علوا كبيرا، يشهد بذلك الواقع البشري المعاصــر. وهي الإفسادة الثــ [illegible] م، لانها أوضح الأمارات علي القرب الشديد للقيامة الصغـرى، لانها كما وصفها الله تعالى في كتابه الكريم افسادة الآخرة بقوله تعالى (فاذا جاء وعد الآخرة / ٧ / الإسراء)

لأن الآخرة في هذه الآية ليست بمعنى الأخيرة كما يظن البعض، وانما هي منسوبــة للآخرة التي تقابل الدنيا في مصطلحات القرآن الكريم. فالآيه تصرح بان وقوع هــذه الافسادة لا يكون إلا مع بدء اليوم الآخر الذي تعيشة البشرية ليس الآن فحسب - وإنما منذ عشرات السنين لانهما - اي هذه الا فسادة وهذا العلو الكبير لبنــي اسرائيل، لـم يتحققا إلا بقيادة المسيح الدجال الذي هو أحد آيات الساعة العشر اللائي يشكلن ابرز أحداث اليوم الآخر.

وإن كان خبر هذه الا فسادة وهذا العلو لبني اسرائيل قد ورد مجملا في بضع آيــات من سورة الاســراء، فإن أخبارهما قد وردت مفصلة تفصيلا دقيقا في الكتاب والسنــة وفي الوحي القديم. فصورت نصــوص الوحي منــذ اكثر من أربعة عشر قرنا ما هو كائــن الآن من أنواع الشرور والخطايا والآثام والانحــرافات في شتى مناحي الحياة، خلقــيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وتعليميا وتربويا وإعلاميا وعسكريا، وكل هذا يطابق ما ورد في مخططات خبثاء (حكماء) صهيون.

وهذا ما يفصله لك، أخي القارئ، هذا الكتاب تفصيلا، فليس من شر قــائم في الأرض اليوم إلا وقد ورد ذكره في كتاب الله وأخـــبر به النبي الخاتم سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم.

وليس هذا التفصيل لمجرد بيان مدى طغيان عبدة الجبت والطاغوت في الارض فحسب، بل وللدلالة القطعية على أن القيامة الصغرى على الابواب هذا الحدث الرهيــب الذى يطهر الله تعالي به الارض من افســـادتهم ويحطم لليهود علو هم الكبير ويــدمر لهم بناء هم الشيطانى الدجالي الكبير ويهيئ الارض والتاريخ لبيعة المهدى عليه الســلام الذى يعيد وحدة الامة الاسلامية وقوتها تحت راية الخلافة الراشدة التى وعد سيــدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم بعودتها لانهاء غربة الايمان والاسلام في زمن إفســاد اليهود وعلوهم المعاصرين.